دورية دولية محكمة

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية

ISSN: 2625-8943

العدد التاسع والعشرون-أيلول-سبتمبر 2023م المجلد 7

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية

المركز الديمقراطي العربي

Journal of
cultural linguistic and artistic studies

International scientific periodical journal

رقم التسجيل
VR.3373.6326.B

Germany: Berlin 10315
Gensinger- Str: 112
http://democraticac.de

المركز الديمقراطي العربي
للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية
Democratic Arabic Center
for Strategic, Political & Economic Studies

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية

مجلة
الدراسات الثقافية
واللغوية والفنية

دورية علمية محكمة فصلية

تصدر عن
المركز الديمقراطي العربي
برلين – ألمانيا

ISSN : 2625-8943

JOURNAL OF
CULTURAL LINGUISTIC
AND ARTISTIC STUDIES

An International scientific
Periodical Quarterly Journal
Issued by

The Democratic Arabic Center

تعنى المجلة بالبحوث والدراسات الاكاديمية الرصينة التي يكون موضوعها متعلقا بجميع مجالات علوم اللغة والترجمة والعلوم الإسلامية والآداب، والعلوم الاجتماعية والإنسانية، وكذا العلوم الفنية وعلوم الآثار، للوصول الى الحقيقة العلمية والفكرية المرجوة من البحث العلمي، والسعي وراء تشجيع الباحثين للقيام بأبحاث علمية رصينة

© Democratic Arabic Center
Germany - Berlin
ISSN: 2625-8943
E-MAIL
culture@democraticac.de

الهيئة المشرفة على المجلة

رئيس المركز الديمقراطي العربي

أ. عمار شرعان

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية

دورية علمية دولية محكمة

تصدر عن

المركز الديمقراطي العربي

ألمانيا – برلين

وتعنى بنشر الدراسات والبحوث في التخصصات التالية

- الأنثروبولوجيا والعلوم الاجتماعية
- اللغات والترجمة والآداب والعلوم الاسلامية
- العلوم الفنية وعلوم الآثار

رئيس التحرير

أ. د. سالم بن لباد

الهيئة الاستشارية

أ.د. رفيق سليمان / مدير المركز الديمقراطي العربي ببرلين / ألمانيا

أ.د. محمد جودات
جامعة محمد الخامس بالرباط / المغرب

أ.د. الغالي بن لباد
جامعة تمنغاست / الجزائر

أ.د. ضياء عنى العبودي
جامعة ذي قار / العراق

د. أحمد حسن إسماعيل الحسن
الجامعة الهاشمية / الأردن

د. جمال ولد الخليل
جامعة حائل/المملكة العربية السعودية

د. رسول بلاوي
جامعة خليج فارس – بوشهر / إيران

د. محمود خليف خضير الحياني
الجامعة التقنية الشمالية / العراق

د. صافية زفنكي
المركز الديمقراطي العربي ببرلين/ ألمانيا

نائب رئيس التحرير

أ.د. عبد الكريم حمو
باحث بالمركز الوطني للبحث في الانتروبولوجيا الاجتماعية - وهران

مساعد رئيس التحرير

أ.د. بدرالدين شعباني
جامعة قسنطينة 2/ الجزائر

التصميم والإخراج الفني

أ.د. بدرالدين شعباني

شهادة تحكيم

المؤشر العربي لقياس جودة المجلات العلمية

بناءً على تقرير السادة الخبراء ؛ يشهد مدير مركز مؤشر للاستطلاع والتحليلات بأن:

مجلة (لدراسات الثقافية واللغوية والفنية)

الحاملة للترقيم المعياري:

ISSN: 2625-8943

قد تحصلت على درجة 100/57

وعليه فهي حسب مؤشر (AIMQSJ) تعتبر من المجلات الحسنة ؛ فئة (B+)

مركز مؤشر للاستطلاع .. العلمية .. Germany Berlin 10315 Gensinger Str: 112

المؤشر العربي لقياس جودة المجلات العلمية

Arabic Index of Measuring the Quality of Scientific Journals

مركز مؤشر للاستطلاع والتحليلات Indexpolls.de برلين / ألمانيا

مدير مركز مؤشر للاستطلاع والتحليلات

رئيس اللجنة العلمية

د. صافية زفنكي المركز الديمقراطي العربي/ برلين - ألمانيا

اللجنة العلمية والاستشارية

أ.د. رفيق سليمان مدير المركز الديمقراطي العربي ببرلين/ ألمانيا

أ.د. الغالي بن لباد جامعة تمنغاست / الجزائر

أ.د. ضياء غني العبودي جامعة ذي قار/ العراق

أ.د. عبد الحليم بن عيسى جامعة وهران1/ الجزائر

أ.د. محمد أحمد سامي أبو عيد جامعة البلقاء التطبيقية / الأردن

أ.د. عبد الكريم حمو باحث بالمركز الوطني للبحث في الأنثروبولوجيا الاجتماعية وهران / الجزائر

أ.د. الزاوي لعموري جامعة الجزائر 2/ الجزائر

أ.د. سالم بن لباد جامعة غليزان/ الجزائر

أ.د. بدرالدين شعباني جامعة قسنطينة 2/ الجزائر

أ.د. جميلة ملوكي جامعة تمنغاست / الجزائر

أ.د. الزهرة قريصات جامعة تيارت/ الجزائر

أ.د. صديق بغورة جامعة المسيلة / الجزائر

أ.د. نعيمة بن علية جامعة البويرة / الجزائر

أ.د. ليلى مهدان جامعة خميس مليانة/ الجزائر

م.أ.د. علي عبد الأمير عباس الخميس جامعة بابل / العراق

أ. د. حبيب بوسغاي جامعة عين تيموشنت / الجزائر

د. صافية زفنكي المركز الديقراطي العربي /برلين - ألمانيا

د. جمال ولد الخليل جامعة حائل/ المملكة العربية السعودية

أ.د. أرزقي شمون جامعة بجاية / الجزائر

د. نصيرة شيادي جامعة تلمسان/ الجزائر

د. رشيدة بودالية جامعة البويرة / الجزائر

أ.د. كمال علوات جامعة البويرة / الجزائر

د. طه حميد حريش الفهداوي كلية الامام الاعظم جامعة بغداد / العراق

أ.د. سعيدي الدراجي المدرسة العليا للأساتذة بوزريعة / الجزائر

د. مالكي سميرة جامعة وهران 2/ الجزائر

د. حسام عزمي العفوري أكاديمية مينيسوتا لتعليم اللغات/ تركيا

د. هدية صارة باحثة دائمة بالمركز الوطني للبحث في الأنتروبولوجيا الاجتماعية والثقافية وهران/ الجزائر

د. محمد بن لباد المركز الجامعي مغنية/الجزائر

د. محمود خليف خضير الحياني الجامعة التقنية الشمالية / العراق

د. علي مولود فاضل مدرس في علوم الاتصال والإعلام كلية الإسراء الجامعة / العراق

د. محمد ياسين عليوي الشكري كلية التربية للبنات جامعة الكوفة / العراق

د. ليلى كواكي مركز البحث العلمي والتقني في علم الإنسان

د. نورالدين بن نعيجة مركز البحث في العلوم الإسلامية والحضارة الأغواط/ الجزائر

د. فاتح كرغلي جامعة البويرة / الجزائر

د. سليم مزهود المركز الجامعي ميلة / الجزائر

د. محمد أحمد محمد حسن مخلوف جامعة الأزهر / مصر

د. روح الله صيادي نجاد كاشان/إيران

د. فاطمة الزهراء ضياف جامعة بومرداس/ الجزائر

د. سمية قندوزي جامعة / الجزائر

د. فتيحة بوشان جامعة البويرة/ الجزائر

د. محمد بوعلاوي جامعة المسيلة / الجزائر

د. آمنة شنتوف مركز تطوير اللغة العربية وحدة تلمسان / الجزائر

أ.د. بن عزوز حليمة جامعة تلمسان / الجزائر

د. بن عطية كمال جامعة الجلفة/ الجزائر

د. خالد حوير شمس جامعة بغداد/العراق

د. كاتب كريم جامعة وهران 1 / الجزائر

د. حميدش مونيرة جامعة الجزائر 2

د. محمد رزق الشحات عبد الحميد شعير جامعة هيتت / تركيا

د. أمينة بن قويدر جامعة تيارت/ الجزائر

د. سوسن بوزبرة جامعة تيارت/ الجزائر

د. محمد بلحسن المركز الجامعي مغنية/ الجزائر

د. عبد القادر قدوري جامعة الأغواط/ الجزائر

د. رسول بلاوى جامعة خليج فارس – بوشهر/ إيران

د. بابو سقال مريم جامعة سعيدة/ الجزائر

د. فاطمة الزهراء نهمار جامعة البليدة 2/ الجزائر

د. أحمد حميد أوغلوا جامعة إبراهيم جاجان/ تركيا

د. بوزياني فاطمة الزهراء جامعة تلمسان/ الجزائر

د. صليحة لطرش جامعة البويرة/ الجزائر

د. نسيمة بغدادي جامعة المسيلة/ الجزائر

د. هبري فاطمة الزهراء جامعة تلمسان/ الجزائر

د. علاء الدين عبد اللطيف عبد العاطي محمد أبو العنين جامعة القاهرة/ مصر

د. كاهية باية جامعة محمد بوضياف المسيلة/ الجزائر

د. نبيل أحمد عبد العزيز رفاعي كلية الدراسات الإسلامية والعربية بسوهاج/ مصر

د. عبد القادر عوادي جامعة سيدي بلعباس / الجزائر

د. علي ساحي جامعة الأغواط /الجزائر

مقاييس وشروط النشر

تخص البحوث المرسلة الى المجلة الى مجموعة من الشروط تتمثل فيما يلي

1. يجب أن تتوفر في البحوث المقترحة الأصالة العلمية الجادة وتتسم بالعمق.
2. على صاحب البحث كتابة إسمه وعنوانه الالكتروني والجامعة والبلد الذي ينتمي اليه أسفل عنوان البحث، مع إرفاق سيرة ذاتية وتكون في صفحة خاصة ضمن البحث.
3. ترتب المراجع والهوامش في نهاية المقال حسب الطرق المنهجية المتعارف عليها ووفقا للتسلسل العلمي المنهجي وبطريقة يدوية.
4. ترفق المقالات بملخص لا يتجاوز 10 أسطر باللغة العربية ويترجم الملخص الى اللغة الانجليزية أو العكس مع التطرق الى الكلمات المفتاحية.
5. حجم البحث لا يقل عن 10 صفحات ولا يزيد عن 15 صفحة.
6. تكتب المقالات بحجم 16 بصيغة Traditional Arabic بالنسبة للمتن وبحجم 12 بصيغة Times New Roman بالنسبة للهوامش، أما بالنسبة للغات الأجنبية الأخرى يكون بحجم 12 بصيغ Times New Roman بالنسبة للمتن و10 بالنسبة للهوامش وبنفس الصيغة.
7. إرفاق البحث بملخص باللغتين العربية والانجليزية.
8. على البحوث المقترحة أن تراعي القواعد المنهجية والعلمية المتعارف عليها.
9. ترسل المقالات المقترحة لهيئة أمانة التحرير لترتيبها وتصنيفها، كما تعرض المقالات على اللجنة العلمية لتحكيمها.
10. يجب ألا يكون المقال قد سبق نشره أو قدم الى مجلة أخرى.
11. ترسل المقالات الى البريد الالكتروني للمجلة.
12. تمتلك المجلة حقوق نشر المقالات المقبولة ولا يجوز نشرها لدى جهات أخرى الا بعد الحصول على ترخيص رسمي منها.
13. لا تنشر المقالات التي لا تتوفر على مقاييس البحث العلمي أو مقاييس المجلة المذكورة.
14. المجلة غير ملزمة بإعادة البحوث المرفوضة الى أصحابها.
15. تحتفظ المجلة بحق نشر المقالات المقبولة وفق أولوياتها وبرنامجها الخاص.
16. البحوث التي تتطلب تصحيح أو تعديل مقترحا من قبل لجنة القراءة تعاد الى أصحابها لإجراء التعديلات المطلوبة قبل نشرها.
17. ألا تكون البحوث المرسلة مستلة من مطبوعة، او جزء من أطروحة.
18. أن تتضمن البحوث المرسلة على قائمة المراجع تدرج في الأخير.

الهوامش

تكتب بنظام APA على الشكل الآتي: في المتن يكتب بين قوسين: لقب الكاتب والسنة والصفحة (اللقب: السنة، ص ..)

المراجع

تكتب المعلومات الكاملة في آخر المقال على هذا النحو : إسم ولقب الكاتب، عنوان الكتاب، الجزء، دار النشر، الطبعة، بلد النشر، سنة النشر، الصفحة.

التحكيم

تخضع كل البحوث المقترحة للتحكيم العلمي المزدوج من طرف لجنة القراءة وبسرية تامة، بحيث

- **يحق للمجلة اجراء بعض التعديلات الشكلية الضرورية على البحوث المقدمة للنشر دون المساس بمضمونها.**
- **يقوم الباحث بتصحيح الأخطاء التي يقدمها له المحكمين في حال وجودها وإعادة ارسالها للمجلة.**
- **لغات المقالات: العربية، والأمازيغية، الفرنسية، الإنجليزية، الألمانية، الإسبانية، الإيطالية، والروسية.**

- المقالات المنشورة لا تعبر عن رأي المجلة -

ترسل البحوث المقدمة للنشر عبر البريد الالكتروني

culture@democraticac.de

الفهـرس		
الرقم	العنـوان	الصفحــة
1	كلمة العدد	12
2	طرائق التدريس ومدى فاعليتها في تعزيز المهارات الدراسية لطلاب الجامعة: دراسة تقويمية من وجهة نظر أعضاء هيأة التدريس بجامعة الزيتونة Teaching methods and their Effectiveness in Enhancing Study Skills of University students: An evaluation study from the viewpoint of Al- Azzaytuna University Teaching Staff أ.د الدوكالي مفتاح الطرشاني/ أ.د نجمة خليفة عطية/ د. أحلام علي عبدالصمد(جامعة الزيتونة)	45-13
3	اللغة بين الفكر والواقع Language between thought and reality دة.جليلة مراوحي (أستاذة التعليم العالي مساعدة بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالرباط)	58-46
4	أساليب تزييف الوعي Methods of falsifying awareness د. سامي الذيبي (باحث في العلوم الثقافية- جامعة تونس)	76-59
5	البحث العلميّ في ظل التطور التكنولوجي Scientific research in light of technological development فاطمة عبد الرّحمن ، أستاذ التّعليم العاليّ/د. رشيدة عابد (جامعة حسيبة بن بوعلي – الشّلف- الجزائر-)	85-77
6	استراتيجية القراءة في "خطاب الرواية النسائية بالمغرب، نماذج تحليلية" للدكتور حسن اليملاحي Reading Strategy in "The Feminine Novel Discourse in Morocco: Analytical Models" Dr. Hassan El Yamlahi أ.د. أحمد رزيق(المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين – الدارالبيضاء، المغرب مختبر الثقافة والعلوم والآداب العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق جامعة الحسن الثاني، الدارالبيضاء، المغرب)	96-86
7	استعارة الزّمن في اللّغة والذّهن: مقاربة عرفانيّة The metaphor of time in language and mind: a cognitive approach د.صبيحة جمعة (أستاذة مساعدة - باحثة في البلاغة واللسانيات وعلوم الدلالة - جامعة تونس)	112-97
8	بنية الشخصية في روايات محمود شقير (روايات "أنا وجمانة" و"أحلام الفتى النحيل" نموذجا) The structure of personality in the novels of Mahmoud Shuqair (The novels "Ana and Jumana" and "The Skinny Boy's Dreams" for examples)	133-113

	الدكتورة عزت ملا ابراهيمى (الأستاذة، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، ايران.) زهراء فاضلى (الماجستر في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، ايران.)	
147-134	بنائية النص وفروض التأويل الدلالي " قراءة في تائية أبي نواس" :Constructivism and Semantic Interpretation Presumption An Analysis of Abou Naoues Taiya (t. rhymed) poem د. قاسمية هاشمي(جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي- الجزائر)	9
169-148	القصيدة أفقا لكشف أهوال الهزيمة/ البكاء بين يدي زرقاء اليمامة لأمل دنقل أنموذجا Poem as a Horizon to Reveal the Horrors of Defeat /Crying in the Hands of Zarqa al-Yamamah by Amal Dunqul as an Example د. عزيز بويغف(- أستاذ باحث - الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين ورزازات المملكة المغربية)	10
189-170	الأصول السياسية للمذهب الزيدي دراسة نظرية The Political Origins Of Zaidi Doctrine Theoretical study باحثة الدكتوراه: عزَّية عليَّ محمد سفيان السيد	11
203-190	الاتساق والانسجام في الشعر العربي القديم- قصيدة "البردة" لكعب بن زهير نموذجا The Burdah of Ka'ab ibn Zuhair as -Cohesion and Coherence in Ancent Arabic Poetry a model منير بورد،(باحث بسلك الدكتوراه، مختبر الكتابات الأدبية واللسانية ، المدرسة العليا للأساتذة بالرباط – المغرب)	12
219-204	تمثلات المكان ودلالاتها في شعر لطفي العربي البرهومي، مجموعة (مملكة الشيء) أنموذجا -مقاربة سيميائيّة- place representations and its implications, in the poetry of Lutfi Al-Arabi Al-Barhoumi, - The (Thing Kingdom) group as a model - semiotic approach د.بسام عبد العزيز الشارني، (أستاذ مساعد في الأدب العربي القديم بكلية الآداب، جامعة ظفار، عُمان.) د. مراد الحاجي، (أستاذ مساعد في تحليل الخطاب والدراسات الثقافية بكلية الآداب، جامعة ظفار، عُمان)	13
243-220	تأثير المحتوى السلبي المنشور عبر خاصية البث المباشر لتطبيقي فيسبوك وتلجرام على القيم الأخلاقية دراسة وصفية تحليلية The Negative Content Posted Via Live Video Feature of Facebook and Telegram and its Influence on the Ethical Values: A Descriptive Analytical Study أ.د. ناجي علي الصناعي (أستاذ الفكر الإسلامي ومناهج البحث العلمي المشارك كلية العلوم التطبيقية والتربوية بالنادرة/ جامعة إب)	14

259-244	فُرجة "بوسَعْدية": الهُوية المُلتبَسة وجماليات الجسَد الغروتَسكي Show of « Boussaâdia » : the ambiguous character and the aesthetic aspects of the grotesque body د. صورية علي غجاتي(جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة1 / الجزائر)	15
267-260	تقييد الصفة واللازم في كناية الجزء للكل: مقاربة معرفية Restriction of the adjective and necessary in the metaphor of the part for the whole: an epistemological approach عادل الحدان، (جامعة الحسن الثاني- الدار البيضاء- المملكة المغربية)	16
282-268	التفاصيل وتشكّل المرجع في النص القصصيّ قراءة في كتاب "لسوادي حلاوة" لرحمة البحيري. Details and formed references in narrative texts. A reading in the book " Lisawadi Halawa " by Rahma Al-Bhiri د. وليد عبد اللاوي، (جامعة صفاقس - تونس)	17
295-283	الثروة اللفظية وانعكاساتها على شخصية المتعلم وقدرته التعبيرية The Vocabulary wealth implications for the learner's personality and expressive ability الحسن عبد النوري، (أستاذ التعليم العالي مؤهل، المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين الدار البيضاء ـ سطات)	18
323 -296	تعامل المستشرقين الفرنسيين والألمان مع التراث العربي French and German orientalists and their dealings with Arab heritage مرعي أرحومه، (محاضر، قسم اللغة العربية، كلية الآداب والعلوم، جامعة درنة، فرع القبة، ليبيا) جمعة الجالي، (طالب دكتوراة، قسم اللغة العربية، مدرسة العلوم الإنسانية، الأكاديمية الليبية، فرع الجبل الأخضر، ليبيا)	19
334 -324	سعيد يقطين والتراث العربي: أسئلة التراث وآليات القراءة. Said yaktine and Arab Heritage : Heritage's questions and reading's mechanisms د. نصر الدين بن عطية. (جامعة سيدي بلعباس. الجزائر)	20
362- 335	الوصف والصّورة في معلّقة امرئ القيس Description and illustration in Imru-Al-Qays's Muallaqa أحلام الطويل، (باحثة دكتورا، بجامعة تونس)	21
381 -363	البناء للوسيط في اللغة العربية من منظور لساني مقارن The Middle Voice in the Arabic language from a comparative linguistic perspective د. سمير جلولات، (جامعة القاضي عياض بمراكش، المغرب)	22

23	جهود عبد الرحمن الجيلالي من خلال مجلة "الأصالة "الجزائرية les efforts de Mohammed Abed Algelali par le magazine EL-Assala د. عبد الكريم طبيش، (أستاذ محاضر أ، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة)	392 -382
24	التجريب في الخطاب الروائي المغاربي، بين الخرق والتجاوز Experimentation in the Moroccan novelist discourse reach and transgression غازي عتيقة (دكتوراه، جامعة محمد الخامس-الرباط-المغرب)	412-393
25	آفاق التحليل البلاغي للخطاب السياسي Prospects of rhetorical analysis of political discourse أحمد الرويني، (باحث بسلك الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، المغرب)	422 -413
26	دلالة الألفاظ المقترَضة في أهازيج ظاهرة ألتراس كرة القدم المغربية ألتراس "حَلاّلة بويز" نموذجا- دراسة سوسيولسانية- The significance of the borrowed words in the chants of the Moroccan football Ultras phenomenon/Ultras "Helala Boys" as a model-A sociolinguistic study- عصام الهتاكي، (مختبر اللغة والمجتمع، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب) إشراف الدكتور: عبد النور الحضري	436 -423
27	تشكيل الجغرافيا الشفهية بمنطقة الغرب: - رصد تيمة "الغابة" في مجموعة من الأشكال الشعبية – The formation of oral geography in the western region. - Obeserve the forest theme in a range of popular forms - بوعزة الخلقي، (أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي/ باحث بمختبر اللغة والمجتمع، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب.)	450 -437
28	محمد في المدينة للمستشرق الإنجليزي مونتجومري وات الفصل الأول: تحدي القرشيين دراسة نقدية Muhammad At Medina, of the English orientalist Montgomery Watt The first chapter: the challenge of the Quraishites, a critical study محمدالقطاري، (باحث في سلك الدكتوراه جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس)	470 -451
29	الاكتساب اللغوي: مقاربة في النظريات المفسرة لعمية اكتساب اللغة approach in theories, explains acquisition mechanism the : linguistic acquisition	485 -471

	language الباحث لغزال محمد / الدكتور عبد النور الحضري (مختبر اللغة والمجتمع، كلية اللغات والآداب والفنون – جامعة ابن طفيل – المغرب)	
497- 486	الإيجاز وبناء المعنى في خمرية ابن الفارض Conciseness and Meaning construction in Ibn Al-Farid's Khamriah احمد بولوزة، (مختبر الثقافة والعلوم والآداب العربية، جامعة الحسن الثاني (المغرب)	30
509 -498	الخطأ البيداغوجي: أنواعه وأهميته التربوية: " الخطأ اللغوي أنموذجا " ."Linguistic error example" its types and educational importance: ذ:عبد الله الحتوك، (جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب سايس،فاس، المغرب. مختبر: المغرب: التاريخ، العلوم الشرعية واللغات.)	31
522 -510	Fin de partie de Samuel Beckett : Sens de l'œuvre مضامين ودلالات مسرحية نهاية اللعبة لصاميويل بيكيت - مراد الساكتMourad Saket/ (المعهد العالي للتنشيط الشبابي و الثقافي /تونس)	32
546 -523	Glottolization Researcher. Muna Jumaa Ali College of Language , Baghdad University , Baghdad / Iraq	33
568 -547	Difficultés de recherche et d'intervention dans le contexte de la pandémie de la Covid-19 et de la crise sanitaire et intégration des outils numériques. The difficulties of conducting research during the Covid-19 pandemic (health crisis) and the integration of technology. Laila Zhaoui. Université Ibn-Tofail. Kenitra. Faculté des Lettres, Langues et Arts. Laboratoire Langage et Société. Malika Bahmad. Université Ibn-Tofail. Kenitra. Faculté des Lettres, Langues et Arts. Laboratoire Langage et Société.	34
584 -569	Le réalisme et la critique dans les Bouts de Bois de Dieu et O Pays, mon beau peuple De Sembene Ousmane : Etude comparative Mhamed ABDELMOUNA Etudiant doctorant Centre d'Etudes Doctorales : Langue, Patrimoine et Aménagement du Territoire Laboratoire de Recherches : Langue, Littérature, Imaginaire et Esthétique	35

	Université Sidi Mohamed Ben Abdellah. Faculté des Lettres et des Sciences Humaines – Sais-Fès	
605 -585	The Use of Dialect in Charles Dickens Novel 'Oliver Twist' 'استخدام اللهجة في رواية تشارلز ديكنز "أوليفر تويست Dr. Abedelrahman Mohammdain Abdurrahman Ahmed , Associate Professor , El Imam El Mahdi University, Faculty of Arts and Humanity, Dr. MohiEldeen Ahmed Abdelrahman Ahmed, Assistant Professor, White Nile University, Faculty of Arts, English language department, Sudan Mustafa Hassan Musa, PhD Candidate, University of Bacht-er-Ruda , Faculty of postgraduate studies, English language Department Wafa Alsir Ahmed Omer, Ph.D. Candidate, - Elimam Elmahdi, Faculty of postgraduate studies, English language Department	36

كلمة العدد

بسم الله الرحمن الرحيم والصلاة والسلام، على رسول الله سيدنا محمد وعلى وآله وصحبه أجمعين وبعد،

إنّ مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية، منبر من المنابر العلمية الدولية الرائدة أروبيا باعتبار صدورها في برلين/ألمانيا، ولها جناح خاص في المكتبة الوطنية في المدينة نفسها، وعربيا لأنها تعنى بالدراسات الثقافية واللغوية والأدبية والفنية الرصينة في العالم العربي.

يحمل العدد التاسع والعشرون، أبحاث علمية ذات رؤى نافذة وأقلام واعية وبلغات متعددة ومجالات متنوعة، وفق قواعد علمية ومنهجية مضبوطة، ليحمل دراسات علمية قيمة ومتنوعة، تساير مجال اختصاص المجلة واهتماتها.

وكالعادة تلقينا الكثير من البحوث، التي تعد من المواد العلمية والمعرفية المهمة في مجال الدراسات اللغوية والثقافية والفنية، قد خضعت لتحكيم علمي موضوعي، لذلك صعب علينا انتقاءها.

ونحن نجدد الاعتذار من الذين لم يتسنى لهم نشر ورقتهم البحثية في هذا العدد، ونضرب لهم موعدا في الأعداد المقبلة بحول الله تعالى.

في الأخير نجدد الشكر لكل من ساهم في اصدار هذا العدد، وشكر خاص للسيد رئيس المركز الديمقراطي العربي.

رئيس التحرير

الأستاذ الدكتور سالم بن لباد

طرائق التدريس ومدى فاعليتها في تعزيز المهارات الدراسية لطلاب الجامعة:
دراسة تقويمية من وجهة نظر أعضاء هيأة التدريس بجامعة الزيتونة

Teaching methods and their Effectiveness in Enhancing Study Skills of University students: An evaluation study from the viewpoint of Al- Azzaytuna University Teaching Staff

أ.د الدوكالي مفتاح الطرشاني، أستاذ علم الاجتماع بكلية التربية، جامعة الزيتونة
أ.د نجمة خليفة عطية، أستاذ الدراسات اللغوية بكلية اللغات -جامعة الزيتونة
د. أحلام علي عبدالصمد، أستاذ الدراسات اللغوية المساعد بكلية اللغات-جامعة الزيتونة

ملخص:

الباحثون من خلال هذه الدراسة إلى الإجابة عن إشكالية متمثلة في طرائق التدريس، ومدى فاعليتها في تعزيز المهارات الدراسية لدى طلاب الجامعة ، وتهدف الدراسة إلى الكشف سعي عن النتائج المترتبة عن استخدام أعضاء هيأة التدريس بجامعة الزيتونة لهذه الطرائق، وأثرها في تعزيز المهارات الدراسية للطلاب، وقد اعتمدنا في هذه الدراسة على منهج المسح الاجتماعي عن طريق العينة الطبقية النسبية وبلغ حجمها(111) مفردة. **وقد توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها ما يأتي :**

أظهرت الدراسة أنَّ أعضاء هيأة التدريس غالباً ما يقومون بتطبيق طرائق العروض العلمية والمناقشة والحوار، المتعلقة بفتح باب النقاش، والطريقة الاستقرائية المتعلقة بالاعتماد على الاختبارات النصفية والنهائية في تقييم الطلاب من خلال تطوير قدراتهم و غرس الثقة بالنفس ورفع الروح المعنوية، كذلك تستخدم الطريقة الاستنباطية المتعلقة باستخراج المسائل وتحفيز أفكار الطلاب وتفاعلهم ، وهذا يدل على أن نجاح التدريس مرهون بأداء كل ركن من أركان العملية التعليمية على أكمل وجه ؛لأن التحصيل الدراسي للطلاب يعدُّ مقياساً لطرائق التدريس الفعالة لتنمية مهارات الطلاب الجامعيين.

الكلمات المفتاحية: طرائق التدريس، المهارات الدراسية، التحصيل الدراسي.

Abstract:

Through this study, we have tried to answer the problem of teaching methods and their effectiveness in improving the learning skills of students of Azzaytuna University from the point of view of Faculty Members, the study aims to uncover the results of methods used by Faculty Members at Azzaytuna University , and their impact on improving students' learning skills, and we relied in the study on the methodology of social survey by the relative stratified its achieved size (111). We have achieved a number of results, the most important. sample and

of which are :

The study showed that Faculty Members often use the methods of scientific presentations, discussion, and dialogue related to opening the door for discussion and introduction, relying on intermediate and final tests in evaluating students, and relating to the development of students' skills by instilling confidence and increasing morale, and deductive in terms of extracting problems and motivating the ideas and interaction of students, as well as often the inductive and standard method, the method of problem solving, reasoning, exploration and lecture method, and this suggests that the success of teaching depends entirely on the performance of each area of the educational process, as students' academic performance is a measure of effective teaching methods to develop the skills of university students.

Keywords: Teaching Methods, Learning Skills, Academic Achievements.

مقدمة:

تقوم العملية التعليمية بالجامعات على ركائز عدة، تأتي طرائق التدريس على رأسها؛ فهي الأداة التي تُسهم في إيصال المعلومة، وإيضاح المادة التعليمية، وتحقيق الأهداف المرجوة منها؛ لذا فإنَّ نجاح العملية التعليمية التعلمية مرهون بحسن اختيار الطرائق التدريسية المناسبة للمحتوى التعليمي، أي المادة الدراسية المُقدَّمة للطلاب، ومستويات تفكيرهم المختلفة، وهي من أبرز القضايا التي أثارت اهتمام التربويين والمختصين في مجال مناهج التعليم؛ وذلك بتسليط الضوء على أبرز الطرائق وأحدثها، والتي يجب على الأساتذة اتباعها في تدريس الطلاب الجامعيين؛ ولأنَّ نجاح أو فشل الطلاب يعود بالدرجة الأولى إلى الطريقة التي يتبعها الأساتذة في تقديم المحتوى الدراسي، وإيصال المعلومة بحسب قدرات وميول الطلاب، وتطوير أفكارهم من خلال حلقات النقاش، وتبادل الآراء والتفاعل فيما بينهم من ناحية وفيما بينهم وبين أساتذتهم من ناحية أخرى، وهذا يؤدي بالضرورة إلى رفع مستواهم التحصيلي، وتطوير مهاراتهم التعلمية، مما يدفعهم للتقدم والنجاح بعد الاختبارات وقياس مستوياتهم في نهاية كل فصل دراسي.

اولاً: الإطـار المعرفي

- **إشكالية الدراسة**

يتوقف نجاح العملية التعليمية على الأساتذة وحسن اختيارهم للطرائق التدريسية المناسبة ، التي تراعى فيها قدرات الطلاب والفروق الفردية بينهم، كما تمكّن الطلاب من أن يكونوا عناصر فاعلة في العملية التعليمية بإثارة الحوار، والمناقشة، والتواصل الفكري بين الطلاب وأساتذتهم، وذلك بعرض المحتوى الدراسي بطريقة تفاعلية تنافسية ، وبذلك تكون النتائج المرجوة من المحتوى الدراسي المخطط له قد حققت هدفها التعليمي والتربوي. ولأهمية طرائق التدريس في توصيل المعلومة بالشكل الملائم الهادف للطلاب وتكوينهم وتحفيزهم، وإكسابهم المهارات العلمية والحياتية ، فقد ارتأينا أن نتناول هذا الموضوع بالدراسة والتحليل ؛ لمعرفة أبرز الطرائق التدريسية التي يستخدمها أعضاء هيأة التدريس بجامعة الزيتونة ومدى فاعليتها على تنمية وتعزيز المهارات المختلفة لطلاب الجامعة، وتتركز إشكالية الدراسة في تساؤل عام مؤدّاه: ما مدى فاعلية استخدام طرائق التدريس التي يتبعها أساتذة جامعة الزيتونة في تعزيز المهارات الدراسية للطلاب الجامعيين؟

- **متغيرات الدراسة**

أ-المتغير المستقل: هو المتغير الذي يؤدي إلى إحداث تغير في قيم متغير آخر مرتبط به، ويتمثل في طرائق التدريس المتبعة في جامعة الزيتونة.

ب- المتغير التابع: وهو المتغير الذي يحدث تغيرات في قيمه نتيجة تأثره بتغير قيم متغير آخر مرتبط به، ويتمثل في تعزيز المهارات لطلاب جامعة الزيتونة من خلال طرائق التدريس المتبعة.

ج-المتغير الوسيط: وهو المتغير الذي يؤدي التغير في قيمه إلى إحداث تغيرات في قيم المتغير التابع، وقد يكون تأثيره غير مباشر ويؤدي إلى حدوث تغير في قيم متغير آخر أو يتزامن معه، ويتمثل في الطرائق التي يستخدمها الأستاذ الجامعي في جامعة الزيتونة، ومدى تحقيق الفوائد المرجوة منها.

- **أهمية الدراسة**

تكمن أهمية هذه الدراسة في التعرف على أبرز الطرائق التي يتبعها أعضاء هيأة التدريس بجامعة الزيتونة لعرض المحتوى الدراسي، كما تستمد أهميتها من الناحية النظرية في تسليط الضوء على أهم الأدبيات الحديثة التي تناولت بالدراسة والبحث طرائق التدريس ومهارات الطلاب الجامعيين، كما أنَّها تمثل إضافة رصيد معرفي للأساتذة الجامعيين؛ لتوجيههم لأنجع طرائق التدريس التي يمكنهم اعتمادها في عرض المحتوى الدراسي، ويمكن تقسيم أهمية البحث على النحو الآتي:

أ- أهمية نظرية أكاديمية: تعدُّ هذه الدراسة من الدراسات الرائدة التي تهتم بطرائق التدريس وفاعليتها في تعزيز مهارات الطلاب بجامعة الزيتونة، كما أنَّها تفتح المجال لدراسات أخرى متخصصة كونها دراسة تقويمية لواقع العملية التعليمية وطرائق التدريس المتبعة في جامعة الزيتونة، بغية حصرها والوقوف على الشائع منها، وأكثرها إيفاءً في الرفع من مهارات الطلاب التدريسية، ومعالجة جوانب القصور وتلافيها.

ب- أهمية تطبيقية مجتمعية: تُسهم هذه الدراسة في اختيار طرائق التدريس الأكثر فاعلية، والأكثر اتباعاً بجامعة الزيتونة، ومدى فاعليتها في تعزيز مهارات الطلاب. أيضاً تكمن أهميتها المجتمعية في إثراء المكتبة العربية عامةً، والمكتبة الليبية خاصةً، وتزويد قواعد البيانات بجامعة الزيتونة بنتائج جديدة وقيِّمة، كما أنَّها تُسهم في رسم سياسات تعليمية للمهتمين بالمناهج التعليمية الجامعية والعملية التربوية؛ لتطوير هذه الطرائق حتى تكون أكثر فاعلية في تعزيز المهارات الدراسية والحياتية لطلاب الجامعة.

- **دوافع اختيار موضوع الدراسة**

ملاحظة تدني مستوى الطلاب في التفاعل والمشاركة وقلة الدافعية لديهم، إلى جانب ضعف المهارات التعليمية والحياتية لدى الطلاب الجامعيين في أكثر المواقف التعليمية والاجتماعية؛ لذا بات من الضروري البحث في طرائق التعليم التي استخدمها أعضاء هيأة التدريس بالجامعات الليبية للارتقاء بمستوى الأداء التربوي والتعليمي لتحقيق الأهداف المرجوة منه.

- **أهداف الدراسة**

تسعى الدراسة إلى تحقيق الأهداف الآتية:

أ- التوصل إلى معرفة طرائق التدريس المتبعة في جامعة الزيتونة.

ب- الوقوف على طرائق التدريس الأكثر استخداماً بين أعضاء هيأة التدريس بجامعة الزيتونة.

ج- التعرف على دوافع استخدام أعضاء هيأة التدريس لهذه الطرائق.

د- الكشف على النتائج المترتبة عن استخدام أعضاء هيأة التدريس بجامعة الزيتونة لهذه الطرائق ومدى فاعليتها في تعزيز المهارات الدراسية لطلاب الجامعة.

- **تساؤلات الدراسة**

تتمحور التساؤلات في هذه الدراسة فيما يأتي:

1. ماهي الطرائق التي يتبعها أعضاء هيأة التدريس بجامعة الزيتونة؟
2. ما دوافع اتباع أعضاء هيأة التدريس لهذه الطرائق؟
3. ماهي الطرائق الأكثر استخداماً من قبل أعضاء هيأة التدريس بجامعة الزيتونة؟
4. هل لطرائق التدريس أثر في تنمية مهارات الطلاب الدراسية بالجامعة؟

5. ما فاعلية الاستراتيجيات والنتائج المترتبة على اتباع هذه الطرائق؟

- **الحدود الموضوعية:**

تكمن الحدود الموضوعية للدراسة في معرفة أنواع طرائق التدريس التي يستخدمها أساتذة جامعة الزيتونة، ومدى فاعليتها في تعزيز المهارات الدراسية.

- **المفاهيم والمصطلحات العلمية المستخدمة في الدراسة:**

مفهوم طرائق التدريس:

طريقة التدريس هي:" مجموعة من الأنظمة والترتيبات والقواعد التي تستند إلى العقل، والمتوازية هدفها تقديم المعلومات والمهارات، وجوانب التعلم المختلفة لعديد من استراتيجيات التدريس، مراعية في ذلك طبيعة المتعلم، والمادة الدراسية، وموضوع الدرس وأهدافه، وبيئة التعلم السائدة بالمؤسسة"(زيتون،2003، ص310) .

كما عُرِّفت بأنَّها مجموعة الخطوات التي يسير فيها عضو هيأة التدريس داخل القاعة الدراسية ابتداء، ومساراً، و انتهاء في تفاعل لفظي بينه وبين طلابه(يُنظر: عصر،2000، ص109)

وتعرف طرائق التدريس إجرائياً: بأنَّها مجموعة من الخبرات والسلوكيات التي يتمُّ اتباعها لتحقيق الأهداف المرجوة ، والمخطط لها مسبقاً من نقل المحتوى الدراسي للمتعلم ، وتنمية مهاراته بما يتناسب مع مستواه واتجاهاته.

مفهوم التعزيز:

يُعرِّفه(العموش،2021، ص360) بأنَّه السياسات التي يتَّبعها عضو هيأة التدريس الجامعي؛ للارتقاء بجودة تكوين الطالب، وتمكينه من اكتساب المهارات الحياتية، والتقنية ، والأكاديمية الصلبة، التي ترتبط بالمعرفة، والخبرة، والقدرة على تنفيذ المهمات المحددة في الوصف الوظيفي وفق التخصص".

ويُعرَّف مفهوم التعزيز إجرائياً بأنَّه: مجموع السلوكيات التي يقوم من خلالها الأساتذة داخل قاعة الدرس بإثارة دافعية المتعلم نحو الأنشطة التعليمية؛ لزيادة اكتساب المهارات العلمية والحياتية.

مفهوم المهارة الدراسية:

ونعني بها" القدرة على أداء عمل بنشاط معين ذي علاقة بتخطيط التدريس، وتنفيذه، وتقويمه، وهذا العمل قابل للتحليل لمجموعة من السلوكيات (الأداءات) المعرفية ،أو الحركية، أو الاجتماعية "(زيتون،2001، ص12)،

وتُعرّف المهارة الدراسية إجرائياً بأنَّها: مدى قدرة الطالب الجامعي على الحوار، والتفاعل، والنقاش، والمشاركة، والتطوير، وتمكنه من المحتوى الدراسي، وإمكانية أدائه بأساليب مبتكرة متعددة.

ثانياً: الإطـار النظري للدراسة

- **الدراسات السابقة:**

المحور الأول :دراسات تتعلق بطرائق التدريس:

1ـــــ **دراسة الباحثين عزيز، والمهدي (2012) بعنوان: طرائق التدريس الشائعة لدى أعضاء هيأة التدريس في جامعة ديالي**، وهدفت هذه الدراسة إلى معرفة طرائق التدريس الشائعة التي يستخدمها أعضاء هيأة التدريس بجامعة ديالي، ومبررات اختيارهم لتلك الطرائق في عرض المواد العلمية؛ ولتحقيق أهداف البحث اتبع الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، حيث قاما باختيار عينة البحث من أعضاء هيأة التدريس ليمثلوا نسبة 10%، واعتمد الباحثان في جمع البيانات والمعلومات على أداة الاستبيان وقد خلصت الدراسة إلى جملة من النتائج، من أهمها: ـــــ أظهرت النتائج تعدد طرائق التدريس بجامعة ديالي كما أوضحت بأن طريقة المحاضرة هي الأكثر شيوعا بسبب ضعف التقنيات والوسائل التعليمية المتاحة فضلا عن تزاحم القاعات الدراسية بالطلبة مما يضطر عضو هيأة التدريس إلى الاعتماد على هذه الطريقة بشكل أكبرـــــ وقد أوصى الباحثان بإجراء دراسات مماثلة للتعرف على أساليب وطرائق تدريسية شائعة لدى أعضاء هيأة التدريس في الجامعات المختلفة، والمقارنة بين الاختصاصات العلمية و الأدبية في استعمال هذه الطرائق.

2ـــــ **دراسة الباحثين دخيخ، وحسانين، والمصري (2017) بعنوان: أساليب التدريس الجامعي لدى أعضاء هيأة التدريس بالجامعات)**، وهدفت الدراسة إلى تحديد أساليب التدريس الجامعي التي يمكن اتباعها داخل قاعات الدراسة وفقاً للتخصصات، والتعرف على أنسب الأساليب المتبعة في المرحلة الجامعية من وجهة نظر أعضاء هيأة التدريس بجامعة الباحة، واستخدم الباحثون المنهج الوصفي التحليلي، وبلغ حجم العينة من مجتمع الدراسة 787 عضو هيأة تدريس تم اختيارهم بالطريقة العمدية القصدية، وقد وزع الباحثون استبانة لجمع أساليب التدريس الجامعي المتبعة من قبل المبحوثين على مختلف تخصصاتهم، و توصلت الدراسة إلى جملة من النتائج أهمها: اتفاق جميع أعضاء هيأة التدريس على أن أفضل وأنسب الطرائق طريقة الحوار والمناقشة، والتعلم التعاوني، والاستقصاء، والعروض العلمية، وبناءً على النتائج أوصى الباحثون بوضع برنامج تدريبي لتطبيق أساليب التدريس المناسبة لأعضاء هيأة التدريس بكليات الجامعة على مختلف التخصصات.

3ـــــ **دراسة الباحث إسليم، (2019)، بعنوان: طرق التدريس وأساليبه الشائعة لدى أعضاء هيئة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود ومبررات استخدامهم لها**، وهدفت الدراسة إلى التعرف على طرائق التدريس وأساليبه الشائعة لدى أعضاء هيأة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية

بجامعة الملك سعود ومبررات استخدامهم لها، اعتمد الباحث المنهج الوصفي التحليلي، وقد طبق الباحث استبانتين على عينة بلغت 161 مبحوثا من أعضاء هيأة التدريس بقسم الدراسات الاسلامية، وقد أشارت أهم النتائج إلى أن أكثر الطرائق التدريسية شيوعا هي(المحاضرة، والحوار والمناقشة، وتحليل النصوص) وأقلها استخداما(التمثيل، التعلم الفردي، التعلم الذاتي) وقد قدم المبحوثون جملة من المبررات لاستخدام تلك الطرائق كان أبرزها : ضيق الوقت المحدد، وكثرة أعداد الطلاب، كما اقترح الباحث جملة من التوصيات كان من أبرزها: ضرورة الارتقاء بمستوى الأداء المهني التربوي لأعضاء هيأة التدريس ببرامج تدريبية مواكبة لمتطلبات ومعايير القرن الواحد والعشرين.

المحور الثاني : دراسات تتعلق بتعزيز المهارات الدراسية:

1ــ دراسة الباحث مهدي،(2018) بعنوان: فاعلية استراتيجية التعلم الذكي تعتمد على التعلم بالمشروع وخدمات جوجل في اكساب الطلبة المعلمين بجامعة الأقصى بعض مهارات القرن الواحد والعشرين.

وقد هدفت الدراسة إلى التعرف على استراتيجية التعلم الذكي والكشف عن فاعليتها في تعزيز مهارات طلاب جامعة الأقصى، وقد حدد الباحث مهارات القرن الواحد والعشرين كمتطلب ينتج عن استخدام استراتيجية التعلم الذكي، وتحقيقا لأهداف الدراسة استخدم الباحث المنهج الوصفي والمنهج التجريبي في الدراسة التي قامت على عينة من طلاب جامعة الأقصى بلغت 45 طالبا وطالبة تم اختيارهم قصديا، وقد توصلت الدراسة إلى وجود أثر فاعل للاستراتيجية المقترحة في التعليم الذكي القائمة على التكامل بين التعليم بالمشروع وخدمات جوجل مما خلق بيئة ذات طابع إبداعي داخل الصفوف الدراسية.

2 ــ دراسة الشافعي، والزهراني(2019) بعنوان: مستوى الممارسات التدريسية الداعمة لمهارات الجدل العلمي داخل صفوف علوم المرحلة المتوسطة من وجهة نظر معلمات المرحلة المتوسطة في المنطقة الشرقية.

هدفت الدراسة إلى الكشف عن الممارسات التدريسية التي تدعم المهارات الدراسية المتعددة التي تدعم قدرات الطالبات في الجدل العلمي وتقديم الادعاء وتقديم الدليل والتبرير في صفوف علوم المرحلة المتوسطة من وجهة نظر معلمات المادة، وقد اتبعت الباحثتان المنهج الوصفي، وصممتا استبانة كأداة للدراسة وجهت إلى عينة بلغت 43 معلمة تم اختيارهن بشكل عشوائي، وخلصت الدراسة إلى: أن مستوى الممارسات التدريسية كان متوسطا في دعم المهارات الدراسية التي شملتها الدراسة ، وقدمت الباحثتان عدداً من التوصيات أهمها: ضرورة إقامة مراكز تدريبية لرفع مستويات الجودة في الممارسات التدريسية الداعمة للمهارات الدراسية.

3 ــ دراسة المطيري، والربعي (2022) مستوى الممارسات التدريسية الداعمة لمهارات القرن الحادي والعشرين لدى معلمي اللغة العربية.

هدفت الدراسة إلى تحديد مستوى الممارسات التدريسية الداعمة لمهارات القرن الحادي والعشرين لدى معلمي اللغة العربية، وقد تكون مجتمع الدراسة من معلمي اللغة العربية للفصل الدراسي الثاني من العام الدراسي 2022م على عينة بلغ عددهم 25 معلماً تم اختيارهم بالطريقة العشوائية البسيطة، واعتمد الباحثان المنهج الوصفي التحليلي، واستخدما بطاقة الملاحظة كأداة لرصد الممارسات التدريسية وفق معايير القرن الحادي والعشرين، وتوصلت الدراسة إلى نتائج من أهمها: أن درجة الممارسات التدريسية لمعلمي اللغة العربية الداعمة للعديد من المهارات كانت بشكل عام متوسطة وتميل إلى الضعيفة، وقد أوصى الباحثان في ضوء النتائج المرصودة بضرورة وجود معايير يتم الاسترشاد بها في تصميم الدروس يساعد على تطوير المهارات واكساب الطلاب ثقافة مهارات القرن الحادي والعشرين؛ وذلك بإعداد خطة شاملة في الميدان التربوي لتأهيل الأجيال للحياة.

- **موقع الدراسة الحالية على خريطة الدراسات السابقة:**

يمثل وضع الدراسة الحالية على خريطة الدراسات السابقة أهمية حيث توضح الاستفادة من الدراسات السابقة من خلال تقييمها بالإضافة إلى تحديد ما تضيفه الدراسة الحالية إلى الدراسات السابقة وموقعها من هذه الدراسات (الطرشاني،2010).

- **التعقيب على الدراسات السابقة:**
- **تقييم الدراسات السابقة على مستوى القضايا:**

تناولت دراسات المحور الأول أهم طرائق التدريس المتبعة في مؤسسات التعليم العالي من قبل أعضاء هيأة التدريس على مختلف تخصصاتهم ومبررات اختيارهم لهذه الطرائق، كما أوضحت أنسب الطرائق التي تتوافق والمحتوى الدراسي وقدرات الطلاب المختلفة .

أما دراسات المحور الثاني فقد اهتمت بالكشف عن دور طرائق التدريس وأساليبه المختلفة في تعزيز المهارات الدراسية المختلفة لدى الطلاب وتحديد مستوى الأساليب التدريسية في دعم المهارات المتعددة في ضوء متطلبات جودة التعليم في القرن الواحد والعشرين.

- **تقييم الدراسات السابقة على مستوى المناهج:**

استخدمت الدراسات السابقة المنهج الوصفي التحليلي القائم على جمع البيانات والحقائق وتصنيفها ومعالجتها وتحليلها لاستخلاص نتائج الظاهرة محل الدراسة، كذلك اعتمدت دراسة أخرى المنهج التجريبي في تطوير المنظومة التكنولوجية التعليمية وبناء مقاييس مهارات القرن الواحد والعشرين.

أما أدوات الدراسة فقد اعتمدت الدراسات استمارة الاستبيان لجمع البيانات من المبحوثين كذلك بطاقة الملاحظة لرصد الممارسات التدريسية وفق معايير القرن الواحد والعشرين.

- **تقييم الدراسات السابقة فيما يتعلق بالنتائج:**

أما دراسات المحور الأول فقد أكدت النتائج شيوع بعض الطرائق كطريقة المحاضرة والحوار والمناقشة مع اتفاق بعض أعضاء هيأة التدريس على أن أفضل الطرائق وأنسبها لأداء المحتوى الدراسي طريقة الحوار والمناقشة والاستقصاء والعروض العلمية والتعلم التعاوني، في حين توصلت دراسات المحور الثاني إلى أن بعض الممارسات التدريسية الداعمة لمهارات القرن الواحد والعشرين كانت متوسطة إلى ضعيفة بينما توصلت إحدى الدراسات إلى وجود أثر فاعل للممارسات التدريسية القائمة على التكامل بين التعليم بالمشروع والتقنيات الحديثة مما أدى إلى رفع مستوى التحصيل الدراسي لديهم بالإضافة إلى تطوير مهاراتهم المختلفة.

- **ما تضيفه الدراسة الحالية إلى الدراسات السابقة:**

1- من حيث موضوع الدراسة:

يختلف موضوع الدراسة الحالية عن الدراسات السابقة في كونه يتناول مدى فاعلية طرائق التدريس في تعزيز مهارات طلاب جامعة الزيتونة من وجهة نظر أعضاء هيأة التدريس، بينما ركزت الدراسات السابقة على أنسب الطرائق المتبعة وأكثرها شيوعاً في المرحلة الجامعية مع ذكر مبررات الاختيار لهذه الطرائق، كذلك ركزت على الكشف عن فاعلية ممارسات تدريسية واستراتيجيات معينة في تعزيز مهارات الطلاب دون غيرها من الأساليب التدريسية.

2- من حيث السياق الاجتماعي:

اختلفت الدراسة الحالية في سياقها الاجتماعي عن الدراسات السابقة إذ لم توجد دراسة تناولت طرائق التدريس بجامعة الزيتونة ومدى فاعليتها في تعزيز مهارات الطلاب من وجهة نظر أعضاء هيأة التدريس.

3- من حيث المدخل النظري:

اختلفت الدراسة الحالية من حيث المدخل النظري عن الدراسات السابقة في كونها قدمت مدخلا يحاول عرض تصنيفات طرائق التدريس وخصائصها ومعايير اختيارها والعوامل المؤثرة فيها والمهارات الدراسية والنظريات المفسرة للظاهرة معتمدة على الأدبيات المنشورة.

4- من حيث منهجية البحث:

قامت هذه الدراسة على منهج المسح الاجتماعي عن طريق العينة الطبقية النسبية ويستخدم هذا المنهج في دراسة أراء الناس واتجاهاتهم ودوافع سلوكهم ويتخذ من الأفراد وحدات للتحليل (الطرشاني،2010، 145) ، كما اقتضت طبيعة الدراسة استخدام المنهج الوصفي التحليلي لملائمة طبيعة الدراسة وللتوصل إلى مدى فاعلية طرائق التدريس في تعزيز المهارات الدراسية.

- **ما يُميّز هذه الدراسة عن الدراسات السابقة**

– تُعنى هذه الدراسة بالتعرف على طرائق التدريس المتبعة من قبل أعضاء هيأة التدريس بجامعة الزيتونة.

– تقف هذه الدراسة على المهارات التي يكتسبها طلاب جامعة الزيتونة من خلال طرائق التدريس المتبعة بالجامعة.

– تركز الدراسة على العلاقة بين المهارات وطرائق التدريس المتبعة بجامعة الزيتونة.

– تهتم هذه الدراسة بمعرفة أثر المهارات الدراسية على التحصيل الدراسي.

- **طرائق التدريس الجامعي:**

1- أهمية طرائق التدريس الحديثة

تكمن أهمية طرائق التدريس في كونها جزءاً متكاملاً من الموقف التعليمي، الذي يشمل الأساتذة والطلاب والمحتوى الدراسي، فهي تحقق للطلاب المشاركة الفاعلة، وتنقل لهم الخبرات والاستراتيجيات، وتعزز المهارات المتعددة، وتُسهم في جعل الطالب محوراً رئيسياً في العملية التعليمية بعد استحداثها، وجعلها مواكبة لتطورات القرن الواحد والعشرين.

أمَّا بالنسبة للأساتذة فهي المساعدة على التخطيط لعرض المحتوى الدراسي، وتجهيز الوسائل التعليمية الملائمة، وتنظيم العملية التعليمية وفق خطوات محددة تحقق التفاعل الإيجابي مع الطلاب، وتشجع على الابتكار والإبداع ، ويمكن حصر أهمية طرائق التدريس في الآتي:

* تجعل عضو هيأة التدريس يحقق أهداف المواد الدراسية بشكل جلي وتسلسل منطقي؛ وذلك بتوفير الوقت والجهد.

* تسهم في تسهيل متابعة المادة الدراسية بشكل متدرج ودائم، كما تتيح للطلاب فرصة الانتقال المنظم من فقرة إلى أخرى، ومن موقف إلى أخر، في صورة من أرقى صور التواصل العلمي بينهم وبين أساتذتهم.

* ملاءمة الطريقة للمادة الدراسية ومدى التناسب بينهما يزود الطلاب بمعارف جديدة، ومهارات دراسية متنوعة، كما تعمل الطريقة على تنمية شخصية الطلاب تنمية شاملة تتناسب والمرحلة الجامعية.

* تجعل الوصول إلى أهداف المادة المراد دراستها سلساً من خلال إكسابهم القدرة على استغلال محتوى المادة بما يتوافق والطريقة المختارة في تدريسها (يُنظر: عبدالعال 2002، ص27).

* تُسهم طرائق التدريس في نقل محتوى المادة الدراسية إلى الطلاب، وذلك بمخاطبة حواسهم وتوضيح المفاهيم، وتثبيت المعلومات، وتقريب الخبرات التعليمية من الواقع.

1- **تصنيفات طرائق التدريس :**

من أهم التصنيفات التي قررها الباحثون والمختصون في طرائق التدريس جاءت على النحو التالي:

- التصنيف الذي يعتمد المحور الذي تدور حوله الطريقة.
- التصنيف وفق أنواع النشاط.
- التصنيف الذي يعتمد نوع التنفيذ.
- التصنيف الذي يعتمد الاهتمام بنشاط المتعلم.
- التصنيف بحسب المتعلمين.

2- **معايير اختيار طريقة التدريس الناجحة**

هناك مجموعة من المعايير والمقومات التي يجب أنْ تُراعى في اختيار الطريقة المناسبة للموقف التدريسي حتى يحقق الهدف المخطط له، ونذكر منها: (يُنظر: قطامي وآخرون، 2008، ص 181) اعتماد الطريقة على علم النفس؛ لاهتمامه بالسلوك البشري، وأنْ توافق المحتوى الدراسي، سواء أكان في تدريس مهارات، أم معارف، أو موجه نحو القيم، وأنْ تناسب الزمان والمكان؛ لأنّهما عاملان من عوامل الموقف التدريسي، وأنْ يكون التعليم النظري مصاحباً التطبيق والممارسة، وأنْ تُحفز الطلاب على التفكير الحر والرأي المستقل ، مع مراعاة الطريقة للأهداف التربوية، بأن تكون ترجمة للمناهج في السلوك والعادات، وأنْ تنّمي الاتجاهات الإيجابية، والدافعية نحو العمل الجماعي والتعلم، وأنْ تأخذ في الاعتبار مراعاة الفروق الفردية بين الطلاب، كذلك علاقة الطالب بالمادة الدراسية (يُنظر: زيتون،2003، ص335)، وأنْ تتصف بالمرونة والتنوع ، بحيث يكون موقف الطلاب إيجابياً من خلال المناقشة وحل المشكلات، وتكييفها مع الموقف التعليمي، كذلك توفير أوقات منظمة للعمل، بحيث يشعر الطلاب فيها بالتفوق والانتماء للجماعة، كما يجب مراعاة الترتيب المنطقي في عرض المادة الدراسية , وأنْ تستند إلى نظريات التعلم، والاستفادة من قوانينها(يُنظر:المرجع نفسه، ص311، وتوفيق، د.ت، ص10) وأنْ تناسب قدرات عضو هيأة التدريس، وإمكاناته العلمية وتخصصه، واهتماماته (يُنظر: زيتون،2003، ص335).

- **العوامل المؤثرة في اختيار طرائق التدريس:**

ثمت عدة عوامل تحتم على أعضاء هيأة التدريس اختيار الطريقة المناسبة، التي يُقدَّمون بها المحتوى الدراسي، ومن أهمها:(يُنظر: عطية،65،2006-66) الفلسفة التربوية التي يتأسس عليها المنهج، والأهداف التعليمية التي تسعى الطرائق إلى تحقيقها، والمنهج والمدة الزمنية للإيفاء بإنجازه في الوقت المحدد، ونوع المادة الدراسية، وطبيعة المتعلمين و خلفياتهم المعرفية والمهارية، ومستوى تأهيل الأساتذة لاستخدام الطرائق المختلفة ، وطبيعة المؤسسة التعليمية وبيئتها، وتوافر التقنيات والوسائل المُعينة ومستلزمات استخدامها، وأساليب التقويم المستخدمة والمعمول بها، وأعداد الطلبة في الغرفة الصفية، والعبء التدريسي، فكلما زادت ساعات التدريس للأستاذ خلال اليوم الدراسي يلجأ إلى طرائق أقل جهداً ووقتاً، كذلك دافعية الأساتذة ورغبتهم في التدريس.

3- المهارات الدراسية لطلاب الجامعة

أ- أهمية تعلم المهارات الدراسية:

نظراً لأهمية المهارات الدراسية في حياة الطلاب الجامعيين، لوحظ تزايد الاهتمام بها "منذ الثمانينيات من القرن العشرين مع ظهور العديد من المفاهيم حول هذا الموضوع في الدراسات والأطر النظرية، منها: تعلم كيفية التعلمLearning how to learn، والتدريب على المهارات العقلية Mental Skils Training، كما دُرست تحت اسم عادات الاستذكارStudy Habits، واستراتيجيات التعلم والاستذكارLernnig and study strategies" (النصار،2005، ص2) إذ أنَّ الاستثمار في تنمية المهارات سيجعل انخراط الطلاب في الحياة الجامعية أمراً يسيراً، وهناك جملة من المهارات التي ينبغي أن يكتسبها الطالب أبَّان تنفيذ الخطة الزمنية ؛ لتنفيذ جلسات مقرر الدراسة: (يُنظر: المرجع نفسه، ص4) منها: مهارات التكيف مع الحياة الجامعية، و مهارة إدارة الوقت، و مهارة التركيز والذاكرة، ومهارة معينات الدراسة، وتدوين الملاحظات، ومهارة حل المشكلات ، واتخاذ القرارات، ومهارة تحديد الأهداف الحياتية، ومهارات أدوات التعلم الفعَّال، ومهارات فنيات كتابة البحث العلمي (أدواته، ومجالات البحث عن المعلومات) ومهارات فرق العمل التطوعي(المشاركة المجتمعية) ومهارات أنماط التفكير(الناقد، والإبداعي، والعلمي) و مهارات العرض والتقديم، ومهارات التفوق في الاختبارات.

ب- المهارات الدراسية وعلاقتها بطرائق التدريس :

لعل نضج الطالب فكرياً، وامتلاكه لأهم مهارات سوق العمل، كمهارات التواصل الفعَّال، ومهارات التأمل، والتقييم الذاتي بواقعية، وتبني القيم، والمهارات القيادية، وتطوير العلاقات الشخصية كالاستقلال، والتعاون، والمسؤولية الاجتماعية، والمرونة، وتقبل الآخـــر، جميعها من أهم مخرجات

التعلم للطالب الجامعي(يُنظر:المخلفي،2021، ص6) ومن هذا المنطلق ينبغي الاهتمام بطرائق التدريس فهي من الأمور التي تؤخذ بعين الاعتبار في أساس العملية التعليمية لما لها من أثر بالغ في رفع مستوى التحصيل الدراسي لدى الطلاب"(الشراري،2014، ص5)؛ لذا ينبغي على الأستاذ الجامعي إجادة اختيار طريقة التدريس المناسبة، والتي تحقق الهدف الذي يسعى إليه وينوي بثه في نفس المتعلم غير المعلومة، إذ أنَّ" الطريقة هي وسيلة أيضاً لإكساب مهارة ما "(المخلفي،2021، ص5) وعلى كليات التربية والتي تهدف "لإعداد معلم المستقبل استخدام طرائق وأساليب تدريس جديدة، وفاعلة تعزز الفهم، وتُسهم في تنمية مهارات التفكير، وزيادة فهم المعرفة الأكاديمية"(المرجع نفسه،ص6)

ج- المهارات الدراسية و أثرها في التحصيل الدراسي:

أثبتت بعض الدراسات- فيما اطلع الباحثون- أنَّ مهارات الدراسة تتصل "بشكل وثيق بالتحصيل الدراسي، إذ أنَّ حصول بعض الطلبة على درجات منخفضة يرجع إلى افتقارهم لمهارات الدراسة السليمة كالقراءة ، وأخذ الملاحظات، والاستعداد للامتحانات وغيرها، في حين يتصف الطلبة الذين يطورون مهاراتهم الدراسية بالنجاح الأكاديمي "(الشراري،2014، ص).

ويتفق الباحثون" على أنَّ الاهتمام بالمهارات الدراسية الجيِّدة يُعدُّ مدخلا مهماً لتحسين مستوى التحصيل الدراسي للطلاب؛ فقد أشارت نتائج العديد من الدراسات إلى أهمية مهارات الدراسة الجيِّدة في مقاومة مشكلة النسيان ، والمحافظة على المعلومات في الذاكرة لأكبر وقت ممكن، والشعور بالرضا النفسي" (المرجع نفسه،ص10)، ويمكننا الربط بين المهارات الدراسية والتحصيل الدراسي في هذه الدراسة من خلال الإجابة عن التساؤلين التاليين:

- ما مهارات الدراسة المستخدمة لدى الطلاب بجامعة الزيتونة، وما أثرها على التحصيل الدراسي؟
- ما مستوى التحصيل الدراسي لدى الطلاب بجامعة الزيتونة؟

ثالثاً: الإجراءات المنهجية للدراسة الميدانية

- **مجتمع الدراسة:**

ويتمثل في عينة من أعضاء هيأة التدريس بجامعة الزيتونة، على اختلاف درجاتهم العلمية، من محاضر مساعد إلى أستاذ، ذكوراً وإناثاً.

- **نوع الدراسة:**

تعدُّ هذه الدراسة من الدراسات الوصفية التحليلية، التي تعتمد على الرصد والتحليل للطرائق التي يتبعها أعضاء هيأة التدريس بجامعة الزيتونة .

- **منهج الدراسة:**

استخدم الباحثون منهج المسح الاجتماعي بالعينة، وغالباً ما يستخدم منهج المسح لتحقيق أغراض متعددة منها: دراسة آراء الناس، واتجاهاتهم، ودوافعهم، وسلوكهم في حالة دراسة الرأي العام، ودراسة أوجه النشاط المختلفة لأفراد الجماعة مثل: قضاء أوقات الفراغ، وأنواع الجرائد، والمجلات التي يقرؤنها، والبرامج، والمواد التي يشاهدونها." حيث يستخدم هذا المنهج فى الدراسات الوصفية ويتخذ من الأفراد وحدات للتحليل.(الطرشاني، 2010، ص 145)

كما اقتضت طبيعة الدراسة استخدام المنهج الوصفي التحليلي؛ لتلاؤمه مع طبيعة موضوع الدراسة، فهو "المنهج الذي يدرس ظاهرة، أو حدثاً، أو قضية موجودة حالياً، يمكن الحصول منها على معلومات تجيب عن أسئلة البحث دون تدخل الباحث فيها"(الآغا، والأستاذ،2000، ص83)، أما المنهج التحليلي فهو" أسلوب يستخدم أساليب أخرى؛ لتقويم المناهج من أجل تطويرها، وهو يعتمد على تحديد أهداف التحليل، ووحدة التحليل للتوصل إلى مدى شيوع ظاهرة أو أحد المفاهيم أو فكرة أوأكثر، وبالتالي تكون نتائج هذه العملية إلى جانب ما يتمُّ الحصول عليه من نتائج من خلال أساليب أخرى مؤشرات تحدد اتجاه التطوير فيما بعد"(اللقاني، والجمل،2003، ص86). فهما وسيلة من وسائل تحليل وتفسير الظواهر الاجتماعية من أجل الوصول إلى حقائق علمية ثابتة.

- **عينة الدراسة:**

كثيراً ما يطمح المتخصصون في العلوم الاجتماعية وغيرها من العلوم التطبيقية إلى القيام بدراسات شاملة لكل مفردة من مفردات مجتمع البحث أو الدراسة من أجل الوصول إلى نتائج دقيقة غير أنَّ ذلك لا يتيسر دائماً للباحثين؛ لما تتطلبه عملية الحصر الشامل من وقت وجهد وتكلفة (عبيدات، ب-ت، ص131) والعينة التي تتناسب وطبيعة هدة الدراسة هي العينة الطبقية النسبية، وبما أنَّ تحديد حجم العينة يختلف من دراسة إلى أخرى؛ وذلك لأنَّه لا توجد قواعد معينة لكيفية الحصول على عينة كافية، وللتقليل من أخطاء الصدفة إلى أقصى حدٍّ ممكن توجد **هناك عدة عوامل تحدد حجم العينة منها:** طبيعة المجتمع المدروس، أسلوب الدراسة، موضوع الدراسة، الوقت والجهد والتكلفة اللازمة لاختيار العينة، مدى الدقة المطلوبة في النتائج، ومدى توافر معلومات عن أفراد مجتمع الدراسة ، ومدى توافر إطار لسحب العينة، ومدى الثقة التي يريد الباحث الالتزام بها، ودرجة تجانس وحدات مجتمع الدراسة. (حجاب، 2002م، ص113). وبما أنه هناك قاعدة إحصائية مفادها "أنه كلما زاد حجم العينة قل الخطأ في العينة" (Hoinville, Gerald & Jowell, Roger., 1977, P.75)

جدول رقم (1) يوضح كيفية استخراج حجم العينة من إحصائية أعضاء هيئة التدريس بجامعة الزيتونة من كل كلية وحسب النوع

ر.م	الكلية	أعضاء هيئة التدريس	الذكور	إناث	حجم العينة كل كلية	حجم عينة الذكور	حجم عينة الإناث
1	الاقتصاد والعلوم السياسية	103	91	12	= 1109 ÷ 111 × 103	= 103 ÷ 10 × 91	= 103 ÷ 10 × 12
2	التربية ترهونة	258	157	101	= 1109 ÷ 111 × 258	= 258 ÷ 26 × 157	= 258 ÷ 26 × 101
3	القانون	102	79	23	= 1109 ÷ 111 × 102	= 102 ÷ 10 × 79	= 102 ÷ 10 × 23
4	العلوم	121	75	46	= 1109 ÷ 111 × 121	= 121 ÷ 12 × 75	= 121 ÷ 12 × 46
5	الطب	10	9	1	1 = 1109 ÷ 111 × 10	0.9 = 10 ÷ 1 × 9	0.1 = 10 ÷ 1 × 1
6	الشريعة	12	11	1	2 = 1109 ÷ 111 × 12	0.9 = 12 ÷ 1 × 11	0.08 = 12 ÷ 1 × 1
7	العلوم الاجتماعية	37	27	10	7 = 1109 ÷ 111 × 37	2.9 = 37 ÷ 4 × 27	1 = 37 ÷ 4 × 10
8	اللغات	49	24	25	9 = 1109 ÷ 111 × 49	2.4 = 49 ÷ 5 × 24	2.5 = 49 ÷ 5 × 25
10	الطب البيطري	15	10	5	5 = 1109 ÷ 111 × 15	1.3 = 15 ÷ 2 × 10	0.6 = 15 ÷ 2 × 5
11	الهندسة	95	91	4	5 = 1109 ÷ 111 × 95	5 = 95 ÷ 10 × 91	0.4 = 95 ÷ 10 × 4
12	التجارة	80	65	15	3 = 1109 ÷ 111 × 80	6.5 = 80 ÷ 8 × 65	1.5 = 80 ÷ 8 × 15
13	الإعلام	22	17	5	2 = 1109 ÷ 111 × 22	1.5 = 22 ÷ 2 × 17	0.4 = 22 ÷ 2 × 5
14	الزراعة	27	27	0	7 = 1109 ÷ 111 × 27	3 = 27 ÷ 3 × 27	0 = 27 ÷ 3 × 0
15	التربية البدنية	21	20	1	1 = 1109 ÷ 111 × 21	1.9 = 21 ÷ 2 × 20	0.09 = 21 ÷ 2 × 1
16	التقنية الطبية	19	16	3	9 = 1109 ÷ 111 × 19	1.6 = 19 ÷ 2 × 16	0.3 = 19 ÷ 2 × 3
17	تقنية المعلومات	14	12	2	4 = 1109 ÷ 111 × 14	0.8 = 14 ÷ 1 × 12	0.1 = 14 ÷ 1 × 2
18	الآداب	81	56	25	1 = 1109 ÷ 111 × 81	5.5 = 81 ÷ 8 × 56	2.4 = 81 ÷ 8 × 25
19	التربية القصيعة	43	33	10	3 = 1109 ÷ 111 × 43	3 = 43 ÷ 4 × 33	0.9 = 43 ÷ 4 × 10

المصدر: ادارة اعضاء هياة التدريس بالجامعة

مجالات الدراسة:

حددت مجالات الدراسة في ثلاثة مجالات تتمثل في:

المجال البشري: ويتمثل في عينة من أعضاء هيأة التدريس بجامعة الزيتونة.

المجال المكاني: ويتمثل في جامعة الزيتونة (ليبيا) بمختلف كلياتها.

المجال الزمني: ويتمثل في العام الجامعي 2022- 2023 م.

أداة جمع البيانات اللازمة للدراسة :

تمَّ تطبيق الدراسة بتوزيع استبانة على مجتمع الدراسة متمثلاً في عينة من أعضاء هيأة التدريس بجامعة الزيتونة ، ولتحقيق أهداف الدراسة حيث تم تصميم استمارة استبيان واشتملت على النوع

والتخصص والدرجة الأكاديمية والدرجة العلمية، والعمر والخبرة، إضافة إلى (5) عبارات لقياس دافعية طرق التدريس و(23) عبارة تخصُّ فاعلية طرائق التدريس في تعزيز المهارات التدريسية.

واستخدم الباحثون الترميز الرقمي في ترميز إجابات أفراد المجتمع للإجابات المتعلقة بالمقياس الثنائي حيث تم إعطاء درجة للإجابة (لا) ودرجتان للإجابة (نعم)، أما العبارات المتعلقة بالمقياس الخماسي حيث تم إعطاء درجة واحدة للإجابة (لا يفعل) ودرجتان للإجابة (نادراً) وثلاث درجات للإجابة (بعض الأحيان) وأربع درجات للإجابة (في الغالب) وخمس درجات للإجابة (دائماً)، وقد تم تحديد اتجاه الاجابة لكل عبارة من عبارات الاستبيان ولكل محور من مقارنة قيمة متوسط الاستجابة المرجح مع طول فئة المقياس الخماسي، وحسب طول فئة المقياس من خارج قسمة (4) على (5).

جدول (2) ترميز بدائل الاجابة وطول فئة تحديد اتجاه الاجابة

اتجاه الإجابة	لا أفعل	نادراً	بعض الأحيان	في الغالب	دائماً
الترميز	1	2	3	4	5
طول الفئة	1 إلى أقل من 1.8	1.8 إلى اقل من 2.6	2.6 إلى اقل من 3.4	3.4 إلى اقل من 4.2	4.2 إلى 5

- **أساليب التحليل الإحصائي ومعالجة البيانات:**

بعد الانتهاء من مرحلة جميع البيانات والمعلومات من خلال استمارة المقابلة، تمَّ معالجة البيانات إحصائياً من خلال برنامج SPSS ، وتمَّ تفريغ المعلومات ، والبيانات بصورة رقمية في هيئة جداول وتكرارات ونسب مئوية على النحو الآتي:

- حساب النسب المئوية ، وحساب الدلالة الإحصائية لهذه النسب، والمتوسط الحسابي المرجح.
- تصميم الجداول المركبة Crosstabs والتي تبين العلاقة بين المتغيرات التي تضمنتها الدراسة.
- استخدام مجموعة من الاختبارات الإحصائية مثل: معاملات ارتباطية، اختبار t_test، معامل الفا كرونباخ ، التجزئة النصفية (معامل ارتباط بيرسون).

نحتاج في بعض الأحيان إلى حساب بعض المؤشرات التي يمكن الاعتماد عليها في وصف الظاهرة من حيث القيمة التي تتوسط القيم أو تنزع إليها القيم، ومن حيث التعرف على مدى تجانس القيم التي يأخذها المتغير، وأيضا ما إذا كان هناك قيم شاذة أم لا. والاعتماد على العرض البياني وحدة لا يكفي، لذا فإننا بحاجة لعرض بعض المقاييس الإحصائية التي يمكن من خلالها التعرف على خصائص الظاهرة محل البحث، وكذلك إمكانية مقارنة ظاهرتين أو أكثر، ومن أهم هذه المقاييس مقاييس النزعة المركزية والتشتت، وقد تم استخدام الأتي :

- **التوزيعات التكرارية**: لتحديد عدد التكرارات، والنسبة المئوية للتكرار التي تتحصل عليه كل إجابة، منسوبا إلى إجمالي التكرارات، وذلك لتحديد الأهمية النسبية لكل إجابة ويعطي صورة أولية عن إجابة أفراد مجتمع الدراسة على العبارات المختلفة.
- **المتوسط الحسابي المرجح**: لتحديد اتجاه الإجابة لكل فقرة من فقرات المقياس وفق مقياس التدرج الخماسي.
- **الانحراف المعياري**: يستخدم الانحراف المعياري لقياس تشتت الإجابات ومدى انحرافها عن متوسطها الحسابي.
- **معامل الفا كرونباخ**: لضمان ثبات الإجابات والبيانات التي تم جمعها بالاستبيان في حال إعادة توزيع الاستبيان في وقت آخر.
- **التجزئة النصفية**: لضمان ثبات الإجابات والبيانات التي تم جمعها بالاستبيان في حال إعادة توزيع الاستبيان في وقت آخر.

صدق فقرات الاستبيان : وتم ذلك من خلال صدق المحكمين والذي يُعَدْ من الشروط الضرورية واللازمة لبناء الاختبارات والمقاييس والصدق يدل على مدى قياس الفقرات للظاهرة المراد قياسها، وان أفضل طريقة لقياس الصدق هو الصدق الظاهري والذي هو عرض فقرات المقياس على مجموعة من الخبراء للحكم على صلاحيتها. وقد تحقق صدق المقياس ظاهرياً من خلال عرض الفقرات على مجموعة من المحكمين المتخصصين في طرق التدريس، وقد تم الأخذ في نظر الاعتبار جميع الملاحظات التي قدمت من قبل المحكمين.

الثبـــــــــــــات:

1. معامل الفا كرونباخ

وهو الاتساق في نتائج المقياس إذ يعطي النتائج نفسها بعد تطبيقه مرتين في زمنين مختلفين على الإفراد نفسهم، وتم حساب الثبات عن طريق معامل ألفا كرونباخ، حيث إن معامل ألفا يزودنا بتقدير جيد في أغلب المواقف وتعتمد هذه الطريقة على اتساق أداء الفرد من فقرة إلى أخرى، وأن قيمة معامل ألفا للثبات تعد مقبولة إذا كانت (0.6) واقل من ذلك تكون منخفضة[1]، ولاستخراج الثبات وفق هذه الطريقة تم استخدام الاستمارات البالغ عددها (111) استمارة، وقد بلغت قيمة معامل الثبات لإجمالي الاستبيان (0.814)، وبالتالي يمكن القول أنه معامل ذو دلالة جيدة لأغراض البحث ويمكن الاعتماد عليه في تعميم النتائج.

([1])Uma Sekaran : **Research Methods For Business, A Skill - Building Approach**, Fourth Edition, Southern Illinois University at Carboundale, 2003, p311

جدول (3) معامل الفا كرونباخ للثبات

إجمالي الاستبيان	معامل الفا
	0.814

2. التجزئة النصفية

تقوم فكرة التجزئة النصفية على أساس قسمة فقرات المقياس إلى نصفين متجانسين ولغرض حساب الثبات وفق هذه الطريقة، تم استخدام استمارات الدراسة الاستطلاعية والبالغ عددها (111) استمارة، وتم تقسيم فقرات كل محور إلى نصفين يضم الأول العبارات الزوجية ويضم الثاني العبارات الفردية ، وتم استخراج معامل ارتباط بيرسون بين درجات النصفين لجميع المحاور فكانت قيم معامل الارتباط جميعها دالة إحصائياً حيث كانت قيم الدلالة الإحصائية جميعها أقل من 0.05. كما تم استخدام معادلة سبيرمان براون التصحيحية [2] في حساب الثبات وهي :

$$R=\frac{2r}{1+r}$$

وقد كانت قيم معامل الثبات بطريقة التجزئة النصفية جميعها أكبر من (0.6)، وبالتالي يمكن القول أنها معاملات ذات دلالة جيدة لأغراض البحث ويمكن الاعتماد عليها في اعتماد تصميم أداة الدراسة.

حيث إن R معامل سبيرمان براون ، r معامل ارتباط بيرسون ويحسب من العلاقة

$$r=\frac{n\sum xy-\sum x\sum y}{\sqrt{(n\sum x^2-(\sum x)^2)(n\sum y^2-(\sum y)^2)}}$$

x , y تمثل قيم الظاهرتين [3]

جدول (4) الثبات بطريقة التجزئة النصفية لكل محور ولإجمالي الاستبانة

	معامل الارتباط بين الفقرات الفردية والزوجية	معامل الثبات (سبيرمان براون التصحيحية)
إجمالي الاستبيان	0.623	0.768

وبلغت قيمة معامل سبيرمان براون لإجمالي لإجمالي الاستبيان بهذه الطريقة (0.768)، لذا يمكن القول أنه معامل ذو دلالة جيدة لأغراض البحث ويمكن الاعتماد عليه في تعميم النتائج.

(1) محمد عبد العال النعيمي وآخرون: **طرق ومناهج البحث العلمي**، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا ، دار الوراق للنشر والتوزيع، 2009م، ص175.
3 المرجع السابق : ص173

- عرض وتحليل البيانات المتعلقة بمتغيرات الدراسة:

الوصف الإحصائي لعينة الدراسة وفق الخصائص والسمات الشخصية

جدول (5) توزيع المستهدفين حسب البيانات الشخصية

الجنس		ذكر			أنثى	المجموع
	العدد	83			28	111
	النسبة%	74.8			25.2	%100
التخصص		علوم انسانية			علوم تطبيقية	المجموع
	العدد	75			36	111
	النسبة%	67.6			32.4	%100
الدرجة الاكاديمية		ماجستير			دكتوراه	المجموع
	العدد	63			48	111
	النسبة%	56.8			43.2	%100
الدرجة العلمية		محاضر مساعد	محاضر	أستاذ مساعد	أستاذ مشارك	أستاذ	المجموع
	العدد	34	35	24	16	2	111
	النسبة%	30.6	31.5	21.6	14.4	1.8	%100
العمر		أقل من 30 سنة	31-40سنة	41-50سنة	51 إلى 60	أكثر من 60	المجموع
	العدد	7	32	51	13	7	111
	النسبة%	7.2	28.8	45.9	11.7	6.3	%100
سنوات الخبرة		أقل من 5 سنوات	5 إلى 15 سنة	16 إلى 25 سنة	26 إلى 35 سنة	35 سنة فأكثر	المجموع
	العدد	22	55	24	6	4	111
	النسبة%	19.8	49.5	21.6	5.4	3.6	%100

بينت النتائج في الجدول (5) أن غالبية المستهدفين وبنسبة بلغت (74.8%) كانوا من الذكور و(28) منمستهدفاً وما نسبته (25.2%) من الإناث. أما فيما يخص التخصص فقد تبين إن (67.6%) متخصصين في العلوم الانسانية، و(32.4%) متخصصين في العلوم التطبيقية، وفيما يتعلق بالدرجة الاكاديمية فقد تبين إن (56.8%) من المستهدفين يحملوا مؤهلات الماجستير، و(43.2%) يحملوا مؤهلات الاجازة الدقيقة (الدكتوراه)، أما بالنسبة للدرجة العلمية، فقد تبين إن (30.6%) كانت درجتهم العلمية محاضر مساعد، و(31.5%) كانت درجتهم العلمية محاضر، و(21.6%) كانت درجتهم أستاذ مساعد، و(14.4%) كانت درجتهم أستاذ مشارك، و(1.8%) كانت درجتهم أستاذ. أما بالنسبة للعمر، فقد تبين إن (7.2%) كانت أعمارهم اقل من 30 سنة، و(28.8%) تراوحت أعمارهم من 31 إلى 40 سنة، و(45.9%) تراوحت أعمارهم من 41 إلى 50 سنة، و(11.7%) تاروحت أعمارهم من 51 إلى 60 سنة، و(6.3%) كانت اٰمارهم أكثر من 60 سنة. وفيما يخص سنوات الخبرة فقد تبين إن (19.8%) كانت خبرتهم أقل من 5 سنوات، و(49.5%) تراوحت خبرتهم من 5 إلى 15 سنة، و(21.6%) تراوحت خبرتهم من 16 إلى 25 سنة، و(5.4%) تراوحت خبرتهم من 26 إلى 35 سنة، و(3.6%) كانت خبرتهم أكثر من 35 سنة.

التحليل الوصفي لأداة الدراسة

لتحديد اتجاه الإجابة لكل فقرة من فقرات الاستبيان ةإجمالي الاستبيان سيتم الاعتماد على طول خلايا المقياس الخماسي، حيث تتم مقارنة قيمة متوسط الاستجابة المرجح مع طول خلايا المقياس المبينة في الجدول رقم (2).

أولاً: دوافع اختيار الطرائق

جدول (6) يوضح التوزيعات التكرارية ونتائج التحليل الوصفي لمحور طرق التدريس

ت	الفقرة		لا	نعم	اتجاه الاجابة
1	المحتوى الدراسي الذي تقدمه مفيد ويحقق أهداف المقرر وفق الطريقة المختارة	ك	2	109	نعم
		%	1.8	98.2	
2	تختار الطريقة وفق الفلسفة التربوية والأهداف التعليمية التي تأسس عليها المحتوى الدراسي؟	ك	7	104	نعم
		%	6.3	93.7	
3	تبدأ الدرس بإلقاء التساؤلات وصولاً لاستنباط القواعد التي يراد إيصالها للطلاب	ك	22	89	نعم
		%	19.8	80.2	

	بالتدرج من الجزء إلى الكل؟(الطريقة الاستقرائية)				
4	يكون عرضك للمحتوى الدراسي ابتداءً من القاعدة حتى الوصول إلى الأمثلة فتبدأ بالكليات وتنتهي بالجزئيات؟ (الطريقة القياسية الاستنتاجية)	ك	9	102	نعم
		%	8.1	91.9	
5	تسهم الطرائق التي تتبعها في زيادة الدافعية لدى الطلاب نحو التعلم	ك	8	103	نعم
		%	7.2	92.8	
الاجمالي		ك	48	507	
		%	8.65	91.35	

من الجدول رقم (6) يتبين إن غالبية أعضاء هيئة التدريس وبنسبة (98.2%) يَرَوْنَ إن المحتوى الذي يقدموه مفيد ويحقق أهداف المقرر وفق الطريقة المختارة، وإن غالبيتهم وبنسبة (93.7%) أكدوا بأنهم يختاروا الطريقة وفق الفلسفة التربوية والأهداف التعليمية التي تأسس عليها المحتوى الدراسي، كما تبين إن (80.2%) من أعضاء هيئة التدريس بينوا إنهم يبدأو الدرس بإلقاء التساؤلات **وصولاً لاستنباط القواعد التي يراد إيصالها للطلاب بالتدرج من الجزء إلى الكل**، وإن ((91.9%) منهم كان عرضهم للمحتوى الدراسي **ابتداءً من القاعدة حتى الوصول إلى الأمثلة فتبدأ بالكليات وتنتهي بالجزئيات**، كما تبين من الجدول إن غالبية أعضاء هيئة التدريس وبنسبة (92.8%) أكدوا إن طرائق التدريس التي يتبعونها تسهم في زيادة الدافعية لدى الطلاب نحو التعلم. ومن خلال الجدول تبين إن غالبية أعضاء هيئة التدريس وبنسبة (91.35%) أكدوا على ارتفاع مستوى دافعية التدريس.

ثانياً: فاعلية طرائق التدريس في تعزيز المهارات التدريسية

جدول (7) يوضح التوزيعات التكرارية ونتائج التحليل الوصفي لفاعلية طرائق التدريس في تعزيز المهارات التدريسية

ت	الفقرة		لا أفعل	نادراً	بعض الاحيان	في الغالب	دائماً	المتوسط المرجح	الانحراف المعياري	اتجاه الاجابة
1	تمنح لكل طالب وقتاً من المحاضرة لإلقاء جزء من المحتوى الدراسي وفق استراتيجيات التعلم الفعّال؟(طريقة التعلم المبرمج)؟	ك	0	0	5	34	72	4.6	0.576	دائماً
		%	0	0	4.5	30.6	64.9			
2	ما تكلف به الطلاب يلائم جميع مستوياتهم للقيام بنشاطات جماعية ؟(طريقة المجموعات).	ك	0	2	11	19	79	4.58	0.745	دائماً
		%	0	1.8	9.9	17.1	71.2			
3	تدير المحاضرة باقتدار مع حسن التواصل مع الطلاب وكسب الاحترام والتقدير من الجميع؟(طريقة المناقشة والحوار).	ك	0	0	8	32	71	4.57	0.627	دائماً
		%	0	0	7.2	28.8	64			
4	تفرض على الطلاب في نهاية كل درس تمارين وتطبيقات لإثراء الحوار بشكل فردي وجماعي؟(طريقة	ك	0	0	5	38	68	4.57	0.582	دائماً
		%	0	0	4.5	34.2	61.3			
5	تتصف التطبيقات	ك	0	1	16	45	49	4.28	0.741	دائماً

	والأساليب بالتنوع والفاعلية وتكتسب الحيوية والواقعية؟(لطريقة الاستقرائية)	%	0	0.9	14.4	40.5	44.1			
6	ما يتم تدريسه من تدريبات وتطبيقات يمكن تنفيذه عملياً؟ (طريقة حل المشكلات).	ك	0	1	21	43	46	4.21	0.776	دائماً
		%	0	0.9	18.9	38.7	41.4			
7	يتم توزيع العمل والتطبيقات بطريقة متكافئة بين الطلاب؟ (طريقة المشروع)	ك	1	7	12	39	52	4.21	0.935	دائماً
		%	0.9	6.3	10.8	35.1	46.8			
8	تعرض أفكارك بطريقة موضوعية ومشوقة وتشد انتباه الطالب باستخدام وسائل حديثة؟ (طريقة العروض العلمية)	ك	1	2	21	46	41	4.12	0.839	في الغالب
		%	0.9	1.8	18.9	41.4	36.9			
9	تفتح للطلاب باب النقاش والحوار وعرض الأفكار أثناء المحاضرة؟(طريقة المناقشة والحوار).	ك	3	2	19	44	43	4.1	0.934	في الغالب
		%	2.7	1.8	17.1	39.6	38.7			
10	تعتمد في تقويم الطلاب على	ك	5	2	15	46	43	4.08	1.001	في الغالب
		%	4.5	1.8	13.5	41.4	38.7			

	الاختبارات النصفية والنهائية؟(الطريقة الاستقرائية)									
11	تشجع الطلاب على استخراج ما يغمض من مسائل أثناء الدرس ؟ (الطريقة الاستنباطية).	ك	1	4	22	46	38	4.05	0.878	في الغالب
		%	0.9	3.6	19.8	41.4	34.2			
12	تسعى لتطوير قدرات الطلاب في نقد ما يواجهون من خلال غرس الثقة بالنفس ورفع الروح المعنوية لهم؟ (طريقة المناقشة والحوار).	ك	6	6	19	30	50	4.01	1.156	في الغالب
		%	5.4	5.4	17.1	27	45			
13	تحفز الطريقة التي تتبعها تفكير الطلاب وتفاعلهم واستقلالية رأيهم ؟ (الطريقة الاستنباطية)	ك	2	4	26	41	38	3.98	0.944	في الغالب
		%	1.8	3.6	23.4	36.9	34.2			
14	تستخدم طرائق مختلفة لعرض المحتوى الدراسي وفقاً لما تتطلبه المادة وسيتجد أثناء الدرس ؟(الطريقةالاستقرائية والقياسية)	ك	1	3	23	58	26	3.95	0.796	في الغالب
		%	0.9	2.7	20.7	52.3	23.4			
15	تستخدم الوسائل	ك	1	6	26	47	31	3.91	0.9	في

	التعليمية والتكنولوجيا والأمثلة المناسبة للدرس؟(طريقة حل المشكلات).	%	0.9	5.4	23.4	42.3	27.9			الغالب
16	تشجع الطلاب على حل مشكلاتهم الدراسية والحياتية والإدارية من خلال عرض المحتوى الدراسي بإسلوب توعوي؟(الطريقة الاستدلالية)	ك	1	10	36	40	24	3.68	0.944	في الغالب
		%	0.9	9	32.4	36	21.6			
17	تحفز الطلاب على البحث والتقصي عن الحقائق المرتبطة بالمحتوى من خارج المقرر الدراسي ؟ (الطريقة الاستكشافية)	ك	3	12	37	33	26	3.6	1.047	في الغالب
		%	2.7	10.8	33.3	29.7	23.4			
18	تقوم بإلقاء الدرس وعرضه طوال وقت المحاضرة ويكون الطالب منصتاً ويلتزم الاستماع فقط؟(طريقة المحاضرة).	ك	1	11	45	32	22	3.57	0.95	في الغالب
		%	0.9	9.9	40.5	28.8	19.8			
19	تقدم المادة العلمية بأسلوب علمي سلس	ك	7	19	30	24	31	3.48	1.242	في الغالب
		%	6.3	17.1	27	21.6	27.9			

	خالٍ من الأخطاء الطباعية وسهل القراءة؟ (الطريقة الاستقرائية)								
20	تشعر بالحماس والدافعية اتجاه الطرائق الحديثة التي تتطلب أقل جهداً و وقتاً؟(الطرائق الفعّالة).	ك	9	20	42	24	16	3.16	1.132	بعض الأحيان
		%	8.1	18	37.8	21.6	14.4			
21	تقوم بإنشاء بطاقة الطلاب نهاية كل محاضرة ؟(الطريقة القياسية)	ك	43	25	23	7	13	2.3	1.352	نادراً
		%	38.7	22.5	20.7	6.3	11.7			
22	يكون عرضك للمحتوى الدراسي ابتداءً من القاعدة حتى الوصول إلى الأمثلة فتبدأ بالكليات وتنتهي بالجزئيات؟ (الطريقة القياسية الاستنتاجية)	ك	5	102	4	0	0	1.95	1.001	نادراً
		%	4.5	91.9	3.6	0	0			
23	تبدأ الدرس بإلقاء التساؤلات وصولاً لاستنباط القواعد التي يراد إيصالها للطلاب بالتدرج من الجزء إلى الكل؟(الطريقة الاستقرائية)	ك	20	89	2	0	0	1.82	1.352	نادراً
		%	18	80.2	1.8	0	0			
	إجمالي استخدام طرق التدريس							3.78	0.387	مرتفع

من الجدول أعلاه تبين إن قيم المتوسطات تراوحت ما بين (1.84) إلى (4.6)، كما تبين إن (7) عبارات كانت قيم متوسطاتها ضمن الفترة (4.2 إلى 5)، لذا فإن اتجاه الاجابة عليها كان "يتم تطبيقها دائماً)، فقد تبين إن هناك تطبيق دائما لبعض طرائق التدريس كظريقة التعليم المبرمج من خلال منح الطلاب وقتاً من المحاضرة لإلقاء جزءً من المحتوى الدراسي وفق استراتيجيات التعلم الفعال، كما تبين إن هناك تطبيق دائم لطريقة المجموعات من خلال ملاءمة ما يتم تكليف الطلاب به لمستوياتهم للقيام بالنشاطات الجماعية، إضافة إلىوجود تطبيق دائم لطريقة المناقشة والحوار من خلال إدارة المحاضرة باقتدار مع حسن التواصل مع الطلاب وكسب الاحترام والتقدير من الجميع، كما تبين وجود تطبيق دائم لطريقة ..... من خلال فرض التمارين والتطبيقات في نهاية الدرس لإثراء الحوار بشكل فردي وجماعي، وأيضاً تطبيق دائم للطريقة الاستقرائية المتمثلة بالتنوع في التطبيقات والأساليب وفاعلية هذه الأساليب في ضمان الحيوية والواقعية، كما تم التوصل إلى إن هناك تطبيق دائم لطريقة حل المشكلات من خلال التنفيذ العملي لما تم تدريسه من تدريبات وتطبيقات، وأيضاً وجود تطبيق دائم لطريقة المشروع من خلال توزيع العمل والتطبيقات بطريقة متكافئة بين الطلاب.

كما تبين إن (13) عبارة كانت قيم متوسطاتها ضمن الفترة (3.4 إلى أقل من 4.2)، لذا فإن اتجاهات الاجابة عليها كان "في الغالب يتم تطبيقها"، حيث تبين إنه في الغالب ما يتم عرض الأفكار بطريقة موضوعية ومشوقة وتشد انتباه الطالب باستخدام وسائل حديثة، وغالباً ما يتم فتح باب النقاش للطلاب والحوار وعرض الأفكار أثناء المحاضرة، وغالبا ما يتم الاعتماد في تقويم الطلاب على الاختبارات النصفية والنهائية، وغالباً ما تشجيع الطلاب على استخراج ما يغمض من مسائل أثناء الدرس وغالباً ما يتم السعي إلى تطوير قدرات الطلاب في نقد ما يواجهون من خلال غرس الثقة بالنفس ورفع الروح المعنوية لهم، كما تبين إنه غالباً ما يتم تحفيز تفكير الطلاب وتفاعلاتهم واستقلاليتهم آرائهم بطرق التدريس، وأيضا غالبا ما يتم استخدام طرائق مختلفة لعرض المحتوى الدراسي وفقاً لما تتطلبه المادة وسيتجد أثناء الدرس وغالباً ما يتم استخدام الوسائل التعليمية والتكنولوجيا والأمثلة المناسبة للدرس، وغالباً ما يتم تشجيع الطلاب على حل مشكلاتهم الدراسية والحياتية والإدارية من خلال عرض المحتوى الدراسي بإسلوب توعوي واستيفاء المدة الزمنية المستغرقة للمحاضرة بإنجاز المحتوى الدراسي كاملاً، وأظهرت الدراسة إنه غالباً ما يتم تحفيز الطلاب على البحث والتقصي عن الحقائق المرتبطة بالمحتوى من خارج المقرر الدراسي، ةغالباً ما يقوم أعضاء هيئة التدريس بإلقاء الدرس وعرضه طوال وقت المحاضرة ويكون الطالب منصتاً ويلتزم الاستماع فقط وغالباً ما تقدم المادة العلمية بأسلوب علمي سلس خالٍ من الأخطاء الطباعية وسهل القراءة.

وتبين من الجدول أعلاه إن عبارة واحدة كانت قيمة متوسطها (3.16) وتقع ضمن الفترة (2.6 إلى أقل من3.4)، لذا فإن اتجاهات الاجابة كانت "يتم تطبيقها في بعض الأحيان" ، حيث تبين إنه في بعض الأحيان يشعر التدريسيون بالحماسة والدافعية اتجاه الطرائق الحديثة التي تتطلب أقل جهداً ووقتاً.

وتبين أيضاً إن (3) عبارات كانت قيم متوسطاتها تقع ضمن الفترة (1.8 إلى اقل من 2.6)، لذا فإن اتجاه الاجابة كان "نادراً ما يتم تطبيقه"، حيث تبين إنه نادراً ما يتم انشاء بطاقة الطلاب نهاية كل محاضرة، ونادراً ما عرض المحتوى الدراسي ابتداءً من القاعدة حتى الوصول إلى الأمثلة فتبدأ بالكليات وتنتهي بالجزئيات، ونادراً يبدأ الدرس بالتساؤلات وصولاً لاستنباط القواعد التي يراد إيصالها للطلاب بالتدرج من الجزء إلى الكل.

كما بينت النتائج في الجدول رقم (7) أن متوسط الاستجابة لإجمالي المحور كان (3.78) ويقع ضمن الفئة (3.4 الى أقل من 4.2) وهذا يشير إلى ارتفاع مستوى فاعلية طرائق التدريس في تعزيز المهارات التدريسية

النتائج :

بناء على هذه الدراسة فإنه تم استخلاص النتائج التالية:

1. توصلت الدراسة إلى أنَّ أعضاء هيأة التدريس يقومون و بشكل دائم بتطبيق طرائق التعلم المبرمج والمجموعات والمناقشة والحوار-القائمة على التواصل الجيِّد مع الطلاب - والاستقرائية ، وحل المشكلات ، وطريقة المشروع .
2. أظهرت الدراسة أنَّ أعضاء هيئة التدريس غالباً ما يقومون بتطبيق طرائق العروض العلمية, والمناقشة, والحوار- المتعلقة بفتح باب النقاش- والاستقرائية - المتعلقة بالاعتماد على الاختبارات النصفية والنهائية في تقييم الطلاب، والمتعلقة أيضا بتطوير قدرات الطلاب من خلال غرس الثقة بالنفس ورفع الروح المعنوية- والاستنباطية - المتعلقة باستخراج المسائل وتحفيز أفكار الطلاب وتفاعلهم- كذلك غالباً ما يستعين عضو هيأة التدريس بتطبيق بالطرائق الاستقرائية، والقياسية ، وطريقة حل المشكلات، والاستدلالية ، والاستكشافية، وطريقة المحاضرة.
3. أوضحت الدراسة أنَّ أعضاء هيأة التدريس نادراً ما يقومون بتطبيق الطرائق القياسية ، والاستنتاجية , والاستقرائية المتمثلة في عدد من التساؤلات وصولاً لاستنباط القواعد.
4. أظهرت الدراسة أنّ نجاح العملية التعليمية ، وتنمية المهارات الدراسية لدى الطلاب يتوقف على كفاءة أعضاء هيأة التدريس, وحسن اختيارهم الطرائق التدريسية المناسبة للموقف التعليمي.

5.أوضحت الدراسة أنَّ طرائق التدريس التي يتبعها عضو هيأة التدريس لها أثرها في تنمية المهارات الدراسية للطلاب و الرفع من مستوى تحصيلهم الدراسي.

6.أثبتت الدراسة أنَّ الطريقة الحوارية التفاعلية القائمة على النقاش، و تبادل الآراء بين الطلاب وأساتذتهم من أكثر الطرائق فاعلية في الرفع من المستوى التحصيلي و تطوير المهارات الدراسية.

وتوصي الدراسة بضرورة تكثيف الجهود من أجل تطوير المناهج ، وإعادة النظر في أسلوب الحفظ والتلقين، والاعتماد على الملازم، و تبني طرائق تماشى و متطلبات العصر، وأن نسعى إلى مرحلة يتجاوز فيها الطلاب مرحلة الحفظ إلى مرحلة الإبداع ، والتحليل ، واستخلاص النتائج، من خلال المخزون المعرفي الذي تلقاه الطلاب أبَّان فترة الدراسة.

المراجـــع:

1. أبوهاشم، السيِّد ، سيكولوجيا المهارات، زهراء الشرق – القاهرة، 2004.
2. إسليم، ناصر محمود، طرق التدريس وأساليبه الشائعة لدى أعضاء هيأة التدريس بقسم الدراسات الإسلامية بجامعة الملك سعود، المجلة الدولية التربوية المتخصصة، مج8،ع5، 2019، https://iiioe.orq، تمَّ الاطلاع يوم الأحد الموافق2022/12/25، الساعة 10:23صباحاً.
3. الأغا ، إحسان والأستاذ، محمود، البحث التربوي عناصره، مناهجه، أدواته، ط3، مطبعة الأمل التجاري- غزة، 2000.
4. آيت علي، نبيلة، طرائق التدريس وأهميتها في نجاح العملية التعليمية التعلمية، مجلة تعليمات، مج2، ع1، 2021، https://wwwportal.arid.my ، تمَّ الاطلاع يوم الجمعة، الموافق 2022/12/23، الساعة 5:15 مساء.
5. توفيق، طراد مقياس: طرائق وأساليب التدريس، جامعة آكلي محند أولحاج- البويرة، https://istaps.univ-bouira.dz، تمَّ الاطلاع يوم الثلاثاء الموافق 2022/12/27، الساعة 5:23 مساء، (د. ت).
6. الجبوري ،عمران جاسم، المناهج وطرائق تدريس اللغة العربية، مؤسسة دار الصادق الثقافية، 2013.
7. الحريري، رافدة ، طرق التدريس بين التقليد والتجديد ، ط1، دار الفكر ناشرون، 2010.
8. دخيخ، صالح بن أحمد، حسانين، صفوت أحمد، المصري، تامر علي، أساليب التدريس الجامعي لدى أعضاء هيأة التدريس بالجامعات، مجلة العلوم التربوية، ع1، 2017،

https://search.shamaa.orq تمّ الاطلاع يوم السبت الموافق 2022/12/24، الساعة 7:38 صباحاً.

9. عبيدات، دوقان، وآخرون، البحث العلمي: مفهومه وأدواته وأساليبه، عمان، دار مجدلاوي للنشر والتوزيع ، (ب- ت).

10. الطرشاني،الدوكالي مفتاح على ، تأثير الفضائيات على بنية وثقافة الأسر الليبية دراسة ميدانية لعينة من الأسر بمدينة طرابلس أطروحة دكتوراه غير منشورة، قسم الاجتماع، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 2010.

11. زغاري، محمد أحمد، عبد المجيد، سعد سيِّد (1440-1441هـ) مهارات الدراسة الجامعية، تح أحمد بن علي الأخشمي، الإصدار الأول، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية،(1440-1441هـ)، https://units.imamu.edu.sa، تمّ الاطلاع يوم السبت الموافق 2022/12/24، الساعة 11:00 صباحاً.

12. زيتون، حسن حسين، مهارات التدريس- رؤية في تنفيذ التدريس، عالم الكتب- القاهرة، 2001.

13. زيتون، كمال عبدالحميد، التدريس نماذجه ومهاراته، ط1، عالم الكتب- القاهرة، 2003.

14. شافعي، جيهان أحمد، الزهراني، سهام مهدي(2019)، مستوى الممارسات الداعمة لمهارات الجدل العلمي داخل صفوف علوم المرحلة المتوسطة من وجهة نظر معلمات المرحلة المتوسطة في المنطقة الشرقية، مجلة دراسات عربية في التربية وعلم النفس ع 111.

15. الشراري، محمد عبيد مشحن(2014) مهارات الدراسة وعلاقتها بالتحصيل الدراسي لدى الطلبة الموهوبين في منطقة الجوف بالمملكة العربية السعودية، رسالة ماجستير كلية الدراسات العليا، جامعة البلقاء، الأردن.

16. الشهراني، عبد العزيز صالح يحي، التدريس الفعَّال، رسالة ماجستير، جامعة الملك خالد – السعودية،2010، https://staffsites.sohaq-univ.edu.ea، تمّ الاطلاع يوم السبت الموافق 2022/12/24، الساعة 9:13 صباحاً.

17. عبد العال، عبد المنعم سيِّد، طرق تدريس اللغة العربية، دار غريب للطباعة والنشر، 2002.

18. عزيز، حاتم جاسم، ومهدي، مريم خالد، طرائق التدريس الشائعة لدى أعضاء هيأة في جامعة ديالي، مجلة الفتح، ع 51، 2012، https://www.iasj.net، الاطلاع يوم السبت الموافق 2022/12/24، الساعة 4:15 مساء.

19. عصر، حسني عبدالهادي، الاتجاهات الحديثة لتدريس اللغة العربية في المرحلتين الإعدادية والثانوية، مركز الإسكندرية للكتاب، 2000.
20. عطية، محسن علي، الكافي في أساليب تدريس اللغة العربية، ط1، دار الشروق، عمان ، 2006.
21. العموش، ريم، دور برنامج التربية العملية الجامعي في تعزيز المهارات الناعمة لدى طالبات معلم الصف المتدربات في مدارس مديريات محافظة الزرقاء(من وجهة نظر المعلمات المتعاونات)، مجلة دراسات العلوم التربوية، مج48،ع4، 2021.
22. قطامي، يوسف، وقطامي، نايفة، نماذج التدريس الصفي، ط1، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، 2008.
23. اللقاني،أحمد ، والجمل،علي، معجم المصطلحات التربوية المُعرفة في المناهج وطرق التدريس، ط3، عالم الكتب، القاهرة، 2003.
24. محمد عبد العال النعيمي وآخرون: طرق ومناهج البحث العلمي، جامعة الشرق الأوسط للدراسات العليا، دار الوراق للنشر والتوزيع، 2009م.
25. محمد منير حجاب، أساسيات البحوث الإعلامية والاجتماعية، دار الفجر للنشر والتوزيع، القاهرة، 2002م .
26. المخلفي، تركي بن منور بن سمير، أثر التعليم عن بعد في تنمية المهارات الشخصية والأكاديمية لدى طلاب كلية التربية في جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية، مجلة الجامعة الإسلامية للدراسات التربوية والنفسية، مج29، ع4، 2021، https://iournals.iuoaza.edu.ps، تمَّ الاطلاع يوم الاثنين الموافق2022/12/26، الساعة 11:00مساء .
27. المطيري، ياسر سعود، الربعي، محمد عبدالعزيز(2022) مستوى الممارسات التدريسية الداعمة لمهارات القرن الحادي والعشرين لدى معلمي اللغة العربية، المجلة العربية للعلوم التربوية والنفسية، المؤسسة العربية للتربية والعلوم والآداب، مصر، مج 6 ،ع 28.
28. مهدي،حسن ربحي (2018) فاعلية استراتيجية في التعلم الذكي تعتمد على التعلم بالمشروع وخدمات جوجل في اكساب الطلبة المعلمين بجامعة الأقصى بعض مهارات القرن الواحد والعشرين، مجلة العلوم التربوية، مج 30، ع 1.
29. ميريدين، ساندر، النجاح في التعليم الجامعي، ترجمة: وليم عبيد وعبدالرحمن الأحمد، ذات السلاسل- الكويت، (1993-1994)، https://books-library.net، الاطلاع يوم الخميس الموافق 2022/12/22، الساعة 6:55 صباحاً.

30. ناجي، سماح محمد (2019) مهارات التعليم الجامعي، تصميم برنامج إثراء قائم على المعامل الافتراضية لتنمية مهارات التعليم الجامعي، المؤتمر القومي العشرين(العربي الثاني عشر)، مجلة دراسات في التعليم الجامعي،ع43، 2019، https://search.shamaa.orq ، الاطلاع يوم السبت الموافق 2022/12/24، الساعة 9:15 صباحاً.

31. النَّصار، صالح بن عبد العزيز، المراكز الأكاديمية في الجامعات العربية ودورها في تنمية مهارات الطلاب الدراسية، ورقة عمل مقدمة إلى مؤتمر استشراق مستقبل التعليم العالي والتعليم العام، شرم الشيخ،2005 https://faculty.ksu.edu.sa، تمَّ الاطلاع يوم السبت الموافق 2022/12/24، الساعة 8:57 صباحاً.

32. هنداوي، صفوت توفيق، استراتيجيات التدريس، المستوى الأول، قسم المناهج وطرق التدريس، جامعة دمنهور، كلية التربية- وحدة التعليم المفتوح،(د.ت) https://www.scribd.com، الاطلاع يوم السبت الموافق 2022/12/24، الساعة 10:10 صباحاً.

33. Hoinville, Gerald & Jowell, Roger. Survey Research Practice (USA: Helmemanneucation onal Books, 1977) P.75

34. Uma Sekaran : **Research Methods For Business, A Skill - Building Approach**, Fourth Edition, Southern Illinois University at Carboundale, 2003, p311

اللغة بين الفكر والواقع

Language between thought and reality

Dr. Jalila MRAOUHI دة.جليلة مراوحي
JALILAMRAOUHI@GMAIL.COM
أستاذة التعليم العالي مساعدة بالمركز الجهوي لمهن التربية والتكوين بالرباط

ملخص

للغة تجليات في الواقع، ويكون الكلام هو أبرز تجلياتها. لكن الجانب الخفي في الظاهرة اللغوية والذي يستعصي على المستعمل العادي للكلمات إدراكه، يكمن في الطبيعة التجريدية للغة. إنها تفرض على الباحث المتأمل، البحث في ما يقع في الذهن قبل النطق بالكلمات. تمحورت إشكالية البحث حول فهم الكيفية التي يشتغل بها الذهن/الدماغ وهو يحفز باحاته لإنتاج اللغة. ثم وسعنا حدود البحث لتشمل عمل الدماغ في حالة استعمال أكثر من لغة. وقد اعتمدنا في معالجتنا للموضوع على أبحاث في اللسانيات العصبية، خصوصا التي اعتمدت على أدوات تجريبية مخبرية في تحصيل نتائجها.

الكلمات المفتاح:

اللغة، الذهن، الفطري، القدرات اللغوية، التعدد اللغوي

Abstract

As language has got a number of manifestations in reality, speech remains its most prominent one.

However, the hidden aspect of the linguistic phenomenon, which is difficult for the language average user to assimilate, lies in the abstract nature of language. Such a fact compel the researcher to investigate what is going on in the mind before uttering words. The research problematic revolved around understanding how the brain works as it stimulates the vocal cords to come up with language. We expanded, then, the scope of research to include the brain's functioning in case of using more than one language. In dealing with the subject, we relied on some research in the domain of neurolinguistics, especially the ones which adopted experimental laboratory tools to get their findings.

Key words

Language, mind/mindfulness, innate "character", language abilities, multilingualism

تقديم

تعد اللغة من خصائص البشر الأكثر عسرا على الفهم؛ وذلك راجع لطبيعتها المجردة، والتي تحفز عمل الذهن ومختلف مناطقه في دقة متناهية وتعقيد تام. إنه من الصعب تتبع آليات اشتغالها في الدماغ، بالاقتصار فقط على المعطيات التي توصلت إليها الأبحاث اللسانية. لذلك، فقد لجأنا في كثير من لحظات البحث إلى نتائج الدراسات في اللسانيات العصبية، حتى نتمكن من تحصيل معرفة أكثر وضوحا ودقة حول ما يجري في الدماغ وهو ينتج اللغة.

قبل أن يستقر اختيارنا على المقاربة اللسانية العصبية، راودنا سؤال جوهري تمثل فيما يلي: كيف ندرس اللغة؟ هل نبحث في المبادئ الفطرية أم نصف السلوك اللغوي انطلاقا من معطيات التجربة؟ وهو طبعا الإشكال الذي نرمي من خلاله معالجة إشكالية اللغة في علاقتها بما هو فطري غريزي وما تم اكتسابه بالتجربة. عند نهاية المبحث اتضح بأن التجربة لا تساهم إلا إسهاما ضئيلا في تشكيل اللغة.

إذن، بما أن العمل الجوهري في إنتاج اللغة يكون من تصميم الفكر، فقد دفعنا هذا المعطى إلى حصر دائرة البحث في الدراسات التي اهتمت بعلاقة اللغة بالذهن؛ خصوصا منها تلك التي اعتمدت أدوات بحث تجريبية مخبرية. وقد تمكنا من خلال البحث من تحديد أهم المناطق التي يحفزها إنتاج اللغة لدى الإنسان، كما أوضحنا الطريقة التي تشتغل بها اللغات في حالة التعدد اللغوي، باعتباره ظاهرة لغوية اجتماعية فريدة، وكيف تتأثر مختلف مناطق الدماغ عند لجوء المتكلم لأكثر من لغة.

1. اللغة بين الفطري والمكتسب

إذا انطلقنا من مقارنة بسيطة بين الإنسان والحيوان اللذان يتعرضان لنفس البيئة؛ فالطفل ينتهي به المطاف بتعلم لغة بيئته، أما الحيوان فلا يتعلم نفس اللغة مهما خضع لنفس البيئة. إن الخاصية الفيصل بين سلوك الحيوان وسلوك الإنسان، هي خضوع الحيوان بشكل تام للغريزة؛ فتكون لغته وفقا لهيردر عبارة عن انفعال لا يمكن نسبه إلى أعضاء النطق العليا، وليست محاكاة للطبيعة ولا هي ناتجة عن اتفاق مسبق بين أفراد النوع الحيواني. (تشومسكي، 1966، ترجمة: الرحالي،2020، ص. 126)

إن تميز الإنسان بضعف الغريزة جعله قادرا على تعلم اللغة. فالتحرر من الغريزة وتحكم المنبهات هو أساس العقل البشري. تكمن قوة الإنسان، حسب ديكارت، في تمتع روحه بالحرية، وهو امتياز آخر يحرره من وطأة الطبيعة. إنه لا يخضع خضوعا تاما لها ولا يمكن بالتالي إخضاعه بشكل مطلق للتفسير الآلي الذي يفسر سلوك الكائنات الأخرى. نخلص بذلك إلى القول بأن ما ينتجه الإنسان كلغة يختلف اختلافا جوهريا عما يصدره الحيوان من أصوات يصعب وصفها باللغة.

لا ينتفي تأثير الوسط الخارجي في حالة اللغة البشرية، حيث أن المقارنة بين طفلين عاشا في بيئتين مختلفتين تفيد بأن كل طفل سيكتسب لغة الوسط الذي عاش فيه، فتأثير البيئة حاضر كما هو الشأن بالنسبة للوراثة ولكل منهما دوره. في الهامش الرابع من الطبعة الثالثة المترجمة للسانيات الديكارتية، نجد إشارة إلى نتائج بعض الدراسات التي تؤكد بأن الحصول على قدرة لغوية كاملة، يتطلب التزود بنصيب معين من التجربة المناسبة، حيث يكون من الضروري التعرض في سن مبكرة للغة سماعا ونطقا وإشارة.

إن المبدأ العام الموجِّه للإنسان يقتضي الاعتناء به حتى يصبح قادرا على إنتاج العلوم والفنون. وهو نفسه ما سماه راي جاكندوف بالقدرة الخاصة التي يشترك فيها جميع البشر، والتي تنتج عن ضبط أو توسيع قدرة موجودة مسبقا لدى الرئيسيات، تكون أغراضها عامة ويأتي تطويرها من باب ما هو خاص بالنوع البشري. (جاكندوف، 2007، ترجمة: غالم، 2020، ص. 582)

يقودنا التحليل إلى الوقوف عند تصور تشومسكي القائل بوجود تصميم عام للآلة المتحكمة في إنتاج اللغة، وهو المسؤول على إضفاء النظام على اختلافها العشوائي غير المحدود. لا يمكن أن نفهم اللغة بنفس الكيفية التي نفهم بها مكونات ثقافية أخرى. فإذا كانت العادات والتقاليد والأعراف مظاهر ثقافية تشكل خصوصية الشعوب وتجعل من الصعب الحديث عن طبيعة إنسانية موحدة، كما يرى علم الاجتماع المعيار، فالتفكير في اللغة يؤدي إلى القول بوجود مبادئ كلية لسائر العقل الإنساني، يسميها تشومسكي طبيعة إنسانية خاصيتها الثبات، وهي معطى بيولوجي يشكل أساسا لأي شيء نفعله بقدراتنا العقلية. (تشومسكي، ترجمة: زكي 2015، ص. 25).

تطفو من جديد، على سطح النقاش المعرفي حول الطبيعة البشرية، وجود طبيعة إنسانية موحدة، تشكل مرآة عاكسة للحياة العقلية التي تعمل على تنظيم كل منجزات الذهن البشري. فالحديث عن الوحدة البشرية هنا لن يكون من قبيل دعوة أخلاقية لنشر التسامح بين البشر، وقبول الاختلاف ولكنها اكتشاف حقيقي يستند علميا على ما يقدمه علم الأحياء التطوري وعلم الوراثة من اكتشافات. (بنكر، ترجمة: المزيني، 2000، ص. 518)

نفس الفكرة سيعززها راي جاكندوف (2007، ص. 583) في معرض حديثه عن طبيعة المعرفة الاجتماعية، بقوله:" ولقد استدللت، على وجه الخصوص، على أن المستوى الشخصي لدى البشر، مسؤول عن ظواهر خاصة لكنها حاضرة في كل الثقافات، كالبناء التصوري للكائنات الخارقة، والاعتقاد في الحياة بعد الموت و/أو التناسخ". وهو ما يؤكد وجود نمط موحَّد بين جميع البشر، مهما اختلفت ثقافتهم، في إدراك الظواهر وصياغة تلك المعرفة في شكل قوالب ذهنية، يسميها جاكندوف بالبناءات التصورية والتي يستدعيها الإنسان كلما اقتضى الأمر ذلك.

توجد المعرفة اللغوية حسب تشومسكي في التركيبة الأحيائية للكائن البشري. ويعود الأمر، في أساسه، إلى حالة أولى تجمع جميع الناس قبل اكتسابهم للغات المتفرقة. لذلك نقول بأن اللسانيات التوليدية هي نظرية عن الحالة الأولى، واللغة هي قدرة الإنسان على الكلام بأي لغة خاصة.

انشغل تشومسكي بوضع تصميم للغة يستطيع من خلاله تفسير هذه الحالة الأولى. إن إصراره على اعتبار اللغة عضوا أحيائيا جعله يفترض وجود ملكة لغوية أو جزء في الذهن/الدماغ مخصص للمعرفة واستعمال اللغة. يعزز تشومسكي (2000، ترجمة: الكلثم،2017، ص. 27-49). افتراضه بدليلين اثنين:

1. الخصائص الأساسية للملكة اللغوية قريبة إلى حد التطابق،
2. اقتصارها على فصيلة الإنسان.

يضيف إلى الافتراض السابق افتراضا آخر يعتبر بأن الأنساق الأدائية (أنساق الإنجاز) هي جزء من الملكة اللغوية. يغيّر النسق المعرفي للملكة اللغوية من حالاته لاحتمالين:

1. بلوغ النضج الداخلي،
2. تأثير معطيات الواقع الخارجي.

يُطلَق عادة على عملية التحول هذه، أو عملية اكتساب اللغة، مصطلح التعلم. رفض تشومسكي المصطلح وفضل تعويضه بمصطلح النمو، الذي اعتبره أقل تضليلا. من المفروض أن تخضع الملكة اللغوية لمبدأ النمو، كونها ملكة فطرية يشترك فيها جميع البشر. لكن ما تتعرض له من تغير، تبعا للوسط، يظل اختلافا عارضا لا يمس جوهرها. بذلك تكون اللغات الخاصة عبارة عن حالة محدّدة للملكة اللغوية.

تقدِّم اللغة تعليماتها للأنساق الأدائية عن طريق الجمل، فتولِّد مجموعة لامتناهية من التعابير. وتتولى نظرية التحسيب الإجابة عن سؤال الاستعمال اللامحدود لوسائل محدودة وما ينتج عنه من إبداع لغوي. تصنف الأنساق الأدائية إلى صنفين: أنساق حس- حركية يعبِّر عنها الصوت، وأنساق تصورية- قصدية يعبر عنها المعنى ويتم من خلالها الحديث عن العالم.

لقد جاءت مقاربة المبادئ والوسائط لتفسر فقر المنبه، من خلال القول بوجود مجموعة قليلة من المبادئ العامة التي هي بمثابة خصائص الملكة اللغوية، تضاف إليها خيارات طفيفة تشكل الاختلاف بين اللغات وتدعى الوسائط. عند البشر، تحقِّق الملكة اللغوية شروط المقروئية، فيتم تحفيز المستويين الوجيهيين: التمثيلات الصوتية والدلالية. ويجب على الأنساق الحسة- الحركية أن تتوفر على ترتيب زمني حتى يتمكن الجهاز الحسي الحركي من قراءته أو إدراكه. وتتطلب الأنساق التصورية- القصدية أنواعا محددة من الكلمات والتركيبات وشبكة من العلاقات. فلا وجود لشيء اسمه البنية السطحية والبنية

العميقة، بل ينبغي تفسيرها بواسطة المستويات الوجيهية. (تشومسكي 2000، ترجمة: الكلثم،2017، ص. 46)

إن الانغماس في تفاصيل النظرية التشومسكية حول اللغة، يحملنا على الاعتراف بعبثية الارتكاز على التجربة، وحدها، لدراسة الظاهرة اللغوية. لماذا؟ لأن السلوك اللغوي يختلف من فرد لآخر، بل إنه يختلف حتى عند نفس الشخص من موقف لآخر، فالناس يستعملون الجمل بشكل دائم التجدد لا يمكن حصره. كما أننا نلاحظ إمكان توليد عدد غير نهائي من الجمل باعتماد عدد محدود من القواعد، أي باعتماد النحو. إنه من الأجدى دراسة النحو أو الآليات النحوية العقلية والآليات النفسية المتحكمة في السلوك اللغوي. لكن هل يكفي ذلك للإحاطة بجميع الجوانب المتعلقة بموضوع معقد ومتشعب كاللغة؟

بالرغم من كثرة المتحمسين لأفكار تشومسكي حول اللغة، لكن الاعتراض سيأتي من اللسانيات المعرفية التي ترفض الفصل التام بين المعرفة اللغوية والتفكير بشكل عام، فالنظام اللغوي عندهم غير مستقل عن التفكير، بحيث لا يستطيع الطفل تطوير اللغة مكتفيا، فقط، بنموذج نحو مستقل يستقر في الدماغ، ولا يتلقى تعليماته إلا منه.

ما أرادت اللسانيات المعرفية التنبيه إليه هو الدور الذي تلعبه الخبرة والتجربة في صياغة أفكارنا وتشكيل فهمنا للعالم، فاللغة ليست كيانا منغلقا يستطيع الباحث وصفها من الداخل ويصوغ قواعدها بمعزل عن البنية التصورية التي تقدم مبادئ عامة في الخبرة البشرية، تؤثر في المبادئ العامة المؤسِّسة للغة، فتعمل على توجيه انسيابها وهي تعبر عن الأشياء والأفكار.

لقد احتل مفهوم البنية التصورية مكانة خاصة في أعمال راي جاكندوف حيث اعتبره المستوى الذي تعالج فيه المعلومات اللغوية وغير اللغوية المساوقة لها، سواء الحركية أو البصرية أو السمعية...لتتحصل في الأخير معرفة لا يمكن أن نميز فيها بين اللغوي وما هو دونه. ففيه تخزن تجاربنا وخبراتنا المعرفية والجمالية والأخلاقية عن الحق والخير والجمال كغايات كبرى للفكر البشري.

وإن كنا نستدعي الكلمات للتعبير عن ذواتنا وللتواصل مع العالم من حولنا، فإن اللغة لا تبلّغ المقصود دون الرجوع إلى البناء التصوري الذي تشكل في إطار المعرفة الاجتماعية للفرد. تنتمي البنية التصورية إلى الفكر، عكس التصور الذي يحاول الزج بها ضمن مجال اللغة، لكنها تستقي نماذجها من الواقع. إنها المستوى الذي تفهم فيه اللغة من خلال سياقاتها.

من خلال ما سبق، يمكن القول بأن اللغة تدخل في علاقة مزدوجة الأبعاد، يتجاذبها ما هو داخلي خاص بالذهن/الدماغ وما هو خارجي خاص بالبيئة الاجتماعية التي يستقي منها الفرد المعاني التي تضفيها الجماعة اللغوية على الأشياء. لكن لا يعدو أن يكون الأمر عبارة عن حركة ذهاب وإياب بين

الفكر والواقع، يقدم فيه الأول أوعية جاهزة وقابلة لاستقبال الصور والدلالات المختلفة التي يروج لها السياق.

2. دراسات أولية في اللغة والذهن

يعد مخطوط (إدوين سميث) الذي وجد حوالي 3500 ق.م، أول مرجع يشير إلى أن الذهن هو مركز اللغة. وفيه تم إدراج ملاحظات تقول بأن إحداث تلف في الرأس يمكن أن ينتج أعراضا في أجزاء أخرى من الجسد. يبدو بأن الأمر يعود إلى وظيفة الدماغ. لقد ساد الاعتقاد بأن إلاها خارجيا أو الأرواح هي السبب في ضياع اللغة، وتتم معالجة المريض عبر إحداث ثقب في الجمجمة تنفذ عبره روح الإله.

في اليونان القديمة، جاء الحديث عن الارتباك اللغوي عند هيبوكريت (Hipocrites) 400 سنة ق.م، الذي وصف رجلا فقد قدرته على تذكر الحروف، حيث رافق ذلك إصابته بشلل نصفي من الجانب المعارض لجهة الدماغ المتضررة. أما أرسطو، فقد اقترح مخططا ينطلق من أعضاء الحس إلى المعرفة ومن المعرفة إلى الوظائف المحرِّكة، وهو النموذج الذي أثر كثيرا على النماذج المتأخرة الخاصة بوظائف اللغة.

في العصور الوسطى، سيتواصل النقاش النظري حول بطن الدماغ بفرضية وجود الذاكرة في البطن الرابع. ففي القرن الخامس عشر، اقترح الفيزيائي الإيطالي أنطونيو كينيرو (Antonio Guainerio) فكرة مفادها: بأن تناثر الكلمات والأخطاء في الأسماء راجعة إلى اضطراب في الذاكرة؛ أحدثته كثرة البلغم في البطن الرابعة للدماغ. تعرضت هذه النظرية لانتقاد شديد في ق 16م، وبدأ بعدها التركيز على دراسة المادة الخارجية للدماغ وكذلك أهمية حجمه.

سيتعمق النقاش حول طبيعة الذهن في علاقته باللغة مع ديكارت الذي رأى بأن دراسة اللغة تتطلب بناء النظرية والأمثلة، وهو ما يتعارض مع الحس المشترك الذي لا يصلح إلا لحل المشكلات العملية. فالروح عنده غير قابلة للانقسام، ويقع مركزها في الغدة النخامية، وهي عضو يوجد وسط الدماغ.

سيمتنع ديكارت عن دراسة الذهن دراسة علمية بسبب الخوف من الكنيسة ومصير كاليليو، وبسبب انفلات بعض الظواهر، كالإبداع اللغوي، من منطق ميكانيكا الاتصال؛ العلم الذي أسس له واعتقد في قدرته على كشف جميع أسرار الطبيعة. وقد التقط جيمس مغلفري في مقدمة الطبعة الثالثة من كتاب تشومسكي "اللسانيات الديكارتية"، التناقض الذي وقع فيه ديكارت عندما تصور بأن العقل

أداة كلية تستطيع تفسير جميع المشكلات، وفي نفس الآن عجزه عن تفسير الإبداع اللغوي. (تشومسكي، ترجمة: الرحالي، 2020، ص. 74)

إن الذهن عند ديكارت هو الشيء غير المجسم المسؤول عن المظاهر الإبداعية وتحديدا تلك المتعلقة باللغة. فطالما كان الإنسان ذاتا مفكرة فهو الكائن الوحيد القادر على إنتاج اللغة ويتفوق في ذلك على الحيوان وعلى الآلة وإن برمجت بشكل محكم للقيام بنفس العمل. توقف اجتهاد ديكارت عند هذه الحدود واكتفى باعتبار الذهن جوهرا مختلفا يتموقع خارج مجال علم الطبيعة.

كان أهم ما ميز البحث في موضوع اللغة والذهن، محاولة جوهان جيستر (1770) Johan Gester تفسير اضطراب الكلام، باعتباره اضطراب يصيب الذاكرة ناتج عن صعوبة جمع الصور أو الأفكار المجردة والعلامات اللغوية. وفي نهايات القرن 19 ستتأسس نظريات اللسانيات العصبية مع عالم التشريح جوزيف فرانس كال (Joseph Franz Gall)، الذي قامت نظريته على المسلمات التالية:

*وجود مجموعة من القدرات الفطرية،

*لا يمكن اختزال هذه القدرات في قدرة واحدة، وهي مستقلة عن بعضها البعض،

*لا نستطيع فحص جوهر هذه القدرات، نستطيع فقط تتبع الشروط المادية التي تتظهر من خلالها في الجسد،

*تتموقع هذه الشروط المادية في قشرة الدماغ،

*التوصل إلى أن بعض القدرات مردها إلى الوراثة، لأننا لا نجد تفسيرا لها بأي شكل من الأشكال.

أحصى كال سبعة وعشرين قدرة تنتمي كلها إلى موقع واحد من قشرة الدماغ. تتضمن هذه الأمكنة موضعين خاصين باللغة، كلاهما ينتمي إلى فصي الجبهة، أحدهما يتحكم في نطق الكلمات والآخر في تخزينها. (Ahlsén, 2006, pp.14-15) وهي النتائج نفسها التي ستتأكد في أبحاث أوبيرتين (Auburtin) اللاحقة.

ارتباطا بموضوع اللغة والذهن، قام بروكا (1865) Broca بصياغة فرضية مفادها أن الأعراض اللغوية تنجم عن الآفات التي تصيب الجانب الأيسر من الدماغ؛ مما يعني بأننا نميل إلى استعمال أحد فصي الدماغ عند إنتاج اللغة. لكن عالم الأعصاب بيير ماري (1906) Pierre Marie، تمكن من الإفصاح عن مجموعة من المعطيات المخبرية التي تشير إلى أن منطقة بروكا ليست بالضرورة هي مركز إنتاج الكلام. في حين أقر تيودور مينيرت (1885/1968) Theodor Meynert بأن وظيفة اللغة ترتبط بمنطقة متطورة في قشرة الدماغ تسمى فتحة سيلفيان (Sylvian fissure).

في محاولة للبحث عن المناطق المسؤولة عن وظائف اللغة، لاحظ ويرنيك (Wernicke) بأن المرضى الذين يعانون من نقص في مستوى فهم اللغة، كانوا قد أصيبوا بتلف في منطقة معروفة بمنطقة ويرنيك. تصور هذا الأخير وجود تلفيف خاص باللغة، يمتد من منطقة ويرنيك المسؤولة عن وظيفة الاستقبال إلى منطقة بروكا المسؤولة عن وظيفة التعبير، وأي تلف يصيب إحدى المنطقتين أو الربط بينهما، قد يؤدي إلى فقدان القدرة على الكلام (aphasia).

تعد منطقة ويرنيك منطقة مهمة لفهم الكلمات المسموعة والمنطوقة، أما منطقة بروكا فتلعب دورا أساسيا في برمجة مختلف الحركات المستعملة في النطق، إلا أن عمل هاتان المنطقتان لا يمكن فصله عن البنية العامة للدماغ. وتتواجد المنطقتان بالفص الأيسر من الدماغ مع وجود استثناءات قليلة.

عند لودويك لشتن Ludwig Lichthein (1885) نجد الحديث عن مركز ثالث للغة. يتضمن النموذج مدخلا سمعيا وتحليلا لتمثلات الكلمة على المستوى السمعي في منطقة ويرنك. يتم إرسال المعطيات بعدها إلى منطقة بروكا، حيث تَشَكَّل محرك تمثلات الكلمة، ويستطيع التنفيذ من خلال نطق الكلمة أو إرسالها إلى مفهوم مركزي يؤول دلالتها.

لاحقا وبناء على أبحاث تشومسكي حول اللغة، سيُرجع الباحثون في علم الأعصاب اللغوي وتاكر، Whtaker (1971)، فقدان القدرة على الكلام إلى عطب يصيب النظام المركزي للغة، فتتعطل بالتالي الكفاية اللغوية. في القرن العشرين، توسع النقاش حول اللغة والدماغ ليصل حدودا خارج اللغة.

لدى باي Bay (1962)، نجد بأن الكلام يتأثر بشكل كبير بعوامل خارج اللغة، التي يصيبها الأذى عند إصابة الدماغ بالتلف. في حالة فقدان القدرة على الكلام مثلا، تتعطل القدرة على تمرير المعلومة، مما يؤدي إلى انخفاض عام في الذكاء. ويمكن ملاحظة ذلك عند إنجاز مهام أخرى كالرسم أو النحت وغيرها. نفس الشيء نلاحظه على مستوى الكلام، حيث تصبح المفاهيم غامضة ومُعوجَّة، ويضعف تمييز بعضها عن بعض. (Ahlsén, 2006,p.26)

3. القدرات اللغوية في الدماغ

إن إدراك الآليات التي يشتغل بها الدماغ لإنتاج المعرفة، سيكون مدخلا مناسبا لفهم كيف تعمل اللغة في الدماغ، على اعتبار أن اللغة هي أقرب ما يمكن دراسته من أجزاء العقل. توصل الباحثون إلى أن بعض الأجزاء من الدماغ تكون مبرمجة للعمل بدقة بوازع من الجينات، في حين تعمل أجزاء أخرى بتفاعل مع المحيط. تبعا لمنحى التطور، تستطيع أن تشكل خاصية استعمال اليد اليمنى أو اليسرى قاعدة لتطوير تحكم أحادي المنحى لتصرفات معرفية جد معقدة.

وفقا لهذا المنطق، قد يكون الجانب الأيسر من الدماغ والمرتبط بمهارات الذكاء والضبط والدقة هو الطريق المعبد نحو تطور اللغة، ارتباطا بالوظائف الذهنية المتحكم فيها عن طريق أحد الجانبين المشكلين للدماغ. في نفس المنحى، وبطريقة مشابهة يمكن أن يكون استقبال اليد اليمنى قد خلق قاعدة في الجانب الأيسر من الدماغ من أجل قدرات توليدية أخرى تفوق اللغة. عندما يميل مكون فرعي لإنجاز مهمة معرفية معقدة، يعمل على تفعيل ركيزة عصبية داخل أحد جانبي الدماغ، تُجنِّد نفس المهمة مكونات فرعية أخرى لتفعيل ركائز ملائمة تنتمي إلى نفس الجانب من كرة الدماغ، حيث يكون الربط بين مكونات نفس الفص الدماغي أسهل من الربط بين الجزأين المنفصلين للدماغ.

عند إنجاز المهمة، قد يختار الدماغ النامي مسارا يؤدي إلى التمايز النصف الكروي للدماغ؛ بمعنى أن الدماغ يستطيع أن يختار في كل مرة فصا من فصيه عندما يتعلق الأمر بإنجاز مهمة متعددة المكونات. يصدق هذا القول عندما يتعلق الأمر بإنجاز مهام غير متجانسة، أو عند وجود انحياز دقيق وجوهري في الدماغ النامي، بحيث يؤدي ذلك إلى قطيعة أو إسناد اللاحق من العناصر المعرفية الخاصة إلى أنصاف مختلفة من الدماغ.

نلمس هذه الخاصية بشكل جلي في مسألة اللغة، بالرغم من التحيز الواضح للجانب الأيسر من الدماغ عند إنتاج اللغة، إلا أن إدراكها لا يتم حصريا ارتباطا بهذا الجانب، بل يستدعي الدماغ خلال عملية إدراك اللغة، فصَّيه معا الأيمن والأيسر وأحيانا قد يعتمد أكثر على الجانب الأيمن. (كوك، 2020، صص. 80-82)

صحيح أن الفص الأيسر هو المسؤول عن اللغة. لكن الأمر ليس بهذه البساطة. يعالج الفص الأيمن مجموعة من المؤشرات: مثل نغمة الصوت والعبارات الوجيهية...، وهي كلها مؤشرات تُعِين البنيات في الفص الأيسر على القيام بعملها. في المجمل، يمكن القول بأن الفص الأيسر يعالج المعلومات بطريقة تحليلية، بينما يعالجها الفص الأيمن بطريقة شمولية. عندما يتعطل عمل الفص الأيسر، يمكن للفص الأيمن أن يقوم مقامه، خصوصا فيما يتعلق بالذاكرة واسترجاع الكلمات. لكن الأمور لا تسير دائما على نحو جيد، لأن الكلمات المسترجعة لا يتم تنظيمها بالشكل المطلوب، فغالبا ما تكون مبتورة ومعوجة.

لكل طفل قدرة طبيعية على تمييز الأصوات في اللغة الأم. فيجد نفسه مجبرا على فقدان جزء مهم من قدراته في التكيف مع أصوات لغة أخرى، مع العلم بأن أدمغة الأطفال متشابهة من حيث التصميم، أيا كان انتماؤهم الجغرافي. يبدو الأمر منطقيا إلى حد ما، خصوصا إذا علمنا بأن ترسيخ التعلمات مرتبط بدرجة تكرارها. فتكرار تشكيلة معينة يحفز عمل شبكة الأعصاب المَعنية بتلك التشكيلة.

مع مرور الزمن، يبدأ الرضيع بتسجيل الكلمات في الدماغ، ثم ما يلبث أن يزودها بالمعاني، وطبعا يلعب السياق دورا أساسيا في التمييز بين الدلالات المختلفة للأشياء. إن أقرب الكلمات التصاقا بذاكرته تلك التي تعبر عن انفعال وجداني مرتبط برغبته في الحصول على الحليب أو الخروج في نزهة أو الاستحمام...وهي أيضا فرصته في فصل الكلمات والتعرف على المقاطع المكونة لها. عندما يصبح جهازه العصبي ناميا بما يكفي، سيشرع في التحكم بنَفَسه وحركات فمه والعضلات الصوتية وكذلك الأحبال، وهذا ما يمكنه من إنتاج كلماته الأولى، التي ينجح الأبوان والمقربون في ترجمتها إلى كلمات صحيحة، وذلك بمساعدة السياق، مع مواكبة كل إنجاز بالتصحيح اللازم. لذلك سنكون مجانبين للصواب عندما نُنصِّب الفطري في مواجهة المكتسب، وكأننا أمام خصمان يقفان على طرفي النقيض. (GUILLOUX, 2009, p.145)

4.لغات متعددة في دماغ واحد

تحدثنا سابقا عن علاقة اللغة بالذهن وأهم المناطق التي يحفزها إنتاج اللغة لدى الإنسان. فيما يلي، سنقف عند الطريقة التي تشتغل بها اللغات في حالة التعدد اللغوي، وذلك في محاولة للإجابة على السؤال التالي: كيف تنتظم اللغات المختلفة في دماغ المتعدد لغويا؟

حصر علم أعصاب اللغة المسألة في ثلاث فرضيات، في الفرضية الأولى تتجمع كل اللغات في نفس المنطقة، كما يؤكد كل من (Freud, 1891;Minkowski, 1963; Pitres, 1885/1983). في الفرضية الثانية تتوزع مختلف اللغات في مناطق مستقلة من الدماغ. أما الفرضية الثالثة فترى بأن ثنائيي اللغة قد طوروا مراكز لتأدية وظائف ترتبط ب (ث.ل) مثل: اختيار لغة والانتقال بين اللغات والترجمة. من بين المناطق المخصصة لهذه الوظائف نجد التلفيف الفوق حدي في الفص الأيسر من باحة الدماغ. وتقول الفرضية الرابعة بأن كل اللغات تتموضع في نفس المنطقة، لكنها تتوفر على شبكات أعصاب تستدعي خلايا عصبية منفصلة، يتموضع جزء من الخلايا العصبية في نفس المنطقة بينما الجزء الآخر فيتواجد في مناطق خاصة.

وتعد أهم فرضية صيغت في هذا الشأن هي اعتبار بأن الفص الأيسر من الدماغ هو الأكثر تورطا في سيرورة إنتاج اللغة الثانية، أكثر من سيرورة انخراطه في اللغة الأولى. مع ذلك لا يمكن ادعاء بأن اللغة الثانية تمتلك تمثلات أكثر، بل مرد ذلك يعود إلى الدور الذي تلعبه العوامل النفعية في التعويض بالنسبة للمتكلمين الأكثر فقرا في الكفاءة اللغوية في اللغة الثانية.

وفقا ل (Paradis, 1998)، يحدث ذلك في إطار التكامل في استعمال اللغات. ففي وضعية معينة، تبدو إحدى اللغات أكثر طبيعية بينما تستدعي الثنائية إعمال مجهود أكبر ومهارات نفعية

لتعويض النقص. تشتغل اللغات بدرجات متفاوتة. فتستطيع أن تكون اللغة نشطة أو كامنة، وهذا يتوقف على الضعف العصبي. لذلك يجب الموازنة بين النشاط والكمون في اللغة. يدخل (Green, 1986, 1998) بعدا جديدا يتمثل في الصراع اللغوي، حيث تتنافس اللغتان من أجل الحصول على مصادر للمعالجة، وتربح اللغة الأكثر تحفيزا.

عندما يحدث عطب في الدماغ، فإنه يؤثر على الاستعداد لتفعيل هذه اللغات. ويؤثر كذلك على خصائص مركزية في اللغة، كرتبة الكلمة أو تصريف الفعل والإسم وكم هي سعة المعالجة التي تستوجب، وهو ما يسمى بإشارة الصلاحية وإشارة الكلفة. تختلف هذه الإشارات حسب اللغات، وتختلف بالنسبة ل (ث.ل)، حسب التاريخ الفردي في التعلم ودرجة الإتقان الحالية واستعمال كل من اللغتين. (Ahlsén, 2006, pp.121-125)

سؤال آخر يتردد بإلحاح علينا ونحن نحاول فهم ماذا يحدث خلال سيرورة اكتساب لغة أخرى. والسؤال هو: ماذا يقع لدماغ المتعدد لغويا عندما يشرع في تعلم لغة جديدة؟

الجواب نجده في دراسة قام بها باحثون بأكاديمية الترجمة للقوات المسلحة السويدية. (Lund University: 2012) لقد تتبعوا التحولات التي تجري على مستوى دماغ مجموعة من الشبان التحقوا حديثا بالجامعة، وخضعوا لدروس مكثفة من أجل تعلم لغة جديدة في أقصر فترة ممكنة. كان هدف الدراسة هو معرفة ما يحدث للدماغ البشري عندما يتعلم الفرد لغة جديدة في فترة قصيرة من الزمن.

لقد تمكن الشباب الذين خضعوا للتجربة من تعلم إحدى اللغات: العربية أو الروسية أو اللغة الدارية في بحر ثلاثة عشر شهرا. كما تضمنت عينة البحث مجموعة أخرى من الطلبة تنتمي إلى جامعة أومية (Umeå University)، تتلقى بدورها دروسا مكثفة ولكن في مجالات أخرى بعيدة عن اللغات (الطب وعلوم الإدراك).

أنجز الفريقان فحوصات التصوير بالرنين المغناطيسي قبل وبعد ثلاثة أشهر من الدروس المكثفة. أبان الفحص على أن طلبة العينة الشاهد لم يحدث أي تغير لدماغها، بينما بدا التغير واضحا بالنسبة لطلبة العينة المدروسة. لقد ازداد حجم الحُصين (Hippocampus) وهي منطقة عميقة في الدماغ تلعب دورا حاسما في تخزين المعلومة (الذاكرة) وفي التمثيل الحيزي للبيئة المادية، كما تأثرت ثلاثة مناطق أخرى تنتمي إلى قشرة الدماغ.

إن الطلبة الذين نما حجم مناطق الدماغ عندهم أكثر من غيرهم كانوا هم الأفضل من حيث اكتساب الكفايات اللغوية المطلوبة، أما الذين اضطروا لبدل مجهود مضاعف خلال فترة تعلمهم، فقد

لوحظ عليهم نمو وسط اللفيف الجبهي للدماغ(middle frontal gyrus). إن مناطق الدماغ التي طرأت عليها تغيرات مهمة هي تلك المرتبطة بتعلم اللغات وتحسين الأداء اللغوي.

خلاصة

عموما يمكن القول بأن التفكير في اللغة في علاقتها بالذهن ليس تفكيرا حديثا. فقد اتخذ في المراحل الأولى شكل الخرافة والتفسير الغيبي. ظل الموضوع غامضا ومثيرا للاهتمام، واستمر الكشف عن أسرار اللغة مرتبطا بالظواهر المرضية التي تصيب المتكلم مثل اضطراب الكلام. ومع مرور الزمن سيتم ربط اللغة بالذاكرة. وفي الفلسفة سيتوجه النقاش مع ديكارت إلى ضرورة بناء النظرية، لتفسير الآلية التي يشتغل بها الذهن في إنتاجه للغة.

مع نهاية القرن19، سيجتهد العلماء في اللسانيات العصبية لتطوير البحث في الموضوع. مع باحثين أمثال فرانس كال وبروكا وبيير ماري وتيودور مينيرت، ستظهر مفاهيم جديدة مثل: (قشرة الدماغ ومنطقة بروكا وفتحة سيلفيان ومنطقة ويرنيك...)، وهي المفاهيم التي سيبني بها العلماء تصوراتهم للغة وسيرورة حدوثها في الذهن/الدماغ. ليكتشفوا بأن اللغة ليست إلا قدرة من مجموع القدرات الهائلة التي يستطيع الدماغ البشري توظيفها لإنتاج المعرفة.

قائمة المراجع

- بنكر، ستيفن، الغريزة اللغوية، ترجمة: المزيني، حمزة بن قبلان، (2000)، السعودية، دار المريخ للنشر
- تشومسكي، نعوم، (1966)، اللسانيات الديكارتية. فصل في تاريخ الفكر العقلاني، ترجمة: الرحالي، محمد (2020)، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة
- تشومسكي، نعوم وفوكو، ميشيل، عن الطبيعة الإنسانية، ترجمة: زكي، أمير (2015)، تونس ـ مصر ـ لبنان، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع
- تشومسكي، نعوم، (2000)، بنيان اللغة، ترجمة: الكلثم ، إبراهيم، (2017)، لبنان، جداول
- جاكندوف، راي، (2007)، اللغة والوعي والثقافة، ترجمة: غالم، محمد، (2020)، لبنان، دار الكتاب الجديد المتحدة
- Ahlsén, E (2006) Introduction to Neurolinguistics, Ed: John Benjamins, Amsterdam / Philadelphia, Publishing Company, pp.14-15
- Lund University (2012): Language learning makes the brain grow, Swedish study suggests. *ScienceDaily*. In www.sciencedaily.com/releases/2012/10/121008082953.htm

- GUILLOUX. R (2009) UN CERVEAU, COMMENT ÇA MARCHE ? (XV), *Coridys*, pp. 144-158
- Kok, A (2020) Functions of the Brain, Great Britain, Ed: Routledge, pp.80 -82

مجلة الدراسات الثقافية واللغوية والفنية تصدرعن المركز العربي الديمقراطي ببرلين – ألمانيا
ISSN : 2625 - 8943
Journal of cultural linguistic and artistic studies issued by the democratic Arabic center – Germany - berlin

أساليب تزييف الوعي

Methods of falsifying awareness

د. سامي الذيبي (باحث في العلوم الثقافية- جامعة تونس)
Email :poetesami@hotmail.com

تلخيص:

يحاول هذا المقال الوقوف على المحطّات النّظرية الكبرى التي كشفت عمليّات تزييف الوعي الغربي من خلال نظرية الصّراع، وكذلك رصد أساليب صياغة العقول التي استعملها الغرب للهيمنة والسيطرة على الشرق.

Summary:

This article attempts to identify the major theoretical phases that revealed the processes of falsification of Western awareness using the clash theory, as well as determining the methods of shaping minds that West used to dominate and control the Arab East.

المقدّمة

اهتمت أغلب الدّراسات الاجتماعية بمختلف فروعها وحقولها وتخصّصاتها بالوعي على اعتبار أنّه يمثل مركز تراث الفكر الانساني الذي يعبّر بدوره عن أرقى شكل من أشكال الوعي، لذلك حيكت جميع الدسائس والصراعات الإنسانية في صميم فعل الوعي، فأوجد هذا "الوعي الماكر" أساليبه المختلفة والمتنوعة لضرب استقراره بوضعه داخل دائرة الشك والحيرة، ولعل أبرز وأهم عمليات المغالطة التي اسْتُخدِمت لتزييف الوعي كانت تلك التي تقول بأن الغرب مركز الكون، وبأن الشرق تابع لحواشي هذا المركز، ليقيم الشرق في المخيال والوعي الغربي كصورة نمطية جامدة وغير متحركة، وكأن لا حياة فيها، بربرية ووحشية، لا تنتمي للحضارة، ومهمة الغرب أن يأخذ بيدها إلى الحضارة الإنسانية، وقد استعملت ماكينة عملاقة للتسويق لهذه الصورة سواء الترجمات وتحقيق المخطوطات والسينما، وصولا إلى وسائل التواصل الاجتماعي الحديثة.

لذلك ارتأينا أن نبحث في هذا الموضوع بداية من المحطّات النّظرية الكبرى التي كشفت عمليّات تزييف الوعي الغربي من خلال نظرية الصّراع لكارل ماركس، وراصدين أساليب صياغة العقول التي استعملها الغرب للهيمنة والسيطرة على الشرق.

الاشكالية:

- ✓ **فكيف يمكن أن نحدد مفهوميْ الصراع والوعي؟ وماهي أهم المراحل النظرية التي كشفت تزييف الوعي الغربي؟.**
- ✓ **وفيما تمثلت أبرز الأساليب المُستعملة في صياغة العقول؟**

الفرضيات:

- ✓ **يندرج تزييف الوعي في صميم عمليات الصراع لذلك صدرت ثلاثة كتب يمكن أن نعتبرها أهم مراحل لتفنيد أكبر عمليّة تزييف شهدتها الإنسانية.**
- ✓ **لقد تعدّدت الأساليب وتنوّعت بغاية احتواء كامل للوعي وتوجيهه وفق استراتيجيات مختلفة.**

I. الباب الأوّل: المقاربة المفاهيميّة والنظرية

1. المفاهيم

يؤكد الباحث المغربي عبد الله العروي على ضرورة الانتباه للمفاهيم وتحديدها قصد تسهيل عملية البحث ووضوحها، "إن عدم وضوح المفاهيم خطر كبير على استقامة الفكر (العروي، 1999، ص127)، وهو ما جعلنا نهتم بمفهومين رئيسيين في بحثنا وهما "الصراع" من منظور **كارل ماركس**، ومفهوم "الوعي" من خلال **سيرجي كوتشين**.

أ. مفهوم الصراع عند كارل ماركس

يذكر كارل ماركسفي كتابه "الأيديولوجية الألمانية"، مصطلح "الوعي الزّائف"على الظاهرة التي تنطلق من الأيديولوجيا، وهي تعمل على تشويه الحقائق وتزييفها بقصد تبرير موقف السلطة. مع ملحوظة أن هذا التعبير النقدي جاء بسبب رغبة ماركس في تفنيد مثاليةهيغلالتي تجعل البشر أدوات في أيدي التاريخ،ولعل ما جاء به ماركسعن الوعي الزائف قد تناول ما تقوم به السُلط من تزييف لوعي الناس، بقصد توجيههم نحو ما تريده هذه السلطة أو تلك، فإن الوعي يتم تزييفه أيضاً بطرق عديدة (العالم، 1988، موقع ويب)، ومختلفة تندرج ضمن برامج وأجندات لها أهدافها ومشاريعها.

ويؤكد ماركس في الوقت ذاته أن عمليّة التحوّل حتمية تاريخية بالإضافة إلى كونه ضرورة، تحَدّث عن مفهوم الصراع الطبقي في البيان الشيوعي، واعتبر تاريخ أي مجتمع هو تاريخ صراعات طبقية، بسبب تضارب المصالح بين الطبقات الاجتماعية، ورأى أن رحى هذا الصراع داخل المجتمع الرأسمالي تدور بين أصحاب الرأسمال المُضطهِدين والعمال المُضطهَدين، كما صاغ مفهوم المادية الجدلية انطلاقا من مفهومي الجدلية عند **هيغل** والمادية عند **فيورباخ**، ووظفه لكي يقدم تصوّراً مادياً للتّاريخ الإنساني،

وشرح مفهوم الاغتراب/الاستلاب الاقتصادي، الذي يؤدي بدوره إلى اغتراب اجتماعي وسياسي للإنسان وفقا لأطروحته (سباعنة، 2020، موقع ويب).

ويعتبر ماركس بأن الصراع الاجتماعي هو وليد الأزمات الاجتماعية التي يعود سببها الرئيسي إلى تركيز الثروات في يد فئة قليلة من المجتمع وهو أحد أهم أسباب الصراع الاجتماعي، وعلى الرغم من اختصاص النظرية بحث ظاهرة معينة إلى أنها تشعبت واتخذت من المبادئ الاشتراكية أساساً لها (مجدي، 2018، موقع ويب).

ب.مفهوم الوعي عند سيرجي كوتشين

يمكن تعريف الوعي بأنه "إدراك المرء لذاته ولما يحيط به إدراكاً مباشراً وهو أساس كلّ معرفة". ووفقاً لهذا التعريف فإنّ هناك ثلاثة مكوّنات للوعي هي: المعرفة التي يحصل عليها المرء من مؤسّسات التنشئة الاجتماعية المختلفة، ثم الموقف الذي يتخذه المرء من هذه المعرفة سواء بالإيجاب أو السلب، وأخيراً السلوك الذي يتحدّد بناءً على الموقف المتخذ من المعرفة المكتسبة، وهذه المكوّنات الثلاثة تشكّل بنية الوعي لدى الأفراد داخل المجتمع (أحمد، 2023)

لذلك يعتبر كتاب **سيرجي تشاكوتين Sergei Chakhotin** الموسوم بـ"اغتصاب الجماهير بالبروباغندا السياسية"، من البحوث المهمّة التي حاول فيها الباحث نزع الستار عن الدعاية السياسية، وتفكيك آلياتها، وفرض وصايتها على الجماهير وتوجيههم بطريقة فيها إخضاع وتزييف وعدم احترام للعقل البشري ولإنسانية الإنسان، والكتاب في حقيقة الأمر صدر قبل الحرب العالمية الثانية ووقعت مصادرته في فرنسا وألمانيا على خلفية معاداته ووقوفه في وجه النزعة النازية التي تستعمل كمّا دعائيا كبيرا مُسلّطا على الجماهير الأوروبية لإخضاعها للفكر النازي واستلهام أفكاره والإيمان بها

2. المراحل النظرية لفضح عمليات تزييف الوعي.

يُعدّ تزييف الوعي هو حصيلة لمسيرة طويلة من التطورات التاريخية والاجتماعية والسياسية والثقافية تتداخل فيها أسبابٌ وعواملٌ متعددة (عامر، 2022)، سنحاول من خلال ثلاثة نماذج عرض أهم الكتابات التي وقفت في وجه هذه المغالطات للبحث عن الحقيقة، وأن نرصد عمليات المغالطة الكبرى لتزييف الوعي الغربي وجعله مركزا للكون في مقابل شرق متخلّف يحمل صُورة نمطيّة.

أ. كتاب معذبو الأرض لفرانز فانون:

"معذبو الأرض " كتاب صدر عام 1961 لمؤلفه فرانز فانون، يطرح فيه المؤلف تحليلًا للمخلفات النفسية السلبية للاستعمار على الشعوب، وتبعات حركة إنهاء الاستعمار في المجتمع والعرف والسياسة، ويرفض فانون النزعة الإنسانية المعلنة في أوروبا القائمة على أساس الاستعمار والاستغلال والعبودية

والعنف، لذلك قال إنه "يجب أن نجد شيئًا مختلفًا"، وإنه "إذا لم يتم تعديل ظروف العمل، فستكون هناك حاجة لقرون من العمل على أنسنة هذا العالم الذي أجبرته القوى الإمبريالية على النزول إلى مستوى الحيوانات. (مجموعة مصادر، 2022، موقع ويب)

ويعتبر فانون بذلك أن "هذا العالم المقسوم إلى قسمين يقطنه نوعان مختلفان. إنّ السياق الاستعماري هو أن الواقع الاقتصادي والتفاوت والاختلاف الهائل في طرق الحياة لا يخفي أبدا الواقع البشري. وحينما تفحص السياق الاستعماري في جهات قريبة يبدو بيّنًا أن ما يقسّم العالم هو أن تبدأ بحقيقة الانتماء أو عدم الانتماء إلى عرق محدّد أو نوع محدّد، فالأساس الاقتصادي في المستعمرات هو أيضا البنية الفوقيّة، السبب هو النتيجة، أنت غنيّ لأنّك أبيض، وأنت أبيض لأنّك غني، هذا هو السبب في أنّه ينبغي دومًا توسيع التحليل الماركسي قليلا في كل مرّة نتعامل فيها مع المشكلة الاستعماريّة" (الدروبي والأتاسي، 2007، ص32) من خلالها يرسم فرانز فانون خريطة تقسيمات العرق والطبقة بطريقة يكونان فيها متداخلان، غير أنّ هذا الرّسم للخرائط يجعل من الصعوبة فهم كل تعقيداتها والوقوف عليها دون أن نوجد فهما محددا للعرق، فإن كان اللون الأبيض والثورة متلازمان في المستعمرات، فإنّ الأمر لم يكن هكذا في الدّول الأوروبيّة. رغم أنّه كان بمقدور الطبقات العاملة البيضاء إظهار قدر من العنصريّة بمقدار ما يظهره أسيادهم، وهنا يكشف أن عمليات تزييف الوعي أصبحت لا واعية ما يعني أنه تم تمثلها على أساس أنها حقائق ومسلمات لا يمكن مناقشتها ولا مساءلتها.

ويعتبر كذلك أن المستعمِر يعتمد أساسا لبسط نفوذه وقوانينه إلى الدعاية وأهميتها في تزييف الوعي، ولذلك فهو يدعو في إطار التصدي والممانعة، إلى التأكيد على تركيز المضطهدين على الدعاية، وعدم إغفال أيّ طبقة مهما كنا نظن أنها هامشية، وقال إن "الدعاية التي تتقدم بها الأحزاب السياسية تغفل طبقة الفلاحين دائمًا، مع أنّ من الواضح أن طبقة الفلاحين في البلاد المستعمَرة هي الثروة الوحيدة، إن هذه الطبقة لا تخشى أن تخسر بالثورة شيئًا بل تطمح أن تكسب بالثورة كل شيء.(محمد عمّو، 2023، موقع ويب)

يتحدث فرانز فانون عن الفنون والآداب وتأثيرها في الثورة وتأثير الثورة فيها، ويتحدث عن ضرورة الحفاظ على الثقافة القومية ضد المستعمر ويبين أن المستعمر يستهدف هذه الثقافة في المقام الأول، ويضرب أمثلة كثيرة مع شرح واف في دول أفريقيا وأمريكا اللاتينية. ويحذر المثقفين من الانجراف وراء ثقافة المستعمر وتبنيها، لأن المستعمرين يستهدفون المثقفين ويسهلون لهم طريق دراسة وإتقان مهارات ثقافاتهم. وينتقد فانون أمرا هاما وهو انشغال المثقفين بالثقافة عن خوض المعركة الفعلية على الأرض، ويأتي بعد ذلك بأمثلة من الفنون التشكيلية والشعر والفنون المختلفة ويبين الجدل بينها وبين

الاستعمار، مع ذكر أمثلة من الدول الأفريقية، وفي آخر الفصل يهاجم أحد أساليب الاستعمار في تبنيه قضية الثقافة الزنجية وجمعه لرجال من مختلف الدول الافريقية لعقد مؤتمرات وندوات، ويوجه رسالة شديدة اللهجه يقول فيها "إن وحدة الثقافة الأفريقية إنما تمر أولا وقبل كل شئ بدعم كفاح التحرير (محمد،2017، موقع ويب).

حتمًا سنفهم عمق الاضطهاد الذي يمارسه المستعمِرُ على المستعمَر، شعبٌ سيفرح حين يتكلّم لغة المحتل ويتفاخر بها بعد سنوات طويلة.إنّ تأصيل الامبريالية الثقافية لتزييف العقول لا يستثني الدور الذي لعبه "المارتينيكي" وكتابه "معذّبو الأرض " الذي رافقه كتاب المعرفة والسلطة لميشيل فوكو في التأسيس لمبحث علمي حديث ستنجلي معالمه في 1978 إثر صدور كتاب الإستشراق لإدوارد سعيد (الذيبي،2013، موقع ويب).

ب.أفكار ميشيل فوكو من خلال كتابي "المعرفة والسلطة" و"تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي"

تتمثل وجهة نظر فوكو للاستعمار الثقافي باعتباره خطابًا، هو بيان عن السلطة، فالخطاب الكولونيالي هو نظام من التقارير، التي من الممكن أن يتم تحريرها عن المستعمَرات، والشعوب المستعمَرَة، عن السلطات الاستعماريّة، وعن العلاقة بين هذين الطرفين.وبكونه خطابا، فإن الاستشراق يُعزى إلى سلطة الأكاديميات، والمعاهد، والحكومات. فهذه السلطة من شأنها أن تساهم في رفع الخطاب إلى مستوى من الأهميّة، والهيبة، تضمن تطابقه مع الحقيقة، يرى فوكو ان السلطة هي التي تشرف بطريقة ما على انتاج المعرفة "السلطة والمعرفة تقتضي احداهما الأخرى، وأنه لا توجد علاقة سلطة دون تأسيس مناسب لحقل المعرفة" (فوكو، 1990، ص65)، ويعتبر بذلك أن السلطة إجمالا قائمة في كل خطاب نقوم به، حتى لو كان يصدر من موقع خارج السلطة، فهي منغمسة في التاريخ متجذرة في أعماقه، بل إن التاريخ - ربما - ليس إلا السلطة ذاتها، وقد تحوّلت بفعل التطور إلى خطاب يدّعي الحداثة والبراءة.(أوكان، 1994، ص13) حيث تجتمع كل السياسات الغربية والإمبريالية على استفراغ العقول وتزييفها وإعطائها نوعا من الجنون، لذلك نجد فوكو يخصص مجالا لدراسة الجنون باعتباره الجانب الخفي المتضاد مع العقل والوعي، فالعقل هنا هو "ذات" الكوجيتو المحتكرة لأدوات اللغة، والراغبة في السيطرة على "الآخر" أو الموضوع من خلال وسائلها، مثل سلطة الدولة والاجتماع والمؤسسة المعرفيّة وحق المواطنة الفلسفيّة والميتافيزيقية. ويعرّف الجنون على أنه هو ذلك الآخر، "إنه غياب العمل"، وهو كلّ ما يمثل مقاومة البشر لسلطة العقل وطغيانه. إنها مقاومة سلبية صامته جرى إسكاتها بقوة العقل (هشام،2017)، فالخطاب الذي يتمّ فيه ربط الجنون بكلّ ما هو غير مقبول وغير مألوف على اعتبار أنّه الشرّ الذي لا بدّ من إقصائه وتخليص المدينة منه: فـ"الأمر لا يتعلّق بتاريخ الطب

النفسيّ، بل بتاريخ الجنون ذاته، وفي حيويته قبل اعتقاله من طرف المعرفة"(بنكراد، 2006، موقع ويب)، غير أنه يعتبر أن العقل غير قادر على أداء مهمته ووظيفته في غياب كلي للآخر الذي يمثل مرآته ومن خلاله يتعرف العقل على نفسه، ومن ثمّ فإنه يقصي الآخر\النقيض بغرض اعتقاله مستقبلاً لتمثيله والتحدث باسمه. إذاً، فالخطاب هو لغة اللوغوس وفكره، ومن خلاله يتم تمثيل الجنون والتكلم باسمه بعد منعه من الكلام (هشام، 2017، موقع ويب).

ج. كتاب الاستشراق لإدوارد سعيد

جاء كتاب الاستشراق تتويجا لأفكار فرانز فانون وميشيل فوكو فاضحا أكبر عمليات تزييف الوعي البشري منذ تقسيمه إلى مركز غربي يعتبر نفسه مهد الحضارة ومركز الكون والترويج للشرق على أنه شرق متخلف بصورة نمطية تلغي الحياة وتسلبها عن شرق له تاريخه وحضاراته، لذلك يشير إدوارد سعيد، إلى أنّ منجزات الاستشراق لم تكن كافية للنّطق باسم شرقيين، والادّعاء بعجزهم عن التعبير عن أنفسهم، بل يزعم الاستشراق أيضاً امتلاك "الترجمة الرسمية" لكل ما هو شرقي أو صادر عن الشرق (سعيد، 2005، ص203-222). مؤكّدا أن جوهر الاستشراق هو التمييز الذي لا يُمحى، بين التفوّق الغربي والدّونية الشرقية فتَسلّط الأفكار الأوروبية عن الشرق، تعيد تأكيد التفوّق الأوروبي على التخلّف الشرقي (سعيد، 2005، ص42)، حيث يعتمد في نقده للاستشراق على سلسلة من الأدلّة والحجج والبراهين تثبت أنّ "المترجم" يحرّف في النقل من لغة إلى أخرى ويتلاعب، تحديداً بسبب عدم قدرته على التحرر من مركزيته الأورو ـ أميركية. في مقابل ترجمة المستشرقين التي كرّست مقولة "الشرق شرق والغرب غرب ولا يلتقيان"(سعيد، 2005، ص223) التي ولدت كل المقولات الزائفة عن شعوب العالم وهي مقولة مستمرة منذ الشاعر هوميروس إلى فولتير مرورا بماركس ومنتهية عند المستشرق "هاملتون جب" كما حدّد ادوارد سعيد ظاهرة الاستشراق بأنها وليدة شروط تاريخية معينة أو استجابة لمصالح وحاجات حيوية ناشئة وصاعدة، بل تأخذ شكل الإفراز الطبيعي العتيق والمستمر الذي ولده "العقل الغربي" المتعوّد بطبيعته، على إنتاج وإعادة إنتاج تصورات مشوّهة من واقع الشّعوب الأخرى ومحقرة لمجتمعاتها ولغاتها وديناتها في سبيل تأكيد ذاته والإعلاء من شأن تفوقه وقوته وسطوته، وكأنه يتصف بنزعة متأصلة لا يحيد عنها لتشويه الآخر /الشرق، وتزييف وجوده. كلّ ذلك بهدف تمجيد ذاته والإعلاء من شأنها وتأكيد "تفوّقها".

ومن ثمّة فإنّ الاستشراق هو كل ما وصلت إليه العلوم الإنسانية المتبلورة منذ القرن الثامن عشر في مجالات "علم اللغات التاريخي والدين المقارن للشعوب الشرقية" وتاريخ دياناته-بالمنهج التاريخاني - ثم الانثروبولوجيا الطبيعية ذات النزعة المركزية الأوربية الواضحة في استنتاجاته "العلموية" المتسرعة فكانت

نتائجها كارثية على هذه الشعوب المدروسة وعلى حضارتها وثقافاتها. وتزويرا لتاريخها ضمن عملية مقصودة ومنظمة وممنهجة، بدقة عالية، ما تزال ضلالها مخيّمة على العقول حتى اليوم.

II. الباب الثاني: أساليب صياغة العقول

بالقدر الذي تحالفت فيه القوى العالمية، والإمبريالية المتوحشّة طيلة عقود، من أجل تزييف الوعي الغربي من خلال ما بات يُعرف بالاستشراق ومرافقته ماديا ولوجيستيّا، والوصول به إلى أقصى جغرافيات الشرق، فإنّ سعيَ ماكينة الاستشراق إلى تحقيق أهدافهم كان يتطلّب منهم استعمال أكثر ما يمكن من الوسائل والأساليب. ونظرًا لأنّ المستشرقين في علاقة تفاعلية مع حركة المجتمع، فمن الواضح استعمالهم لنفس الوسائل والطرق المنتشرة في مجتمعاتهم، بالرّغم من أنّ مجالات الاستشراق قد تُلزمُ المستشرقين على استخدام وسائل وأساليب تناسب مجال عملهم وتناسب أهدافهم ودوافعهم. وفي هذا الصدد لم يترك الباحثون تفصيلا معرفيّا واحدا عن حياة الشرق وسكّانه، لم يدرسوه، ولم يخصصوا له مجالا من مجالات الدّراسات الاستشراقية، ولم يتخصّصوا فيها، بدءًا بالتعليم العالي، والحملات والمنظمات التي تُعنى بإنشاء المؤسسات العالميّة لتوجيه التّعليم والتثقيف وفق منظور استشراقي ركّز على عقد المؤتمرات والدورات التكوينيّة والدراسات والحوارات، واهتموا كذلك في ذات الصّدد بجمع المخطوطات وتحقيقها وترجمتها ونشرها، مع ضرورة إلزامها بالتّقديمات التي من شانها توجيه القارء حيثما يُراد تزييفه، أو الهوامش ذات النّزعة التوجيهيّة في صميم عملية التزييف من تغيير للحقائق وتكريس للأكاذيب، والتركيز على شرق جامد لا يتحرّك، عبارة عن صورة واحدة لا حياة فيها، وسوف نبرز في ما يلي أهمّ الأساليب والأسباب التي تقف خلفها للدعوة إلى الهيمنة وتزييف الوعي.

1. الأساليب الدّينية

تعتبر الأساليب الدّينيةالهدف الأوّل للدراسات الشرقية في بداياتها، وذلك منذ أن تعالت أصوات رجال الدّين تحذّر أتباعها بأن "الإسلام" اكتسح المناطق التي كانت للنصرانية، ودخول العديد من المسيحيين إلى الدين الإسلامي، كما أن رجال الدين خافوا على مكانتهم الاجتماعية والسياسية في العالم النصراني، فكان لزامًا عليهم التصدّي لهذا المعتقد الجديد، فقد كانت أولى الدّعوات إلى هذا الاتجاه في فترة مبكّرة من قبل رئيس دير كلونيCluny المشهور باسم بطرس المبجّل PotrusVen-erabilis (بدوي، 2003، ص107)، حيثُ دعا إلى ضرورة ترجمة القرآن، حيث كان طلب المعرفة بالإسلام وسيلة لحملات التنصير التي تم توجيهها متخذة بذلك أشكالا متعدّدة، فمنهم من كانوا في شكل بعثات رسمية، ومنهم من حاول الدخول عن طريق الجمعيّات الخيريّة، والمؤسسات التعليمية، وكذلك عن طريق البعثات الطبية، لقد مورست على الشرق العربي، كل أنواع التّنصير، بمختلف أساليب التحايل، ولعلّ ما

يوضّح المسألة بأكثر دقّة ما برّر به بطرس المبجّل دعوته لتفسير القرآن:"وهذا هو الشأن في العمل الذي أقوم به هنا، فإذا لم يكن بهذا الطريق إعادة المسلمين إلى المسيحيّة الصحيحة، فلا أقلّ من أن يستفيد العلماء المسيحيون من عملنا في مجال دعم إيمان المسيحيين السذّج الذين يمكن أن تضير هذه الصغائر عقيدتهم" (عمايرة، 1992، ص ص 28-29)، ولذلك فإن الكتابات الاستشراقية المتعلّقة بالتبشير، والمبكّرة كانت من النّوع المتعّصب والحاقد جداً حتى أنّ بعض الباحثين الغربيين في العصر الحاضر كتب نقداً عنيفاً لاستشراق العصور (الأوروبية) الوسطى من أمثال نورمان دانيال (Norman Daniel) في كتابه الإسلام والغرب.

جميع البحوث المنجزة على الشرق لم تتنصّل من النظرة الاستعلائية والتقزيمية المليئة بالغرور يفسّرها الشعور القوي بالتفوّق العسكري، لذلك كانت الحالة الواعية للمستشرقين هي عمليّة إخضاع الشرق للهيمنة والسلطة، للتأكيد على القوّة، من خلال صور للشرق ترزح في التخلّف والتنميط، بلهجة ساخرة يتم تصوير الحياة الشرقية، وبذهنية جامدة، ساكنة لا حياة فيها، يتم ارتهان المخيّلة الكولونيالية، حتى يخفت منسوب أي إضافة شرقية للإنسانيّة.

2. الأساليب الاقتصاديّة.

لقد ساهمت الدّراسات والبحوث التي قام بها الغرب حول الشرق في فتح المعابر للأسواق الأوروبية وجعلها تتمركز في كل النقاط الحساسة اقتصاديا وتجاريّا، حيث تركزت في الموانئ، وذلك لسهولة الشّحن، وتسهيل التواصل مع السكّان، وإدخالهم في عمليات التصدير والتوريد، ولكن بنسب أقل بكثير من واحد بالمائة، وتركزت كذلك في المناطق المنجميّة، من أجل المواد الأوّلية، وقامت بفتح الأسواق، ودعم الحركات التجاريّة، حيث تحوّل عدد من الباحثين الغربيين إلى بائعي أثار وتجّار ذهب وماس، ما ساهم في دعم وتحفيز الدّراسات الاستشراقية، بالدّعم والمساندة بكل الوسائل المادية والمعنويّة، وتوظيفها لخدمة هذا المجال، حيث يعتبر الوزير الفرنسي **بيانفوني مارتن** أثناء استعمار فرنسا للجزائر في مؤتمر للمستشرقين "لقد جعلتكم تطلعون على الجهود الفرنسيّة المتواصلة والمبذولة منذ نصف قرن، كي تبرز الثروات الطبيعيّة القيمة التي تحتويها الجزائر"(سرى، 2006، ص46) وبهدف معرفة الثّروات وتقييمها، كان دعم الدّراسات وتوجيهها للعالم العربي، استكمالا لما سبق من دراسات هدفها تزييف العقول، كشفت عن ما تحتويه هذه المناطق من ثروات طبيعية، يمكن الاستيلاء عليها، كما ذكّت الإغواء التجاري في هذه المناطق.

وبالإضافة إلى امتهان بعض الأوروبيين للبحث في "الشرق" بغاية العمل وكسب القوت، فهناك أيضاً "كثير من أصحاب المكتبات التّجارية والقائمين عليها، يشجعون نشر المؤلفات والكتب التي تدور

حول الإسلاميات والشرقيات، ويشرفون على نشرها لما يرون لها من سوق نافقة في أوربا وآسيا، وتنال هذه المؤلفات من القبول والإعجاب ما يجعلها عظيمة الانتشار كثيرة الذيوع، وهي ولا شك وسيلة لتجارة رابحة وكسب أموال خطيرة"(الندوي، 1983، ص 188).

لقد ساهمت عديد التّقارير الاقتصاديّة التي كانت تصدرها البنوك الغربيّة بصفة شهريّة متتابعة، في صُلب العملية الاستشراقية القائمة أساسا على تنميط صورة الشرق، حيث لم تقتصر على التقارير الاقتصادية التي كلف بها عدد من الباحثين في الدول العربيّة، حيث كانت تبرز الجوانب السياسية، والاجتماعية، وكذلك الثقافيّة للبلاد العربية الإسلامية (الذيبي، 2020).

3. الأساليب العلميّة.

يمثّل غياب المنهج العلمي الدّقيق في الدراسات الشرقية، وانحصاره على تبرير الهيمنة على الشّرق، وخلق ما يُعرف بالصراع الحضاري، ما من شأنه أن يوقف إمكانية التعارف الحضاري على أسس علمية وإنسانية، فغياب المنهج العلمي، وتعويضه بمناهج مسقطة، مبنية على التبرير والتشكيك، والانطلاق من نتائج سلبية ليوضع على بنائها مقدّمات، السبب الذي جعله منهجا تصادميّا مع الآخر، من حيث دراسة تفاعلاته المختلفة والمتنوّعة، ليس من باب الاحتكام لمنهج علمي موضوعي ومحايد حول خصائص ومميزات الشرق العربي، وإنّما بغاية استخراج نقاط الضعف، وتبويبها في خانة نمطيّة، مستضعفة وعاجزة.

لقد كانت الدراسات العلميّة موجّهة للشرق، لمعرفته، والوقوف على نقاط الضعف والقوّة، وفهم لهجاته، حتى يسهل التواصل وتسهل الهيمنة الثقافية بعد ذلك، ومدى معرفة نقاط الائتلاف والاختلاف في هذه المجتمعات، وفهم التركيبة الاجتماعيّة، دينيّا، عرقيًّا، جهويّا، طائفيّا، لاستغلال هذه المعلومات كلما استدعت الحاجة إلى ذلك.

لقد توجّهت الدّعوات الأوروبيّة التي تنشد النّهضة الحضارية والعلميّة إلى التوجّه إلى العلم، بالتّشجيع على دراسة لغات الشرق وآدابهم وحضارتهم، ولعلّ هذا ما يمكن أن نتبيّنه بأكثر وضوح من خلال المكتبة والعناوين التي ترجمها الأوروبيون، خاصّة وأنها شملت كل المجالات والعلوم والمعارف، ولم تترك تقريبًا مجالاً واحدًا كتب فيه العلماء المسلمين حتى درسوا هذه الكتابات وترجموا عنها، وأخذوا منها، وعملوا على دراسة كل ما توصّلت له البحوث العربيّة سواء في الكيمياء، الرياضيات، وعلم الفلك، والطبّ، والفلسفة، وغيرها من العلوم الصحيحة، فسارعوا إلى بناء المدارس والجامعات، التي استقدموا لها أساتذة عربا ومستشرقين يتقنون اللغة العربيّة، ونشأت بذلك في الغرب رغبة الاطّلاع على ما حققه العرب والمسلمون من مآثر حضارية حينما دخل العرب إسبانيا وصقليّة، ولم يكن دخولهم فتحًا لدولة أو جزيرة فحسب، بل إنّه الفتح كما قال المستشرق الفرنسي مسينيون Mesognon، يقظة حضاريّة في

أوروبّا، وفتح للغرب آفاقًا جديدة للتقدّم والرّقيّ، وقد كان حبّ الاستفادة من علوم العرب، وتفهم حقيقة دينهم باعثًا لدراسة شاملة للإسلام، وكان علماء أوروبا يحاولون الأخذ، والاستفادة ممّا أنجزه العرب من اكتشافات جديدة، وتجارب علميّة (سرى، 2006، ص43).

4. الأساليب السياسية.

لطالما كانت العلاقة بين الاستعمار والاستشراق علاقة مساندة لبعضهما البعض، فلا يمكن نجاح الواحد منهما دون نجاح الآخر، فهي عملية تكملة وامتداد استراتيجية بين ما هو استقرائي وبحثي، يوفّر المعلومات الدقيقة، عن المناطق التي يرغب الاستعمار العسكري في احتلالها واستفراغ ثرواتها لصالحه، سواء المعلومات الثقافية أو الدينية أو الاقتصادية أو الاجتماعيّة، لهذا استند الاستعمار أساسًا على الدراسات التي قدمها الباحثون قبل وأثناء غزوهم للبلاد العربيّة والإسلامية، ولعل الأموال الكثيرة التي كان ساسة المستعمرين يضعونها تحت تصرّف كتّائب الباحثين سواء في رحلاتهم أو بحوثهم الفرديّة ما يحتاجونه من مال أو جهد أو استشارة (حداد، 2004، ص202)،حيث لم تتحرّك الأساطيل العسكريّة دون الارتكاز على ما كتبه المستشرقون في كلّ الفترات والأزمنة، فقد مهّدت هذه الدّراسات لنجاح المخطّطات الكولونياليّة، من حيث دراسة هذه الدّول ومعرفة طرق التعامل معها، وبين أفراد مجتمعاتها، وإظهار الحضارة العربيّة والإسلاميّة بمظهر الرجعي المتخلّف، من خلال مقارنتها بالحضارة الغربيّة، تأكيدا على ضرورة دور الهيمنة الغربي لتعزيز الصورة النمطية لدى الشعب العربي في الشرق الأوسط، والعمل على تهيئته لمدى قابلية الاستعمار، الذي اختارت له بعض الدول مصطلحات أقلّ حدّة من مصطلح الاستعمار، حيث أطلقت فرنسا على مُستعمراتها حملات "حماية" .

تم العمل على ضرورة خدمة الاستشراق للاستعمار، وضرورة توظيفه أحسن توظيف، فالغايات العميقة تبرّر كل الدوافع "لنا دافعان يجبراننا على أن نركّز اهتماما جديرا فيما يتعلّق بالدّراسات العربيّة، فالأوّل ذو مصلحة أدبيّة وتاريخيّة، والأخر سياسية واقتصاديّة، أي مصلحة توسّعيّة هدفها تكوين مجد" .(Guillen Dei ,1881 , P30)

لقد ساعد التشجيع على الدراسات الشرقية بغايات التوسع العسكري وتعزيز النفوذ السياسي والاقتصادي، الحكومات على توظيف باحثين مختصين في الشرق، بمبالغ كبيرة، شرط أن يكون هذا الموظّف خبيرا باللغة والعادات الاجتماعية والثقافية للمنطقة التي سيرسلونه إليها، وعلى دراية تامة بكل طرقها ومسالكها، بالتالي ركّزت دول على عديدة على أهميّة دور هؤلاء الباحثين، لذلك لم تتوانى في إعطائهم وظائف هامة وكبيرة سواء سياسية كالقناصل والدبلوماسيين، أو ناطقين رسميين بأسماء دولهم في

تلك المناطق، كما أنّ هنالك عددا آخر تم توظيفه بالمؤسسة العسكرية فكانوا قادة ميدانيين، أو مساعدين لهم.

من جهة أخرى كان للاستعمار الغربي على الشرق دور هامٌّ في تعزيز دور الدراسات الشرقية، حيث "تواكبت مرحلة التقدّم الضّخم في مؤسّسات الاستشراق، وفي مضمونه، مع مرحلة التوسّع الأوروبي في الشرق"(زقزوق، 1987، ص60)، لأنّ نجاح الاستعمار التوسّعي قد استفاد كثيرا من هذه البحوث والدراسات، فعمل على تغذيتها والرفع من قيمتها، فالأساليب الاستعمارية في العصر الحديث لا يمكن إبعادها عن الأساليبالاستشراقية، حيث أن كلاهما تواصل للآخر.

5. الأساليب الثقافية

من أجل احكام تزييف الوعي سعى الغرب إلى نشر ثقافته انطلاقاً من النظرة الاستعلائية التي روّج لها طيلة قرون، و يعدّ نشر اللغات الأوروبية ومحاربة لغات الشرق من أبرز المجالات الثقافية التي ركز عليها، كما سعى إلى العمل على تغيير طابع البلاد العربية والإسلامية بالطابع الثقافي الغربي، وقد عمل على الحقل الثقافي بطريقة ذكيّة وفاعلة، تتجلى هذه الفاعليّة خاصّة في تأسيس المعاهد العلمية، والتنصيرية في أنحاء العالم الإسلامي، وذلك بهدف نشر ثقافته وفكره من خلال الطلاب الذين سيدرسون في المدارس الغربيّة، حيث ستكون لعبة الانبهار نافذة صلبة لتمرير طبائع وطرق تفكير تجعل الطالب يتبنّاها ويدافع عنها فيما بعد، على اعتبار أنها تمثّل التحضّر الإنساني الغربي، ضديدا للتخلف المنتشر في المحيط الاجتماعي العربي. ومن بين أهم هذه الأمثلة على الاطلاق المثال المصري إبان حملة نابليون والمثال الجزائري أيام الاستعمار العكسري للجزائر، حيث فكّر نابليون في ضرورة معرفة الجوانب الثقافيّة لتسهيل السيطرة، حينما طلب ممَّن يمثله على مصر أن يبعث إليه بخمسمائة من المشايخ، ورؤساء القبائل ليعيشوا في فرنسا مدة من الزمن ليشاهدوا، ويشهدوا بعظمة الأمّة الفرنسيّة، ويعتادون على تقاليدها ولغتها، ولما يعودون إلى مصر، يكون لنا منهم حزب يضم إليه غيرهم. أما إن استطاعوا احتلال البلد المسلم فلا مَناص من كشف النّقاب عن أهدافهم، والسّعي لتحقيقها، وكذلك أو بطريقة أبشع يمكن ذكر الاستعمار الفرنسي للجزائر، حيث استطاع بالقوّة أن يفرض لُغته على كثير من المثقّفين من الجزائر وشمال افريقيّة، خاصّة ما ذكره "لويس ماسينيون" في مجمل مؤلّفاته بغاية خلق شرخ في المجتمع الجزائريّ، من حيث اللعب على التناقضات اللغوية والدينية والعرقية، كمسألة التصوّف، وزرع الأباطيل والخرافات التي لا يقبلها العقل، ومحاولة منه خلق طرفين في الصراع المفترض الاشتغال عليه، حيث كان الاهتمام الثقافي يتجلى عنده في جعل الجزائريين يصدّقون أنهم مجتمع منقسم ثقافيا إلى قسمين، قسمٌ متمسّك بالعادات والتقاليد البالية، في إطار نظرة دينية منغلقة، وقسمٌ أخر على النقيض تماما، يؤمن بالحداثة

وبضرورة تحديث المجتمع وإخراجه من مساحة التخلّف التي تلتبس به منذ قرون، هذه المجموعة أيضا تتبنى فكرة أن الإسلام كدين هو ليس إلا جملة خرافات وأساطير تجاوزها الزّمن، ونلاحظ هنا الدور الذي يلعبه الاستشراق في تقسيم المجتمعات، بعمله على المسألة الثقافيّة، وعلى عكس السابق، فإنّ تطوّر الاستشراق عبر الزّمن جعله يطّور من آلياته، ويخرج الصراع بمفهومه الاستشراقي من مجرّد صراع خارجي بين غرب مُستعمِر وشرق مُستَعمَر، إلى صراع شرقي شرقي، حيث قام الاستشراق بالعمل على المسائل الثقافيّة بعمق، وبطرق ماكرة للاستحواذ على العقول، ما خلق بذلك مجتمعين اثنين داخل المجتمع الواحد، ولعلّ الغزو الثقافي مرّ بمراحل متتالية، ومتسارعة، ومتماسكة، حيث بدأ بالتركيز على التعليم من حيث المناهج والمواد العلميّة الخاصّة بالتدريس، هذا ولعبت وسائل الإعلام دورا كبيرا في التأثير على المجتمعات الشرقيّة، من حيث بداية انتشار التلفاز وظهور الأفلام والسينما في بلدان الشرق العربي، ومنذ أن بدأت موجة من مثقفي الشرق تدعوا إلى التعامل باللهجات العاميّة والتخلي عن اللغة العربيّة، ومن أبرز ما يمكن أن نلاحظه عنهم أنهم يتميزون بالإصرار والعمل الجاد في مختلف نشاطاتهم مثل التأليف وعقد الندوات والمؤتمرات والمحاضرات والرحلة في طلب العلم. وهم لا يتورعون عن "الخداع والكذب" في بعض الأحيان إذا احتاج المستشرق إلى استخدام مثل هذه الأساليب لتحقيق أهدافه ولاسيما أولئك الذين يتولون منصب "المستشار" لبعض المسؤولين العرب، وكذلك في حالة الإشراف على الطلبة العرب في الجامعات الأوربية والأمريكية.

لم يكن الفن الأوروبي بمعزل عن حركة الاستشراق، إذ كان التأثير واضحا من خلال عديد العمال الفنيّة التي جعلت الشرق عامّة موضوعها الحديث والسحري والطريف، فتميّزت الأعمال برائحة الشرق وعوالمه، لكنها لم تتحرّر فنيّا بل طبّقت النظريات الإستشراقية الصورة التي روّجتها هذه المدارس ثقافيا على الشرق، وهو ما بيّن مدى تأثّر الطبقة المثقفة من الفنّانين بالصّور الاستشراقية وقد غلبة الموضوع الشرقي الصيني والهندي في المدرسة الرومانسية الإنكليزية والألمانية، بينما غلب الموضوع الشرقي الإسلامي على المدرسة الفرنسية.

إن هذا التطور التصاعدي في تدعيم نفوذ فرنسا السياسي والاقتصادي والعسكري والثقافي في هذه المنطقة من الشرق، كان سبباً مباشراً في انفتاح أبواب الشرق الإسلامي أمام محافل الفنّانين والأدباء والدّبلوماسيّين، والعلماء، والرحالة، والتجار، والإرساليات الفرنسية. فقد زار الشرق في النصف الأول من القرن التاسع عشر حوالي مائة وخمسون فناناً فرنسياً، لم يكن إسهامهم في تطوير الاستشراق متساوياً، كما أنّ الاستشراق لم يحتل موقعاً متوازياً في إبداع كلّ منهم، إذ شكل الاستشراق تياراً أساسياً داخل الحركة الفنية التشكيلية الفرنسية استقطب غالبية فنانيها، كما أنّه أدّى إلى إكساب الاستشراق الرومانسي

الفرنسي سمته الشرقية الإسلامية خلافاً للمدارس الرومانسية الأوروبية الباقية ، نظراً لغلبة الموضوع الشرقي الإسلامي في الفن الفرنسي وازدهاره ضمن الخط التصاعدي ذاته لازدهار النفوذ الفرنسي في الشرق الإسلامي.

6. الأساليب الفكريّة

يمكننا أن نبدأ بتعريف التيّارات الفكرية المعاصرة بأنّها المذاهب التي يتخذها مجموعة من الناس ويعتنقوها ويسعون إلى نشرها وترويجها بكل الوسائل المتاحة لهم. ولهذه المذاهب أدبياتها وأعلامها ومصادرها ومناهجها. وقد تكون هذه التيارات فلسفية أو اجتماعية أو دينية. ولعل من المذاهب الفكرية المعاصرة التي اتفقت معظم الكتب في دراستها: الوجودية، والبهائية، والقاديانية (تأسست الطائفة القاديانية عام 1889 على يد زعيم ديني هندي من أصل فارسي يدعى ميرزا غلام أحمد القادياني)، والشيوعية، والاشتراكية، والرأسمالية، والبنيوية وغيرها.

انطلق الاستشراق من فكرة واحدة إنما هي فكرة الغزو الاستعماري والعقائدي " بقصد التمكين للحضارة الغربية المسيحية المادية من السيطرة على الحضارات الشرقية، وإلغاء دورها في الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية وتشكيك سكان الشرق بدينهم ومحاولة إبعادهم عنه." (الوزّان، 1984، ص197)، حيث سيعتمد الاستعمار على الجانب الفكري، وخاصّة القوى الناعمة التي سيغذيها ويخدّرها فكريّا من أجل تذويب الحركات المناهضة للاستعمار، والقوى الوطنية الواعية في البلاد المستعمرَة.

لم يتوقّف المّد الاستعماري على القوة العسكرية فقط، بل حاول السيطرة على الأفكار وتوجيهها وتغييرها، وجعلها متعاونة مع الاستعمار إيمانا بأنه المنقذ من التخلفّ والمساعد على الالتحاق بركب الحضارة، وهو نفس ما حدث مع المثال المصري إبان حملة بونابرت، حيث ركّز الاستشراق في حربه الفكرية على الأفكار الوطنية التي تؤمن بها الشعوب المستعمرَةُ، بوسائل ملائمة وأكثر مرونة، وإغراءً، مستعينا بقراءات نفسية لشعوب الشرق العربي، حيث يتولى مختصّون في دراسة الأفكار برصد يومي لكل الخريطة العربيّة، وتصدر عنهم خطط حربية وتوجيهات علمية تنبني أساسا على معرفة دقيقة لنفسية الشعوب المستعمَرةُ، تساعد هذه المعرفة والدراسة الدقيقة لنفسية هذه الشعوب على الاستعداد للمواجهة بالطريقة الأنسب والانجع للتصدّي للحركات النضالية الواعية حيث يستخدمُ "الفكرة المتجسّدة في مستوى الطبقة المثقّفة، فيقدّم للمثقفين شعارات سياسيّة تسدّ منافذ إدراكهم إزاء الفكرة المجرّدة" (ابن نبيّ، 1981، ص17).

تتمظهر صور تزييف الوعي الفكري في الأعمال الأدبية بصورة أكثر دقّة، حيث يعتبر إدوارد سعيد في كتابه الثقافة والإمبريالية كتابات ألبير كامو نتويجا واضحا للتأثير الفكري للمدراس الاستشراقية على كاتب ومفكر أصوله من بلدٍ مستعمَرٍ، ويقيم في بلد مستعمِرٍ لبلده الأصلي، حيث يستغرب سعيد كيف تحضر الجزائر جغرافيا إطارا لكل الروايات والسرديات لألبير كامو، في كتابه "الغريب 1942، والطاعون 1974، والمنفى والملكوت 1975"(سعيد، 2004، ص230)، في حين أنّ القراءات التّأويلية لمجمل هذه الأعمال ترى أن كامو استدعى الجزائر جغرافيا في أعماله كجزء أو مقاطعة من أرض فرنسا الممتدّة، وأسقط عنها كل أحقيتها التاريخية كجغرافيا شعب له أصوله ومميزاته الاجتماعية، ويعتبر إدوارد سعيد أن ألبير كامو يؤمن بأن حركات التحرّر الجزائرية ليست إلاّ " تأويلا ترابطيّا تعادليّا، سيتمثّل في تأويلها بوصفها تدخّلات في تاريخ الجهود الفرنسية في الجزائر، لجعل الجزائر فرنسية والإبقاء عليها فرنسيّة" (سعيد، 2004، ص230)، ومن هنا نفهم القدرة العميقة للسيطرة في الأفكار عن طريق الأفكار، حيث يتنبى ألبير كامو احتلال بلاده الجزائر "وبالمعارضة الصريحة المباشرة لاستقلال الجزائر" (سعيد، 2004، ص230).

الخاتمة

لقد سعت الماكينة الدعائية الغربية إلى العمل على تزييف وعي شعوبها من أجل دعمها في عملياتها العسكرية فيما بعد، وكذلك لعبت على تزييف وعي سكان الشرق وجعلت بعضهم جاهزا لقابلية الاستعمار من باب الشعور بالنقص والفوارق التي صنعتها المركزية الغربية لنفسها وأقنعت بها شعوبها وشعوب الشرق على حد سواء، لذلك جاء ترتيب الأساليب حسب الأولويات، وحسب التدرّج المنطقي والعلمي والنّفسي أيضا لنجاح الأهداف وتحقيق الغايات، حيث يتمّ تشكيل المنظومة المعرفية الأوروبيّة حول المستعمَر الذي ينبني أساسًا على علاقات القوة، فالذي يمتلك المعرفة هو المُهيمن، وعليه قامت القوى الاستعمارية بتعريف ماهية الدول المستعمَرة وفقا لمنظومتها المَعرفية وخدمة لأهدافها الكولونيالية، فشوهت صورة الشرقي في كل ثقافاته من خلال الدراسات الاستشراقية التي كانت تنظيرا إيديولوجيا للممارسات الكولونيالية، فقد حوّل الاستشراق الشرقَ إلى أرضٍ لا يمكن لها أن تتواصل دون عنف، وهو ما يحتمّ على المركزية الأوروبية استعماره ضمانا للسيطرة عليه،ولعل إدوارد سعيد قد تفطّن من خلال بحثه في ملفات أركيولوجية تعود إلى جذور الاستشراق ليثبتَ الرغبة الغربية في السيطرة والتوسع والكولونيالية.

لقد سعت الدول الغربية إلى هيمنتها على الشرق بكل تفاصيله، مستندة في ذلك على إستراتيجية عميقة، ساهمت في خلق مثقف عاجز عن تحقيق خطاب مضاد، وعاجز عن تقديم بدائل، بإمكانها

القضاء على بعض الإشكاليات المحلية أي مثقف لا يملك نظرة مستقبلية جيوسياسية باستثناء البعض منهم قد تمّ نفيهم بسبب مواقفهم المضادة، أو هاجروا إلى بلدان بإمكانها استيعاب مواقفهم الثائرة على كل أشكال الجمود والتخلف الفكري الذي صبغ بلدانهم، ولذلك يعتبرهم البعض "وعيا ملحقا" في فضاء مختلف عن الفضاء المحلي الذي بكلهم وبالتالي فهم بين فضاءين مختلفين، فضاء يحمل خطابات إمبريالية تعتمد على إعادة تمثيل الآخر وفق ميولاتها، وبين فضائه الخاص المحلي الذي يحمل هويته وشرقه الذي رسم في شكل صورة مغلوطة خاصة من خلال الدراسات الاستشراقية التي تعدّ المهاد النظري للاستعمار إذ اعتبر البعض أن الاستعمار يحمل: "مهمة مزدوجة الأولى تدميرية والثانية توليدية، إزالة المجتمع القديم ووضع الأسس المادية للمجتمع الغربي" (مرشو، 2001، ص53).

المصادر والمراجع

❖ **باللغة العربية:**

- أحمد مجدي، نظرية الصراع الاجتماعي لكارل ماركس، موقع مكتبتك، منشور بتاريخ 14-11-2018.
- أحمد محمد، مراجعة كتاب معذبو الأرض لفرانز فانون، موقع المحطة، منشور بتاريخ 10-10-2017.
- إدوارد سعيد، الاستشراق. المعرفة-السلطة-الإنشاء، ترجمة كمال أبو ديب، مؤسسة الأبحاث العربيّة، بيروت، ط7، 2005.
- إدوارد سعيد، الثقافة والامبريالية، ترجمة كمال أبو ديب، دار الآداب، بيروت، ط3، 2004.
- إسماعيل أحمد عمايرة، المستشرقون وتاريخ صلتهم بالعربيّة: بحث في الجذور التاريخية للظاهرة الإستشراقية، دار حُنين للنشر والتوزيع وخدمات الطباعة، عمّان ، ط2، 1992.
- ثامر سباعنة، نظرية الصراع لدى كارل ماركس، موقع صحيفة العربي الجديد، 02-04-2020.
- 1983.
- سامي الذيبي، "الاستشراق والهيمنة على الشرق العربي: الاستشراق الكولونيالي مثالا"، أطروحة دكتوراه في علم الاجتماع الثقافي- اختصاص العلوم الثقافية بالمعهد العالي للتنشيط الشبابي والثقافي ببئر الباي تونس2020.
- سامي الذيبي، مقال: فرانز فانون: أنسنية الثائر المارتينيكي، موقع الشجرة، منشور بتاريخ 09-05-2013.
- شيخنا محمد عمّو، مقال: متى ستنتهي مواجع معذبو الأرض، موقع إسلام أون لاين.

- طارق سرى، المستشرقون ومنهج التزوير والتلفيق في التراث الإسلامي، مكتبة النّافذة، ط1، 2006.
- عادل عامر، تزييف الوعي وأثره علي أمن المجتمع وترابطه الاجتماعي، موقع صنعاء نيوز، 05-أوت-2022.
- عبد الرحمان بدوي، موسوعة المستشرقين، المؤسسة العربيّة للدّراسات والنّشر، بيروت2003.
- عبد الله العروي، مفهوم الإيديولوجيا، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، ط6، 1999، ص127.
- عدنان محمد الوزان، الاستراق والمسترقون: وجهة نظر، مكة المكرمة: رابطة العالم الإسلامي ، سلسلة دعوة الحق ، س3 عدد14 ، جانفي 1984.
- عمر أوكان، مدخل لدراسة النص والسلطة، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، 1994.
- غريغوار منصور مرشو، نحن والآخر، دار الفكر المعاصر، ط1، سبتمبر2001.
- فرانز فانون، معذبو الأرض، ترجمة سامي الدروبي وجمال الأتاسي، موفم للنشر، الجزائر 2007.
- لطفي حداد، الإسلام بعيون مسيحية، الدار العربية للعلوم، بيروت، ط1، 2004.
- مالك بن نبي، الصراع الفكري في البلاد المستعمَرة، دار الفكر، دمشق، 1981.
- محمد حمدي زقزوق، الإسلام في تصورات الغرب، مكتبة وهبة، القاهرة، ط1، 1987.
- محمد سيّد أحمد، مقال: أجهزة تزييف الوعي في ثوبها الجديد، موقع صحيفة البناء المصرية.
- محمود أمين العالم، الوعي والوعي الزائف في الفكر العربي المعاصر، دار الثقافة الجديدة، سنة 1988.
- مصطفى هشام، مقال: ما وراء الاستشراق: من فوكو إلى إدوارد سعيد، موقع معهد العالم للدراسات في أسئلة الواقع وإجاباته.
- ميشيل فوكو ، تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكيّ ،ترجمة سعيد بنكراد، المركز الثقافي العربيّ.
- ميشيل فوكو، المراقبة والمعاقبة، ترجمة علي المقلّد، مركز الإنماء القومي، بيروت ، 1990.
- نجيب العقيقي، المستشرقون، دار المعارف، القاهرة، ط3، سنة 1964.
- (الندوي) أبو الحسن علي الحسني، الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية في الأقطار الإسلامية، دار القلم - ط4 ، الكويت.

❖ المراجع الأجنبيّة

- Pierre le Vénérable, abbé de Cluny , Avertissement aux prieurs de Longpont Vers 1150.
- Robles ,Guillen Dei ,EtatactuelDesetudes arabes en Espagne-Verhanlungen des fuflenInternationalenorientalisten-Clnvess Berlin-1881.

الويبوغرافيا

- http://alaalam.org/ar/society-and-culture-ar/item/611-681111217
- http://sahafatak.net/show3450815.html
- http://www.corpusetampois.com/cls-12-pierrelevenerable1150longpont.html
- https://echajara.wordpress.com/2013/09/05/%D8%A3%D9%86%D8%B3%D9%86%D9%8A%D9%91%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%AB%D9%91%D8%A7%D8%A6%D8%B1-%D8%A7%D9%84%D9%85%D8%A7%D8%B1%D8%AA%D9%8A%D9%86%D9%8A%D9%83%D9%8A/
- https://elmahatta.com/%D9%83%D8%AA%D8%A7%D8%A8-%D9%85%D8%B9%D8%B0%D8%A8%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D8%B6-%D9%81%D8%B1%D8%A7%D9%86%D8%B2-%D9%81%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86/
- https://islamonline.net/%D9%85%D8%B9%D8%B0%D8%A8%D9%88-%D8%A7%D9%84%D8%A3%D8%B1%D8%B6/
- https://www.alaraby.co.uk/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%B1%D8%A7%D8%B9-%D9%84%D8%AF%D9%89-%D9%83%D8%A7%D8%B1%D9%84-%D9%85%D8%A7%D8%B1%D9%83%D8%B3
- https://www.al-binaa.com/archives/article/176582

- https://www.aljazeera.net/culture/2022/6/13/%D9%8A%D8%AC%D8%A8-%D8%A3%D9%86-%D9%86%D8%AC%D8%AF-%D8%B4%D9%8A%D8%A6%D9%8B%D8%A7-%D9%85%D8%AE%D8%AA%D9%84%D9%81%D9%8B%D8%A7-%D9%81%D8%B1%D8%A7%D9%86%D8%AA%D8%B2-%D9%81%D8%A7%D9%86%D9%88%D9%86

- https://www.maktabtk.com/blog/post/134/%D9%86%D8%B8%D8%B1%D9%8A%D8%A9-%D8%A7%D9%84%D8%B5%D8%B1%D8%A7%D8%B9-%D8%A7%D9%84%D8%A7%D8%AC%D8%AA%D9%85%D8%A7%D8%B9%D9%8A-%D9%84%D9%83%D8%A7%D8%B1%D9%84-%D9%85%D8%A7%D8%B1%D9%83%D8%B3.html

البحث العلميّ في ظل التطور التكنولوجي

Scientific research in light of technological development

فاطمة عبد الرّحمن /أستاذ التّعليم العاليّ
د. رشيدة عابد
جامعة حسيبة بن بوعلي – الشّلف- الجزائر-
الإيميل: fatima.1977@hotmail.fr

ملخص :

دأبت الدراسات الحديثة منذ أن تشكلت إلى تحقيق إنجازات عظيمة على المستويين النظري والتطبيقي ، لاسيّما بعد ولوج مجامعنا اللّغويّة في مسار التقدم التكنولوجيّ ، وازدادت أهمية استخدام التكنولوجيا وتوظيف التقنيات الحديثة في مجال التعليم العالي لمسايرة ومواكبة العصر واستثمار الأبحاث العلميّة في خدمة اللغّة العربيّة وترقيتها ، حيث قامت هذه الأخيرة بتغير أهدافه ومجالاته وطرقه وأصبحت تلعب الدور الأساسي في رفع جودة المنظومة التعليميّة والبحثيّة ، الأمر الذي يشغل الباحثين هو توظيف التقنيات التكنولوجية في سبيل تيسير إعداد الأبحاث العلميّة بما يخدم الباحثين من جهة ، ومن جهة أخرى مسايرة التقدم التكنولوجي وإخراج الطالب من النمطية التقليديّة بالاعتماد على قراءة الكتب الورقية، والبحث في رفوف المكتبات إلى الرقمنة بالاعتماد على الطريقة الحديثة باستعمال التقنيات الرقمية عن طريق الكتاب الإلكتروني من أجل تشجيع البحث العلميّ وتحسينه . فالبحث فرصة جوهرية للباحث أو الطالب لإثبات وجوده العلميّ والفكريّ على صعيد العلم والمعرفة ، والحصول على الدرجة العلميّة التي يسعى في الوصول إليها

والإشكال الذي يمكن طرحه: كيف تسهم التقنيات الحديثة في ترقية البحث العلميّ؟

الكلمات المفتاحية: البحث، التكنولوجيا، التعليم الإلكتروني، التطور.

Summary:

Since its formation, modern studies have been making great achievements at the theoretical and applied levels, especially after the entry of our linguistic academies in the path of technological progress, and the importance of using technology and employing modern technologies in the field of higher education has increased to keep pace with the times and invest scientific research in the service and promotion of the Arabic language, as the latter has changed its goals, fields and methods and has become the primary role in raising the quality of the educational and research system, which preoccupies researchers is the employment of technological techniques In order to facilitate the preparation of scientific research to serve researchers on the one hand, and on the other hand to keep pace with technological progress and get the student out of the traditional stereotype by relying on reading paper books, and searching in library shelves to digitization by relying on the modern method using digital technologies through the e-book in order to encourage and improve scientific research. Research is an essential opportunity for the researcher or student to prove his scientific and intellectual existence at the level of science and knowledge. And obtain the degree he seeks to reach

And the problem that can be raised: How do modern technologies contribute to the promotion of scientific research?

Keywords: research, technology, e-learning, development.

.

1- مفهوم تكنولوجيا المعلومات :

تعرّف تكنولوجيا المعلومات بأنها مجموعة الوسائل ومختلف الأدوات التكنولوجية والهندسية المستعملة في تشغيل ونقل وتخزين المعلومات والبيانات على شكل ملفات إلكترونية (عدنان عواد الشوابكة، 2011م، ص 173).

2 - مفهوم البحث العلمي:

أ- لغة:

بحث: الباء والحاء والثاء أصل واحد يدل على إثارة الشيء قال الخليل: البحث طلبك الشيء في التراب، والبحث أن تسأل عن شيء وتستخبر (ابن فارس،2001م،ص: 99)، والبحث في اللغة هو التمحص والتفتيش، أي بذل الجهد في موضوع ما وفي المسائل المتعلقة به ومنه البحث العلمي ويطلق على الشخص المحب للبحث اسم الباحث (مهدي فضل الله،1998م، ص: 12).

يتبين لنا من خلال هذا المفهوم أن البحث في اللغة هو من أصل الجذر الثلاثي بحث من المادة الصوتية الباء والحاء والثاء والذي يعني السؤال والاستخبار عن شيء وكما يعني التفتيش.

ب- اصطلاحا:

إن شأن البحث العلمي شأن كافة المعارف الأخرى فله مثلما لغيره تعريفات كثيرة ولكن وفق لمنهجنا في انتقاء ما يقع عليه الإجماع فإن تعريف البحث العلمي هو دراسة لمشكلة ما تحتوي إمكانية المناقشة والبحث هدفها الوصول إلى إيجاد حل أو عدة حلول عبر اختبارات عميقة لفرض أو عدة فروض وذلك عن طريق استخدام أشمل لمنهج يحقق في جميع الشواهد التي يمكن التحقق منها والتي تقبل في النهاية التعميم (أمين ساعاتي، 1999م ص: 20).

والمعنى من هذا المفهوم أن البحث العلمي في الاصطلاح هو البحث في مسألة من المسائل في الحياة بغرض دراسة المشكلة والبحث حن حلول لها وذلك عن طريق إتباع منهج معين.

- صفات الباحث الخلقية:

1- الصبر و الأناة :

أول الصفات التي يفضل أن يتحلى بها الباحث الصبر ومن دون الصبر لا يسعه أن يبحث عن لفظ معقد مرّ به ولا أن يمعّن الفكر في بيت يثقل فهمه على المطالع العادي، ولا أن يتهيأ له الوصول إلى التعريف

بقلم غير مبذول في المظان، وأما الأناة تتبع الصبر فيها يتمكن الباحث من فهرسة بحثه وترتيب قوافيه (محمد التونجي، 1995م، ص: 43).

وعليه فإن الصبر أجمل صفة يتصف بها الباحث فعليه تحمل المشقة لطلب العلم من أجل الوصول إلى هدفه وتطور بحثه.

2- التجريد عن الهوى:

ومعناه أن يجرد نفسه وعقله تجريدا كليا من كل ميل أو هوى فلا يميل مع عاطفته ولا أهوائه ولا يتعصب لرأي دون آخر بمعنى أن يكون حياديا يزن كل شيء بميزان العقل وقياسه فقط (مهدي فضل الله، 1998م ، ص: 33)، وكما عليه الابتعاد عن الانفعال فالشخصية المنفعلة أو الانفعالية تجعل للبحث مردود سلبي وتعيق التفكير بشكل منتظم وسلبي (منى توكل السيد، ص:17).

ومنه فيجب على الباحث أن يكون موضوعيا أثناء بحثه ،وأن يتجرد من الذاتية والابتعاد عن العاطفة حسب ما يقتضيه البحث.

3- الأمانة العلمية:

ومن صفات الباحث الأمانة العلمية و بها ينقل آراء الأدباء والعلماء ويعزوها إلى أصحابها بأمانة وصدق فكثيرا ما نلتقي باحث يتلقف آراء العلماء ولا ينسبها إلى أصحابها بحجة الخجل من ذكر أسماء أصحابها لكثرتهم في رأيه أو حتى يبين أن له أراء جيدة في بحثه وما درى أن التأليف إنما هو جمع أراء الآخرين بتنسيق ومحاكمتها محاكمة عقلية والوصول من وراء ذلك إلى أحكام شخصية نهائية أو أشبه بالنهائية (محمد التونجي، 1995م، ص: 43).

فالأمانة العلمية من المبادئ الأساسية في البحث العلمي؛ فالباحث عليه أن يكون أمينا أثناء نقله الأفكار لأن الأمانة العلمية من جدّيات البحث الأكاديمي، وأن يكون دقيقا في اقتباسه للمعلومات.

4- الالتزام بالاقتباس والتوثيق العلمي:

يعد الاقتباس دليلا على القراءة الواسعة للباحث والمعرفة التامة بالأفكار والبحوث القديمة والحديثة مما يؤهل الباحث لاكتساب ثقة القارئ والاطمئنان لأفكاره وآرائه، وتأخذ الاقتباسات التي يأخذها الباحث من المصادر والمراجع المختلفة أشكالا عدة فقد يأخذ نص الأفكار والآراء الواردة في المصدر

الأصلي، وفي هذه الحالة يأخذ النص ويضعه داخل علامة التنصيص المزدوجة ويضع في نهايتها رقما يحيل به القارئ إلى المصدر الأصلي (محمد منير حجاب، ص: 94).

وأما التوثيق فمن المتطلبات الأساسية للبحث العلمي وهو استخدام الهوامش وهو أمر لا يخلو منه أي بحث أكاديمي لما له من مهام علمية عديدة فهي تفيد الإشارة إلى المصدر أو المرجع الذي اقتبس منه الباحث النص أو الفكرة المذكورة في المتن أعلاه (حمد منير حجاب، ص: 94).

وعليه فإن على الباحث الاطلاع على الطرق الأساسية لاقتباس المعلومات وتوثيقها عن طريق إتباع منهجية علمية حتى يكون بحثه بحثا أكاديميا ممنهجا وإذا خلا البحث من هذه المنهجية فدون شك سيصبح بحثه دون فائدة.

5- التواضع العلمي:

ومعناه أن يكون متواضعا في اجتهاداته الشخصية وما يسوقه من أراء متوهما أسبقيته في ذلك مما يحتم عليه ازدراء أي رأي مخالف لرأيه وعدم السخرية أو الاستخفاف من أي فكرة يرى فيها خطأ حتى ولو كان ذلك حاصلا بالفعل (مهدي فضل الله، 1998م، ص: 32).

يتطلب البحث العلمي التواضع العلمي وعدم التكبر والسخرية من أراء الآخرين حتى وإن كان هو على صواب وهم على خطأ.

6- احترام الملكية الفردية:

ومن مظاهر الأمانة العلمية فلا ينسب الباحث ما لغيره لنفسه بل عليه أن يبين صاحب ذلك الرأي (منى توكل السيد، ص:17)، وهذا ما يطلق عليه بالاستقامة والنزاهة بحيث تقتضي من الباحث النزاهة العلمية وسلوك الطرق القومية للوصول إلى هدفه وغايته لأن سلوك الطرق غير الشريفة لا تخفى على الأستاذ المشرف ولا أعضاء لجنة المناقشة يوم الامتحان وتوقعه في مآزق حرج هو بغنى عنه ولذا فإن عليه الآتي:

1- ألا يسرق جهد غيره ممن خاضوا في موضوعه منذ زمن بعيد ولاسيما في اللغات الأجنبية واسمهم غير معروف، لأن ذلك يعرضه للملامة والمهانة، ويجعله منبوذا من قبل كل الأساتذة المشرفين، وقد يتعرض للفصل أو الطرد من قبل الإدارة.

2- ألا يقتبس عن غيره دون الإشارة إلى ذلك أي دون توثيق متذرعا عند السؤال بالنسيان أو بوضع الملامة على الآلة الكاتبة، أو القائم على النسخ والطباعة لأن ذلك لن يعفيه من المسؤولية المتأتية بسوء النية وخيانة الأمانة العلمية والابتعاد عن الموضوعية (مهدي فضل الله، 1998م، ص: 34).

احترام الملكية الفردية هي صفة أخرى من صفات الباحث فكلما امتاز بها إلاّ وقد تحصلت فيه النزاهة العلمية فبغياب الأمانة العلمية يؤدي إلى عدم تطور باقي العلوم وينعكس عليها بالسلب.

3- البحث العلميّ في ظل التطور التكنولوجي :

إنّ تقدم الأمم والحضارات يرجع إلى اهتمامهم بتطوير البحث العلميّ والعناية بنتائجه وتطبيقاته ، فأهميته تتطلب ضرورة إعطاء الأولوية لمراكزه ومؤسساته البحثيّة كالجامعات ومراكز الأبحاث والدراسات وتظهر مزايا توظيف تكنولوجيا المعلومات في إثراء البحث العلمي وتطويره فيما يلي :

أ- دورها بالنسبة للمعلم:

تفيد الوسائل التعليمية المعلم في تحسين أداءه في إدارة الحصة التعليمية داخل حجرة الصف، وذلك من خلال العناصر الآتية:

- تساهم في معالجة انخفاض المستوى التعليمي لدى المعلمين، فالوسيلة التعليمية الحديثة تساعده على التزود بالمادة العلمية وتوظيفها.
- تساعد المعلم على تحسين عرض مادته وتقويمها والتحكم بها.
- تجعل المعلم مخططا ومنفذا ومقوّما.

تمكن المعلم من استغلال الوقت وتوفير الجهد، وكذا التغلب على حدود الزمان والمكان داخل غرفة الصف (إسكندر كمال وغزاوي محمد،1994م، ص 72).

ب- دورها بالنسبة للمتعلم:

للوسائل التعليمية فوائد عديدة للمتعلم وفيما يلي نعرض بعضها:

- ترغب المتعلم في الإقبال على التعلم وحب الاستطلاع، لذلك استعمال الوسيلة الحديثة يجعل المتعلم يتابع شرح معلمه ويستوعب ويركز أكثر.
- تعالج مشاكل النطق عند بعض المتعلمين كالتأتأة.

- تجعل الخبرات أكثر فاعلية وأبقى وأقل احتمالات للنسيان، فهي تقدم معلومة قوية التأثير تجعل المتعلم يتذكرها بسرعة.
- تنمي خبراته الحسية ما يساعد ذلك على تسلسل وتماسك للأفكار لدى المتعلم.
- تنمي قدراته على الملاحظة والتأمل، وتساعده على حل المشكلات (أحمد اسماعيل حجي،2003م، ص 73).

ج- دورها بالنسبة لعملية التعليمية:

يتمثل دور الوسائل التعليمية بالنسبة للعملية التعليمية فيما يلي:

- تعمل على إيصال المعلومة المبرمجة في المادة التعليمية إلى المتعلم.
- تساعد التلاميذ على القيام بأداء المهارات كما هو مطلوب.
- تعمل على تنويع أساليب التعزيز التي تؤدي إلى تثبيت الاستجابات الصحيحة وتأكيد التعلم، خاصة إذا ما تمّ استخدام بعض الأجهزة في تثبيت نطق المتعلم كأشرطة الفيديو والمسجل الصوتي (القابلي، 2003م، ص 64).

د- دورها على مستوى البحث العلمي :

بيّنت الدراسات العلميّة أنّ توظيف تكنولوجيا المعلومات في خدمة البحث العلميّ أسفر على نتائج إيجابية وحقق مزايا عدّة نلخصها فيما يلي :

- تحقيق متطلبات التعليم الإلكتروني وتنسيق الأبحاث على المستوى العالمي بين مختلف الباحثين.
- تيسير طرق البحث والمطالعة من خلال اعتماد تقنيات الاتصال الحديثة وتبادل المعارف والخبرات من قبل الباحثين وتسهيل عملية الحصول على المعلومات.

توفير الوقت والجهد والمال ، وتوظيف الإنترنت في مجال البحث العلمي (أحمد حشاني ، 2019م ، ص 51).

- تسهيل عملية الكشف عن الانتحال العلمي والسرقة الأدبية والمساهمة في الحفاظ على حقوق الملكية الفردية وصيانة حقوق الباحثين.
- إمكانيات النشر العلمي وتوسيع دائرة الاستفادة من نتائج الأبحاث والتعريف بالمشاريع العلمية.

توفر للباحثين التنوع في مصادر المعلومات المختلفة ، وتوطيد العلاقات بالباحثين والخبراء (محمد زمراني والسعيد الزهراوي، ص 26-27).

وصفوة القول إن للبحث العلمي مبادئ لا بد للباحث أن يلتزم بها ويتصف بأخلاق رفيعة أثناء انجازه البحث والالتزام بضوابط الأمانة العلمية فهي ضرورية يجب الاقتداء بها أثناء كتابة البيانات وذلك من أجل التسهيل على القارئ الحصول على تلك البيانات عند حاجته إليها ، وعموما إن تكنولوجيا المعلومات أحدثت طرق اكتساب الباحث المعارف وتشجيعه على الإبداع والإنتاج وإخراجه من نمطية التعليم التقليدي وتجاوز العقبات وتذليل الصعوبات التي كانت تعرقل سبيل انجاز بحثه.

أما الاقتراحات التي يمكن أن نقترحها خلال هذا البحث هي:

- أن جل البحوث العلمية والرسائل الجامعية لابد لها أن تسير وفق منهجية واحدة لاسيما أثناء الاقتباس والتوثيق من أجل الحفاظ على الأمانة العلمية.
- المراقبة المستمرة للبحوث العلمية المقدمة من الطلبة.
- غرس روح الأمانة العلمية في البحوث المقدمة من الطلبة لاسيما البحوث الصفية.
- العمل على تطوير أنظمة التعليم من خلال نشر الوعي الثقافي داخل المؤسسات الجامعية.
- توفير تدفق عالي للإنترنت في ربوع الوطن الجزائري.
- ضرورة توعية الطلاب والأساتذة من خلال وضع دورات تكوينية وتدريبية من قبل مختصين في مجال التعليم الإلكتروني والاستفادة من خبرات دول العالم لتنمية مهارات استخدام التكنولوجيا.
- ضرورة تكاثف الجهود من أجل وضع خطط علمية وبرامج مشتركة بهدف نشر ثقافة التوعية بأهمية التكنولوجيا

الهوامش:

[1]/عدنان عواد الشوابكة ، دور نظم وتكنولوجيا المعلومات في اتخاذ القرارات الإدارية ، دار اليازوي للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان 2011م ، ص 173

[2]/ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، اعتنى به محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط،2001،01م،ص: 99.

[3]/ ينظر : مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث العلمي وقواعد التحقيق، دار الطليعة بيروت للنشر والتوزيع، ط02، 1998م، ص: 12.

[4]/ ينظر: أمين ساعاتي، تبسيط كتابة البحث العلمي من البكالوريوس ثم الماجستير ثم الدكتوراه، المركز السعودي للنشر والتوزيع، ط01، 1999م ص: 20.

[5]/ ينظر : محمد التونجي، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط02، 1995م، ص: 43.

[6]/ ينظر : مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث العلمي وقواعد التحقيق، ص: 33.

7/ ينظر: منى توكل السيد، أخلاقيات البحث العلمي، ص:17

[8]/ ينظر : محمد التونجي، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، ص: 43.

9/ محمد منير حجاب، الأسس العلمية لكتابة الرسائل الجامعية، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط 02، ص: 94.

10/ نفسه، ص: 94.

11/ ينظر : مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث العلمي وقواعد التحقيق، ص: 32.

12/ ينظر: منى توكل السيد، أخلاقيات البحث العلمي، ص:17.

[13]/ ينظر : مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث العلمي وقواعد التحقيق، ص34.

[14]/ ينظر: إسكندر كمال وغزاوي محمد، مقدمة في تكنولوجيا التعليم، مكتبة الفلاح، الكويت، طبعة 1، 1994، ص 72.

15/ أحمد اسماعيل حجي، التعلم الجامعي المفتوح عن بعد، دار الكتب، القاهرة، طبعة 01، 2003، ص 73.

16/ القابلي، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 04، 2003، ص 64

17/ أحمد حشاني ، دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في ترقية البحث العلمي ، مجلة روافد البحوث والدراسات ، العدد 06 ، جوان 2019م ، ص 51.

18/ محمد زمراني والسعيد الزهراوي ، توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال في خدمة البحث العلمي – واقع التجربة المغربية وآفاق التطوير- المجلة العلابية للمعلومات ، ص 26-27.

المصادر والمراجع:

[1]/عدنان عواد الشوابكة ، دور نظم وتكنولوجيا المعلومات في اتخاذ القرارات الإدارية ، دار اليازوي للطباعة والنشر والتوزيع ، عمان 2011م .

[2]/ ابن فارس، معجم مقاييس اللغة، اعتنى به محمد عوض مرعب وفاطمة محمد أصلان، دار إحياء التراث العربي للنشر والتوزيع، بيروت، لبنان ط2001،01م.

[3]/ مهدي فضل الله، أصول كتابة البحث العلمي وقواعد التحقيق، دار الطليعة بيروت للنشر والتوزيع، ط02، 1998م.

[4]/ أمين ساعاتي، تبسيط كتابة البحث العلمي من البكالوريوس ثم الماجستير ثم الدكتوراه، المركز السعودي للنشر والتوزيع، ط01، 1999م .

[5]/ محمد التونجي، المنهاج في تأليف البحوث وتحقيق المخطوطات، عالم الكتب للطباعة والنشر والتوزيع، ط02، 1995م.

6/منى توكل السيد، أخلاقيات البحث العلمي.

7/ محمد منير حجاب، الأسس العلمية لكتابة الرسائل الجامعية، دار الفجر للنشر والتوزيع، ط 02.

[8]/ إسكندر كمال وغزاوي محمد، مقدمة في تكنولوجيا التعليم، مكتبة الفلاح، الكويت، طبعة 1، 1994.

9/ أحمد اسماعيل حجي، التعلم الجامعي المفتوح عن بعد، دار الكتب، القاهرة، طبعة 01، 2003.

10/ القابلي، الجريدة الرسمية للجمهورية الجزائرية، العدد 04، 2003.

11/ أحمد حشاني ، دور تكنولوجيا المعلومات والاتصال في ترقية البحث العلمي ، مجلة روافد البحوث والدراسات ، العدد 06 ، جوان 2019م .

12/ محمد زمراني والسعيد الزهراوي ، توظيف تكنولوجيا المعلومات والاتصال في خدمة البحث العلمي – واقع التجربة المغربية وآفاق التطوير- المجلة العلابية للمعلومات .

استراتيجية القراءة
في "خطاب الرواية النسائية بالمغرب، نماذج تحليلية"
للدكتور حسن اليملاحي

Reading Strategy in "The Feminine Novel Discourse in Morocco: Analytical Models" Dr. Hassan El Yamlahi

أ.د. أحمد رزيق
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين – الدارالبيضاء، المغرب
مختبر الثقافة والعلوم والآداب العربية، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، عين الشق
جامعة الحسن الثاني، الدارالبيضاء، المغرب
البريد الإلكتروني: razikahmed2004@gmil.com

الملخص:

تسعى هذه الدراسة إلى تحديد عناصر استراتيجية القراءة التي اعتمدها الدكتور حسن اليملاحي في قراءاته النقدية لمجموعة من الأعمال الروائية النسائية المغربية، وذلك من خلال الوقوف على ما وجه الناقد من وعي نقدي نظري، ومن اختيارات منهجية مكنته من قراءة الأعمال الروائية النسائية المغربية التي اختار الوقوف عليها. كما تسعى هذه الدراسة إلى التعريف بنموذج قرائي معين يمكن الاهتداء به في قراءة نصوص روائية متنوعة، من خلال التعرف على مسارات القراءة التي سلكها الدكتور حسن اليملاحي في دراسته، وتحديد الأدوات الإجرائية التي اعتمدها الناقد.

الكلمات المفتاحية: استراتيجية القراءة – الرواية النسائية – الخطاب السردي – بنية الخطاب – تيمات.

Summary:

This study aims to identify the elements of the reading strategy adopted by Dr. Hassan El Yamlahi in his critical readings of a collection of Moroccan women's novels. It does so by examining the critic's theoretical critical awareness and his methodological choices that enabled him to read the selected Moroccan women's novels. Furthermore, this study seeks to introduce a specific reader model that can be used as a guide in the reading of various fictional texts. This is achieved by understanding the reading paths taken by Dr. Hassan El Yamlahe in his research and identifying the procedural tools utilized by the critic.

Keywords :Reading Strategy - Women's Novel - Narrative Discourse - Discourse Structure - Themes.

.

قبل البدء:

قبل البدء بتحديد عناصر استراتيجية القراءة في الكتاب النقدي للدكتور حسن اليملاحي لا بد من إثبات الإشارات الآتية:

أولا: الدكتور حسن اليملاحي ناقد ومبدع؛ فقد مارس الكتابة الإبداعية وخبرها، وخاصة منها الكتابة السردية التي راكم فيها أربعة أعمال هي على التوالي:

- "مرايا صغيرة" قصص قصيرة جدا، دار الأمان بالرباط، الطبعة الأولى، 2012.
- "اختفاء في الطريق إلى لا بيدريرا، قصص قصيرة جدا، اتحاد كتاب المغرب الرباط، الطبعة الأولى، 2014.
- " يوميات مغربي في الحجر الصحي". مطبعة وراقة بلال بفاس، الطبعة الأولى، 2020.
- " جميلاتي الإسبانيات"، مطبعة وراقة بلال بفاس، الطبعة الأولى، 2022.

ثانيا: لم ينصرف الدكتور حسن اليملاحي للاهتمام النقدي بالسرد فقط، بل اهتم بنقد الشعر كذلك، وهو ما تكشف عنه مواكبته النقدية للدواوين الشعرية الجديدة، والتي ينشرها تباعا بالملاحق الثقافية الوطنية، وخاصة منها الملحق الثقافي لجريدة العلم.

ثالثا: هو ناقد مواكب؛ ولعل مؤشر ذلك هو توالي دراساته المنشورة على صفحات الملاحق الثقافية والمجلات المتخصصة، ومشاركاته في تأطير العديد من الندوات، راصدا بالنقد رواية جديدة أو مجموعة قصصية أو ديوانا شعريا.

رابعا: إن كان هذا هو الكتاب النقدي الصادر لحد الآن للدكتور حسن، فللرجل دراسات متفرقة في كتب جماعية وفي مجلات متخصصة وفي ملاحق ثقافية مختلفة.

خامسا: قارئ ينتقي نصوصه بعناية كبيرة؛ من ثم فالمتون المشتغل بها في الدراسة النقدية هي متون مارست غواية خاصة على الدكتور حسن اليملاحي، وأقبل على قراءتها بعشق.

سادسا: ناقد يمارس دوره بكفاءة واقتدار من خلال وفائه لوظيفة الناقد المتمثلة أساسا في تقريب المتن إلى المتلقي، أو مساعدة المتلقي على قراءة المتن قراءة مدركة لما يتأسس عليه من محددات جمالية ودلالية، بعيدا عن تحويل المتن إلى مطية تستعرض من خلالها محفوظات الناقد ومعارفه النظرية.

سياقات الكتاب:

1 – يندرج كتاب "خطاب الرواية النسائية بالمغرب؛ نماذج تحليلية" ضمن سياق اهتمام الدكتور حسن اليملاحي بالكتابة النسائية من خلال تدريسه بماستر الكتابة النسائية في المغرب بكلية الآداب والعلوم

الإنسانية، جامعة عبد المالك السعدي بتطوان؛ من ثم كانت المتون المشتغل بها كلها مغربية مساوَقةً للعنوان وللاهتمام الأكاديمي.

2 - عدد المتون المشتغل بها في الكتاب ثمانية أعمال سردية.

3 – حظيت منها الرواية بالنصيب الوافر؛ إذ اشتغل بسبعة أعمال روائية وبعمل سيري واحد هو "الذاكرة المنسية" للزهرة رميج.

4 – المتون المشتغل بها من حساسيات جمالية وفكرية مختلفة؛ الأمر الذي يعكس انفتاح الدكتور حسن اليملاحي على تجارب روائية متنوعة، وإيمانه بالاختلاف والتنوع.

5 – صدر كتاب "خطاب الرواية النسائية بالمغرب؛ نماذج تحليلية" في طبعته الأولى سنة 2019، والسنوات التي صدرت فيها المتون المشتغل بها تقع بين 2016 و2019، الأمر الذي يزكي ما ذهبنا إليه آنفا من قول بقدرة الدكتور حسن اليملاحي على مواكبة ما يروج من كتابات إبداعية في المشهد الثقافي المغربي والعربي على حد سواء. وتتوزع هذه الأعمال السردية حسب تاريخ صدورها وفق الصورة الآتية:

- رواية واحدة سنة 2016: التوأم لفاتحة مرشيد
- ثلاثة أعمال سردية سنة 2017: أغنية هادئة لليلى سليماني/ مدن الحلم والدم لراضية العمري/ الذاكرة المنسية للزهرة رميج.
- أربع روايات سنة 2019: انعتاق الرغبة لفاتحة مرشيد/ ورود تحترق لراضية العمري/ قاعة الانتظار للزهرة رميج/ كأنها ظلة لسعاد الناصر.

6 – خصص الدكتور حسن اليملاحي دراستين نقديتين لعملين مختلفين لكل من فاتحة مرشيد والزهرة رميج وراضية العمري، وذلك لما حققته هذه الأسماء في مجال الكتابة السردية من تراكم ملحوظ، بينما خص كل عمل من عملي سعاد الناصر وليلى سليماني بدراسة نقدية واحدة، إذ لم يصدر لسعاد الناصر لحد الآن إلا عمل روائي واحد، ولم يترجم من أعمال ليلى سليماني إلى العربية إلى روايتها التي اشتغل بها الناقد.

استراتيجية القراءة النقدية في كتاب الدكتور حسن اليملاحي:

يتبنى الناقد حسن اليملاحي في كتابه "خطاب الرواية النسائية بالمغرب؛ نماذج تحليلية" استراتيجية محددة في قراءته للمتون السردية المختارة، وتقوم هذه الاستراتيجية على العناصر الآتية:

1 – المهاد النظري:

ولا يمثل عنصرا مستقلا يخصص له الناقد حيزا محددا في دراساته بل إنه يتخلل كل مفاصل الكتاب من تقديمه إلى فصوله، ويرتبط بمكونات مختلفة داخل الدراسة، من ثم فإننا أمام مهادات نظرية كثيرة ومتنوعة نميز فيها بين:

- مهاد نظري يرتبط بسياق الدراسة ككل، وهو ما يقف عليه الدارس للكتاب في التقديم الذي مهد به حسن اليملاحي لكتابه حين يحدد انطلاقا من وعي نظري/ نقدي أن "الكتابة الروائية النسائية تنتصر للاختلاف والخصوصية"(اليملاحي، 2019، ص5)، وأن هذه "الكتابة باعتبارها كتابة مغايرة، لها منطلقاتها وانشغالاتها ورهاناتها الجمالية"(اليملاحي، 2019، ص5).
- مهاد نظري يرتبط بمفهومي الكاتب والكتابة وبأسئلة الكتابة، من قبيل سؤال التحديد وسؤال الجدوى، حيث يرى الناقد أن الكتابة تبقى هي "الوسيلة الأهم للتواصل مع الذات والعالم، وكذا نقل ما تعيشه هذه الذات من قلق وفرح وحزن، وغيرها من المظاهر النفسية والاجتماعية التي تتلبس الكائن البشري وتميزه عن غيره."(اليملاحي، 2019، ص39)، كما يرى أن "الروائي الحاذق والماهر في الكتابة هو من يحول النص الروائي إلى ورشة سردية لاحتضان جملة من الآراء والمواقف والسجلات المعرفية.."(اليملاحي، 2019، ص24)
- مهادات نظرية ترتبط بالأدوات المنهجية التي اشتغل بها الناقد في دراسته للأعمال السردية، ومن ذلك وقوفه على النفتاح السردي والشخصية والأسطورة والحوار والتناوب السردي والصورة الفتوغرافية والصورة السردية والمفارقة وغيرها من الأدوات التي اعتمدها في مقارباته النقدية. ففي حديث الناقد حسن اليملاحي مثلا عن التشكيل السيري بالصور في الذاكرة المنسية للكاتبة الزهرة رميج يبسط أما القارئ مهادا نظريا يرتبك بالتحديد وببيان الوظائف، فإذا "كانت الصور تلتقي من حيث الوظائف في تشكيل النص والإسهام في بنائه تمثيليا وتخييليا وجماليا، فإنها من جانب آخر تروم من حيث التداول خدمة دلالات النص من خلال ما تضفيه عليه من تنويع وإيحاء بفعل ما يصدر من أفعال وأقوال من قبل الذات الساردة أو باقي الشخصيات الأخرى."(اليملاحي، 2019، ص5).
- مهادات نظرية ترتبط بما يعرض له الناقد من تيمات متنوعة تحضر في الأعمال السردية المدروسة، من قبيل الهجرة والحب والذاكرة...

2 - التمهيد:

إذ لا تخلو دراسة من الدراسات الثمانية، التي قام عليها الكتاب، من تمهيد قصير يقوم على العناصر الآتية:

- تحديد مقتضب لموقع الكاتبة ضمن خريطة الكتابة النسائية في المغرب "تعتبر الشاعرة والروائية فاتحة مرشيد من الأصوات الإبداعية النسائية المغربية التي راكمت إلى حدود الآن العديد من المنجزات الإبداعية في مجالي الشعر والرواية" (اليملاحي، 2019، ص15)
- التعريف بالعمل السردي: حيث يلجأ الناقد إلى تقديم تعريف مقتضب بالرواية أو بالسيرة؛ يقول الناقد في تقديمه لرواية (كأنها ظلة): "يقع هذا المتن في مئتين واثنتي عشرة صفحة من القطع المتوسط، ويشتمل على ثلاثة فصول متفاوتة من حيث الطول والقصر، وقد صدرت الرواية عن مكتبة سلمى الثقافية، إبداعات، الطبعة الأولى، السنة: 2019". (اليملاحي، 2019، ص113)
- بيان مستوى تفاعل القارئ مع العمل: وهو ما قد يمثل مسوغا من مسوغات اهتمام الناقد بالعمل والتفاعل معه، فقد لجأ الناقد مع أكثر من عمل من الأعمال السردية المدروسة إلى الوقوف على مستوى تفاعل القارئ مع العمل السردي، سواء أكان هذا التفاعل من قارئ عادي أم من قارئ متخصص، شأن ما ساقه بين يدي دراسته لرواية (أغنية هادئة) لليلى سليماني؛ "وغني عن البيان أن الرواية قد توجت بحصولها على جائزة الغونكور – من الجوائز الأدبية الرفيعة- الفرنسية برسم سنة 2016، بعد أن تأهلت للقائمة القصيرة إلى جانب (الآخر الذي نعبد) لكاترين كيسيه.."(اليملاحي، 2019، ص47)
- تحديد استراتيجية قراءة العمل السردي: إذ يحدد الناقد المداخل التي سيتناول من خلالها العمل السردي بالدراسة والتحليل "وسنحاول عبر هذه القراءة الوقوف عند عوالم هذه الرواية بدءا بالعنوان والمتن الحكائي، مرورا ببعض موضوعات الرواية من قبيل: الحلم والهجرة والعنف والكراهية والحب، مع الوقوف قليلا عند تيمة الفقدان وصورة المرأة في الرواية، وكذا اشتغال الرواية، وانتهاء بالخاتمة."(اليملاحي، 2019، ص59)
- الأحكام النقدية: ونادرا ما يعمد الناقد في التمهيد لدراساته إلى سوق حكم نقدي معين قد يمثل منطلقا نتأسس عليه الدراسة أو اقتناعا شخصيا بما قد يحققه عمل من الأعمال السردية المدروسة من إضافة نوعية، يقول عن الاهتمام بالأعمال الإبداعية للروائية المغربية فاتحة مرشيد: "وغني عن البيان، فإن مصدر هذا الاهتمام يعود بدرجة أولى إلى طبيعة هذه المنجزات وما تثيره من أسئلة على مستويات متنوعة ومختلفة من حيث المعنى والمبنى.."(اليملاحي، 2019، ص15)

3 – الوقوف على عنوان العمل السردي:

يفرد الناقد، بعد التمهيد للدراسة، وقفة نقدية خاصة لعنوان الرواية أو السيرة، وقد نوع وسم هذه المحطة، إذ يسمها تارة بـ(في مسألة العنوان) أو (في العنوان) أو (من العنوان إلى الدلالة). فما مداخل قراءة الناقد لعناوين الأعمال المدروسة؟ وكيف فكك عناوين تلك الأعمال؟

ينطلق حسن اليملاحي في قراءته لعناوين الأعمال السردية من خلفية تصورية واضحة تتمثل في أن العنونة لا تخرج عن إحدى قاعدتين:

أ – الاختيار الذاتي الواعي للعنوان؛ إذ تتدخل التجربة الإبداعية للكاتبة، وما تحوزه الذات المبدعة من قدرات في الكتابة الإبداعية في اختيار العناوين الجيدة، "فاختيار الروائية فاتحة مرشيد لهذا العنوان يعكس قدرتها البلاغية على ترويض اللغة والعتبة، وتحويلهما إلى فرصة للتأمل والتأويل وبناء المعنى.".(اليملاحي، 2019، ص28)

ب – التوجيه السياقي؛ حيث أن سياق العمل السردي بأبعاده المختلفة يمارس غوايته فيوجه اختيار العنوان وجهة تنسجم مع مكونات العمل السردي، وخاصة منه المتن الحكائي؛ يقول حسن اليملاحي عن عنوان (كأنها ظلة): "من خلال قراءة العنوان وربطه بالمتن العام ككل، فإنه يقصد بالظلة دلاليا أندلس زوجة الطيب، التي ترمز إلى المرأة المثالية التي ظلت وفية لحبه.. وطوال هذه المحنة ظلت هذه المرأة بمثابة ظلة يحتمي من خلالها الطيب الزوج من حرارة إكراهات الواقع المؤلم..".(اليملاحي، 2019، ص113-114)

وتقوم دراسة الناقد حسن اليملاحي لعتبة العنوان على مجموعة من المحددات نحصرها في الآتي:

- ربط العنوان بالمتن الحكائي للنص موضوع الدراسة.
- تفكيك العنوان من خلال الوقوف على مستوياته التركيبية والمعجمية والدلالية والتناصية؛ مع التنويه أن الناقد لا يستحضر كل هذه المستويات مجتمعة في تفكيكه لكل عناوين الأعمال السردية؛ يقول عن عنوان رواية فاتحة مرشيد: "وهكذا فالانعتاق مصدر انعتق أي تحررن نقول انعتق من العبودية أي تحرر منها، أما الرغبة فهي إحساس نفسي يعني الطمع في الشيء.."(اليملاحي، 2019، ص27)، وعن التناص الذي يمكن أن يخترق العنوان يقول: "نشير إلى أن عنوان رواية (كأنها ظلة) يدخل في علاقة تناص مع الآية 171 من سورة الأعراف؛ (وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنه ظلة وظنوا أنه واقع بهم)".(اليملاحي، 2019، ص114)
- الإشارة إلى الوظائف التي ينهض بها العنوان؛ "إن لجوء الكاتبة إلى هذا العنوان الذي يزاوج فنيا بين الحلم والدم، لم يكن وليد الاعتباطية، وإنما لإثارة انتباه الجميع إلى ما بات يتهدد الإنسان من مصائر تنذر بالمجهول."(اليملاحي، 2019، ص60)

- اعتماد التأويل آلية لقراءة بعض العناوين، من ذلك مثلا عنوان رواية فاتحة مرشيد (التوأم)، وعنوان رواية راضية العمري (مدن الحلم والدم)، "نخلص إلى أن المقصود بالحلم هو الإنسان فيما يرمز الدم إلى الإرهاب وأعمال العنف التي تطاله بفعل التعصب للرأي الذي أصبح يهدد الحق في الاختلاف والحياة". (اليملاحي، 2019، ص60)

4 – تحديد المتن الحكائي:

تتسم تحديدات حسن اليملاحي للمتن الحكائي في الأعمال السردية التي اشتغل بها في كتابه بكونها:

- تحضر في كل الدراسات، بحيث أنها تمثل ثابتا من الثوابت المنهجية التي اعتمدها الناقد في مقاربة النصوص السردية.
- وهي في عمومها قصيرة، إذ لا تتجاوز الصفحة والنصف.
- تركز على النواة الحكائية للنص السردي.
- إقصاء التفاصيل والحكايات الموازية للحكاية النواة.
- الدقة في تحديد المتن الحكائي.
- تحقق للدراسة النقدية فعاليتها ونجاعتها من حيث إحاطة المتلقي بمحتوى الحكاية التي يتأسس عليها العمل السردي.

وهي كلها سمات تنبي عن قدرة خاصة يمتلكها الناقد في التعامل مع هذا المستوى من مستويات النص السردي، تشكلت لديه بفعل اهتمامه بالسرد.

5 – تيمات العمل السردي:

وهو اختيار منهجي يطرد حضوره في جل فصول الكتاب، ويحرص الناقد على إدراجه مباشرة بعد تحديده للمتن الحكائي، حرصا منه على تحقيق الانسجام بين عناصر القراءة، ومما حددته الدراسة النقدية من تيمات تنوعت بتنوع النصوص السردية نجد:

- تيمة الحب
- تيمة الفقد
- تيمة السفر
- تيمة الرغبة
- تيمة الاحتيال
- تيمة التمييز

- تيمة الجنون
- تيمة الهجرة
- تيمة العنف والكراهية
- تيمة التسامح
- تيمة التوتر
- تيمة الألم
- تيمة التذكر.

6 – بنية الخطاب السردي:

قبل تحديد مكونات هذا العنصر، لا بد من الإشارة إلى أن الناقد حسن اليملاحي يتعامل في كتابه "خطاب الرواية النسائية بالمغرب؛ نماذج تحليلية" بانتقائية مع مكونات الخطاب، وذلك من منطلق أن لكل نص سردي من النصوص المدروسة محدداته الدلالية والجمالية التي تقتضي اختيارات قرائية محددة. وتتمثل مكونات الخطاب التي ركزت عليه الدراسة في العناصر الآتية:

أ – الشخصيات، من حيث أنواعها ووظائفها "يلاحظ القارئ الحضور القوي للشخصيات الثانوية وهي شخصيات تساهم في خلق الأحداث، وتعمل على تطويرها"(اليملاحي، 2019، ص52) أومن حيث ما ميزها داخل المتن السردي من خصائص وسمات، صنيع ما قام به الناقد بالنسبة لشخصيات رواية (أغنية هادئة) لليلى سليماني، أو من حيث علاقتها بذاتها وعلاقتها بالآخرين، وهو ما نمثل له بشخصية الدكتور فريد سامي في رواية (انعتاق الرغبة) لفاتحة مرشيد.

ب – تنوع الخطابات؛ أو ما يسميه الناقد أحيانا بالانفتاح السردي أو الخطابات الموازية؛ حيث يرصد انفتاح النص السردي على خطابات أخرى متنوعة، وهو ما استحضره الناقد حسن اليملاحي في دراسته لرواية فاتحة مرشيد (التوأم)، حيث جلَّى حضور الخطاب الصحفي والخطاب العلمي وغيرهما من الخطابات الأخرى التي وظفتها الكاتبة لما لها "من أدوار في تشييد وبناء النص إلى جانب خدمة معانيه وما يرافق ذلك من أسئلة وإجابات"(اليملاحي، 2019، ص8)، ومثل ما قام به بالنسبة لرواية (كأنها ظلة) لسعاد الناصر، حيث وقف على الخطاب التاريخي والخطاب الصوفي والخطاب الرسائلي مبرزا أن "استدعاء هذه الخطابات واستثمارها فنيا في رواية كأنها ظلة للروائية المغربية سعاد الناصر، إنما ينم عن وعي فني كبير بأهمية هذه الخطابات، ودورها في خدمة النص الروائي من حيث المعنى والمبنى، إلى جانب جعل النص السردي جماع أنواع من الخطابات التي تحفل بالكثير من الأسئلة والإجابات."(اليملاحي، 2019، ص127)

ج – تعدد الرواة أو التناوب السردي؛ وهو من العناصر التي يقف عليها الناقد في الأعمال السردية موضوع الدراسة، خاصة في النصوص التي وظفت هذا المكون، من قبيل رواية (انعتاق الرغبة) لفاتحة مرشيد، حيث يرصد الناقد الأطراف التي تناوبت على السرد ابتداء من عزالدين إلى ابنه الدكتور فريد سامي إلى فادية، ليخلص إلى أن "هذه التقنية السردية الجديدة بما تحققه للنص الروائي من تدفق فني وسردي وجمالي، وتعدد لغوي وصوتي، تدفعنا إلى الافتراض إلى أننا أمام رواية بوليفونية، ومما يزيد من صحة هذه الفرضية هو التناوب السردي الذي تمتاز به الرواية بلاغيا وما يرافقه من تعدد لغوي وصوتي"(اليملاحي، 2019، ص41)، مبرزا بعد ذلك الوظائف التي يحققها التناوب السردي للنص الروائي والمتمثلة في:

- تغيير إيقاع الرواية؛
- الرفع من المنسوب الجمالي الفني في العمل السردي؛
- دمقرطة السرد بإفساح المجال أما الشخصيات للتعبير عن رؤاها ومواقفها؛
- إقناع المتلقي بواقعية الموضوع وصدقية المعاناة.

د – الصورة السردية؛ وقد قام الناقد في أكثر من نص سردي بتحديدها وبيان وظائفها التي يرى أنها تتمثل في "تشكيل النص والإسهام في بنائه تمثيليا وتخييليا وجماليا... وخدمة دلالات النص من خلال ما تضفيه عليه من تنويع وإيحاء بفعل ما يصدر من أفعال وأقوال من قبل الذات الساردة أو باقي الشخصيات الأخرى"(اليملاحي، 2019، ص87)، مبرزا في أحايين كثيرة تقاطعات بعض الصور السردية في أعمال سردية معينة، ومميزا بينها وبين الصورة البلاغية.

هـ - الأساليب؛ إذ يقف الناقد في روايات محددة على الاختيارات الأسلوبية التي تتبناها الكاتبة في عملها السردي، من ذلك مثلا وقوف الناقد حسن اليملاحي على حضور الاستفهام في رواية (ورود تحترق) للكاتبة راضية العمري، باعتباره ملمحا أسلوبيا بارزا في النص، ليخلص بعد تحديد تجلياته في الرواية إلى اعتباره "من المقومات الفنية والبلاغية التي تساهم في توليد السرد وتوسيع رقعته، طالما أن كل سؤال يستلزم جوابا، إلى جانب هذا فهو –من خلال التمثيل- يقوم بالشرح والتبيين، كما يكشف عن المواقف النفسية والاجتماعية لشخصيات الرواية...".(اليملاحي، 2019، ص82)

و – أنواع القول والكلام؛ حيث يقف الناقد على ما يخترق بعض النصوص السردية من نصوص أخرى مع بيان وظيفة ذلك؛ فهو يرى أن رواية (كأنها ظلة) "قد استدعت بعض أنواع القول والكلام من مَثَل وأغنية وشعر ووصية.. ويبدو أن هذه الأنواع بانتماءاتها الأجناسية المختلفة.. هي أشبه

بنوافذ يستنشق عبرها القارئ هواء منعشا ومختلفا، كما ينفتح عبرها على بلاغة وجمال القول وحسن التعبير".(اليملاحي، 2019، ص128)

7 – التركيب:

وهو آخر عنصر من العناصر التي يعتمدها الناقد حسن اليملاحي في استراتيجية قراءته للمتون السردية التي اشتغل بها في كتابه (خطاب الرواية النسائية بالمغرب؛ نماذج تحليلية)، يتسم بالقصر وتتأسس بنيته في المتن النقدي لحسن اليملاحي على المكونات الآتية:

- الإشارة إلى الخصيصة المميزة للعمل السردي المدروس؛
- استحضار المداخل التي تم اعتمادها في قراءة المتن السردي؛
- إثبات حكم قد يكون الناقد أشار إليه في سياق تحليله للعمل السردي؛
- بيان قيمة العمل.

خلاصات عامة:

ونجمل الخلاصات التي يمكن الخروج بها بعد تحديد استراتيجية القراءة التي اعتمدها الدكتور حسن اليملاحي في كتابه (خطاب الرواية النسائية بالمغرب؛ نماذج تحليلية) في الآتي:

- تنطلق دراسة حسن اليملاحي من وعي نظري/ نقدي محدد، يتم التصريح به في تقديم الكتاب، وفي خاتمته، وفي ثنايا مباحث الكتاب. وعي ينتصر للكتابة النسائية "باعتبارها كتابة مغايرة، لها منطلقاتها وانشغالاتها ورهاناتها الجمالية".(اليملاحي، 2019، ص5)
- لا يعتمد الناقد مدخلا منهجيا واحدا في قراءته للمتون السردية، بل يقف القارئ للكتاب على تنويعات منهجية تختلف حسب ما تقتضيه طبيعة النصوص؛ فمع رواية (انعتاق الرغبة) لفاتحة مرشيد، يتوسل حسن اليملاحي ببعض أدوات ومفاهيم المنهج النفسي، لأن سياق الحديث عن التحول الجنسي اقتضى ذلك. وفي قراءة الناقد لرواية ليلى سليماني (أغنية هادئة)حيث يمثل الانتماء الطبقي موجها للمواقف والاختيارات، يخاز حسن اليملاحي للبنيوية التكوينية.
- تتسم القراءة النقدية باستحضار أنماط من القراءة، نشير منها بالخصوص إلى القراءة السياقية التي تتخذ تجليات منها:

أ – قراءة المتن السردي باستحضار الأعمال السردية الأخرى للكاتبة؛ وهو ما لجأ إليه الناقد حسن اليملاحي في قراءته لجل المتون السردية التي اشتغل بها، ومن ذلك ما استحضره في دراسته لرواية (انعتاق الرغبة) لفاتحة مرشيد حيث وقف على أن "استدعاء الرغبة في رواية انعتاق الرغبة والاحتفاء

بها سرديا، يجعلنا نشير إلى أن الروائية المغربية فاتحة مرشيد قد سبق أن وظفت هذه المشكلة أو الحالة في رواية لحظات لاغير.."(اليملاحي، 2019، ص36)

ب – قراءة المتن السردي باستحضار أعمال سردية لكتاب آخرين؛ إذ يستحضر في دراسته لرواية (قاعة الانتظار) للزهرة رميج المجموعة القصصية لسلوى ياسين، وأعمال أحمد المرزوقي (الزنزانة رقم 10)، ومحمد الرايس(مذكرات محمد الرايس)، وفاطنة البيه (حديث العتمة)، في سياق الوقوف على موضوعة السجن في رواية (كأنها ظلة) لسعاد الناصر.

والقراءة التصنيفية؛ حيث يلجأ الناقد إلى تصنيف العمل المدروس؛ صنيع ما نقف عليه في قراءته لرواية الزهرة رميج (قاعة الانتظار "ورواية غرفة الانتظار للروائية المغربية الزهرة رميج من النوع الروائي التسجيلي النقدي، ويبدو ذلك من خلال العديد من المؤشرات النصية.."(اليملاحي، 2019، ص102). أو حينما رأى أن "رواية كأنها ظلة من الروايات النسوية(وأسطر بخط بارز على النسوية)، لأنها تقف على طرف نقيض من السلطة الذكورية التي تسعى إلى الهيمنة وتغييب حضور المرأة بعيدا عن كل توازن.."(اليملاحي، 2019، ص118).

- تحرص الدراسة على نحت مجموعة من المفاهيم المرتبطة بالسرد، وهو اختيار ينم عن تمرس أصيل بقراءة النصوص السردية، نشير في هذا السياق إلى حديث الناقد عن الانفتاح السردي، والتساند التيماتي والحكايات المتعاضدة أو المتساندة..

وبذلك فإن كتاب (خطاب الرواية النسائية بالمغرب؛ نماذج تحليلية) للدكتور حسن اليملاحي يفتح من خلال اختياراته المنهجية، ومحاور اهتماماته أفقا نقديا جادا أمام الباحثين لارتياد مجاهل النص السردي النسائي.

المصدر:

- حسن اليملاحي، خطاب الرواية النسائية بالمغرب؛ نماذج تحليلية، الخليج العربي، ط 1، تطوان، المغرب، 2019.

استعارة الزّمن في اللّغة والذّهن: مقاربة عرفانيّة

The metaphor of time in language and mind: a cognitive approach

د.صبيحة جمعة (أستاذة مساعدة - باحثة في البلاغة واللسانيات وعلوم الدلالة) - جامعة تونس sbiha.djemaa@gmail.com

الملخّص:

نسعى من خلال هذا العمل إلى بيان وضع الزمن في اللغة والذهن ظاهرةً بلاغيةً في الخطاب. إنّ الزمن يتجاوز كونه استعمالا لغويّا ذا معنى ظاهري يحيل على الحركة والسيرورة وفق مقولات الماضي والحاضر والمستقبل، ليُستعمل استعمالا مجازيّا يحيل على تصوّرات ذهنيّة استعاريّة تمثّليّة تشكّل معانيَ تعكس مرجعيّات مستعمليه المعرفيّة والتداوليّة. ذاك ما يمنح الزمن مفاهيمَ تصوريّة في الاستعمالات اللغوية مثلما أشار إلى ذلك باستفاضة العالم اللساني لايكوف في كتابه " الاستعارات التي نحيا بها" حيث بيّن أنّ الاستعارات التصورية للزمن تعكس علاقة مستعمليه به. وقد قدّم لايكوف نماذج من اللغة الانجليزية. وإذا ما قلّبنا نظرنا في التعبيرات الزمنية في اللغة العربية فإننا كذلك نجدها إدراكات لغوية للاستعارة المفاهيمية للزمان باعتباره "فضاء" وأحيانا "كيانا" وأحيانا "مالا" وأحيانا "وعاء" ... وبحسب علاقتنا بالزمن نسقط عليه خصائص هذه الأشياء وغيرها عن طريق الإسقاط الاستعاري حتى نصل إلى تمثّله بهذه المعاني فنتصوّره فضاء إذا كان الزمن شاسعا ونتصوّره مالا لنحافظ عليه ونحسن استثماره ونتصّوره شيئا ثمينا فنسعى إلى أن لا نفقده أو نضيّعه ونتصوّره وحشا إذا هاجمنا وغير ذلك من التصوّرات... ومن تفاعل هذه الاستعمالات المختلفة اللغوية والعرفانية تنشأ بلاغة الزمن فتكون له معان تتجاوز حدّ الظاهر هي بالأساس معان استعارية مجازية تنتجها مقاصد مستعمليه تلك هي المعاني الثواني في الكلام وهي التي وسمها الجرجاني بـ"معنى المعنى".

الكلمات المفتاحية: الاستعارة التصوّريّة – الزّمن – اللّغة – الذّهن – الإسقاط الاستعاريّ.

Summary: Through this work, we seek to demonstrate the status of time in language and mind as a rhetorical phenomenon in discourse. Time goes beyond being a linguistic use with an apparent meaning that refers to movement and the process according to the categories of the past, present, and future, to be used metaphorically to refer to mental representations that form meanings that reflect the cognitive and pragmatic references of its users. That is what gives time conceptual concepts in linguistic uses, as pointed out extensively by the linguist Lakoff in his book "Metaphors We Live By", where he indicated that the conceptual metaphors of time reflect the relationship of its users to it. Lakoff presented examples of the English language. And if we turn our look at temporal expressions in the Arabic language, we also find that they are linguistic realizations of the conceptual metaphor of time as a “space” and sometimes as an “entity” and sometimes as “money” and sometimes as a “container”. According to our relationship to time, we project the characteristics of these and other things on it through metaphorical projection. Until we reach its representation in these meanings, so we imagine it as a space if time is vast, and we imagine it as money in order to preserve it and invest it well, and we imagine it as a valuable thing So we strive not to lose it and imagine it as a beast if it attacks us and other perceptions... From the interaction of these different linguistic and conceptual uses, the rhetoric of time arises, so it has meanings that go beyond the apparent limit. They are essentially metaphorical meanings produced by the intentions of its users. Al-Jurjani called it “the meaning of the meaning.”

Keywords: conceptual metaphor - time - language - mind - metaphorical projection.

تمهيد:

حقول معرفية عديدة تناولت ظاهرة الزمن من وجهات مختلفة لغويّة ولسانيّة وفلسفية وفنية ودينية وغيرها، وباعتبار أنّ الزمن يمثّل عنصرا من العناصر الوجودية اللصيقة بالإنسان وبحياته في كل لحظة يعيشها وفي كلّ مكان يعيش فيه وفي كلّ ظروف يمرّ بها ويختلف تمثّلنا للزمن باختلاف علاقتنا بهذه العناصر مجتمعة، رأينا أن نبحث في هذه الظاهرة من أبعادها المختلفة اللغوية والتصوريّة لما للزمن من تأثير عميق في حياتنا وتمثّلاتنا لاسيّما وأنّ كلّ تجاربنا اليومية مرتبطة بالزمن يؤثّر فيها وتتأثّر به. وينقل الإنسان تجاربه تلك عبر الزمن عن طريق اللغة، فالزمن يمثّل واقع الإنسان في مختلف محطات حياته الماضية والحاضرة والمستقبليّة ولكنّ تعبيرنا عن واقعنا ووجودنا الذي يمثل زمننا يختلف من شخص إلى آخر: فمنّا من يرى زمنه الماضي سعادة وحبا... ومنّا من يعتبر زمنه الماضي ألما وحزنا ...

هذا يعني أنّ الزمن يمكن أن يحمل شحنا دلالية مختلفة بدءا بالدلالة اللغوية والتي قد يكون فيها الزمن = الماضي (مثال ذلك : كنت سعيدا) فالزمن اللغوي في هذا المثال هو الماضي باعتبار تصريف فعل كان في صيغة الماضي وفي زمن الماضي، ولكن في نفس الوقت نلمح في هذا المثال شحنة دلالية تصوريّة تعكس شعورنا وأحاسيسنا فيكون فيها الزمن = السعادة في ذهن صاحبه.

تلك هي الأفكار الأساسية التي سنحاول التطرّق إليها وتحليلها في هذا العمل مسترفدين بجهود اللغويّين في تحليلهم لظاهرة الزمن وبما توصّلت إليه العلوم اللسانية اليوم من معارف لاسيّما تلك التي تتعلّق بالاستعارة التصوريّة. وإنّ غايتنا هي إبراز قدرة اللغة على التعبير عن الزمن بحسب مقاصد صاحبه وعلاقته بزمنه كما يتمثّله هو نفسه ويتصوّره بحسب ما عايشه من تجارب. وهذه الخصوصية في تمثّل الزمن لدى كلّ إنسان تجعلنا ندرك اختلاف التمثّلات وتعدّدها للزمن من شخص إلى آخر. وهذا يعني أنّ مختلف تصوراتنا هي انعكاس لمشاعرنا اتجاه الزمن ولروابطنا مع واقعنا وتجاربنا، "وإذا كانت التصورات قد وضعت من أجل فرز حدود التمايز بين الموضوعات كما توجد في العالم وبين مثيلاتها على مستوى الذهن، فإن ذلك قد ارتبط بمدى قدرتنا على تشكيلها ومطالعتها لمحتوى الفكر والإبداع"(مختار، https://kitabat.com/cultural).

كذا تكون اللغة نظاما دلاليّا ترميزيّا يمثّل وجودنا ويكون فيها الزمن تجربة يعيشها الإنسان ويعبر عنها من خلال ما تتيحه اللغة من علامات ورموز وبحسب كيفية تمثّل الانسان لتلك الظاهرة ذهنيّا. واللغة لا يمكنها أن تتحدث عن الأشياء إلاّ في حدود ما يسمح به هذا التنظيم (الذهني) (غاليم، 2017، ص 58).

1 – دلالة الزمن في اللغة العربية: المفهوم والأبعاد:

ـ المفهوم والأبعاد:

يرتبط مفهوم الزمن في الفكر الإنسانيّ عامة بمفهوم الحياة ومفهوم الحياة مرتبط بمفهوم الوجود ومفهوم الوجود مرتبط بمفهوم الفعل أوالحدث وهو موضوع اللغة وخصائصها في الدلالة على الزمن وأقسامه(بو خلخال، 1991، مقال). ونظرا إلى أنّ اللغة هي وسيلة التواصل بين مستعمليها ووسيلة التعبير عن المعاني لابدّ من الارتقاء بها بمقاييس كثيرة من بينها مقاييس الدلالة على الزمن وأبعاده بأساليب وصيغ وأدوات كثيرة.

وممّا تتميّز به اللغة العربية دقة " الدلالة على تقسيمات الزمن وأجزائه وفروقه النسبية بأساليبها المعروفة"(بو خلخال، 1991، مقال). فقد اعتنى النحاة بالزمان من جهة مقاييسه وأبعاده وحدّدوها في ثلاثة هي " الماضي والحاضر والمستقبل". وتمّ تحديد الأساليب التي بها يمكن أن نعبّر عن الزمن بعبارات عديدة منها صيغ الأسماء أو بعض الأدوات كقولنا "أمس" إحالة على الماضي و"الآن" إحالة على الحاضر و"غدا" إحالة على المستقبل، وهذه المصطلحات كما نراها تحيل ضمنيّا على الزمن. ولكن صيغ الأفعال تعتبر أقوى الصيغ تعبيرا عن الزمن وأدقّها لاسيّما وأنّ الفعل يتميّز عن الاسم ببنيته إذ يدلّ الفعل بمادته على الحدث وبصيغته على زمان وقوع الحدث(جمال الدين، 1980، ص150) أو ما يعبّر عنه بالزمان اللغوي وهو لدى النحاة زمن إحاليّ إشاريّ يعبّر عن وقوع الحدث في الزمن بالرّجوع إلى لحظة وقوع الحدث مقارنة بلحظة التلفّظ أو مقارنة بغيره من الأحداث(Lyons, 1977). وإنّ الغاية من العناية بالزمن لدى النحاة القدامى هو تحديد موقع الأحداث داخل الأبعاد الزمانيّة الثلاثة نعني الماضي والحاضر والمستقبل، ذاك ما نجده لدى ابن يعيش في قوله:" لمّا كانت الأفعال مساوقة للزمان والزمان من مقومات الافعال توجد عند وجوده وتنعدم عند عدمه انقسمت بأقسام الزمان ولمّا كان الزمان ثلاثة: ماض وحاضر ومستقبل وذلك من قبل أنّ الأزمنة حركات الفلك فمنها حركة مضت ومنها حركة لم تأت بعد ومنها حركة تفصل بين الماضية والآتية، كانت الأفعال كذلك ماض ومستقبل وحاضر "(ابن يعيش، 2001، م2 ج7، ص 4.)

كذا حدّد النحاة القدامى الأبعاد الزمانية في " الزمان الماضي" ويعرّفه ابن يعيش بأنّه " هو الدالّ على اقتران حدث بزمان قبل زمانك "(ابن يعيش، 2001، م2 ج4 ص 4) و" الماضي ما عدم بعد وجوده فيقع الإخبار عنه في زمان بعد زمان وجوده وهو المراد بقوله الدالّ على اقتران حدث بزمان قبل زمان إخبارك ويريد بالاقتران وقت وجود الحدث لا وقت الحديث عنه ولو لا ذلك لكان الحدّ فاسدا"(ابن يعيش، 2001، م 2 ج7 ص4).

وأمّا "الزمان الحاضر" فقد اختلف في شأنه العلماء نظرا لوجوده بين نقطتين هما نقطة انتهاء الزمان الماضي ونقطة ابتداء الزمان المستقبل. وهناك من النحاة من لم يتحدث عنه مثلما هو الأمر لدى الزجاجي الذي ذكر وجود زمنين فحسب هما: الماضي والمستقبل كما بيّن ذلك في كتابه " الإيضاح في علل النحو" (الزجاجي، 1974، ص54) .

وأمّا "الزمان المستقبل" فيعرّفه ابن يعيش بأنّه:" ما لم يكن له وجود بل يكون زمان الإخبار عنه قبل وجوده "(ابن يعيش، 2001، م2ج7 ص4).

تلك هي أبرز حدود الأبعاد الزمانيّة والزمن من مقوّمات الأفعال إذ اعتبر النحاة الأفعال قد وضعت للدلالة على هذه الأبعاد الثلاثة الماضي والحاضر والمستقبل. يقول سيبويه:" فأمّا الفعل، فأمثلة أخذت من لفظ أحداث الأسماء، وبنيت لما مضى ولما يكون ولم يقع، وما هو كائن لم ينقطع فأمّا بناء ما مضى فذهب وسمع ومكث وحمد، وأما بناء ما لم يقع فإنه قولك آمرا: اذهب واقتل واضرب، ومخبرا: يقتل ويذهب ويضرب ويقتل ويضرب، وكذلك بناء ما لم ينقطع وهو كائن إذا أخبرت "(سيبويه، 1977، ج1 ص12).

ب – الصيغ الفعلية والجهات البلاغية في الدلالة على الزمن:

ميّز النحاة العرب بين ثلاث صيغ للأفعال هي: صيغة الماضي وصيغة الحاضر وصيغة المستقبل كما يبيّنه الزجاجي في قوله:" الأفعال ثلاثة فعل ماض وفعل مستقبل وفعل في الحال يسمى الدائم. فالماضي ما حسن فيه أمسنحو: قام وقعد وانطلق وما أشبه ذلك، والمستقبل ما حسن فيه غد كقولك أقوم ويقوم وما أشبه ذلك. وأما فعل الحال فلا فرق بينه وبين المستقبل في اللفظ كقولك : زيد يقوم الن ويقوم غدا. فإن أردت أن تخلصه للاستقبال ادخل عليه السين او سوف"(الزجاجي، 1974، صص21- 22).

إنّ ما سبق ذكره يؤكّد أنّ " النحاة العرب القدماء كانوا يتعاملون مع الأفعال من منطلق زمني محض، ولم يكونوا يدرسونها وفق مقاربة الجهة"(حمداوي، 2016، ص37) أو المظهر.

إذا ما نظرنا في البحوث اللغوية الحديثة ،فإنّنا نجد أصحابها يقرّون بمبدإ الجهة في اللغة العربية وليس مبدإ الزمن كما هو الأمر لدى بنفنيست E.Benvenist (H,Fleisch , 1974, pp 11- 19) وبلاشير Blachère

(Blachère , R, 1952)وكوهن Cohen (Cohen, 1989) وفليش Flesh (Flesh, 1979)، وغيرهم. وبرّروا ذلك بأنّ الفعل يكون إمّا تاما أو غير تام، أو أن يكون مكتملا أو غير مكتمل أو محددا أو غير محدد أو مستمرا أو منقطعا ... إلى غير ذلك من التمييزات الجهية كما يرونها في لغاتهم اللاتينية.

ويعود موقفهم ذاك إلى التداخل بين الزمن والصيغة في اللغة العربية (حمداوي، 2016، ص38 – حسوني، 2014، ص19). فعندما نقول على سبيل المثال: "عفاك الله" فصيغة الفعل هنا هي الماضي ولكن زمن الفعل هو المستقبل أو الحاضر رغم أنّ الفعل قد تمّ تصريفه في الماضي.

هذه الإشكاليّة التي نجدها في النحو العربي سبق أن طرحها العديد من الباحثين اللسانيين العرب المحدثين أمثال تمام حسان وعبد القادر الفاسي الفهري وغيرهما ممّن تناول النحو العربيّ وفق التأويل الجهيّ (حمداوي، 2016، صص40 – 60).

فإذا ما رجعنا إلى مؤلّفات تمام حسان فإنّنا نجده يميّز بين مصطلحات ثلاثة هي : الزمن والزمان والجهة. أمّا الزمن فهو:" الزمن النحوي الذي يعبّرعنه الفعل ، ويعبّر عن الزمن النحوي بالماضي والمضارع والأمر. ولا ينبني هذا التمييز على دلالات فلسفية بل على القيم الخلافية بين الصيغ المختلفة الدالة على الحقائق اللغوية المختلفة. ويقابل في اللغة الانجليزية كلمة "Tense (حسان، 1986، ص245).

وأمّا الزمان فهو مفهوم فلسفي يطلق على الماضي والحاضر والمستقبل. وله بعد كمّي يتعلّق " بقياس تجربة في الرياضة أو الطبيعة أو الفلسفة ويعبر عنه بالتقويم والإخبار عن الساعة ونتوجه إليه النظرية المعروفة بنظرية حدّ السكين التي تقول : إن الزمان إما ماض أو مستقبل ولا وجود للحاضر. ويقابله في الانجليزية كلمة Time"(حسان، 1986، ص245).

أمّا الجهة فهي" ما يشرح موقفا معيّنا في الحدث الفعلي. ويكون ذلك بإضافة ما يفيد تخصيص العموم في هذا الفعل. ويقابلها في الانجليزية Aspect"(حسان، 1986، ص245). هذا يعني أن الجهة هي إخراج للفعل من مفهومه العام إلى مفهوم مقيّد مخصّص بمعنى مّا، ويمكن ملاحظة ذلك في الأسماء والأفعال والأدوات كما ذكر ذلك تمام حسان في قوله:" ولنا أن نلاحظ هنا أن الجهة مما يمكن ملاحظته في الأسماء والأفعال والأدوات" ولكن باعتبار أنّ عملنا موجّه نحو استقراء وضع الزمن في اللغة العربيّة فإنّنا سنركّز بحثنا على النّظر في العلاقة بين الزمن والجهة عند تمام حسان. يبيّن الباحث أنّ هناك فرقا بين الزمن والجهة . فالزمن يدلّ على زمن حدوث الفعل في مفهومه العام. بينما الجهة تدلّ على معنى الفعل وتخصّصه بعد أن كان عاما. ويعني هذا أن الجهة هي التي تغير معنى الفعل وتقيده وتخصصه بعد أن يكون إخبارا عاما ومن هنا فالماضي والمضارع زمنان في حين يعد اللزوم والتعدي جهتين في اللغة العربية.

ويوضّح تمام حسان موقفه أكثر من مسألة الجهة والزمن في قوله: الجهة تخصيص لدلالة الفعل ونحوه إما من حيث الحدث وإما من حيث الزمن. فهناك جهات في اللغة العربية لتقييد معاني

الزمن"(حسان، 1994، ص257). ويرى تمام حسّان أنّ الأزمنة في اللغة العربية ثلاثة ولكنها تتفرع على صعيد الجهة إلى ستة عشر زمنا.

ففي الماضي يوجد: البعيد المنقطع والقريب المنقطع والمتجدد والمنتهي بالماضي والمنتهي بالحاضر والبسيط والمستمر والمقارب والشروعي.

وفيما يخص الحال فهناك العادي والتجددي والاستمراري .

أما فيما يتعلق بالاستقبال فهناك البسيط والقريب والبعيد والاستمراري"(حسان، 1994، ص246).

وبيّن تمام حسان أنه توجد جهات تقيّد الزمن وهي جهات مقالية وحالية نحو : حضر الرئيس أمس، ينعقد المؤتمر غدا ... وبذلك توجد جهات في فهم معنى الزمن ومنها ظروف الزمان وبعض الأدوات والنواسخ ...

ونتواصل رحلة البحث عن مفهوم الزمن في المباحث اللسانية العربية الحديثة (جحفة، 2006- حسوني، 2014- شكري، 2009) انطلاقا من استقراء النحو العربي القديم في ضوء ما توصّلت إليه المباحث اللسانية الغربية الحديثة لاسيّما تلك التي ربطت مفهوم الزمن ودلالته بمفاهيم جديدة لعلّ أبرزها مفهوم "الجهة" و"الوجه".

إنّ تحديد مفهوم الزمن أو الزمان تحديدا دقيقا مثّل موضوع اختلاف بين الباحثين اللغويين، فقد تراوحت أفكارهم بين التعريف الفلسفي والتعريف اللغوي النحوي. ولكنّ مفهوم الزمن اليوم تجاوز هذه الأبعاد واكتسب في الدراسات الحديثة لاسيّما التداولية منها والعرفانية، أبعادا جديدة تمثّليّة وذهنيّة وتصوريّة تعكس مقصديات أصحابها وصفها بعض الباحثين بـ"الأزمنة السياقية".

2 – الاستعارة التصوريّة للزمن: أبعادها التمثّلية والذهنيّة:

في واقع الأمر تكلّمنا باستفاضة في الاستعارة التصورية أو المفاهيمية في كتابنا الذي وسمناه بـ" من النص إلى الخطاب: نحو تأويل إدراكي موسع"(جمعة، 2020) وفيه طرحنا مسألة الاستعارة التصورية للزمن. ولكن لإفادة أكبر، رأينا أن نستنير في هذا البحث بمراجع تناولت هذه المسألة بأكثر تفصيل، ولعلّ أبز تلك المراجع ما وضعه لايكوف وجونسون في كتابهما "الفلسفة في الجسد" (1999) حول المفهوم المجرد للزمن من خلال الإسقاط الاستعاري وما أطلق عليه بالجشطلت التجريبي. وباستفادتنا من هذا المرجع تبيّنا أنّ الزمن تجاوز مفهومه اللغوي الظاهري ليتخذ تصوّرات ذهنية مجردة عديدة وقد تبيّنا أنّ هذه الظاهرة مألوفة في اللغة العربية. وقد بيّنت ذلك الباحثة سندس حمدي معتمدة نماذج من استعمالات الزمن في اللغة الانقليزية واللغة العربية(Hamdi, 2008).

ومن أكثر هذه الاستعمالات شيوعا، نذكر:

أ - استعارة الزمن فضاء:

إنّ الاستعارة المفاهيمية الأولى التي يمكن افتراضها نتيجة التحليل هي استعارة الزمن باعتباره فضاء. فالوقت مثل غيره من المفاهيم المجردة الأخرى، يمكن فهمه من حيث ما أطلق عليه لاكوف (1999) "الجشطلت التجريبي". ويشير الجشطلت التجريبي إلى إدراكنا للهياكل في عوالمنا الاجتماعية والمادية. فلدينا القدرة على "الإسقاط الخيالي" من تجاربنا الجشطلتية إلى مفاهيم مجردة. ويطلق لايكوف وجونسون على هذه القدرة اسم "الإسقاط المجازي" أو الإسقاط الاستعاري". والجشطالت التجريبي يستخدم لتمثّل المفهوم المجرد للوقت من خلال الإسقاط الاستعاري باعتباره الفضاء. وكجشطلت تجريبي، يتكون الفضاء من تكرار الأنماط الفرعية، مثل الحركة والاحتواء.

عند مناقشة استعارة "الزمن فضاء"، فإنّ "لايكوف وجونسون" (1999) يشيران إلى أن معظم فهمنا للزمن هو نسخة مجازية من فهمنا للأحداث في الفضاء وللحركة في الفضاء، ولهذا السبب يقع استخدامها، فيقع استيراد اللغة المستعملة للفضاء لوصف الزمن.

إنّ استعارة "الزمن فضاء" تعني أننا نفهم الوقت من خلال ما يتعلق بالفضاء من مصطلحات، أي أن بنية المجال المصدر (الفضاء) يتم تعيينها على المجال الهدف (الزمن)، ويترتب على ذلك أنه يمكن اعتباره هيكلة له. ويظهر التحليل الفرعي كيف أن التعبيرات الزمنية في اللغة العربية الفصحى هي إدراكات لغوية للاستعارة المفاهيمية للزمان فضاء.

فالتعبيرات الفضائية في اللغة العربية يتمّ استعمالها مرجعا للتعبير عن الزمن، مما يعني أن مستعملي اللغة العربية يتصوّرون الزمن من خلال مصطلحات الفضاء. ومن بين التعبيرات الشائعة للتعبير عن الزمن باعتباره فضاء ما يأتي:

- تصوّر الزمن كيانا متحركا.
- تصوّر الزمن فضاء محدودا.
- يمكن تصوّر الزمن كيانا متحركا وموقعا في نفس الوقت.
- الزمن والمستعمِل يتصوران أنهما يتحركان في نفس الاتجاه.

-استعارة الزمن كيانا متحركا Moving entity :

إذا ما عدنا إلى اللغة العربية فإنّنا نجد عددا مهمّا من الاستعارات اللغوية التي تستند إلى هذه الاستعارة المفاهيمية. ووفقا لهذه الاستعارة، فإن الزمن هو تصوّر على أنه يتحرك في علاقته بالملاحِظ. وقد وضح لايكوف وجونسون في كتابهما " الفلسفة في الجسد" الصورة الفضائية التي حُسبت لاستعارة الزمن كيانا متحركا على النحو التالي(لايكوف وجونسون، 1999، ص 41):

هناك ملاحظ وحيد ثابت يواجه اتجاها ثابتا. هناك فترة طويلة إلى أجل غير مسمى للأجسام التي تتحرك عبر الملاحظ من الأمام إلى الخلف. يتم تصوّر الأجسام المتحركة على أنها ذات واجهات في اتجاهها من الحركة.

هذا يعني أنّ الزمن اتجاهيّ لأنّ تصوّرنا للزمن ناتج عن خصائص تتعلّق بالأحداث، فكما أنّ الأحداث تتتالى وتتواصل فإن الزمن يتتالى أيضا ويتواصل، بذلك فإنّ تجربتنا مع الزمن تتصوّرها انطلاقا من تجربتنا مع الأحداث وحركتها.

ومن أمثلة استعارة الزمن كيانا متحركا في اللغة العربية نذكر :

تنطلق الدروس الشهر المقبل.

أيقن أنّ ساعته قد حانت.

أتى الصباح سريعا.

الأسبوع القادم أسافر إلى فرنسا.

ذهب أمس بما فيه.

مرّت الأيّام تباعا.

أدرك انّ الليل مضى.

جاء العيد بفرحه.

ذلك زمن ولّى وانقضى.

"أقبل" – " حان" – أتى" – "جاء"- ذهب" – " مرّ" – " مضى" – جاء" – ولّى" " انقضى" هي أهمّ المصطلحات المستعملة في اللغة العربية تعبيرا عن الزمن ككيان متحرّك. ومجملها أفعال تعبّر عن الحركة في الزمن فيها خاصية دلالية نموذجية للأفعال التي تعبر عن الحركة

في الوقت المناسب في اتجاه المستقبل. الفعل الحركي هو فعل يدل على الحركة فيما يتعلق بالمركز، أي النقطة المرجعية. ولاحظ كثير من اللغويين (Filmore, 2000) أنّ معظم الأفعال المتحركة تحمل بطبيعتها معنى الاتجاه. ويتمّ التعبير عن الزمن بالنظر الى موقع الملاحِظ من الحركة سواء في اتجاه الأمام أو في اتجاه الخلف في التعبير عن الماضي والمستقبل. والأفعال الأكثر تعبيرا عن الحركة في الاتجاه " جاء" و"اقترب" و"وصل" من موقع الملاحِظ الذي يبقى ثابتا والذي يشكل المركز للحركة (Talmy, 2000- Filmore, 1981).

-الاستعارة التصوريّة للزمن موقعا Location:

في اللغة العربية نجد حروف الجر الموضعية التي يتمّ استخدامها مع الزمن ثلاثة هي"عند" – " بـ" – " على". لذا توجد ثلاثة استعمالات لغوية مشتقة من الاستعارات المفاهيمية للزمن باعتباره موضعا.

ومن بين الأمثلة المستعملة في اللغة العربية نذكر:

-فتحت أبواب المسرح على الساعة السادسة مساء.

-ننتظر أن تصل النسبة بالسنوات الأولى بالمعهد إلى 40 بالمائة.

-حدّد فتح الأبواب عند الساعة الثانية زوالا.

وفي التعبير عن الزمن مفاهميا في علاقته بالموقع نجد الأنواع الآتية:

الوقت الماضي باعتباره الموقع الذي غادره الملاحِظ:

في الاستعارة المفاهيمية للزمن باعتباره فضاء مقيدا ، يُنظر إلى الماضي على أنه فضاء خلّفه الملاحِظ. مثال ذلك:" لقد تخطّينا القرن العشرين".

الزمن الحاضر هو الموقع الذي يوجد فيه المتكلّم:

في هذا النوع من الاستعارات يتزامن الوقت الحاضر مع موقع المتكلم حيث يكون الحاضر هو "الوعاء" الزمني الذي يحتوي على المتكلم. مثال ذلك:" ها نحن في القرن الثاني والعشرين". في هذا المثال نلاحظ أنّ المتكلم " نحن" محصور في الموقع الزمني أي في الحاضر. ويتمّ التعبير عن حالة الاحتواء هذه من خلال استخدام الحاضر صيغة زمن الفعل مع ضمير المتكلم نحن مما يحيل إلى أنّ موقع المتكلم هو الزمن الحاضر.

المستقبل هو الفضاء الذي يتحرك إليه الملاحِظ:

يمكن النظر إلى المستقبل على أنه الموقع أمام المتكلم، والمتكلم يتحرك نحو هذا الموقع من أجل تحقيقه، ونمثّل لذلك بهذا المثال:" نمشي نحو المستقبل بخطى ثابتة" ، وهذا المثال يشير إلى أنّ المتكلم يتقدّم نحو المستقبل فهو الفضاء الذي يتحرّك إليه.

الوقت امتداد في الفضاء:

يعني أنّ الزمن هو مسار على الأرض يتحرّك فيه المتكلّم، هذا يعني أنّ للزمن طول ويمكنه بذلك أن يقاس. ومن أمثلة ذلك في العربية نذكر:

- " طوال هذه المدّة كنت تقيم هناك".
- كنت تعيش هناك فترة طويلة.
- طول الوقت وأنت تتكلّم.
- سأذهب معك لفترة قصيرة.
- إنّ الأيّام تطول وتطول.

- يا ويلي يا طول ليلي.

كذا تصوّر اللغة العربية الزمن باعتباره امتدادا فيتمّ استعمال صفات التمديد " طويل" و"قصير" و" على امتداد" أو أفعال التمديد " قصُر" و" طوُل" و"أطال"... إلى غير ذلك من الاستعمالات اللغوية للزمن التي تحمل أبعادا ذهنية تعكس مشاعر أصحابها في علاقتهم بالزمن ومدى تأثيره عليهم.

الاستعارة المفاهيمية للزمن وجهة أو نقطة انطلاق:

من أمثلة ذلك:

- فتحت باب المحل من الساعة الثامنة صباحا.
- كم أتمنى أن تعود إلى ذلك الماضي الجميل.
- كانت منهمكة لإعداد ما لديها للشتاء المقبل.

كذا يتمّ التعبير في اللغة العربية في تصوّر الزمن كوجهة أو نقطة بداية وانطلاق باستعمال بعض المصطلحات مثل " من" و" إلى" و"لـ" وغيرها مما يحيل على هذا المعنى.

الوقت وعاء للأحداثContainer of events:

استعارات لغوية عديدة في اللغة العربية قائمة على الاستعارات المفاهيمية للزمن باعتباره حاوية أو وعاء للأحداث مثلما نتبيّنه من خلال الأمثلة الآتية:

- من المفترض أن نبدأ العرض في الساعة الخامسة مساء.
- شهد العالم خسائر كبيرة في زمن كورونا.
- ستؤثر أزمة كورونا على اقتصاد العالم في المستقبل.
- كتب ميخائيل نعيمة سيرته الذاتية في السبعين من عمره.
- بدأ العمل خلال الشهر الجاري.

بهذه العبارات " في" و" خلال" يتمّ التعبير عن الزمن في العربية كحاوية للأحداث Container.

الزمن والملاحِظ يتحرّكان في نفس الاتجاه:

إنّه في سباق مع الزمن.

من سابق الدّهر عثر.

"سابق" و"سباق" هي أبرز المصطلحات المستعملة في علاقة الانسان بالزمن في اللغة العربية وكأنّ السياق سياق تنافسيّ بين الوقت والإنسان فيكون فيه الفائز والخاسر.

جميع هذه الاستعمالات بيّنها لايكوف (1999) في قوله:" في أنظمتنا البصرية لدينا أجهزة كشف الحركة وأجهزة لكشف الأجسام – المواقع، وليس لدينا أجهزة كشف للزمن وبالتالي فإنه يجعل من المنطقي بيولوجيا جيدا أنّ الوقت يجب أن يفهم من حيث الأشياء والحركة".

"In our visual Systems, we have detectors for motion and detectors for objects/locations. We do not have detectors for time. Thus, it makes good biological sensé that time should be understood in terms of things and motion." (Lakoff, 199 .9, p 218- hamdi sondos, 2008, p157)

ب – استعارة الزمن ككائن أو جسم :

تصوّر اللغة العربية الزمن من حيث هو كائن يتم التعبير عنه من خلال الاستعارة الأنطولوجية ويُنظر إليه على أنه عرضة للضياع وللبحث. وبالتالي يمكن للمرء أن يفقده مجازيا ويبحث عنه. وكما هو معتاد في الأشياء يُفهم الوقت على أنه كائن قابل للتوصيف. فنحن ننظر الى الوقت على أنه متلازم معنا ككل الأشياء التي تشاركنا في سياقنا المكاني، فهو كائن قد يحتاجه المرء ويُنظر إليه على أنه كائن يتعاون معنا وقابل للتأهيل.

في هذا الإطار نجد أنواعا عديدة من استعارات الزمن كجسم أو ككائن تحددها السياقات. من ذلك نذكر:

استعارة الزمن كامتلاك:

تصور اللغة العربية الزمن من حيث هو كائن يمكن امتلاكه. ويتم التعبير عن هذه الاستعارة المفاهيمية باستعمال ضمائر الملكية " لي" -" لنا" ...

ومن أمثلة ذلك نذكر:

- قضيت الكثير من وقتي معها.
- يقدّم المسرح عددا كبيرا من العروض في موسمه الصيفي.
- ذاك مستقبلي.
- تلك هي حياته الخاصة.
- وقت سمير ثمين جدا.
- جاء في موعده وساعته.
- الشيء جميل في وقته.
- استعارة الزمن جسما يمكن أن يُمنح (يُعطى):

هذا يعني أن الزمن كجسم يمكن أن يعطى ومثال ذلك:

-أعطيتك مهلة شهر لإنهاء العمل.

كذا يمكن للمتكلم أن يمارس سلطته في الزمن المحدد كما يفعل عادة مع ممتلكاته. هكذا، يمكن وصف الزمن مجازًا بأنه ملكية يمكن التخلي عنها.

استعارة الزمن شيئا يمكن تقاسمه- مشاركته:

مثال ذلك:

- أقسّم وقتي بين عائلتي وعملي.

يمكن للمتكلم أن يشارك مجازيًا الوقت مع شخص آخر. فهو يمكنه أن يشارك الوقت مع شركاء مختلفين ويمكنه كذلك توزيع الوقت المتاح بالطريقة التي تناسبه. وفي هذا المثال يقسّم المتكلّم (أنا) وقته بين عائلته وعمله.

استعارة الزمن كائنا يمكن فقده:

فمثلما يمكن أن نفقد الأشياء، يمكن أيضا أن نضيّع الوقت لأنّ المرء يمكنه أن يخسر فقط الأشياء التي يمتلكها. والزمن أو الوقت شيء نمتلكه وإذا لم نحسن الحفاظ عليه فإنه يمكن أن نفقده ونضيّعه مثلما هو الأمر في هذا المثال:

في اللعب ضيّعت كل الوقت.

استعارة الوقت كائنا يمكن البحث عنه(Hamdi, 2008):

عندما يضيّع المرء الوقت، غالبا ما يحاول استعادته بالبحث عنه. ومن أمثلة ذلك نذكر:

نصحني بأن أبحث عن مستقبلي.

في هذا المثال ينصح رجل مسنّ طفلا صغيرا بالبحث عن مستقبله ككائن ثمين نمتلكه، لذلك لابد من بذل قصارى جهدنا لاستعادته بعد أن كان قد فقده مجازيا في سياق مّا. إذ أن يجد المرء نفسه دون مستقبل هو أسوء موقف يمكن أن يقع فيه.

إنه البحث عن التاريخ الضائع.

في هذا المثال "التاريخ" هو الماضي الذي فقده المرء حاليا ولكنه يبحث عنه لأنه مهم في وعينا لنعرف ماضينا لكنه أضاعه الآن فيبحث عنه المرء لاستعادته وعليه أن يجده، فامتلاكه مهم جدا إذ كي نعرف حاضرنا ومستقبلنا علينا أن نعرف ماضينا ونمتلكه.

استعارة الزمن شيئا ثمينا:

من أمثلة ذلك:

-هذا وقت ثمين.

- الوقت من ذهب.

- كانت فترة ذهبية.

هكذا يتمّ تصوّر الوقت الذهبي على أنه شيء ثمين وذو قيمة.

استعارة الوقت شيئا قابلا للسرقة:

باعتبار أهمية الوقت وقيمته في حياتنا فإنه يمكن أن يسرق. وفي اللغة العربية نعبّر عن هذه السرقة بهذا المعنى:

-سرقت القليل من الوقت كي أرتاح.

استعارة الزمن شيئا نحتاج إليه:

في الواقع، نظرا لتعدد نشاطات المرء فإنه يحتاج إلى الوقت للقيام بها، كما تبينه هذه الأمثلة:

-يقتضي ذلك وقتا طويلا.

- أحتاج إلى مزيد من الوقت لإنهاء مهامي.

عادة ما يحتاج المرء إلى المال لشراء شيء مّا ولكن في هذه الحالة يحتاج إلى الوقت ولكن للقيام بنشاطاته الكثيرة أي يحتاج المرء للوقت " لفعل شيء مّا".

ج- استعارة الزمن كشخص – كإنسان – ككيان بشريّ:

بعد أن تبيّنا استعارة الزمن أو الوقت فضاء متعدّد الأوجه وكيانا أو شيئا متعدّد الأوجه أيضا، سنتطرّق في هذا القسم من العمل إلى استعارة الزمن كيانا بشريّا أو شخصا أي أن نتصوّر الوقت كإنسان. أي أن يتمّ التعبير عن الوقت ويُفهم من خلال التجسيد. يقول لايكوف وتورنر:" يسمح التجسيد لنا باستعمال معرفتنا حول أنفسنا لتحقيق أقصى تأثير، لاستخدام رؤانا عن أنفسنا لمساعدتها فهم شيء مّا كقوّة طبيعية، والأحداث المشتركة، والمفاهيم المجرّدة والأشياء غير الحية" (Lakoff and Turner, 1988, p72 - Hamdi, 2008, p 189)

ويمكن أن نمثّل لاستعارة الزمن شخصا بـالآتي:

- هذا أفضل يوم على وجه التاريخ.

- سنقضي رأس السنة في النزل.

- إنّه يخشى مكر الزمان.

- من غالب الأيّام غلب.

- لا تعاتب الدّهر.

كذا نلاحظ من خلال هذه الأمثلة كيف تمّ تصوّر الزمن إنسانا إذ أسندت إليه خصائص وأفعال تتعلّق بالإنسان (وجه – مكر – عاتب...).

الوقت له خصائص الإنسان:

من الأمثال قولنا :" الليل أعور" ، هذا يعني أنّ الليل وهو الزمن له عينان كالإنسان قادرعلى رؤية الأشياء بعينيه.

ومن أقوالنا أيضا :" أيادي الزمان لا يمكن أن تطاله". وهنا تمّ تصوّر الزمان على أنّ لديه يدان كيدي الإنسان تتحرّكان وتمسّان وتفعلان....

الوقت له وظائف الإنسان:

فكما تمّ تصوّر الوقت على أنّ له خصائص الإنسان فإنه تمّ تصوّر الوقت على أنه يقوم بوظائف تُسند إلى الإنسان كقولنا :" إنّ الوقت لا يسمح بذلك". أو :" شهدت السنوات الأخيرة تراجعا اقتصاديا بسبب جائحة كورونا"

يعامل الوقت معاملة الإنسان والوحوش:

كقولنا :" إذا لا تقتل الوقت فهو يقتلك".

" لا تقتل الوقت فيما لا يعني".

" أفعل ذلك لقتل الوقت" .

من خلال هذه الأمثلة يبدو الوقت مجرما وضحية في نفس الوقت من خلال فعل " القتل" فهو ضحية لأنه يتعرض للقتل وهو مجرم لأنه قاتل. صورة الوقت كقاتل في المثال الأول تدعم ذلك الوقت كعامل يمكن أن يفعل أشياء سيئة لنا ، مثل دفعنا لوضع حد لحياتنا. فمجازيًا الوقت يقتلنا بجعلنا نتقدم في السن وبتمهيد طريقنا إلى الموت(Hamdi, 2008) .

د- استعارة الوقت كمورد محدود:

في هذه الحالة يتمّ تصوّر الوقت على أنه محدود الموارد مثلما نلاحظه في هذه الأمثلة:

- نفذ كلّ الوقت.
- لم يبق إلاّ القليل على نفاذ المدّة المطلوبة.
- ليس لك متّسع من الوقت.

كذا يتمّ إسقاط خصائص الحياة والموت التي تتعلّق بمعاني المحدودية والفناء نظرا لحتمية الموت، على الوقت فيصبح فانيا ونافذا وقليلا نظرا لمحدوديته، يقول لاكوف وتورنر: "كل واحد منا يتم تخصيص وقت ثابت معين له على الأرض. سيتم استخدام الوقت المخصص لنا في النهاية وسنموت".(Lakoff and Turner,1989,p34 –Hamdi,2008,p197)

هـ- استعارة الزمن مالا:

بعض الاستعارات اللغوية التي تعكس هذه الاستعارة المفاهيمية هي تعبيرات باستعمال فعلي "أنفق" و"حفظ" وهما فعلان يستخدمان بشكل أساسي للحديث عن المال.

أنفق كل الوقت في ما لا يعني.

حافظ على وقتك ولا تضيعه.

الخاتمة:

يتبيّن لنا من خلال ما تقدّم أنّ الإنسان يقوم بإسقاط ما يعيشه من تجارب، بكلّ ما فيها من أحداث وأشياء وكيانات وأشخاص، على تصوّره للزمن، فيكون الزمن فضاء ويكون وعاء لما يعيشه من أحداث، ويكون شخصا بكل ما يتعلّق بالإنسان من خصائص ووظائف وصفات، ويكون وحشا لابد من القضاء عليه كي لا يغلبنا، ويكون مالا لابد من حسن استثماره، ويكون شيئا ثمينا لابد من الحفاظ عليه.

فالإنسان إذن يسقط تجاربه تلك، عبر علاقته بالأحداث التي يعيشها وبنمط حركيّتها واتجاهاتها التي تتنزّل في فضاء مّا، على تصوّره للزمن، فتكون استعمالاته اللغوية في التعبير عن الزمن استعاريّة ذهنيّة تعكس تمثّله للعالم الذي يكون له دور كبير في إنشائها.

قائمة المصادر والمراجع: (مرتبة ألفبائيا)

المصادر والمراجع العربية:

- ابن يعيش، شرح المفصّل، دار الكتب العلمية ، بيروت لبنان، 2001.
- أبو القاسم الزجاجي، الإيضاح في علل النحو ، تح مازن المبارك، دار النفائس ، 1974.
- اسماعيل شكري، في معرفة الخطاب الشعري، دلالة الزمان وبلاغة الجهة، دار توبقال للنشر، المغرب، 2009.
- تمام حسان ، مناهج البحث في اللغة، دار الثقافة ، المغرب، 1986.
- تمام حسان، اللغة العربية معناها ومبناها، دار الثقافة، المغرب، 1994.
- جمال الدين،مصطفى، البحث النحوي عند الأصوليين، دار الرشيد للنشر، منشورات وزارة الثقافة والإعلام، العراق،1980.
- جميل حمداوي، مفهوم الجهة في اللسانيات، شبكة الألوكة، ط1، 2016.
- سيبويه، الكتاب، تح عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ط2، 1977.
- صبيحة جمعة ، من النص إلى الخطاب : نحو تأويل إدراكي موسع، نقوش عربية، تونس، 2020.
- عبد الله بو خلخال، مقال" الدلالة على الزمن في اللغة العربية واساليبها"، مجلة جامعة قسنطينة للعلوم الإنسانية، ع2، 1991.
- عبد المجيد جحفة: دلالة الزمن في العربية، دراسة النسق الزمني للأفعال، دار توبقال للنشر، المغرب، 2006.
- لايكوف وجونسون، الاستعارات التي نحيا بها، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، 1996.
- لايكوف وجونسون، الفلسفة في الجسد، ترجمة عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، 2016.

- محمد غاليم، الإبداع الدلالي عند المتضايقين بين البنية التصورية والبنية العصبية، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي ـ مصر، 2017.
- محمد مختار، مقال: التصور الاستعاري للزمن من إدراك اللغة إلى إدراك الذهن https://kitabat.com/cultural
- مصطفى حسوني، بنية الجملة في العربية، دراسة مقارنة، دار توبقال للنشر، المغرب، 2014.
- **المراجع الأجنبيّة:**
- Blachère , R et Domenique ;G ; grammaire de l'arabe classique : morphologie et syntaxe, larousse, paris, 1952.
- Cohen, David, l'aspect verbal, paris, P,U,F, 1989.
- Flesh, H ; traité de philologie arabe, vol 2, librairie de Liban, Beyrouth, 1979.
- Filmore, pragmatics and the description of discourse, Academic press, 1989.
- Hamdi Sondes, Conceptual metaphors of time in English and Arabic : a comparative cognitive study, faculté des letters , université Laval Québec, 2008.
- H,Fleisch, sur l'aspect dans le verbe en arabe classique, Arabica, T,21,Flasc 1, Feb, 1974.
- Lakoff G and Turner,M, More than cool reason: a field guide to metaphor, chicago, university of Chicago press, 1989.
- Lakoff G and Johnson M, philosophy in the flesh: the embodied mind and its challenge to Western thought, 1999.
- Lyons,(john), sémantique linguistique, trad,jacques durand et dominique, lib larousse, paris, 1977.
- talmy ، Towards a cognitive semantics : Typology and process in concept structuring, cambridge, 2000.

بنية الشخصية في روايات محمود شقير (روايات "أنا وجمانة" و"أحلام الفتى النحيل" نموذجا)

The structure of personality in the novels of Mahmoud Shuqair

(The novels "Ana and Jumana" and "The Skinny Boy's Dreams" for examples)

الدكتورة عزت ملا ابراهيمى (الأستاذة، قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، ايران. mebrahim@ut.ac.ir)

زهراء فاضلى (الماجستر في قسم اللغة العربية وآدابها بجامعة طهران، ايران. asemane139400@gmail.com)

الملخص

والشخصية الروائية هي أحد الأفراد الخياليين أو الواقعيين الذين تدور حولهم أحداث القصة. فهي من أهم العناصر الأساسية المكونة للخطاب السردي الروائي لما تلعبه من دور رئيسي في إنتاج الأحداث فهي تمثل وفي كل الحالات موضوع اهتمام كثير من النقاد. لأنّ الشخصية عنصر أساسي في العمل السردي فقد تعددت الدراسات حولها لهذا تعددت مفاهيمها ومجالاتها فهي تعمل كمحرك أساسي للعمل الروائي وهي الأداة التي يستخدمها الكاتب لتصوير الأحداث وتجسيد أفكاره. ويعدّ محمود شقير من أبرز الأدباء المنتمين بالواقعية، خاصة عندما نضجت الظروف المحلّية في المجتمع الفلسطيني مما أدّى إلى سيطرة الاتجاه الواقعي في الرواية الفلسطينية، فصارت هموم أطفال شعبه وآلامهم من موضوعاته الفاعلة. وأصبحت رواياته امتدادا موضوعيا لتأصيل القصة الواقعية، في اتصالها بهموم الطفل الفلسطيني، فكانت بعض قصصه واقعاً مفعماً بالإبداع مثل روايات "أنا وجمانة" و"أحلام الفتى النحيل"، مما جعلنا نتتبع أنواع الشخصيات ودورها في هذه الروايات اعتمادا على المنهج الوصفي – التحليلي. وقد وصلنا إلى أنّ الشخصية عند محمود شقير ظهرت في قصصه حُرّة، قائدة، قادرة على القيادة وانتزاع حقوقها، فلذا تعبّر هذه الشخصيات عن الواقع الفلسطيني، وتصور واقع الطفل الفلسطيني ومأساته، وتبدأ منافحة مدافعة عن الحقّ الفلسطيني في الحرية والحياة.

الكلمات المفتاحية: أدب الطفل، فلسطين، محمود شقير، الشخصيات، الواقعية.

Abstract

The fictional character is one of the fictional or real people around whom the events of the story revolve. It is one of the most important basic elements that make up the narrative narrative discourse because it plays a major role in the production of events, as it represents, in all cases, the subject of interest of many critics. Because the personality is an essential element in the narrative work, there have been many studies on it, so its concepts and fields have multiplied. Mahmoud Shuqair is considered one of the most prominent writers affiliated with realism, especially when the local conditions in Palestinian society matured, which led to the dominance of the realistic trend in the Palestinian novel, and the concerns and pains of his people's children became one of his active topics. His novels became an objective extension of the authentication of the realistic story, in connection with the concerns of the Palestinian child, so some of his stories were a reality full of creativity, such as the novels "Me and Jumana" and "The Dreams of the Skinny Boy", which made us track the types of characters and their role in these novels depending on the descriptive-analytical approach. We have reached that the character of Mahmoud Shuqair appeared in his stories as free, a leader, capable of leading and taking away her rights. Therefore, the characters express the Palestinian reality, depict the reality and tragedy of the Palestinian child, and begin a struggle defending the Palestinian right to freedom and life.

Keywords: children's literature, Palestine, Mahmoud Shuqair, characters, realism.

.

1- المقدمة

لقد اهتمت الكثير من العلوم بالشخصية كعلم النفس وعلم الاجتماع وعلم الهندسة النفسية...، والكثير من العلوم التطبيقية، كما حظيت بالاهتمام الأكبر في الفنون الأدبية وتحديدا في الرواية فهي القطب الذي يتمحور حوله كالخطاب السردي، وهي عموده الفقري الذي يركز عليه، فلا يمكن للرواية الاستغناء عنها ولا يمكن تصور عمل سردي بدون الشخصية فهي مركز الأحداث في الرواية، والروائي يطرح رؤيته عبر شخصياته فهي المكون الأكبر للنص. وأهم ما يميز العمل الروائي هو البناء أو الهيكل الروائي وهو الإطار الذي تنتظم داخله الأحداث الروائية في علاقات عضوية يربطها نظام متماسك والسرد هو لغة الرواية القائم على الوصف والحكي، ونقل الحدث من مجال الواقع إلى الصورة اللغوية، ورسم ملامح الشخصيات ودلالاتها وأفعالها وعلاقاته في إطار قوانين محددة، الشخصية كائن يرسمه الروائي ويتفنن في إبداعه وإعطائه الدور المهم والمناسب، فهي مكون هام للعمل السردي وتعتمد على مخيلة الروائي فسنقلها من عالمها الخاص إلى عالم تصبح فيه نماذج عامة. ولهذا يتناول البحث دراسة الشخصيات في روايات محمود شقير ويبحث عن طرق تقديمها بالشرح والتحليل من أجل الوصول إلى رؤية واضحة حول تصوّر الروائي ورؤيته للواقع الفلسطيني. فيعتمد البحث على المنهج الوصفي- التحليلي للكشف عن أهم الشخصيات في أعمال محمود شقير، وترصد أنواع الشخصيات في روايات "أنا وجمانة" و"أحلام الفتى النحيل". وتسعى إلى معرفة الوسائل الفنية التي اعتمد عليها الكاتب في رواياته، مترافقاً مع تحليل المحتوى واستنباط النتائج من خلال دراسة النماذج المستخرجة من نصوص قصصه.

وطرحت تساؤلات حول عنصر الشخصية في روايات محمود شقير والمتمثلة في:

- كيف كان بناء الشخصيات في رواياته؟ وما هي أهم المقومات والمصادر التي ارتكز عليها الكاتب في بناء شخصياته؟

الدراسات السابقة: كتبت عدّة دراسات عن محمود شقير وأعماله القصصية، إلّا أنّ موضوع "**بنية الشخصية**" في أدبه لم يحظ بدراسة الباحثين ولم يدخل إلى حيّز التناول في هذه البحوث. أمّا إذا أردنا أن نأتي بدراسات تناولت أدب الكاتب فيمكننا أن نذكر:

- «الفن القصصي عند محمود شقير»، سامي عبدالله السرخي، رسالة ماجستير، جامعة القدس، ٢٠٠٧؛ تناول الباحث في هذه الدراسة تجربة محمود شقير القصصية منذ ستينات القرن العشرين حتى عام ٢٠٠٥، وتأثيره على ترسيخ القصة القصيرة جدا في الوسط العربي، وعالج الواقع الفلسطيني والقضايا الإنسانية والاجتماعية والوطنية وصراع الكاتب بين طبقات البرجوازية والفقيرة، ووضّح كيفية انتقال شقير من القصة السردية إلى كتابة القصة القصيرة جداً.

- «تحليل العناصر القصصية في قصة "مقعد رونالدو" للقاص الفلسطيني محمود شقير»، حريرچي وآخرون، مجلة الجمعية الإيرانية للغة العربية وآدابها، العدد ١٤، ٢٠١٠؛ يهدف هذا البحث إلى تحليل العناصر الفنيّة في قصة "مقعد رونالدو"، وتسليط الضوء على قصص محمود شقير القصيرة، وتناولوا تجليات الاستبداد الصهيوني والاستكبار الغربي في آثار محمود شقير، وجدلية الأدب والسياسة في قصصه القصيرة.

- «دراسة العناصر الفنية في قصص محمود شقير للأطفال (قصص الحاجز، مهنة الديك، الملوك الصغار نموذجاً)»، مهدي أكبري، رسالة ماجستير، جامعة بو علي سينا، ٢٠١٤؛ تناول الباحث العناصر الفنيّة في عدّة قصص، وألقى الضوء على انسجام تلك العناصر مع شخصية الطفل، والقضايا الاجتماعية ذات المضمون التعليمي الأخلاقي.

- «بنية القصة القصيرة العربية المعاصرة (دراسة قصة طقوس للمرأة الشقية لمحمود شقير)»، نسرين كاظم زادة، مجلة لسان مبين، ٢٠١٤؛ تعتقد الكاتبة أن هذه المجموعة القصصية تشمل لحظات حسّاسة ومتأملة في حياة المرأة وتجاربها القاسية، وتسعى في سبيل رقيّ منزلة المرأة في المجتمع. وتطرق إلى التقنيات القصصية والخصائص الأسلوبية البارزة، كالشخصية، والمفارقة، والانزياح، والتكرار، والتكثيف، والوصف، والتشخيص، وغيرها.

- «الطفل في أعمال محمود شقير القصصية»، زهور علي محمد يوسف، رسالة ماجستير، جامعة النجاح الوطنية، فلسطين، ٢٠١٦؛ عنيت هذه الدراسة بالأبعاد الطفولية ومضامينها وأساليبها في قصص محمود شقير، وتطرّقت إلى الأبعاد النفسية والاجتماعية والوطنية والتربوية والسياسية. وبيّنت أن هذه الأبعاد كانت صدى لما يدور في كوامن الكاتب وهواجسه، وأظهرت الطفل ورؤيته الطفولية للأرض، والشهادة، والوطن، والاحتلال، والبيئة الاجتماعية. ورصدت الباحثة التشكيل الجمالي لحضور الطفل في أعمال محمود شقير القصصية، فأظهرت الجوانب الجمالية فيها منها: اللغة، والأسلوب، والصورة.

- «صورة المرأة في الرواية الفلسطينية روايتا "فرس العائلة" و"مديح لنساء العائلة" لمحمود شقير نموذجا»، آيات مأمون بوريني، رسالة ماجستير، جامعة بيرزيت، ٢٠١٧؛ كشفت الكاتب عن تعدّد صورة المرأة التي تتراوح بين الإيجابة والسلبية، تجسّدت فيها صورة الأم المناضلة التي تقدّم أبناءها في سبيل الدفاع عن الوطن، وظهر بشكل واضح تأثير التعليم والثقافة على وعيها النضالي، وتمثّلت صورة المرأة المتمردة التي تقف لتحقيق كرامتها، وتكدّ في سبيل تأمين قوت أبنائها.

- «سخرية الذات في مجموعة قصص "صورة شاكيرا" القصيرة لمحمود شقير»، سيدة أكرم رخشنده نيا، مجلة معرفة، العراق، ٢٠١٨؛ تطرّقت الكاتبة إلى جانب السخرية الذاتية في هذه المجموعة القصصية، فنرى أنها سخرية مباشرة من الجلاد بذاته، وأنها سخرية الواقع في تفاصيل حياة الناس البسطاء ويومياتهم.
- «المفارقة والسخرية في القصة القصيرة جداً (محمود شقير نموذجاً)»، إيمان محمد علي زيادة، رسالة ماجستير، جامعة فيلادلفيا، 2019؛ تناولت الدراسة عنصري المفارقة والسخرية في سبع مجموعات في القصة القصيرة جداً عند شقير، وتوصّلت إلى غلبة توظيف عنصر المفارقة على عنصر السخرية في تلك المجموعات، فالمفارقة في رأيها غالباً ما تكون ضربا من السخرية المكتومة، بينما السخرية يستخدمها من المحتل والسياسيين الذين يستغلون قضية فلسطين لمصالحهم الشخصية.
- «تجليات المقاومة في أدب الطفل الفلسطيني (أعمال محمود شقير نموذجا)»، عزت ملا إبراهيمي، وزهراء فاضلي، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور، باكستان، العدد ٢٧، ٢٠٢٠؛ يهدف هذا البحث إلى أهم تجليات المقاومة في أدب شقير ودعوته في مقاطع غير قليلة إلى الكفاح والمقاومة من أجل طرد العدو المحتل من أرضهم الأم واعتقاده الراسخ بالالتزام بمناهج المقاومة السلمية في هذا السبيل.

2- الشخصية في أدب الطفل

القصة من أكثر الأنواع الأدبية تأثيراً في الأطفال، إذ إنّها تمتّ بصلة إلى واقع حياتهم ومفرداتهم اليومية، فالأطفال يجدون أنفسهم في مضامينها، لذلك من البدهي أن تكون الشخصية الروائية محور اهتمام الطفل في التلقّي، لأنها أقرب العناصر إلى مدركاته الحسيّة، وأكثرها وضوحاً له، كما أنّ القيم والمبادئ التي يسعى الروائي أن يعزّزها في نفوس الأطفال ترتكز على عنصر الشخصيات بالدرجة الأولى، لذا على الكاتب «بذل الجهد المبدع لرسم شخصيات القصة بعناية، بحيث تحقّق أهداف القصة، وتتناسب مع الأحداث، تتصرّف وتتحرّك وفق ما تقتضيه طبيعة الحياة الواقعية» (بريغش: ١٩٩٦، ص٢١٩)، ليتناغم أدبه مع عالم الأطفال وميولاتهم ورغباتهم.

إنّ تناول الشخصية في أدب الطفل ينبغي ألا يكون بمعزل عن الأطفال أنفسهم، لأنّ الأطفال يبحثون في القصص عن نموذج وعن محتذى يحذون به، لهذا أولى أدباء الطفل اهتماماً بالغاً بهذا العنصر كي يحقّقوا التفاعل عند الأطفال، فالشخصيات التي يقابلها الطفل في قصص الأطفال «تشكّل المدخل الأهم لتحقيق نوع من التعاطف الذي يحدث جوّاً انفعالياً مساعداً يخطو بالقصة في طريق النجاح» (الجاجي: 1991، ص١٢٥)، وتصبح الشخصية مهمة عند الأطفال كونها تماهى مع ذواتهم، لاسيما الشخصيات التي تتّسم بالفعل الإيجابي التي عندما تصنع الحدث، وترتفع لمستوى البطولة والمغامرة، تحمل القيم والمبادئ، وتنبئ عن رؤية الكاتب الذي يمكن أن يجعل من أبطال قصصه نماذج واقعية مؤثّرة،

فيشعر نحوها المراهق بمزيج من الصداقة، والإعجاب، والتقدير، وتكون مثلاً ترسم الطريق أمامه وتنير أفق هذه الفترة الغامضة من حياته «بحيث يجد بين سطورها نفسه الضائعة، ويتلمّس في ثناياها الإجابة عما يطوف في ذهنه من أسئلة محيرة» (نجيب: ١٩٩١، ص١٧٠).

إنّ واقعية الشخصية لا تعني أن الكاتب يستنسخها من الواقع أو ينقلها بتفاصيلها كما هي، فالطفل الذي يبحث عن نموذج قادر على أن يميّز الزائف فيها عندما تتسم بصفات وملامح غير واقعية، فتتراءى له بأنّها مصطنعة، وهذا يؤدّي إلى فقدان التوافق بين هذه الشخصية والطفل. فأديب الطفل عندما يقدّم شخصياته يجب أن تكون من التي يمكن رؤيتها في الواقع، «وكلّما كانت الشخصية منسجمة مع مظهرها وسلوكها أو وضعها النفسي والاجتماعي كلما كان تأثيرها أقوى وأنفع» (الهرفي: ٢٠٠١: ص٩٧).

وتخلّف الشخصيات في القصص المغامرة أثراً واضحاً في نفوس الأطفال، فالطفل وهو على أعتاب مرحلة اليفاعة/الفتوة، يعثر على ضالته في التقصّي والاكتشاف والبحث عن المجهول، والمتعة بالمغامرة، كي تتحوّل إلى نماذج يحتذي بها «ويتشرّب اتجاهات المغامرين من شجاعة وإقدام ونبل وشفقة لأنهم موضع إعجابه» (شحاتة: ١٩٩٦، ص١٥١).

وعلى الرغم من أن الشخصيات في قصص المغامرات تتسم بالاكتمال والتفوّق، إلّا أنّها لابدّ أن لا تتجاوز إطار الواقع الذي وجدت فيه، ويجب أن ينظر إليها الطفل على أنها إنسان في النهاية، صحيح أن الكاتب يرمي إلى أن يكون المجتمع مثالياً عند الأطفال لكنّ هذه الصورة في الروايات قد تؤدّي إلى نتائج عكسيّة عندما يواجه الطفل أرض الواقع. لذلك من المناسب «أن تكون في الشخصية جوانب سلبية إلى جانب الجوانب الإيجابية ليتعرّف الطفل على الأشياء السلبية في الحياة، ويعمل على تجنّبها» (إسماعيل: ١٩٧٢، ص٩٧). حتى تتوافق مع الشخصية الواقعية بما تحمله من خير وشرّ. وهذا الأمر مطلوب في كلّ الشخصيات التي يقدّمها الكاتب، فالشخصيات الواقعية ليست على وتيرة واحدة، قد تكون شجاعة مثلاً أو جبانة. فهناك أطياف متعدّدة من هذه الصفات في الحياة، لذا نجد الشخصية الواقعية ينبغي لها أن «تتصرّف كما تتصرّف شبيهاتها في الحياة إذا وضعت تحت تأثير الظروف نفسها، وأن تتصرف تصرفاً لا يجافي طبيعة الحوادث والشخصيات» (قناوي: ٢٠٠٣، ص١٥٩)، وهناك جانب مهم يتعلّق بهذه الواقعية، ألا وهو ضرورة ارتباطها بثقافة المجتمع والأفكار السائدة وتمثيل اتجاهاته. خاصة في أدب الطفل الفلسطيني الذي تحفل مضامينه بالأبعاد الإنسانية العميقة.

تفرض المقارعة اليومية مع الاحتلال واقعاً خاصاً في فلسطين، بما يدفعنا إلى تلمّس أدب يغرس ويعزّز قيم الحرية والعدل في نفوس الأطفال، ساهمت في ظهوره ثقافة مقاومة تشحذ الجيل القادم للاضطلاع بدوره وتدفعه لنيل الحرية، وهذه الثقافة ترسّخت في نسيج الفكر الفلسطيني، واتّخذت الجانب الأكثر

إشراقاً في أدب الطفل الفلسطيني. وفي ظل هذا الوضع برز محمود شقير كاتبا أولى كثيرا من اهتمامه للكتابة عن الطفل ليكون حصنا حصيناً في حفظ ذاكرة الطفل الفلسطيني وإحيائها أمام المحتل الذي يراهن على محوها.

3- أنواع الشخصيات في روايات محمود شقير:

ولكون روايات شقير زاخرة بالشخصيات فقد قسّمناها على النحو التالي:

3-1 الشخصية الرئيسية

وهي الشخصية التي يتلمس فيها فهم التجربة التي يطرحها السارد في الرواية، «وهي المركبة الدينامية الغامضة لها القدرة على الإدهاش والاقناع، كما تقوم بأدوار حاسمة في مجرى الحكي تستاثر دائما بالاهتمام، ويتوقف عليها فهم العمل الروائي، ولا يمكن الاستغناء عنها» (بوعزة: 2010، ص٥٨). نستنتج ممّا سبق أن الشخصية الرئيسية أو المحورية هي العنصر الفعال والمحرّك لأحداث الرواية، ومن أهمها في روايات شقير:

مهنّد: وهي الشخصية المحورية في رواية "أحلام الفتى النحيل" مثل فترة مراهقته وعلاقته بالجنس الآخر (عزيزة ونادية) وطبيعة هذه العلاقة، يصف الكاتب ميل هذ الفتى إلى الروايات والأفلام السينمائية ثم في الختام يعي الفتى أنّ الوقت ما يزال مبكرا على علاقته بالفتيات، ويجب أن يصبّ اهتمامه على الدراسة، وهذه الشخصية عاشت فترتين مختلفتين من الزمن: فترة النكبة وفترة خمسينات القرن العشرين.

أ- فترة النكبة: تجسّد هذه الفترة جزءا من حياة "مهند" الذي عاش وسط عائلته في قريته، وبعد أن عرف أبواه بأنّه يزداد نحافةً يوما بعد يوم بسبب تفكيره الدائم بعزيزة، وقلقه عليها بعد أن أخرجها أهلها من المدرسة، قرّروا أن يلتحق بمدرسة في المدينة، فيقول: «كانَ أبي معنيًّا بأنْ أتلقّى العلمَ في إحدى مدارسِ القدس» (شقير: 2010، ص30)، تعرّف هناك على نادية التي كانت سببا من أسباب نسيانه لعزيزة، إذ كان يحلم بأنّه يتجوّل مع نادية في شوارع المدينة، ثم جاء وصف المدينه على لسان السارد: «والمدينةُ لم تكن دوْمًا على هذا الحال. كانت تنطوي على نفسها في بعض الأحيان. وكنتُ أخافُ كلّما سمعتُ الرصاص ينطلقُ نحوَ باب العامود من بناية النوتردام التي تقعُ خارجَ سور المدينة. أخافُ أنْ يُطلقَ الجنودُ الإسرائيليون الرصاصَ عليّ، وأنا أجتازُ الساحةَ المكشوفة أمامَ تلكَ البناية العالية، الواقعة في الجزء الغربي من القدس. هذا الجزء الغربي أصبحَ بيننا وبينه منذ 1948 جدارٌ لا يقينا من الرصاص، ولم يكن قربَ الجدار شجرٌ يحمينا من عيون الجنود» (المرجع نفسه: ص39). استطاع الكاتب أن يصوّر لنا جزءا من حياة الطفل في فترة كان الجزء الغربي من القدس في قبضه الاستعمار في نكبه 1948، وبهذا يربط شخصية روايته بالمكان والزمان والحدث.

ب- فتره الخمسينات: وهي فترة كان أبومهند «يخافُ هو الآخر من شيء ما، أو أنهَّ كان يشعرُ بالقلق من الأيّام القادمة. اشترى مذياعًا من حانوتٍ في باب خان الزيت له عينٌ من زجاج، تضيء كلّما أدرْنا مفتاحَ التشغيل. واعتادَ أبي أنْ يجلس في ساعات المساء لمتابعة الأخبار. كانَ ذلك في العام 1955» (المرجع نفسه: ص39). واستطاع الكاتب أن يسجّل لنا صورا واقعية من هذه الفترة التاريخية وهدف الكشف عمّا سيحدث في فلسطين أو هو بالأحرى استشراف وتنبؤ بما سيحدث لبلاده مستقبلا.

جواد: تعدّ شخصية جواد في رواية "أنا وجمانة" من الشخصيات الرئيسية، يرسم لنا الكاتب شخصية هذا الطفل الذي يصغر أخته جمانة بعام، وله علاقة دافئه مع أخته منذ طفولتهما المبكرة. حيث كانت تجمعهما غرفة واحدة إلى أن تقرّر الأم انتقال جمانة إلى غرفة صغيرة خاصّة بها، لأنّها بلغت الثالثة عشرة من عمرها، كما يصوّر لنا شقير العلاقات الإنسانية بين جواد وجمانة وأطفال الحي بغضّ النظر عن ديانتهم وعرقهم، ويرسم لنا عالم الخيال والأحلام الذي يعيشه جواد وعلاقته الوطيدة وصداقته الراسخة مع صديقه الجزائري "مصطفى" الذي أخبره بأنّه نذر نفسه للقضايا الكبرى وأنّه يعمل على مسحوق السحري «سَيجلبُ النعاسَ إلى عيون الإسرائيليين جميعاً، وسينامُ الإسرائيليون أربعاً وعشرين ساعة» (شقير: 2018، ص6)، كي يقوم بنقلهم إلى أوغندا، الدولة التي كان مقرّرا أن يقيموا فيها قبل أن يتوجهوا إلى فلسطين ويقيموا دولتهم فيها ويصبح شعباً أفريقيا. يوفّر لكل إسرائيلي غيمة تقي بشرته الشقراء من شمس أوغندا، ولشدة المشاعر الإنسانية والبراءة التي تكمن في روح جواد يكتب إلى صديقه مصطفى عن إمكان وقوع خطأ ما إذا لم يستيقظ الشعب الإسرائيلي من المسحوق السحري المنوم، وهذا قد يؤدّي إلى عملية إبادة جماعية لا يريدها جواد، فيجيبه أنّهم يستيقظون بعد أربع وعشرين ساعة ليجدوا أنفسهم في أوغندا، فشخصية جواد تبرز إنسانيته وعاطفته الجيّاشه، وحرصه الشديد على أبناء شعبه في كلّ مكان ومن كل الديانات.

كما نرى شخصية جواد متعاطفة مع أطفال إسرائيل، وعندما ركبت معه بنت إسرائيلية في الحافلة، ينظر إلى وجهها، ويسأل مصطفى عن إمكان سقوط طفل إسرائيلي رضيع من بين الغيوم، أو يغرق في البحر، أو يرتطم رأسه بصخرة ويموت، ويجيبه مصطفى بأنّ: «على متن الغيوم حضاناتٌ مجهزةٌ أحسنَ تجهيز، وثمة ممرضاتٌ لديهن خبرةٌ في رعاية الأطفال، وسيقمنَ بالسهر على سلامتهم. وللكبار تسهيلاتٌ مُشابهة كذلك. ففي الغرف الفسيحة على مَتْنِ الغيوم، أسِرَّةٌ مريحة وأغطية كافية، وَخَدَمٌ من الرجال والنساء للسهر على راحة الإسرائيليين أثناء نومهم، فإذا نُزِحَ الغطاءُ عن جسد امرأة إسرائيلية، بادرتْ خادمةٌ جميلة إلى تعديل الغطاء فوق جسدها. وإذا عطسَ كهلٌ إسرائيلي، بادرَ خادمٌ وقور إلى مجاملته بالقول: «رحمكم الله أيها الإسرائيلي الطيب»، ولن يردَّ الإسرائيلي قائلاً "أثابنا وأثابكم الله"، لأنه نائم،

وليس لأحد أن يلومه على عدم الردِّ» (المرجع نفسه: ص27). لكنّ قلق جواد لا ينتهي تجاه أبناء شعبه في كل مكان، حتى الذين عاشوا في قرى منسية كمحمود درويش: «هل نسيتَ يا مصطفى؟ محمود درويش من هناك، أمه وأخوته وأخواته ما زالوا يعيشون هناك، أم أنك نسيتَ قصيدته التي يقول فيها: أنا من قريةٍ عزلاءَ منسية» (المرجع نفسه: ص36). كما يظهر حرصه الشديد ويخشى أن تقع الواقعة على الذين لم يغادروا وطنهم لعام 1948، بل لقد حسب حال المستوطنين في الضفة الغربية وقطاع غزة، لكنّ مصطفى يطمئنه بأنّه «سيقوم بترحيلهم قبل غيرهم» (المرجع نفسه: ص٣٦). وزيادة في الحرص، وربطاً بالأحداث التي جرت في فلسطين من احتلال وتهجير ومجازر، يسأل جواد صديقه عن الذنب الذي ارتكبه أهل أوغندا حتى يبتلى هذا الشعب ببلوى ليس كمثلها شيء؟ ويحلّ بشعبها قتل ودمار. لكنّ مصطفى يجيبه: «لا تقلق سأرسلهم لكن دون أسلحه» (المرجع نفسه: ص٣٠). وهكذا يشخص محمود شقير ما جرى للشعب الفلسطيني، وضرورة إيجاد حلّ ولو خيالي لمشكلة الشعبين، فجواد تربطه علاقة راسخة بمصطفى ويثق بمخطّطاته، ويطرح أسئلته الطفولية البريئة، كي يجد حلّا لكل مشكلة محتملة أو ممكنة الحدوث، وهذه الشخصية الروائية ليست تقليدية، وفيها كسر للمألوف، وخروج عن الأنماط السائدة في الأدب العربي المعاصر، لأنّها ذات مواصفات تتجاوز الواقع وإن يكن جواد ابن هذا المجتمع والواقع ونشأ في بيئته الاجتماعية والسياسية لكنّ الفكر الماركسي المهيمن على الروائي شقير، صاغ ملامح لهذه الشخصية ضمن مواصفات الأدب الإنساني الحافل بالأبعاد الوطنية والسياسية والاجتماعية.

جمانة: وهي شخصية روائية ذات حضور باهر وثقة بالنفس بفعلها وفكرها، فمنذ أن ولدت في الجزائر، كانت تذهب إلى دور السينماء المنتشرة في المدينة، وهناك شاهدت فيلم "جميلة بوحيرد"، وأصبحتْ جمانة متعلقة بالبطلة الجزائرية التي سُجنتْ وعُذِّبَتْ دفاعاً عن حرية بلادها. فقالت: «حينما أكبرُ سوف أفعلُ مثلها تماماً» (المرجع نفسه: ص9). ثم تلجأ إلى الجبال كي تلتحق بالمقاومة، ويلقي الأعداء القبض عليها، ويقتادونها إلى السجن، وتتحمل التعذيب بشجاعة، ولن تدلي بأية اعترافات تلحق الضرر بالمقاومة، بعد أن تعيش في ظلام السجون سنوات عدّة، ستظفر بلادها بالاستقلال والحرية ويتولى محام تتزوجه الدفاع والإفراج عنها. كما أنّ شخصية جمانة داعية للمحبة والوئام، حينما كان حاتم وجريس يتنافسان على حبّها، يظهر جواد انحيازه إلى جريس والشقيقتين التوأمين "لميس وماري"، فحاتم كانت تدفعه الغيرة والغضب من جمانة إلى وضع قيود في يدها كي يمنعها من اللعب مع جريس بالذات، وفي حلم من الأحلام يرى جواد حاتما قد «قبضَ على عنقها بيديه الاثنتين. اعتقدتُ، للوهلة الأولى، أنه يضغطُ على عنق المقنعة ذات الرقبة الطويلة، وبعد لحظة، تَبَيَّنَ لي أنه يضغط على عنق جمانة، يضغط بشدة وهو

يصرخ: أنتِ عديمةُ الحياء، عديمة الخلق» (المرجع نفسه: ص48)، وبعد أن يكتشف بأنّه حلم، لم يخبر جمانة به كي لا تغضب من حاتم وتنفر منه، ثمّ دفعتهم علاقات المحبة والوئام لدعوة أطفال الحي إلى أن يشكّلوا تمثالين من لحم ودم، الأول نرى جمانة واقفة بين حاتم وجريس، وفي تمثال الثاني، نرى جوادا واقفاً بين لميس وماري، يقبضون على أيدي بعضهم بعضاً بتلاحم وانسجام، لأنّهم كما قالت جمانة: «نَشْخَصُ بأنظارنا نحوَ الأعالي، مُتَطَلِّعِينَ إلى النور والحرية، والحبِّ والسلام» (المرجع نفسه: ص61). وهذه النهاية الحرية والحب والسلام، تتناغم مع ما اكتشفه مصطفى في الجزائر من مسحوق سحري قادر على تذويب أسلحة الإسرائيليين لكنّه بعد أن عرف بمطاردة جواسيس أمريكا له ولمخطّطاته تخلّى عن انتاج المسحوق السرّي المنوّم الذي ينقل به الإسرائيليين إلى أوغندا واكتفي بصنع مسحوق يساعد جوادا على إذابة الدبابة الإسرائيلية.

2-3 الشخصية النامية

توجد الشخصية النامية في كل عمل روائي، تؤدّي دوراً مهمّاً في الرواية، وهي التي تتكشف لنا تدريجياً وتتطوّر بتطوّر حوادثها، ويكون تطوّرها ظاهراً أو خفيّاً، وقد ينتهي بالغلبة وبالإخفاق، والمحك الذي نميّز به الشخصية النامية «هو قدرتها الدائمة على مفاجأتنا بطريقة مقنعة، فمعنى ذلك أنها شخصية مسطّحة تسعى لأن تكون نامية» (عبدالخالق: 2010، ص٣٥). أي أن الشخصية النامية تبلور الرؤى وتتغير وتنمو من بداية أحداث الرواية حتى نهايتها، وتكوّن شخصيتها في نهاية الرواية بعدما نمت ضمن الأحداث، «فهي التي يتمّ تكوينها بتمام القصة، فتتطور من موقف إلى موقف، وفي كلّ موقف يظهر لنا تصرف جديد يكشف جانباً منها فهي تثير دهشتنا وتحرّك انتباهنا» (لفتة: ٢٠١٠، ص١٨١) . فعلى هذه الوتيرة تقوم الشخصية النامية بدور هام في العمل الروائي، إذ إنها تتطور بتطور الأحداث وترتكز على عنصرين هما المفاجأة والإقناع لتثبت دورها عند القارئ. ولأن رواية "أحلام الفتى النحيل" مقسمة بحضور شخصيات نامية ساهمت في بناء أحداث الرواية سنبدأ باستعراض البعض منها:

عزيزة: تأتي في المقام الأول من حيث أهميتها، بحيث أنّ تواتر اسمها طوال المساحة السردية للرواية، وعزيزة هي «الفتاة القروية التي أجبرها أهلها على ترك المدرسة والبقاء في البيت. ظلت تحيا حياة عادية في القرية، لا سينما ولا أفلام ولا شوارع ولا أسواق ولا دراجات» (شقير: 2010، ص31). هذه الشخصية تمثّل الفتاة الكاتمة للسر والمسالمة، كانت تجمعها علاقة محبة مع بطل الرواية مهند الذي كان يحاول أن يلفت انتباهها بشتّى الطرق، على سبيل المثال عندما أخبرها كيف «لوّحت بالسيف وكيف كسرت زجاج الصورة» (المرجع نفسه: ص14)، فهذا السيف كان سيف أبيه الذي يقبض عليه، ويلوح به وهو يقود السامر في الأعراس ومن ثم يعلقه على الحائط في غرفة الضيوف. وفي موطن آخر

حاول مهند أن يلفت انتباهها واعجابها به عندما ذهب مع أبيه كي يشتري ملابس الكشافة ويلتحق بفرقتهم التي تجوب طرقات القرية مرتين أو ثلاثاً كل اسبوع، فيقول: «كنت أمشي مثل الطاووس حين تراني عزيزة، وأنا عائد إلى البيت تنظر نحوي» وتقول: «ما أجمل ملابس الكشافة! أسألها وأنا أتفطر أمامها: هل تعجبك؟ تقول: تعجبني» (المرجع نفسه: ص20)، ثم تطورت العلاقة بينهما إلى أن صارت تغزو البطل مهند في منامه حينما قال: «أثناء النوم تغزوني الأحلام. تحضرُ عزيزة، أو تحضرُ بنتٌ تشبهها ولا أستطيعُ حَصْرَ الأمرِ بدقّة. هناك بنتٌ في أحلامي تروحُ وتجيء، تتشابكُ المواقفُ وتتعقّد. أراني أركضُ في سهل فسيح والبنتُ تركضُ معي، والأشجارُ على أطراف السهل ترقبنا مثلَ الأمّهات، أسبقُها حينًا وتسبقني حينًا آخر، وأراها تسقطُ على الأرض، تتوجّع، أنظرُ إلى وجهها فأعرفُ أنّها عزيزة» (المرجع نفسه: ص26). هكذا أصبحت عزيزة فتاة أحلام مهند، وبعد أن أجبرها أهلها على ترك المدرسة لسنوات قالت لمهند: «ستلتحق بمدرسة خاصة في المدينة، بعد أن اقتنع أهلها بأنهم أخطأوا حينما أخرجوها من المدرسة» (المرجع نفسه: ص78)، وهنا يبرز الجانب الإيجابي الذي أحدثته شخصية "عزيزة" في تصعيد أحداث الرواية. أما مصير "عزيزة" فقد تحدّث مهند مع أبيه عن عزيزة وعن مستقبل علاقته بها فقال: «قدم لي أبي وعوداً مطمئنة، قال: نفعل أنا وأمك كل شيء من أجلك، وما عليك إلا أن تتحلّى بالصبر» (المرجع نفسه: ص82)، فكانت لا تنقطع عن مهند وتبادله التحيات من بعيد، وتتصرف بحذر وتتراءى له أينما ذهب حتى في الأشجار، وهكذا كانت نهاية "عزيزة"، التي احتلّت مكانة صامتة في قلب بطل الرواية "مهند".

نادية: يرسم لنا شقير شخصية "نادية" التي تبلغ من العمر أربعة عشر عاماً وهي فتاة تعيش في بيئة مدنية ذات انفتاح وحضارة. وكانت السينما سببا من أسباب تصرّف نادية تجاه مهند. فهي نابضة بالحياة تقوم بالنشاطات المختلفة مثل ركوب الدراجة الهوائية. جمعتها علاقة حب طفولية مع البطل مهند. وهي من أسرة مثقفة، فالأب تاجر في حانوت، والأم معلمة في مدرسة. من الطبيعي أن ينام مهند في بيتهم. يقول مهند لنفسه: «أو تركب نادية مع مهند في الدراجة الهوائية ويرجعون إلى البيت ويقول: أمارس هوايتي المفضلة في الغناء أغنّي لعبدالحليم حافظ أهواك وأتمنى لو أنساك وأنسى روحي وإياك وتقول نادية هي المقصودة بهذا الكلام» (المرجع نفسه: ص45). ومن الطبيعي أن يغنّي مهند لنادية أمام جمهور غفير. لكنه يبدو مهند كالطفل القروي الذي لا يعرف عادات المدنيين فيطرح عليها سؤالا: «هل أرتدي قميصي وبنطالي حينما أخرج للسلام على والدك؟ فتبدو شخصية نادية المدنية وتقول: عليك أن تبقى في البيجامة.» كما تظهر شخصية نادية بأنها مثقفة تحب قراءة الكتب، «فقد ذكرت عدداً من الكتّاب الذين قرأت لهم ولم يعلقوا بذاكرتي لأنني لم أسمع بأي منهم من قبل» (المرجع نفسه: ص47). كان مهند من

فرط حبه للسينما وتأثره بما يجري في الأفلام من حب وغرام ينظر إلى نادية على أنها بطلة في المسلسل فيقول: «تركض نادية نحوي (كما يحدث في الأفلام)، ونمضي في الشارع يداً بيد، ندخل الكافتيريا القريبة، نشرب عصير البرتقال ولا نغادرها إلا بعد ساعة» (المرجع نفسه: ص58). ولكي ينال إعجابها ويبدو ممثلا مرموقا يقول: «ذهبتُ إلى النادي الواقع في طريق الواد في القدس القديمة. ابتدأتُ ببعض قطع الحديد الخفيفة، رحتُ أتمرّنُ وأنا مصمّمٌ على تقوية عضلاتي في أسرع وقت ممكن. تمرّنتُ في اليوم الأوّل نصفَ ساعة. امتدّت التمريناتُ لأيّام وأسابيعَ وشهور. ولم أحرزْ إلا قليلاً من التحسّن» (المرجع نفسه: 60). وفيما يتعلق بمصير نادية، فقد كان مصيراً مأساوياً للغاية إذ غابت نادية «ولم أعد أراها، بل إنها لم تسأل عني، تماماً مثل ماجد ولين التي لم تسأل عن استيفن» (المرجع نفسه: ص61)، فطول غيابها جعل نهايته مأساوية ورهيبة تقشعر لها الأبدان.

مصطفى: يأتي في المقام الأول من حيث أهميته، إذ ورد ذكر اسمه طوال المساحة السردية في رواية "أنا وجمانة"، ومصطفى زميل للشخصية الرئيسية في الرواية، الطفل الفلسطيني جواد، تعرّف على جواد في الجزائر وتوطدت بينهما صداقة راسخة رسوخ جبل الأوراس، يتمثل الاقتراح في ترحيل الإسرائيليين بوسائل سلمية، وهو بمثابة مساعد للشخصية الرئيسية لنيل الحرية والسلام، فهو يؤكد دائما على إلغاء الأسلحة من حياة البشر. يقول جواد: «بسبب ما سوفَ يحلُّ بشعب أوغندا من قتل ودمار، وبدا أنَّ مصطفى خَمَّنَ ما أفكر فيه: لا تقلقْ، سأرسلُهم إلى أوغندا دون أسلحة» (شقير: 2018، ص29). تجسد شخصية مصطفى الالتماسة المثقفة المتضامنة مع الشعب الفلسطيني، وما يؤكد ذلك هو قول السارد: «فاجأني مصطفى تماماً، فهو يعرف كل تعقيدات الوضع الذي يعيشه الفلسطينيون. مصطفى قارئ جيد، يقرأ كتباً كثيرة، ويتمتع بمعرفة واسعة» (المرجع نفسه: ص36)، وهذا يدلّ على تضامن الجزائر مع فلسطين ودورها البارز في نصرة الفلسطينيين واطلاع الجزائريين الواسع على ما يحدث في فلسطين من قتل ودمار. فقد كان مصطفى يحسب حساب آلاف المستوطنين في قطاع غزة والضفة الغربية، والقدس. فيضع خطة ويحاول أن يجد حلاً ولو خيالياً لترحيل الإسرائيليين ليخلّص فلسطين مما تكابده من احتلال وتنكيل واضطهاد. لكن الأمريكان حاولوا أن يكتشفون خططه. فيقول: «أرسلوا لي المُقَنَّعَ رقم 1، وهو كائنٌ غريبُ الشكل، له أجنحةٌ ستة، ولديه قدرةٌ على التشكُّلِ بالطريقة التي يريدها، مرةً تراهُ في حجم فيل، ومرةً أُخرى تراه في حجم بعوضة» (المرجع نفسه: ص45). يرى مصطفى أن هذا المقنع ذا الأجنحة الستة هو الجاسوس الذي أرسله الأمريكان إليه، «الأمريكان لديهم أجهزةٌ ألكترونية وأقمارٌ اصطناعية للمراقبة، ولديهم جواسيسُ حقيقيون من البشر» (المرجع نفسه: ص46). وواصل الأمريكان إرسال الجواسيس لمصطفى حتى صاروا يسرقون وقته وجهده في الصراع الدائم والمفاوقة

الفعالة لجواسيسهم. لكنه لم يستسلم وواصل الصمود من أجل تحرير فلسطين دون إراقة قطرة دم واحدة لأنه «يكره الأسلحة ويحب السلام» (المرجع نفسه: ص50)، لذا عكف على إنتاج مسحوق سحري يحيل الأسلحة إلى رماد. فعندما ملأ جواد راحة يده من المسحوق الأبيض وقذفه نحو الدبابة، تطاير المسحوق في اتجاهها وذابت الدبابة، «وظهر الجنودُ واقفين على أرجلهم: إنهم ثلاثة جنود، الإثنان اللذان كانا على برج الدبابة، وثالثٌ كان في جوفها. وقفوا خائفين مُرتبكين، لا خوذاتٍ معدنيةً فوق رؤوسهم، ولا أسلحة في أيديهم. ذابتْ كلها مرةً واحدة بفعل المسحوق السحري» (المرجع نفسه: ص54). هكذا استطاع مصطفى أن ينجح بخطته. واللافت عدم استسلامه، فعندما لم يفلح في خطته لترحيل إسرائيل عبر المسحوق السحري، لم يغير هدفه بل غيّر طرق الوصول لهذا الهدف. ولكي يعمّ السلام في أرض السلام، عكف على إنتاج مسحوق سحري يذيب الدبابات والأسلحة. واللافت أيضا أن هذه الشخصية التي اختارها شقير واقعية ولا تتجاوز في المغامرة إطار الواقع الذي وجدت فيه وهي شخصية إنسانية في النهاية، مع أن الكاتب يرمي إلى أن يكون مجتمعاً مثالياً متحرراً من صلف العدو واحتلاله لكنه لم يغض الطرف عن أن هذا الإنسان الصانع للحدث قد تكون نتيجة أعماله إيجابية أو قد يمر بالفشل في الحياة، وقد يتصرف كما يتصرف أشباهه في الحياة. فحاتم أيضاً كان يعكف على إنتاج مسحوق سحري يحقن به باطن الأرض «فيكونُ له تأثير مباشر: يتدفقُ الماءُ نحوَ الفلسطينيين دون أية مشكلة، وحينما يتدفقُ نحو المستوطنات، فإنه يتحولُ إلى حجارة وحصى» (المرجع نفسه: ص22). فالشخصية لابد أن تتصرف تصرفاً لا يجافي طبيعة الحوادث والشخصيات. وهناك جانب مهم آخر يرتبط بضرورة علاقة الشخصية بثقافة المجتمع وأفكاره واتجاهاته، ويحمل طابعاً إنسانياً عميقاً. وهذا ما نجده بوضوح في شخصية مصطفى الذي كان على معرفة واسعة بثقافة المقاومة والاضطلاع بدوره لنيل حرية الشعب الفلسطيني.

حاتم: ابن عم الشخصيات الرئيسية "جواد وجمانة"، هذا الطفل لم يعش طفولته على نحو صحيح بسبب قصف الاحتلال، فقد كان «أصغرَ طفلٍ يُشاركُ في الانتفاضة» (المرجع نفسه: ص12). قامت شخصية حاتم بدور الإبن المناضل، والمغامر، الذي كانت لعبته المفضلة قذف الجنود المحتلين بالحجارة واستنشاق الغازات المسيلة للدموع بدلاً من أن يمارس الألعاب الطفولية، لا يرغب في الألعاب اللغوية التي كان يمارسها جواد وجمانة. وشخصية حاتم تتّسم بالبراءة والصدق وقوة الشخصية والجدّ ولها مزاج حاد في بعض الأحيان، فيغار على جمانة ويمنعها من اللعب مع جريس ويقول: «أنتم عُدتم إلى الوطن بأخلاقٍ مُختلفةٍ عن أخلاقنا. تُقيمون في بيتكم موائدَ يَحضُرُها الرجالُ والنساء معاً، وتسمحون بالاختلاط بين الذكور والإناث» (المرجع نفسه: ص47)، وعندما أنشد جريس شعر "السياب" أمام جمانة وجّه كلمة نحو أنفه، لكن في النهاية «اعترفَ حاتم بالمسؤولية عما وقع. بكى من حُرقة في قلبه، وظهرَ لي على

حقيقته للمرة الأولى، طفلاً رقيقَ المشاعر ميالاً للبكاء مثلَ أيِّ طفلٍ آخر. تأمَّلَ جريس بعينيه الدامعتين، واعتذرَ منه. تَقَبَّلَ جريس الاعتذارَ، وتعانقا مثل أخوين» (المرجع نفسه: ص58). تعود هذه المواقف الحادة عند حاتم لنعومة أظفاره حينما كان يلقي الحجارة على العدو في الانتفاضة. وكاد أن يصاب برصاص العدو لكنه نجا من الموت. بيد أن شخصية حاتم تنمو في نهاية أحداث الرواية فيعرف أن أطفال شعبه أصدقاؤه ويحبونه، فتمتلئ مشاعرهم بالحب والوفاء، ويسمك بأيديهم ليصبحوا كالتمثال يعبّرون عن مشاعرهم تجاه بعضهم بعضاً، ويشخصون بأنظارهم نحو الأعالي، متطلعين إلى النور والحرية، والحب والسلام.

3-3 الشخصية المسطّحة

وهي الشخصية التي لا تتغيّر ولا تتأثّر بأحداث الرواية، وتحمل بعداً واحداً فقط وسمات قليلة، ولها صفة ثابتة وفكرة واحدة من بداية أحداث الرواية إلى نهايتها، تساهم في حبكة الرواية، لكنّ وجودها ضروري لتكتمل الأحداث. بعبارة أخرى هي «الشخصية التي لا تكاد تتغيّر أو تتبدّل في عواطفها وموقفها بعامة» (مرتاض: ١٩٩٨، ص٨٩).

مروان: كان صديق مهند، أيام المدرسة في القرية. وكان يستفز مهندا بالأسئلة الحرجة حول ما يدور في بيتهم. إلى أن وصلت المناكفة بينهما حدّ الضرب حيث قال مهند: «اشتبكنا بالأيدي. ضربني وضربته. تدخل الأولاد وفصلوا بيننا» (شقير: 2010، ص24). ولكن تطور الشخصية في أحداث الرواية، وفي المدينة أخذ مروان يجاري صديقه مهندا في كل ما يفعله. فيقول مهند: «تعلّم مثلي ركوب الدراجات وأتقن التجوال في شوارع المدينة وأسواقها، وأصبح له اهتمام بالسينما» (المرجع نفسه: ص29)، وكان مروان يشاركه بعض المواصفات على سبيل المثال «إعجابهما بفاتن حمامة الممثلة النحيلة بوجهها الجميل وأنفها الرقيق، وأحمد رمزي بشعره الأسود وعضلاته المتينة، وكانا يعشقان أفلام العنف إلى جانب أفلام الحب» (المرجع نفسه: ص29)، بيد أن في نهاية الرواية لم تتطور الأحداث، وذلك حين يقول مهند: «كنا أنا ومروان نسير على الرصيف عائدين من عطلة الغداء إلى المدرسة، واذا به يسير لمحاذاتي قال لي: سأقطعُ لسانك. قلت: لماذا؟ قال: هكذا دونَ سبب. قلت في هدوء: سامحكَ الله. سمعتكَ تتكلّمُ على ابنة عمي، ما الذي كنتَ تقوله؟ سألته: متى تكلّمتُ عليها؟ قال:قبلَ قليل، وهي تمشي على الرصيف. سمعتُكَ تتحدّثُ عن شعرها الطويل. تذكّرتُ أنّني كنتُ أصفُ لمروان، شعرَ الممثّلة هند رستم وهي ترقصُ في الفيلم الذي شاهدتُه قبلَ يومين، ولم يكنْ مروان معي. قلتُ وأنا أكتمُ استيائي منه: كنتُ أتكلّم على شعر هند رستم» (المرجع نفسه: ص55)، وهكذا أظهر مروان مصدر الشر الذي بدر منه في بداية الرواية ولم يفارقه حتى نهايتها.

تتسم رواية "أنا وجمانة" بحضور مكثف لشخصيات نامية ومسطّحة ساهمت في بناء الحدث الروائي سنحاول أن نستعرض بعضاً منها:

ماري وليس: التوأمان العجيبان في الثانية عشرة من العمر، يتشابهان في الشكل وطريقة الكلام، وهما تمثلان الاتحاد في كل شيء، إذ إنهما شخصيتان مسيحيتان اختارهما شقير ليمثل وجوه الديانات في أرض فلسطين. وهما تتفقان على صداقة جواد، وهذا يبرز قدراً من العفوية والتحرر، وما يؤكد ذلك هو قول جواد: «ما تقبله الواحدةُ منهما تَقبلُه الأخرى. والواحدةُ منهما تُشبه الأخرى في كل شيء، حتى إنني أخلطُ بينهما» (شقير: 2018، ص55). لذلك صار جواد يناديهما بإسم واحد مركب من اسميهما معاً "ماريس"، لكنهما يعبّران عن ارتياحهما تارة، وعن تذمرها تارة أخرى فتقول ماري: «أنت تمحو اسمي وتلغي شخصيتي» (المرجع نفسه: ص55). وهنا يؤكد شقير على أهمية الإسم الذي يمثل هوية الشخصيات، فالشخص لا حضور له في المجتمع دون اسم. والجدير بالتأمل أنّ أيا من هاتين الشخصيتين لم تصنع الحدث في الحبكة الروائية بل يتنظر مجيء الحدث وهي ثابتة لا تتغير ولا تنمو من أول الرواية حتى نهايتها.

جريس: شقيق التوأمين ليس وماري، ولديه علاقة طفولية متحررة من التعصب الديني على الصعيد الاجتماعي مع الشخصيتين المحورتين جواد وجمانة، تبرز تفاصيل مهمة عن الوحدة بين الأديان في فلسطين، والتخلّص من قيود التعصب باستثناء ما يظهر من حاتم تجاه جريس «حينما تحتدم المنافسة بين حاتم وجريس، كل منهما يسعى إلى لفت انتباه جمانة إليه وحده» (المرجع نفسه: ص15)، فشخصية جريس المسيحية كانت على انسجام ووئام مع أبناء وطنه، وكل منهما كان يحلم ويسعى لإيجاد حلّ حتى لو كان خياليا، للتخلص من براثن العدو المحتل، «ومنذ سنتين وهو يعكف على انتاج مسحوق سحري» (المرجع نفسه: ص18). ويحوّل المياه الجوفية التي يسرقها العدو إلى حصى وحجارة، ويرحّلهم من الوطن. كما اتسمت شخصية جريس بالانفتاح حيث وصفته جمانة بقولها: «ها هو ذا جريس يسمح لأخته باللعب معنا» (المرجع نفسه: ص47).

4- أبعاد الشخصيات

اعتمد نجاح محمود شقير إلى حد كبير على تجسيد شخصياته، وجعلها كائنات تنتصر للحياة، يظهر هذا من خلال حرصه الشديد على تجسيد أبعادها التي تميط اللثام عن جوانبها الخفية والمنظورة، بما يجعلها تنتمي إلى الواقع، فتتشابك جوانبها مع سائر مكوّناتها، فتخلق بناءا متلاحماً يضم كل عناصر التشكيل القصصي بين دفتيه، وتتجلّى أبعاد الشخصية الروائية في جوانب المظهر والسلوك، كما ترتبط بالأبعاد النفسية والفكرية التي تتداخل مع السمات الخارجية للشخصية وقد تجلّت هذه الأبعاد في:

1-4 البعد الجسماني

ويتبلور البعد الجسماني للشخصية في بنيتها الجسدية وهيكلها وعمرها ومهنتها واسمها الصريح والملامح التي تميزها (علوان: 1998، ص44). ويتجلّى المظهر الخارجي للشخصيات الذي لا يمكن فصله عن بقية مكوّناتها في الحبكة الروائية، إذ أنّه يتداخل في تحديد عناصر أخرى، وله دور مهم في تفسير مواقف الشخصية وسلوكياتها. تباينت الملامح الجسدية للشخصية عند محمود شقير، فمنها من اتّسم بالنحول كشخصية مهند الذي عرف بهذه الصفة «كنت أراني كما هو حالي بالفعل نحيلاً مثل عبدالحليم حافظ» (شقير: 2010، ص76)، ومنها من كان «منفوش الشعر، معفّر الوجه بالتراب وبالعرق» (شقير، 2018: 11)، كشخصية "حاتم"، في حين جمعت شخصية مهند سمات مشتركة: «وأنا ارتدي قميصاً مقلماً، يكشف عضلات ذراعيّ التي لا تقل متانة عن عضلات الممثل أحمد رمزي، أمشي في الشارع والبنات ينظرن نحوي» (شقير: 2010، ص51). إنّ وجود مثل هذا التباين في المظهر الخارجي لشخصية مهند يؤكد فعله المقاوم لـ«خديعة الثعلب الغدار الذي كان يأخذ نقود الأولاد بالغش والخديعة» (المرجع نفسه: ص51) لا يشترط صفات بعينها، أو أنها حكر على العبض دون الآخر، كما أنه لا يرنو إلى صورة نموذجية، وهذا إيحاء بشمولية الفعل المقاوم وإعلان بترويجه وانتشاره بين عامة الناس، وهذا الاختلاف غالباً ما يؤكد إمكانية تكرار الشخصية المقاومة وتناسخها، وما تسلط الضوء عليه هنا أن تلك السمات التي قدّمها شقير تنفي مبدأ التخصيص والتحديد، ففكره مقاومة الغش والخداع التي أشار إليها الكاتب في نصّه الروائي لم يحتكرها على فئة دون أخرى، وإذ كان من صفات تمت بصلة بالمظهر الخارجي قد تظهر مشتركة عند مجموعة شخصيات، وهذا يكون من خلال صلتها بالحدث، وقد تجلّى هذا في شخصية حاتم الذي يتميز بأنه «طويل القامة، أسمر البشرة، كان أصغر طفل في الانتفاضة، لعبته المفضلة قذف الجنود بالحجارة، واستنشاق روائح الغازات المسيلة للدموع، والاختفاء خلف المتاريس لتجنّب رصاص البنادق» (شقير: 2018، ص12).

والجانب السيميائي للشخصية في روايات شقير ليس بمعزل عن هيكلها، فكما للحجم والطول وملابس دور بارز في تحديد البعد الجسماني، فإنّ للأسماء التي عمّتها إشارات ودلالات تبرز لنا طبيعتها، وتأتي استجابة لما يقدّمه من ملامح، وتعدّ مؤشراً دالا على الحدث الذي ستقوم به، وتحدد اتجاهاته، ويرى إيان وإيت المعلومات التي يقدّمها الروائي عن المظهر الخارجي للشخصية وعن لباسها وطباعها، وحتى عن آرائها تأتي كلها «لتدعم تلك الوحدة التي يؤثر عليها الاسم الشخصي بحيث يشكل معها شبكة من المعلومات تتكامل مع بعضها وتقود القارئ في قراءته للرواية» (بحراوي: 1990، ص248). واختيار شقير لأسماء الشخصيات يصدر عن قصد، بل إنه يقع ضمن منظومة سيميائية تتركز في واجهة النص،

و«ترى ملامح نص يوازي النص الأساسي طوال عملية القراءة، تربطه بالنص الأم جسور متباعدة حفاظاً على سيطرة الراوي على شغف الملتقي» (الخطيب: 1972، ص201). فأسماء الشخصيات مفاتيح للدخول إلى عالم النص، تتناغم مع سائر المكونات الأخرى، الذي بوساطته يفقه الإنسان ما حوله، «فالإسم يستدعي عالمين: المباشر وهو شخص الرواية الحقيقي، والمجازي وهو نظيره المختلف عنه والمتشابه معه في حكاية الوجود» (فضل: 1995، ص108)، وعند تحقيق هذا المبدأ تكون سيميائية الشخصية خطوة نحو تفسيرها، فلا ينفصل الإسم عن المسمّى، ولا ينعزل الدال عن المدلول، ويكون «اختيار الأسماء الخطوة الأولى في الترميز الشفري الناجح» (المرجع نفسه: ص108)، ليصبح إسم الشخصية مؤشراً دالا وفاعلا في مسايرة الأمشاج النصية، بعد أن تتلائم ملامحها الجسمانية مع إسمها في إطار السرد الذي يؤدي إلى خلق الحدث. فلهذا كانت «روايات شقير حافلة باستدعاء الرموز والشخصيات التراثيه، سواء في فلك الموروث التاريخي أو الموروث الأدبي أو الموروث الشعبي» (ملاإبراهيمي وفاضلي: 2020، ص 339)، كشخصية صلاح الدين الأيوبي وهي تقدّم نصائحها إلى جواد حول أهمية زيارة القدس وتأكيد هويتهم الفلسطينية وتثبيت وجودهم في المكان، وفي الإسم معنى الصلاح والاستقامة والسلم، مما يعني تميزه على المستوى الدلالي، ومستوى الفعل بوصفه قائدا عسكريا ومحررا للقدس من غزو الفرنجة، فهو محط أنظار الأطفال الذين يرنون إلى تحرير فلسطين من الاحتلال. وقد كان بالنسبة للشخصية المحورية جواد مفتاح العمل المقاوم، وشرارة الأمل في تحقيق إهداف المقاومة. لقد اعتمد الكاتب في سيمياء شخصياته على:

أ- الإسم المفرد، وقد ذكره في معظم شخصياته ليوحي بعمومها وشمولها وغياب نخبويتها كي يخدم منطلقه الأساسي وهو تعميم المظاهر الإنسانية، والوطنية، والاجتماعية و ....

ب- تنوع الصيغ الصرفية لأسماء الشخصيات، منها: اسم الفاعل (نادية، مهند، حاتم) ،والمصدر (حنان) والإسم الجامد (جريس، ماري)، ومثل هذا التنويع في الصيغ يوحي بأن أهداف شقير ورؤاه التي تبلورت فيها أطياف متعددة.

2-4 البعد الفكري

يجسّد هذا البعد الجانب غير المرئي في الشخصية تتمثل فيه البواعث والمؤثرات لخلق الأحداث وجعل الشخصية فاعلة ايجابية في السرد القصصي، وقد أطلق عليه (أراهون) نموذج الروح، حيث «يعتمد فيه المؤلف على طرائق التفكير، ومضمون الاتجاهات الاجتماعية والخواص السلوكية المميزة لكل واحد منهم ليبرز صورهم» (فضل: 1980، ص161). إن تلمّس البعد الفكري في الشخصيات يؤكد على أنها ليست خاوية ولا تنطلق من فراغ، وأن العمل الذي تقوم به يرتكز على امتدادات تربط الوجدان بالفكر،

وتغرس في نفوس الأطفال القيم التربوية والأخلاقية المقاومة. وهذه القيم تستند على ثوابت فكرية تحيل أعماله إلى الرفض والتمرد وبثّ القيم السامية. وهي بذلك «تعبير عن إرادة الحياة والطموح في تحقيق حضور حر ومستقل وفاعل، فهي ليست حالة وقتية، وإنما هي مبدأ حياتي أصيل» (حلواني: 2005، ص372).

تنوعت ركائز البعد الفكري في الشخصية عند شقير، فقد اهتمّ بتمثيل ربط الخارج (الشتات) بالداخل، بوصفهما جسداً واحداً اجتمع فيه الشعب الفلسطيني، فساعدت هذه الميزة على توحيد أطيافه رغم تباين الأمكنة. ظهر ذلك في دفاع مصطفى الجزائري عن فلسطين الداخل، ونذر نفسه لتخليص فلسطين من الاحتلال. تظهر ديمومة الصراع ركيزة من ركائز النسيج الفكري للشخصية المقاومة، والهدف الذي تتحرك من خلاله الشخصيات وقد عكس الطفل الجزائري مصطفى هذا المبدأ من خلال عبارته التي كان يرددها على أسماع جواد لحفظها عن ظهر قلب: «عليك أن تواصل الصمود في وطنك، ولا تيأس، ولن يطول الوقت حتى تسمع أخبار المسحوق السحري. واصلت الصمود دون يأس» (شقير: 2018، ص46). يشير الكاتب خفيةً إلى أن مواجهة العدو تحتاج إلى ابتكار وسائل مقاومة، وما يحدث على أرض الواقع عند الأطفال يشير إلى أولية الصراع «إذ ليس لدى الفلسطينيين سوى خيار البقاء على الأرض والاستمرار في النضال بأقصى ما تتيحه لهم قدراتهم» (سعيد: 2006، ص73). فتأخذ هذه النظرة بعدها العميق عند أبي جواد حين رأى الشجار الذي نشب بين فئات الناس في بلادهم بعد أن كان يعتبر بلاده على درجة من سموّ الأخلاق فيسأل جواد: «لماذا يحدث هذا يا أبي؟ قال: إنها سنواتُ الاحتلال التي طحنتْ أعصابَ الناس، وجعلتهم غير قادرين على احتمال أقل هفوة يرتكبها شخصٌ تجاه آخر. قلت في سري آنذاك: قريباً يا أبي سيزولُ الاحتلال عن بقية أرضنا، قريباً سيزول، وكنتُ أعلقُ آمالاً كبيرة على المسحوق السحري الذي يعكف مصطفى على إنتاجه. قال أبي كأنه يشجع نفسَهُ على الصمود أمام السلبيات: إنها بلادنا وعلينا احتمالُ كل شيء لمواصلة الحياة فيها» (شقير: 2018، ص17).

إن الموقف الفكري الذي يسيطر على الشخصية هنا في إدراك الصلات بين الداخل والخارج لا يبلغ حدود المثالية، مع أنه يقر بعلاقة الطرفين، لكنه يحمل نقداً خفياً لغياب الوعي في المجتمع. ويقدّم انتقادا لهذا المجتمع وتقاليده البالية، وما يصدر فيه من لاوعي، فشقير لا يهمل ما يعاني منه الطفل الفلسطيني سواء من خطر الاحتلال أو خطر التربية التقليدية التي تميز بين الولد والبنت، فينشأ الوعي المشوّه بأفضلية الأولاد على البنات. على سبيل المثال عندما تساءل حاتم باستنكار: «من قال إنه مسموح للبنت أن تلعب مع الأولاد؟ أقول له: ما الخطأ في ذلك؟ يقول لي: كل الخطأ. خصوصا حينما تصبح البنت

في الثالثة عشرة» (المرجع نفسه: ص47). وفي مواطن أخرى يحاول تقديم قصص تدعو إلى المساواة والحرية المسؤولة للفتاة، وحقها في اختيار ما يناسبها من هوايات واختيارات. لقد جسّدت هذه المواقف مرحلة هامة في فكر شخصيات الكاتب بتوظيف الظروف المتاحة لها، وهذا ما يجعل الشخصية غير نمطية، وتنظر إلى ما حولها بمنظار الشمولية، فيكون بإمكانها قراءة الواقع بطريقة صحيحة، فالنظر إلى المقاومة بسبل أخرى غير السلاح يؤكد أن الفعل النضالي من أجل تحرير الوطن متاح للجميع، ولا يقتصر على فئة أو نخبة، واللجوء إليها يعوّض غياب السلاح الذي لا يوجد عند الكثيرين، كما أن تمسك الشخصيات بأرضها وجذورها، هذا ما يخشاه العدو وتبوء محاولاته إلى الفشل من منع غرسه في نفوس الأطفال الفلسطينيين.

3-4 البعد الاجتماعي

يتمحور هذا البعد حول الخلفية الاجتماعية للشخصيات الروائية فهو يحتوي على المركز الذي تمتهنه الشخصية في المجتمع وظروفها الاجتماعية، وهذا البعد يكشف لنا جوانب لم نلاحظها في البعدين الجسماني والفكري. تنتمي غالبية الشخصيات في قصص محمود شقير إلى المنفى، الذي تجتمع فيه معالم الفقر والحرمان واليأس والثورة، كما تجرّعت أفراده تجربة الحرمان من الوطن، والولادة فيه والأصدقاء والأهل، فهذا أبوجمانة يقول عن المدينة في المنفى: «إنها من أجمل مصايف البلاد، وأهلها يتّصفون بطيبة متناهية» (المرجع نفسه: ص16). عملت الظروف الاجتماعية التي مرّ بها أبوجمانة على خلق واقع جديد، فقد عمل في السفارة الفلسطينية في الجزائر و«أبوجواد هو الرجل الثاني في السفارة» (المرجع نفسه: ص17)، أما معاناة جمانة وجواد فلا تقل عن معاناة أبيهما «طُردَ من الوطن قبل أن أولد، طردته السلطاتُ الإسرائيلية المحتلة بسبب مواقفه الوطنية، عرفتُ هذا فيما بعد، وكانت النتيجةُ حرماني من فرصة الولادة في الوطن» (المرجع نفسه، ص1). وقد شاءت الأقدار والظروف الاجتماعية، أن يعود جواد وجمانة إلى وطنهما. وحريّ بالذكر أنّ الكاتب هنا ينظر إلى الطلاب على أنهم قوة فاعلة في العمل النضالي، وهو لم يخرج عن الخط القصصي الذي يؤكد «ضرورة تلازم تلقّي العلم مع العمل المقاوم بوصفه شكلا من أشكال المقاومة» (أيوب: ٢٠٠٢، ص٨٥)، ليمنح مقاومة الأطفال بعداً حضارياً، لا ينحصر في السلاح وحسب، ويثبت أن الصراع مع العدو هو صراع شمولي.

ومثلما كان المنفى صانعاً لشخصيات شقير فإنّ القرية والمدينةلم تكن بمعزل عن ذلك فقد قدّمت الشخصيات واحتضنتهم فكان انتماؤهم إلى القدس، ورام الله، و... دليلا على أن الأعمال النضالية امتدت إلى مساحات جغرافية واجتماعية شاسعة في فلسطين، وأنّ العدو في صلفه وغطرسته لم يفرّق بينها، ثم إن البعد الاجتماعي في شخصيات شقير يشير إلى أن الفضاء المكاني الذي وجدت فيه كان باعثاً

من بواعث الثورة، وأنّ الدوافع التي أوجدتها أسهمت في شمولية العمل المقاوم، فالاضطهاد السياسي الذي ألمّ بالشعب الفلسطيني جراء حرمانهم من أرضهم ليس بمعزل عن الاضطهاد الاجتماعي الذي ينجم عن النكبة وعقباتها. لقد مارست الشخصية نضالها ضد العدو في ظلّ الواقع الاجتماعي، فهي ابنة المجتمع ولم تنفصل عنه، بل كانت نتاجاً صادقاً له، وشخصيات شقير كانت مساندة متحابة، كادت أن تقترب إلى المثالية في سلوكها وعلاقاتها الاجتماعية، وهذا يؤكد أنّ «المناضل لا يعيش أبداً في عزلة وإنّه يكون دائما بحاجة إلى الآخرين كما أن الآخرين يسرعون بالالتفات حوله، ويسعون بالعناية والاعتبار» (بحراوي: ١٩٩٠، ص٢٧٢).

إنّ هذه المواقف التي تقدّمها شخصيات شقير تبرز الجانب التربوي، فهي ليست مجرد أفراد تقاوم العدو المحتل بل هي شخصيات تساعد وتتحاب، وتمارس عملاً واحداً يبقى إثباتاً لوجودها في المكان. وتنبغي الإشارة إلى أنّ البعد الاجتماعي للشخصية عند شقير لم يأخذ مساحة كبيرة في رواياته، وربما هذا ينبع عن رؤيته بتقليص أثر الفوارق الاجتماعية بين أبناء شعبه أمام قضية فلسطين بعد أن أصبحوا في المأساة متحدّين، وجعلت النكبة منهم أفراداً ينزحون خارج بلادهم أو يصبحون غرباء في داخل الوطن.

نتائج البحث

وبعد هذه الرحلة مع أدب محمود شقير، جدير بنا أن نصل إلى نتائج البحث وأهمه:

- يمتلك شقير بنية قصصية مميزة، تظهر خبرته في النسج والصياغة، ومراسه الطويل في الكتابة، جامعا عددا من التقنيات السردية المهمة. وحرص على مظاهر الواقعية التسجيلية في بناء قصصه سواء كان ذلك في الشخصيات، أو المكان أو الأحداث، فحوّل مادّته الواقعية إلى نسيج جمالي. وقدّم شقير خُلاصة تجربته الإبداعية للجيل الفتي، عبر شخصيات روايات خصّهم بها، قريبة الفهم، سريعة الإيقاع، تماشي واندفاع الفتيان، فيها تختفي محذورات الأطفال مثل العنف والحب والأنفعال والآمال والأحلام.
- ركز الكاتب في تناوله الشخصيات على إبراز البعد الفكري والنفسي لها، ومدى تاثيرها بموقعها الاجتماعي، وذلك عن طريق عرض ردات أفعاله حيال المواقف التي مرّ بها الروايات. وجاءت شخصيات رواياته ذات بطاقة دلالية كاملة، حيث وصف المكونات الداخلية والصفات الجسمانية، لجميع الشخصيات عن طريق بثّها عبر إشارات نصية.
- وقف شقير في اختيار أسماء شخصياته، فلم تكن اعتباطية بأسمائها، بل كانت عملية التسمية ناجمة عن وعي الروائية وإدراكها العلاقة القائمة بين الاسم وصفة صاحبه.

- يربط الكاتب ما جرى للفلسطينيين بما ينبغي من حل، ولو خيالي، لمشكلة الشعبين. لذا نحن أمام شخصية روائية لم يسبق للأدب العربي الحديث، أن تنبه إليها؛ فهي شخصية ذات مواصفات خارجة على الواقع وإن تكن ابنة هذا الواقع وابنة التنشئة البيئية والاجتماعية والسياسية المعروفة، وربما كانت الخلفية الماركسية للكاتب، تتدخل لتصوغ ملامح أو سمات الشخصية ضمن مواصفات الأدب الإنساني، فهو قادر على رسم شخوص من الحياة ذات بعدين متلاحمين، البعد التاريخي واليومي/ الحيوي للشخصية، فما يهم الكاتب هنا هو التركيز على البعد الإنساني والوطني/ السياسي للشخصيات التي يرسمها، ولكن ضمن مواصفات الشخصية الطفولية.

- قدم الكاتب في قصصه تمثيلا سرديا لظاهرة المقاومة بصورها المتنوعة، وأبرزت تلك القصص شخصية الفدائي الفلسطيني، وأسهمت في تمجيد دوره والإعلاء من شأنه. علاوةً على ذكر الأطفال الشهداء الذين لم يروا بداً في سبيل تحرير وطنهم من حكم الاستعمار الأوروبي وتحطيم الثغور إلا مصاولة العدو الشرس بكل ما أوتوا من قوة.

- بدأ القاص في إيجاد نمط قصصي جديد ولو من الناحية المضمونية، حيث بدأ في كشف العلاقة بين الشعب الفلسطيني والمحتلين الصهاينة؛ العلاقة التي مايزت بين الشخصية الفلسطينية والشخصية الصهيونية.

- رسم الكاتب الفضاء المكاني في الرواية، كي تعبر عن حالة العداء القائمة بين الشخصية والمجتمع، فجعل المكان وسيلة ضغط فكري، كي تعبر عن رفضها للظلم، ويصبّ جلّ غضبها على المحتلين.

المصادر

إسم ولقب الكاتب، عنوان الكتاب، الجزء، دار النشر، الطبعة، بلد النشر، سنة النشر.

إسماعيل، عز الدين، في روح العصر، دار الرائد العربي، بيروت، 1972.

أيوب، محمد، الشخصية في الرواية الفلسطينية المعاصرة في الضفة الغربية وقطاع غزة، مكتبة النيل، القاهرة، 2002.

بحراوي، حسن، بنية الشكل الروائي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، 1990.

بريغش، محمد حسن، أدب الأطفال: أهدافه وسماته، مؤسسة الرسالة، بيروت، 1996.

بوعزة، محمد، تحليل النص السردي التقنيات ومفاهيمه، الدار العربية للعلوم، بيروت، 2010.

الجاجي، محمد أديب، أدب الأطفال في المنظور الإسلامي، دار عمار، إربد، 1991.

حلواني، فادية، «تجليات ثقافة المقاومة في الشعر العربي المعاصر»، جامعة دمشق، مجلة العلوم الإنسانية، العدد الثامن، صص 372- 392، 2005.
الخطيب، حسام، الأدب الأوروبي تطوره ونشأة مذاهبه، جامعة دمشق، دمشق، 1972.
سعيد، إدوارد، الثقافة والمقاومة، ترجمة: علاء الدين أبوزينة، دار الآداب، بيروت، 2006.
شحاتة، حسن، قراءات الأطفال، الطبعة الثالثة، الدار المصرية اللبنانية، القاهرة، 1996.
شقير، محمود، أحلام الفتى النحيل، مؤسسة تامر، القدس، 2010.
شقير، محمود، أنا وجمانة، الأهلية للنشر والتوزيع، عمان، 2018.
عبدالخالق، نادر أحمد، الشخصية الروائية بين علي أحمد باكثير ونجيب الكيلاني، دار العلم والإيمان للنشر والتوزيع، القاهرة، 2010.
علوان، علي عباس، «الرؤية المأساوية في الرواية العراقية المعاصرة»، مجلة فصول، العدد الرابع، صص 102- 111، 1998.
فضل، صلاح، شفرات النص، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، القاهرة، 1995.
فضل، صلاح، منهج الواقعية في الإبداع الأدبي، الطبعة الثانية، دار المعارف، القاهرة، 1980.
قناوي، هدى محمد، أدب الطفل وحاجاته، مكتبة الفلاح للنشر والتوزيع، الكويت، 2003.
لفتة، ضياء غني، البنية السردية في شعر الصعاليك، دار الجامد للنشر والتوزيع، عمان، 2010.
مرتاض، عبد الملك، في نظرية الرواية، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1998.
ملاإبراهيمي، عزت وزهراء فاضلي، «تجليات المقاومة في أدب الطفل الفلسطيني (أعمال محمود شقير نموذجا)»، مجلة القسم العربي، جامعة بنجاب لاهور، باكستان، العدد ٢٧، صص 317- 348، 2020.
نجيب، أحمد، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، القاهرة، 1991.
الهرفي، محمد علي، أدب الأطفال، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 2001.

بنائية النص وفروض التأويل الدلالي

" قراءة في تائية أبي نواس"

:Constructivism and Semantic Interpretation Presumption

An Analysis of Abou Naoues Taiya (t. rhymed) poem

د. قاسمية هاشمي
جامعة العربي بن مهيدي، أم البواقي- الجزائر
guesmia.hachemi@univ-oeb.dz

الملخص:

يتناول هذا المقال"تائيّة" الشاعر العباسي "أبي نواس" بالاستقصاء النقدي العميق وقد ركزت على جوهر النص لما يكتنزه من ايحاءات خفية من شأنها إفراز تعالقات فكرية وجمالية تمهد لاكتناه بنيته المنسجمة بتطبيق المنهج البنيوي الذي يعتمد فكرة الانغلاق على النص ذاته، والتركيز على التجربة الشعرية بعيدا عن الاكراهات الخارجية. وقد حاولت الاستعانة بالفروض التأويلية ما أمكنني ذلك للوقوف على بعض دلالاته إثراءً لقيمة النص. الامر الذي يجعل النص يدخل في لعبة استهامية يتورط القارئ معها في إنتاج الدلالة المرجئة للمعنى لذلك ما كنت معنيا بالتحليل الأدبي إلا بالقدر الذي يخدم هذه الإجراءات النصية.

كلمات مفتاحية: القراءة النصية؛ البنيوية؛ جوهر النص؛ التأويل الدلالي؛ تائيّة أبي نواس.

Summary

This article is concerned with the deep critical inquiry of Abou Naoues T rhyme poem. It focuses on the essence of the text because it shelves hidden allusions that may produce ideological and aesthetic correlations that are susceptible to reveal its coherent structure with the structuralist approach which is based on the idea that text is closed on itself ،and emphasises on the poetic experience free from external constraints. I tried to exploit interpretative presumptions to unveil some of the poem's meanings to enrich the text's value. Thus the text enters into a dice game where reader get involved in producing signification that delays the meaning. Hence, I am concerned with literary analysis unless to the point that serves the textual procedures

Keywords: textual reading; structuralism; text essence; semantic interpretation; Abou Naoues' Taiya (t rhymed) poem.

.

مقدمة:

إذا كان النقد هو تأسيس لنص معرفي حول نص إبداعي، فإن المقاربة النصية تعدّ ترسيخا للمبادئ اللسانية في تطبيق المناهج الدراسية وتعتمد الدراسات البنيوية، خصوصا، استهداف البنية المجردة في وجودها المتعالي خلف الظواهر، وتجليها في شبكة العلاقات اللغوية القائمة على ثنائيات التشاكل والتضاد مادام النص هو بناء ضمن «مجموعة القوانين التي تحكم سلوك النظام ومكوناته إذ يمكن أن تحلّ إحداها محل الأخرى» (نعمان بوقرة: 2009 ص،9). إذن يرتكز المنهج البنيوي في مقاربة النص على الاهتمام باللغة والجوانب الفنية والجمالية والإيقاعية بعيدا عن المؤثرات الخارجية. إن طبيعة هذا التحليل يجعل من استبعاد الذات ضرورة لازمة لدراسة الخصائص الشكلية، بعيدا عن أحكام القيمة (Appréciatif). «في مجال الأدب يتوقف، قيام النص علم الأدب- على نحو ما بيّنه بارث بطريقة رائعة- بما يتاح له من قدرة على معالجة الأعمال الأدبية بوصفها أسطورة» (Eugenio Donate, 1972, p. 96)، لأنه لا أحد يدعى أن الأسطورة من تأليفه.

ونظرًا لما سبق، تسعى دراستنا إلى إضاءة ملامح من بنية القصيدة عند أبي نواس بتطبيق المنهج البنيوي مع الاستعانة بفروض التأويل قدرَ كشفِ قيم مغيّبة في ثنايا النص، لذلك يبدو أن ما ستطرحه من آراء قد يعين على بلورة منظور جديد لمعاينة مجموع الرؤى والسعي إلى تحديد "بنية" النص المتجلّية في العلاقات الداخلية بين العناصر اللغوية بتطبيق مبدأ سوسير التعارضي، أي أن معنى عنصر ما لا يتحدد إلّا بعلاقته التعارضية (Opposition) مع بقية عناصر النظام، «فالعناصر وأجزاء النظام في ضوء البنيوية هي كيانات لا تكتسب هويتها إلّا من خلال اختلافها عن سائر عناصر النظام» (محمود العشيري، 2003، ص، 62- 63)، لذلك ستذهب أفكارنا بالاتجاه ذاته، أي مبدأ الانزياحية كمرجعية آلية في الفهم والتأويل وستعرض علينا رؤيتها من الآن فصاعدا. وبناء على ذلك فإن إشكالية البحث ستتمحور حول مدى كفاية التآزر المنهجي في كشف مضمرات النص في تائية أبي نواس؟

تستهدف طبيعة القصيد الشعري "**وفتيةٍ كمصابيح الدجى**" قراءة تستنطق النص في ضوء ما يحيل عليه من تأويلات ولذا لا بد من الإشارة لجوهر النّص، وإلى دور السياق في تقرير خصائص العمل الأدبي، لأن طراز الفهم الذي نريد هو ذلك الذي يظل ملازما للشيء المراد فهمه، وبذلك أصبح المنظور الذاتي هو المنطلق في التحديد الموضوعي مادام النّص يتأسس على بنية نسقية متعددة الاحتمالات التأويلية التي تفرضها الفجوات ومواقع اللاتحديد. فالنص ينتعش دلاليا بوجود مؤول يربط النص بأبعاده الايديولوجية والثقافية والفنية، يقول أمبيرتو إيكو: «ليس للتأويل حدود، هو عملية لا نهائية. إن محاولة الوصول إلى معنى نهائي تؤدي إلى القبول بانزلاق أو بانحراف للمعنى لا ينتهي أبدًا» (Umberto Ecco,

1992.P.32) وقد حرصت الفلسفات المعاصرة على إعطاء الوعي (Conscience) صفة الشرط الأساسي للمعرفة وللإدراك الجمالي. ومادام النص مفتوحا دائما فهو يؤجل المدلول ويبتعد عن أي تمركز دلالي مكرَّس. وعليه سنحاور البنى الشكلية للقصيدة لصياغة التصور الدلالي باعتماد فروض التأويل الذاتي.

1. البنية التركيبية:

هذه القصيدة إحدى خمريات أبي نواس المفارقة لطبيعة المنطق بجمعها بين الضدين، مجلس الخمر اللاهي مع زهد توبة الندم، جمع فيها الذات النرجسية أمام الذات المنكسرة، ولقد لفت انتباهنا، ونحن نعايش النص، أمران أولهما: الدور المهم الذي يلعبه دالُ "**الفتية**" في النّص، وثانيهما: كثافة ما يحتوي عليه من الإشارات إلى الخطاب القرآني والتراثي. فالقصيدة في هندستها البنائية عرض تفصيلي لقصة مجلس الخمر يغلب عليها تداخل أجناسي؛ فقد جمعت بين ما هو قصصي كالشخوص والمكان والزمان والحدث، وما هو درامي يصطنع الحوار والتوتر.. بيد أنها قد صِيغت في حبكة فنية ذات بنية تقليدية تتألف من بداية ووسط ونهاية، وقد بدأ بتقنية التدرج بما يقتضيه التطور الطبيعي لمراحل الحياة، إذ تتحرك في ثلاث حركات متتابعة بدلالة المؤشرات اللفظية المحددة لأبياتها. وهي: أ- **حركة الفتية:** وهم الحضور الفاعل الذي ينعقد بهم الحدث القصصي المتمثل في مجلس الخمر وتمسح الأبيات الثلاثة الأولى، وفيها ثناء جميل وكيْل لشتى أنواع المديح لشخوص المجلس الخمري بأبلغ ما يكون الوصف الشعري، كل ذلك في لغة طيِّعة وفي جو من الموسيقى التي تعبر عن الحياة في انطلاقها. **وفتيةٍ كمصابيح الدّجى غررٍ *** شُمٌّ الأُنُوفِ من الصيِّد المَصَالِيتِ** (أبو نواس، د.ت، ص، 111). إن هذا الإطراء بما يشتمل من تمجيد سيعمل-لا محالة- على تهيئة ذهن المتلقي بالاستعداد لبدء رحلة المصاحبة والعيش في عالمهم لمدة زمنية ليست قصيرة في مجلسهم الموقر وما ينتابه من صخب ومرح وعصف وقصف...على اعتبار أن الحضور هو الوعي الحسي للشاعر: **نادمتُهم قَرْقَفَ الإسْفَنْطِ صافيةً *** مشمولةً سُبِيَتْ من خَمْرِ تكْرِيتِ.**

ب- حركة الخمرة: استحوذت على معظم أبيات القصيدة وقد تداخلت مع الساقية، وما يضفيه الحضور الأنثوي من حيوية أوصلت الحدث إلى ذروة النشوة العاطفية في شكل اتصال وانفصال الذات عن العالم الواقعي والدخول في دهاليز اللّذة الممتعة باكتمال عناصر الحياة مجتمعة، "**الفتية، الخمرة، النساء، الطرب، الطبيعة**".

ج- حركة الزهد: وتبدأ لحظةَ إحساس الذات بالندم ورغبتها في التوبة وطلب الغفران ويؤكد ذلك حرف التحقيق في التصاقه بفعل الماضي (**فقد ندمتُ**) وما ينطوي من عزم على هجر ملذات طقوسها اليومية، والندم على كل ما مضى وما كان يمدحه، في حركة نفسية عكسية فيها التفاف على الذات ومصادرة كل

ما سبق، لأن كل ذلك عنده لا يعدو أن يكون "خطلًا " وتضييع لثمين الوقت في الحلم الدنيوي الجميل، لذا جاءت الضراعة للعلي القدير بطلب العفو كآخر محطة في رحلة القصيدة والحياة معا.

ويستّهل أبو نواس العرض الشعري بتقديم "الفتية" متوسلا تقنية السرد ومتكًّا على مؤشر لغوي دال هو حرف الجر الشبيه بالزائد "**واو رُبّ**" في دلالته على التقليل من أمثال هؤلاء الفتيان في زمن الرجعية القبلية وسيادة الانغلاق العقائدي، وقد ارتكز السارد (Narrateur) على وحدة لغوية دالة (**فتية**) جاءت على صيغة الجمع، جمع قلة بما يناسب المجلس الخمري في دلالته على الجماعة التي يشيع بينها روح التآلف.

وفتيةٍ كمصابيح الدّجى غررٍ * شُمُّ الأنُوفِ من الصيِّد المَصَالِيتِ**

وتزداد أواصر التلاحم الجماعي بانضمام الراوي إليهم وانسجامه مع هذا الجمع المتآلف ابتداءً من البيت الخامس منتقلا من ضمير الغيبة (**هم**) إلى المتكلم (**نحن**) الدال على الجماعة التي ائتلف معها كما يوضحه الضمير في الفعلين: "**خطبناها، عجنا**"، لذلك سنراهم منسجمين في تصرفاتهم كأحسن ما يكون الانسجام، تحدوهم غاية واحدة هي ممارسة الحياة في ساعة هاربة من الزمن! ولعل الملاح التي يسوقها عن الفتية تقدم تصوراً مثالياً عن هذا المكون البنيوي، وقد عمّق دال (**الأفلاك**) صورة الفتية بالقدر الذي يضعنا في عالم فضائي بما يضفي عليهم هالة نورانية تدنيهم من مراتب الملائكة. وأيضا بسبب علاقتهم الاستثنائية بالدهر فهم أصحاب صولة في اعتدادهم بنفوسهم، ولا عجب في ذلك ما دام الدهر قد خضع لأوامرهم ونواهيهم، يأمرونه فيمتثل ملبياً، لكن معنى خضوع الدهر لمشيئة الفتية مفارق تماما لمعنى القهر في قوله تعالى حكاية عن الدهريين الذي أوجفهم الدهر بعادياته ﴿وَقَالُوا مَا هِيَ إِلاَ حَيَاتُنَا الدُنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا وَمَا يُهْلِكُنَا إِلاَ الدَهْرُ..﴾ [الجاثية، الآية 23]. إن علّة قلب حقائق الكون الأزلية تكمن، بكل بساطة، في السرّ الذي أدركه الفتية عن حقيقة الوجود الذي لا يُقهر إلّا باللهو والتمتّع بالملذات. ويشكل المكون "**فتية**" في ذاته ثنائية ضدية بين معناه في القصيدة وبين فتية أهل الكهف في القرآن الكريم ﴿إِنَّهُم فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾ [الكهف، الآية، 13]. وهكذا يبدو أن التقابلات الضدية في التجربة الشعرية تتغلغل في شبكة من المقولات، ومنه يتجلى التناقض بين الصورتين: صورة فتية القرآن المؤمنين، وصورة فتية أبي نواس المجّان. وفي هذا التناقض قَلْبٌ لأوضاع وتغيير لأعراف من دلالتها الدينية وما أصبحت تدل عليه في الموروث الفني (الكون الشعري). وبمقدورنا أن نمثل لهذه الثنائية بالتعارض بين **فتية أبي نواس≠ فتية الموروث الديني.** ولعل السمة البنيوية الملاحظة على هذه القصيدة هو ميله إلى **قلب الأوضاع**، وكأن «عالمًا- مثلما يقول شيللر- يتجلى للإنسان فقط حينما يكف عن التطابق مع ذلك العالم» (محمد الحرز، 2005، ص، 35). ومن نماذج تبديل مدلول المسمى، تغيير صورة الفتية

من دلالة الإيمان إلى دلالة المجون، وكذا دلالة فعل الدهر السلبي في الإنسان إلى الفعل الإيجابي للفتية في خنوع الدهر امتثالا لأوامرهم. ويمكن أن نمثل لهذا القلب بالترسيمة التالية:

الكلمة	الدلالة التراثية	الدلالة الجديدة
فتية	الإيمان و الهدى	اللهو و المجون
مصابيح	الإضاءة و الحفظ و الرجم	الحسن و الإشراق
الدهر	عامل في الموجودات	خاضع لإرادة الفتية

إذًا تتجلى من هذه الوضعية بنية مميزة، وتشكّل هذه الدوال حقلين دلاليين، وما يبدو بينهما من تناقض صارخ يحيل على كونين متناقضين تماما.

وتستمر المغامرة باندماج الذات المتكلّمة أكثر مع الشَّرْب في البيت الرابع في دلالة الفعل (**نادمتهم**) المبني على وزن (فَاعَل)، على المشاركة والاندماج مع فتية مجلس الشَّرْب، فجميعهم يلتقون بنسبهم أمام الخمرة، فهم راضعو الثدي الخمري الواحد، ويلحّ على تحديد نسبهم الجديد ضاربا عرض الحائط أخوة الدين التقليدية السائد في المجتمع العباسي:

والقومُ أخوانُ صِدقٍ يَنهمْ نَسَبُ * من المودةِ مَا يَرْقى لهُ نسبُ.**

أبو نواس هنا يدير حوارًا رائعًا يقصد منه إبراز ما يجول في مكنوناته من تناقضات، فهو يثني على فتية النَّدامى، ويعلي من ذاته أمام هذه الهواجس، بل نراه يجعل هؤلاء سر الحياة. لذا نجده يتخيّر كل ما من شأنه أن يضفي النكهة والجمال على الخمرة، في الضياء الذي يشعّ منها فينكفئ الليل. وفي جودتها فهي الخمرة المعتقة من أجود أنواع الخمر، خمر "تكريت" ذي الوسم التجاري المرموق، ولا أدلّ على ذلك من المؤشر اللغوي (**سُبِيَتْ**) بإسقاط خصيصة أنثوية على الخمرة، مما يجعلها مطلوبة وتضرب إليها أكباد الإبل، وهي بهذه الصفات تمثل الجديد الثقافي والحضاري. ويؤكد الفعل (**خطبنها**) دلالةَ علوِ كعبها و تمنعها كما تتمنع الحسناء في حضرت الخُطاب، فهي تتدلل و تتمنع في غنج و خيلاء "**... و من خطب الحسناء لم يغليها المهر**" ! ولكن النشوة التي ينشدها الشرب لا تتحقق إلّا إذا أدراتها ساقية موحدة المخبر ثنائية المظهر، مستهترة في زي مؤمنة ومتزمتة في سلوك ماجنة، وقد بلغت من جمال الوجه وبهاء الطلعة ما أحالت، بمعية الخمرة، الظلام المعتكر إلى ضياء ناصع ومحل الشاهد هنا فتور الظلام أمام وهج النور الممزوج، فهذا المجلس يكتنفه النور من كل الجوانب وتستحيل الخمرة علامة على الضياء الذي يلتهم الظلام. " **فَأقبلَتْ كضيَاء الشّمْسِ نَازعَةً...**" إن اللذة التي ينشدها الشَّرْب هي حدث فاعل له مقدرة على إحداث الانقلاب النوعي في الذات والكيان والوجود ولكنها لا تحقق وظيفتها الشاملة إلّا بتوفر

شروطها المتظافرة وعناصرها المتفاعلة من طبيعة زاهية وندامى كرام وقيان غيد حسان، وبتوفر هذه الشروط العصيّة مع العناصر الارستقراطية تتكامل أبعاد النشوة (Plaisir).

ويتكثف الوجود الأنثوي المرتبط بالخمرة في صيغ متباينة منها صيغة جمع المؤنث (**ربات الحوانيت**)، والظهور المفاجئ للساقية (**إذ بكافرة شمطاء قد برزت**) بدلالة إذْ الفجائية وفعل (**برزت**) في صورة تجمعها ثنائية متضادة؛ صورة ظاهرية مزيفة تدل على الخشوع والوقار (**في زي مختشع لله زميت**) ≠ تقابلها صورة حقيقية خفية هي مهنة هذه المرأة (ساقية)، قالت: (**فعندي الذي تبغون، فانتظروا**). ولعل فعل التضاد الرمزي كمفهوم يعمق التوتر الدرامي في الجمل الشعرية، وينقلها من المستوى البسيط إلى المستوى المركب، وإن لم يكن وحده ليؤسس البنية الابستمولوجية للقصيدة وإنما ثمة مستوى آخر يقترب، فيه النص، من الدلالة الميثولوجية والدلالة الدينية حيث يعملان معا على انبعاث الرؤيا بوصفها فلسفة في الحياة ومذهب في العيش. حيث يبدو كأن اللهو هو الهاجس الوحيد للذات في رؤيتها الوجودية. وبعد هذا الوصف يستأنف القصة بإدماج تقنية الحوار بين الشَّرْب والساقية، ويقع هذا حين بادرَتهم الساقية بسؤال ينطوي على استخبار هويتهم (**قالت من القوم؟**) ويأتي الجواب مباشرة ليبدد شكوكها ومخاوفها من سلطة الرقيب، وتنشأ عن هذا الحوار ثنائية ضدية تتحرك على مستويين: **المؤنث**: (**قالت**) ≠ **المذكر** (**قلنا**)، تعكس المستوى الحضاري الذي بلغه المجتمع العباسي ممثلا في انخراط المرأة في الحياة العملية وتقاسمها أدوارا كانت حكرا على الرجال. إن قدوم هؤلاء الرواد يكسب المكان حيوية تجعل الحياة تدب فيه دبيبا، ولا مبعث للحياة في مفهومها المكاني دونهم! ويجب ألّا ننسى أن أحداث القصة الشعرية تدور في أبعاد مكانية وزمانية مؤطرة بوضوح مما يضفي عليها طابع التحقق الأنطولوجي؛ فقد ركّز النص على دقة تحديد أبعاد زمن الحدث القصصي الذي يبدو، أنه الليل بدلالة تكرار اللفظة والمعاني التي تدور في فلكها، مثل: "**الدجى، مصابيح، الأفلاك**" ولعل هذا الاختيار يخضع لمعطيات الواقع المعيش ويبرره الخوف من قوانين السلطة السياسية التي لا تبيح مثل هكذا ممارسات لا سيما السلوك الذي يخضع للتحريم الديني. إذًا فالنص النواسي يراعي هذه الحتميات المتمثلة في مراعاة قوانين السلطة السياسية التي تستمد شرعيتها من مدى التزامها بالوازع الديني، هذا أولا. وثانيا: مكان الخمر (الحانوت) لا يرتاده الشارب إلّا ليلا طلبا للتستر. هذه المعطيات تلف واقع مجالس الخمر بنوع من التكتم ولكن هذا الواقع البائس لا يُقهر إلّا بدخول الخمارة (الماخور)، فضاء الأمان واللذة والضياء، وفيه تبرز الخمرة بنورها الذي تنقشع معه ظلمة الوجود، (**هي الصّباح تحيلُ الليل صِفوتُها**). أقول هذا عن المكان كيما يناسب الواقع الذي يجب على أصحابه اللجوء إلى التستر لمدراة واقعهم وإظهار واقع الدائرة الكبرى: دائرة المجتمع، الدولة، السلطة، لأن السلطة ترضى بالتدين وتحارب الفسق والكفر. ويبدو أن المكان

(الخمارة) ليس غاية في حدّ ذاته بقدر ما هو وسيلة للوصول إلى الغاية المرجوّة، أي اللهو عن طريق الخمرة التي من أجلها بذلوا كل نفيس (السفر، المال، المجازفة)، ولذات السبب تعجلوا في طلبها.

قالتْ: فعنْدِي الذي تبغُون، فانتظروا * عند الصَّباح، فقلْنا: بلْ بها إيتي**

ويتضح من تعاقب الأحداث أن الذات النواسية مكترثة بحركية الزمن في حرصها على عدم التفريط في طقس اللذة، فهو ابن يومه يعيش لحظة المتعة بكل تفاصيلها دون تفريط أو تعجل، فهو (أبي قوري) المذهب، يستميت في الانغماس في هذا النور، بما يبدو لها لحظة الانتصار على النكوص النفسي لتجاهر بالعربدة في أقصى تجلياتها وتدعو لها بجهر الصوت الداخلي: **لم يَثْنِني اللّهو عن غِشْيَان موْرِدها *** ولم أكُن من دَواعِيها بصمِيت.**

بيد أن المتلقي يصطدم، قبل نهاية هذا الكرنفال الاحتفالي، بانتباهة الذات النواسية في شكل يقظة انكسارية، حيث تأتي هذه اللحظة مباغتة حين كانت مندمجة بكل عنفوانها في ممارسة طقس اللّذة، ولعل التعبير بلفظة (**غشيان**) يثبت طبيعة الانخراط، ليَظهر الشيب على حين غرة مما ساهم في تعكير صفو النفس والدَّفْع بها إلى التفكير في المصير الذي بدأت نُذره تلوح في الأفق في صورة شبح ينغص الحياة، وجاءت هذه اللحظة في شكل مفاجئ بدلالة "**إذا**" الفجائية: **حتى إذا الشّيْبُ فَاجأني بِطَلْعتِهِ *** أقبحْ بطلعةِ شيْبٍ غير مبخوتِ** (أبو نواس، د. ت، ص، 113). وقد جاء المقطع الأخير ليقطع على الذات المترنمة استغراقها الداخلي وذلك بمنبه صوت نذير الموت (الشيب) على هيئة صورة شخص ذي ملامح قبّحها فعل التعجب (**أقبح**) وفي ذلك إيذانا ببداية تراجع الجمال واحلال القبح والاشمئزاز. وتترسخ فكرة انفصال ذاته عن ذات الجماعة بدلالة تحول الضمير من المتكلمين إلى المفرد المتكلم في قوله: (**فاجأني**)، وضاعف فعل الأمر، الوارد على صيغة (**أفعل**) لصياغة التعجب من حدة المرارة النفسية بحلول طلائع هذا الضيف الثقيل الذي سيعمل، لا محالة، على تشتيت الجمع المنسجم، و يبدو أن أول طلائعه في إحداث الفجيعة الوجودية يتمثل في إدبار الدنيا، بداية بالفراق و رحيل الملذات، بيد أن الشاعر خصّص دون كل ذلك عنصرا هو من مستلزمات الممارسة الحياتية الممتعة (**النساء**)، في قوله: "**عند الغواني...آذن بالصرم**"، فالملاحظ أن النفس البشرية دوما تربط لذة الحياة الدنيا بالعنصر الأنثوي؛ ففي وجوده حياة و في إدباره قحط و ممات، **فالحياة= الأنثى**، و هذا ما يبرر ربطه مباهج الدنيا بصرم الغواني ويؤكد صحة الادعاء ما يثبته الكتاب المقدس، ﴿**زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ...**﴾[آل عمران،14]. فالمرأة هي الملاذ الذي نأوي إليه حين تضيق بنا جغرافيا الوطن! هذه الذات لم تنته عن ممارسة حياة الطيش إلّا عند ظهور الموانع القاهرة ممثلة في الشيب، والدخول في السن الذي يبعث على الإحساس بالفناء والعدمية (Nihilisme)، وهنا تتجرد الذات من مقومات قوتها في انتكاسة نفسية. فما

الطريق الآن أمام هذا الوضع الجديد للمواجهة والمكابدة؟؟ في الحقيقة لم تعد أمام الذات المهزومة فرص كثيرة للمناورة فلم يبق أمامها إلّا طريق واحدة وستلجأ إليها مرغمة، إنه درب التوبة وطلب الغفران عن طريق الإقرار بالذنب والاعتراف بالخطأ والتذلل أمام عظمة الخالق في لحظة ندم مؤثرة يغشاها طعم الزهد الذي هو صرخة من صرخات النّفس المعتبِرة. «زهديات أبي نواس هي صرخة من صرخات النفس المعتبرة، ونبضة من نبضات القلب النادم الخائف، فهي صادقة اللهجة، عميقة الأثر» (حنا الفاخوري، 1955، ص،161). لقد ولّد الخوف النكوصي انعكاس ايجابي ممثلا في الانقلاب على مستوى الذات في اقلاعها عن ممارسات المجّان والتحول إلى حياة الزّهاد. ويتأكد هذا التمايز في البنية اللغوية إذ تبدأ الحركة الأولى بضمير الغائب(**هم**) الدال على الفتية، ثم يتغير في الحركة الثانية في لحظة الاندماج مع الشرب فينتقل إلى ضمير المتكلم (**أنا ونحن**)، في قوله: "**نادمتهم، وخطبناها**". وتكتسب الظاهرة دلالتها من التأشير التقني لوضعين مختلفين، و تنشأ عنه ثنائية ضدية تتحرك على مستوى العلاقة بين: **الفرد/ الجماعة**؛ حيث يكون الجمع رديف اللهو و القصف أيام الصبا، في حين ينفرد الهرم بالوحدة و التشاؤم، فالحركة الأولى يجسدها عالم الخمرة وما يميزه من حيوية، وفيه يتجسد الزمن المطلق إنها لحظة النشوة و الغبطة الأبدية- و النشوة تختصر الزمن كلّه في ذاتها- أما الحركة الثانية فهي تجسيد أسمى لزمن النهاية و الندم و الحسرة، وفيها يأتي الحوار بين عالمين متباعدين، الأرضي و السماوي، ولذات السبب يتخذ طبيعة الرجاء في طلب العفو، بيد أن الشاعر- وهنا المفارقة (Dissemblance)- يعترف بحجم الاثم الذي ارتكبه ويُظْهِر الندم، وهذا الإحساس بالندم والتوبة نجده متواترا مما يجعل بعض قصائده دائرية فتتشابه وتتجانس؛ تدشنها الثورة والمعصية وتختمها التوبة والمغفرة. ويدل هذا التدرج في عرض هذه المرحلة على رغبة النص في اثبات حقيقة بل حتمية الوجود الإنساني وضرورة الخضوع للشرط الوجودي في التدرج.

ويندرج تحت المستوى التركيبي أيضا أسلوب التقديم والتأخير، وإن شئت قلْ: لعبة تبادل المواقع على أساس من مخالفة القاعدة المعيارية (Normative) في التركيب النحوي للجملة العربية، حيث يشير التقديم إلى «تبادل في المواقع تترك الكلمة مكانها في المقدمة لتحل محلها كلمة أخرى، لتؤدي غرضًا بلاغيًا ما كانت لتؤديه لو أنها بقيت في مكانها الذي حكمت به قاعدة الانضباط اللغوي» (منير سلطان، (د. ت)، ص، 138) وهذه التقنية تفضي بالضرورة إلى ترك أثر لغوي تركيبي ينعكس على بنية النّص ودلالته. وقد تضمنت القصيدة نماذج تغيير مواقع الترتيب الطبيعي للجملة، ومثاله تقديم شبه الجملة على الفعل في قوله:

مِنَ اللّواتي خَطَبْناهَا على عَجَلٍ * لمّا عَجَمْنَا بربَاتِ الحوانِيتِ**

فهذه الصياغة مخالفة للترتيب الطبيعي للجملة لغرض بلاغي هو الاهتمام بأمر المتقدم، لأن (الخمرة) هي آلة المجلس التي تنعقد به، وهي البؤرة المركزية ولذا يركز البيت على التعجيل في ذِكرها، فكلّ الرحلة التي تستحق العناء من أجل الوصول إليها وتعاطيها. مما يجعل اللهفة في ذكرها يتصدّر ترتيب البيت، كما عمل تقديم شبه الجملة على تناسب المعنى التركيبي والموسيقي في الجملة، وغير هذا الترتيب يؤدي إلى تقليص رغبة الشهوة لدى الشرب بل يؤدي إلى اختلال في النظام التناغمي. كم أن تقديم الجار والمجرور في قوله: "**في فيلق للدجى**" تحديد دقيق للوقت المناسب لتعاطى الخمرة وانعقاد مجلس اللهو، ففي الليل الدامس يحلو السمر وتحت جنحه يتناقص فعل السلطة السياسية الرافضة لهذا الفعل، ومن أمثلة تقديم المسند على المسند إليه:

إليه ألْحَاظُنا ثُنْيَ أَعِنَّتَها * فلو تَرَانا إليه كالمَباهيتِ**

فالغرض من هذا التبديل للمواقع هو إبراز المعنى وتعزيز وضوح الصورة، صورة الجمع حين بلغوا قمة النشوة وقد أدت الخمرة وصخب الأوتار مفعولهما في أسر العقول، حيث غدوا في لحظة الحياة الهاربة هذه، مسلوبي الإرادة. فهو هنا يشير إلى مسبب هذا التأثير ويركز بعد ذلك على الألحاظ مما يعنى تحديد العضو الذي يعكس، بصورة معبرة، مبلغ تأثر الفتية بالشادي البارع حين طاش بعقولهم.

3. **البنية الصوتية:**

إن أهم ما يلفت النظر للمستويات اللغوية هو المستوى **الصوتي**، ويعود ذلك في جوهره إلى دور الأصوات في اكتمال النسق التواصلي بين أطراف العملية التواصلية التي تُبنى على قطبين أساسيين الباث (L'émetteur) والمتلقي (Récepteur)، حيث يؤدي استبدال الوحدات الصوتية (الفونيمات) إلى تغير معنى الكلمة مما يترتب عنه تغييرا جذريا في هيكلة القصيدة كلها. إذًا ترتكز تائية أبي نواس على تجاور حروف معينة ذات إيقاع خاص و منها "**التاء، اللام، النون، الفاء القاف**"، ووجه الشبه الذي يجمع بينها هو «أنها مع قرب مخارجها تشترك في نسبة وضوحها الصوتي، فهي من أوضح الأصوات الساكنة في السمع، فهي جميعاً ليست شديدة أي لا يسمع معها انفجار وليست رخوة فلا يكاد يسمع لها ذلك الحفيف الذي تتميز به الأصوات الرخوة» (إبراهيم أنيس، 2010، ص، 63- 64) حيث إن التجربة الشعرية اتكأت عليها لبث الدفقات الشعورية التي انتابت الذات ضمن تناغم أفضى إلى شحن الأبيات بشحنات تأثيرية عالية التوتر، ولعل الدافع إلى توظيف الأصوات الخافتة هو السياق(Contexte) الذي صاحب تفاصيل الرحلة الخمرية وما يتطلبه من هدوء وسكينة وحرص على الحذر خوفا من الرقيب. وتقابلها جملة من الأصوات المجهورة وخاصة «**اللام والنون والعين والقاف والراء والميم والجيم**" للدلالة على مدى انعكاس حركة النفس المتوثبة إلى ممارسة الحياة في عنفوانها وما يصاحبها من حركة وضجيج

نفسي. وتكشف بنية النّص في مزجها بين الأصوات المهموسة والمجهورة عن التناقض الصارخ بين عالمين متناقضين؛ عالم المجون الصاخب، وعالم الزهد المتزن، ولأجل ذلك تضاءلت الأصوات المجهورة في نهاية الرحلة حين استسلمت النفس إلى مشيئة القدر فلجأت، بحكم طبيعة الموقف الخاشع، إلى الأصوات اللينة المهموسة، مثل:

"**الكاف، الهاء، الحاء الخاء، الفاء، التاء، السين، الصاد**".

ويظهر في القصيدة ملمح صوتي آخر يعتلي القصيدة، وهو **التكرار** الذي تواتر على مستوى الحرف والاسم، ويعد عنصرا إيقاعيًّا يعمل على تناغم الأبيات بالاتكاء على تنويع الكلمات التي يُراد تواترها لشحن النّص بجرس موسيقي. وتتجلى السمة التكرارية من ذلك الحضور الكثيف للألفاظ والعبارات الدالة على الخمرة بأسمائها وصفاتها، نحو: "**قرقف، الاسفنط، صافية، مشمولة، كضياء الشمس، كنفح المسك**"، أو عن طريق اشارة الضمير، مثل: "**خطبناها، الذي تبغون، هي الصباح، كم لها في الدن؟، مدفونة، نكهتها..**"، فيحقق اللفظ المكرر المعنى الذي يسعى الشاعر إلى تبيِّنه، فـ«اللفظ المكرر ينبغي أن يكون وثيق الارتباط بالمعنى العام، وإلّا كانت لفظة متكلفة لا سبيل إلى قبولها» (نازك الملائكة، 1967، ص، 231)، فتحقق الذات الامتياز الوجودي في حضرتها، (حضرة الخمرة) بما يكفل الوصول إلى مبتغاها في حصول النشوة. فالخمرة تحتل مكانة سامقة عند طُلّابها لا تقتصر على كونها سبب المتعة فقط، بل هي علّة الوجود كلّه. وبناء على ذلك ينجح الناص في تحويل الخمرة من وسيلة إلى بغية مطلوبة إلى غاية في ذاتها، مما يدمجها ضمن الهندسة اللفظية المتكئة على تكرار سيل الجمل الاسمية وحرفي التشبيه: "**الكاف** و**كأن**" لإسقاط مختلف النعوت بما يتطلبه السرد الوصفي "**هي الصباح، كضياء الشمس، كم لها في الدّن؟، كانت مخبأة..** ". ويفي التكرار بغايته في تحقيق التوكيد والتنغيم. ولقد توسل النّص ببنيّة إيقاعية في تراوح المقاطع بين الطويل والقصير، والمجهور والمهموس مما يجعل بنية البيت ممتدة لاهثة ولكنها استطاعت أن تستوعب أطراف المعنى وجوانب الدلالة. وكانت القافية تائية مسبوقة بمد طويل، "**المصاليت، مبتوت، تكريت، زميت، منعوت..**" مما يقتضي بذل المجهود الصوتي العضلي الذي يعين على استكمال الإحساس النفسي واستفراغ شحناته العاطفية التي تعجز الألفاظ اللغوية عن الوفاء به بصفة كلية. ولعل اللافت في هذه القصيدة هو مجيؤها، على غير العادة، مبنية على روي هو حرف "**التاء**" من الحروف النِطْعِيَّة المهموسة التي قلّ استخدامها في قصائد الشعر العربي القديم مما جعل موسيقاها غاية في العذوبة والسلاسة. فقبل كل قافية صوت مجهور مثل: "**الواو** أو **الياء**" ثم يعقبه الروي "**التاء**" المهموس المكسور مباشرة ليعلن نهاية الجهر. وبناء على ذلك تنهض ثنائية ضدية على مستوى الأصوات طرفاها، **الجهر** ≠ **الهمس**، ويسبق دوما الجهرُ الهمسَ وفي ذلك دلالة على الحالة النفسية

للذات التي كانت في حالة المرح وما يستتبعه من هرج ومرج، لتصل في نهاية المطاف إلى حالة السكون العدمي كما يؤشر على ذلك حرف الروي التاء.

4. البنية المعجمية:

وبالإضافة إلى الدور الذي لعبته البنية الإيقاعية، يبقى المعجم (Lexique) دوما يؤدي وظيفة الكشف عن القصد البنائي الذي تتضمنه أبيات القصيدة في هيكلها الكلي، «فالمعجم هو لُحمة أي نص كان، ويحتلّ مكاناً رمزياً في أي خطاب» (محمد مفتاح، 1992، ص،61). تتضمن المتواليات اللفظية سمات معجمية تفاعلية بين طرفين متلازمين، يمثل الأول منها الذات المتكلمة و الثاني جماعة المجّان، وعملت الخمرة على توطيد أركان هذا الجمع في مجلس المنادمة، و تبدأ حيوية الحدث بالفعل "**نادمتهم**" فهو جامع بين الذوات، بين المتكلم و الجماعة (هم) لذا فإن وجود الخمرة يستدعي بالضرورة وجود ألفاظ منتقاة متنوعة تحيل عليها، مثل: "**نادمتهم، الإسفنط، خمر، ربات الحوانيت، الكأس، الدَّن، الشَّرْب**"، وهذا يكشف عن أهمية اللفظة التي تنضوي على خصوصية إذا ما ضُمت إلى غيرها من الألفاظ لتشكل توليفة شعرية تساعد على الإفصاح عن الدفقة الشعورية، ذلك أن «كيمياء اللفظة لا تأتي فقط من تفاعل الألفاظ في السياق، ولكن تأتي من طريقة استعمال الشاعر لها» (محي الدين صبحي، 2007، ص، 70) مما يعني ارتهان بنية أبيات القصيدة بالسمة التفاعلية المبثوثة في وصف الخمرة ذاتها، وتنمّ في الوقت نفسه عن عمق اهتمامه بها، فهي طريق السعادة التي يسعى إليها. هي وحدها تملأ كون الشاعر وتحول الخواء إلى حضور كثيف، ملْء الشمّ (**الطيب، نفح، المسك**)، ملء الذوق (**نكهتها، القوت**)، ملء البصر (**الصباح، ضياء، ديباج، ياقوت، قمر، حور، ألحاظنا**) ملء السمع (**يشدو، يطربنا، اللّحن، النّغم، الأوتار، الطبول**) وهذا ما يبرر التعجيل في طلبها ويأبى الانتظار ويرفض كلّ الحجج التي تحول دونها. أما معاني التوبة فقد ترجمها بتقنية التكثيف اللفظي بصيغ المصدر النائب عن فعله و النداء، فهاتان الصيغتان تضمران في ذاتهما فعلا محذوفا لحالة الاستغناء عن الفعل لثقل التصريح به، ففي أسلوب التسبيح (**سبحانك**)، تنزيه لما لا يحق أن توصف به الذات الإلهية، بفعل محذوف تقديره(**أسبح**)، أما الفعل (**فاعف**) فلا يحمل دلالة الأمر بقدر ما ينطوي على الرجاء المشفوع بمصدر من جنس فعله (**عفوت**) لما تحمله من يقين في رحمة الله وعفوه ويدعّم ذلك بالشاهد المستوحى من سيرة النبي "يونس" عليه السلام الذي ثاب إلى رشده متوسلا التسبيح فاستحق العفو. أما التعظيم (**يا ذا العلى**) فقد اعتمد فيه على الأداة الأكثر استخداما في مواقف الضعف والضراعة، وهي النداء بـ(**يا**) بما يوحي بعلو مكانة المنادي من جهة، ومن عِظَم الذنب المقترف من جهة ثانية، إذن فقد اعتمد في ذلك على انتقاء نسق معجمي يعكس صدق نيّة الشاعر في التوبة وهجران المعاصي. باعتماد الترابط بين

الألفاظ وتعالقها لتأدية المعنى الشعري فيها، فالتطابق (Superposition) بين لفظتي (**الصباح≠ الليل، الملائكة ≠ اعفاريت**) جدير بتقديم دلالة معجمية تتأرجح في تحديد الوقت لأنه غير متفق عليه بعد، وكشف التوجهات العقائدية للمجتمع العباسي في صراعه بين الإيمان والكفر، وهذا يعني وجود ترابط إبدالي يقوم على أساس التقابل، ويعني ذلك أن وجود الطباق إنما يجعل منه وسيلة من وسائل الربط في نسيج القصيدة.

بعد عملية الاختيار والانتقاء، على المستوى المعجمي للألفاظ القادرة على حمل مراد الشاعر إلى حيز النص والأداء، تأتي عملية التركيب وتكون بدغمها في نسيج النص ومن السمات التركيبية التي طغت على شكل النص ظاهرة الالتفات الذي يعني «التعبير عن معنى بطريق من الطرق الثلاثة: التكلم، أو الخطاب، أو الغيبة بعد التعبير عنه بطريقة أخرى من هذه الطرق» (عبد الستار حسين الزموط، 1992، ص، 225)، وتكون العملية من خلال معرفة كيفية تطويع الضمائر الثلاثة، وجعلها تتبادل الأدوار بغية لفت الانتباه وتحقيق قدر كبير من التأثير الفني ويمكن حصر هذه الظاهرة في هذا الانتقال الخفيف والماهر بين الضمائر، فضمير الغائب (**صالوا، حبلهم، لهم، عليهم**) سرعان ما يتحول إلى ضمير المتكلم في (**نادمتهم**) كتمهيد لبداية الاحتكاك فيما بينهم. وأجمل منه التفات الشاعر في المشهد الأخير من التعبير بضمير الجماعة في قوله: "**قلنا، حاذروا، يطربنا، ألحاظنا، ظللنا، فزنا**" إلى الانتقال للتعبير بضمير المتكلم المفرد "**فاجأني، ندمْتُ، أدعوك**" وهو في ذلك يحدث قطيعة عميقة بينه وبين الندماء من جهة، وبسبب شرخا واسعا بينه وبين الحياة التي أحبها وقضى عمراً يطلبها من جهة أخرى. وقد أسهم هذا الانتقال بين الضمائر في التميز بين مشهدين متناقضين مع اختلاف النبرة الخطابية، واثراء التجربة الشعرية بما يوفره من حرية فسيحة لتداول الذوات بما يقلص مركزية الأنا في الخطاب الأدبي ويمنح النص الشعري خاصية التعبير الدرامي بتفعيل عنصر الحوار.

من نافلة القول التأكيد على الطابع البنائي للأدب في قدرته على إعادة تشكيل الحياة و تشخيص المعاني المجردة في قوالب مجسمة وفق منظور المبدع و رؤيته الفنية، فالقصيدة ليست سوى صورة فنية **لمراحل العمر الإنساني** في هذا الوجود، و ما استحواذ الجزء الأكبر من النص على وصف فتية المجلس الخمريّ إلا دليلا على أفضلية مرحلة الفتوة على كل المراحل العمرية بخصيصة الامتياز الخصيب والبهجة الروحية والتوهج الشبابي و هو ما يحتل أحصائيا ثلاثة أرباع القصيدة¾، في حين تقلصت الأبيات الدالة على الزهد، في خريف العمر، إلى أربعة أبيات من مجموع ثلاثة و ثلاثين بيتا، أي ما نسبته ¼ وهذه النسبة تحمل حقيقة ثابتة مؤكدة مؤدها أن الحياة ترتبط دوما بحجم النشاط و الحرية و الممارسة الحيوية وعلى عكس ذلك يرتبط الموت بالخضوع و الاستكانة و الخشوع.

تعبر القصيدة عن تلك الرؤيا الخلافية التي تتأسس على قلب نظام الأشياء و محاولة ارساء قيم جديدة هي من مفرزات العصر الجديد باستبدال السائد النمطي بالجديد الوافد في مرحلة مفصلية في تاريخ الحضارة العربية ابان عملية التّشكل لتحديد تقاسيم الوجه الحضاري الذي يساير ثقافة الاختلاف و التمازج العرقي، زمن الفتح الإسلامي و ما انجر عن ذلك من صراع ثقافي و اجتماعي يفصح عن عدم التطابق في الوعي بين الذات و البنية الثقافية والاجتماعية و العقائدية، فالسعي وراء الاختلاف والتأسيس للوعي المغاير هما ما يشكلان بؤرة رؤيا الحياة حين تصطدم وتتعارض وتتشظى بالوعي السائد. ورغم ذلك تبقى الحقيقة المطلقة مطمحا بعيد المنال، وهذا يحيلنا على مقولة تدوروف "**الحقيقة هي الأفق الذي تتحرك تجاهه كل النصوص لكننا لن نتمكن إطلاقا من بلوغها بشكل نهائي**".

. قائمة المراجع:

* القرآن الكريم.

المراجع العربية:

1- إبراهيم أنيس: الأصوات اللغوية، القاهرة- مصر، مطبعة الأنجلو المصرية، 2010.

2- بوقرة، نعمان: (2009)، المصطلحات الأساسية في لسانيات النص وتحليل الخطاب، دراسة معجمية جدارا للكتاب العالمي. عمان- الأردن.

3 - حنا الفاخوري: منتخبات الأدب العربي، بيروت- لبنان، المطبعة البولسية 1955، (د. ت)

4 - عبد الستار حسين الزموط: من سمات التراكيب، دراسة تحليلية لمسائل علم المعاني، القاهرة مصر، مطبعة الحسين الإسلامية، 1992.

5- محمد الحرز: شعرية الكتابة والجسد، دراسات حول الوعي الشعري والنقدي، بيروت. الانتشار العربي، 2005.

6- محمد مفتاح: تحليل الخطاب الشعري، استراتيجية التناص، الدار البيضاء- المغرب، المركز الثقافي العربي، 1992.

7- محمود العشيري: الاتجاهات النقدية والأدبية الحديثة، القاهرة- مصر، ميريت للنشر والمعلومات، 2003.

8- محي الدين صبحي: النقد والإبداع، دمشق- سوريا، دار الينابيع للطباعة والنشر، 2007.

9- نازك ملائكة: قضايا الشعر المعاصر، مصر، منشورات مكتبة النهضة 1967.

10- منير سلطان: بلاغة الكلمة والجملة والجمل، الإسكندرية- مصر، منشأة المعارف، 1993.

11- أبو نواس الحسن ابن هانئ: ديوان أبي نواس، بيروت- لبنان، دار صادر، د ت.

المراجع الأجنبية:

The Structualist - Donate, Eugenio, the Tow Langage of Critcisme1
.Controversy. Ed.R. Mackse, edition. 1972

19922- Umberto Ecco, Interpretation and Overinterpretation, Cambridge, U.P.

القصيدة أفقا لكشف أهوال الهزيمة/ البكاء بين يدي زرقاء اليمامة لأمل دنقل أنموذجا

Poem as a Horizon to Reveal the Horrors of Defeat /Crying in the Hands of Zarqa al- Yamamah by Amal Dunqul as an Example

د. عزيز بويغف - أستاذ باحث - الأكاديمية الجهوية للتربية والتكوين ورزازات المملكة المغربية
البريد الإلكتروني: aziz.bouyghf@gmail.com

ملخص:

لقد ارتبط الأدب بعامة والشعر بخاصة بالملاحم والمآسي والرَّجَّات العظيمة التي غيرت مجرى التاريخ وسكنت وجدان الإنسان وأثرت في دواخله وذهنيته، والملاحظ أن الشعر العربي الحديث، اتخذ من مجموعة من الأحداث الفارقة مدخلا للتعبير عن رؤية كونية، الغاية منها خدمة قضايا الإنسان أينما كان، وهي رؤية حاول عبرها الشاعر تحقيق رهان الأدب باعتباره رؤيا تلتزم بالكشف والتحريض على الشك وطرح الأسئلة الأكثر إلحاحا.

تأتي في هذا الصدد قصيدة "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" لأمل دنقل، وهي قصيدة حاول الشاعر عبرها كشف الحُجُبِ عن أهوال هزيمة 1967م، وأثرها في تَمَثُّلِ من عاصروها وعايشوا مراراتها، خاصة وأنها جاءت مباشرة بعد النكبة. والمقال هو محاولة لإضاءة رؤية الشاعر إزاء هَوْلِ ما جرى، وإصراره على كشف حجم المأساة المعيشة، وفظاعة الهزيمة، وذلك في قالب فني توسل فيه بمساحات الرمز والأسطورة، وانفتح على المدونة التراثية خدمة للرسالة التي ابتغى إيصالها إلى المتلقي.

الكلمات المفتاحية: شعر حديث، أهوال الهزيمة، الرمز والأسطورة، انبطاح النُّخبة والحُكَّام، قهر الشعوب..

Abstract:

Literature and poetry in particular have been associated with epics, tragedies and great convulsions that changed the course of history and inhabited the conscience of human being and affected his inner and mentality. Through it, the poet tried to achieve the wager of literature as a vision committed to revealing, inciting doubt, and asking the most urgent questions. In this regard comes the poem "Crying in the Hands of Zarqa al-Yamamah" by Amal Dunqul. It is a poem through which the poet tried to uncover the veils on the horrors of the 1967 defeat, and its impact on the representation of those who lived through it and experienced its bitterness.

Especially since it came immediately after this defeat. This article is an attempt to illuminate the poet's vision of the horror of what happened, and his insistence on revealing the magnitude of the tragedy experienced, and the horror of defeat, in an artistic form in which he pleaded with spaces of symbol and myth, and opened up to the heritage blog in service of the message he wanted to deliver.

key words: Modern poetry, Horrors of defeat, Symbol and myth, decline of elite and rulers, subjugation of peoples.

1- مقدمة:

شكَّل الشعر على الدوام نبض الشعوب وصوتهم وهمهم الجمعي، كما ارتبط أيضا بقضاياهم وانتظاراتهم، لذلك لم يكن من بُدٍّ للشعراء إلا أن يوجِّهوا قصائدهم صوب مآسي المحرومين والمهمشين، يذودون عنهم وينتصرون لآلامهم. وقد شكلت الرجَّات التي شهدها الإنسان على مَرِّ الأزمان مصدر إلهام للشعراء، لقد ارتبط إبداعهم بالملاحم والأحداث العظيمة والأهوال والنَّكَبَات، كانوا يتخذون منها ثيمات في نصوصهم، معبِّرين بذلك عن مفهومٍ ثَرٍّ للشعر، باعتباره أولا إشراقة جمالية وإنسانية على العالم، ترسي حِسَّ الذَّوق والإبداع لدى المتلقين، وثانيا خطا للالتزام الأيديولوجي يختار فيه الشاعر الانحياز إلى صف المنسيين والمخذولين، محققا بذلك رهان القصيدة. لقد كانت القصيدة وما تزال بؤرة وعي شقي، وعيٍ متأمِّلٍ في مآلات الإنسان والكون، لهذا وغيره نجدُها نابضةً بالأسئلة، زاخرةً بآفاق الشك والتأمل والمغامرة.

وقد عُرِف الشاعر أمل دُنقل بعمق منجزه، ورؤيته المتبصِّرة لقضايا أمته، لذلك نلفيه في شعره ثائرا ومُكابدا ومناضلا ومتمردا على السائد، في إطار رؤية قومية همُّها كشف الواقع العربي المزري، ورصد كثير من مآلاته، وقد شكلت قصيدته "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" انعطافة متميزة في مساره الإبداعي، خاصة وأنها جاءت بعد نكسة 1967م، وهي النكسة التي هَزَّت الوجدان العربي، وَهَدَمَتْ ما تبقى من أمل لدى المبدعين والشعراء، بعد جرح نكبة 1948م الذي لم يندمل بعد.

إن قصيدة "البكاء بين يدي زرقاء اليمامة" وَمْضَة رسَّخت مقصدية الأدب، ورسمت أفقه الذي لا يخبو، كما أنها عكست قدرة الشِّعر على التوثيق والفضح والكشف، عبر رؤية فنية جمالية، رافدها الأسطورة والرمز العميق والمُدونة التراثية القديمة التي نهل منها شعراء الحداثة، وصاغوا معالمها في قالب جديد،

انسجم والتجربة المُسْتَجَدَّة المعيشة، لذلك أمكن لنا عَدُّ القصيدة شاهدا على هول الهزيمة، وأثرها في نفوس من عاصروها، وعايشوا أحداثها.

وللإشارة فنحن في هذا المقال نبتغي رصد أثر الهزيمة في منجز الشاعر، خاصة في قصيدته قيد الاشتغال، وتبيان الرِّهان الذي حملته بين دفتيها إذ غَذَتْ صرخة بوجه الانبطاح والخذلان، وبوجه كل من تَخَلَّى عن واجبه النضالي والقومي.

2- زرقاء اليمامة- تحذير واستشراف دون جدوى

زرقاء اليمامة هي امرأة عربية من جديس، وهي قبيلة عربية بائدة من أهل اليمامة، عكست شخصيتها أبعادا أسطورية وميثولوجية قديمة، واشتهرت بكونها ترى الشخص على مسيرة ثلاثة أيام، وقد كان يُضرب بها المثل في حدة البصر، فَيُقَالُ: "أَبْصَرُ من زرقاء اليمامة". عُرفت شخصيتها بين العرب وغيرهم، فتحدثت عنها الروايات القديمة، وأرجعت قوة بصرها إلى مداومتها على التَّكَحُّلِ بالإثمد العربي.

كانت "الزرقاء" قد حذرت قومها من خطر داهم قادم، لكنهم لم يصدقوا كلامها، إلى أن جاءهم العدو مستترا بقطع الشجر، فأجهز على القوم أجمعهم، وفَقَأَ عيني زرقاء اليمامة **(أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، 1972م، ص: 144)**. هذا وتعكس حكايتها خَطًّا أسطوريا فيه مزاوجة بين الحقيقة والإبهام والخرق، إنها تعانق العجائبي والغرائبي لتستحيل حكاية تتناقلها الأجيال. لقد اشتغل عليها أمل دنقل كرمز عميق له جذوره في الثقافة العربية وفي هذا إشارة دالة، كما أنه وظفها في إطار خصيصة التكثيف، وهي خصيصة أسعفت الشاعر على تصوير الواقع العربي تصويرا دقيقا.

أبدع دنقل في استثمار مساحات هذه الأسطورة، وجعل منها فُرشا عَبَّرَ عَبْرَهُ عن أجواء الهزيمة ومراراتها. إن صوت القصيدة لا بد أن يعري ويكشف، لهذا تخيَّر الشاعر أسطورة زرقاء اليمامة، العرَّافة

المقدسة، لينبش عبرها في أفق اللامرئي، وليكشف الإرهاصات الأولى التي سبقت مهزلة الهزيمة، "وهذا يؤكد أن استدعاء التراث من قبل أمل دنقل وشخصياته لم يكن من موقع المواجهة مع هذه الشخصيات، بل تأتي محملة بتاريخها دون أن تتركه، تحمله معها بكثير من تفاصيله، ليتحول إلى شخص يعيش في زماننا"، **(ورقاء يحيى قاسم المعاضيدي، 2010م، ص: 214)** إنها قادرة على المعايشة والديمومة وفي هذا ميزتها، فهي مُلهِمة كما أنها دوما قادرة على الانبعاث من رمادها، لتتحول إلى مرآة تعكس الواقع المعيش.

3- البكاء بين يدي زرقاء اليمامة - تَغَوُّلُ الهزيمة أمام لا مبالاة النخبة:

لقد تميز مُنجز أمل دنقل على الدوام بعمق التصوير، وثراء المعجم، ورحابة الإيقاع، فضلا عن قدرته على طرق الموضوعات الرصينة المرتبطة بقضايا الجماهير ومآسيهم. إننا في هذه القصيدة بصدد مُسَحٍ تراجيدية، ورُؤى مأساوية تمتح عوالمها من صدق التجربة، وهول المصاب الذي طال الأمة، وهي تعيش دوامة الهزائم المتوالية التي جعلت من الذات الشاعرة، ذاتا مُثْخَنَةً بالجراح، مُنْكَسِرَةَ الجناح.

تتسم القصيدة في مطلعها بمناخ جنائزي، يتوقف فيه الشاعر ليصف أجواء الخراب والموت المُنبث في كل مكان، كما يتوقف ليميط اللثام عن النكبة التي حلَّت به، وحلت بأمته التي ظلت تراكم الخيبات دهرا. إن الشاعر يعود من أرض المعركة مُحَمَّلًا بالآلام، إن صوته صوت الضياع والاغتراب واليأس، لقد أيقن أن القصيدة قادرة على تحريك الراكد، وتعرية الواقع الذي افتقد السكينة، إنه يخاطب زرقاء اليمامة/ العرَّافة المقدسة وكله دهشة وحيرة، متوسلا تارة، ومستنكرا ما جرى ويجري تارة أخرى، وكأننا به يكشف حُجُبَ الكائن، وينفتح على آفاق الممكن على الرغم من عمق الجراح وهولها على نفسيته، يقول:

(أمل دنقل، 2012م، ص: 95)

أيتها العرافة المقدَّسةْ..
جئتُ إليك .. مثخناً بالطعنات والدماءْ
أزحفُ فِي معاطِف القتلى، وفوقَ الجُثَثِ المُكدّسة
مُنْكَسِرَ السَّيف، مُغبَّر الجبينِ والأعضاءْ.

إننا بصدد صورة تنبض بالجراحات، يتحرك فيها الشاعر بصعوبة كبيرة، إذ الجثث منبثة في كل مكان، وصور الدِّماء والغدر والخذلان تأخذ صاحبنا إلى عوالم كلها رهبة وحيرة وقلق. إن الشاعر مُثخن بالجراح، لقد أذاقته طعنات الغدر المآسي، إنه يتوسل بالنداء (أيتها العرَّافة..) الذي يعكس دلالات الإحباط والانهيار ليشرك المتلقي في نَفَسِ القصيدة الدرامي، كما أنه يرسم صورة كلها تراجيديا ومآس، فَقُوَى الشَّاعر قَدْ خَارَتْ وهو يزحف فوق الجثث وفوق معاطف القتلى، ونلاحظ في المقطع حضورا لافتا للرمز (المعاطف) وانفتاحا على المدونة التراثية الشعرية القديمة (مُنْكَسِرَ السيف/ مُغْبَرَّ الجبين) كل هذا منح القصيدة ثراء دلاليا وأفقا تأويليا غزيرا جعل المتلقي يستحضر الماضي وهو يعيش هَزَّاتِ الحاضر.

إن أوبة الشاعر من ساحة المعركة تحمل دلالات عدة، فهي أوبة كلها تيه، إنها تنم عن رؤية درامية أَطَّرَت المشهد، فالشاعر مُحطَّم وجدانيا بعد أن مُرِّغ جبينه في التراب، فاتخذ من هذه الصورة الفنية معبرا ليجعل من مُنجزه بؤرةَ كشفٍ تتنامى لتميط اللثام عن واقع الإنسان العربي، إن منجزه تميز دوما "بحركات فنية، متمردة وطليعية، ولكن على نحو خاص واع بجوهر تناقضات المجتمع العربي وأزمة الإنسان فيه، إذ بدا متمردا على كافة الأشكال الجاهزة والنمطية، التي تعوق تجسيد الأزمة والتناقض على نحو دقيق وجميل". **(طراد الكبيسي، 2004م، ص: 117)** إنه تمرد ابتغى عبره الشاعر تكسير نمطية العيش على أوهام الماضي، جاعلا قصيدته إشراقة في ظل قتامة مهيمنة على الواقع العربي، لقد حاول

إضاءتها دون رتوشات متخذا من عودة الجندي المهزوم معبرا إلى كل ذلك. حاول الشاعر إضاءة مساحات قاتمة من خلال رصده لمتاهات الخذلان، إنه عائد دون رفاقه الذين استحالوا جثثا هامدة، إننا بصدد موت أتى على كل الأحلام المشتهاة.

إن صرخةَ الشاعر صرخةٌ بوجه الانبطاح، وبوجه حُكَّام لم يكن همهم غير الكراسي والمناصب، وصرخة بوجه الجماهير العربية التي تتحمل جزءا من مُصابها مادام أنها لا تثور ولا ترفض. لقد صَوَّرَ الشاعر أجواءَ الهزيمة تصويرا عميقا، فهو "يزحف" (أزحف في معاطف القتلى) ليعكس قمة الألم، يصيح ولا يجد من يصغي لِمُصَابِهِ، يستنجد بزرقاء اليمامة، يشكو لها هَمَّهُ وَهَمَّ الأمة، ويخبرها أن حكايتها استُنسِخت من جديد في زمن آخر غير الزمن الأول، وكأنه بنا يقول إن هزائمنا وعارنا مُتَجَدِّدٌ وإنْ تَبَدَّلَت اللحظة والسياق.

وبعد أن يُدخلنا الشاعر في هكذا أجواء تنم عن سوداوية لا حَدَّ لها، وبعد أنْ نَتَجَرَّعَ معهُ هول الفضيحة والمُصاب، ينتقل بنا إلى أفق آخر، بؤرته الاستفهام (أَسْأَلُ) بِمُسَحٍ كلها اندهاش واستنكار وسخرية، كما يتوسل بالنداء (يا) ويُحدِّد المُنَادَى (زرقاء) حتى يحصر أفق التأويل لِبُرْهَةٍ قبل أن يعيدنا إلى أفق لا نهائي. إنه يسأل عن فم ناطق بالحقيقة، وَرَاءٍ مُستكشِف لكل العوالم البعيدة، يسألُ عن نُبُوءَةٍ ترسم أبعادا مُنْفَلِتَةً، تُخْبِرُ وَتُعَرِّي وَتَتَأَمَّلُ، لكنْ لَا من مجيب ولا متفاعل.

في خضم هذا القلق يفقد الشاعر ساعده وَتُنَكَّسُ الراية في مشهد تراجيدي، يتعمَّقُ المشهد بعد أن تظهر صورُ الأطفالِ بين الخوذات ملقاة هنا وهناك يعانقها لهيب الصحراء، يُعْدَمُ جاره وهو يرتشف الماء، يقول: **(أمل دنقل، 2012م، صص: 97/96/95)**

أسأل يا زرقاءْ..
عن فمكِ الياقوتِ.. عن نبوءة العذراء

عن ساعدي المقطوع.. وهو ما يزال ممسكاً بالراية المنكَّسة
عن صور الأطفال في الخوذات.. ملقاةً على الصحراء
عن جاريَ الذي يَهُمُّ بارتشاف الماء..
فيثقب الرصاصُ رأسَه .. في لحظة الملامسة!
!! عن الفم المحشوِّ بالرمال والدماء
.. أسأل يا زرقاء
! عن وقفتي العزلاء بين السيف .. والجدارْ
عن صرخة المرأة بين السَّبي. والفرارْ ؟
..كيف حملتُ العار
! ثم مشيتُ ؟ دون أن أقتل نفسي ؟ ! دون أن أنهار ؟
! ودون أن يسقط لحمي .. من غبار التربة المدنسة ؟
تكلَّمي أيتها النبية المقدسة
تكلمي .. باللهِ .. باللعنةِ .. بالشيطانْ
.. لا تغمضي عينيكِ، فالجرذان
! تلعق من دمي حساءَها .. ولا أردُّها
تكلمي ... لشدَّ ما أنا مُهان
! لا اللَّيل يُخفي عورتي .. كلا ولا الجدران
.. ولا اختبائي في الصحيفة التي أشدُّها
! ولا احتمائي في سحائب الدخان
تقفز حولي طفلةٌ واسعةُ العينين .. عذبةُ المشاكسة ..
كان يَقُصُّ عنك يا صغيرتي .. ونحن في الخنادْق)
فنفتح الأزرار في ستراتنا .. ونسند البنادقْ
.. وحين مات عَطَشاً في الصحَراء المشمسة
.. رطَّب باسمك الشفاه اليابسة
(! وارتخت العينان
فأين أخفي وجهيَ المتَّهمَ المدان ؟
..والضحكةَ الطروب : ضحكتهُ

والوجهُ .. والغمازتانْ ! ؟

لا شك أن المقطعين، هما صورتان مصغرتان للوطن العربي الذي ضاقت فيه مساحات الحلم والأمل، وأضحى بؤرة للغُبن والحزن والعذابات التي لا تنتهي. يرسم الشاعر صورة دقيقة لهذا العالم الذي تلاشت فيه القيم وأضحى جسدا بلا روح، ينتقد الشاعر السُّلطة والحُكّام وَيُعَبِّرُ عن موقفه منها بعد أن تخلَّت عن خط الكفاح والنضال، كما يُصور حال الخذلان الذي يعانيه الشعب بعد أن تخلى عنه مَنْ كان مِنَ المفترض أن يذود عنه في ساحات الشرف.

إن الشاعر هنا يرسم مشاهد لعبث مستشرٍ، وَلِتَيْهٍ بلا ضفاف، إننا بصدد قلق درامي ينبش في العَتَمَةِ وَفِي مَآسِي الهزيمة، "فِي تَكْثِيفٍ فَنِّيّ مُكْتَنَزِ المعنى وثريّ المغزى وبواسطة استبصارٍ وَاعٍ تتراوح في اللحظة ذاتها أوجاعُ الماضي وهمومُ الحاضر فإذا هما وجهان لعملة واحدة". **(رجاء عيد، ص: 332)** إن القصيدة تحاول النبش في متاهات السياسة، إنها تكشف وتعري بؤر الفساد ومظاهر بيع قضايا الأمة بأبخس الأثمان، وفي الآن نفسه تميط اللثام عن الروح الوطنية التي تسكن البسطاء والجماهير المغلوبة المقموعة، التي تُحْرَمُ من التعبير عن راهنها المهزوز. إن الشاعر يحاول في منجزه تَبْيِينَ وعيه بأسباب النكبة لذلك نجده حادا في تعبيره، وفي صيحاته المتوالية وهو ضمنيا ينتقد الاستبداد ويعاتب الجماهير لأنها لا تنتفض رغم كل الإهانات التي تتجرعها.

إن القراءة المتأملة للقصيدة، تكشف للقارئ أبعادا ثرة للتأويل، انطلاقا من عوالم الرؤيا التي تتضمنها، وهي عوالم تتجاوز أفق الممكن إلى اللانهائي، وصولا إلى إضاءة النسق الدرامي الذي ارتكز على معجم بدوي ولغة جزلة فخمة ورموز دالة (مثخنا بالطعنات والدماء - الجثث المكدسة - الراية المنكسة - منكسر السيف - مغبر الجبين والأعضاء - الفم المحشو بالرمال والدماء - صرخة المرأة بين السبي والفرار - حملت العار - لشد ما أنا مهان).

إننا بصدد جدلية يُحَرِّكُهَا هاجس الخلاص، إن الشاعر عَبْرَ قصيدته يستحضرُ "وظيفة الأدب التي تجعل منه عالما يلامس الوجود الإنساني المكلوم ويأخذ بيده إلى مناطق الدفء الإنساني، حيث تستحيل كل آلامه ومعاناته طُرُقًا إلى عالم جديد، عالم القيم الذي يطمح إليه كما يرسمه شاعر طموح هو أحد الذين أنهكهم انتظار البشرى". **(بوديسة بولنوار، 2020م، ص: 772)** لقد رسم أمل دنقل أفقا متجددا في مساحات الإبداع، إنه ينصهر في التجربة ويحاول أن يقنع المتلقي بأنه جزء من هذا الخراب المنتشر، إنه يُخصِّب اللغة ويدفعها لتكشف وتقول وتعبِّر، إنه فاعل في خضم ضياع هادر. لقد جعل قصيدته تتجاوز أفق الإقليمية لتعانق المصير الإنساني دون حدود ولا قيود، إنه يقرأ التراث قراءة جديدة ويستثمر رحابة الرؤيا ليبني عالمه الشعري، فبكاؤه بين يدي زرقاء اليمامة شاهد على عمق المأساة المعيشة، إنه يلجأ للماضي بحثا عن كُوى تلملم الجراح بعد أن فقد كل أمل في الحاضر، إنه يحاول النبش في خبايا تلاقي التجربة والمعنى، فهو حين يطرق باب التاريخ يطرقه من منطلق تتبع مسارات التأويل مخضعا مكنوناته لقراءة تناسب هول ما رآه وعاشه.

إن قصيدة أمل دنقل تجعل من الانزياح مَعْبَرًا إلى ومضات تتأطر ضمن تشظي المعنى، وهي ومضات تَتَّبِعُ البُنى الثقافية على غزارتها، ولا غرو في ذلك مادام أن تجربة دنقل بعامة مُشْبَعَةٌ بالتاريخ والتراث، إنها مرآة حضارية تروم معانقة المشترك الإنساني، إذ "إن المقروء هنا هو تراثنا نحن، فهو جزء منا أخرجناه من ذواتنا لا لنلقي به هناك بعيدا عنا، لا لنتفرج فيه تفرج الأنتروبولوجي في منشأته الحضارية أو البنيوية ولا لنتأمله تأمل الفيلسوف لصروحه الفكرية المجردة.. بل فَصَلْنَاهُ عنا من أجل أن نعيده إلينا في صورة جديدة، وبعلاقات جديدة، من أجل أن نجعله معاصرا لنا". **(محمد عابد الجابري، 1993م، ص: 24)**

ينفتح منجز دنقل على شخصيات تراثية سكنت الوجدان العربي لأنها ظلت تنبض بقيم اجتماعية وأخلاقية، كما أن لها حضورا حضاريا وأسطوريا، لقد جعل منها في منجزه نافذة لِتَبَيُّنِ ماض تليد مضى وحاضر مهزوز مسكون بالنكبات والنكسات، إن القصد وضع المتلقي أمام جدليات تروم رَجَّ الراكد واستحضار بهاء الماضي لتجاوز تخلف الحاضر. إن قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة جمَّاعة لمساحات عميقة مُخَضَّبَةٍ بالبطولات، مشتعلة بالانتصارات والملاحم، إن استحضاره لشخصية عنترة بن شداد هو استحضار لبهاء التداعي في الشعر، إننا بصدد تداع رافده الفروسية وكُنهه شاعرية امتزت فيها الفكرة والسرد الفني مع القالب الإبداعي الجمالي، إن مرام الشاعر كشف أسباب الهزيمة، يقول: **(أمل دنقل، 2012م،صص: 98/97)**

أيتها النبية المقدسة..
لا تسكتي .. فقد سَكَتُّ سَنَةً فَسَنَةً..
لكي أنال فضلة الأمانْ
قيل لِيَ "اخرسْ"..
فخرستُ .. وعميت .. وائتمتُ بالخصيان!
ظللتُ في عبيد (عبسٍ) أحرس القطعان
أجترُّ صوفَها..
أردُّ نوقها..
أنام في حظائر النسيان
طعاميَ : الكسرةُ .. والماءُ .. وبعض الثمرات اليابسة.
وها أنا في ساعة الطعانْ
ساعةَ أن تخاذل الكماةُ .. والرماةُ .. والفرسانْ
دُعيت للميدان!
أنا الذي ما ذقتُ لحمَ الضأن..
أنا الذي لا حولَ لي أو شأن..

أنا الذي أقصيت عن مجالس الفتيان ،
أدعى إلى الموت .. ولم أدع الى المجالسة!!

إن المقطع زاخر بالترميز والإيحاء، إننا بصدد ومضة مرآوية تحاول رصد الواقع العربي المفتقد للأمل، لقد اتخذ الشاعر من اللغة معبرا إلى التمرد والرفض فرصده للحقيقة الكائنة هو استشراف للآتي، الذي تعلن عنه ارهاصات عايشها بحسه الناقد وبصيرته الفذة.

إن السر في نجاح القصيدة هو النظم المتناسب مع التيمة المطروقة، إننا بصدد نَسَقٍ إيقاعي ثر، ولغة كلها صور شعرية تخاطب الوجدان وتستثير العقل والفكر، أضف إلى كل هذا نبرة الشاعر وَجَرْسَ القصيدة، إن صوته هو صوت الشعب المغلوب الذي يقف تائها بين السيف والجدار، فيضطر للصمت لينال الأمان والطمأنينة، وكأنه عبد من قبيلة بني عبس، يخدم الأسياد، ويحرس الحظيرة، ويرعى القطعان، ويكتفي بالزاد القليل حتى يضمن البقاء على قيد الحياة.

تشتغل القصيدة ضمن آفاق رحبة، إنها بقدر ما تنجذب إلى الماضي بقدر ما ترنو إلى الحاضر وتستشرف المستقبل، فصداها يتجاوز الرؤية الضيقة لينفتح على التراث الشعري العربي من خلال استحضار شعر عنترة بن شداد وقصصه الأسطورية التي تمتح من عَبَقِ الملاحم وَسِحْرِ التراجيديا وأثرها في النفوس. إن القصيدة تضعنا أمام ثنائيات دالة تمتح معالمها من مدارج السخرية وتبرز تيه الشاعر واغترابه (نخرست وعميت، أحرس القطعان، أنام في حظائر النسيان/ وها أنا في ساعة الطعان، دعيت للميدان، أدعى إلى الموت ..) وهي ثنائيات تتقاطع وجدلية حاول الشاعر تَشْغِيلَ عناصرها، لتكشف نزوعه نحو التمرد والثورة. إننا بصدد ممكن يتطلع إلى المستقبل وينحاز إلى نهضة لا بد أن تقوم لها قائمة وأن تتجاوز الحاضر لتنفتح على فلسفة أكثر إشراقا وتجددا.

إن رؤيا أمل دنقل رؤيا لا شط لها، إنها تمتح من التراث والأنتروبولوجيا والفلسفة والتاريخ لذلك تظل دوما عالما في حاجة إلى مزيد من السَّبْرِ والكشف، كيف لا وهي الحُبلى بآفاق الإبعاد والإبهام، إنها "نص مفتوح قابل للتأويل والاستجابة والاستثارة.. وكلما اتسعت مساحة الانفتاح وامتدت في فضاء الدِّلالة كانت فرص اختراق المقروء وتجاوز المحجوب أكثر حضورا وفاعلية" **(عزيز محمد عدمان، 2009م، ص: 86)**. إن الشاعر لا يفقد الأمل وهو يحاول رَتْقَ الكلام، إنه لا يصمت ولا يتراجع، إن وقوفه بين يدي زرقاء اليمامة وقوف حيرة وقلق، فهو إذ يكرر اللازمة (أيتها العرافة المقدسة) يُصِرُّ على أن يجعلها تفصح وتعبر وتعري وهو ضمنيا يعلم عجزها ويعلم فوات الأوان، لقد استحلفها في البدء بالله وعاد في تَحَوُّلٍ ذي دلالات ليستحلفها بالشيطان، ليؤكد موقفه وَيُعَمِّقَ توسلاته لعلها تخرجه وتخرج الأمة من هَوَانٍ تَغَوَّلَ وأضحى مُلازما لراهننا، ولكن العرَّافة/ النبية المقدسة تصمت بل تخرس للأبد، إنها "عمياء" أمام واقع مظلم لا صدى للأمل فيه. إن صمتها هو إشارة إلى التنكيل والقهر الذي تعرض له المثقف العربي والشاعر الملتزم حين حوَّل قلمه إلى كوة للنضال والانحياز إلى قضايا المنسيين والمهمشين لكنه لم ينل إلا البطش والنفي والاغتيال.

لا شك أن اختيار الشاعر لشخصية عنترة إنما هو انفتاح على التراث بتجلياته الثرة، إنه رَاءٍ وَاعٍ بتيمة الحرية التي يجب أن يُكرس الأدب آفاقه لخدمتها كَأَنَّا لا حيلة لها، أَنَّا معذبة تَنْشُدُ خلاصها، إن معادلها الموضوعي ليس إلا الذات العربية المستلَبة المعذبة التي حكم عليها الاستبداد بأن تظل سجينة عذاباتها ومآسيها. إن ورود ضمير الأنا في المقطع بقوة هو تعبير عن أنا مغتربة محكوم عليها بالسكوت، لذلك تظل مُسَحُ الصِّراع في القصيدة، إننا إزاء "صراع حي بين البنية الدرامية والبنية الغنائية، وهو صراع يحكم عملية إنتاج الدِّلالة في القصيدة، ويتيح لها مستوى من الأداء الناجح أو القاصر، ونستطيع عن طريق تتبع

مُفجِّرات الصراع بين هاتين البنيتين في شعر دنقل أن نكتشف طبيعة الصورة عنده" .**(صلاح فضل، 1980م، ص: 225)**

إن لغة الشاعر تحمل تيمات نفسية تُكَثِّفُ وَتُرْسِي عوالم تصوير نابضة لا تسكن ولا تخبو، لقد فتح الشاعر قصيدته على معجم ثر كُنْهُهُ الواقع السياسي والاجتماعي الذي يعاني تناقضات جمة، وقد تواشجت معالمه عبر التكرار حتى تميط اللثام عن إحساسات الشاعر خاصة إحساس الحسرة والغضب الذي يكاد يهيمن على مقاطع القصيدة. إن الشاعر صوت من لا صوت له، إن صراخه واستنكاره في القصيدة هو الوعي الجمعي العربي الذي صودر حقه في التعبير والاحتجاج، إن الاستفهامات الإنكارية التي تتوالى في النص لهي استثارة لوجدان المتلقي حتى يفهم ويتأمل ويعي هول ما جرى ويجري.

إن توارد الأسئلة في القصيدة يجعل الدلالات تتفرع وتتشظى، إن ذات الشاعر لا شك منكسرة ومتألمة، إنها ذات تعكس نَفَسًا دراميا يحيل على انطفاء الرجاء، فالأمل في أن تعي الأمة هول نكباتها غائب، لذلك نلفي الشاعر يتفاعل في قصيدته عبر ثنائيات ضدية (لا تسكتي/ سكت، ساعة الطعان/ تخاذل الكماة) أسهمت في اشتعال المشاهد وبثت في النص نسقا سرديا، (العرافة/ الجندي/ عنترة). إنه تفاعل يكشف عن إصرار الشاعر على الانعتاق والتحرر من ربقة القهر والظلم والاستبداد، فإذا كانت الأنظمة الحاكمة قد استسلمت وباعت قضايا شعوبها وأمتها، فإن الشاعر، وهو صوت الجماعة، يصر على تأثيث فضاء القصيدة بعديد من التساؤلات التي تفتح عالم النص على مآلات عدة، تجعل آفاق التأويل لا تنتهي، كما أنها تشرك المتلقي في التأمل وَإِعْمَالِ الفكر، إن "أهمية التساؤلات التي لا تحمل إجاباتها هي إيثار لدائرة الحياد في إنتاج الدلالة من قبل المبدع حتى ينهض المتلقي بدوره في المشاركة في الإبداع من

ناحية، ويأخذ حريته في التحليل والتأويل من ناحية أخرى". **(عبد الرحمن محمد القعود، 2002م، ص: 230)**

يقول الشاعر: **(أمل دنقل، 2012م، صص: 100/99/98)**

تكلمي أيتها النبية المقدسة
تكلمي .. تكلمي..
فها أنا على التراب سائلٌ دمي
وهو ظمئٌ .. يطلب المزيدا.
أسائل الصمتَ الذي يخنقني:
"ما للجمال مشيُها وئيدا .. ؟" !
أجندلاً يحملن أم حديدا .. ؟"!
فمن تُرى يصدُقْني ؟
أسائل الرَّكع والسجودا
أسائل القيودا:
"ما للجِمال مشيُها وئيدا .. ؟" !
" ما للجمال مشيُها وئيدا .. ؟! "
أيتها العَّرافة المقدسة..
ماذا تفيد الكلمات البائسة ؟
قلتِ لهم ما قلتِ عن قوافل الغبارْ..
فاتهموا عينيكِ، يا زرقاء، بالبوار!
قلتِ لهم ما قلتِ عن مسيرة الأشجار..
فاستضحكوا من وهمكِ الثرثار!
وحين فُوجئوا بحدّ السيف : قايضوا بنا..
والتمسوا النجاةَ والفرار!
ونحن جرحى القلبِ ،
جرحى الروح والفم.
لم يبق إلا الموتُ..

والحطامُ..
والدمارْ..
وصبيةٌ مشرّدون يعبرون آخرَ الأنهارْ
ونسوةٌ يسقن في سلاسل الأسرِ،
وفي ثياب العارْ
مطأطئات الرأس.. لا يملكن إلا الصرخات الناعسة !

لقد وَسَمَ التناص القصيدةَ بسماتٍ خاصة، إننا إزاء توظيف لشخصيات كان لها حضورها الدال في ماضينا وَمُدَوَّنَتِنَا التراثية الغزيرة. إن هذا التوظيف يُرْسِي أُسُسَ نَسَقٍ مَلْحَمِيٍّ في القصيدة حيث تتفاعل كافة العناصر لتجعل من النص بؤرة نابضة بالدِّلالات اللانهائية، كل هذا يجعلنا نفهمُ مَغْزَى تَغْلِيبِ الشَّاعر الجانبَ السَّردي في القصيدة على الجانب الخَطَابي، لِيَضَعَنَا في الأخير أمام مُعَادِلاتٍ موضوعية تنفتح على الماضي وتقرأ الحاضر قراءةً فيها الكثير من العُمق الدَّلالي والفني والإيقاع الفذ. إننا أمام أصوات تتداخل حَدَّ التَّماهي، أصوات فيها ذات الشاعر تنبض بالآلام فتنصهر في ذات الجندي العائد من مآسي الحرب مكلوما موجوعا، ثم تعود هذه الذات من جديد لتتماهى مع شخصية عنترة بن شداد، وهي شخصية ذاقت نَيْرَ العبودية واستطاعت أن تنعتق وأن تهدم أسوار جَلَّاديها، هكذا تتوحد التجربة وتتسامى لتعبر عن أجواء الهزيمة ومراراتها.

إن تداخل كل هذه الأصوات/ الخطوط يُثري القصيدة ويجعلها تنبض بالمعاني وتتجاوز اللحظِية لتمتد في الزمان والمكان. إن هذا الثراء يوجهنا لفهم شخصية وفكر أمل دنقل، إنه بقدر ما يبتغي كشف اهتراء المجتمع العربي وتعدد أعطابه، بقدر ما يفتح عيوننا على رؤيته السياسية وموقفه من قضايا الإنسان أينما كان، خاصة أنه شاعر الالتزام والكفاح والنضال. إن اختياره لزرقاء اليمامة اختيار له دلالات عدة، فالشاعر يبكي بين يديها ويستحضرها كرمز تراثي أسطوري حتى يجعلها شاهدة على هوان الأمة وتخلفها

وانكسار جناحها. إنه بكاء بدلالات الثورة والرفض والاحتجاج، اشتغل فيه الشاعر على شخصية الزرقاء مستلهما بعدها التراثي ليجعلها جسرا للتعبير عن قراءته للواقع.

لقد أمكن لدنقل إذن، إضاءة واقع العرب والشعوب في قصيدته حين لجأ إلى خصيصة التناص، وعبر هذه الخصيصة يبرز كيف أضحت الشعوب موضوع مقايضة. كان للتناص في منجزه أبعاده الجمالية والدلالية والأسطورية، فهو مساحة فكرية ونفسية تكثف الدِّلالات خاصة إذا علمنا أن المبتغى رصد مظاهر التراجيديا والمأساة عبر جدليات تتراوح بين الخفاء والتجلي، وبين إمكانية التحوُّل والتحوِيل، فنحن بصدد صراع بين كائن مظلم سوداوي وممكن حالم مستشرف لمستقبل لم يعدم فيه الشاعر إمكانية الانعتاق.

إن القصيدة بقدر ما هي رصد لحالة اللَّاحالة والتيه والاغتراب بقدر ما هي محاولة على درب التغيير والاحتجاج والنضال، لذلك تتجاذبها خطوط عدة ومآلات لا شيء فيها ثابت. إنها مُتَغَيِّرَةٌ بحسب نفسية الشاعر وبحسب الرسالة التي يبتغي إبلاغها للمتلقي، لقد كان رهان الشاعر وضع الإصبع على الجرح وتصوير استبداد الحكام الطغاة الذين استرخصوا دماء الشعب واحتقروا وجوده وحقه في الكرامة، إن الشاعر يستلهم رُؤًى ثرة من كوة الزرقاء التي مكنته من قراءة الواقع قراءة مختلفة، الزرقاء النقية التي، ورغم كل النداءات، لم يستمع أحد إلى تحذيراتها حتى فات الأوان فكانت النتيجة تقتيلا وتشريدا.

تفيض القصيدة بأبعاد موسيقية ثرة، ينبعث منها لحنُ المأساة والموت والاستشهاد كنتيجة للنَّكسة، كما تتظهر مساحات الألم والحزن والمعاناة، ويستمر هذا الإحساس في التشكُّل من خلال تموُّجات صوتية اشتغلت ضمن المُدود، وقد شمل هذا الأمر المقاطع على تعدُّدها وتنوُّعها، نذكر مثلا في المقطع الأول (الدِّماء- الأعضاء – العذراء- الصحراء) وفي المقطع الثاني (دمي- يخنقني- يصدِّقني) هذا النَّفَسُ

الإيقاعي على ثرائه ينبع من ذات مكلومة تعيش الضياع، وتنتحب في صمت لتعبر عن عزلة متفرِّدة، هكذا يظهر أن الموسيقى عند أمل دنقل خاضعة لإحساساته الدفينة، إنها تتفاعل لتعكس توترا داخليا، يستحيل أحيانا نَبْرًا عاليا وتنغيما قويا ينزع إلى العنف والتفجر، وأحيانا أخرى هَمْسًا وَنَغَمًا كسيرا يتفاعل لِيُعَبِّرَ عن دفقات شعورية عَمَّقَ من أبعادها التضمين في القصيدة.

لقد هيمنت رؤية الموت والدمار في النص وبدا الشاعر إزاء ذلك فاقدا للأمل، إن رؤيته رؤية سوداوية أَفَلَ فيها التجدُّد واستأسد الظلام والقهر، إننا بصدد نبض يحمل بين طياته دلالات الانهيار، حيث الوطن يرزح تحت أوضار التخلف بينما نزعة الثورة تخبو كما يخبو الحس المُقَاوِمُ، فتتناغم نبرة خنوع الشعوب واستسلامها أمام جلاديها مع نغمة تَجَبُّرِ الحكام وخذلانهم لقضايا المحكومين، وقد توسل الشاعر، ليميط اللثام عن كل هذا، بأسلوب الاستفهام الإنكاري الذي نطالعه في مستهل المقطع (ماذا تفيد الكلمات البائسة .. ؟) وبأسلوب التكرار الذي يعكس دلالات عدة لعل أبرزها استبعاد "الزرقاء" من مسؤولية ما جرى (قلتِ لهم ما قلتِ عن قوافل الغبارْ.. فاتهموا عينيكِ، يا زرقاء، بالبوار.. قلتِ لهم ما قلتِ عن مسيرة الأشجار..) مع تحميل مسؤولية النَّكسة للحُكام الذين لم يجدوا حلا غير مقايضة مآسي المخذولين والمنسيين باستجداء وُدِّ مَنْ أذاقوهم حَنْظَلَ الهزيمة (فاتهموا عينيكِ، يا زرقاء، بالبوار! / فاستضحكوا من وهمكِ الثرثار! / وحين فُوجئوا بحدِّ السيف : قايضوا بنا.. / والتمسوا النجاةَ والفرار!) ليلجأ الشاعر بعد ذلك إلى رصد صرخات المكلومين والمغلوبين، أولئك الذين حَوَّلَتْهُم الخيانات إلى زاد يُؤَجِّجُ أُوَارَ المعركة. إنهم مَنْ يدفع ثمن المآسي كُلّها، والشاعر ضمنهم، يتحدث باسمه واسمهم وينفض الغبار عن مآلات رهيبة في ظل صراع طبقي رهيب، وَنُخَبٍ تَخَلَّتْ عن مسؤولياتها التاريخية والتزامها الإيديولوجي تجاه قضايا الفقراء والمهمشين، تعكس الأسطر التالية هذه الدلالات (ونحن جرحى القلبِ

/جرحى الروح والفم. /لم يبق إلا الموتُ.. / والحطامُ.. / والدمارْ.. / وصبيةٌ مشرّدون يعبرون آخرَ الأنهارْ/ ونسوةٌ يسقن في سلاسل الأسرِ،/ وفي ثياب العارْ/ مطأطئات الرأس.. لا يملكن إلا الصرخات الناعسة !)//.

إن الجُرح، كما هو مبين في هذه الأسطر، غائر لا ضفاف له، كما أن الموت والحُطام والدمار مُتَغَوِّلٌ يُطِلُّ من كل مكان، ولم يبق للصِّبية والنسوة إلا الملاجئ والتشرد والضياع والاستعباد. إن الجميع متدثر بأثواب العار والهزيمة، هذه الأثواب التي أحالها الشاعر أقنعة وجعلها جسرا للكشف والفضح والبوح، إن حدسه رصين في قراءة الحاضر واستشراف المستقبل، إنه يضعنا أمام "رؤية مباشرة ريادية استكشافية، تستكشف الطريق وتستبق النتائج، إن ما يعطي للحدس هذه الأهمية في مقاربة النصوص ذات التكوين المستقبلي أنه السبيل الأكثر طواعية وذكاء في استقراء النصوص التي تتميز بالغموض، مما يجعل المعنى منفلتا يصعب الإمساك به ضمن حدود المنطق والعقل، كما أن هذه النصوص في الغالب تأتي للتمرد على بنية ثقافية أو عقلية راسخة لذلك ليس ميسورا مقاربة النصوص بمناهج ورؤى مستهلكة" **(بوديسة بولنوار، 2020م، ص: 779)** وهذا إن دَلَّ على شيء فإنما يدل على أن منجز أمل دنقل منجز ثر حابلٌ بِكَثِيرِ خطوطٍ ومنحنياتٍ لا بد أن تجذب المتلقي إليها وتستثير لديه طاقات التأويل حتى يتمكن من شحذ النص ودفعه ليكشف عن مخبوءاته.

ولأن امتدادات القصيدة لَا يَأْفَلُ لها أُفق، فإن الشاعر كما بدأها بمخاطبة زرقاء اليمامة فإنه ينهيها بالمنطق نفسه، ما يعني أن الصَّدى نابع من ذات محترقة تكابد ألوان المآسي وهذا الصدى ما يلبث يعود إلى الذات نفسها وكأننا بصدد نَفَسٍ درامي متجدد، يقول الشاعر: **(أمل دنقل، 2012م، صص: 100/ 101)**

ها أنت يا زرقاءْ
! وحيدةً ... عمياءْ
وما تزال أغنياتُ الحبِّ .. والأضواءْ
! والعرباتُ الفارهاتُ .. والأزياءْ
فأين أخفي وجهيَ المُشَوَّها
.كي لا أعكِّر الصفاء .. الأبله.. المموَّها
في أعين الرجال والنساءْ !؟
.. وأنت يا زرقاء

! وحيدة .. عمياء

وحيدة .. عمياء !

إن المقطع الأخير زاخر بالدِّلالات العميقة، ولعل بُؤْرَتَهُ حديثُ الشاعر عن الصفاء الأبله المُمَوَّهِ الذي يُطِلُّ من أعين الرجال والنساء. إن الشاعر مؤمن بأن الرهان أضحى سرابا مادام أن العرب فقدوا مقومات الكرامة وَمَرَّغَ عدوهم وجههم في التراب فلم يبق لهم إلا اجترار المآسي والخيبات. فعن أي صفاء يمكن أن نتحدث في ظل واقع مهترئ مر، واقع كله نكسات ونكبات.

إن فهمنا للقصيدة لا يتحقق إلا عبر إعمال التأويل والبحث في الدلالات العميقة للكلمات، إن دنقل يرى ضمنيا أن "الزرقاء" محظوظة مادام أنها وحيدة وعمياء، وقد جاءت هذه العبارة في سياق التعجب وسياق الاستنكار وكأننا بالشاعر يبرئ زرقاء اليمامة من هول ما جرى وينتصر لها وللعمى الذي طالها

لأنه سَيُجَنِّبُهَا رؤية ما نحن عليه وما بلغناه من انحطاط في ظل واقع أضحى فيه الإنسان يبحث عن خلاصه الفردي.

لقد أماطت القصيدة اللثام عن نقم الشاعر وهو يرى كيف يستمتع الحُكَّام ومعهم النخبة بالسيارات الفارهات وبالأضواء والحب بينما لا يبقى للفقراء غير الفتات، وأمام هكذا عَبَثٍ لا يتبقى للشاعر إلا أن يحاول إخفاء وجهه المشوَّه الذي خَطَّ العار قَسَمَاتِهِ لكن دون جدوى. إن وجهه هو وجه الوطن العربي الذي أضحى بلا ملامح ولا أمجاد ولا بِشارة، لقد أضحى عنوان انبطاح وموت واغتراب.

وكما ابتدأ الشاعر قصيدته باستفهامات إنكارية بلاغية حملت بين طياتها قلقا وجوديا وفلسفة ورؤية يمكن ربطها بمعاني المصير، عاد في نهاية القصيدة ليرسم المشهد نفسه لكن من زاوية أخرى أفصح فيها عن المَسْخ الذي طال الأمة ووجهها الذي أضحى مُشَوَّهًا كما وجه الشاعر. لقد ابتغى الشاعر من قصيدته فضح الراهن السوداوي والمستقبل المرتبك الذي افتقد إشراقات الأمل، إننا به يَرْهَنُ ثنائيتي التحوُّل والتحويل بنهضة الأمة وقدرتها على نفض غبار التخلف والنُّكوص والأفكار الهدامة التي ظلت ملتصقة بها دهرا. إن الشاعر ثائر، إن صرخته منبعثة من ذات أنهكها الهوان وَهَدَّتْهَا الحياة التي افتقدت كل معنى فلم يعد له إلا أن يتمرد ويرفض وينتفض.

4- عود على بدء:

لقد جاءت نكسة فلسطين 1967م لِتُعَمِّقَ جراح الأمة، وتجعل المشهد أكثر تراجيدية ودرامية بعد مأساة النكبة، فانكسرت كل الآمال وانهدَّت على شط الحلم الذي أضحى وهما. والشاعر وهو لسان حال الجماعة، المتحدث باسمها، والمعبر عن انتظاراتها وهمومها، لا بد له أن يتفاعل مع هكذا أحداث، وأن يشحذ قصائده ويجعلها صوتا لا ينطفئ ولا يتوارى حتى يفصح عن هول ما جرى.

إن الشاعر أمل دنقل صاحب قضية، لذلك نلفيه على الدوام منحازا إلى القصيدة الملتزمة المقاومة، فقد اتخذ من منجزه بعامة وقصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة بخاصة جسرا عَبَرَ عبره إلى المرافئ الأكثر عتمة وظلمة، لقد انبرى ليكشف وَيُعَرِّي وَيُسَائل، حتى أن قصيدته أضحت مرجعا أساسا في طَرْقِ القصيدة لعوالم الرؤيا، وانفتاحها على الرمز العميق والأسطورة، ما جعلها غزيرة من ناحية المعاني والدِّلالات وجعل فهمها مرتبطا بالتأويل والقراءة الفاحصة العالمة.

إن ادعاء افتقاد القصيدة للراهنية ادعاء متجاوز، إن مسارها مسار تَحَوُّلٍ وَتَحْوِيلٍ، إنها رصد للكائن وانفتاح على الممكن واستشراف لملامحه لذلك تظل دائما مُتَجَاوِزَةً لمنطق الزمان والمكان، تظل متجددة نابضة بالدِّلالات، منفتحة على اللامرئي، لقد ساءلت حاضر الشاعر وها هي تسائل حاضرنا ومستقبلنا غير المحدد المعالم، إن حاجة الشاعر لزرقاء اليمامة هي نفسها حاجتنا لها، فخطر الهوان داهم آت لا ريب إن لم ننهض ونرسي ركائز التنوير وننتصر للأدب الحق، ذاك الذي ينحاز إلى صف المنسيين والمكلومين.

المصادر والمراجع:

- أبو الفضل أحمد بن محمد الميداني، مجمع الأمثال، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مج 1، منشورات دار الفكر، الطبعة الثالثة، بيروت لبنان، 1972م، ص: 114.
- أمل دنقل، الأعمال الكاملة، دار الشروق، الطبعة الثانية، القاهرة مصر، 2012م، ص: 95.
- بوديسة بولنوار، هاجس المستقبل في قصيدة "ما لم تقله زرقاء اليمامة" لمحمد عبد الباري، المجلد 12، عدد 02، مجلة علوم اللغة العربية آدابها، ، شتنبر 2020م، صص: 772/ 779.
- رجاء عيد، لغة الشعر والأسطورة، ص: 332
- صلاح فضل، إنتاج الدلالة في شعر أمل دنقل، مجلة فصول، مجلد 1، عدد 1، الهيئة المصرية العامة للكتاب، أكتوبر 1980م، ص: 225.
- طراد الكبيسي، في الشعرية العربية، قراءة جديدة في نظرية قديمة، منشورات اتحاد الكتاب العرب، 2004م، ص: 117.

- عبد الرحمن محمد القعود، الإبهام في شعر الحداثة، العوامل والمظاهر وآليات التأويل، سلسلة عالم المعرفة، عدد 279، مطابع السياسة الكويت، 2002م، ص: 230.
- عزيز محمد عدمان، حدود الانفتاح الدلالي في قراءة النص الأدبي، مجلة عالم الفكر، عدد 3، يناير 2009م، ص: 86.
- محمد عابد الجابري، نحن والتراث -قراءات معاصرة في تراثنا الفلسفي، المركز الثقافي العربي، الطبعة السادسة، المغرب، 1993م، ص: 24.
- ورقاء يحي قاسم المعاضيدي، الرمز التراثي، قراءة في قصيدة البكاء بين يدي زرقاء اليمامة، مجلة التربية والعلم، الموصل العراق، العدد الأول، المجلد 17، 2010م ص: 214.

الأصول السياسية للمذهب الزيدي دراسة نظرية

In The Name Of Allah, The Most Gracious, The Most Merciful

The Political Origins Of Zaidi Doctrine

Theoretical study

باحثة الدكتوراه: عزّية عليّ محمد سفيان السيد

Researcher Prepared By The Doctoral

Ezzia Ali Mohammed Sofian Al-Said

ملخص البحث

يناقش هذا البحث الأصول السياسية للمذهب الزيدي من خلال دراسة سيرة الإمام زيد وفكره السياسي, لثورته التي أصبحت مذهباً فيما بعد سمي باسمه, وقد برز هذا المذهب بشكلٍ رسمي بعد مقتل مؤسسه في كناسة الكوفة وصلبه, فأصبح زيداً في أعين الناس القائد الروحي والسياسي لمناصريه ومحبيه بما نتج عنه من خصائص سياسية ووعي جماهيري ضد النظام الأموي, تكوّن هذا الوعي في تصور الإمامة وشروطها وآلية انعقادها, الذي تجسد في أربع فرق زيدية هي الجارودية والسليمانية والصالحية والهادوية, وانتشار هذه الفرق في العالم الإسلامي وصولاً إلى اليمن ليتأسس المذهب الزيدي على يد الإمام الهادي يحيى بن الحسين (ت/298هـ).

وقد هدفت هذه الدراسة:

بيان الأصول السياسية للمذهب الزيدي والتعرف على نشأة المذهب بشكل رسمي بعد مقتل الإمام زيد بن عليّ وبيان الخروج على الظالم واعتباره عند الزيدية أصل من أصول الإمامة.

وتوصلت إلى مجموعة من النتائج أهمها:

أن الأمويين شوهوا صورة الإسلام مما حمل الإمام زيد على أن يكون له شرف التصدي لهم بشجاعةٍ, وسن الجهاد للأئمة بعده ووضعت الزيدية شروطاً صارمةً لصحة إمامة من يريد القيام بأعباء الإمامة, وما يقتضيه المنصب من أمرٍ ونهيٍ عن منكرٍ, وإدارة شئون الأمة كما يريد الله ورسوله وانتشر اتباع المذهب الزيدي قديما في عدد من مدن فارس, ومصر والمغرب واليمن.

الكلمات المفتاحية: الأصول السياسية, المذهب الزيدي, الإمامة, دراسة نظرية

Research Summary

studying the biography of This research discusses the political origins of the Zaidi doctrine by revolution which later on became a doctrine named Imam Zaid and his political thought for his emerged officially after its founder had been killed and crucified in the. after him. This doctrine

Kufa church, and Zaid became, in the eyes of the people, the spiritual and political leader of his supporters and lovers, which resulted in the political characteristics and public awareness against the Umayyad regime. This awareness formed the perception of the imamate, its conditions, and the mechanism of its convening, which was embodied in four Zaidi sects: the Jarudiyyah, the Sulaymaniyah, the Salihiya, and the Hadawiyyah, and the spread of these sects in the Islamic world, reaching Yemen to establish the Zaidi doctrine by Imam Al-Hadi Yahya bin Al-Hussein. (d / 892 AH).

This study aims at:

stating the political origins of the Zaidi doctrine and identifying the emergence of this doctrine officially after the killing of Imam Zaid bin Ali ,and stating the rebellion against the oppressor which is considered by Zaidis as one of the Imamate origins.

And I came up to a set of results, the most important of which is:

The Umayyads distorted the image of Islam, which prompted Imam Zaid to have the honor for confronting them bravely, and enacting jihad for the imams after him, and Zaidism set strict conditions for the legitimacy of the leadership of whoever wants to carry out the leadership burdens, and what the position requires of enjoining good and forbidding evil, and managing the affairs of the nation as God and His Messenger want. The followers of the Zaidi doctrine in the past spread to a number of cities in Persia, Egypt, Morocco and Yemen.

Keywords :political origins ,Zaidi doctrine, Imamate, theoretical study.

.

مقدمة

الحمدُ لله، والصّلاة والسّلام على أشرَف الأنبيَاء والمُرسلين، سيّدنا محمّد النّبي الأمين، وعلى آله الطّيبين الطّاهرين، سُفن النّجاء وعلاماتُ الاهتدَاء، ورضوانُ الله على الصّحابَة المتّقين، والتّابعين لهُم بخيرٍ وإحسانٍ إلى يومِ الدّين.

وبعد:

لم تلبث الزيدية بعد استشهاد الإمام زيد, أن انقسمت إلى فرق عدة, يجمعها قاعدة واحدة هي أنها ترى السيف والخروج على أئمة الجور, وإزالة الظلم, وإقامة الحق, والإمامة.

وتجمع فرق الزيدية الأولى والمتأخرة على أن البدايات الأولى لصياغة الفكر السياسي الزيدي حول الإمامة قد ظهرت في عهد الإمام زيد بن عليَّ, الذي وضع أسس هذا الفكر ومقوماته الأساسية, وتنسب هذه الفرق إلى زيد بن عليَّ القول بأفضلية الإمام عليَّ بن أبي طالب وأولويته بالإمامة بعد وفاة النبي صلى الله عليه وآله وسلم, ومن بعده الحسن والحسين من أبناء فاطمة, لمن اكتملت له شروطها مع وجود الدعوة العلنية الصريحة, والخروج لقتال الظلمة الجائرين.

فقد كان لأسلوب الدعوة والنهضة وتغيير الواقع عدة مفاهيم في نظر الإمام زيد بن عليَّ إمام مذهب الزيدية فمن خلال أسلوبه الراقي في خلق أجواء تتسم بالانفتاح والعقلانية مع كل طرف مهما كان الاختلاف عميقاً, حيث رسم لذاته منهج حياة وإبداع بعيداً عن التطرف والعصبية في فهم قل نظيره من قوة الإرادة والصبر والإناءة.

كما كان حكماً وحكيماً تعود إليه جميع المدارس الفكرية لترتيب البنية العقلية في نهضة جديدة من قلم وسيف, لإعادة ترميم ما هدم؛ على قاعدة إسلامية لا تعارض كتاب الله وسنة نبيه, حيث كان زاخراً بالعلم يشبع خصمه بفنون حججه وأريحيته وتواضعه وهذا بدد الخصومة والعداء إلى درجة الحوار الهادف في معرفة المتسالم في الميزان الشرعي والعقلي على الأصول السياسية التي وضعها الإمام زيد, والتي جذرناها بالآتي:

أولاً: مشكلة البحث:

1- ما هي الأصول السياسية للمذهب الزيدي؟

2- ماهي شروط الإمامة عند الزيدية؟

3- كيف نشأ المذهب بشكل رسمي بعد مقتل الإمام زيد بن عليَّ؟

4- ما أسباب الخروج على الظالم واعتباراتها عند الزيدية ؟

5- ما أسلوب الدعوة والنهضة وتغيير الواقع في نظر زيد بن عليَّ إمام مذهب الزيدية؟

ثانياً: الأهمية والأسباب:

1- يتطرق إلى شخصية لها وزنها في تاريخ الفكر الإسلامي عموماً والفكر السياسي على وجه الخصوص وهو الإمام زيد بن عليَّ مؤسس المذهب الزيدي.

2- الاستفادة من إرث الإمام زيد الفكري السياسي الذي تعود إليه جميع المدارس الفكرية.

3- إبراز دور الإمام زيد الذي حوى بين يديه مجامع العلوم لآبائه وأجداده, وفي ذهنه تكاملت ملامح الأمانة.

4- الإيمان بعظمة التراث الفكري الإسلامي, كي تكون مكتبتنا الإسلامية كافية للقارئ وللباحث على السواء.

5- الحاجة الماسة لدراسة مثل هذا الموضوع خصوصاً في ظل الأوضاع الراهنة التي يمرَّ بها العالم الإسلامي عموماً واليمن خصوصاً.

ثالثاً: أهداف البحث:

1- بيان الأصول السياسية للمذهب الزيدي.

2- بيان شروط الإمامة عند الزيدية.

3- التعرف على نشأة المذهب بشكل رسمي بعد مقتل الإمام زيد بن عليَّ.

4- بيان الخروج على الظالم واعتباراتها عند الزيدية.

5- التعرف على أسلوب الدعوة والنهضة وتغيير الواقع في نظر زيد بن عليَّ إمام مذهب الزيدية.

رابعاً: منهج البحث:

المنهج التحليلي والتاريخي والوصفي مع الاستفادة من باقي المناهج الأخرى

خامساً: الدراسات السابقة:

1- زيد بن عليَّ إمام زيدية اليمن حقائق وشبهات, تأليف الشيخ حسين عليَّ سرور العاملي, ط1, دار إحياء التراث العربي, بيروت- لبنان, 1437هـ/ 2016م.

وقد اهتمت الدراسة إلى حد ما إنصاف هذا الرجل من خلال تعرضها إلى سيرته الحسنة وبعض مواقفه والشبهات التي لاحقته متصدية إلى حد ما أمام هذا الهجمة اللئيمة والأعلام حاملة بعض آلامه وآماله.

2- منهج الزيدية هو ذات منهج الإمام زيد بن عليَّ, تأليف الكاظم الزيدي.

وقد اقتصرت هذه الدراسة على عقيدة الإمام زيد بن عليَّ في متشابهات القرآن, والعدل, والوعد والوعيد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر, والإمامة, وإجماع أهل البيت, والفتنة بين الصحابة بعد رسول الله صلوات الله عليه وآله, وأبرز مسائل الفروع.

أما هذه الدراسة فقد تطرقت إلى الأصول السياسية للمذهب الزيدي من خلال دراسة سيرة الإمام زيد وفكره السياسي, وثورته التي أصبحت مذهباً فيما بعد سمي باسمه, وكيف برز هذا المذهب بشكلٍ رسمي بعد مقتل مؤسسه في كناسة الكوفة وصلبه وانتشاره في العالم الإسلامي.

سادساً: هيكل البحث: تم تقسيم البحث إلى مقدمة ومباحث ومطالب

المبحث الأول: سيرة الإمام زيد بن عليّ عليه السلام

المطلب الأول: نسبه ومولده

المطلب الثاني: نشأته وصفاته الخلُقية

المبحث الثاني: الإمامة وشروطها عند الزيدية

المطلب الأول: شروط الإمامة عند الزيدية

المطلب الثاني: فرق الزيدية وأماكن تواجدها

المبحث الثالث: ظهور المذهب الزيدي وانتشاره في العالم الإسلامي

المطلب الأول: بداية ظهور المذهب وانتشاره

المطلب الثاني: نشأة المذهب الزيدي في اليمن

الخاتمة: وقد تضمنت النتائج والتوصيات

المبحث الأول

سيرة الإمام زيد بن علي عليه السلام

المطلب الأول: نسبه ومولده

نسبه: هو زيد بن عليّ, زين العابدين (ت/94هـ) بن الحسين (ت/61هـ) بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام (ت/40هـ) (أبو زهرة, 1378هـ/1959م, ص22).

ولد زيد في سنة (80هـ), وقتل شهيداً سنة (122هـ) وقد أجمع المؤرخون على أن سنه يوم مقتله كانت لا تتجاوز الثانية والأربعين, وبذلك يكون استشهاده وهو شاب مقبل على الحياة, ولكن حب الحق دفعه إلى الثورة على الظلم (أبو زهرة, 1378هـ/1959م, ص22).

أمه: كانت أمة سندية أهداها إلى أبيه المختار الثقفي (ت/67هـ), والهنود أهل تأمل وفكر, وزهادة, وبذلك التقى في زيد نسب رفيع وعلم ونبل, وذكاء عليّ بن أبي طالب مع التأمل الهندي (العاملي, 1437هـ/ 2016م, ص43).

المطلب الثاني: نشأته وصفاته الخلُقية

نشأ الإمام زيد في هذا البيت الذي يعد مهد العلم النبوي وتكونت ميوله واتجاهاته ومنازعه في الحياة, وقد تلقى زيد علمه الأول فيه, حفظ القرآن الكريم, عتاد كل مؤمن, واتجه بعد القرآن الكريم إلى

الحديث يتلقاه عن أبيه زين العابدين وعن أخيه محمد الباقر(ت/114هـ), وتأثر زيد بعلم الكلام عن طريق واصل بن عطاء (ت/131هـ) (أبو زهرة, 1378هـ/1959م, ص31).

وروى بعض أصحاب زيد قالوا: كان زيد بن عليّ أبيض اللون, أعين مقرون الحاجبين, تام الخلق, طويل القامة, كث اللحية, عريض الصدر, أقنى الأنف, أسود الرأس واللحية, إلا أن الشيب خالطه في عارضيه (الهاروني,1432هـ/2011م, ص45). وكأنه أمير المؤمنين عليّ عليه السلام في الفصاحة, والخطابة والبراعة والزهادة والعبادة, فقد كان يعرف بالمدينة بحليف القرآن, وكان يسمع الشيء من ذكر الله فيغشى عليه (المحلي,1423هـ/ 2002م, ص137).

وذكر اليعقوبي (ت/897م), أن الإمام زيد كان صاحب أخلاق عظيمة وعالية, عرف عنه الطهر والنقاء والعفة وحسن العشرة والصدق, قال أبو الجارود (ت/150هـ) قدمت المدينة, فجعلت كلما أسال عن الإمام زيد, قيل لي ذاك حليف القرآن, من كثرة صلاته (اليعقوبي, 2010م, ص326).

يقول الشيخ أبو زهرة (ت/1394هـ), (انتشار آراء الإمام زيد في البقاع الإسلامية كلها تقريباً, وهي آراء مشبعة بروح التسامح والقبول لكل الآراء ما دام لها ملتمس من هدى النبي صلى الله عليه وآله وسلم, أياً كان طريقه وأنا نجد في كل مذهب تعصباً من معتنقيه خصوصاً في القرنين الرابع والخامس إلا المذهب الزيدي فإنا نجد من معتنقيه قبولاً لكل ما يكون له مستند من الشرع, وفي الوقت الذي كانت المناظرات على اشدها في القرن الرابع والخامس الهجري في بلاد ما وراء النهر, بين المذهب الحنفي والمذهب الشافعي, نجد المذهب الزيدي في تلك البلاد وغيرها يسير هادئاً كالنمير العذب يأخذ مجتهدوه خير ما في المذهبين إذا تقدم في نفوسهم سلامة منطقهم وفي الوقت الذي نجد فيه الفتن في العراق تقع بسبب التعصب بين الشافعية والحنفية نرى المذهب الزيدي هادئاً كالبحر الساجي يحمل في سفائنه خير ما في الكنوز الإسلامية من فقه) (أبو زهرة, 1378هـ/1959م, ص489).

المبحث الثاني

الإمامة وشروطها عند الزيدية

المطلب الأول: شروط الإمامة عند الزيدية

أولاً: الإمامة لغةً: مأخوذة من الأم بالفتح: القصد, أمه يؤمه أماً إذا قصده, وتأم به وأتم جعله أمةً, وأم القوم وأم بهم تقدمهم, وهي الإمامة فيلاحظ أن المعنى اللغوي يتبطن معنى: الاقتداء والهداية (ابن منظور,1990م, ص355).

اصطلاحاً: لا يخفى أن الخلاف في الإمامة من حيث المفهوم والنظرية وصلاحية الإمام وشروطه وما إلى ذلك واقع بالفعل بين المسلمين من صدر الإسلام إلى يوم الناس هذا قال الشهرستاني (ت/548هـ), (أعظم خلاف بين الأمة خلاف الإمامة إذ ما سُل سيف في الإسلام على قاعدة دينية في كل زمان مثل ما سُل على الإمامة) (الشهرستاني, ص16) الماوردي (ت/450هـ), عرفها بالقول: إنها خلافة النبوة في حراسة الدين وسياسة الدنيا (الماوردي, 1410هـ/ 1990م, ص55).

ثانياً: آلية انعقاد الإمامة والخلافة: لما قبض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم بادر بعض أصحابه إلى تنصيب أبي بكر وأوصى أبي بكر بالخلافة لعمر وعندما نطالع تاريخ الخليفتين الأولين, وإنما عمد كل منهما إلى تعيين الخليفة وتنصيبه بعدهما فهذا أبو بكر يوصي في مرض موته عثمان بن عفان (ت/35هـ), أن يكتب لعمر بالخلافة بعده, وطلب من الناس أن يمتثلوا لأوامره, إذ يقول: (فأني قد استخلفت عليكم عمر بن الخطاب (ت/23هـ), فاسمعوا له واطيعوه) (الطبري, 1387هـ/ 1967م, ص591).

وعمد عمر بن الخطاب قبيل موته إلى جعلها في سته, وهم عثمان بن عفان, وطلحة (ت/36هـ), والزبير بن العوام (ت/656م), وسعد بن أبي وقاص (ت/674م), وعليّ بن أبي طالب عليه السلام, وعلى أن يختاروا واحداً منهم ليكون خليفة وحاكماً على المسلمين وقد صرح الإمام عليّ بهذا الحقيقة أن الأمور في هذه الشورى كانت محسومة سلفاً لصالح عثمان بن عفان (قراملي, 1437هـ/ 2016م, ص53).

ثالثاً: النص أن القرآن الكريم في جملة تعاليمه يأمر المسلمين بكتابة الوصية لما بعد موتهم, إذ يقول تعالى في محكم كتابه الكريم: ﴿ٱلۡحَقِّ سجى سحى سخى سمى صحى صخى صمى ضجى ضحى ضخى ضمى طحظم عجى عمى غجغم﴾ (البقرة: 180) وعليه ها هو القرآن يبدي كل هذا الاهتمام بكتابه الوصية وضرورتها حتى في الأمور الجزئية التي تتعلق بشؤون الإسرة, ويلزم المسلمين بذلك فكيف يمكن أن لا يبدي اهتماماً, مماثلاً بالنسبة إلى ما هو أخطر من ذلك من الأمور التي تتعلق بمصير الأمة على المستوى الديني والسياسي؟! وكيف يمكن للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم أن يتجاوز مسألة على مثل هذا المستوى من الأهمية والخطورة؟! ألا ينطوي مثل هذا الكلام على الطعن بشخصية رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم, بسبب عدم تطبيقه لهذه الآية فيما يتعلق بمصالح أمته, وهو الحريص على مصلحتها؟ (ابن شاذان, 1420هـ, ص105).

عندما نطالع منهج رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في إدارة الحكم, ندرك أنه في مختلف أسفاره, من قبيل مشاركته في الحرب حيث كان يغيب عن المدينة لبضعة أيام, كان يترك فيها من يخلفه؛ ليقوم بأعباء الأمور الإدارية والسياسية, وكان من بين الذي استخلفهم النبي من الصحابة طبقاً لأهمية الموقف وخطورة الأوضاع: الإمام عليّ بن أبي طالب, وهنا نتساءل: كيف يمكن للنبي الذي يبدي هذا المستوى من الاهتمام بمسائل الحكم والدولة, حتى أنه لا يترك الأمور دون أن يستخلف من يقوم بأعبائها

في غيابه لفترة قصيرة جداً, ولا يبدي ذات الاهتمام لما بعد رحيله؟ (قراملي, 1437هـ/ 2016م, ص52).

الوصية: وفيه أنزل الله على رسوله بغدير خم: ٹ ٹ ٹ ٹ ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ (المائدة: 67), فوقف صلى الله عليه وآله وسلم وقطع سيرة, ولم يستجيز أن يتقدم خطوة حتى ينفذ ما عزم عليه في عليٍّ, فنزل تحت الدوحة مكانه, وجمع الناس, ثم قال: (أيها الناس, ألست أولى بكم من أنفسكم؟ قالوا: بلى يا رسول الله فقال: اللهم اشهد, ثم قال: اللهم اشهد, فمن كنت مولاه فعلي مولاه, اللهم وال من والاه وعاد من عاداه, وانصر من نصره, واخذل من خذله) (أخرجه الحاكم في المستدرك, برقم (4576), 3/ 118), والناس كلهم مجتمعون يسمعون كلام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم, وهو رافع بيد عليٍّ أبصر بياض أبطيهما وهو يناجي بهذا القول وفيه يقول صلى الله عليه وآله وسلم: (عليٌّ مني بمنزلة هارون من موسى, إلا أنه لا نبي بعدي) (أخرجه مسلم من حديث سعد بن أبي وقاص, برقم (2404)4/ 1870), ويقول: (عليٌّ مع الحق والحق معه), ويقول: (أنا مدينة العلم وعليٌّ بابها, فمن أراد المدينة فليأتها من بابها) (أخرجه الحاكم في المستدرك من حديث ابن عباس, برقم (4637), 3/ 137) , وقال: (الحسن والحسين سيدا شباب أهل الجنة, وأبوهما خير منهما) (أخرجه الحاكم في المستدرك, من حديث عبد الله بن مسعود, برقم (4779), 3/ 182), وقال: (أنت أخي يا عليٌّ في الدنيا والآخرة) (أخرجه الترمذي في سننه, برقم (3720), 5/ 636), وقال: (عليٌّ أقضى الخلق وأعلمهم) (الهادي, 1421هـ/ 2001م, ص67).

ثم يجب عليه أن الحسن والحسين ابنا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحبيباه, وإنهما إماما عدل, واجبه

طاعتهما, مفترضة ولايتهما, وفيهما وفي جدهما وأبيهما وأمهما يقول الله تبارك وتعالى: ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ (الإنسان: 5) وفيهما يقول رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كل بني أنثى ينتمون إلى أبيهم, إلا ابنى فاطمة فأنا أبوهما وعصبتهما) فهما ابناه وولداها بفرض الله وحكمه, وفي ذلك ما يقول الله سبحانه في إبراهيم الخليل صلوات الله عليه ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ (الأنعام: 84-85), فذكر أن عيسى من ذرية إبراهيم, كموسى وهارون من ذريته, وإنما جعله ولده وذريته بولادة مريم, وكان سواء عنده في معنى الولادة والقرابة, ولادة الابن وولادة البنت؛ إذ قد أجرى عيسى وموسى مجرى واحداً من إبراهيم صلوات الله عليه وفيهما وفي أبيهما وأمهما ما يقول الله تبارك وتعالى لرسوله صلى الله عليه وآله وسلم؛ إذ أمره بالمباهلة للنصارى، فقال له:ٱ ٻ ٻ ٻ ٻ پ پ پ پ ڀ ڀ ڀ ڀ ٺ ٺ ٺ ٺ ٿ ٿ ٿ ٿ ٹ ٹ ٹ ٹ ڤ ڤ ڤ ڤ ڦ ڦ ڦ ڦ ڄ ڄ ڄ ڄ ڃ ڃ ڃ ڃ

كلاكمَّ (آل عمران: 61) فحصر صلى الله عليه وآله وسلم بعليَّ وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام (الهادي,1421هـ/2001م, ص54).

وقال النبي صلى الله عليه وآله وسلم(إني تارك فيكم الثقلين ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا من بعدي أبداً: كتاب الله وعترتي أهل بيتي إن اللطيف الخبير نبأني أنهما لن يفترقا حتى يردا على الحوض), وقال سبحانه: ﴿ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا كل﴾ (الأحزاب: 33), ومحمد من ولد إسماعيل بن إبراهيم, وكذلك ذريته فورثة الكتاب: محمد, عليَّ, والحسن, والحسين, ومن أولدوه من الأخيار ثم قال في ولد إبراهيم وإسحاق عليهم السلام ﴿ثر ثز ثم ثن ثى ثي فى في قى قي كا﴾ (الصافات: 113), وكان فيما بين الله عزّ وجلّ لخليله إبراهيم عليه السلام؛ إذ قال إبراهيم ﴿ئا تح تخ تم﴾ فقال له ربه: ﴿ثم جح جم حج﴾ (البقرة: 124) (الهادي, 1421هـ/ 2001م, ص56).

رابعاً: ذكر ابن أبي الحديد (ت/656هـ), عند شرحه المقاطع من نهج البلاغة تدل على أصل التنصيب, مستدلاً لذلك بالخوف والخشية من نسبة الصحابة إلى مخالفة نص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم, كما جاء في شرح الفقرة القائلة: (فإنها كانت أثرة شحت عليها نفوس قوم) من الخطبة رقم (163), وقد نقل أنه سأل أستاذه أبي جعفر يحيى بن محمد العلوي (ت/613هـ), الذين هضموا حق الإمام عليَّ في الحكم, هل المراد منه حادثة السقيفة أم الشورى التي دعا إليه عمر بن الخطاب وانتهت باختيار عثمان بن عفان؟ كان جوابه أن المراد من ذلك حادثة السقيفة يقرّ ابن أبي الحديد بوصفه شيئاً إن نفسه لا تطاوعه باتهام الصحابة بمعصية النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم! إذ يقول: (إن نفسي لا تسامحني أن أنسب إلى الصحابة عصيان رسول الله ودفع النص), (ابن أبي الحديد, 1963م, ص 248-250).

هنا يجيبه أبو جعفر وهو أستاذه الذي وصفه بالإنصاف ورجاحة العقل جواباً حصيفاً يقول فيه: (وأنا فلا تسامحني أيضاً نفسي أن أنسب الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى أهمال أمر الإمامة وأن يترك الناس فوضى سدى مهملين وقد كان لا يغيب عن المدينة إلا ويؤمر عليها أميراً وهو حي ليس بالبعيد عنها, فكيف لا يؤمر وهو ميت لا يقدر على استدراك ما يحدث) وهكذا يستمر أبو جعفر بتفصيل الجواب حتى يقول له ابن أبي الحديد: (لقد احسنت فيما قلت) (ابن أبي الحديد, 1963م, ص248-250).

ثم يعلم أن عليَّ بن أبي طالب بن عبد المطلب أمير المؤمنين, وسيد المسلمين, ووصي رسول رب العالمين, ووزيره وقاضي دينه, وأحق الناس بمقام رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم, وأفضل الخلق بعده, وأعلمهم بما جاء به محمد, وأقومهم بأمر الله في خلقه, وفيه ما يقول الله تبارك وتعالى: ﴿ٱّ صم ضج ضح ضخ ضم طح ظم عج عم غج غم فج فخ﴾ (المائدة: 55) فكان مؤتي الزكاة وهو راكع عليَّ بن أبي طالب دون جميع

المسلمين, وفيه يقول الله عز وجل: ﴿ أَمَّن لَّا يَهِدِّيٓ إِلَّآ أَن يُهۡدَىٰۖ فَمَا لَكُمۡ كَيۡفَ تَحۡكُمُونَ﴾ (يونس: 35) فكان الهادي إلى الحق, والداعي إلى الصراط السوي, والسالك طريق الرسول الزكي, ومن سبق إلى الله, وكان الهادي إلى غامض أحكام كتاب الله؛ فهو أحق بالإمامة؛ لأن أسبقهم أهداهم, وأهداهم أتقاهم, وأتقاهم خيرهم, وخيرهم بكل خيرٍ أولاهم, وما جاء له من الذكر الجميل في واضح التنزيل؛ فكثير غير قليل (الهادي,1421هـ/ 2001م, ص53).

خامساً: مع قيام الإمام زيد بن عليّ بثورته ضد الأمويين ظهرت الفرقة الزيدية من الشيعة, وهي الفرقة السياسية الوحيدة بينهم وسمّوا زيدية نسبة إلى الإمام زيد بن عليّ لقولهم جميعاً بإمامته وخروجهم معه ويرى الزيدية أن تكون الإمامة في أولاد فاطمة كائناً من كان بعد أن تتوفر له شروط الإمامة وسار أكثر علماء الحديث على هذا المذهب, وكذلك قوم من الفقهاء المحدثين لذلك عد المذهب الزيدي مذهباً خامساً إلى جانب المذاهب الفقهية الأربعة (سيد, 1408هـ/ 1988م, ص219).

فالحصر في الحسن والحسين وذريتهما سيكون من باب الأولى؛ لأنهم عيون قريش؛ ثم أن حصر الزيدية قائم على شروط دونها خرط القتاد, مقابلة بنظرية الحصر في قريش, وجواز إمامة من كان منهم متغلباً, جاهلاً, ظالماً, وإيجاب طاعته, وتحريم الخروج عليه ويلحق بهذا المزية احتضان أبي طالب وأسرته لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم, وكفالته, وحمايته, ونصرته, ثم يتبع ذلك تربية النبي صلى الله عليه وآله وسلم لعليّ عليه السلام منذ الطفولة؛ فقد ضمه إليه طفلاً في سن السادسة فكان كأولاده, ثم اختصه ببضعته فاطمة الزهراء سيدة نساء العالمين, وأنجبت له ريحانتي رسول الله صلى الله وآله وسلم, وسبطيه سيدي شباب أهل الجنة (ابن أبي الحديد, 1963م, ص34).

سادساً: يرى الإمام زيد الخروج شرطاً في كون الإمام إماماً, ويرى الخروج أيضاً هذا الشرط وجواز الزيدية خروج إمامين في قطرين يستجمعان هذه الخصال, ويكون كل واحد منهما واجب الطاعة وذكر الإمام زيد في (مجموعة) أن الإمامة في جميع قريش, يتفق معه في هذا الرأي الفرقة (الصالحية) من الزيدية وذهب إلى ذلك أيضاً المعتزلة بأسرها, وذهب أبو حنيفة (ت/767م), والزيدية من الجارودية إلى أن الإمامة لا تجوز إلا في قريش فقط أما سائر الزيدية فقالوا إنها تختص بولد الحسنين (سيد, 1408هـ/ 1988م, ص224).

سابعاً: وضعت الزيدية شروط صارمة لصحة إمامة من يريد القيام بأعباء الإمامة, وما يقتضيه المنصب: من أمر بمعروفٍ ونهي عن منكر, وإدارة شئون الأمة كما يريد الله ورسوله؛ ولهذا فلا بد أن يكون جامعاً للشروط المعتبرة: الخلقية, والاكتسابية وبيانها كالتالي: **أولاً:** الشروط الخلقية وهي خمسة: 1- أن يكون بالغاً عاقلاً 2- ذكراً 3- حراً 4- علوياً فاطمياً أي من ذرية الحسن والحسين 5- سليم الحواس؛ فلا تصح

إمامة الأعمى, والأصم والأخرس, وأن يكون سليم الأعضاء؛ فليس مقعداً, ولا أشل اليدين أو الرجلين أو مسلوب أحدهما, وأن سلم من الأمراض المنفرة: كالجذام, والبرص, والسل, ونحوها. **ثانياً:** الشروط الاكتسابية: وهي 1- أن يكون بالغاً رتبة الاجتهاد, حائزاً على علومه: وهي آيات الأحكام وأحاديث الأحكام واللغة العربية: من نحو, وصرف, وبلاغة وعلم أصول الفقه ومسائل الإجماع وأرى لمن يتبوأ هذا المنصب: سواء سمى نفسه إماماً, أم ملكاً, أم رئيساً أن يكون ملما أيضاً بأهم علوم العصر المتعلقة بالاقتصاد, والصناعات, والسياسة العالمية, ونحوها, وأن يكون قادراً على استيعاب ما تنقله جهات الاختصاص: أفراداً, أو مؤسسات؛ فالعالم اليوم ليس عالم فردٍ فالكارثة التي نزلت على رؤوس الشعوب كامنة في تولي الجهلة والمستبدين 2- أن يكون عدلا, ويدخل في هذا: الإسلام والورع 3- أن يكون سخياً بوضع الحقوق في مواضعها؛ فلا يغلبه شح نفسه عن إخراج ما يجب إخراجه, ولعل هذا الشرط يرجع للعدالة (الحسني, 1436هـ/ 2014م, ص32).

4- أن يكون مدبراً, والقدر المعتبر من التدبير أن يكون أكثر رأيه الإصابة 5- أن يكون أفضل أهل زمانه: والمراد بذلك أن يكون أكملهم في شروط الإمامة, الأجمع لخصال الفضل, والأشهر في ذلك, وليس أكثرهم ثواباً؛ إذ لا طريق إلى معرفة ذلك ولا تصح الإمامة عند جميع أئمة الزيدية إلا للأفضل في كل عصر ولا تصح إمامة المفضول ولعل نسبة ذلك إلى الزيدية بأن يكون هناك إمامان متساويان في الفضل؛ فلما ترك الأفضل الجهاد صار المفضول فاضلاً؛ لسبقه بفضل الجهاد وجوز الإمام يحيى بن حمزة (ت/1345هـ), وبعض المعتزلة إمامة المفضول إذا كان هناك عذر في إمامة الأفضل وقد يعتذر لبعض علماء الزيدية لتقديم المفضول مع وجود الأفضل لمصلحة (الحسني, 1436هـ/ 2014م, ص33).

أن يكون مقداماً شجاعاً لكن حيث يجوز السلامة؛ لئلا يخاطر بنفسه؛ فينفرط عقد الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بموته لكن هذا الشرط الأخير لا ينطبق إلا على من أسس دولةً وجيشاً لا يحتاج معه إلى المخاطرة بنفسه؛ أما في مثل حالة الإمام الحسين, وكثير من شهداء أئمة آل البيت عليهم السلام ونحوهم فقد اضطروا للمخاطرة بأنفسهم؛ كما كان النبي صلى الله عليه وآله وسلم يخاطر بنفسه والكلام في الإمامة يقتضي ذكر مقام أهل البيت؛ فخلاصة مبدأ الإمامة أن الإمام عليًّا عليه السلام أفضل الخلق بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم, وأنه الخليفة بعده, ثم ولداه الحسن والحسين, ثم من قام من ذريتهما: بشرط يكون القائم بهذا المبدأ آمراً بالمعروف ناهياً عن المنكر, مستكملاً لشروط الإمامة, وأن يبايعه أهل الحل والعقد على ما يدعوهم إليه من إقامة شرع الله تعالى والمناسب ذكر خلاصة أدلة الزيدية على دعواهم: فالدعاوى ما لم تقيموا عليها بيناتٍ أبناؤها أدعياء أولاً: ترشيح عليٍّ عليه السلام للخلافة قائم على مزايا تحلى بها تؤهله لها: المزية الأولى: متعلقة بالاصطفاء الإلهي: وهي القرب من النبي صلى الله عليه وآله

وسلم الذي احتج به أبو بكر على الأنصار؛ إذ قال: إن العرب لا تعرف هذا الأمر إلا لهذا الحي من قريش؛ فهم أوسط العرب داراً ونسباً (الطبري, 1387هـ/ 1967م, ص205).

يريد أنهم شجرة الرسول الذي اصطفاه الله منهم؛ وبهذه الحجة نفسها احتج الإمام عليَّ ؛ فقال: (احتجوا بالشجرة وأضاعوا الثمرة) (ابن أبي الحديد, 1963م, ص65) يعني أن عليًّا عليه السلام قرشي, وابن عم الرسول صلى الله عليه وآله وسلم؛ فهو أولى من كل قرشي ويدعم هذه المزية أيضاً أن الأمة الإسلامية إلا النادر تقول بحصر الإمامة في قريش (الأشعري, 1369هـ/ 1950م, ص344).

وبرغم من أن فقهاء السياسة الزيدية قد تطابقوا في رأيهم القاضي بشرط العلوية الفاطمية لتولي أمر وواجبات الإمامة مع فقهاء السياسة الشرعية في مذاهب أهل السنة قاطبة, المشددين على وجوب تحقق شرط القرشية لصحة الخلافة الشرعية (الماوردي,1410هـ/ 1990م, ص31-32) حيث جعلها الفقهاء الزيديون شرط أولوية لا شرط وجوب, فاتحين بذلك باب الاجتهاد في هذه المسألة, ومؤكدين على رفض مبدأ التوارث في الحكم باعتبار أن تولي الإمامة لا يكون إلا بالفضل والاستحقاق, وليس بالنسب والوراثة, منطلقين في ذلك من معطيات مادية ومعنوية عديدة مبنية في مجمل كتبهم الشرعية (شرف الدين, 1405هـ/ 1985م, ص116-117).

المطلب الثاني: فرق الزيدية وأماكن تواجدها

لم تفترق الزيدية سياسياً, بل توحدت أهدافها حينما قادها رجال من العلويين, وهم يعلنون الدعوة لأجل محاربة الظالم, ولا يوجد أي خلاف عقائدي في الفرق الزيدية وقد أجمعت على القول بإمامة عليَّ بن أبي طالب عليه السلام وإمامة الحسن والحسين وكذلك إمامة زيد بن عليَّ بن الحسين المؤسس للمذهب (العاملي, 1437هـ/ 2016م, ص148- 149).

أن الانسجام التام في الأمور الاعتقادية بين المذهبين ساهم في إحياء ونضوج التراث الفكري للزيدية الحقة التي زرعها زيد بن عليَّ في قلب وعقل كل محب وناصر لمدرسته التي تغذت من معين جامعة الإمام الصادق, فقد أصبح الكثير من الزيدية من علماء وأكاديميين يدعون لدراسة الفقه الجعفري والتعرف عليه ويرغبون الناس في الاطلاع عليه والالتقاء معه (العاملي, 1437هـ/ 2016م, ص184).

ويجمع مذهب الزيدية تفضيلهم الإمام عليًّا على سائر الصحابة وأولويته بالإمامة, وأن الإمامة بعد الإمام الحسين في ذرية السبطين, وأن استحقاقها إنما يثبت بالفضل والطلب لا بالوراثة, وأن الخروج على الجائرين من أهل الأمر واجب, كذلك يرون القول بالتوحيد والعدل فافترقت الزيدية إلى فرقاً ثلاثاً: الجارودية والبترية (الصالحية) والجريرية (السليمانية) (أصحاب سليمان بن جرير الرقي, أحد شيوخ

الزيدية ومتكلميها) بينما صار زيدية بلاد الجيل والديلم في القرن الرابع الهجري قاسميه وناصرية (المحلي, 1423هـ/ 2002م, ص52).

أولاً: الجارودية: نسبة إلى أبي الجارود زياد بن المنذر العبدي ذكر أن النبي **صلى الله عليه وآله وسلم** نص على إمامة عليَّ بالإشارة والوصف دون التسمية والتعيين, وإنه أشار إليه ووصفه بالصفات التي لم توجد إلا فيه وأن الأمة ضلت وكفرت بصرفها الأمر إلى غيره, فهو الإمام بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم, والإمام بعده الحسن ثم الحسين بنص رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم, ثم الإمام بعد هؤلاء الثلاثة ليس بمنصوص عليه, ولكن فيمن يخرج من هذين البطنين شاهراً سيفه داعيا إلى سبيل ربه وكان عالماً فاضلاً (ابن أبي الرجال, ص232).

ثانياً: البترية (الصالحية): أصحاب الحسين بن صالح بن حي, وأصحاب كثير النواء سمّوا بذلك لأن كثيراً كان يلقب بالأبتر وذكر أبو الحسن الخياط أنهم سمّوا بذلك لأنهم لم يجهروا ببسم الله بين السور وجهروا بها في الفاتحة, فقيل بتروا الجهر, فسمّوا البترية ويعرفون أيضاً بالصالحية نسبة إلى الحسن بن صالح بن حي, ويتفقون مع الجريرية السليمانية في القول بالإمامة واعتبرهم الحاكم الجشمي فرقة واحدة (سيد, 1408هـ/ 1988م, ص221-222) وتقول البترية أن عليًّا كان أفضل الناس بعد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم, وأولاهم بالإمامة, وإن بيعة أبي بكر وعمر ليست بخطأ, لأن عليًّا سلم لهما ذلك وهذا بمنزلة رجل كان له حق على رجل فتركه له ويتوقفون في أمر عثمان, ويرون تكفير من حارب عليًّا (الأشعري, 1369هـ/ 1950م, ص68-69).

ثالثاً: (الجريرية السليمانية): أصحاب سليمان بن جرير الرقي, أحد شيوخ الزيدية ومتكلميها وممن عاصر الإمام إدريس بن عبدالله بن الحسن (ت/177هـ), الداعي في بلاد المغرب ويرى الجريرية أن الله تعالى ورسوله لم ينصا على رجل بعينه واسمه فيجعلوه إماماً, وأن الإمامة شورى بين خيار الأمة وفضلائها يعقدونها لأصلحهم لهم, وأنها قد تصح بعقد رجلين من خيار المسلمين وأنها قد تصح في المفضول مع وجود الأفضل (الأشعري, 1369هـ/ 1950م, ص68).

رابعاً: الهادوية: وتنتشر الزيدية حاليا في شمال اليمن, ويشكل أتباع المذهب الزيدي ثلث تعداد المواطنين, في محافظات صعدة وصنعاء وعمران وذمار والجوف وحجة ويتواجد أقلية زيدية صغيرة في منطقة نجران ونسبت زيدية اليمن إلى الإمام الهادي يحيى بن الحسين؛ لأنه مؤسس الفكر الزيدي في اليمن وهو أول إمام زيدي يدخل اليمن ويستقر فيها؛ حيث يقول البعض: زيدية اليمن هادوية, ولكن هذه النسبة تواجه نفس الإشكال الذي واجهته النسبة إلى الإمام زيد بن عليّ؛ لأن الزيدية لا يقبلون التحجر على أي إمام

من أئمتهم بل يقولون بوجوب الاجتهاد وإدامة طريق التحقيق والنقد والرد في المعتقد والمذهب (المسعودي, 2008م, ص243).

المبحث الثالث

ظهور المذهب الزيدي وانتشاره في العالم الإسلامي

المطلب الأول: بداية ظهوره المذهب وانتشاره

تواجد الزيدية في مناطق طبرستان مازندان حاليا والجيل كيلان أو جيلان والديلم, وهي مناطق إيرانية, بالقرب من بحر قزوين, فعقب استشهاد الإمام زيد بن عليّ رحمه الله, في خروجه على طغيان هشام بن عبد الملك (ت/125هـ), بقي بعض أنصاره مع ابنه يحيى, نخرج بهم إلى المدائن, ثم سار حتى أتى خراسان, نخرج بها على نصر بن سيار(ت/131هـ), عامل خراسان من قبل هشام بن عبد الملك, وفشل في خروجه, وقتل, ولكن الدعوة العلوية إلى الرضا من آل محمد انتشرت في تلك البلاد, حتى استطاع أبو مسلم الخراساني (ت/137هـ), أن يبدأ الدعوة لبني العباس من تلك المناطق ولكن بعد ظفر العباسيين بالحكم استبدوا به, فتحولت الحركة الزيدية إلى قوة مناوئة لهم, وقامت ثورات زيدية تدعوا إلى الخروج على العباسيين, فقامت ثورة عيسى بن زيد (ت/166هـ) ضد أبي جعفر المنصور(ت/158هـ), وكادت هذه الثورة أن تقضي على خلافة المنصور, ولكنه استطاع أن يقضي على تلك الثورة (اليعقوبي,2010م, ص54) ثم خرج بعده محمد بن عبدالله (ت/145هـ), المسمى بالنفس الزكية على المنصور, ولكنه أيضاً استطاع القضاء على ثورته وقتله وفي زمن الهادي العباسي خرج الحسين بن عليّ (ت/170هـ), المسمى بالفخي عليه, ولكن الهادي استطاع إخماد ثورته وقتله, وعلم العلويون والزيدية أنهم لن يستطيعوا أن يقيموا دولة قريبة من مركز الدولة العباسية, فبدئوا يفكرون في بلاد غير البلاد المحيطة بالمركز العباسي, فبعد موقعة نخ, فر أحد العلويين إلى بلاد المغرب وهو إدريس بن عبدالله (ت/177هـ), أخو محمد النفس الزكية, واستطاع أن يقيم دولة سميت بدولة الأدارسة (الطبري, 1387هـ/ 1967م, ص88).

انتشر اتباع المذهب الزيدي قديما في عدد من مدن فارس, بالإضافة, إلى مصر والمغرب واليمن, فقد كانت هناك دعوات زيدية في طبرستان والجيل والديلم, وأسس لهم دولة لكنها لم تعمر طويلاً, ومنها حركة الحسن بن زيد بن محمد (ت/270هـ), الملقب بالداعي إلى الحق والذي ظهر سنة (250هـ) في طبرستان, ثم احتل آمل وساري والري وجرجان هازماً بني طاهر وخطب للحسن بن زيد هذا بالخلافة في بلاد الديلم وطبرستان, وذلك في خلافة المستعين, وكانت طبرستان وبلاد الديلم بأيدي أولاد طاهر بن الحسين, فأخرجهم منها, وملك الري أيضاً ويعتبر محمد بن زيد أخو الحسن بن زيد, من أهم أعلام الدولة,

فقد قام مكان أخيه في طبرستان, وفي سنة سبع وسبعين ومائتين دخل محمد بن زيد إلى الديلم, وقد كان محمد بن زيد هذا قاضياً ديناً حسن السيرة.. توفي سنة (287هـ) بعد أن أثخن بجراحات في معركة الحرب مع السامانيين واستمرت تلك الدولة 95عاماً (ابن الأثير, 1408هـ/ 1989م, ص56).

وظهر ببلاد طبرستان والديلم الأطروش وهو الحسن بن عليّ (ت/304هـ), وأخرج عنها المسودة, وذلك في سنة (301هـ), وقد كان ذا فهم وعلم ومعرفة بالآراء والنحل, وقد أقام في الديلم سنين, وهم كفار على دين المجوسية, ومنهم جاهلية, وكذلك الجيل, فدعاهم إلى الله عزَّ وجلَّ, فاستجابوا وأسلموا, وقد كان للمسلمين بإزائهم ثغور مثل قزوين وغيرها وبنى في الديلم مساجد, فهو يعتبر من أعاد للدولة الزيدية هيبتها وقوتها في طبرستان, كما كانت في السابق وكانت وفاته: بآمل في طبرستان ليلة الخميس لخمس بقين من شعبان سنة (304هـ), وله أربع وسبعون سنة وانتهت دولة الزيدية في طبرستان والجيل والديلم في (353هـ) (ابن الأثير, 1408هـ/ 1989م, ص167).

المطلب الثاني: نشأة المذهب الزيدي في اليمن

أولاً: عُرفت الزيدية بانتشارها الكبير في بلاد اليمن, وارتبط دخول الزيدية إلى تلك البلاد بالإمام الهادي يحيى بن الحسين بن القاسم (ت/304هـ), رحل إلى بلاد اليمن سنة (280هـ) فوجدها أرضاً صالحة لبذر ونشر آرائه الفقهية وفكره الزيدي, ثم ارتحل عن اليمن ليعود إليها في سنة (284هـ) ليستقر في مدينة صعدة شمال اليمن ليبايع من قبل الناس هناك ويأخذ منهم البيعة على إقامة الكتاب والسنة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر (سيد, 1408هـ/ 1988م, ص182).

وكانت الزيدية في اليمن عند قيام الإمام الهادي إلى الحق, فرقة واحدة تتبع زيد بن عليّ تسلك منهاجه في الاعتقاد وفي التوحيد والعدل والوعد والوعيد والقول بإمامته وإمامة أهل البيت, فهم متابعون له في الأصول أما في الفروع فقد سار زيدية اليمن على مذهب الهادي في الفروع التي ذكر أدلتها وسندها إلى جده رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم, فخرج له وقاس على نصوصه وفرع له الأئمة من بعده كما فعل أصحاب الأئمة الأربعة, فعلى ذلك فالنسبة إلى الهادي كالنسبة إلى الشافعية والحنفية وغيرها وهي في الفروع وكذلك فعل كثير من الرجال الزيدية في أقاليم أخرى فقال أهل الديلم بمقالة الناصر الأطروش, في الفروع, وقال أهل الجيل بمقالة القاسم الرسي (ت/246هـ) في الفروع أيضاً (سيد, 1408هـ/ 1988م, ص241).

كان للزيدية علمائها ودعاتها في اليمن قبيل مجيء الهادي بسنين كثيرة الإمام يحيى بن عبدالله الذي خرج أيام الرشيد (ت/193هـ), كان قد قدم صنعاء ومكث فيها شهوراً متخفياً قبل خروجه وقد أخذ عنه العلم بعض علمائها (المحلي, 1423هـ/ 2002م, ص181) وعندما خرج محمد بن إبراهيم طبا طبا

(ت/199هـ), بالكوفة أيام المأمون (ت/218هـ), أرسل إبراهيم بن موسى بن جعفر الصادق (ت/200) والياً من قبله على اليمن, وعندما وصل إبراهيم اليمن سنة (119هـ) ناصرته قبيلة بني سعد وعلى رأسهم بني فطيمة أحد قبائل صعدة (الهمداني,1386هـ/1966م, ص326).

وكذلك كان الحال مع الإمام القاسم جد الهادي الذي خرج إلى اليمن أيام شبابه فاراً من بطش هارون الرشيد, وقد ظل الإمام القاسم بعد ذلك في اليمن حتى بلغه وفاة الرشيد فعاد إلى الحجاز(الهمداني,1386هـ/1966م, ص5) وتذكر أمهات الكتب التاريخية ملابسات قدوم الإمام محمد بن إدريس الشافعي (ت/204هـ), إلى اليمن لتولي منصب القضاء في بلدة نجران, فتحول الفقيه بين ليلة وضحاها إلى داعية لمذهب أهل العدل والتوحيد هذا التحرك السياسي كان محسوباً عليه من قبل السلطات العباسية التي وجهة له تهمت العلوية, فسيق مصفداً بالأغلال إلى بغداد سنة (183هـ/800م) (الهمداني, 1386هـ/ 1966م, ص5).

يقول الجنداري عن أحداث سنة (197هـ) فيها توفى الإمام الحافظ الزيدي وكيع بن الجراح (ت/197هـ), في المحرم راجعاً من الحج... وهو إمام في الجرح والتعديل وعده الحاكم وغيره من الزيدية (الهمداني, 1386هـ/ 1966م, ص5) وعن أحداث سنة (206هـ) يقول: فيها قتل العلامة الزيدي عبد الملك بن عبد الرحمن الأبناوي الذماري (ت/206هـ), صاحب المسند قاضي إبراهيم بن موسى بصنعاء, وداعي الإمام محمد بن إبراهيم باليمن (الجنداري, 1428هـ/ 2007م, ص139-140) وعن أحداث سنة (211هـ) يقول الجنداري: وفيها توفى العلامة المحدث عبدالرزاق بن همام الصنعاني (ت/211هـ), صاحب التصانيف الفائقة والشيعي المشهور بزوائد الفضائل ويقول عن أحداث سنة (213هـ) فيها توفى الشيعي المحدث خالد بن مخلد القطواني (ت/213هـ), أحد الحفاظ وعلامة الزيدية (الجنداري, 1428هـ/ 2007م, ص140) فإن الزيدية التي دخلت اليمن قبل الهادي بعشرات السنين, وكان لها فيها علمائها ومحبوها ودعاتها هي التي دفعت الإمام الهادي أن يتوجه صوب اليمن ويتخذها نقطة ارتكازه (ابن أبي الرجال, ص129).

ثانياً: ولقد كان ظهور الإمام الهادي في منتصف القرن الثالث الهجري بمثابة إحياء وتجديد للمذهب الزيدي, وعلى الرغم من أنه سبقه علماء ومجتهدون اجلاء من اتباع الإمام زيد إلا أن الإمام الهادي اعتبر الرجل الثاني بعد الإمام زيد يقول أبو زهرة: (وقد ظهر في هذه الأثناء الإمام الهادي إلى الحق يحي بن الحسين الذي يعتبر محيي ذلك المذهب... فقد تولى الدعوة إليه وتفريع فروعه, واستخراج ينابيعه, وقرب ما بينه وبين مذاهب الجمهور, وأسند فروعه ورجعها إلى أصولها (أبو زهرة, 1378هـ/1959م, ص263).

انتظم أمر أهل اليمن ببركة الهادي إلى الحق يحيى بن الحسين, فامتلأ اليمن ببركة عدله بالوقت الذي وافاه من القبائح ما يعظم فيه من مذهب القرامطة والجبرية وسائر الأفعال الرزية وطار فقهه في الآفاق, حتى صارت أقواله في أقصى بلاد العجم يأنسون بها أكثر من أنس أهل اليمن بها, وعليها يفتون ويقضون وكان عليه السلام قد نشأ على العلم والعبادة, حتى صار بمنزلة الطبع له, ونال من العلم منالا لا يعلم أن أحد من المشهورين أدركه في وقت إدراكه (المحلي, 1423هـ/ 2002م, ص28).

أحاط الإمام الهادي بعلوم الدين, وأخصها الكلام والفقه, إلى جانب المثابرة على الجهاد, وكان له نشاط فكري وسياسي ببلاد الديلم, والعراق, وآمل, إنه كان جامع لشروط الإمامة, كما تذكر المصادر أنه صنف وعمره سبع عشر سنة وهو في المدينة ومما لا شك فيه أن الإمام الهادي لم يكن مجرد باعث للمذهب الزيدي وناشر له, وإنما كان إماماً مجتهداً, استطاع أن يكون باجتهاداته الكثيرة مذهباً جديداً, نسب إليه, وعرف بالمذهب الهادوي, كما عرف أتباعه بالهادوية, وترك تراثاً ضخماً من المؤلفات والرسائل التي تناول فيها الكثير من نواحي الفكر الإسلامي, الذي التزم فيه بالقرآن, والنظريات الدينية للإسلام, مما ميزه عن الفكر الفلسفي وجعله ثمرة للفكر القرآني, مما يثبت مدى علمه, وسعة أفقه, وطول باعه في هذا الميدان (خضيري,1996م, ص139-140).

استطاع الإمام الهادي, أن ينشر أفكاره وآراءه, فضلا عن المذهب الزيدي, عن طريق ولاته في اليمن, الذي كانوا بمثابة دعاة لنشر المذهب الزيدي, وعن طريق الآراء الفقهية التي تضمنتها أحكامة, التي كانت تنفذ في المناطق الزيدية التي يسيطر عليها ومن خلال رسائله وعهوده التي كان يبعثها للولاة, والزعماء القبليين, فضلا عن المجالس, والمناظرات, التي كان يعقدها الهادي مع أصحاب المذاهب الأخرى (خضيري, 1996م, ص143).

ثالثاً: انتشر مذهب الهادوية الزيدية بعد وفاة الهادي سنة (298هـ)(911م) على يد ولديه الإمام محمد المرتضى (ت/310هـ), والإمام أحمد الناصر(ت/325هـ), وكذلك عن طريق تلامذته الذي عملوا على نشر مذهبة واستخراج الأحكام من نصوصه, فقد قام محمد بن سليمان الكوفي بجمع كتاب المنتخب في الفقه الهادوي, كما يعد أحمد بن موسى الطبري (ت/340هـ), من أهم دعاة المذهب الهادوي, حيث دعا إلى هذا المذهب بعد وفاة الهادي وتبعه خلق كثير, وقد حفلت كتب طبقات الزيدية بكثير من دعاة المذاهب الهادي والهادوية الزيدية (ابن أبي الرجال, ص168).

ويرى علماء المذهب الزيدي المعاصرين أن تراجع انتشار المذهب الزيدي في اليمن, يرجع لحدوث حالة ضعف لدى حاملي المذهب الزيدي, خاصة وأنه حورب من قبل الحكام السابقين؛ لأنه وقف ضد مصالحهم إلى جانب المساكين والفقراء والمظلومين والسعي إلى رفع مستوى الإنسان ثقافياً وعلمياً

وروحياً وجسدياً, وفقا ليحيى بن الحسين الديلمي أحد أبرز علماء المذهب الزيدي حاليا ويوضح الديلمي, أنه مع حالة الضعف لدى حاملي هذا المذهب ضعف حتى اختفى في البلدان الإسلامية ولم يبق إلا في اليمن (العاملي, 1437هـ/ 2016م, ص182) وما زال المذهب الزيدي يعاني ضعفا من قبل علماء الزيدية, رغم وجود حلقات في الجامع الكبير بصنعاء وفي بعض المساجد الأخرى, لتعليم المذهب الزيدي (العاملي, 1437هـ/ 2016م, ص183).

فإنّنا نَدعو الجَميع لعدَم التطرّف المَذهبي، والاحترَام للآخَر، والتعايش تحت مظلّة احترام الاختلاف، وأن لا نكونَ ورقةً طائفية في يد أعدَاء المُسلمين المُشركين من الكفّار، وواجبُنا الاجتماع ونبذُ الخلاف سنّةً وشيعةً، هذا والله نسألُ أن يجعلَ أعمالَنا وأعمارَنا خالصةً له، فلا نبتغي مِن ورَاء هذا إلاّ رِضاء ربّ العالمين، ودعوةً صالحَة في ظهَر الغيب لكاتبِه ووالدِيه والمؤمنين.

الخاتمة

تحتوي على أهم النتائج والتوصيات الآتية:-

1- نشأ زيد في هذا البيت الذي يعد مهد العلم النبوي وتكونت ميوله ومنازعه في الحياة, واتجاهاته, وتلقى علمه الأول فيه.

2- شوه الأمويين صورة الإسلام مما حمل الإمام زيد على أن يكون له شرف التصدي لهم بشجاعةٍ, وهو الذي سن الجهاد للأئمة بعده.

3- يتميز مذهب الزيدية من خلال أسلوبه الراقي في خلق أجواء تتسم بالانفتاح والعقلانية مع كل طرف مهما كان الاختلاف عميقاً.

4- يجمع مذهب الزيدية على أحقيت الإمام عليًّا على سائر الصحابة وأولويته بالإمامة, وأن الإمامة بعد الإمام الحسين في ذرية السبطين.

5- وضعت الزيدية شروطاً صارمةً لصحة إمامة من يريد القيام بأعباء الإمامة, وما يقتضيه المنصب: من أمرٍ ونهيٍ عن منكرٍ, وإدارة شئون الأمة كما يريد الله ورسوله.

6- اتسمت الزيدية بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر منذ العهد الأول وإلى اليوم، وصار الخروج على الظلمة شعاراً يتميزون به بين طوائف المسلمين لا يفرطون في القيام بهذه الفريضة اللازمة.

7- انتشر اتباع المذهب الزيدي قديما في عدد من مدن فارس, بالإضافة, إلى مصر والمغرب واليمن, فقد كانت هناك دعوات زيدية في طبرستان والجيل والديلم.

التوصيات

1- تدريس سيرة الإمام زيد بن عليّ في الكليات الأكاديمية والعسكرية فلأمة الإسلامية بأمس الحاجة للنظر والمعرفة عن تلك الشخصيات التاريخية للنهج والسير على دربهم وخطاهم.

2- توجيه طلبة الدراسات العليا والكليات ذات الاختصاص بكتابة رسائل وأطاريح جامعية عن الإمام زيد فهو هامة تستحق أن تكتب وتقرأ في مدارسنا وندواتنا.

المصادر والمراجع

1- القرآن الكريم.

2- ابن أبي الحديد, عبد الحميد بن هبة الله بن محمد المدائني (ت/656هـ), 1963م, نهج البلاغة, ج3, تحقيق الشيخ حسن تميم, دار مكتبة الحياة, بيروت- لبنان.

3- ابن الأثير, أبو الحسن علي بن أبي الكرم محمد بن محمد (ت/630هـ), 1408هـ/1989م, الكامل في التاريخ, تحقيق علي شيري, دار إحياء التراث العربي, بيروت.

4- ابن أبي الرجال, أحمد بن صالح بن أبي الرجال (ت/1092هـ), مطلع البدور ومجمع البحور, ج3, نسخة مصورة عن مكتبة القاضي إسماعيل بن الاكوع.

6- ابن شاذان, أبي الحسن محمد بن أحمد بن علي بن الحسن القمي (ت/425هـ),1420هـ, الايضاح, مؤسسة الاعلمي, بيروت.

10- ابن منظور, جمال الدين محمد بن مكرم (ت/711هـ),1990م, لسان العرب, دار صادر, بيروت.

11- أبو زهرة, محمد أحمد مصطفى أحمد (ت/1394هـ), 1378هـ/ 1959م, الإمام زيد حياته وعصره - آراؤه وفقهه, دار الفكر العربي, بيروت.

13- الهاروني, يحيى بن الحسين أبو طالب (ت/426هـ), 1432هـ/ 2011م, الإفادة في تاريخ الأئمة السادة, ط2, تحقيق إبراهيم المؤيدي, وهادي حسن الحمزي, مكتبة أهل البيت, صعدة.

15- المحلي, شيخ الإسلام العلامة حميد الشهيد بن أحمد بن محمد (ت/652هـ), 1423هـ/ 2002م, الحدائق الوردية في مناقب أئمة الزيدية, ج1, تحقيق المرتضى بن زيد المحطوري الحسني, مطبوعات مكتبة مركز بدر العلمي الثقافي, صنعاء.

16- اليعقوبي, أحمد بن إسحاق بن جعفر بن وهب بن واضح(ت/897م), 2010م, تاريخ اليعقوبي, ط2, ج2, تحقيق عبد الأمير المهنا, شركة الاعلمي للمطبوعات, بيروت- لبنان.

17- الأشعري, أبي الحسن علي بن إسماعيل (ت/330هـ), 1369هـ/ 1950م, مقالات الإسلاميين واختلاف المصلين, ج1, ط1, تحقيق محمد محي الدين, مكتبة النهضة المصرية, القاهرة.

18- العاملي, الشيخ حسين علي سرور, 1437هـ/ 2016م, زيد بن علي إمام زيدية اليمن, ط1, دار إحياء التراث العربي, بيروت - لبنان.

19- المسعودي, دكتور عبد العزيز قائد, 2008م, إشكالية الفكر الزيدي في اليمن المعاصر, ط1, مكتبة مدبولي, القاهرة.

20- الطبري, أبي جعفر محمد بن جرير (ت/310هـ), 1387هـ/ 1967م, تاريخ الرسل والملوك, تحقيق محمد أبي الفضل إبراهيم, دار التراث, بيروت.

22- الهمداني, الحسن بن أحمد بن يعقوب (ت/بين 350و360هـ), 1386هـ/ 1966م, الإكليل, ج2, تحقيق محمد علي الاكوع, مطبعة السنة المحمدية, القاهرة.

25- الجنداري, أحمد بن عبدالله, 1428هـ/ 2007م, الجامع الوجيز بذكر وفيات العلماء ذوي التبريز, تحقيق محمد أحمد طاهر الحاج, جامعة صنعاء.

26- الهادي, يحي بن الحسن بن القاسم الرسي (ت/298هـ), 1421هـ/ 2001م, مجموع رسائل الإمام الهادي, ط1, تحقيق عبدالله الشاذلي, تقديم العلامة المجتهد أبي الحسنين مجد الدين بن محمد بن منصور المؤيدي, مركز أهل البيت للدراسات الإسلامية, اليمن, صعدة.

27- الحسني, الدكتور المرتضى بن زيد المحطوري (ت/2015م), 1436هـ/ 2014م, الزيدية, ط1, إخراج يحي محمد حسن الجيوري, مكتبة بدر للطباعة والنشر والتوزيع, اليمن- صنعاء.

29- الشهرستاني, أبو الفتح محمد بن عبد الكريم بن أبي بكر أحمد الشهرستاني (ت/548هـ), الملل والنحل, ج1, دار السرور, بيروت.

34- الماوردي, أبي الحسن علي بن محمد (ت/450هـ),1410هـ/ 1990م, الأحكام السلطانية, دار الكتاب العربي, بيروت.

38- خضيري, أحمد حسن, 1996م, قيام الدولة الزيدية في اليمن, ط2, مكتبة مدبولي, القاهرة.

39- سيد, الدكتور أيمن فؤاد, 1408هـ/ 1988م, تاريخ المذاهب الدينية في اليمن حتى نهاية القرن السادس الهجري, ط1, الدار المصرية اللبنانية.

23- شرف الدين, علي عبد الكريم الفضيل, 1405هـ/ 1985م, الزيدية نظرية وتطبيق, ط1, جمعية عمال المطابع التعاونية, عمان.

41- قدردان قراملي, 1437هـ/ 2016م, الإمامة, ط1, العتبة العباسية المقدسة, المركز الإسلامي للدراسات الاستراتيجية.

الاتساق والانسجام في الشعر العربي القديم
قصيدة "البردة" لكعب بن زهير نموذجا

Cohesion and Coherence in Ancent Arabic Poetry
The Burdah of Ka'ab ibn Zuhair as a model

منير بورد، باحث بسلك الدكتوراه، مختبر الكتابات الأدبية واللسانية بالمغرب، المدرسة العليا للأساتذة بالرباط – المغرب
البريد الإلكتروني: mounir.b2009@gmail.com

ملخص:

يسعى هذا المقال إلى دراسة النص الشعري العربي القديم في ضوء نظرية اللسانيات النصية، وذلك من خلال رصد مظاهر وتجليات الاتساق والانسجام في قصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير، ويعتبر الاتساق والانسجام من المفاهيم المركزية التي تقوم عليها هذه النظرية، بحيث ستتجه العناية في المستوى الأول المتعلق بالاتساق إلى تحديد مختلف الأدوات الشكلية المساهمة في تحقيق التماسك النصي بين الأجزاء المشكلة للنص الشعري، بينما سيتجه الاهتمام في المستوى الثاني المرتبط بالانسجام إلى الوقوف على العلاقات الخفية التي تنظم النص، بحيث إذا كان الاتساق يقف عند حدود البنية السطحية الظاهرية ممثلة في الوسائل اللغوية (الشكلية) التي تصل بين أجزاء الخطاب فإن الانسجام يتجاوز ذلك إلى الغوص في أعماق النص من خلال دراسة موضوعه وبنيته الكلية مستثمرا في ذلك الملابسات المقامية.

الكلمات المفاتيح: لسانيات النص – اتساق – انسجام – نص – بنية

Abstract

This article seeks to study the ancient Arabic poetic text in light of the textual linguistics theory, by observing the manifestations of Cohesion and Coherence in the poem "Banat Souad" by Kaab ibn Zuhair. Cohesion and Coherence are among the central concepts on which this theory is based. The care at the first level will be directed towards identifying the various formal tools that contribute to achieving textual Cohesion between the parts of the poetic text, while the attention at the second level related to Coherence

will tend to be focused on the hidden relationships that organize the text, so that if the Cohesion stops at the boundaries of the apparent superficial structure represented by the (formal) linguistic means that connect between the parts of the discourse, the Coherence goes beyond that to delving into the depths of the text through Studying its topic and its college structure, investing in that denominational circumstances.

Key words:Textual linguistics, Cohesion, Coherence, Text, Structure

.

مقدمة

عرف البحث اللساني تحولات كبيرة كانت وليدة إعادة النظر والبحث المستمرين سعيا للوصول إلى نظرية كلية للنص تعالج كل جوانبه، وتعد لسانيات النص من المقاربات المهمة التي عرفها البحث اللساني؛ فهي فرع معرفي جديد ظهر في النصف الثاني من الستينيات والنصف الأول من السبعينيات، يعنى بدراسة نسيج النص اتساقا وانسجاما وذلك من خلال وصفه في ضوء مستوياته اللغوية، الصرفية والتركيبية والدلالية والتداولية والبلاغية كما توصف الجمل حسب المدارس اللسانية، وعليه فلسانيات النص هي ذلك العلم الذي يهتم بدراسة النصوص باعتبارها وحدة لغوية كبرى تتألف من مجموعة من الجمل والفقرات والمقاطع والمتواليات المترابطة شكلا ودلالة ووظيفة، ضمن سياق تداولي وتواصلي معين. ويعتبر الاتساق والانسجام من المفاهيم المركزية في اللسانيات النصية، ويقصد عادة بالاتساق الكيفية التي تتماسك بها جمل النص من حيث العلاقات التركيبية والدلالية والمعجمية القائمة بين وحداته سواء أكانت مفردات أم جملا، وتنصرف العناية فيه إلى حروف العطف وأسماء الإشارة والأسماء الموصولة والضمائر وحروف التفسير، وكل ما يقصد به الربط بين متواليات النص ووحداته، وتقوية الأسباب بين جمله، بينما يقصد بالانسجام مجموع العلاقات والروابط غير المتحققة لفظا بين وحدات نص ما، وتتطلب من المتلقي أن يشارك في بنائها بالاستناد إلى قدراته التأويلية وبتشغيل معلوماته ومعارفه، وتتجه العناية فيه إلى مجموعة من العناصر نذكر منها: البنية الكلية والسياق والمعرفة الخلفية.

وبناء على هذا سنهتم في هذا المقال ببيان مظاهر الاتساق والانسجام في الأبيات الأخيرة من قصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير، ويتعلق الأمر بالأبيات المخصصة للمدح والاعتذار، وتعد هذه الأبيات أهم جزء في القصيدة، هذا إن لم نقل إنها سبب شهرة القصيدة نظرا لما تضمنته من معان شعرية من جهة وما ترتب عنها من خلعه صلى الله عليه وسلم بردته على كعب بن زهير من جهة ثانية. وتجدر الإشارة هنا إلى أن هذا النص متعدد المداخل بحيث يمكن أن يدرس من جوانب متعددة، منها ما هو موضوعاتي ومنها ما هو وجداني ومنها ما هو بلاغي (الاستعارة، التشبيه، الكناية...)، كما يمكن أن يدرس أيضا من مدخل نصي يهدف إلى تحليل النص من خلال كشف العلاقات اللفظية والدلالية التي تضمن تماسك النص وتعالق فصوله، وهو أمر يدفعنا إلى طرح السؤال التالي: هل يمكن أن نجد في

القصيدة العربية القديمة تجليات لمفاهيم اللسانيات النصية ؟ وبعبارة أبلغ في الدقة: هل يمكن الحديث عن اتساق القصيدة العربية القديمة ؟

إن الإجابة عن هذا السؤال لا يمكن أن تكون إلا نسبية، ولعل هذا ما حدا ببعض الدارسين في مجال اللسانيات النصية إلى تجنب النصوص الشعرية القديمة والاهتمام بالنصوص السردية والشعرية الحديثة، ويرجع ذلك إلى ما وقر في الأذهان من أحكام نقدية من قبيل غياب الوحدة الموضوعية عن القصيدة القديمة وتفكك أجزائها بحيث يمكن التصرف في ترتيب أبياتها تقديما وتأخيرا دون أن يخل ذلك بالمعنى ومثال ذلك قول شوقي ضيف: "إن القصيدة الطويلة لا تلم بموضوع واحد يرتبط به الشاعر بل تجمع طائفة من الموضوعات والعواطف لا تظهر بينها صلة ولا رابطة واضحة وكأنها مجموعة من الخواطر يجمع بينها الوزن والقافية وتلك هي روابطها وأما بعد ذلك فهي مفككة" (ضيف، 1989، ص 204).

وكيفما كان الأمر فإننا سنحاول فيما يلي إعادة النظر في هذه الأحكام من خلال الوقوف على العلاقات الشكلية التي تسهم في تماسك أبيات القصيدة وتحفظ ترتيبها بحيث لا يمكن التصرف في هذا الترتيب تقديما أو تأخيرا، كما سنبين مدى انسجام هذه الأبيات من خلال الوقوف على سياقها وبيان مدى تكامل القصيدة وخبرها.

1. الاتساق في الأبيات الشعرية

قد يبدو في بادئ النظر أن الأبيات الشعرية في القصيدة غير مترابطة، ذلك أن المتأمل للنص سيلاحظ أن استقلال البيت بنفسه هو الطابع الغالب، بحيث تغيب في أغلب الأحيان أدوات الربط الشكلي بين الأبيات ومن ثم فقد يتبادر إلى ذهن القارئ المتعجل أن القصيدة مفككة وغير متماسكة، ودفعا لهذا التصور سنحاول الوقوف على بعض مظاهر الترابط الشكلي بين الأشطر من جهة وبين الأبيات من جهة ثانية، إذ الملاحظ أن العلاقة الشكلية بين الأشطر عكس ما هو ملاحظ على صعيد الأبيات.

إن دراسة اتساق نص ما كيفما كان نوعه تتطلب الوقوف في بادئ الأمر على الروابط اللفظية التي تساهم في تماسكه، غير أنه إذا أمعنا النظر في الأبيات الشعرية سنلاحظ قلة هذه الروابط اللفظية، ولكن هذا لا يعني أن القصيدة مفككة وغير متماسكة، بل إن هناك مجموعة من العلاقات اللغوية

(التركيبية) التي تسهم بشكل واضح في تماسك أبيات القصيدة، ومن ثم يلعب النحو دورا أساسيا في فهم النصوص الشعرية إذ هو "تحليل للعلاقات بين الكلمات المكونة للنص (...) وهو ليس لازما لفهم الشعر القديم فحسب، وإنما هو لازم لفهم كل كلام مصقول ابتداء من المعلقات وانتهاء بآخر كلام يدور به آخر لسان ناطق بهذه العربية الشريفة"(أبو موسى، 1998، ص 12)، وبما أن الاتساق هو ذلك التماسك الشديد بين أجزاء النص ويبحث فيه عن العلاقات الشكلية التي تربط مكونات النص فإن دراسة العلاقات اللغوية يعتبر جزءا من الاتساق النصي إن لم نقل إنه أهم جانب في الدراسة النصية للأبيات.

ومن جهة ثانية يلاحظ أن الرابط المعنوي هو الذي يصل أطراف القصيدة وغالبا ما تأتي الأبيات لتوسيع معنى البيت الذي قبلها أو تكميلا له ويظهر ذلك – أشد ما يظهر – فيما يخص "التشبيهات المسترسلة".

ولاعتبارات منهجية ومن أجل التغلب على الصعوبات التي تطرحها دراسة اتساق الأبيات في هذا الجزء من القصيدة سنلجأ إلى تقسيمها إلى مقاطع أو ما أسماه حازم القرطاجني بالفصول، وذلك تبعا للمعاني التي تحملها هذه الفصول.

يتألف الفصل الأول من ثلاثة أبيات تجسد العلاقة بين الشاعر والرسول صلى الله عليه وسلم وهي علاقة خوف واعتذار فرضتها طبيعة اللحظة ومقام الشاعر، إذ يصف هذا الأخير حال نفسه ومخافته من رسول الله صلى الله عليه وسلم قائلا (كعب بن زهير، الديوان، 1997، ص 65 - 67):

أنبئت أن رسول الله أوعدنـــي والعفو عند رسول الله مأمـــول
مهلا ! هداك الذي أعطاك نافلة الـ ـقرآن فيهـا مواعيظ وتفصيل
لا تأخذنـي بأقـوال الوشاة ولم أذنب ولـو كثرت عني الأقاويل

يلاحظ أن فعل "أنبئت" مبني للمجهول والبناء للمجهول في هذه الحالة يدل دلالة واضحة على تركيز الشاعر على النبأ الذي علمه وعدم اهتمامه بالفاعل، نظرا لأهمية النبأ (الوعيد) وأهمية مصدره (الرسول

صلى الله عليه وسلم)، ويبدو أن العلاقة بين الشطرين هي علاقة حالية ذلك أن الواو الواردة في بداية الشطر الثاني هي "واو" الحال (والعفو..) وعليه فالشطر الثاني بيان لحالة الشاعر لما بلغه نبأ وعيد رسول الله؛ إذ الشاعر يرجو ويأمل العفو والصفح، وقد اتصل البيت الأول بالثاني عن طريق الاستفهام المقدر؛ فمن "دواعي فصل كلام عن كلام آخر سابق وجود سؤال مقدر غير متجل في سطح الخطاب والذي يدعو إلى تقدير هذا السؤال هو بناء الخطاب على شكل زوج مكون من سؤال مقدر / جواب ظاهر" (خطابي، 2012، ص 109)، ومن ثم فلما ذكر الشاعر نبأ الوعيد الذي بلغه كان ذلك مما يدفع السامع للتساؤل: وماذا يقول الشاعر في هذا وما هو جوابه عنه؟

فجاء البيت الثاني جوابا عن هذا السؤال فكأن الشاعر "يطلب أن يعطى مهلة حتى يقول الذي عنده وأن يؤجل نفوذ الإيعاد حتى يسمع منه" (موسى، 1998، ص 64)، أما جملة "لا تأخذني بأقوال الوشاة" فهي تأكيد لقوله "مهلا" بحيث خرج النهي عن معناه للدلالة على التضرع وطلب الرحمة، وقد ارتبط الشطر الأول بالثاني عن طريق الجملة الحالية "ولم أذنب" وفائدة هذه الحال هو "تأكيد طلب المسامحة المتضمن في قوله "لا تأخذني" و بهذا يكون قد أكد ذلك بالنون أولا، ثم بالجار والمجرور (بأقوال الوشاة) ثم بالجملة الحالية" (موسى، 1998، ص 65).

وهكذا تتصل الأبيات الثلاثة اتصالا وثيقا سواء تعلق الأمر بالجانب التركيبي أو الجانب الدلالي، بحيث يساهم المستويان التركيبي والدلالي في تكون نسيج النص الشعري.

ويصف كعب في الفصل الثاني خوفه من رسول الله صلى الله عليه وسلم ومكانته المهيبة في صدره وذلك حين "أتاه مستأمنا راضيا بحكمه فيه، وقبض على يده مبايعا إياه على الإسلام، مستحضرا أثناء ذلك سطوة الرسول وقدرته على الفتك به فهو "ذو نقمات"، وكلمته القول الفصل التي لا راد لها" (بنوهاشم، 2015، ص 69)، ومن ثم فقد تمكن الخوف من الشاعر في هذه اللحظة وظل يزلزله حتى وضع يمينه في كف رسول الله صلى الله عليه وسلم:

لقد أقوم مقاما لو يقوم بـــه ... أرى وأسمع ما لو يسمع الفيل

لظل يرعد إلا أن يكون له ... من الرسول بإذن الله تنويل

حتى وضعت يميني لا أنـازع فـي كف ذي نقمات قيله القيـل

ويبدو أن هذه الأبيات مرتبطة أشد ما يكون الترابط، بحيث إن هناك مجموعة من العلاقات اللغوية التي تصل أجزاء الكلام؛ فالعلاقة بين البيت الأول والثاني هي علاقة شرطية تتمثل في وقوع أداة الشرط وفعله في البيت الأول (لو يسمع..) بينما وقع الجواب في البيت الثاني (لظل يرعد) وهو أمر من شأنه إحكام الصلة بين البيتين من جهة وحفظ ترتيبهما من جهة ثانية، إذ لا يمكن التصرف في ترتيبهما تقديما أو تأخيرا وإلا اختل المعنى، والملاحظ أن الشاعر وظف زمن المضارع في قوله "لظل يرعد" للدلالة على تجدد الفعل واستمراره، وكلمة "ظل" دالة على الدوام والتجدد، فجاء بذلك البيت الثالث بكلمة "حتى" التي يكون ما بعدها غاية لما قبلها والتي "آذنت بانتهاء المعنى والموقف" (موسى، 1998، ص 69) ذلك أن إحساس الرعب انتهى بمجرد أن وضع الشاعر يمينه في كف المختار صلوات الله وسلامه عليه، فكأن وضع يده في يد المختار إنما كان نهاية قصة رعب، أحسن كعب بيانها وأحسن بيانه تصويرها، وهكذا نرى الكلام يبنى بعضه على بعضه ويدخل بعضه في بعض.

ولما انتهت رحلة الرعب هذه انتقل الشاعر إلى وصف حالة نفسية أخرى، وهي مهابة الرسول صلى الله عليه وسلم بعد ذهاب رعب الوعيد الذي حسمته يد المختار لما وضعت في يد كعب، إذ يقول:

لـذاك أهيب عندي إذ أكلمـه وقيل إنـك مسبور ومـسؤول

مـن ضيغم من ضراء الأسد مخدره ببطن عثر غيل دونـه غيـــل

يغدو فيلحـم ضرغامين، عيشهمـا لحـم من القوم معفور خراديـل

إذا يسـاور قـرنـا لا يحل له أن يترك القرن إلا وهـو مـفلول

منه تظل حمير الوحش ضامـزة ولا تمشي بـــواديه الأراجيل

ولا يـزال بـواديـه أخو ثقـة مطـرح البز والدرسان مأكـول

تشترك كل هذه الجمل المتداخلة في وصف هيبة رسول الله عند الشاعر، إذ الملاحظ أنه ابتدأ باسم الإشارة للبعيد "لذاك" للدلالة على بعد مكانة رسول الله ورفعتها في نفس الشاعر، وقد أكد الشاعر هذا المعنى بلام القسم وصيغة التفضيل التي جاء عليها الفعل "أهيب" الدالة على المبالغة، هذا وقد اتصل البيت الأول بالثاني عن طريق قوله "من ضيغم" الذي يمثل المفضل عليه، والضيغم هو الأسد "ولوحظ في التسمية معنى الضغم وهو العض" (موسى، 1998، ص 73)، أما قوله "يغدو فيلحم ضرغامين" وصف لهذا الأسد، ويقصد به إطعام الأسد لولديه، ذلك أن الضرغامان مثنى ضرغام وهو ولد الأسد، ويرتبط هذا البيت بالذي بعده عن طريق الضمير المستتر في الفعل "يساور" بحيث يرجع إلى الضيغم الذي هو المحور الأصلي الذي دارت حوله الجمل، والذي يتعلق بدوره بالفعل "أهيب"، والمراد بالقرن الأسد "الذي هو قرينة من القوة والفتك، وكلمة "إذا" للشرط الكثير الوقوع، فيها معنى أن مواثبته لضيغم مثله، وإطراح هذا المثل حال من أحواله (...) وكلمة لا يحل له ألقت صبغا على هذا الضيغم، وكأنه ذو شرع ودين له حلاله وحرامه أما حلاله فهو النصر وأما حرامه فهو الضعف" (موسى، 1998، ص 78).

أما قوله "منه تظل حمير الوحش ضامزة" فهو وصف ثان للضيغم، ويقصد بالضامزة الساكتة من شدة الخوف والرهبة، والملاحظ أنه قدم الاسم المجرور المتمثل في الضمير العائد على الضيغم، ويمكن تفسير ذلك باعتبار هذا الأخير هو الأصل وهو المقصود، وفي هذا ما يذكرنا بقول سيبويه الذي ينص على أن العرب "يقدمون الذي بيانه أهم لهم وهم بشأنه أعنى وإن كانا جميعا يهمانهم ويعنيانهم" (سيبويه، الكتاب، الجز الأول، 1988، ص 34)، وإننا نرجح أن الأمر هنا ليس مصادفة وإنما هو الحبك المنسجم للأبيات مما يدل على تمكن الشاعر من صنعته، أما البيت الأخير من الفصل فهو معطوف على قوله تظل حمير الوحش ضامزة، ومعنى أخو الثقة الشجاع الواثق بشجاعته وعدته، ومطرح البز أي ملقى السلاح.

يتضح من خلال هذا الذي تقدم ذلك التداخل بين الجمل المشكلة للأبيات الشعرية، إذ نجد حركة لغوية حية تدور فيها الجمل، وتدور هي بالجمل إلى نهاية البيت السادس وهكذا تلعب العلاقات اللغوية بين أبيات القصيدة دورا أساسيا في تماسك القصيدة وتكون نسيجها النصي.

وبعد هذه الصورة التي تصف حاله حين وقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم، يخلص الشاعر إلى المدح في ثمانية أبيات خص الرسول منها ببيت واحد، بينما خصص بقيتها لصحابته من المهاجرين:

إن الرسول لسيف يستضاء بـه ... مهند مـن سيوف الله مسـلول

في عصبة من قريش قال قائلهم ... بـبطن مكـة لمـا أسلموا زولوا

زالوا فما زال أنكـاس ولا كشف ... عنـد اللقـاء ولا سيـل معـازيل

شـم العرانين أبطـال لبوسهم ... من نسـج داود في الهيجا سرابيل

بيـض سوابغ قد شكت لهـا حلق ... كأنها حلق القفعـاء مجـدول

يمشون مشي الجمال الزهر يعصمهم ... ضرب إذا عـرد السود التنابيل

لا يفرحون إذا نالت رمـاحهـم ... قومـا وليسـوا مجازيعـا إذا نيلوا

لا يقع الطعن إلا في نحورهـم ... ما إن لهـم عن حياض الموت تهليل

وعلى المنوال نفسه يمضي الشاعر في نسج أبياته إذ يلاحظ أن جملة "إن الرسول لسيف" هي الجملة المحورية في هذه الأبيات، وهي جملة اسمية مؤلفة من مبتدأ وخبر ومقيدة بصفة "يستضاء به"، وقوله "في عصبة" خبر آخر معلق بمسلول، و"كما قال ابن هشام وبقية البيت صفة لعصبة" (موسى، 1998، ص 81)، ويشكل فعل الأمر في قوله "زولوا" صلة وصل بين البيت الثاني والثالث ذلك أن هذا الأخير جواب الأمر، أما قوله "شم العرانين" فهو وصف للعصبة و"العرنين الأنف وشممه ارتفاع قصبة الأنف، والبطل الذي يبطل الدم عنده، أي لا يثأر منه لقوته واللبوس ما يلبس من السلاح والسرابيل الدروع، أراد أنهم يلبسون الدروع التي هي من نسج داود عليه السلام" (موسى، 1998، ص 81)، بعد ذلك ينتقل الشاعر إلى الحديث عن العصبة حيث تواترت مجموعة من الأوصاف، ويبدو أنه يوظف زمن المضارع في الأبيات الثلاثة الأخيرة: يمشون، يفرحون، يقع... فكأنه يصف صحابة رسول الله في خضم المعركة. وقد ساهم الضمير العائد على العصبة في تماسك الأبيات الثلاثة وتداخل بعضها ببعض.

والملاحظ أن كعب بن زهير ينزع في هذا الفصل إلى الوصف بشكل كبير ولعل هذا ما يفسر تعدد النعوت لا سيما تلك الواقعة جملة، ذلك أنه كلما طالت الجملة نزعت إلى الوصف والتصوير، ومرد ذلك إلى الغرض الذي يقوم عليه الفصل؛ بحيث خلص الشاعر إلى مدح الرسول صلوات الله عليه وإن انتقل إلى مدح صحابته "وهذا من أدق صنعة كعب لأن مدح من حول الرجل إنما هو مدح للرجل، لأن الرجل هو من حوله" (موسى، 1998، ص 80).

وهكذا نتبين أهمية العلاقات التركيبية والدلالية في تكون نسيج النص الشعري بحيث تساهم في اتساق مكونات البيت من جهة واتساق مجموع الأبيات من جهة ثانية ومن ثم "فلا يجوز في دراسة الشعر إهمال علاقات الجمل وطرائق تكوينها، وتداخل المعاني ونسيج بنائها وروابط اتصالها" (موسى، 1998، ص 74)، وعليه يمكن القول إن أي جهد ينصب على دراسة النص الشعري دراسة نصية تهدف إلى بيان اتساقه لابد من أن يعرض للعلاقات اللغوية التي تحكم بناءه.

2. الانسجام في الأبيات الشعرية

إن دراسة انسجام النص الشعري القديم لا تختلف عن دراسته في النص الشعري الحديث، بحيث إن هناك مجموعة من العناصر المشتركة بين النصيين على رأسها البنية الكلية / موضوع الخطاب، وسياق النص والبنية الخطابية ثم وظيفة الخطاب، وإن كان ثمة من فارق واضح بين النصين فإنما هو في المعطيات السياقية، ذلك أن النصوص الشعرية القديمة تزود المحلل بمعلومات مفصلة عن سياق النص كالمتكلم والمتلقي والمناسبة...الخ، بخلاف الشعر الحديث الذي لا يوفر هذه المعلومات إلا نادرا فيجد القارئ نفسه أمام الافتراض والتخمين، وعليه فإن دراستنا لانسجام المقطع الشعري ستتجه إلى عنصرين أساسيين: البنية الكلية / موضوع الخطاب، والسياق ودوره في تأويل النص.

أ. البنية الكلية / موضوع الخطاب

يتحقق الانسجام وفقا للوظيفة التي يؤديها موضوع الخطاب، فلكل خطاب بنية كلية ترتبط بها أجزاء الخطاب، ذلك أن موضوع الخطاب هو المبدأ المركزي المنظم لقدر كبير من الخطاب، كما أنه القضية التي تحظى باهتمام مباشر، ويقصد بالبنية الكلية أن يكون للخطاب جامع دلالي وقضية موضوعية يتمحور النص حولها ويحاول تقديمها بأدوات متعدد، ولتناول البنية الكلية سنلجأ إلى دراستها من حيث الغرض

الذي يقوم عليه المقطع الشعري، وقصيدة "بانت سعاد" كما هو معلوم موزعة إلى ثلاثة مقاطع أساسية أولها مقدمة غزلية والثاني وصف للرحلة والثالث متعلق بالمدح والاعتذار، ومن ثم فإن الغرض الأساسي للمقطع الشعري الأخير من القصيدة هو المدح الذي يحمل في طياته معاني الاعتذار، فالشاعر يتوجه بحديثه في هذه الأبيات إلى المعتذر له وما يفرضه ذلك من عبارات مدح واعتذار وتذلل، بحيث إن العبارات الدالة على هذه المعاني حضرت بشكل ملفت للانتباه في هذا المقطع الذي توجه فيه الشاعر وإلى المعتذر له / الرسول صلى الله عليه وسلم، ويظهر ذلك بشكل جلي في مستويين اثنين؛ يتمثل الأول في المعجم إذ "يتردد اسم المعتذر له وما يفرضه من عبارات المدح والاعتذار، بل إن الألفاظ الدالة على الخوف والوجل والرهبة وجدت مكانها في هذا المقطع الذي توجه فيه الشاعر إلى التسليم بالقضاء والقدر" (عدناني، 2006، ص 39)، بينما يتمثل المستوى الثاني في الموضوع إذ من الواضح أن الغرض من هذه الأبيات الشعرية هو المدح والاعتذار والاحتجاج أحيانا وإن باستحياء.

والملاحظ أن البنية الكلية للمقطع الشعري تقوم على ثنائية أساسية تتمثل في بنية الألم والأمل، بحيث تكمن عناصر الألم في استحضار الشاعر لصورة رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي أوعده بالعقاب "وهو الوعيد الذي يدرك الشاعر أن الرسول قادر على تنفيذه ما دام يمتلك القوة الكافية، خاصة وأن الشعراء الذين هجوه قد قتل بعضهم وفر البعض الآخر في كل ناحية" (عدناني، 2006، ص 44)، ولعل هذا ما دفع كعب إلى تشبيه الرسول صلى الله عليه وسلم بالأسد الضاري الذي لا تقوى الوحوش على الاقتراب من عرينه، بحيث استمرت هذه الصورة أربعة أبيات من المقطع دلالة على غياب الرحمة والرأفة وحضور القسوة والشدة، ولبيان خوفه ورهبته شبه الشاعر نفسه بفيل مرتعد، ولا شك أن الشاعر "يريد أن يصور استعظام ما يرى ويسمع، وأن ما يراه ويسمعه، يزلزل ويرعد ما لا يخاف ولا يرعد" (موسى، 1998، ص 70). في حين تتمثل عناصر الأمل في توجه الشاعر بالمدح والاعتذار إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وأصحابه "مراهنا على دغدغة الجانب العاطفي، حيث الرسول يكن لأصحابه كل عطف واحترام" (عدناني، 2006، ص 45)، وهكذا تشكل ثنائية الألم والأمل الخيط الناظم لكل العلائق التي تتعايش أو تتنازع داخل المقطع الشعري.

ب. سياق النص

يلعب السياق دورا أساسيا في فهم النص الشعري سيما وأن هناك مجموعة من المصادر العربية تقدم معلومات مهمة حول مناسبة نظم القصيدة، ومن شأن هذا تمكين محلل النص من الوقوف على تفاصيل القصة لمعرفة الظروف المحيطة بإنتاج القصيدة، وبالتالي "تهيء مدخل ملائم لفهم مقام الشاعر داخل القصيدة بين زمن أصيل في ثقافته وقيمته، ولحظة جديدة مخالفة تماما لما ترسخ لديه من أعراف" (عدناني، 2006، ص 71).

لقد اهتمت مجموعة من المصادر العربية بتقديم مجموعة من المعلومات حول سياق قصيدة "بانت سعاد" لكعب بن زهير، ونذكر منها سيرة بن هشام وكتاب العمدة في محاسن الشعر وآدابه لابن رشيق وقد اخترنا أن نورد القصة كما جاءت في كتاب العمدة، يقول بن رشيق: "فقد أوعد الرسول صلى الله عليه وسلم كعب بن زهير لما أرسل إلى أخيه ينهاه عن الإسلام، وذكر النبي صلى الله عليه وسلم بما أحفظه، فأرسل إليه أخوه: ويحك ! إن الرسول صلى الله عليه وسلم أوعدك لما بلغه عنك، وقد كان أوعد رجالا بمكة ممن كان يهجوه ويؤذيه، فقتلهم – يعني ابن خطل وابن حبابة – وأن من بقي من شعراء قريش كابن الزبعري وهبيرة بن أبي وهب قد هربوا في كل وجه، فإن كانت في نفسك حاجة فطر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فإنه لا يقتل من جاءه تائبا، وإلا فانج إلى نجائك فإنه والله قاتلك. فضاقت به الأرض فأتى رسول الله صلى الله عليه وسلم متنكرا، فلما صلى النبي صلى الله عليه وسلم صلاة الفجر وضع يده في يد رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قال: يا رسول الله إن كعب بن زهير قد أتى مستأمنا تائبا، أفتؤمنه فآتيك به ؟ قال: هو آمن. فحسر كعب عن وجهه، وقال بأبي أنت وأمي يا رسول الله (هذا) مكان العائذ بك. أنا كعب بن زهير، فأمنه رسول الله صلى الله عليه وسلم" (ابن رشيق، العمدة، الجزء الثاني، 1985، ص 22 - 23).

فلما قدم على رسول الله قال قصيدته هذه، ويضيف ابن رشيق، بعد ذكره لبعض أبيات القصيدة أن الرسول وهب كعبا بردته وأنه أعطاه مع البردة مائة من الإبل.

تمدنا هذه القصة بمجموعة من المعطيات لفهم النص وتأويله، إذ يفهم من هذا الذي تقدم أن الشاعر كان معارضا لتيار الدعوة الإسلامية الزاحف على الجزيرة العربية، فلما علم بخبر إهدار دمه ووعيد رسول الله له بالقتل جاء تائبا، ومن ثم جاءت قصيدته هذه عنصرا تكميليا لهذه التوبة نظرا لما تضمنته من

معاني المدح والاعتذار، وبهذا نتبين البنية الخطابية للمقطع الشعري بحيث نجد الشاعر وجها لوجه أمام الرسول صلى الله عليه وسلم فهما يحضران معا داخل المقطع الشعري:

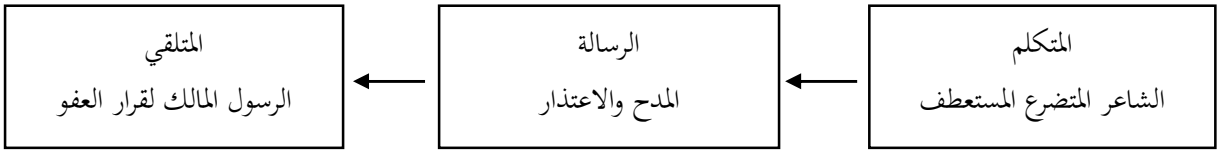

يظهر من خلال هذه الخطاطة موقع كل من الشاعر والرسول في هذا السياق: موقع المتضرع المستعطف ويمثله الشاعر وموقع المالك لقرار العفو أوالعقاب ويمثله الرسول صلى الله عليه وسلم، ولعل هذا ما يفسر الخوف الذي يتملك الشاعر أثناء مثوله في حضرة الرسول صلى الله عليه وسلم وهو ما نلمسه في القسم الأول من المقطع الشعري، بحيث تغيب صورة الرحمة والرأفة "وتمثل أمام عيني كعب صورة القسوة والغلظة، فينتبه إلى حاله ويصور نفسه فيلا مرتعدا من شدة الخوف، وهي صورة تعكس بجلاء الحالة النفسية التي وصل إليها الشاعر" (عدناني، 2006، ص 44).

ومن جهة ثانية فإن وضعية الشاعر والرسول صلى الله عليه وسلم تجعلنا ندرك الطبيعة الحجاجية للمقطع الشعري، ولعل ما يؤكد هذا الذي ذهبنا إليه هو تبئير الشاعر لموقع كل منهما في هذه المواجهة وذلك من خلال "مجيء الضميرين العائدين على الشاعر في محل المفعول، والرسول في محل الفاعل. وقد ربط الشاعر الرسول بالله بواسطة الإضافة ناسبا إياه إلى الذات الإلهية ومجردا إياه في الوقت نفسه من الصفات البشرية، وبالتالي من سيطرة العواطف والحكم بالأهواء، فهو باعتباره رسول الله يحكم بتفويض إلهي ويهدي من تعاليم الله" (بنوهاشم، 2015، ص 65)، وعليه فالشاعر ملزم بتهيء أرضية ملائمة لتمرير خطاب يتضمن حقائق لا ينازع في مصداقيتها ليبرئ ذمته، وينفي عنه التهم ويثبت للرسول القوة والمشروعية، ومن ثم فقد استثمر الشاعر كل العناصر الحجاجية سواء على مستوى اللغة من خلال اختياره لمفردات وصيغ ذات حمولة دينية أو على مستوى الصورة من خلال توظيفه لمجموعة من الصور البيانية التي تكشف إحساس الشاعر بالخوف والرهبة من جهة ورغبته في الاعتذار من جهة ثانية، وهكذا تتكامل وتتضافر المستويات في المقطع الشعري لخدمة الغرض العام المتمثل في المدح والاعتذار.

ومما لا شك فيه أن كعبا قد حصل على العفو بعد قراءته للقصيدة وإن سكتت القصيدة عن رسم هذه النهاية، ونستطيع أن نتبين هذه الحقيقة من النظر في خبر النص، حيث تكلفت الأخبار المحيطة بالقصيدة

"بوضع هذه النهاية المبهجة التي توجت بخلع البردة على كعب وحصول العفو، فكانت رحلة القصيدة ورحلة مجد الشاعر الذي لم يكن مراهنا عليه ليكون على رأس شعراء الدعوة إلا بعدما أبدع هذه الرائعة" (عدناني، 2006، ص 45).

إن الارتسام الذي نخرج به من دراستنا لسياق النص وبنيته الخطابية هو أن هناك انسجاما على مستويين اثنين، مستوى داخلي يتمثل في تضافر مكونات النص (البناء اللغوي، المعجم، الصورة...) لخدمة الغرض العام الذي يقوم عليه المقطع الشعري، ومستوى خارجي يتجلى في تكامل القصيدة وخبرها، ولعل أبرز تجل لهذا التكامل هو رسم الأخبار المحيطة بالنص نهاية له.

نخلص من كل هذا الذي تقدم إلى أن المقطع الشعري متماسك أشد ما يكون التماسك بحيث ساهمت مجموعة من العلاقات اللغوية في تعالق أجزائه سواء على مستوى الأشطر أو الأبيات، كما ساهمت مجموعة من الأدوات والآليات على رأسها البنية الكلية وسياق النص في فهم معانيه وتأويل دلالاته وهو ما جعله في نهاية الأمر نصا منسجما.

وانطلاقا مما سبق يمكن الخروج بالنتائج الآتية:

- تلعب العلاقات اللغوية دورا مهما في تماسك النص الشعري بحيث تحفظ الصلة بين أبيات القصيدة من جهة وتحفظ ترتيبها من جهة ثانية، إذ لا يمكن التصرف في ترتيب أبيات القصيدة تقديما أو تأخيرا وإلا اختل المعنى؛
- يتحدد الموضوع أو البنية الكلية للقصيدة بناء على الغرض الشعري باعتباره مفتاحا لفهم معاني النص الشعري ودلالاته؛
- يمدنا سياق القصيدة العربية القديمة بمجموعة من المعطيات المهمة كالمناسبة والمتكلم والمتلقي والمقام، سيما وأن هناك مجموعة من المصادر العربية التي اهتمت بهذا الاتجاه الإخباري في حركة الشعر العربي، ومن شأن هذا تمكين محلل النص من مجموعة من الأدوات والآليات لأجل كشف انسجام النص؛

- إن أدوات الاتساق وآليات الانسجام التي اعتمدها الدارسون في دراساتهم من أجل إبراز التماسك الشكلي والدلالي للنص كثيرة ومختلفة من باحث لآخر وليست نهائية ولا ثابتة، لكن هناك حد أدنى من الاتفاق حول أهم هذه الأدوات التي تساهم في تحديد البنية الكلية للنص.

المراجع

- ابن رشيق، العمدة في محاسن الشعر، وآدابه ونقده، تحقيق محي الدين عبد الحميد، دار الجيل بيروت، ط 5، 1985
- الحسين بنو هاشم، سفر ضد الرهبة قراءة في قصيدة بانت سعاد، دار الأمان، الرباط، 2015
- سيبويه، الكتاب، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 3، 1988
- شوقي ضيف، العصر الجاهلي، دار المعارف، مصر، ط 16، 1989
- كعب بن زهير، الديوان، حققه وشرحه وقدم له الأستاذ علي فاعور، دار الكتب العلمية، بيروت، 1997
- محمد خطابي، لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، ط 3، 2012
- محمد عدناني، تكامل القصيد والخبر، جذور للنشر، 2006
- محمد محمد أبو موسى، قراءة في الأدب القديم، مكتبة وهبة، القاهرة، ط2، 1998.

تمثلات المكان ودلالاتها في شعر لطفي العربي البرهومي
مجموعة (مملكة الشيء) أنموذجا
مقاربة سيميائيّة

place representations and its implications
in the poetry of Lutfi Al-Arabi Al-Barhoumi
- The (Thing Kingdom) group as a model -
semiotic approach

د.بسام عبد العزيز الشارني، أستاذ مساعد في الأدب العربي القديم بكلية الآداب، جامعة ظفار، عُمان.
د. مراد الحاجي، أستاذ مساعد في تحليل الخطاب والدراسات الثقافية بكلية الآداب، جامعة ظفار، عُمان.
البريد الإلكتروني: bcherni@du.edu.om

ملخص

يعالج البحث حضور المكان في الشعر العربي المعاصر ممثَّلا في أحد نماذجه الصاعدة في راهن الشعر التونسي من خلال تجربة الشاعر التونسي محمد العربي البرهومي وتحديدا مجموعته الشعريّة: (مملكة الشيء)، ويبحث في مختلف الصور التي تشكّل من خلالها المكان، ودلالاتها المختلفة عبر ربطها بسياقها النصيّ وما وراء نصيّ سواء في تجربة الشاعر الفرديّة، أو تجربة الوطن الموضوعيّة، أو التجربة العربيّة العامة، أو انفتاحا على رحابة التجربة الإنسانيّة في كلّيّتها وعمقها. مستثمرا في ذلك القراءة السيميائية التي تتجاوز المكان بما هو معطى ماديّ فيزيائيّ، إلى ما يفيض عنه من إيحاءات باعتباره حاملا لقيم ورموز عميقة.

الكلمات المفتاحية: سيموطيقا، المكان، الصورة، الدلالة الإيحائية، الإحالة.

Abstract

The research deals with the presence of the place in contemporary Arab poetry, represented in one of its rising models in the current Tunisian poetry through the experience of the Tunisian poet Muhammad al-Arabi al-Barhoumi, specifically his poetry collection: (The Kingdom of the Thing). its depth. Investing in that semiotic reading that transcends space, including what is a physical material given, to the overflowing revelations, as it bears deep values and symbols.

Keywords: semiotics, place, image, connotation, reference.

تمهيد:

"إنّ اللفظ بنفسه لا يدلّ البتّة، ولولا ذلك لكان لكلّ لفظ حقّ من المعنى لا يُجاوزُه، بل إنّما يدلّ بإرادة اللافظ".

ابن سينا: كتاب الشفاء (المنطق)

ما من شكّ في أنّ المكان يؤثر فينا كما نؤثر فيه .. فنحن نقيم كثيرا من تصوّراتنا للعلاقات الاجتماعيّة من خلال استعارات مكانيّة نستثمر فيها مفهومات مكانيّة كالمسافة مثلا: فالقريب والأقربون والأقرباء والأدنوْن هم الأهل ومن في مزلتهم من المعارف، والبعيد والأباعد هم الغرباء، وتستعمل اللهجة التونسيّة لفظ (البرّاني) وهو المقيم خارج حدود عالمنا، لتعيين الشخص الغريب عنّا. وكمتصوّرات الجوار المكانيّ أيضا، فإذا رمنا التعبير عن طبيعة العلاقة التي تجمع بعضنا ببعض اتصالا أو انفصالا وجدانيا عبّرنا عنها تعبيرا مكانيّا فقلنا لمن ساندنا عند الحاجة: (كنت إلى جانبي في أوقات شدّتي) وقلنا لمن خذلنا وتخلّى عنّا: (لم أجدك قربي حين احتجت إليك) ...إلخ.

وإنّنا لنشتقّ كثيرا من تصوّراتنا الأخلاقيّة والاجتماعيّة من الاتجاهات المكانيّة المختلفة، فنصوغ جزءا هامّا من أحكامنا القيميّة في شكل استعارات مكانيّة عرفانيّة من قبيل: رفيع المقام أو عالي المقام (من الرفع والارتفاع والعلوّ)، ويقابله الوضيع والهابط والسافل (وهي من الوضع والاتضاع).. وعلى هذا النحو تجري الاستعارات المكانيّة تجسيدا للقيمة المحمودة أو المرذولة ما بين العلوّ والسّقوط، والرّقي من الارتقاء والاستفال من الأسفل، والتسامي والتدنّي، أو تجسيما لأحوال نفسيّة متباينة نستشعرها ونعبّر عنها تعبيرات مكانيّة دالّة، من قبيل قولنا: أنا في قمّة السّعادة، أو معنويّاتي منهارة أو نفسيّتي في الحضيض...إلخ

ويفرض كلّ مكان نمطا معيّنا من السّلوك يختلف باختلاف طبيعته وخصائصه، فما يفرضه المسجد مثلا من مقتضيات السلوك المنسجم مع طبيعة المقام المقدّس، يختلف تماما عمّا تبيحه الحانة من ضروب السّلوك المنحلّ، وغالبا ما يولّد كلّ خرق للتراتبيّة المكانيّة خرقا للنظام القيميّ الذي تواضعت عليه المجموعة.

وما من شكّ في أنّ المكان يكتسب سماته من خلال طريقتنا في إدراكه أو تمثّله على نحو جماعيّ أو فرديّ يتّسق مع فرديّة التجربة وخصوصيّتها. ولا يتوقّف تعاملنا مع المكان عند الجانب العقلانيّ الواعي منّا فحسب، وإنّما يتدخّل أيضا بُعدنا الشعوريّ العاطفيّ، فتنشأ مشاعر وجدانيّة مختلفة باختلاف الأماكن واختلاف وقوعها في أنفسنا موقع الألفة والحبّ أو موقع النفور والكراهية، وهو ما يُكْسِب الأمكنة دلالات نفسيّة مختلفة باختلاف التجارب من فرد إلى آخر. وتتشكّل هويّتنا من خلال المكان

أيضا، ويتحدّد كياننا به، وينبني وعينا من خلال معايشتنا له ووعينا به ورؤيتنا للعالم من خلاله (البيت / الوطن / أماكن الطفولة/ السجن/ الغربة / المنفى...).

والإنسان هو الذي يؤثّث المكان، ويعيد بناءه وتنظيمه وفق رؤيته الخاصة، يبنيه في واقعه الماديّ ولكنه يبنيه أيضا في وعيه ومخيّلته وشعوره، فيُكسبه دلالات مختلفة، ويسقط عليه قيمه، ويمنحه حضورا رمزيّا وأبعادا جماليّة خاصّة. وهكذا يتحوّل المكان إلى علامة ثقافيّة حضاريّة تعكس طريقة في الحضور والتواجد، وأسلوب حياة، ونمط تفكير، ودرجة وعي، تظهر كلّها من خلال تمثلاتنا المختلفة له. وعديدة هي الأدبيّات التي اهتمّت بالمكان تنظيرا ودراسة لعلّ أشهرها كتابان حملا العنوان نفسه: (جماليّات المكان) أحدهما لغاستون باشلار، والآخر ليوري لوتمان مع آخرين.

فكيف كان حضور المكان في مجموعة (مملكة الشيء) للشاعر لطفي العربي البرهومي؟

الشاعـــــر:

لطفي العربي البرهومي شاعر وروائي وعضو اتحاد الكتّاب التونسيين منذ 13 سنة. نشر خمس مجموعات شعرية هي على التوالي: (كلّ عام وأنت عربي) عن دار مسكلياني سنة 2008 - (أوان الرحيل إلى المدن المقبلة) عن دار الكمان الأزرق سنة 2009- (سفر الخروج) عن دار كارم للنشر والتوزيع سنة 2010- (وجه النار) عن دار سوتيبا سنة 2011- (مملكة الشيء) عن دار سوتيبا سنة 2013. وله مجموعات أخرى في انتظار النشر. وله كتابات روائية نذكر منها: رواية (تغريبة شاس بن إسماعيل) عن دار ميارة سنة 2016 . وصدرت له حديثًا رواية غرفة القبو عن دار مسكلياني 2023. وله رواية قيْد النشر بعنوان (الدخان) مع دار مسكلياني. تمّ تكريمه على مجمل أعماله الأدبية في معرض الكتاب التونسي بمدينة الثقافة لسنة 2019، وفاز بجائزة الإبداع الأدبي لولاية الكاف- تونس لسنة 2017-2018.

لماذا اخترنا شعر هذا الشاعر ؟

تتنزّل تجربة الشاعر محمد العربي البرهومي في خارطة الشعر التونسيّ الراهن، وفي سياق المسار الذي قطعته القصيدة العربيّة المعاصرة عموما. وهي تجربة مغرية بالاهتمام والدرس –في تقديرنا- من وجه آخر متصل بغزارة إنتاجه الأدبيّ، وجمعه بين وجهيْ الإبداع الأدبيّ معا: شعرا ونثرا. فهو بهذا نموذج للأديب الذي عرّفه الهمذاني في المقامة الجاحظيّة بأنّه: "لَمْ يُقَصِّرْ نَظْمُهُ عَنْ نَثْرِهِ، ولَمْ يُزْرِ كَلامهُ بِشِعْرِهِ"، لأنّه لم يكن "في أَحَدِ شِقَّيْ البَلاَغَةِ يَقْطِفُ، وفِي الآخَرِ يَقِفُ"، بل لعلّه استوى ذا كفايتيْن أدبيّتيْن تنازعتاه، وتقاسمتاه قسمة لا نعتقد أنها ضِيزَى.

وغير خاف على أكثرنا أنّ تركيز النقّاد على منجز الأسماء الشهيرة في عالم الشعر، وإن كان أمرًا محمودًا من جهة العمل النقديّ والبحث العلميّ ونتائجهما، فإنّه قد شكّل، من جهة أخرى، ستارا كثيفا حجب أصوات شعراء صاعدين لهم نبرتهم الخاصّة، ولنصوصهم الشعريّة مذاقها المميّز وإيقاع شاعريّتها الطريف، وهي -لذلك- تحتاج إلى من يدرسها ويُبرزها إلى جمهور القرّاء عموما، وإلى المهتمّين بالشعر منهم بصفة خاصة.

وقد قع اختيارنا على مجموعة (مملكة الشيء) لأنها آخر ما أصدره الشاعر شعرا، ولما وجدناه في نسبة هامة من نصوصها من مستويات شعريّة عالية، وما تضمّنته من تعبير عن رؤية فلسفية لشاعر مهموم بأسئلة الفلسفة الوجودية الكبرى وقلقها وحيرتها، فضلا عن أسئلة الفن والشعر والإبداع.

I- مدخل نظريّ مفاهيميّ:

يشير مصطلح السيميائيّة أو "علم السيمياء" إلى أحد فروع النقد الحديث، هو، متى أردنا تبسيط تعريفه تبسيطا نرجو ألّا يُخلّ بحقيقته الابيستيمولوجيّة، علْم يروم دراسة المعنى الخفيّ في كلّ نظام علاماتيّ (نسبة إلى العلامة). وهو من أصل يوناني Semion وتعني العلامة. وقد ظهر المصطلح خلال النصف الأول من القرن العشرين في مجال الطب النفسيّ دالاّ على دراسة علامات المرض وما يعتري أجساد المرضى من أعراض العلل المختلفة.

أمّا في مجال اللسانيّات الحديثة، فقد ظهر علم العلامة مع العالم اللغويّ السويسري "فرديناند دي سوسير" (1857-1913) الذي يعود إليه السبق في تسمية العلم بـ(السيميولوجيا)، وكذلك الفيلسوف الأمريكي "تشارلز ساندرز بيرس" (1838-1914) الذي هو الأصل في تسمية العلم بـ(السيميوطيقا)". (إبراهيم والغانمي وعلي، 1990، ص73). ثمّ تبلورت النظريّة السيميائيّة مع بداية ستّينات القرن الماضي من خلال جهود نخبة من النقّاد والباحثين مثل البلغاريّة "جوليا كريستيفا" Julia Kristeva والفرنسيّ "رولان بارت" Roland Barthes والإيطالي "أمبرتو إيكو" Umberto Eco.

ورغم تعدّد الفروع المعرفيّة التي تنهل منها السيميائيّة والتي جعلتها تنسلك ضمن مدارس واتّجاهات مختلفة بين سيميولوجيا التواصل، وسيميولوجيا الدلالة، وسيميولوجيا الثاقفة، وسيميوطيقا الأهواء... فهي تشترك في دراسة الاتصال والدلالة عبر أنظمة العلامات المختلفة، معتمدة علوم اللغويّات والأنثروبولوجيا والمنطق والعلوم الطبيعيّة والاجتماعيّة وفلسفة اللغة. (رشيد، 1981، ص 41).

على أنّ شأن العلامة في الأدب غير شأنها في غيره من الأنظمة العلاميّة الأخرى. وهو شأن يعود إلى ما للنصّ الأدبيّ من خصوصيّة تمنح العلامةَ فيه خصوبة دلاليّة مكثّفة، وتفتحها على سمة التقبّل المتعدّد. وهذا ما يُفهَم من قول "ريفاتير" التالي: **"والحقل الأصلي للسيميوطيقا هو انتقال**

العلامات من مستوى معيّن من الحديث إلى مستوى آخر". وإذن، فـ**"السيميولوجية نِدّ نقديّ يعضد البنيويّة ويتضافر معها في مسعى استكشاف النص ودراسته على منطلقات (الألسنيّة) ومبادئها"** على حدّ عبارة عبد الله الغذامي. (الغذامي، 1993، ص42)

وقد ذهب المتأخّرون من السيميولوجيّين مثل "بارت" و"جاك لاكان" Jacques Lacan إلى إنكار وجود ارتباط ثابت بين الدال والمدلول، وإلى اعتبار الإشارات حرّةً في تنقّلها، على نحو تتحوّل معه المدلولات إلى دوالّ ثانويّة متضاعفة تجلب مدلولات مركَّبَة، وهي علاقة لا تنشأ إلاّ بفعل المتلقّي الذي يؤسّس هذه العلاقة ويقيمها بين الدالّ والمدلول، وهي ما يسمّى بالدلالة". (الغذامي، 1993، ص46)

وهذه الحركة الحثيثة من الدالّ نحو المدلول الذي يغدو هو نفسه دالًّا لمدلول آخر أو مدلولات كُثر، تستند إلى مفهوم (الاعتباط) السيميولوجيّ الذي جلبه "دي سوسير" للفكر اللغويّ، وكان محلّ اختلاف بينه وبين "بارت". ومظهر هذا الاختلاف أنّ "بارت" يقصر الاعتباطيّة على علاقة الدالّ بمرجعه (الشيء في العالم)، أي اللفظ في علاقته بالوجود العينيّ خارجه، وهي علاقةُ إحالة أساسها التعيين. أمّا الإشارة فلا تتّجه نحو الوجود العينيّ لتحيل إليه وتعيّنه، وإنّما تُشيح بوجهها عنه ملتفتة إلى صورته الذهنيّة، ولذلك لا يمكن أن تكون اعتباطيّة، لأنّها محكومة بالتواطؤ الجماعيّ. وتؤسّس اعتباطيّة الإشارة لما سمّاه "الغذّامي" (**مبدأ القراءة السيميولوجيّة للنصّ**)، وهي قراءة تقوم على إطلاق الإشارات كدوالّ حرّة، لا تقيّدها حدود المعاني المعجميّة، وتصير للنصّ فعاليّة قرائيّة إبداعيّة، تعتمد على الطاقة التخييليّة للإشارة في تلاقي بواعثها مع بواعث ذهن المتلقّي، ويصير القارئ المدرَّب هو صانع النصّ" (الغذامي، 1993، ص49).

وتأسيسا على ما تقدّم، يمكن أن نعُدَّ المكان علامة من علامات نصّ الوجود الأكبر، وإشارة لغويّة من إشارات النصّ الأدبيّ أيضا، وتغدو بذلك سيميوطيقا المكان إدراكا جديدا للمكان، يتجاوز ماديّاته إلى علاماته، ذلك أنّ المكان ليس فضاء شاغرا، ولكنّه مليء بالأشياء والكائنات التي تشحنه بمعان وقيم ومشاعر ورموز، وتضفي عليه أبعادا خاصّة (قاسم، 2002، ص 48)، وأشياءُ المكان تغدو في العمل الأدبيّ علاماتٍ عليه، تحمل أبعادا وقيَمًا جماليّة ومعرفيّة وثقافيّة ونفسيّة ينتهي إليها القارئ بالتدبّر والتأويل.

II- مقاربة سيميائيّة للمكان في شعر البرهومي:

1- في العنوان:

يمثّل العنوان: (**مملكة الشيء**) عتبة Seuil المجموعة، ولأنّه كذلك، فهو يمثّل أوّل مداخل القراءة المفضية إلى المدوّنة الشعريّة. وقد ورد العنوان تركيبا جزئيا بالإضافة. ومن وظائف الإضافة أنّها تعرِّف

الاسم بتخصيصه، إذ تزيل الإبهام الناتج عن التنكير في لفظ المضاف، ذلك أنّ كلّ تنكير تعيم، وكلّ تعميم إبهام. ولكنّها من جهة أخرى تفتح الدلالة على أنحاء من الفهم مختلفة، فتزيد المعنى غموضا وتشعّبا وكثرة، فقد نفهم منها:

- **معنى الملكيّة:** أي أنّ المملكة ملْك لهذا الشيء. والملكيّة مفهوم من مفاهيم "الدازاين" (أي الوجود في العالم والفعل في الوجود) عند "هيدغير".
- **معنى النسبة:** بمعنى أنّ هذه المملكة تُنسَب إلى هذا الشيء دون سواه.
- **معنى التخصيص:** فالمملكة يختصّ بها الشيء لا غيره.
- **معنى بيان النوع:** أي أنّ المملكة من الشيء قُدّتْ، فهو مادّتها الأوّليّة وأصل تكوّنها.

فإضافة "المملكة" إلى "الشيء" إذن، ضاعف الغموض من حيث أَوْهم نحويًّا بالبيان. ومأتى المضاعفة في شحنة الغموض من اجتماع دالّ "المملكة" من حيث يعبّر عن معنى الكينونة العظيمة والكيان الفذّ القائم والتملّك، إلى دالّ "الشيء" المعبِّر عن موضوع الإدراك الذي تنشد الذات الوعيَ به، ومن ثمّ توصيفه وتصنيفه ضمن مراتب هذا الوعي (الكينونة بما هي موضوعَ وعي). كما هي عند "مارتن هيدغير" في كتابه (الوجود والزمان).

2- تمثّـــــلات المكان وأبعادها الدلاليّـــة:

لا يمارس المكان في القصيدة حضوره دون دلالة أو رمزيّة مّا، فهو كينونة دلاليّة تدليليّة يوظَّف في النص لتُنسَج من خلاله رؤيةٌ مخصوصةٌ للعالم وللذات فه. وقد يحسُن بنا، قبل الحديث عن صور المكان في هذه المجموعة، أن نُبْديَ بعض الملاحظات الشكليّة:

-**أوّلها:** كثرة الأماكن وتنوّع مرجعيّاتها بين ما هو عامّ موضوعيّ (وادي تاسة، أمريكا، القدس، الجزائر، العراق، الرمثه، غزة، مراكش ..)، وما هو خاصّ ذاتيّ (القبر، القبو، النافذة، عش، عرش، قوقعة الحلزون ...)، ما هو واقعيّ الإحالة، وما هو رمزيّ الدلالة، سيميائيّ الإحالة (مثال: البحر الميّت).

-**ثانيها:** أنّ المكان لم يكن تيمة من تيمات القصائد فحسب، ولكنّه مثّل مرجعها ورحم ولادتها، والإطار الجغرافيّ الذي احتضن تجربة كتابتها، فوسمها بمياسمه، وطبعها ببعض خواصّه المحلّيّة؛ لذلك حرص البرهومي على إثبات صلة الانتماء بين القصيدة ومكان ولادتها وتاريخها أيضا (مثلا: السرس، بئر الباي، تونس العاصمة، حي سبرولس منوبة، الكاف، منطقة الوحدات عَمّان الأردن، مدينة الكرم)

-**ثالثها:** تعدّدت صور المكان، وانسلكت في علاقات ثنائيّة ضدّيّة يمكن أن نحصرها في الثنائيّات الكبرى التالية: سطح ≠ غوْر / ألفة ≠ غربة / ولادة، حياة ≠ شهادة، موت / السموّ، امتلاء≠ الانحطاط ، خواء/ إشراق ≠ عتمة.

وقد وجدنا للمكان في هذه المجموعة الشعريّة أربعَ صور أساسيّةً، لكلّ صورة منها بُعْد دلاليّ خاصّ:

- فهو الحميم الأليم في بعده الذاتيّ.
- وهو المكان / القضيّة والهمّ في بعده القوميّ العروبيّ والإسلاميّ.
- وهو المكان/ الفكرة في بعده الفلسفي الوجوديّ.
- وهو المكان / الملاذ في بعده الفنّيّ الشعريّ.

أ-المكان / هذا الحميم الأليم:

نختصر هذا البعد في صورة **الوطن/الوجع** التي تحضر في عدد من القصائد معبّرة عن تمثّلات الشاعر لوطنه المعطوب:

* ففي **قصيدة "تاسه المجنون":** تتشكّل ملامح الوجع من خلال جملة من العيوب أو الأمراض المتمكّنة من جسد الوطن المعتلّ، فهي لا تنفكّ تنخره وتسكنه وتنتشر خلاياها السرطانيّة المدمّرة فيه انتشارا يشلّه ويميت كلّ الخلايا الحيّة فيه، وهي علل مزمنة تُشكّل مختلفَ ضروب الفساد والتفسّخ الأخلاقيّ، والنقص والاختلال، من: مُجون، وعُهْر، وسُكْر، وفقر، تتشكّل جميعها لترسم صورة: **الوطن المبغى.**

*وفي **قصيدة "الغِيلان":** يرتسم أمامنا مشهد الطبقيّة الاجتماعيّة المجحفة: فقر مُطْبِق على الأغلبيّة الساحقة مقابل طبقة محدودة من الأثرياء الذين: "يبلعون الدنيا وما زالوا جياعْ"، فإذا نحن أمام صورة أخرى للوطن هي صورة: **أرض الضباع.**

*وأمّا **قصيدة "قبر الشهيد":** فتئنّ فيها الذات وتغضب وتثور وهي تشرّح أورام الوطن العربيّ من غدر وخيانة من خلال تِيمة: عدم الوفاء لدم الشهداء، والتنكّر لأرواحهم، فنقف وجها لوجه أمام صورة: **الأرض العقور.** وعبارة عقور صيغة مبالغة يوصف بها الكلب ومن كان في حكمه من السّباع، كالأسد والفهد والنمر والذئب في حالة توحّشه فيُقال مثلا: كلب عَقُور أي جارح يفترس ويَعَضُّ.

*وتصوّر **قصيدة "الجباة":** الحَيْف السياسيّ من خلال صور **الوطن المَجْبَى، والوطن السجين، والوطن المفقود.** فلا تخرج صورة هذا الوطن عن دلالتيْن اثنتيْن: الاغتصاب والاستلاب.

*وأمّا **قصيدة "بجرّة قلم"**: فتصوّر بجرأة ومرارة مأساة الضحايا الأبرياء من المواطنين تخطّها التقارير السرّيّة الكيديّة، وتنسج مصائرهم القاتمة بجرّة قلم سفيهة، فإذا المكان **رمز لانقلاب القيم عبر ثنائيّة: قمّة** ≠ **سفح**. يقول:

بجرّة قلمْ
تغْدو ألْفُ.. ألْفِ ذاتٍ
في العدَمْ
بجرّة قلمْ
تُرفْرِف سُفُوحٌ في الأعالي
وتَسْقُطُ قِمَمْ

وتتولّد عن هذا الوعي الفاجع بالوطن في مختلف صوره القاتمة ثنائيّة ضدّية هي: **الألفة والغربة** مُعزّزة لدى الذات إحساسا موجعا بغربة الأليف عن أليفه: غربة الذات عن وطنها المفقود وغربتها فيه: **"وطني عزّ لقاه"** (ص172)

ب-المكان / الهمّ العربيّ العروبيّ:

يتكثّف في هذا البعد الثاني من أبعاد المكان معجم الهزيمة والخيانة:

*من خلال توظيف أسماء العلَم توظيفا تناصيّا مكشوفا يتجاوز دلالتها التعيينيّة إلى دلالتها الإيحائيّة في قصيدة **"معين بسيسو في قفص الاتهام" (ص52)**: (الأعلام: معين بسيسو، خليل حاوي، جمال عبد الناصر، صدّام، ابن لادن): ويبدو اعتماد أسلوب المحاكمة إمعانا في جَلْد الذات نزوعا إلى التطهُّر من خطيئة خيانة القضيّة وبيْع الأرض، والتكفير عن ذنب "الانسحاب من ساحة المعركة موتًا" بالقيامة المظفَّرة: ففي هذه القصيدة يتّضح المنحى العُروبيّ القوميّ في شعر البرهومي من خلال توسيع تيمة **الوطن الجرح أو القرح** لتتجاوز الحيّز الجغرافيّ المحدود (فلسطين) إلى الفضاء العربيّ عامّة (القدس، العراق، لبنان، مصر، الشام، الأردن، الجزائر).

* **قصيدة "البحر والنورس" (ص68): ثنائية: السطح /حياة ≠ الغَوْر/موت**

تحضر **التورية المكانيّة** أسلوبا مميّزا فتحدّ من النزعة المباشرة في التعبير عن موت الكيان في الكائن، وموت العمق في الوجود، وموت المعنى والقيمة في رمزيّة البحر وتوزّع دلالته بين طرفيْ الثنائيّة الضدّيّة متمثّلة في: السطح في مقابل العمق أو الغور، تعبيرا عن جدليّة الموت والحياة التي تحكُم الوجود بقبضتها.

- **"البحر الميّت"** تزدوج الدلالة بين الإحالة الواقعيّة على المعطى الجغرافيّ، وبين الإحالة الرمزيّة على معنى الموت. فنتذكّر قصيدة (نهر الموت) للسيّاب، حيث يتلبّس الفناء بكلّ تفاصيل الحياة.
- **الغَوْر:** تزدوج بين الدلالة المعجميّة على القاع والقعر، والإحالة الجغرافيّة على المنطقة الحدوديّة بين المملكة الأردنيّة والأراضي الفلسطينيّة المحتلّة ويمرّ منها البحر الميّت. وتجتمع الإحالات الدلاليّة الثلاث: الواقع الجغرافيّ، والمعنى المعجميّ، والبعد الرمزيّ،حول معنى الموت والسقوط بما هما تمثيل لواقع فلسطينيّ يوميّ، وتبئّرهما تبئيرا عاليَ التركيز والكثافة.

ج- المكان/الذات : البعد الوجودي الفلسفيّ - المكان رمزا وإشارة

- **المكان / المتاهة: معضلة المعنى يطلبه العقل فيُعوزه الفهم**

تتكرّر لدى البرهومي أسئلة الفهم تعبيرا عن توق العقل إلى القبض على المعنى، وشوق الذات إلى الحقيقة، فيقترب الشعريّ من الفلسفيّ ويتاخمه على نحو يذكّر بما رامه "هيدغير" في فلسفته المتأخّرة من تجاوز للتمييز الفاصل بين التفكير والشعر، محقّقا المعادلة التي تجعلهما في وضع تبادل التأثير خدمةً للفكر والفنّ معا، مختارا الشاعر الألمانيّ "هولدرلين" الذي دعا هو أيضا إلى رفع التمييز بين الشعر والفلسفة، متجاوزا بذلك أطروحة "هابرماس" التي تفصل فصلا جذريّا بينهما. حتى لكأنّ الشعر عنده أحيانا ينزع إلى ارتياد منابع الفلسفة دون التضحية بالشعريّ وتسليمه إلى قبضة المنطق الصارمة.. ويستعير الشعر حكمة السؤال الفلسفيّ وقلقه وعمقه تعبيرا عن دهشة الشاعر التي لا تقلّ خطرا عن دهشة الفيلسوف وحيرته، حين يَنشُد الحقيقة، ويروم محاصرة المعنى، فينكفئ العقل ويخونه الفهم، فيستعير من "نتيتشه" مطرقته معلنا في قصيدة **"الجبّار"** أنّ:

الفهم مطرقة تدقّ الرأس
يبقى رنينُها يتجدّدْ
يتكاثر فيكَ
فيروسًا يتوالد
عبثًا تصارعه
لتعود كما كنت
الفهم جبّار متغطرس
اخضعْ
...

طُوبى .. لمن لا يفهمْ. **[تونس العاصمة، 29-01-2002]**

فإذا الصواب في أن تكفّ عن محاولة الفهم، وإذا السعادة في أن لا تفهم .. فالوعي شقاء والفهم طريق كأداء..

وفي نصّ **"أين الفاهم؟"** وهو نصّ قصير جدّا يمكن أن نعتبره من جنس "القصيدة/ الومضة" تُختصَر تجربة الذات الطويلة في حركتين اثنتين: الرحلة في الجهات جميعها: تيهٌ، والوصول: وحدةٌ وفراغ. فالمكان خِلْوٌ من المعنى، والفعل الإنسانيّ بجميع أشكاله وضروبه عبثٌ يُبْذَل في غير طائل، والجهد الذي يُصرّفه صاحبه في مسالك هذا الفعل المتنوّعة، بلا جدوى، والمكان بما هو موضوع وعي تنشد الذات من خلاله القبض على المعنى : متاهة لا تُسْلِمُك إلّا إلى ضياع، وحركة لا تُفضي بك إلّا إلى انقطاع: إلى اللاّمعنى

غبْتُ عهدا
طُفتُ طولا
سِحْتُ عَرضا
سرتُ شرقا
تهتُ غرْبا
طرت فوقًا
غصتُ عُمقا

عدت وحدي
أين الفاهم؟
غاب الفهم" **[تونس العاصمة، 29-01-2002]**

وتحضر فلسفة التجاوز وإرادة القوّة : فلسفة "نيتشه" في نصوص الشاعر المتزامنة والمتعاقبة.. ففي نص ثالث يشير تاريخه إلى أنّه كُتِبَ في اليوم التالي لليوم الذي كُتِبَ فيه النصان السابقان وعنوانه **"ثورة النفس"** يصطدم الشاعر بالإبهام وانغلاق المعنى في كلّ شيء، فينكفئ على ذاته/ الملاذ، مصغيًا إلى صدى حكمتها المتمرّدة، مستسلما **للتيه** ملتمسا فيه مسالك إلى الحقيقة المنشودة التي لا مكان لها خارج الذات:

"مُبْهَمٌ كلّ شيء
لا غير صدى الذات

يرتعد...
أكْذِبُ النفسَ بفلْسَفة التجاوز .. تارة

فتزداد نفسي تعنّتا
وتمرّدا
فأنصاع للتيه فيها
عُنوة
علّي أُرْضيها
فأُجيبُها :
"يا نفْسُ
يكفي الشريدَ فظاظةً
رِفْقًا...
أقْسَمْتُ أنّي لئائرُ ..."

- **الذات/المكان: شذوذ المكان وغربة الزمان أو القلق إزاء العدم**

يعنينا المكان هنا بما هو مصدر قلق الذات إزاء كينونتها المهدّدة بالانسحاب والتلاشي. وتتشكّل هذه الصورة من خلال قصيدة **"الرَّحى" (ص111)** بما هي رمز لصراع الإنسان ضدّ الوجود الذي يطحنه بين فكّيْه طحنًا فلا يُبقي منه غير طحين الألم والأسى، ولا يَبقى بعد ذلك سوى الرحى نفسها تعاود طحن الموجود الهشّ.

هذا القلق الذي يستشعره إنسان العصر الحديث هو القلق من فقدان الموطن مكانا وكيانا وقيمةً ومعنى؛ ويتّخذ هذا البعد صورا مختلفة أبرزها صورة **المكان/الخواء والعماء: المعبّرة عن فكرة الموت الوجوديّ، أو موت الفعل وتلاشي القدرة وضياع القيمة.** ونقف هنا على ذاتيّة المكان، أي المكان باعتباره صورة عن الذات، هو المكان الحامل للوعي الفاجع: ممّا نسمه مع "هيدغير" بـــ"الدازاين" أو الكائن المهموم بكينونته.

هكذا يغدو المكان إذن، صورا شعريّة تسمّي أحوال الذات المختلفة: فتتفرّع دلالة العنوان (مملكة الشيء) في ثلاثة نصوص داخليّة هي: "الملِك"، و"الوصيّة"، و"لا شيء يحويه المكان".

ففي قصيدة "الملك" (ص136) يطبع المكان صورة الذات بخصوصيّة التجربة، ويلوّنها بألوان المأساة الوجوديّة في عبثيّتها الساخرة : فللذات المُلْك والقوّة والنفوذ، ولكنّها مملكة من سأم، وعرش من أرق، وتاج من تعب:

ملك
على مملكة السأم
أنتصِب

عرشي الأرق
وتاج مملكتي التعب

وفي قصيدة "الوصيّة" (ص126): تمتدّ صورة المملكة في العنوان الخارجي إلى صورة ساخرة يجسّدها (اللّقلق على عرشه) إلماعا خفيّا إلى: "القلق على عرشه"، وتتحوّل الأشياء من فضاء المملكة إلى فضاء السماء تحرّرا من الأرض، وتعبيرا عن الرغبة في الارتقاء دون جدوى: **"فسماء الأشياء ترفض أن تعود إلى مداراتها" (ص134).** وتكثّف القصيدة معنى البطلان والعبثيّة والعدميّة في العالم. فيتكرّر النفي تعبيرا عن العدم والخواء، وتنهض في فضاء النصّ صُورٌ ومشاهدُ سرياليّة تشي بغيبوبة المعنى وتلاشيه، ودخول العالم في دوّامة الفوضى، والسديم، والعماء، والهباء le Chaos (ص ص128-135)

شمس تعذّب الإسفلتَ
إسفلتٌ يُعذّبُ الجلدَ
ثعلبٌ يسْرقُ القمر
وكفّان بلا أصابع
في راحتيهما بقيّةُ قارورة
مهشّمة(....)

وفي قصيدة "لا شيء يحويه المكان" (ص158): تتحوّل "مملكة الشيء" إلى "لا شيء يحويه المكان" في نقض ساخر لأفق القراءة الذي رسمه عنوان المجموعة في البداية: إنّ المكان، وقد خلا من كلّ شيء ذي بال، يدفعُ الذاتَ إلى الكُفْر بكلّ القيم التي كانت تَنشدُها، ويحملها على الدعوة إلى نقيضها في تمرّد صريح على النواميس والأعراف والمواضعات (على نحو يذكّرنا بأبي نواس في بعض قصائده واعظا ومُفتيًا بنقيض ما تُقرّه الأخلاق والعقيدة): فالخيانة مشروعة، والوفاء مرفوض، والغدر مُباح، والحزن على موت من نحبّ سذاجة، بل إنّ الصواب أن نسْعَد ونمتلئ بغبطة الحياة التي نحياها حتى نستطيع حياتها على نحو طبيعيّ. **إنّ الذات تواجه شذوذ المكان بشذوذ الكيان، وتواجه عبث الكينونة بعبث الكائن، وتردّ على لا منطق الوجود بلا منطق التواجد؛ حتى يمكن للتأقلم أن يحدث.**

ولا يخرج المكان في **قصيدة "السقوط" (ص145)** عن إحدى ثلاث: إمّا متاهة، وإمّا مقبرة، وإمّا مقصلة، والقائد المرشد أحدُ ثلاثة: إمّا أعمى، وإمّا غريب جاهل بالشِعاب، وإمّا دليل يقود إلى المذبحة. ورغم تعدّد الخيارات فجميعها يُمثّل وجوها أخرى من حقيقة واحدة لا مفرّ منها هي: الموت.

فليس في المكان شيء سوى اللّبْس، والغياب، والوهم، والخيبة، والكلام، والكوابيس، والسقوط المدوّي.

إنّ المكان يغدو هاهنا تعبيرا رمزيّا عن الكائن في أشدّ حالات عجزه وانكساره وتلاشي الإنسانيّ فيه، محاصرا باللامعنى في وجود هشّ كلّ ما فيه يُؤذن بالخراب والانهيار، فلا سبيل إلى الخروج من المتاهة، ولا طريق إلى النجاة من الجماعة/ المأزق، أو التنصّل من حتميّة الانتماء إلى بني جلدتك، ولا ملاذ يعصم من الفكرة المشْرفة بصاحبها على هاوية الجنون وهوّة الفراغ، إلاّ بالتخلّص من كينونة جسديّة مُقيِّدة، والانعتاق غبارًا في الأمداء الفسيحة، والتمرّد على الحياة بالموت الذي تنشده الذات على طريقتها وبملء إرادتها، حيث يغدو الانسحاب من العالم أقوى أشكال الظهور والحضورا فيه، كما ردّد "هيدغير" ذات مرّة، وحيث يغدو الغياب خَلاصا مُشْتَهًى، ورحمة مرجوَّةً ، وكينونة أمْثَل، لا تظفر بها الذات (ص148).

وكثيرا ما ترتبط العودة إلى المكان الأصل عند الشاعر بالهزيمة والخسران والبطلان، وهو ما نجده صريحا في "قصيدة الشتات" (ص113) وفي **"قصيدة الآبقون" (ص98)** التي يشيع فيها حقل القيد والعبوديّة والفناء:

عودوا على البدء
بدء على عوْد
وجوه البلاهه
نواصي البلاء
خطوط الأكفّ نِخاسه
بيع / شراء
جماجم هواء
وأطراف مقفّاة بتآكل مدِّ الجُذامْ
مُترَع بالأمسيات الحزينة
مترع شاعركم بالأمسيات الخرابْ
نِيام على العتبه
بلابل في الشبكه
سلاسل في الرقبه
ولحن الحياة مواء قطط
تتدافع في الأزقة المظلمه

في الأزقّة الموحله
وكلّ المساحة قبو
في زاويه / مقبره
لا لون
لا رائحه
لا سُلّم للنافذه
لا شكل
لا قافيه...

د- المكان / القصيدة : بيت الشاعر الأبديّ وملاذ الذات الخالد

كان البعد المكانيّ مُداخِلا لمفهوم العرب قديما للشعر، ودلّت مصطلحاتهم العروضيّة على هذا الوعي بالفضاء المادّيّ من داخل الفضاء الشعريّ. ومعنى هذا أنّ القول عندهم لا ينفصل عن الكون، والكلمة ليست معزولة عن كينونة العالم. ولأجل هذا نجد في جهازهم الاصطلاحيّ، وهم يسمّون عناصر البناء الشعريّ، من المفردات ما يحمل الدلالة المعجميّة على المكان الماديّ؛ فمصطلح العروض مثلا، هو الطريق في الجبل، ومصطلح الضرب هو البناء، ومنه ضرب الخيمة أي نصبها، ومصطلح الوتد يشير إلى وتد الخيمة، فوتّد الخيمةَ ثبّتَها بالأوتاد، ووتّد الشخصُ في بيته أقام فيه وثبت. ومصطلح البيت الشعريّ يحيل إلى البيت بمفهومه المكانيّ المادّيّ، ومِصْراعا البيت يُحيلان إلى مصراعيْ الباب. والشاعر يدخل إلى قصيدته كما يدخل بيتَه حريصا على أن يكون لدخوله كامل المعنى والجمال.. وإذن، فالقصيدة بهذا التصور، هي بيت الشاعر لأنّها بيت المعنى، وهي قبر الشاعر أيضا لأنّه يخلُد بها وينتصر على الموت.

ونعتقد أنّ البرهوميّ قد وجد في الكتابة الشعريّة ملاذه، وأدرك في القصيدة نحوًا من أنحاء الإقامة والسكنى في الوجود، بها يقاوم فوضى الأشياء في مملكة الكون، وينتصر على عدميّة الموت ويقبض على المعنى المخاتل، ويعلن قيام مملكة الكلِم انتصارا على السأم، ويقيم فيها عرش الورق على أنقاض عرش الأرق، ويتوّج بتاج الأدب لا تاج الذهب.

فالذات التي ارتسمت صورتها قاتمة، موهنَة، سلبيّة في قصيدة "اليتيم" (ص116)، والتي تجمع إلى اليُتْم كآبة وسأما، ومعاناة، وغربة، وشذوذا، وهامشيّة ولا جدوى، حتى ليصبح الموت أمنيةَ أمانيها، هي التي تجعل من القصيدة فضاء ثورتها وطقس غنائها وإصرارها (**قصيدة محمّد الدرّة:** تتكرّر اللازمة "**سأكتب في كلّ لحظة قصيدة**" ثلاث مرات).

إنّ صراع الذات مع المكان في هذه المجموعة تأجّج منذ البداية من خلال عنوانها المثير: مملكة الشيء، وانتهى بنا إلى الحكمة منه: استعادة مركزية الإنسان في العالم؛ ذلك أنّ العالم يحتاج ليظهر، إلى الإنسان الذي يستعيد مملكته من قبضة الشيء.. من قبضة العدم..

III-الخلاصـــــة:

- يحمل المكان في تجربة البرهوميّ الشعريّة ملمحا واحدا: ملمحا تراجيديّا مأساويّا ترى في تقاطيعه سيماء الضياع والانقطاع: فهو المتاهة، والخواء، والموت. ولعلّ ظاهرة التزامن التي وسمت ولادة عدد من قصائده وما شهدته قصائد أخرى من تعاقب سريع في زمن إنشائها يومئ إلى حالة قلق شعريّ منتج من جنس القلق الإبداعيّ الذي تتحلّب معه القريحة الشعريّة فتنثال النصوص انثيالا، وإن كان هذا الأمر لا يخلو -في تصوّرنا- من مآخذ تتعلّق بشعريّة النصوص في ذاتها، فقد أثّرت ولاداتها المتسارعة في قوّة الخطاب وكثافة الإيحاء الشعريّ فأضعفتهما، واقتربت اللغة من الخطاب اليوميّ المباشر اقترابا شديدا أفقدها كثيرا من شعريّتها.
- يمكن أن نعتبر أنّ رحلة التيه الوجوديّة التي تخوضها الذات بحثا عن القرار والسكون بما هو سكينة وطمأنينة وامتلاء، وما تنتهي إليه في كلّ مرّة من فراغ وخواء وعدم، قد قادت الشاعر إلى انتباذ مكانه الأصيل الحصين الذي تتحقّق له فيه جِماع القيم والمعاني التي ينشدها. هذا المكان هو القصيدة نفسها. أليست القصيدة هي حركة الشاعر وقراره، منفاه وداره، وجسده الآخر الذي ينفخ فيه من روحه، وينفث من صدره بعبارة الشابي، وقبره الذي يحتفظ بوجه من وجوه سيرته في الحياة والفنّ معا ؟ ولعلّنا أن نجد في نص التوطئة الثانية، وهو من النصوص الموازية التي صدّر بها الشاعر مجموعته، مصداق ما انتهينا إليه، وهو قول الناقد وهب روميّة من كتابه "الشعر والنقد":

"أيّها الشعرُ، يا يمامةً من برق وغمام، هَبْني بعضَ صوتك فأنعتَك به، أو بعضَ ريشك فأطيرَ به إليك".

هكذا يمكننا أن نعيد قراءة عنوان المجموعة (**مملكة الشيء**) في ضوء نور نصوصها الكاشف لزاوية معتمة من الوجود، فيُطلّ التصحيف بوجهه لينبّهنا إلى حقيقة الشعر ووظيفة الشاعر وهو يلهو باللّغة ليعيد ترتيب العالم من حوله، ويعيد بناء المعنى وتصحيح المفهوم والقيمة، فنرى بوضوح كيف تغدو نصوص المجموعة أشبه بطقس عبور من مملكة الشيء إلى مملكة الشعر.. حيث **المملكة** وجه آخر **للكلمة**، وحيث **الملِك** قلْبٌ **للكَلِم**، وحيث **العرش** تصحيف **للشعر**.. إنّنا إذا فهمنا المعنى على هذا النحو، **سيغدو**

الشعر وحده الملاذ الذي ينقذنا من رعب الوجود، وهول الغياب، ويكتنفنا بقوّة الحضور الدائم .. فنردّد مع درويش جملته الشعريّة الفذّة:

هزمتْك - يا موتُ - الفنونُ جميعُها..

المصادر والمراجع:

- أمينة رشيد، السيميوطيقا مفاهيم وأبعاد، مجلة فصول، العدد 3، المجلد1، 1981.
- عبد الله إبراهيم وسعيد الغانمي وعواد علي، معرفة الآخر مدخل إلى المناهج النقديّة الحديثة ، ط1، المركز الثقافي العربي، بيروت، 1990.
- عبد الله الغذامي، الخطيئة والتكفير من البنيوية إلى التشريحيّة، ط3، دار سعاد الصبّاح - الكويت، 1993.
- لطفي البرهومي، مملكة الشيء، ط1، دار سوتيبا، 2013.
- قاسم، سيزا: القارئ والنص «العلامة والدلالة»، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، 2002.

تأثير المحتوى السلبي المنشور عبر خاصية البث المباشر لتطبيقي فيسبوك وتلجرام على القيم الأخلاقية دراسة وصفية تحليلية

The Negative Content Posted Via Live Video Feature of Facebook and Telegram and its Influence on the Ethical Values: A Descriptive Analytical Study

أ.د. ناجي علي الصناعي (أستاذ الفكر الإسلامي ومناهج البحث العلمي المشارك كلية العلوم التطبيقية والتربوية بالنادرة/ جامعة إب.)
البريد الالكتروني: nag774254176@gmail.com

ملخص:

تنتمي هذه الدراسة لحقل المعرفة النظرية للانتربولوجيا الفلسفية, وتهدف إلى بيان تأثير المحتوى السلبي المنشور عبر خاصية البث المباشر لتطبيقي فايسبك وتلجرام على القيم الأخلاقية, وذلك من خلال بيان ما هية المحتوى السلبي وآلية عمله ونظريات صياغته, وتأثيره السلبي على الفئات المستخدمة لهذه التطبيقات, ومخاطره على القيم الأخلاقية الفردية والأسرية والمجتمعية والإنسانية والحضارية. وقد استخدمت هذه الدراسة المنهجية الوصفية التحليلية لمناسبتها لموضوع الدراسة.

وخلصت الدراسة إلى جملة من النتائج والتوصيات أهمها: أن للمحتوى السلبي المنشور عبر خاصية البث المباشر تأثيراً سلبياً على القيم الأخلاقية في جميع المجتمعات دون استثناء, وأن من الصعوبة بمكان وضع الرقابة الصارمة على المحتويات السلبية المنشورة عبر هذه الخاصية خصوصاً وأنها في حالة تنامي مستمر. وتوصي هذه الدراسة بمزيد من الدراسات الأكاديمية التي تعنى بتأثير المحتويات السلبية في وسائل التواصل الاجتماعي الأخرى على القيم الأخلاقية والمجتمعية والإنسانية والحضارية ومجالات الحياة كافة, وتفعيل دور المؤسسات الرسمية والمجتمعية بمخاطر المحتويات السلبية على القيم الأخلاقية والاجتماعية والثقافية والحفاظ على هذه القيم باعتبارها من مكونات الهوية الإنسانية والحضارية.

الكلمات المفتاحية: التأثير, خاصية البث المباشر, التلجرام والفيسبوك , القيم الأخلاقية

Abstract: The study aims to elucidate the negative content posted via the Live Video feature of Facebook and Telegram and its influence on the ethical values through the elucidation of the essence of the negative content, its working processes, its formulation theories, its negative influence on these social media users and its negative influence on the ethical values of the individual, family, society, culture and civilization. The study uses the descriptive analytical methodology because it fits the study subject. The study reaches a number of results. The negative content posted via the Live Video feature of Facebook and Telegram has a negative influence on the ethical values of all the societies. It is difficult to set a creditable censorship of the negative contents posted via the Live Video feature of Facebook and Telegram. The study recommends to activate the role of society realization foundations in elucidation of the ethical values' importance as behavioral determinants of the individual and society.

Keywords: The Influence, The Negative Content, The Via Live Video Feature, Facebook and Telegram Posted, The Ethical Values.

.

مقدمة

مثلت شبكة الانترنت في العقود الثلاثة الماضية نقلة نوعية في حياة البشرية, إذ ساهمت في اختزال الزمان والمكان وقربت المسافات الشاسعة, وحققت كثير من الإنجازات العلمية الضخمة على صعيد رفاهية الإنسان, ومكنته من إدارة أعماله بصورة دقيقة, ويسرت اتصاله الدائم مع بني جنسه في الشرق والغرب, وساعدته على إدارة شؤونه المالية وتحويلاته النقدية من بيع وشراء, بيسر ودون عنى أو حاجة إلى الانتقال من مكان إلى آخر لإتمام هذه العمليات. كما ساهمت في إنشاء العديد من التطبيقات والمواقع التي سهلت الاتصال والتفاهم بين المجموعات الناطقين باللغات المختلفة أو اللغة الواحدة, فتكونت الصداقات وتبادلت الآراء والمقترحات حول الاهتمامات المختلفة, وتشكلت في الوقت نفسه المجموعات المغلقة على قاعدة الاهتمامات الخاصة والمتابعة الدائمة, وكونت هذه المجموعات مجتمعات خاصة على أساس الاهتمامات المشتركة. وظهرت معها المجموعات السلبية بمادتها المنشورة وأثرها السلبي على المتلقي في مختلف المجالات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية والقيمية الأخلاقية؛ وهو ما دأبت هذه الدراسة على مناقشته وتحديد مشكلتها بالسؤال الآتي:

مشكلة الدراسة:

1ـ ما المحتوى السلبي المنشور عبر خاصية البث المباشر في تطبيقي الفايسبك والتلجرام؟. وكيف يصنع ؟

2ـ ما تأثير المحتوى السلبي المنشور عبر خاصية البث المباشر على القيم الأخلاقية؟. وما هي مظاهره؟.

3ـ كيف يمكن الحد من تأثير المحتوى السلبي على القيم الأخلاقية ؟.

أهداف الدراسة: هدفت الدراسة إلى :

1ـ بيان ماهية المحتوى السلبي المنشور في خاصية البث المباشر لتجرام وفايسبك.

2ـ بيان مظاهر تأثير المحتوى السلبي للبث المباشر على القيم الأخلاقية.

3ـ وضع المعالجات لتفادي تأثير المحتوى السلبي على القيم الخلقية للمجتمعات.

4ـ تحصين المتلقي من المحتوى السلبي, وتعزيز القيم الأخلاقية الإيجابية والمحافظة عليها.

أهمية الدراسة:

1ـ رفد المكتبة العربية بدراسة شاملة عن تأثير البث المباشر على القيم الأخلاقية السائدة في المجتمعات الإسلامية.

2ـ تزويد المختصين من الباحثين بدراسة فلسفية اجتماعية تهتم بالحفاظ على الهوية القيمية والأخلاقية للمجتمعات الإسلامية.

3ـ تحصين الشباب المسلم من الوقوع في شاك التأثير السلبي لمواقع التواصل الاجتماعي على قيمه وعاداته وتقاليده وأصالته وإبداعه.

فرضيات الدراسة:

1ـ لا يوجد تحديد دقيق من قبل الدراسات السابقة لمكامن تأثير وسائل التواصل الاجتماعي على القيم الأخلاقية.

2ـ المحتوى السلبي المنشور عبر خاصية البث المباشر في تطبيقي الفايسبك والتلجرام فعل غائي موجه وفق نظريات إعلامية يخاطب جميع الفئات والاحتياجات لتحقيق الربح المادي.

3ـ المحتوى السلبي المنشور عبر خاصية البث المباشر في الفيسبوك والتجرام هو رسالة لها تأثير سلبي على القيم الأخلاقية.

4ـ إمكانية الرقابة على خاصية البث المباشر من قبل الجهات الرسمية وغير الرسمية, أمراً صعباً طالما هذه الجهات ليست مصدر الإنشاء.

منهجية الدراسة:

المنهجية الوصفية التحليلية لمناسبتها لموضوع الدراسة.

الدراسات السابقة:

وقفت هذه الدراسة على (30) دراسة ميدانية علمية محكمة منها رسائل ماجستير, وأطروحات دكتوراه, وأبحاث ترقيات, منشورة في مجلات جامعية ومراكز أبحاث علمية معتمدة. توزعت على أقسام علم الاجتماع والخدمة الاجتماعية, والإعلام والاتصال, والتربية وعلم النفس في جامعات العراق, واليمن, والأردن, وفلسطين, ومصر, والجزائر, والسعودية, والكويت, وسلطنة عمان.على النحو الآتي:

دراسة واحدة للطفل تحت عنوان (آثر استخدام وسائل التواصل الاجتماعي على تنشئة الطفل في المجتمع العماني الاجتماعية والنفسية والصحية) الجمعية الاجتماعية العمانية, وزارة التنمية الاجتماعية, رؤية عمل, 2020م. ودراسة واحدة للمراهقين لعبد الرحمن العمري الأبعاد الاجتماعية لاستخدامات المراهقين لوسائل التواصل الاجتماعي دراسة وصفية على عينة من طلبة المرحلة الثانوية بمدينة جدة, مجلة جامعة عبد العزيز, المجاد(26) العدد(3), 2018م.وحظيت الأسرة بأربع دراسات هي: دراسة فتحية باحشوان(آثر شبكات التواصل الاجتماعي على والعلاقات الاجتماعية والأسرية) ,مجلة جامعة حضرموت للعلوم الإنسانية, العدد(2), المجلد(12), ديسمبر 2015م. ودراسة مريم الواطلي وسعاد حمدوش(استخدام وسائل التواصل الاجتماعي وآثره على العلاقات الأسرية لأستاذ الجامعي) دراسة ميدانية على عينة من أساتذة كلية العلوم الإنسانية جامعة محمد الصديق بن يحي, جيجل , الجزائر, 2018م. ودراسة نسرين عبود(تأثير مواقع التواصل الاجتماعي على التواصل الأسري) دراسة ميدانية على عينة من أسر مدينة عين البيضاء, جامعة أم البواق, الجزائر, 2018م.ودراسة دعاء عمر كتانة(وسائل

التواصل الاجتماعي وأثرها على الأسرة دراسة فقهية) جامعة النجاح الوطنية, فلسطين, 205م. وسبع دراسات في قيم الشباب وسلوكياتهم هي: دراسة نجاح البهارنه وصفاء عبد الجبار(أثر مواقع التواصل الاجتماعي على القيم لدى الشباب الأردني من وجهة نظر طلاب الدراسات العليا جامعة مؤتة) مجلة الجامعة الإسلامية, العدد(3) نوفمبر 2022م. دراسة محمد عبد الحميد هلال(تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على اتجاهات وقيم طلبة الجامعات دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة الملك فيصل) مجلة روافد للدراسات في العلوم الاجتماعية والإنسانية, العدد(4), المجلد (4), ديسمبر 2020م. ودراسة أسماء مصطفى(استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وانعكاسها على تشكيل قيم الشباب الجامعي) مجلة كلية الإعلام جامعة جنوب الوادي, العدد(8), الجزائر, 2017م. دراسة أحمد قاسم مطرود(مواقع التواصل الاجتماعي وانعكاساتها على سلوك الشباب الجامعي) دراسة اجتماعية مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية, المجلد(28), العدد(5),2020م. وأربع دراسات في ظاهرة الطلاق هي: دراسة بشار عبد الرحمن مطهر(اتجاهات المتزوجين الأردنيين نحو مواقع التواصل الاجتماعي في انتشار ظاهرة الطلاق دراسة مسحية) دورية إعلام الشرق الأوسط ,. العدد(13) خريف 2017م, ودراسة زينب صلاح وموح عراك (وسائل وعلاقتها بزيادة ظاهرة الطلاق دراسة نظرية تحليلية) مجلة جامعة بابل, المجلد(26) العدد(9) 2018م. ودراسة عائشة غرابلي وسهام حرز الله (وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها في التفرقة بين الزوجين الفيسبوك أنموذجاً) الملتقى الدولي التاسع, قضايا الأسرة المسلمة المعاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية, جامعة باتنة الجزائر 2019م. ودراسة عبد الله المهايرة وأمل حسون(القدرة التنبؤية لدرجة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي ومستوى الصلابة النفسية في الطلاق العاطفي لدى عينة من المتزوجات العاملات في جامعة اليرموك) مجلة الأردنية للعلوم التربوية, المجلد(17, العدد(3) 2021م). واثنتين في العلاقات الاجتماعية, دراسة حنان الشهري(أثر استخدام شبكات التواصل الالكترونية على العلاقات الاجتماعية الفيسبوك وتويتر أنموذجا دراسة ميدانية على طالبات جامعة عبد العزيز بجده) 2013م. أحمد علي البدوي (مواقع التواصل الاجتماعي وأثرها على العلاقات الاجتماعية) المجلة العربية للعلوم ونشر الأبحاث , الكويت, 2018م. ودراسة واحدة للقيم الاجتماعية لحسن المبارك(مواقع التواصل الاجتماعي وأثرها على القيم الاجتماعية لدى طلاب جامعة الإمام المهدي الفيسبوك أنموذجاً) السودان,2020م. والهوية الثقافية لسعاد بلعيد (أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية) دراسة على عينة من الطلبة بجامعة مستغانم الجزائر ,2015م. ودراسة صامتة كساس (الاستعمال اللغوي وسائل التواصل الاجتماعي عند الشباب العربي الواقع والأسباب والآثار) مجلة إشكالات اللغة العدد(3), المجلد (8), 2019م. وسنبين ما تميزت به دراستنا عن هذه الدراسات في المبحث الأول.

هيكل الدراسة: تكونت الدراسة من مقدمة وثلاثة مباحث وخاتمة بالنتائج والتوصيات على النحو الآتي:
تضمن المبحث الأول: التعريف بمفاهيم ومصطلحات الدراسة وفيه ثلاثة مطالب
المطلب الأول: التأثير والمحتوى السلبي المطلب الثاني: خاصية البث المباشر وتطبيقي الفيسبوك والتلجرام
المطلب الثالث: القيم الأخلاقية
المبحث الثاني: المحتوى والمستخدمون
المطلب الأول: تحليل محتوى الدراسات السابقة المطلب الثاني: نظريات صياغة المحتوى
المطلب الثالث: المستخدمون والفيسبوك والتلجرام
المبحث الثالث: المحتوى السلبي ومظاهر التأثير
المطلب الأول: الاستغلال الجنسي للأطفال المطلب الثاني: اللذة والألم
المطلب الثالث: الخيانة الالكترونية والطلاق العاطفي المطلب الرابع: الدعارة الالكترونية
النتائج والتوصيات
المصادر والمراجع

المبحث الأول: المحددات المفاهيمية للدراسة

المطلب الأول: التأثير والمحتوى السلبي

أولاً: التأثير في اللغة والاصطلاح: التأثير أسم فاعل من أثر يؤثر تأثيرا, وهو إحساس يحدثه شيء ما, وإبقاء الأثر في الشيء, والعلاقة الدالة على وجوده في العقل والقلب والمشاعر تجاه واقعة معينة. بمعنى آخر ذلك السلوك الناتج عن تفاعل المستخدم مع المحتوى المقدم كرسالة سلبية أو إيجابية يتوقف عليها التأثير (سعاد بلعيد, 2015, ص23). وهو كذلك الأثر القريب أو البعيد الذي يبقى في سلوك الفرد بعد غياب المحتوى والرسالة؛ فإن كان المحتوى إيجابياً كانت النتيجة إيجابية والعكس.

ثانيا: المحتوى : هو المضمون الذي يحمله أي عمل أو رسالة تكون ذا قيمة سلبية أو ايجابية ويشمل المعلومات والتجارب والخبرات والمشاهدات, التي تقدم عبر وسائط مثل الانترنت والمواقع والتقنيات الالكترونية والتلفاز والكتب والصحف والمجلات والأقراص المضغوطة وغيرها. ومع تطور التكنولوجيا الحديثة وظهور التطبيقات الالكترونية المختلفة, تطورت صناعة المحتويات واستبدلت المحتويات الورقية بالمحتويات الالكترونية الأقل كلفة والأكثر سعة والأسهل تصميماً وفق خطوات تتمثل بتحديد الفئة والشريحة الاجتماعية المستهدفة والجمهور الذي يراد مخاطبته, وتحديد أهداف المحتوى ونوعه, والوسيلة المناسبة, ومن ثم تقديمه كمحتوى سلبي أو إيجابي. ومع زيادة التقدم في مجال الاتصالات وتقنية المعلومات والحواسيب والهواتف الذكية صار بإمكان الشخص العادي بمجرد امتلاكه بريد الكتروني

وحساب في الفايسبك والتلجرام أن ينشئ محتوى سلبي أو إيجابي وفق الخطوات المحددة للفايسبوك وهي: استخدام أدوات مشاركة القصص المتنوعة الخاصة بالمشترك, أو صاحب الحساب مثل facebook live, والمقالات الفورية, ومقاطع الفيديو, والقصص والتوصيات وتقنية 360 درجة لوضوح الصور. واستخدام وسائط عالية الدقة للصور ومقاطع الفيديو, ويظهر تأثير الوسائط الفنية على الأجهزة بشكل فوري, وليس لها أي جوانب سلبية ملموسة. واستخدام أكثر من قالب باستخدام محرر أنماط محدث, ويمكن أن تتضمن صفحة الفايسبك الواحدة قوالب فورية مختلفة لأقسام مخصصة رياضة سياسة تجارة نمط حياة. وذلك بتحديث صفحة المشترك الرئيسية وتحميل وإنشاء ونشر محتوى وإدارته والحصول على ردود البريد الوارد وتحقيق الأرباح.وتتمثل أنواع المحتوى الرقمي , بالانتو جرافيك ومحتوى cat وتحضيري ومقاطع فيديو ودروس تعليمية ورسوم بيانية وصور ورسومات (صفحة الفايسبك).

وتبدو عملية إنشاء محتوى في التلجرام أكثر سهولة بوقت لا يتجاوز ثلاث دقائق, بتوفر جهاز اندرو يد وتثبيت تطبيق التلجرام, وفتح القلم وظهور الخيارات والضغط على زر إنشاء قناة وتسمية القناة, وتحديد نوع القناة ـ خاصة لا يتمكن أحداً من العثور عليها إلا بموافقة المنشئ لها, وعامة يمكن لأي مشترك في التلجرام أن يحصل عليه ـ ثم إضافة المشتركين حيث يمكن إضافة 200 عضو وبعدها قد يصلون إلى ثلاثون ألفاً(صفحة تلجرام). على الرغم من أن شركة الفايسبك قد وضعت بعض الإرشادات للسلوك الأمن والمحترم بوضع مجموعة من احتياطات الأمان بعدم نشر, العري والنشاط الجنسي, والعنف والأعمال الإجرامية والمضايقة والإساءات, وخطابات الكراهية والعنف, وإيذاء الذات والانتحار، إلا أنها لم تتمكن من حجب هذه المحتويات واكتفت بطلب الإبلاغ عنها, الذي لا يجدي نفعاً.

ثالثاً: المحتوى السلبي: هو كل محتوى يهدف إلى نشر الرذيلة والفوضى والشذوذ والإضرار بالقيم الأخلاقية بأي وسيلة كانت, ويخرج عن قواعد ومبادئ وقيم المجتمعات الإنسانية وقيمها الأخلاقية والحضارية, ولا يراعي الخصوصيات الدينية والاجتماعية والأخلاقية للمجتمعات البشرية. وقد قسمناه إلى أربعة أقسام تبعاً لتأثيره على فئات المجتمع وشرائحه. القسم الأول: ويستهدف الأطفال والثاني: يستهدف المراهقين والثالث: يستهدف الشباب, واالرابع: يستهدف الشيوخ.وكلها تمثل صور ومقاطع وأفلام وفيديوهات قصيرة وطويلة بالصوت والصورة, وقصص مقروءة ومكتوبة وإرشادات تتحسس قضايا يستحي الإنسان أن يتحدث بها.

المطلب الثاني: النشر عبر خاصية البث المباشر في الفيسبوك والتجرام

أولاً: البث المباشر (النشر): خاصية البث المباشر هي ميزة نشر وتثبيت المقاطع والفيديوهات والقصص والكتابات والأفلام والمنشورات التي قد تصل مدتها إلى ثمان ساعات, وتصل مساحتها إلى 2 جيجا بايت. وهي خاصية ظهرت على موقع الفايسبك عام 2015م بهدف زيادة حجم التفاعل والمشاركة بين

الجمهور وتطبيق فاسيبك, فقد أرتفع جمهور المستخدمين للفايسبك بعد إضافتها بعامين إلى 2و2 مليار مستخدم خلال العام الواحد, ويرتاده باليوم الواحد 1,4 مليار مستخدم بحسب إحصائيات عام 2017م (عصام عبد السلام, 2020, ص20).

وقد زود موقع الفايسبك مشتركيه عبر تطبيق جوجل بجملة من الإرشادات والتوجيهات والخطط لما يجب عمله لتحسين دقة البث قبل وبعد البث المباشر , وأثناء البث وعند بدئه بتوفر الاتصال الفوري عبر wifi أو من خلال واجهة apt live وكتابة وصف جذاب قبل البث ليتفاعل الجمهور. ومنح الوقت للأشخاص للانضمام إلى بثك المباشر, ومطالبة الصفحات ذات الصلة بمشاركات الفيديو أثناء البث, والتفاعل مع المشاهدين بطرح الأسئلة والتعليق عليها, وإدارة المحادثة أثناء البث باستخدام التعليقات المثبتة, والحرص على البث لفترات زمنية طويلة للحصول على أكبر قدر من الأشخاص؛ فكلما زادت فترة البث زاد عدد الأفراد المستكشفون للفيديو ويوصي فايسبك أن لا تزيد فترة البث عن عشر دقائق إلا أنها تصل بالواقع إلى أربع ساعات. والتمهيد لنهاية البث وبدء بث آخر, والتمهيد لنهاية البث وبدء بث تال. أما بعد انتهاء البث فيتم تزويد المشترك بخيارات حذف الفيديو أو نشره في الملف الشخصي, وتوصي الشركة بالإبقاء عليه ليتمكن الأشخاص الذين لم يتمكنوا من مشاهدته أثناء البث المباشر بمشاهدته في وقت لاحق. ويتمكن المشاهدون من مشاركة البث, الأمر الذي يساعد على زيادة حجم المشاهدات الإجمالية. كما أوصت الشركة بإتباع أفضل الممارسات والتقنيات لإنشاء فيديو بث مباشر ومشاركته, وذلك بالاهتمام بأول بضع ثوان للفيديو وجعلها جذابة للأشخاص للمشاهدة. ومراقبة بدء الفيديو هل جذب المشاهدين أم لا؟. واستخدام الرسوم والصور والتعديلات اللازمة لتقديم عناصر بث بصرية مميزة.واستخدام الشروح التوضيحية المغلقة بالنسبة للمشاهدين الذين لا يحبذون الصوت. وهي شروح توضيحية تم إنشائها ثقافيا وترجمة إلى لغات عدة يمكن تنسيقها في أدوات النشر بصفحتك, والتعرف على تقنية جذب المشاهدين باستخدام تقنية 360 درجة وحفظها, والاهتمام بالمحتوى المقدم واستخدام السرد النصي أو مضيف أمام الكيمرا, واستخدام تقنية 360 درجة للصوت واستخدام الدليل لحفظ التوازن في توجيه المشاهدين ومنحهم حرية المشاهدة وهو متوفر بشريط أدوات النشر و التفكير ببدء توقيت الاتصالات من شهر لأخر وتضمين عناصر الاستكشاف والمفاجئة واستخدام النص لتعزيز الفيديو .

ثانياً: تطبيق الفايسبك: هو تطبيق تطور عن تقنية الجيل الثاني من (web.2,0) المنبثقة عن تقنية الجيل الأول(web.1,0) لشبكة الانترنت التي يرجع ظهورها للأغراض العسكرية لوزارة الدفاع الأمريكية عام 1969م حيث قامت بتصميم نظام للمراقبة والرصد سمي الاربانت (arpant) وقسم إلى قسمين الأول للأغراض العسكرية والثاني للأغراض غير العسكرية عام 1984م(مريم لواطلي,201م,ص45). وما

زالت وزارة الدفاع الأمريكية توظف وسائل التواصل الاجتماعي لخدمة الدعم العملياتي لوزارة الدفاع عن طريق رصد وتحليل المعلومات ودعم المعلومات الإستخباراتية عن الأعداء المحتملين لأمريكا ومواقعهم الجغرافية وهياكلهم التنظيمية ومجالات نشاطهم ومراقبة منشوراتهم وتوجهاتهم والدعم الموجه لهم ضمن ديمجغرافيا محددة (www.randa.org/t/rri/174r.2017). والفيسبوك موقع خاص أسسه طالب جامعة هارفارد مارك زوكيربيرج (Markzokerperg) عام 2004م , وأصبح أصغر ملياردير في العالم بعد إنشاء هذا الموقع. ويتميز بسهولة فتح حسابه على الشبكة من خلال رقم الهاتف أو البريد الالكتروني, ويحتوي على خدمة لوح الحائط, والملف الشخصي, إرسال الرسائل والتعليقات, والحالة, وإنشاء المجموعات وإضافة الأصدقاء, والنكزة, والألعاب, وخاصية البث المباشر التي أدخلت عام 2015م(عائشة غرابلي,2022,ص65).وقد سبق الحديث عنها.

ثالثاً: تطبيق التلجرام: هو تطبيق حر ومجاني ومفتوح المصدر ـ يدعم كافة الملفات ـ للتراسل الفوري. جرى تاسيسه من قبل الأخوين بافل دوروف ونيكولاي دوروف مؤسسا موقع فولنتاكي تلفون في 14 أغسطس عام 2013م للأغراض الأمنية, ويتخذ الأمارات العربية مراً رئيسياً له. وترتبط حسابات التلجرام بأرقام الهواتف والرسائل القصيرة التي تأتي إلى الهواتف من المصدر بعد تسجيل الدخول. وتتميز خدماته بإرسال واستقبال الرسائل والملفات والمقاطع والصور والفيديوهات التي قد يصل حجمها إلى (2) جيجا بايت, في المجموعات التي ينشئها ويشفرها مشرفوا المجموعات بين المستخدمين, أو يتركونها عامة, وقد يصل إغضاء المجموعة الواحدة إلى 23 أف مشترك, وقد بلغ عدد مستخدمي تطبيق تلجرام حوالي (1و1) ملون مستخدم بعد حظره في روسيا وإيران(wikibida)

المطلب الثالث: القيم الأخلاقية

القيم هي مجموعة من الاعتقادات الراسخة لدى الأفراد لتفضيل أنماط من السلوكيات في التعامل مع الأشياء والأشخاص, وتظهر على شكل اتجاهات معيارية يستدل على معناها من خلال الاتجاهات التفضيلية والانتقائية من سلوك الفرد اللفظي أو العملي إزاء المواقف المختلفة التي اكتسبها خلال البيئة التي يعيشها. وهي كذلك معتقدات الفرد وأفكاره التي تقف وراء خياراته من خلا نمط التربية السائد في المجتمع الذي يعيش فيه(حسن الفاتح,2020,ص24).

والقيم الأخلاقية كمحددات للسلوك تنمو مع نمو الإنسان في المحيط الأسري والاجتماعي, وتزداد تمثلاً كلما زاد تأثير المحيط الاجتماعي بالفرد, وتقل كلما قل المحيط الاجتماعي والأسري المحيط بالفرد. فكلما أنعزل الفرد عن محيطه الاجتماعي وعزل نفسه عن أفراد أسرته زادة خصوصيته, وقلت اجتماعيته وزادت غرائزه ولم يتبقى إلاّ ضميره الأخلاقي, المرجعية التي تقيه من الانحراف عما هو مرغوب في

المجتمع. ويمكن تقسيم القيم الأخلاقية إلى قيم فردية, مجتمعية, مهنية, وروحية دينية, وهي فرائض إلزامية ونواهي عما يجب ولا يجب وتمثل المثل العليا.

المبحث الثاني: المحتوى والمستخدمون

المطلب الأول: تحليل محتوى الدراسات السابقة

أولاً: صياغة العناوين وتوصيف المتغيرات: تشابهت معظم الدراسات السابقة في اختيار عناوينها من متغيرين أو أكثر. واتفقت في المتغير المستقل أثر وسائل التواصل الاجتماعي؛ واختلفت في المتغير التابع الفئة الاجتماعية ومحتوى التأثير, فمنها من حصر المحتوى في فئة محدد الأطفال المراهقين الشباب وخص المحتوى بقيم الطلبة, وقيم الشباب, قيم الأسرة والمجتمع والعلاقات الأسرية والاجتماعية الطلاق العاطفي, وغيرها من الظواهر. كما تباينت في التوصيف المفاهيمي لهذه التكنولوجيا ومكامن تأثيرها, فالبعض يسميها مواقع, وأخر يسميها برامج وسائل وثالث يسميها شبكات, وقد يرجع ذلك إلى كون هذه التكنولوجيا حديثة وذات تطور متسارع.

ثانياً: صياغة الأهداف: اتفقت معظم الدراسات أن هدفها بيان التأثير الإيجابي لوسائل التواصل الاجتماعي والتأثير السلبي من استخدام تلك الوسائل, وجعلت تأثيرها مرهون بمقدرة المستخدم على استخدامها, ورغبته في استخدامها سلباً أو ًيجاباً, وهذا كان في بداية أمر هذه الوسائل لما كانت الشركات المؤسسة تتحكم في المحتويات؛ أما الآن فقد زال التحكم وأصبح بمقدور الفرد أن يصمم محتوى وينشره بدون الرجوع لموافقة الشركة المنشئة, هذا من جهة, ومن جهة آخري تطورت الهواتف الذكية وزاد انتشارها ورخصت أثمانها وأصبحت بمتناول جميع الفئات دون استثناء.

ثالثاً: العينات المبحوثة: على الرغم من أن معظم الدراسات السابقة قد استخدمت العينات المتطابقة وغير المتطابقة, وشملت الجنسين الذكور والإناث في مختلف المراحل العمرية والدراسية طلاب وطالبات ثانوية وجامعيون وطلاب دراسات عليا وأساتذة جامعيون وعاملات في سلك التدريس, إلاّ أن هذه العينات لا تعكس بالضرورة التعبير عن رأي جميع أفراد المجتمع عن تأثير هذه الوسائل على الفئات العمرية ذاتها وعلى المجتمعات؛ لأنها في العاملين في مهن التدريس زالطلاب والطالبات في مختلف المراحل التعليمية, ولم تشمل عينات آخرى تمثل كل الشرائح الاجتماعية, فضلاً عن كون هذه الفئات هي أكثر الفئات استخداماً للتطبيقات الالكترونية.

رابعاً: الأدوات والبيانات: استخدمت الدراسات السابقة في الغالب الاستبيانات والمقابلات وفيها أسئلة وفقرات أعدت مسبقا ولا تعكس بالضرورة رأي الفئات المبحوثة, بقد رما تعكس وعي مصمميها بالظاهرة, وتعبر عن رأي الباحث أو الباحثة والمبحوثين ولا تعبر عن رأي باقي فئات المجتمع والمستخدمين لهذه التطبيقات؛ فالمبحوث هنا أسير هذه الفقرات والباحث ملزم بتحليل ما توصل إليه من

بيانات وأرقام, قد لا تعبر بالضرورة عن صدق المبحوثين. ناهيك عن كون هذه الأدوات مرتبطة بفترة زمنية محددة هي فترة كتابة البحث من قبل الباحث أو الباحثة وهي فترة قصيرة نسبياً. وظاهرة تأثير التطبيقات على القيم الاجتماعية أو الأخلاقية الدينية تحتاج إلى استخدام منهج الملاحظة والمراقبة لأن التغييرات القيمية تحتاج إلى وقتاً طويلاً نسبياً ومجتمعاً أوسع من عينة البحث. وقد تحتاج هذه التأثيرات إلى فترة طويلة تكاد تماثل عمر هذه التطبيقات؛ لكي يصل الباحث أو الباحثة إلى تحليل دقيق لتأثير هذه التطبيقات على القيم والسلوكيات الأخلاقية والقيمية.

خامساً: النتائج والتوصيات: خرجت الدراسات السابقة بنسب طيبة لتأثير التطبيقات الاجتماعية على الأسرة من حيث التفرقة بين الزوجين والطلاق والهجران المتبادل بين الزوجين, وإن لم تعبر عن كل التأثيرات الناتجة عن استخدام هذه التكنولوجيا المتعلقة بالتطبيقات. كما خرجت بنتائج وتوصيات كانت في مجملها مفيدة.

سادساً: مواطن الاستفادة من الدراسات السابقة وتميز دراستنا عنها: استفادة دراستنا من هذه الدراسات بالنتائج الإحصائية لتأثير الفيسبوك على القيم الاجتماعية والأسرية, ودوافع استخدام الفئات المختلفة للفيسبوك, ومداخل دراسة تاثير استخدام الفيسبوك ممثلة بالنظريات الإعلامية لصياغة المادة الإعلانية. غير أن دراستنا قد تميزت واختلفت عن الدراسات السابقة في الآتي:

1ـ بينة ما هية المحتوى السلبي وبينة وسيلته وحصرته بخاصية البث المباشر, في أكثر تطبيقين يستخدما في العالم وهما فيسبوك وتلجرام, ولم تتركه مفتوحاً أو يتناول كل التطبيقات كما عملت الدراسات السابقة.

2ـ حصرت التأثير في أهم مقوم حضاري لبناء المجتمعات وهو القيم الأخلاقية المتمثلة بالمثل العلياء والسامية لبناء الشخصية الفردية والمجتمعية والحضارية الإنسانية, بهدف حمايتها والحفاظ عليها, ولم تتطرق إليها أياً من الدراسات السابقة.

3ـ حللت المحتوى السلبي المنشور عبر خاصية البث المباشر في تطبيقي فيسبوك وتلجرام تحليلاً دقيقاً وفق نظريات الاتصال الإعلامي الموجه, وبينت الفئات التي يخاطبها هذا المحتوى. وهذا ما لم تتطرق إليه الدراسات الأخرى.

4ـ صنفت القيم الأخلاقية بحسب مؤسسات إنشائها ونسقها القيمي, وبينت مظاهر تأثير خاصية البث المباشر على كل قيمة أخلاقية تنشى لدى الفرد والأسرة والمجتمع والإنسانية, وهو ما لم تتطرق إلية الدراسات السابقة.

5ـ قدمت رؤية وقائية مستقبلية تتميز بالأصالة والجدة, لتعزيز القيم الأخلاقية والحفاظ عليها خدمة للجنس البشري وحماية له من الانقراض.

المطلب الثاني: نظريات صياغة المحتوى

منذ ستينيات القرن الماضي عكف طابور طويل من المتخصصين الإعلاميين على تطوير نظريات ثابتة للفعل الإعلامي يتبلور من خلالها ليلبي تطلعات المشاهد ويوجه اهتماماته. وهي نظريات تطورت مع تطور وسائل الاتصال وتكنولوجيا المعلومات, وهي على النحو الأتي:

1ـ النظرية التفاعلية الرمزية: تنظر إلى الإنسان من خلال الأدوات الرمزية الذي يقدمها تجاه الآخرين من خلال وموز اللغة والاتصال الرمزي للتعبير عن أفكارهم وهي ميزة يشترك بها الإنسان والحيوان, وان هذه التفاعلية تسير وفق القواعد والمعايير الذي يمارس الأفراد سلوكهم بموجبها, ويلعب العامل الزمني دورا أساسياً فيها ضمن مقياس مدى الفائدة والربح والتوفير والتبذير للأشياء المادية والمعنوية في منطقة جغرافية معينة وتحليل مجال التفاعل وإبعاده (المهارنة, 2022, ص215). وهذا يعني توجيه المحتوى المنشور لخدمة الفائدة والربح.

2ـ نظرية الغرس الثقافي: ظهرت هذه النظرية في ثمانينيات القرن الماضي في الولايات المتحدة الأمريكية, وتدرس قدرة وسائل الإعلام والاتصال في التأثير على إدراك الأفراد للحقائق المحيطة بهم وغرس المفاهيم الجديدة والقيم الثقافية الجديدة بدلاً عن القيم السائدة وهي نظرية طورها جورج جربير عن نظرية الاعتماد على وسائل الاتصال لفلين دي ليفر وتعتمد هذه النظرية على ركيزتين أساسيتين هما الأهداف والمصادر, وأن الأفراد يتوجهون بفعل الأهداف والمصادر لتحقيق الفهم والتوجيه والتسلية, فوسائل الاتصال ـ وفقاً لهذه النظرية ـ تقدم للفرد معلومات لا يستطيع الاستغناء عنها؛ لأنها تحقق له هذه الأهداف الثلاثة, وفقاً لمصادرها. ولما كانت مصادر وسائل الاتصال وهذه التطبيقات غربية, فأنه يمكن توجيه هذه التطبيقات لنشر وخدمة القيم الغربية وغرس مفاهيمها عن الحياة وعن متطلباتها بالصورة التي يراها أصحاب هذه التكنولوجيا. وهذه النظرية في تقديرنا تعد من أهم النظريات لأنها تشير إلى مقدرة وسائل الإعلام والاتصال على تكوين صورة ذهنية في عقول الجماهير أو المستخدمين عن أنفسهم وعن الآخرين , وأحيانا تكون هذه الصورة بعيدة عن الواقع؛ نتيجة لعدم وجود الرقابة على المواد المنشورة في هذه التطبيقات, مما يؤدي إلى غموض الحقائق وتشويه المعلومات وسوء فهم للواقع. ولما كان لدى المستخدم أو الجمهور صورة مسبقة عن ذاته يحتاج تغييرها إلى وقت طويل لجاء منظرو هذه النظرية إلى تطوير نظرية الأعراف الثقافية التي تقوم على تحليل نسق الثقافة السائدة وأعرافها وقيمها, وصياغة أسئلة من واقع الجمهور ومسح اهتماماته, وعقد مقارنة بين الجمهور كثي المشاهدة والجمهور قليل المشاهدة للاستدلال على القيم الثقافية والأخلاقية السائدة حيث يضيق الاختلاف بين القيم والاتجاهات والسلوك, وبين المشاهدين على الحد الذي يعتقدون فيه أن الواقع الاجتماعي يسير على الطريقة التي تعبر عنها وسائل الاتصال(مريم لواطلي, 2015, ص38). وفقاً لهاتين النظريتين يمكن

تصميم محتوى سلبي يخاطب الأطفال ويغرس لديهم مفاهيم جديدة غير ما آلفوه من أسرهم ومحيطهم الاجتماعي.

3ـ الاستخدامات والإشباعات: ترى هذه النظرية إن الجمهور يستخدم الوسائل والمحتميات التي تلبي حاجاته وتحقق لهم الإشباعات فكلما كان المضمون ملبي لحاجاتهم كان اختيارهم له أكثر(سعاد بالعيد, 2022م, ص26).

4ـ انتشار المستحدثات لروجر: وتشير إلى تبني المجتمعات للمخترعات الحديثة, فقد أدت هذه المخترعات إلى تغيير العالم اقتصاديا واجتماعياً وثقافيا في الألفية الثالثة حيث ترى أن لكل منتج جديد أخلاقيات جديدة تفسر انتشار الأفكار الواسعة وإحداث التغيير, معتمداً على وسيلة معينة خلال فترة زمنية محددة بين أفراد نظام اجتماعي معين وتعتمد درجة الانتشار على فعالية الوسيلة والمضمون داخل النسق الاجتماعي والقيمي بحيث تنتشر الفكرة الجديدة بحسب عامل الوقت ومراحل اتخاذ القرار بشأن تبني التكنولوجيا الجديدة, فالمرحلة الأولى هي المعرفة حيث يدرك الأفراد وجود فكرة جديدة بشأن اختراع معين ويحاولوا التعرف على وظائف ذلك الشيء الجديد ويمثلها الرافضون لاستخدام التكنولوجيا الجديدة. أما الثانية فتتعلق بالاقتناع حيث يكون لدى الأفراد شعور مع أو ضد استخدام المستحدث الجديد ويمثلها المترددون.والثالثة تتعلق باتخاذ القرار بتبني المستحدث الجديد ويمثله الموافقون للجديد (نجاح المهارنة, 2022, ص214). ولتسارع وتيرة الثورة المعلوماتية في العقدين الأخيرين بالقدر الذي يصعب مراقبة محتوياتها من قبل شركات الاتصالات, فأنه يمكن صناعة محتويات سلبية تثير الغرائز وتشبع الحاجات الملحة لدى فئة المراهقين وفقا لهاتين النظريتين.

5ـ نظرية الحتمية التكنولوجية لمارشال ماكلوهان: وتشير إلى مجموعة الوسائل التي تسيطر على الإنسان وتضعف إرادته, فالتكنولوجيا جعلت من العالم قرية صغيرة يمكن خلالها لوسائل الاتصال أن تنمي أحاسيس ومشاعر جديدة وأخلاقيات حديثة, فكل وسيلة اتصال تشكل قوة باستخدامها الصوت والصورة في تفكير الفرد والأسرة والمجتمع رغم إرادته, فالجميع اليوم يستخدمون هذه الوسائل العالمية بما تحمله من محتويات لا يستطيع الفرد تجنبها (المهارنة, 2022م, ص216).

6ـ التأثير القوي لوسائل الاتصال: يعتقد أصحابها أن وسائل الاتصال تتمتع بنفوذ قوي في مخاطبة العواطف والمشاعر والغرائز التي ليس بمقدورهم السيطرة عليها بشكل إرادي, فإذا ما استطاعت وسائل الاتصال حقنهم بمعلومات معينة تخاطب هذه الغرائز فأنهم سيتأثرون بهذه المعلومات ويبحثون عنها (الشهري, 2013, ص29). بموجب هاتين النظريتين يمكن صناعة المحتوى السلبي وتوجيه المحتوى السلبي لخدمة الأغراض الترفيهية والتسلية والاشباعات الوجدانية والنفسية والشعورية والغرائزية الجنسية.

خصوصا وأن التكنولوجيا الحديثة قد تمكنة من السيطرة على إهتمامات الفرد في مرحة الشباب وتوجيهها نحو خدمة الأغراض المادية.

7ـ نظرية الشأن العام : تعد هذه النظرية من أقدم نظريات الفعل الاتصالي, وقد ظهرت في ألمانيا في ستينيات القرن الماضي وكانت فكرتها الرئيسة دحض النظرية الماركسية التي جسدت العمل واعتبره المحرك الرئيسي للفكر الإنساني, وتنسب هذه النظرية إلى هايبرماس المنتمي لمدرسة فرانكفورت للإعلام حيث يرى أن العمل وحده ليس المحرك الرئيسي للفكر, وإن اللغة المشتركة والفعل الاتصالي الذي يقسم إلى نمطين الفعل العقلاني الهادف للمعرفة العلمية, والفعل الاتصالي الموجه للوصول الفهم لمتغيرات العالم المتسارعة (الشهري, 2013, ص59).

المطلب الثالث: الفيسبوك والتلجرام والمستخدمون

ضاعفت خاصية البث المباشر من زيادة نسبة المستخدمين لهذين التطبيقين, فقد أشارت العديد من الدراسات العلمية إلى أن جميع الفئات العمرية تستخدم هذين التطبيقين بشكل شبه يومي, وأن الفئة الأكثر استخداماً هم الشباب من الجنسين الذين تتراوح أعمارهم بين(25 ـ 35) عاماً من الجنسين, وأقل الاستخدام هي الفئة العمرية التي تزيد عن (45) عاماً. وأن نسبة (48%) من المبحوثات البالغ عددهن (105) طالبة أكدن أنهن يقضين أكثر من سبع ساعات غالبيتها في الفترة المسائية من بعد منتصف الليل, وإن استخدامهن محصور في الفيسبوك بواسطة الكمبيوتر الشخصي أو الهاتف النقال, وإن الفضول وإزالة التوتر والقلق والتسلية والبحث عن الزوج المناسب أقوى دوافع الاستخدام, وأدناها هو الاستخدام في المجال التعليمي (الشهر, 2013, ص61).

كما أكدت دراسة أخرى على أن نسبة (55%) من المراهقين المبحوثين الأمريكيين لديهم حسابات على شبكات التواصل الاجتماعي ومنها فيسبوك يزودون (66%) ممن لا يشاركون مستخدمي الشبكة معلوماتهم, ويزودون الغير بمعلومات مضللة لحماية أنفسهم أولاً, وللعبث ثانياً, وأن والديهم يقومون بمراقبة حساباتهم, وإن لتطبيقي فيسبوك وتلجرام أثراً سلبياً على الشخصية لا تحققه أي تطبيقات آخري, وأن غالبيتهم لديهم اتجاه نحو الجراءة على ارتياد المجموعات والحوارات مع الجنسين, وأن غالبيتهم يضطرون إلى عدم قول الحقيقة لأباهم عن تجاربهم مع هذه التطبيقات(أسماء مصطفى, 2019, ص11).

وأكدت دراسة العزي 2018م على تنوع وسائل التواصل التي يرتادها المراهقون من الجنسين نتيجة قدرتها على تعدد الإشاعات التي يفتقدها المراهقون لأسعارها المنخفضة في العرض اليومي للمراهقين بواقع (37%) يقضون سبع ساعات في اليوم, و(25%) من المبحوثين فقط يتابعون الأخبار, و(20%) يرتادونها للتسلية وقضاء وقت الفراغ, و(75%) منهم يرتادون الفايسبوك للحصول على الصداقات

والرياضة والألعاب, والمخدرات, والأفلام الصوتية والمشاهدة. وهذه المواقع تشمل الغث والسمين وقد لا يدرك الأصدقاء آليات التمييز بين غثها وسمينها, وقد توجه المراهق إلى أمر سلبية تغريه بدافع الإشباع فتغرس لديه قيم أخرى سلبية (العزي, 2018 , ص141-144) . ولا يقتصر الحال على الفئات السابقة في استخدام هذه التطبيقات, أن الأطفال يستخدمونها بمهارة عالية قد يكون خطرها أعظم عليهم فقد حذرت وزارة الداخلية بدولة الكويت من إفراط الأطفال باستخدام هذه التطبيقات؛ لأنه يؤدي بهم إلى الفاحشة والانحرافات السلوكية, والاستغلال الجنسي ويكسبهم عادات سيئة تتعلق بتقديرهم لذاتهم وللآخرين والسخرية والاستهزاء, والتفكك الأسري وارتفاع نسبة الطلاق والتباعد العاطفي بين الزوجين, والفجوة بين الآباء والأبناء, وقطيعة الأرحام (عزيز الظفري, 2018, ص1-10).

المبحث الثالث: المحتوى ومظاهر التأثير

المطلب الأول: الاستغلال الجنسي للأطفال

تتشكل الأنا الجنسية في مرحلة الطفولة داخل المؤسسة القيمية الأولى الأسرة فيكتسب الفرد القيم الفردية التي تميز ذاته عن الذوات الآخرى, وويكتسب آداب الكلام والتحية واحترام الكبار وأصحاب المهن والمحبة والرحمة والتعاون والالتزام والطموح والإرادة ومساعدة الآخرين وغيرها من القيم الفردية. وتقع مهمة غرس هذه القيم على الأسرة باعتبارها المؤسسة الاجتماعية التربوية الأولى في المجتمع توجه الطفل نحو المعايير السلوكية الأخلاقية المتعلقة بالفعل والترك والحلال والحرام والخير والشر والصدق والكذب والتعاون والآثار والتضحية.

والطفل هنا متلقي لهذه القيم التي تربى ونشاء عليها ويتعلم المزيد. ولأن الطفل اليوم أصبح يتقن استخدام الكمبيوترات والهواتف الذكية وتطبيقات الفايس والتلجرام, فأن تأثير هذه المحتويات السلبية تأثيراً مزدوجاً على الأسرة وعلى الطفل وعلى القيم, فقد أثبتت دراسة المهابره 2021م أن الفيسبك هو المسئول الأول عن حالات الطلاق في الولايات المتحدة, و 40% من حالات الطلاق في ايطاليا, وثلث حالات الطلاق في بريطانيا, والأردن بنسبة 56% حالة طلاق من مجموع 2315 حالة طلاق (المهابرة 2021م ص380). وهذه الحالات المرتفعة للطلاق كان منشائها محتويات سلبية شاهدها الأباء وقد يشاهدها الأطفال.

ويمكن تحليل المحتوى السلبي لخاصية البث المباشر وتصنيفه إلى أربع مستويات حسب الفئة المستخدمة وهم: الأطفال المراهقون والشباب والشيوخ. فالفئة الأول(محتوى يخص الأطفال): يشمل مقاطع فيديوهات تصور الحياة الطبيعية, وفق منهج الغاب الذي تلتهم خلاله حيوانات مفترسة حيوانات آخري, حية أمام باقي أفراد القطيع. ومقاطع بث فيديوهات جنسية نصف إباحية تظهر أصحاب مهن مختلفة من الجنسين يمارسون الجنس مع زائريهم من قبيل دكتور مع مريضة, ممرضة مع مريض, طالب

مع مدرسته ومدرس مع طالبة, وشغالين وأصحاب مهن مع ربات البيوت, وجار مع جارته وسائق تاكسي مع راكبة وغيرها. ومقاطع لنساء يقبلن نساء أخريات, وأطفال ينتظرون أبائهم وأمهاتهم في مواقف هم بحاجة أليهم, والآباء والأمهات يمارسون الخيانة الزوجية لبعضهم بعضاً, ويعلم الزوجين بذلك ولا يبدون أي ردة فعل تستهجن هذه الخيانة. وقصص مكتوبة بالعامية والفصحى لاغتصاب أطفال يرويها منشئ المحتوى بأسماء مستعارة. مقاطع رومانسية لنساء يتجاوزن الستين من العمر مع مراهقين, ورجال يتجاوزون السبعون من العمر مع مراهقات, ونساء يخن أزواجهن المكفوفين وأزواج يخونون زوجاتهم المكفوفات, وأفلام كرتونية إباحية. ويبدو لي أن هذا المحتوى قد جرى صناعته وفق نظريتي التفاعلية الرمزية والغرس الثقافي. حيث يمكن أجمال تأثيرها السلبي في الآتي:

1ـ تزايد حالات الطلاق والتباعد الأسري كما أسلفنا ينعكس سلباً على تربية الأطفال فيجعلهم عرضة للإهمال والتشرد فيصبحون عرضة لشياطين الشوارع الذين يغتصبونهم ويجبرونهم على كتابة وتسجيل قصص اغتصابهم ونشرها في مجموعات التلجرام المخصصة لمتابعة الورعان كما يسميها أصحابها في تطبيق التلجرام؛ ويجري الترويج لها بين أفراد مجموعات يصل عدد مشتركيها إلى ما يقرب من عشرون ألف مشترك, فإذا ما ضربت قيم الرجولة في مجتمعنا العربي ضرب المجتمع تدريجياً, خصوصاً وأن المحتوى السلبي في تطبيق الفايسبك يمثل 30% من مجموع المادة المنشورة فية, و30% من إنتاج الأفلام الجنسية الإباحية في العالم يستهلك في الوطن العربي.

2ـ في هذا المقاطع ضرب لقيم الأنا الفردية للطفل والطفلة وما يترتب عليها من أدوار اجتماعية في المستقبل تتعلق ببناء الأسرة والمجتمع تتكون في هذه المرحلة الحرجة مرحلة الطفولة, وتتكون معها قيم الخير والمحبة والتعاون واحترام الكبار وذوي الاحتياجات الخاصة. ومقاطع من قبل الممارسات الجنسية المتبادلة لأصحاب المهن تؤدي احتقار هذه المهن ويفقد الطفل الموثوقية في أصحابها فيؤدي إلى العزوف عن الالتحاق بهذه المهن؛ وقد يشجع الطفل على خيانة المهنة في المستقبل وممارسة ما رآه من مشاهد فيما إذا تغلب على تلك الآثار والتحق بهذه المهن.

3ـ قد تشغل الأطفال وتغرس في أنفسهم روح العزلة والانطواء والخضوع والاستكانة والخوف ويقضي على إرادة الفعل والترك, لما تكرسه المقاطع المتعلقة بالحيوانات ونظام الطبيعة وغريزة الغاب, فيعمل الطفل مقارنة عقلية بين ما يراه في الواقع الذي يعشه, وبين الصورة الذهنية المتكونة لديه من مشاهدة هذه المقاطع رغم أن من يراها يعتبرها مناظر عادية , لكنها تحمل في صورها المتعددة أكثر من رسالة قيمية مؤثرة خصوصاً على الأطفال في هذه المرحلة.

المطلب الثاني: اللذة والألم

تمثل المدرسة إلى جانب الأسرة أهم مؤسسات التنشئة القيمية في هذه المرحلة إذ تعمل على غرس قيم الأمانة والاستقامة والإرادة وتحمل المسؤولية,والمحافظة على الأعراض, والبساطة والتعاطف وحب الخير والمبادرة وغيرها من القيم الشخصية. وإلى جانب ذلك تعتبر مرحلة التفكير في الزواج وبناء الأسرة واختيار كل من الجنسين شريك حياته, من واقعه الحقيقي الذي يعيشه في مجتمعه خصوصاً في المجتمعات العربية والإسلامية التي تشجع على الزواج المبكر.

يرسم المحتوى السلبي لهذه الفئة الثانية واقعاً افتراضيا غير حقيقي (يخص المراهقين):يمثل محتوىً سلبياً توجيهياً يتزامن مع مرحلة خطيرة هي مرحلة النضج الجنسي للمراهقين من الجنسين, التي تبدأ فيها علامات الرجولة وعلامات الأنوثة وتبرز بوضوح سمات وخصائص شخصية الرجل والمرأة.

وبما أن نظريتي الاستخدامات والاشباعات وإنتشار المستحدثات قد حاولت أن تعالج متطلبات واحتياجات جميع الفئات, ومنها فئة المراهقين فأنه من المحتمل أن يكون المحتوى السلبي في معظمه يحاكي الغرائز الجنسية لهذه المرحلة. ويشمل صور لمراهقين ومراهقات لا تستطيع تمييز أيهم الفتى من الفتاة؟ ومقاطع فيديوهات تزاوج حيوانات, ومقاطع جنسية حيوانات مع نساء, ومقاطع جنسية إباحية لنساء من مختلف الأعمار مع رجال بمختلف الأوضاع والأمكنة. ومقاطع جنسية إباحية شاذة من نفس النوع, ومقاطع جنسية إباحية فاضحة لمهجنين من النساء بمظهرهن الخارجي؛ يمارسن ما يمارسه الرجل بالمرأة مع رجال ممحونين لديهم كل مظاهر الرجولة, وتحمل رمزية جغرافية.

كما جرى صناعة هذ المحتويات باحترافية وإتقان لفنون الصناعات السينمائية والرياضية والإعلانية والإعلامية حيث عمدت شركات الدعائية والإعلان وصناعة الأفلام الجنسية الإباحية إلى توظيف الجمال الجسدي للمرأة كهوية أنثوية بالاعتماد على المواصفات المقاييس المثالية للجمال ألذكوري والأنثوي (عبير أحمد, 2023, ص487). وفق الخصائص الآتية:

1ـ استخدام التقنيات الحديثة في التصوير الفوتوغرافي والتلفزيوني, واختيار الفاعلين الجنسيين من الجنسين بعناية فائقة تتعلق بصغار السن, وجودة تصوير المقاطع من مختلف الزوايا والأوضاع, وإن وجد بعض التضليل لبعض المحتويات التي تم الإبلاغ عنها وما زالت تحمل عنوان مؤسس الفايسبك (Markzwekerberg).

2ـ تنوع المقاطع المنشورة بين قصير يصل إلى عشر دقائق, وطويل قد يصل إلى ثمان ساعات, وتنوع الفاعلين من مختلف الألوان والجنسيات ونشرها في الفايسبك والتلجرام حتى استأثرت هذه المقاطع والفيديوهات على 30% من المادة المنشورة في هذين التطبيقين.

3ـ توظيف عناصر الطبيعة ومناظرها الخلابة كالأنهار والجداول والواحات والمزارع والمنازل والمكتبات ودور العبادة والكنائس والمستشفيات والمدارس والطرقات والمركبات وغيرها؛ بهدف تحقيق أكبر قدر

من إثارة الغرائز الجنسية والإشباعات الفرضية للمستخدمين من مختلف الأعمار, وجعل المكان وما يرتبط به من مهن وأشخاص وقيم خالٍ من الأغراض الأخرى؛ إلاّ من الأغراض الجنسية الإباحية الذي يحقق المتعة الآنية الفرضية, والربح المادي لمنشئي هذه المحتويات. يعمل هذا المحتوى على رسم صورة ذهنية لدى المستخدمين من الجنسين عن مواصفات زوجة / وزوج المستقبل المنشود في ضوء مشاهداته لهذا المحتوى, فيذهب كليهما إلى الواقع الحقيقي بالزواج فلا يجدا أياً من تلك المقاييس والمواصفات التي شاهدها بالصوت والصورة في تلك المقاطع والأفلام التي رسمت له واقعاً افتراضيا غير موجود في واقعه الحقيقي وفي مجتمعه وبيئته؛ فيؤدي بهما إلى فشل الحياة الزوجية بوقت مبكر, خصوصاً في المجتمعات العربية التي تتمسك بقيم الزواج والممارسة الجنسية بحسب عاداتها وتقاليدها وتوجيهاتها الدينية الشرعية. فقد أكدت دراسة أجرتها الجوهرة بنت فهد آل سعود عام 2009م على عينة من المطلقات بلغت (101) مطلقة. أن نسبة 65% من المطلقات كان طلاقهن في وقت مبكر, وأن 68% من المطلقات كان طلاقهن بسبب إدمان أحد الزوجين لمشاهدة الأفلام الجنسية الإباحية وتوتر العلاقة العاطفية بين الزوجين (زينب فلاح 2018م, ص168). وليس هذا فحسب, بل أن الأمر يتجاوز مسالة الإدمان إلى عدم حصول المستخدمين على الصورة المثلى التي رسمتها تلك المقاطع والأفلام الإباحية, من ناحية, ومن ناحية آخري, قد تتناقض طرق الإشباع في هذه المقاطع مع طرق الطرق المعتادة في الاتصال السامي بين الرجل والمرأة عن طريق الزواج وتكوين الأسرة حفظاً للنسل الإنساني من الانقراض. والبحث عن المثلية الجنسية التي غدت ظاهرة شائعة في بعض المجتمعات وتعززها المقاطع الخاصة بالمثليين من الجنسين. فقد بدأت هذه الظاهرة عام 1969م في الولايات المتحدة الأمريكية بزوجين من الذكور وغدت اليوم تمثل شريحة واسعة في كثير من المجتمعات, وستغدو ظاهرة خطيرة تهدد النوع الإنساني على المدى البعيد, باستمرار المحتوى السلبي الذي يروج لهذه الظاهرة في تطبيقي التلجرام والفايسبك وغيرها من وسائل التواصل الاجتماعي. فمن مظاهر تأثير هذه المقاطع على قيم الشخصية المتمثلة بتقدير الفرد لذاته ولأسرته ولمجتمعه وما يترتب عليها من إرادة ومبادرة وغيرة على الإعراض وتحمله المسؤولية والاستعداد للتضحية, وغيرها من القيم الأخلاقية التي تتكون في هذه المرحلة العمرية.

ومن مظاهر تأثير هذه المحتويات على هذه الفئة الميل نحو الرطوبة وقلة الخشونة لدى المراهقين بالترويج لها من خلال مقاطع لا تستطيع أن تميز فيها بين الجنسين, وتكثر هذه المقاطع في الصين وبعض الدول العربية, وقد تنبهت الصين مؤخرا لهذه الظاهرة وأدرجت مقرر التربية العسكرية في الثانوية العامة لما رأت تراخي الطلاب وميولهم نحو الأنوثة. وتؤدي هذه المقاطع على المدى البعيد إلى تأثيرات على القيم الأخلاقية تتمثل في تكريس العزلة السلبية والأنطواء لهذه الفئة عن المشاركة المجتمعية والأسرية, والغيرة

على المحارم واضعاف الإرادة الحرة والرفض الإيجابي؛ وتكريس روح الهزيمة والاستسلام والاستكانة والخضوع.

المطلب الثالث: الخيانة الالكترونية والتباعد العاطفي

ليست فئة الشباب بأحسن حالا من فئة المراهقين, بل أن التأثير على هذه الفئة أوسع لأنها أكثر الفئات استخداماً لهذه التطبيقات وهم أكثر الفئات عدداً في المجتمعات. كما أنهم الحامل القيمي الأوسع والاكبر لما يقع عليهم لما ولهم من أدوار اجتماعية تتمثل في ممارسة المهن المختلفة اللازمة للبناء الحضاري والقيمي الأخلاقي, وتختص هذه المرحلة بقيم حسن الخلق والصبر والتحمل والجرأة والكرم والجود والتواضع والمرونة والكرامة والعدل والمساواة والإيثار والحرية واحترام حدود الآخرين وغيرها من القيم.

وتشمل هذه الفئة شباب من الجنسين طلاب وطالبات وأساتذة وأستاذات وعمالا وعاملات ونساء عازبات وآخر متزوجات وثالث مطلقات وغالبيتهن يبحثن عن زواج وزواج مسيار. والمحتوى السلبي الذي صمم لهم عبر عن متطلباتهم واحتياجاتهم ويتمثل في مقاطع إثارة جنسية متنوعة تبدي مفاتن المرأة, وتحقق واقع معزز عن الدعايات الإعلانية التي شهد القنوات الإعلانية قبل عشر سنوات. ومقاطع جنسية إباحية تعتمد على مقاييس دقيقة للعملية الجنسية تفتقر وجودها في الواقع. مقاطع فيديوهات تظهر نساء مطلقات أعمارهن بين 28ـ38 سنة ويتمتعن بصحة جيدة وأوزان كبيرة يطلبن زواج مسيار سري بدون شروط وسهرات خاصة. وينشرن أرقامهن على تطبيقات مختلفة. ومجموعات خاصة لأفلام إباحية أنشأتها نساء يعملن كمنسقات للزوج المسيار أو السهرات الخاصة على تطبيق تلجرام, ويصل مشتركيها إلى عشرات الآلاف. ومقاطع لرقصات باليه وتدليك مساج ورياضة اليوغاء النسائية لأوضاع جنسية مختلفة.

والمرجح أن هذا المحتوى قد صمم وفق نظريتي الحتمية لبتكنولوجية والتأثير القوي لوسائل الاتصال, فالأولى تفترض أن المستخدمون ينقسمون إزاء أي شيء جديد من المبتكرات العلمية إلى أربعة أقسام المبتكرون, والمؤيدون والمترددون والرافضون؛ وهي فرضية جرى الاعتماد عليها في توصيف الموقف من الحركة الاحتجاجية في الوطن العربي عام 2011م, وتم توظيفها إعلامياً. والثانية, تفترض أن المستخدمون يميلون إلى تحديد احتياجاتهم بأنفسهم, في ضوء تمكنهم من الاختيار وتوفر التطبيقات المختلفة والمحتوى السلبي (الشهري, 2018,ص). وفقا لهاتين النظريتين جرى صياغة المحتوى السلبي أنف الذكر, بحيث يتجاوز تأثيره الحامل القيمي إلى المؤسسات القيمية وهي المجتمع وأفراده ومؤسساته المهنية المساهمة في تعزيز قيمه الأخلاقية. وفي هذه المرحلة يفترض أن تكون المرآة أماً والشاب أباً يبنون الأسرة وكلاهما يربيا أبناءهما ويهتمان بتنشئتهما ـ وهذه الفرضية لا تعني أن الأسرة غير موجودة في

المجتمع ـ ويمارسا أدوارهما العملية والمهنية والأسرية معززين القيم الأخلاقية والمجتمعية والمهنية, ويعزز أخلاقياتها في الأسرة والمجتمع. غير أن المحتوى السلبي المنشور في خاصية البث المباشر لتطبيقي فايسبك وتلجرام؛ يعمل على زعزعة قيم المجتمع وتفكيك مؤسساته وفي مقدمتها الأسرة عن طرق ما يبثه من محتوى سلبي. فعندما يرى المستخدمون من الجنسين, نساءاً ورجالاً من مختلف المهن يمارسون الجنس الفاضح مع بعظهما, أو مع مرتاديهما ومن يقعون تحت طائلة إدارتهم؛ ذلك يؤدي إلى نزع الثقة بالعاملات والعامين فيعزف الشباب والشابات عن الزواج بأصحاب المهن, وهذا يخص غير المتزوجات والمتزوجات غير العاملات. أم العاملات المتزوجات العاملات فيمكن أن يصيبهن ما أصاب أقرنائهن في فئة المراهقين والمراهقات, من إدمان مشاهدة الأفلام الجنسية الإباحية إلى حدوث الخيانة الالكترونية ومن ثم الخيانة الحقيقية وحدوث حالات الطلاق.

فقد كشفت دراسة مصرية أن الطلاق بنسبة 25% في المجتمعات الغربية, وإن 45 ألف حالة طلاق من أصل 75 ألف حالة طلاق في المجتمعات الشرقية كانت بأسباب الخيانة الالكترونية التي تبدأ بالتأثر وإدمان مشاهدة الأفلام الجنسية الإباحية المنشورة عبر خاصية البث المباشر, وتنتهي بالخيانة الحقيقية التي تأتي عن طريق التواصل بأرقام الهواتف وروابط المشاركة بالمجموعات الخاصة لهذا النوع من البث. فقد أثبتت دراسة موسكر تولو 2012م أن 33% من مستخدمي الفايسبك وجدوا أنه يؤثر سلباً على علاقتهم بأزواجهم وينتهي بهم إلى الطلاق الحقيقي أو التباعد العاطفي بين الزوجين جراء الخيانة الالكترونية والخيانة الحقيقية (زينب فلاح, 2018, ص169).

وتظهر المتابعات لطلبات الزواج المنشورة للمطلقات في هذا المحتوى أن معظم حالات الطلاق كانت في الأعمار بين 28ـ48 سنة وأن معظمهن ليس لديهن أطفال وسمينات, وهذا مؤشر على طلاقهن في فترة متقدمة من زواجهن, وهي الفترة التي تظهر فيها النمو الجنسي للمرأة من حيث البدانة, على عكس ما رسمته الأفلام الجنسية الإباحية من صورة افتراضية لها تعتمد على الرشاقة والمقاييس سابقة الذكر. ويمكن بيان تأثير المحتوى السلبي على القيم الخلقية لهذه الفئة في الآتي:

1ـ شيوع مظاهر التقليد للمحتويات السلبية بنشر محتويات آخرى أشد سلبية من المقاطع الثابتة خلال البث المباشر وفي نفس اللحظة, وهذا يعد تعدٍ على خصوصيات الآخرين الذين لا يحبذون مشاهدة هذه المحتويات.

2ـ تخلق حالة من العزلة والانطوى والياس لدى فئة الشباب وهم أهم شريحة في المجتمع وتهدم قيم الكرامة والطموح والتميز والإبداع والأصالة.

المطلب الرابع : الدعارة الالكترونية

مع اكتمال النضج العقلي للإنسان ودخوله مرحلة الشيخوخة, تتزايد اهتماماته الحياتية وميله نحو القيم الأخلاقية الإنسانية, نتيجة ضعف قواه البدنية والجنسية, ويبتعد عن كثير من ملذات الحياة إلاّ في الحدود القانونية والشرعية المسموح بها في المجتمع. ويتمثل المرء قيم القوة والخير والحق والعدل والمساواة والإحسان والتواضع وحسن الظن بالآخرين واحترام الحقوق والخصوصيات والمثل العليا حضاريا وإنسانياً.

غير أن دوافع الربح المادي الساعية إلى توظيف جميع الفئات العمرية كمستخدمين نشطين للشبكة العالمية وتطبيقي فايسبك وتلجرام, جعلت المصممون للمحتويات السلبية يصممون محتوى سلبي يحاكي حاجات وتطلعات هذه الفئة العمرية عن طريق نظريتي الحتمية التكنولوجية والشأن العام اللتان تنظران الى ميول الإنسان في هذه المرحلة العمرية بمتابعة الشؤون العامة اقتصادية وسياسية واجتماعية وثقافية ويزداد تمسكا بالقيم الإنسانية والحضارية. وعلى هذا الأساس تم التصميم للمحتوى السلبي الذي يحاكي الغرائز الجنسية والآمال والتطلعات التي عجز الإنسان أن يحققها في المراحل السابقة من قبيل مقاطع فيديوهات توجيهية مكتوبة ومعروضة باللغة العربية ترشد إلى مناطق الإثارة في المرأة وآلية الممارسة الجنسية, ومعالجة قصر القضيب والانتصاب وإطالة مدة الجماع بالوصفات الطبية الشعبية والحركات الرياضية البدنية بدت مستوحاة من القنوات الإعلامية والترويجية للمستحضرات التجميل والعلاجات الطبية لتكبير المناطق الحساسة في المرأة, والتي انتشرت منذ فترة طويلة. ومقاطع توجيهية مكتوبة لمختصين ومختصات في الطب التناسلي يعرضون فوائد لممارسات جنسية غير مألوفة من قبيل رضاعة الثديين, ولعق المهبل والجنس الفموي والشرجي, ومتطفلون على الإفتاء الشرعي بجواز تلك الممارسات الجنسية من الناحية الشرعية, بهدف هدم العلاقات الزوجية الطبيعية وقيم التناسل التي قامت عليها الأسرة. مقاطع فيديو طويلة لممارسات جنسية إباحية على أنغام وأغاني بلغات مختلفة فيها دلالات رمزية مسيئة لبعض الرموز الدينية المسيحية والإسلامية. ومقاطع جنسية إباحية لنساء مسنات بالعمر مع شباب لسو في سنهن, والعكس بهدف خلق عالم إفتراضي لدى الرجل والمرأة يتجاوز خلاله الفوارق العمرية الحقيقية, ويوهمهما بإمكانية خلق حالة من التكافؤ الجنسي أثناء مشاهدة هذا المحتوى, رغم الفوارق العمرية. ومجموعات خاصة للأفلام الجنسية الإباحية وممارسات جنسية افتراضية أثنا العرض عن طريق الاتصال أو المقاطع المسجلة بالصوت والصورة وروابط وطلبات لمستخدمين ومستخدمات ومنسقين ومنسقات للسهرات الليلية الخاصة لهذا النوع من الأفلام الجنسية الإباحية ومنخرطين في الممارسات الشاذة, كما لو أنها شبكة دعارة حيث تقوم منشاءات ومنشئي المجموعات بنشر الأفلام الإباحية وبثها مباشرة عبر خاصية البث المباشر وتبادل أرقام المشتركين والمتابعين عبر منشئ المجموعات في التلجرام, أما فايسبك فلا يحتاج إلى وسيط لتنظيم السهرات فيمكن عبر البث المباشر التواصل المباشر

بين المشاهدين للبث وعرض المزيد, وتبادل الأرقام والروابط مقابل دفع مالي مقدماً, وكأنها تجارة مثلها مثل تجارة الرقيق الأبيض وصالونات الدعارة, وتزداد هذه الأفلام كلما زاد توفر الانترنت دون انقطاع. وقد أكدت كثير من الدراسات أن خاصية البث المباشر في فايسبك وتلجرام مكنتهم من التواصل مع أصدقائهم بالصوت والصورة, دون الحاجة إلى مواعيد وكثير من الفتيات وقعن ضحية لهذه المغازلات والوساطة التي لا تنجح في معظم الحالات. وتتجلى مظاهر تأثير هذا المحتوى على القيم الأخلاقية في الآتي:

1ـ هدم صورة الإنسان العاقل الكبير ذو الخبرة والتجربة والحكمة والرأي السديد رجلاً كان أو مرآة وإظهارهما كأنهما طالبي ملذات تجاوزا عمرهما, وبالمقابل تقل درجة الاحترام لهم كآباء وأمهات وكأصحاب مهن وادوار اجتماعية في المجتمع.

2ـ هدم قداسة الأمكنة العلمية والتعبدية والتاريخية كالمدارس والجامعات ودور العبادة والمستشفيات واختزالها كأماكن للممارسة الجنسية الإباحية, والاستعاضة عن الممارسات الجنسية الحقيقية المشروعة بممارسات جنسية افتراضية خيالية وهمية في هذه المرحلة العمرية.

3ـ الدعارة الالكترونية الافتراضية في هذه المجموعات هي أولى الخطوات في طريق الدعارة الحقيقية.

النتائج والتوصيات

ـ 1ـ يتعرض النسق القيمي في كل المجتمعات للتغيير التدريجي لبعض القيم المنظمة لمجمل العمليات الاجتماعية نتيجة تأثير المحتوى السلبي المنشور في وسائل التواصل الاجتماعي واهمها الفايسبك والتلجرام. فهذا المحتوى رسالة رمزية موجهة لها غاياتها الاقتصادية والاجتماعية والهوياتية الثقافية والقيمية الأخلاقية, تؤثر في القيم السائدة وتغرس قيم بديلة على المدى القريب والبعيد. وشيوع مظاهر التقليد للمحتويات السلبية في معظم وسائل التواصل الاجتماعي, وليس فقط في الفايسبك والتلجرام.

2ـ يتسع تأثير المحتوى السلبي على القيم الأخلاقية ويتدرج وصولاً إلى الضمير الأخلاقي, بصرف الحامل القيمي ممثلاً بفئات المستخدمين عن واقعهم الحقيقي ومتطلباته والقضايا الحيوية على الصعيدين الاجتماعي والقيمي الأخلاقي, وربطهم بواقع افتراضي غير موجود في الواقع يصل بهم إلى درجة الإدمان يقودهم إلى العزلة والانطواء والمشاركة الفاعلة في المجتمع.

3ـ يؤثر المحتوى السلبي المنشور عبر خاصية البث المباشر في الفايسبك والتلجرام, بكل تفاصيله, على فئتي الأطفال والمراهقين بتوجيه اهتماماتهم المستقبلية نحو النمط السلبي الذي يضعف قيم الحشمة والعفة واحترام المسنين وذوي الاحتياجات الخاصة والغيرة على المحارم والمقدسات والأوطان, نتيجة تدريب هذه الفئات بالمشاهدة الدائمة للمحتوى السلبي الخاص بها, فقد يكون الجيل القادم أكثر عدوانية وكراهية ولا مبالاة وعدم تحمله المسؤولية تجاه أسرته ومجتمعه ووطنه ودينه.

4ـ يصنع المحتوى السلبي المنشور عبر خاصية البث المباشر للفايسبك والتلجرام, مجتمعات مصغرة تجمعهم اهتماماتهم السلبية المحصورة في متابعة الأفلام الجنسية الإباحية ونشر الرذيلة والترويج لها وتيسير الدعارة الالكترونية وصولاً إلى الخيانة الزوجية والتفكك الأسري والطلاق والهجران في المضاجع.

5ـ صعوبة الرقابة على المحتوى السلبي المنشور عبر خاصية البث المباشر في الفايسبك والتجرام, يرجع إلى الخواص الفنية لهذه الخاصية الممثلة بتشفير هذه المجموعات, وكثافة المستخدمين, ودافع الربح المادي من نشر المحتويات السلبية, وضبابية النهايات الطبيعية لاستخدام هذه الخاصية وتأثيرها المستقبلي.

6ـ يسبب المحتوى السلبي المنشور عبر خاصية البث المباشر تنامي ظواهر خطيرة في المجتمعات تتمثل بعزوف الشباب من الجنسين عن الزواج الطبيعي, وشيوع مظاهر المثلية الجنسية والشذوذ الجنسي, ينذر على المدى البعيد بانقراض الجنس البشري.

7ـ أضرت شركات صناعة أدوات التجميل المبتكرة حديثاً, وشركات صناعة الأفلام الجنسية الإباحية, بكثير من النساء والرجال في العالم نتيجة تغيير خصائص الرجولة والأنوثة استجابة للربح المادي العائد من الإعلانات الترويجية للعلاجات المختلفة.

8ـ يتعدى تأثير المحتوى السلبي المنشور عبر خاصية البث المباشر حدود التأثير على القيم الأخلاقية إلى التأثير على اللغات والمعرفة العلمية, بحلول الأرقام العددية والإشارات الرمزية محل حروف اللغة والتخاطب داخل المجموعات؛ وتطفل مجموعة من أشباه المتخصصين بتقديم معلومات مشوهة وممسوخة وغير علمية ولا تستند إلى مصادر معرفية علمية متخصصة في هذا المحتوى؛ مما قد يحرف كثير من حقائق المعرفة العلمية التي أخذت عن مصادرها العلمية اليقينية والحقيقية.

9ـ ستتنامى ظاهرة المحتويات السلبية المنشورة عبر خاصية البث المباشر في تلجرام وفايسبك طالما ظلت هذه المحتويات تحركها شركات تجارة الإعلانات الإعلامية العالمية الموجهة, وصناعة الأفلام الجنسية الإباحية التي لا ترى حرجاً في جمع الأموال حتى وإن كانت المصادر مشبوهة. وتنوع المادة المنشورة بين المقروءة والمسموعة والمرئية التي تثير الغرائز الجنسية, على حساب المواد المساهمة في بناء القيم العليا علميا واقتصادياً وسياسياً وأخلاقيا. وتوصي الدراسة بالتوعية المجتمعية على الاستخدام الإيجابي الهادف لمواقع التواصل الاجتماعي, بما يساعد على الحفاظ على الهوية القيمية الأخلاقية للمجتمعات الإسلامية.

التوصيات:

1ـ توصي هذه الدراسة بضرورة إعداد برامج التوعية بأهمية الحفاظ على القيم الأخلاقية وبيان مخاطر هذه المحتويات على الأطفال والمراهقين والشباب.والتوعية المجتمعية بأهمية الحفاظ على تماسك الأسرة باعتبارها نواة المجتمع.

2ـ تفعيل دور المؤسسات التربوية والدينية والاجتماعية والإرشادية لتقديم الخدمات الإرشادية للأسرة ودعم المقدمين على الزواج وتزويدهم بالمال اللازم لا تمام الزواج الشرعي, وتشجيع العازفين عن الزواج من الجنسين, وتوعية الشباب وبيان خطورة الطلاق على الأسرة والمجتمع.

3ـ التأكيد على الدور المشترك لمؤسسات التنشئة الاجتماعية الأسرة والمدرسة والمجتمع المدني والجامعات والإعلام الحكومي على بيان تأثير المحتويات السلبية في وسائل التواصل الاجتماعي على القيم الفردية والمجتمعية والقيم الأخلاقية والمثل العليا الإنسانية والحضارية, وتوعية الفئات الأربع نحو الالتزام بالقيم الأخلاقية والعادات التقاليد والأعراف والحفاظ عليها وعلى الموروث الشعبي باعتبارها من مقومات الهوية الوطنية والثقافية.

4ـ استحداث برامج وتطبيقات وإدارتها وتوجيهها والإشراف عليها وإشراك الشباب فيها بما يمكنها من مراقبة المحتويات السلبية وحضرها, ونشر المحتويات الهادفة إلى خل الشخصية المتوازنة والمبدعة في مختلف المجالات وبث المحتويات الإيجابية.

5ـ وضع المزيد من الدراسات حول تأثير هذه المحتويات السلبية ليس فقط على القيم الأخلاقية والمثل العليا , بل على جميع جوانب ومجالات تكوين الشخصية.

المصادر والمراجع:

نجاح البهارنه وصفاء عبد الجبار(أثر مواقع التواصل الاجتماعي على القيم لدى الشباب الأردني من وجهة نظر طلاب الدراسات العليا جامعة مؤتة) مجلة الجامعة الإسلامية, العدد(3) نوفمبر 2022م.

دراسة الأزهر الشريف(أثر وسائل التواصل الاجتماعي على سلوكيات وقيم الشباب من منظور التربية الإسلامية) مجلة كلية التربية جامعة الأزهر, العدد(169), الجزء الثالث, يوليو 2016م.

محمد عبد الحميد هلال(تأثير شبكات التواصل الاجتماعي على اتجاهات وقيم طلبة الجامعات دراسة ميدانية على عينة من طلبة جامعة الملك فيصل) مجلة روافد للدراسات في العلوم الاجتماعية والإنسانية, العدد(4), المجلد (4), ديسمبر 2020م.

أسماء مصطفى(استخدام شبكات التواصل الاجتماعي وانعكاسها على تشكيل قيم الشباب الجامعي) مجلة كلية الإعلام جامعة جنوب الوادي, العدد(8), الجزائر, 2017م.

أحمد قاسم مطرود(مواقع التواصل الاجتماعي وانعكاساتها على سلوك الشباب الجامعي) دراسة اجتماعية مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية, المجلد(28), العدد(5),2020م. وأربع دراسات في ظاهرة الطلاق هي: دراسة بشار عبد الرحمن مطهر(اتجاهات المتزوجين الأردنيين نحو مواقع التواصل الاجتماعي في انتشار ظاهرة الطلاق دراسة مسحية) دورية إعلام الشرق الأوسط ., العدد(13) خريف 2017م.

زينب صلاح وموح عراك (وسائل وعلاقتها بزيادة ظاهرة الطلاق دراسة نظرية تحليلية) مجلة جامعة بابل, المجلد(26) العدد(9) 2018م.

عائشة غرايبي وسهام حرز الله (وسائل التواصل الاجتماعي وأثرها في التفرقة بين الزوجين الفيسبوك أنموذجاً) الملتقى الدولي التاسع, قضايا الأسرة المسلمة المعاصرة في ضوء الشريعة الإسلامية, جامعة باتنة الجزائر 2019م. عبد الله المهايرة وأمل حسون(القدرة التنبؤية لدرجة استخدام مواقع التواصل الاجتماعي ومستوى الصلابة النفسية في الطلاق العاطفي لدى عينة من المتزوجات العاملات في جامعة اليرموك) مجلة الأردنية للعلوم التربوية, المجلد(17) , العدد(3) 2021م).

حنان الشهري(أثر استخدام شبكات التواصل الالكترونية على العلاقات الاجتماعية الفيسبوك وتويتر أنموذجا دراسة ميدانية على طالبات جامعة عبد العزيز بجده) 2013م.

حسن المبارك (مواقع التواصل الاجتماعي وأثرها على القيم الاجتماعية لدى طلاب جامعة الإمام المهدي الفيسبوك أنموذجاً) السودان,2020م.

سعاد بلعيد (أثر استخدام مواقع التواصل الاجتماعي على الهوية الثقافية) دراسة على عينة من الطلبة بجامعة مستغانم الجزائر ,2015م.

صامتة كساس (الاستعمال اللغوي وسائل التواصل الاجتماعي عند الشباب العربي الواقع والأسباب والآثار) مجلة إشكالات اللغة العدد(3), المجلد(8), 2019م.

عبير أحمد, الجسد الرياضي ودلالته الاجتماعية, المجلة الاجتماعية, المركز الديمقراطي برلين, العدد(27) مارس 2023م.

فُرجة "بوسَعْدية": الهُوية المُلتبَسة وجماليات الجسَد الغروتَسكي

Show of « Boussaâdia » : the ambiguous character and the aesthetic aspects of the grotesque body

د. صورية علي غجاتي/جامعة الإخوة منتوري- قسنطينة1 / الجزائر
Soraya.ghedjati@gmail.com

مُلخّص:

تزخرُ الثقافاتُ بمخزونٍ ثقافيٍّ مُتنوّع سيما ما تعلّق منه بالأساطير، والفلكلور الشّعبي المُرتبط بالإنسان في طبيعته الفطرية الأولى، وتتقاطعُ العديدُ من هذه الثقافات في شكلٍ فلكلوري، أو في فُرجةٍ شعبية، أو احتفالٍ واحدٍ، مع بعض الاختلاف في ملابسات المنشأ وتفاصيل الصيغة التعبيرية الشعبية؛ وذلك راجعٌ إلى خروجها من مهدِها الأول وتجوالها عبْر "فُرجة الجسد" أو عبر "الرواية الشفوية" إلى فضاءاتٍ جغرافية مختلفة، فتُصبح هويتها نَهْبًا مُوزَّعاً على العديد من الثقافات التي تتجاذبُ أصلَها ومنشأها؛ وهو ما ينطبقُ على الفُرجة موضوع التشريح في هذه الدراسة، وهي فُرجة "بوسعدية" في كلّ من الجزائر، وتونس، وليبيا، والسودان، وتشاد..وغيرها من الدُوّل الإفريقية الوسطى.وعليه تتأسس هذه الدراسة على محوريْن اثنين: أصل الحكاية والهوية المُلتبَسة في فُرجة بوسعدية، وجماليات الأداء في الجسد الغروتسكي.وتتوسّلُ بمقاربات مختلفة؛ تاريخية، مقارنة، ثقافية، وسيميولوجية، اقتضتها طبيعةُ الموضوع الجامعة بين ما هو جمالي وثقافي وتاريخي، وهيكلَتُه الثنائية المُسائِلة للأصل والمُشرّحة لجماليات الأداء الجسدي.

الكلمات المفتاحية: الجسَد، الغروتسك، الفُرجة

Abstract:

Cultures have a diverse cultural patrimony, particularly the patrimony related to legends, popular folklore linked to man by his primitive nature.These cultures have a common point such as: folklores, popular performances or a unique ceremony, while having some particularities due to the conditions of origin, details and characteristics of popular expression. These particularities are due to its emergence from its primitive state and its transmission through “the bodily show” or “oral tradition” to different geographical spaces. As a result, his identity has been subject to cultural appropriation, by several cultures who argue about its origin and its point of provenance. This corresponds to the subject of our study, namely: "the show of Boussaâdia", in Algeria, Tunisia, Libya, Sudan and Chad… etc., like other Central African countries.

Consequently, this study is composed of two axes: the origin of the story and the ambiguous character in the show of Boussaâdia and the aesthetic aspects of grotesque body performance. This study is based on different approaches, namely: historical, comparative, cultural and semiological approach, which required the nature of the subject of our study, as the nature of the topic combines the aesthetic, cultural, historical aspect and its binary structure which studies the origin and describes the aesthetic aspects of bodily performance.

Key words: The body , the grotesque , the show

.

مقدمة

لقد بات من المُتّفق عليه بأنّ الرعيل الأوّل من المؤصّلين العرب في مجال المسرح، قد ضلّوا طريقهُم حين استنزفوا وقتَهم وجُهدهم في البحث في التراث العربي العام والتراث الشعبي الخاص، عن صيغ وأشكالٍ حكموا عليها مُسبقاً بأنها فاقدة للنُضج والاكتمال، فوصفوها بالأشكال(ما قبل) مسرحية، و(بدائية)، و(شِبه) مسرحية، وكانت هذه النظرة "الدونية" لتُراثهم- وعياً منهم أو عن غير وعي- تستند على معايير المركزية الغربية مُمثّلةً في "الأنموذج" المسرحي الأوروبي الذي تُقاسُ عليه جميع أشكال الفُرجة الشعبية، فظلّ المركزُ مركزاً والهامشُ هامشاً.

إنّ تحديد بداية المسرح العربي بمسرحية "البخيل" لموليير التي اقتبسها اللبناني المسيحي الماروني التاجر البرجوازي، كانت بدايةً مُلتَبسة؛ فقد عكَس هذا التاجرُ الجوّالُ الذي اكتشف المسرح بالصُّدفة، ذوقَه وذوقَ طبقته، وعرَض المسرحية في حديقة بيته، وكان الجمهور الحاضر من أهله وصحبِه من الطبقة نفسها، فأيّ بدايةٍ هذه التي ارتبطت بذوق فئةٍ لا كلّ الفئات الشعبية؟ أليس المسرحُ فنّاً جماعياً من إنتاجه إلى تلقّيه؟

نعلمُ أنه من غير المُستحبّ في البحث الأكاديمي أن نبدأ بصيغةٍ تعبيرية قطعية مؤكّدة كما بدأنا هذه الورقة، ولكننا نعلم بالمقابل أنّ البحث مُغامرة، ومن صفات المُغامِر الإقدام منذ الخطوة الأولى، سيما إذا كان هذا الإقدامُ مدروسًا ومُستندًا إلى حُججٍ وبراهين علمية؛ فالدارس في مجال المسرح يعلمُ علم اليقين بأنّ المسرح الأوروبيّ حينما وصل إلى مرحلة الجمود والركود كان بحاجةٍ إلى نوعٍ من "التضحية الظاهرية" ؛ فقد كان من المفروض عليه أن ينفتح على الثقافات الشرقية ليُحرّك الماء الراكد في مفاصل مسرحه ويُخرجه من حالة الإفلاس التي وصل إليها، فجاء العهد الجديد لمسرحٍ أوروبيّ مُختلف بنظريات مسرحية جديدة غيّرت مسارَ المسرح كُلّه في العالَم بوقوفه على مُنجزات الفُرجة الشعبية في شرق آسيا؛ حيث تُعدّ نظرية مسرح القسوة- théâtre de la Cruauté من النظريات البارزة التي انفلتت من العهد المسرح القديم على يد الفرنسي "أنتونان آرتو- A.Artaud " التي استلهمَها بل سلَبها من أدبيات الرقص البالينيي المُشعّ بالروحانية، في شبه جزيرة بالي الإندونيسية عندما كان في جولةٍ هناك فارًّا من جحيم الحضارة المادية الأوروبية.

إنّ الآخر لا يكونُ، دائمًا، بريئًا ومُحايدًا وموضوعيًا وهو يَصفُنا، ويُصوّرنا، ويسردُ أخبارنا، وفي هذا الصدد يقول" ديفيد ريتشاردز" :« إ نّ أقنعة الاختلاف أسنُّ تَحجُبُ وتُخفي وتُسيء التمثيل، أو تَطمِسُ، لكنّها لا تَصِفُ مُطلقاً هاته الشعوب الأخرى من العالَم،إنّ الآخرين مُقَنّعونَ دائمًا بواسطة

البنيات السردية والصُوَر التي يَصوغُها المُلاحِظ. يتمثّلُ ما يُصاغُ وتُعادُ صياغَته في تلطُّف السُّلطة من حيث إنّ الوسائل المادية التي يتمُّ الاحتكامُ إليها باطّراد لوصفِ شعبٍ موصولةٌ بالتمثيل الذاتي والهوية الأوروبيتين »(divid, 1944, p. 280) .إنّ مسرح القسوة، والمسرح الملحمي والكثير من مُنجزات المسرح الأوروبي المُعاصر قد خرجت من رحِم المسرح الشرقي بولادةٍ قيصرية بدت كولادةٍ طبيعية.

ولعلّ الرعيل الثاني من المسرحيين العرب قد تفطنوا إلى هذه الحقيقة، فبعد أن ألموا بأصول المسرح وتقنياته ومدارسه في أوروبا أو في بلدانهم على أيدي أوروبية، انكبوا بعدها على تُراثهم حفراً ومُدارسة بيقين الواثق "بخصوصية" هذا التُراث شكلاً ومضمونًا، فكان للفُرجة/ Spectacle كيانها المُتفرّد عن الشكل/ الأنموذج المسرحي الأوروبي الذي كان الرعيلُ الأوّل من المسرحيين العرب يعود إليه معيارًا للقياس عليه، وقد بدأت ثمار هذا اليقين تظهر مع إنجازات ولد عبد الرحمن كاكي، والطيب صديقي، وعبد القادر علولة، وغيرهم..

وِفق هذه الرؤية تأسست هذه الدراسة التي اخترنا فيها عيّنةً من الفُرجة الشعبية تميّزت بالتباسِ هويتها(وفي بعض الالتباس تميُّزٌ وتفرّدٌ يصنعهُ الغموض) ونُدرة الدراسات حولها، وهي فُرجة "بوسعدية" التي اندثرت في الجزائر وليبيا والسودان، وانسلخت لتأخذ طابعًا نفعيًا ارتبط بالسياحة في تونس، وتوارت في باقي البلاد الإفريقية مع تهميش الإنسان الإفريقي، بعد أن كانت نهباً مُوزّعا على كلّ هذه البقاع الإفريقية، "بوسعدية" سؤالٌ عن الهوية المُلتبسة، وتشريحٌ لصورته في فِكر العربي والفرنسي والإيطالي، ومحاولة للحفر في جماليات الأداء الجسدي كما تجلى في عيون الآخر وكما علق في ذاكرتي شخصياً من خلال مُشاهدةٍ واحدة عابرة في طفولتي مطلع الثمانينيات في مدينتي شلغوم العيد.

1/ "بوسعدية" والهوية المُلتبسة:

يكتنف فُرجة بوسعدية وأصل الحكاية التي تحملها، الكثير من الغموض والاختلاف والوقوع في البينية مابين الحقيقة والأسطورة، وهل هو فُرجة تحمل حدثًا وحكايةً وصراعًا، أم مجرّد رقصةٍ صامتة؟ فيذهب الباحث الرحالة الفرنسي " أشيل روبرت- Achille Robert" (1851- 1931) الذي توفي في مدينة سطيف الجزائرية إلى أنّ« أصل بوسعدية من وسط إفريقيا: الهاوسا، بامبارا، بورنو، الكونغو، السودان..إنه سعيدٌ بالعيش في الجزائر، في مأمنٍ من ضربات سوط العبودية الذي هجّره من بلاده، حيث الغذاء أغنى بكثير من الدخل الضئيل الذي تتغذى عليه القارة السوداء» (Achille, 1900, p. 107). فالاعتقاد الشائعُ أنّ بوسعدية شخصية من أواسط إفريقيا، فرّ من الرقّ و ظلّ يجوب البلاد الشمالية للقارة الإفريقية بحثاً عن ابنته "سعدية" التي اختطفها تُجار العبيد وباعوها في الشمال، فتنكّر في

زيّ غريب وتقنّع راقصًا، مُهمهِمًا بكلمات لا تفهمها سوى ابنته، فإذا سمعته خرجت إليه، وهو الاعتقاد الشائع عند عامة الناس في الجزائر وتونس وليبيا، ويؤكده المظهر الغريب لهاته الشخصية الذي لم يألفه سكان الشمال الإفريقي؛ وبالضبط في البلاد التي ظهر فيها في الفترة التاريخية نفسها؛ حيث يذهب الباحث الليبي "علي الصادق حسنين" في مقالةٍ له بمجلة "تُراث الشعب" بعنوان" بوسعدية: المُهرّج..." التي كانت في جزئها الأكبر ترجمةً لمقالةٍ تعود للباحث الإيطالي " توركواتو كوروتي- Toroquato Cirotti " منشورة في العدد الأوّل من مجلة (طرابلس الغرب- Trtpoli Tania) لسنة 1932، استند فيها هذا الأخير على مخطوطة تروي حكاية بوسعدية عن شخصٍ يُدعى " سعد بن الشيباني " وقد قام بإرفاق المقال بصورة عن هذه المخطوطة؛ ومما جاء في وصفه لبوسعدية:« في السوق الطرابلسية التي أقيمت بمعرض كُلّ من ميلانو وتورينو وجنوة ونابولي كان يظهرُ أمام جمهور الزّوّار زنجيٌّ يرتدي ملابسَ غريبة تُثير الضحك، وسواء بسبب ملابسه الخرقاء المُزدانة بأشياء تافهة، أو بسبب رقصاته الشبيهة بقفزات القُرود، من المؤكّد أنّ الحضور كانوا يستمتعون بمُشاهدة هذا المُهرّج الذي لا بُدّ أنّه كان يعكسُ صورةً لوسطٍ اجتماعيّ مجهول أو لطباعِ عُنصرٍ عرقيّ غير معروف، وفي الواقع أنّ بوسعدية ينطوي على شيءٍ من هذا وذاك » (حسنين، 1997، صفحة 28).وكما نرى في هذا التوصيف، فإنّ " توركواتو كوروتي " لم يُشر صراحةً إلى الأصل الإفريقي لبوسعدية، ولكنه ألمح إلى ذلك بلفظ "زنجيّ" وبعبارة "وسط اجتماعي مجهول، وطباع عُنصر عرقي غير معروف " بالنسبة للمجتمع الليبي.ويُضيف مؤكّدًا هذه الحقيقة« يجبُ ألاّ يغيب عن الأذهان المرَح الشوارعي الصّاخب الذي كان يُثيرهُ هذا الزّنجيُّ في نفوس أهالي الثغر التجاري الطرابُلسي والذي كان يتنافى مع طبع اللّيبيين المُتّسِم بالتكتُّم والانغلاق، علماً بأنّهم لا يندفعون إلى الغناء والصّدح بالترانيم أمام الجماهير إلا في المناسبات الدينية والأعراس العائلية » (حسنين، 1997، صفحة 30).

لقد بات من المؤكد لدى الباحث الإيطالي، الأصل غير الليبي لفُرجة بوسعدية؛ بالاستناد إلى لباسه وسلوكه البشري الذي كان يتنافى مع طباع وسلوك الليبيين، لكن هل هو شخصٌ قادمٌ من أواسط إفريقيا كما تقول روايات أخرى؟ هذا ما ينفيه الباحث الإيطالي مُفترِضًا أصلَهُ التُركي، وداعمًا لهذه الفرضية بقرينتيْن هما (حسنين، 1997، صفحة 30، 31):

- أنّ ظُهورَه ونشاطه كانا مرتبطان بمدينة طرابُلس ولم يتعدّاها إلى سواها من المُدن اللّيبية.
- أنّ لباس بوسعدية وأسلوبه الهزلي ما هو إلا محاكاة ساخرة لمُقاتلٍ من القرون الوُسطى، ولا يُمكن أن ينبثق هذا التصوُّر الهزلي من عقلِ زنجيٍّ مسكين ظاعن من متاهات "السودان" إلى "برّ طرابُلس

الغرب". وعليه فإنّ«ا لإنكشاريين الأتراك هُم من كانوا ينتحلون شخصية أحد العازفين الزنوج ممّن كانوا يُسَلّون مُحتسي " البوخة" في حانات الميناء(..)هذا وإنّ زيّ بوسعدية أيضًا يحملُنا على الاعتقاد بأنّه من اختراع هذه المدينة البحرية والآهلة بالأتراك المُدجّجين بالسلاح وبالبحّارة والتُجّار العاديين المُفرطين في الأكل والشراب والملذّات والميّالين إلى فُحش الفُكاهة » (حسنين، 1997، صفحة 30، 32).ولعلّ في رأي الباحث الإيطالي شيء من الصواب، وذلك بالنظر إلى مناطق وجود هذه الفُرجة في الشمال الإفريقي خاصة، وبالضبط في طرابلُس(ليبيا)، وتونس، والجزائر، وخلُوّ المغرب الأقصى منها، بالرغم من أنّ المغرب كان ولا يزال مُجتمعًا إفريقيًا ومُلتقى للأفارقة الذين دخلوا في علاقات نسَب مع السُكّان الأصليين، أضف إلى ذلك أن البيئة الثقافية المغربية هي بيئة فُرجات شعبية بامتياز، فكيف لم توجد فُرجة بوسعدية في المغرب، وهذا ما قد يُرجّح- حسب رأينا- كفّة فرضية "توركواتو كوروتي" القاضية بتُركية أصل فُرجة بوسعدية وليس شخصية بوسعدية الأصلية، استنادًا إلى مواقع ظهوره في البلاد العربية الشمال إفريقية، التي كان للامتداد العثماني وجودا فيها.

2/ الغروتسك- الحَدّ وإشكالية الترجمة:

2-1/ الحدّ:

كان الفنّ التشكيلي هو المنشأ الأوّل للغروتسك، حيث أُطلق في البداية على« الفنّ الزُخرفي الذي يُصوّر أشكالاً بشرية وحيوانية غريبة، مختلطة بكائنات خيالية ورسوم أوراق نباتية، الأمر الذي يوحي بشعورٍ من البشاعة أو السخرية من توليفةٍ لا تخضع لقواعد الممكن ولا لتصوّرات العقل » (وهبة، صفحة 201).وقد عُثر على هذه الرسومات في مغارة بإيطاليا، ومنه اشتُقت الكلمة من الإيطالية (Grotta) وتعني المغارة أو الكهف حيث وُجدت تلك الرسوم الغريبة.وتُمثّل حمّامات تيتوس- Titus والقصور الرومانية القديمة نموذجًا بارزًا لهذا الفنّ، كما شهدت أوروبا في العصور الوسطى نماذج متنوعة على صعيد الهندسة المعمارية للكاتدرائيات والكنائس التي تحلّتْ واجهاتُها بمنحوتات تُمثّلُ نساء ذميمات الخِلقة، ومُسنّين أسنانُهم مُهشّمة، وأنماط غريبة من المخلوقات التي لا وجودَ لها في الواقع.والمُلاحَظ أنّ هذا الفنّ ارتبطَ في تلك الحِقبة بالمعتقدات المسيحية، حيثُ تدلّت مزاريبُ المباني من أفواه مثل هذه المخلوقات الغريبة درءًا لكُلّ عينٍ حاسدة أو دفعاً للشرّ الذي نُحِت على هذا النّحو.كما كان الغرضُ من نحتِ تلك الأشكال المُنفّرة على خشَب قوائم الكراسي في الكنائس والكاتدرائيات، استجلاب رحمة الله فأُطلقَ عليها اسم" Miséricordes " (عكاشة، 1990، صفحة 192).

غير أننا نذهبُ مذهبًا مختلفًا في التأصيل لهذا المفهوم، حيث نعتقد بأنه يعود إلى العهد اليوناني في ما يُسمّى بـ " القناع المقدّس"، أو الآلهة المُقنّعة عند اليونان، مُلتمسينَ لهُ جذوراً في واحدٍ من النماذج الثلاثة التي مثّلَتْ تلك الآلهة المُقنّعة وهي (أرتيمس- Artémis) و(ديونيزوس- Dionysos) و(جورجو-

Gorgo) فهذا الأخير الذي نجد تقارُبا بينه وبين مفهوم الغروتسك، كان« قُوّة مُجسّدة في قناع تخلق عبره المَسخ الأسطوري، ويُقدّم النموذج التشكيلي لهذه القوة عبر شكل مُزدوج؛ شخصية أنثوية ذات وجه وحشي، إنّ وجه جورجو يمزج بين الإنساني والحيواني، بين القُبح والجمال، بين الشباب والشيخوخة » (يوسفي، 2000، صفحة 13)

وعلى العموم، سواء ظهر هذا المفهوم مُقترنًا بالمقدّس أو بين أحضان الفنّ فإنّه عرف اختلافًا في تقديره ارتبطَ بمبادئ المدارس الفنية؛ حيث أدانتْ الكلاسيكية - التي عُرفت بتنظيراتها الصارمة في المجتمع والحياة، وفرضِها لقواعد مُقدّسة، كلّ إنتاجٍ أدبي أو فنّي يجسّد هذا النسق الغروتسكي، خلافاً للرومانسية التي رحّبت به مما جعل المفهوم ينتشر ويزدهر في ظلّها، فقد تناوله "فيكتور هيغو- V.Higi " في مقدمة مسرحية كرومويل- Cromvell، وظهر مصطلح (غروتسك) عند "إدغار آلان بو- E.A.Poe" في عنوان كتابه (حكايات الغروتسك والارابيسك- Histoire du grotesque et de l'arabisque) (المنيعي، صفحة 146).وصارت النماذج الفنية التي تحملُ نسقًا غروتسكيًا مُستساغة فنيًا ابتداءًا من هذه المرحلة، وشكّلت مصدر إلهام لفنّانيّ عصر النهضة الذين حاكوها وأضافوا إليها في مجالات التصوير والحِليات المعمارية والنّحت، رغم أنها غالت في التشويه المُبالغ فيه ما خرج بها إلى العبث المازح أو القُبح المُثير للسُّخرية والازدراء، أو البشاعة المُثيرة للهول والفزع أو الكاريكاتير الذي يُحرّك في النّفس الفُكاهة والتندُّر لسُخفِه وغرابته. ثمّ ارتحل المفهوم إلى علم الجمال مُستخدَمًا كصفة أو طابع لكُلّ ما هو غير مُنتظَم ويتّصف بالغرائبية، ولكُلّ ما يُضحك من خلال المبالغة والتشويه ويتناقض مع ما هو سامٍ ورفيع؛ أي أنّ هذا المفهوم دخل التصنيفات الجمالية- Catégories Esthétiques كما عدّهُ البعض نوعًا من الأسْلَبة- Stylisation التي تنطلق من الواقع وتُشوّهه عمدًا، شأنه في ذلك شأن الكاريكاتير في الرّسم، ومنهم الكاتب المسرحي السويسري " دورنمات- Durrenmatt ".وهكذا حملَ الغروتسك بُعداً فلسفيا من حيث إنه ناقضَ نِتاج الثقافة التقليدية الرسمية المُعترَف بها (حسن، 1997، صفحة 329)، وارتبط بكلّ ما هو « غريب، غير لائق، بشع، عجيب ومُدهِش، شاذّ أو خارج عن المألوف »(Hamon, 2006, p. 244) .

يتداخل مفهوم الغروتسك مع مفاهيم عديدة مُتاخِمة له كالكاريكاتير، والعجيب، والغريب، والمفارقة والسُّخرية،..كما يتداخل مع أشكال تعبيرية أخرى كالكرنفال، إنه لا يتحدّد إلا كمفهومٍ وأحيانًا كجنسٍ فنّي، مَرِن يصعُب تحديد حُدودٍ صارمة له، ومع ذلك سعى بعض النُّقّاد إلى تأطيره ببعض السمات المُميّزه له وهي (البازعي، 2005، صفحة 202، 206):

أوّلاً: سِمة "النشاز" وعدم التناسُق، ولا تقتصر هذه السِمةُ على العمل الفنّي فحسب بل تتعداه إلى مُبدِعه ومتلقّيه؛ إلى الأوّل من حيث قُدرته الإبداعية وتكوينه النفسي، والثاني من جهة ردّة فِعله اتجاه هذا النشاز.

ثانيا: سِمتي " الهزلي والمُرعب" متلازمتين في تركيبةٍ واحدة.

ثالثاً: سِمة "الإسراف والمُغالاة".

رابعاً: سِمة "التشويه" وترتبط بما قبلَها؛ فالمغالاة والإسراف في التشويه هي نتيجة الجمع بين ما هو مألوف وما هو غير مألوف في صيغةٍ واحدة؛ فالتشويه إذا كان في حدود معقولة يُفضي بنا إلى الضّحك والمُتعة كما هو الحال في فنّ الكاريكاتير.وأمّا إن كان مبالغاً فيه مع خروجه عن المألوف نتَج عنهُ خوفٌ ورعب من المجهول مُجسّدان في تلك الغرابة المُفضية إلى الغُربة، ويأتي الغروتسك ليجمع بين هذا وذاك، وأفضل مثالٍ لذلك هو مُداعبة الكِبار للطّفل بمحاولتهم تغيير أشكال وجوههم، فيضحك ثمّ فجأة يتحول إلى البُكاء جرّاء الخوف من الغرابة الناتجة عن تمازُج ملامح الإضحاك مع ملامح التخويف.

ينشأ الغروتسك كما سبق وأشرنا، نتيجة تجاوُر الأضداد الذي يُحدث في نفس المُتلقّي ما يُشبه الرجّة أو الصّدمة المُفاجئة، وتتحدّد تلك الصدمة في الإحساس بالاغتراب نتيجة التشويش والتشويه اللّذان أحدثهُما هذا التجاوُر بجعلِ المُتلقّي يرى العالَم في صورةٍ مُغايِرة لما ألِفه؛ فيكون الخوفُ نتيجة طبيعية لتلك الصدمة، ويمتثلُ الضحّكُ في المُقابل كإستراتيجية دفاعية دورها التخفيفُ من حدّة الخوف، وهكذا ينتُج عن الغروتسك تأثيرٌ نفسي مُزدوج: تأثيرٌ سلبيّ يتمثّل في القمع الذي يُفضي إلى الشعور بالتوتّر بسبب العجز عن الفهم ثمّ التفسير، وتأثير إيجابيّ يكمُن في التحرّر شكلياً من الشعور الأوّل بفعل القطب الثاني من المعادلة الغروتسكية ألا وهو الضحك. وعبر التجاذُب بين قُطبي الخوف والضحك يستمدّ الغروتسك كيانه من دون الوصول إلى الحسم الفاصل لصالح قُطبٍ على الآخر.

ورغم أنّ الطابع الغروتسكي ثابتٌ وموجودٌ منذ القِدم في الفنون والعمارة إلاّ أنّ الاهتمام به من الوجهة الجمالية بدأ في القرن التاسع عشر مع الشاعر الفرنسي " تيوفيل غوتييه- T.Gauthier " ثمّ طرحَه للمدارسة النظرية الفرنسي " فيكتور هيغو- V.Hugo " في مقدّمة مسرحيته كروموِيل التي عدّها النقاد بيانًا للرومانسية؛ فقام بربطه بما هو شعبي بالنظر إليه كوسيلة تُعبّر بها القوى الشعبية عن ذاتها المُستلَبة.ويذهب هيغو في المقدمة ذاتها إلى اعتبار الغروتسك نظرة مُختلفة لمبدأي الجمال والعقلانية فالجمال ليس له إلا نموذج واحد، بينما يتّخذُ القُبح آلاف الأشكال، أمّا العقلانية فإنّ الغروتسك يُمثّل نقيضَها من خلال ما هو من بوادر الخيال ومُرعبٌ ومُنفّر. ثمّ استفاض في الحديث عنه بشكلٍ مُوسّع الألماني " فولفغانغ كايزر- "Wolfgang Kayser في كتابه الصادر سنة 1957 بعنوان (The Grotesque in Art and Literature).ومع بداية القرن العشرين تناول الروسي" ميخائيل باختين- M.Bakhtine " مفهوم

الغروتسك تناولًا دقيقًا يجمع بين الفن والحياة من خلال كتاباته عن الرواية، وعلى الأخصّ (Rabelais and his world) و(Dostoievski)؛ حيث طرح نظرة جديدة للغروتسك من خلال البحث في انتقاله من الحياة إلى الأدب، ووجد في الكرنفال- Carnaval مثالاً حيّاً عنه باعتبار الكرنفال صورة مقلوبة عن الحياة اليومية الرسمية يؤدي إلى التحرّر من ضغوطها، وهذه الصورة المقلوبة انتقلت إلى الأدب عندما فقَد الكرنفال جوهرَه، وربط باختين الغروتسك بما هو سُفلي مادي(الجسد) مقابل الرؤية المثالية (الرأس)، واعتبرَه تلازُماً مقصوداً للأشياء المتعاكسة والمتناقضة، ومحاكاة للفوضى في المجتمع أي أنّ الغروتسك كان نقضًا للقوالب الإيديولوجية السائدة. كما يربط باختين الكرنفال بخاصية الإضحاك حين يعتبرُ الضحك فيه قوّةَ انعتاقٍ جماعية مُحرِّرة من الخوف والرُّعب، بينما يتحوّل الإضحاك الغروتسكي في الأدب إلى سُخرية تستفزُّ المُتلقّي "الفرد" الذي يكتشف ذاتَه من خلال الصورة التي يراها دون أن يوصِله إلى الانعتاق " الجماعي". (حسن، 1997، صفحة 330، 331)

بعد استقصائنا لمُصطلح الغروتسك في المراجع العربية، ثبت لدينا أنه يُعاني من إشكالية الترجمة حيث قوبِل بمقابلات عربية مختلفة، من قبيل: القُبح، الفظّ، المُستَهجن، الشائه، وغيرها.. وقد فشلت- في نظرنا- هذه الترجمات في الإحاطة بالمفهوم الدقيق للمصطلح، فكلمة "القُبح" التي اختارها (دليل الناقد الأدبي) قلّصت من دلالته بتركيزها على عُنصر واحد من تركيبة الغروتسك وإغفال العنصر الثاني المُتمثّل في مُفارقة الواقع عن طريق المبالغة والمغالاة، كما أنها بدتْ أسيرَة دلالته في الفنون الجميلة مهدُه الأوّل وأصل ظهوره.أمّا ترجمتي "الفظّ" و"المُستهجَن" فقد تنازعتاَ لدى إبراهيم الخطيب؛ إذ بدا لنا لأوّل وهلة واعيًا بحدود المُصطلح، وواثقًا من صحّة المُقابل العربي الذي اِرتضاهُ له، مطمئنًا له حيث عرّفه بأنّه« نسَقُ التركيز أثناء الحكي أو الوصف على ما هو هامشي أو جزئي، وإهمال ما يُعتبَر- من وجهة نظر نسَقٍ آخر- مركزيًا وهامًا » (الخطيب، 1982، صفحة 229) وترجَمهُ بـ" المُستَهجَن ".ولا نرى وجود أيّ تطابُقٍ بين المفهوم الذي حدّده له وبين الترجمة العربية التي قابل بها المُصطلح الدال عليه والتي تُحيلُنا مباشرةً إلى المفهوم الشائع والمتعارف عليه للغروتسك من حيث هو تركيبٌ من المُضحك والمُرعب، وهو الأمر الذي أكّده بنفسه عند تبريره لاختياره مصطلح "مُستَهجن" مُقابلًا عربياً للغروتسك في قوله:« استعملنا كلمة مُستهجَن ترجمة لـ grotesque للدلالة في نفس الوقت على معنى الغرابة(..)ومعلومٌ أنّ كلمة "هجين" في العربية تدُلّ على معنى اختلاط الدمّ والنَسب، ولكن استعمالنا لها هُنا لا يحمل أية دلالة أخلاقية أو معيارية » (الخطيب، 1982، صفحة 173).وما يُعزّز مذهبَنا هذا هو تأكيد إبراهيم الخطيب في أكثر من موضعٍ من ترجمته لدراسة "ايخنباوم" حول أسلوب الروسي "غوغول" في قصّته الشهيرة (المعطف)، أنّ الغروتسك هو ذاك الهجين من الفُكاهة والمأساة، وتركيبٌ« تتناوبُ فيه تكشيرة الضّحك وتكشيرة المُعاناة » (الخطيب، 1982، صفحة 165). ثمّ جاء في الأخير وخلَط أوراقنا بوضعِه

في ثبت المُصطلحات مصطلح "فظّ" ترجمة للغروتسك بدلا من "المُستهجَن". لذلك فضّلت، كما نعتقد، الكثير من الدراسات والمعاجم المُتخصّصة الإبقاء على المُصطلح مُعرّبًا (جُروتِسكْ)، (الجروتسك)، (الغروتسك)، (غُروتسكية)، (الكروتسك)...، ليس إقرارًا منها بعجز اللّغة العربية ولكن حذَراً من ترجمة قد تُشوّه المفهوم وتخلطُه بمفاهيم أخرى مُتاخِمة له.

3/ الجسد الغروتسكي في فُرجة "بوسعدية ":

هل يُمكن القول بأنّ الجسد جغرافيا لها تاريخ؟

انطلاقاً من المعنى المُباشر للجسد الذي يعني الجزء المادّي والمُقابل للروح في كيان كلّ الكائنات الحيّة، فإنّ الجسَد يُعدّ حقيقةً جغرافيا لها تضاريسُها وأبعادُها ومساحاتها الظاهرة والباطنة، كما لهذه الجغرافيا تاريخها فقد كان الجسدُ ولا يزالُ موضوع اهتمامٍ في كلّ الشرائع والأديان والمعتقدات والثقافات والفلسفات مُتأرجحاً بين ثُنائية المُقدّس والمُدنّس، والقمع والتحرُّر.وقد بدأ الاهتمامُ به يتنامى أكثر مع عصر النهضة، خاصّة بأفول الإقطاعية التي كانت تمتهن جسدَ الآخر وتعُدّه ملكية خاصّة، وصعود الليبرالية التي أطلقت له عنان الانعتاق من أغلال العبودية، ومن ثمّ صار هذا الجسد تيمةً رئيسة في مجال الإبداع والبحث الفلسفي والأدبي كما يظهر من خلال كتابات الفيلسوف الفرنسي" ميشيل فوكو- M.Foucault " ومنها (المُراقبة والعقاب- Surveiller et Punir) و(تاريخ الجنون في العصر الكلاسيكي- L'histoire de la folie à l'âge classique) ففي البحث الأوّل« أبرز بعض الإجراءات القمعية والسلطوية التي تُمارسُها بعض الأنظمة على الجسد لإرغامه على نهج سلوك مُعيّن يسودُه الامتثال والانضباط، بينما نجده في الثاني يصفُ المجنون بذلك الذي يأتي جسَدُه بأشياء مُخالِفة للمألوف أو بذلك الذي لم يعُد جسمُه مُنتِجاً » (الحيسن، 2014، صفحة 11). واهتمّ الاتّجاه الفينومينولوجي بالبنية الخارجية للأشياء، وكان الجسدُ ضمن اهتماماتها، كما ركّز الاتّجاه السيميولوجي على الجسد من حيث هو بناء رمزي يُعبّر عن تمثيلاتنا السيكولوجية والثقافية، أو برزَ نتيجة إنتاج تاريخي ثقافي وإيديولوجي مُتحوّل، ذلك أنّ حضارة الصّورة(حضارة الجسد) تُقدّم لنا الجسد المثالي الذي يجبُ أن نرغب فيه، إلى الحدّ الذي نقعُ فيه فريسة للاستلاب وهو ما أوضحه " رولان بارث- R.Barthes " عندما درس سيميائية الجسد في الإشهار، وخلُص إلى أنّ عارضة الأزياء لا تعرضُ جسدَها ولا جمالَها، وإنما تُصدّرُ لنا أنموذجاً محضاً تمّ ضبطُه مُسبقاً وبصفةٍ مُجرّدة، حيث يخلُّ المحسوس في الدالّ (الحيسن، 2014، صفحة 10، 11).

وبالعودة إلى الأنموذج الجسدي الذي اخترناه مادةً للتشريح في هذه الدراسة، وهو جسَد بوسعدية، فقد رصدنا أهم المظاهر الغروتسكية لهذا الجسد كالآتي:

3-1/ التضادّ:

تقومُ فُرجة بوسعدية على ثُنائية الفرح والبُكاء، الانجذاب والنفور خوفاً؛ حيث اقترنت هذه الشخصية بتخويف الأطفال بخاصّة، فقد جاء في وصف الفرنسي (أشيل روبرت) لها:« إنّ الأمّهات العربيات ومن أجل توقيف بُكاء أولادهنّ، كُنّ يُهددنهُم بقولهنّ: " إخرس، ها هو بوسعدية قادم"، فجأةً يصمُت الشقيُّ. إذن، من هي الشخصية التي تُسبّب مثل هذا الرُّعب الشديد لأطفال الأهالي؟ إنّه الزنجيُّ الذي هو في الوقت نفسه مُغنّي، راقص، ممثّل صامت، موسيقيّ، يتجوّل في جميع أنحاء الجزائر ولاسيما في مقاطعة قسنطينة، في المُدن والقرى والنجوع والمشاتي البسيطة لممارسة مهنته الغريبة: إنّه بوسعدية مُرعب ومُبعِع أطفال العرب » (Achille، 1900، صفحة 104). ويُضيف مُحاولا إعطاء تفسير لخوف الأطفال من هذه الشخصية بقوله:« نحنُ نفهم بسهولة الأطفال الفرنسيين والعرب، إنّهم يرهبون بوسعدية بسبب ملابسه، وتكشيرة وجهه الفظيع، ولون بُشرته السوداء، ورقصته المُتوحّشة، فهو غير مطمئن للأطفال الصغار المُتملّقين المُعتادين على اهتمام أوليائهم » (Achille، 1900، صفحة 105).ويذهبُ "أشيل" أبعد من ذلك حين يجعل الخوف من "بوسعدية" يتعدى الأطفال إلى الحيوانات، وفي ذلك نظرةٌ كولونيالية عنصرية تصدُر عن فكرٍ مركزيّ لا يحترمُ الخصوصيات الثقافية؛ فيتابع واصفاً وصفا غير بريء « وجهُ القرد والتواءات الزنجيّ، زيُّه الغريب وموسيقاه الجهنمية لا تُكسِبه تعاطُف سُلالة الكلاب، كلابُ المُدن الفرنسية حين تراه تُلاحقه بالنُّباح المتكرر، وتضطرّ إلى ترك مسافةٍ منه والابتعاد عن هذا الكائن الغريب » (Achille، 1900، صفحة 105).

وجاء التوصيفُ العربيُّ لشخصية بوسعدية مُشابهاً لما ذهب إليه الآخر الأوروبي، مع اختلافٍ في لهجة الخطاب التي أكّدت مظهر التضادّ الجامع بين الفرح والخوف من جهة، والانجذاب والنفور من جهة ثانية، لكنها كانت مُجرّدة من العُنصرية وأكثر احتراما للخصوصية؛ حيث يعتمد الباحث اللّيبي " علي الصّادق حسنين" على مخزونه من ذكريات الطفولة في وصفه له، يقول:« ومن ذكريات طفولتي التي تجولُ في خاطري أحياناً شخصية هذا "المُهرّج" "البلياتشو" – إن صحّ التعبير- الذي كنتُ أخافُه؛ إذ كانت ترتعدُ فرائصي لدى تجواله في حيّنا، فكُلّما طرقتْ سمعي نقرات دَنقَته وصيحات صبية الحيّ (بوسعدية دانَهْ دانَهْ، يا جَرّاي في الجبّانَهْ، بوسعدية طَقْ طَقْ، يا وكّالْ في الطّبَقْ) كنتُ أُسارعُ إلى إقفال باب بيتِنا والاختباء تحت السّرير» (حسنين، 1997، صفحة 27).

إنّ شخصيات الغروتسك شخصياتٌ« مُرعِبة وقويّة مُتحكّمة، ولكنّها في اللحظة الأخيرة تُصبح عزلاء وضعيفة، حيث إنها تُسبّب عن طريق مواقفها المتناقضة الضحك والشفقة في آن واحد، فالكروتسك هو نقدٌ للمُطلَق باسم التجربة الإنسانية الهشّة » (نعيم، 2005، صفحة 84).ويُشير الباحث الإيطالي " توركواي كوروتي" بأسلوبٍ مُباشر إلى هذه الثنائية التي تقوم على التضادّ، ولعلّ أسلوبَه المُباشر قد تأثر بهذا التضادّ الكامن في أداء بوسعدية؛ فنجده من جهةٍ يصفُه بالمُهرّج الأخرق، ومن جهةٍ ثانية يُقرّ بأنّ

رقصتَه تعبيرية تحملُ دلالة، يقول:« هذا المُهرّجُ الأخرق الذي يبدو كأنه يُعبّر برقصاته عن التناقُضات المُتجدّدة بين غطرسة الإنسان وضراوة الحيوان..» (حسنين، 1997، صفحة 34). وتحضُر الإشارة إلى هذا التضاد أيضا في توصيف "أشيل روبرت" لرقصة بوسعدية « يبدأ الرّقصُ بطيئًا، فيرفعُ الزنجيُّ قدَمًا بقدَمٍ تِباعًا بإيقاعٍ، ثمّ تجسّد الحركة ويُصبح الرّقص أكثر إثارة، هذه هي الدوّامة المحمومة مع إبراز صوت الطّبل والتواءات الجسد كُلّه.ثمّ يدور الزنجيُّ لفترةٍ طويلة على قدَمٍ واحدة ويجلسُ القُرفصاء ويتوقّف أخيراً.ولتوسيع دائرة الأولاد الذين تتراوح أعمارُهم بين العشرة والخمس عشرة سنة، هؤلاء الذين يتبعون دوماً فنّاننا، يؤدي هذا الأخير سلسلة من القفزات الصغيرة المُضحكة مما يؤدي من تقلُّص وجهِه بشكلٍ مُرعِب وهو يُفرِط في فتح فمِه » (Achille، 1900، صفحة 106).

وبما أنّ الطرف الأوّل من ثنائية الجسد الغروتسكي وهي " المُخيف" قد اقترنت بفئةٍ عُمرية محدّدة (الأطفال) فإننا نذهبُ إلى الاعتقاد بأنّ خوف الأطفال من بوسعدية لا يرجع إلى لباسه الغريب ولا للون بُشرته، بل هو مقصودٌ ومُتعَمّدٌ من طرف هذه الشخصية لتنبيه الأطفال بأن لا يأمنوا لكُلّ غريبٍ يقتربُ منهم، كما أمّنت ابنته الصغيرة "سعدية" (حسب الرواية) لمُختطفيها من تُجّار الرقّ. ورغم هذا المظهر المُخيف والمُرعِب، فإنه ينطوي على ضُعفٍ وهشاشة، وبذلك تتولّد ثنائية أخرى وهي (القوّة والهشاشة)، ذلك أنّ بوسعدية الذي وُصِف بأنّه "بُعبع" الأطفال، هو في العُمق شخصيةٌ حزينةٌ ومكسورة بسبب ما تعرّضت له من اِضطهاد لعِرقها، وخسارتها لابنتها، وتيهها في بلاد الغير بحثاً عن المفقود الذي لا يعود، واحتجاجاً على الوضع بما يُشبه عملية " تدويل" لقضيتها الإنسانية في كلّ أرضٍ تطأها قدماها على مستوى الشعوب لا المؤسسات والأنظمة المتواطئة.ولعلّ المثل الشعبي الجزائري الشائع (بوسعدية خافْ من لَكْلاب ولَكلابْ خافت من بوسعدية) هو تعبيرٌ بليغ لهذه الثنائية (القوّة والضّعف) في هذا الجسد الغروتسكي الحامل لقضيتِه.

2-3/ التنكُّر:

يُعدّ الجسدُ أهمّ تيمةٍ تُحدّد مفهوم الغروتسك، فيحملُ جملة من المفارقات التي يُغذّيها عُنصر التضّاد كما جاء في العنصر السابق من هذه الدراسة، وللجسد الغروتسكي مظهر آخر وهو "التنكُّر" عبر القناع بالنّسبة للوجه، وملابس وتوابع (إكسسوارات) غريبة وغير مألوفة بالنسبة لباقي الجسد.

جاء في وصف بوسعدية الذي ظهر في (ليبيا): « هو في العادة زنجيٌّ طويلُ القامة، يرتدي سروالًا طويلًا وسُترةً خشِنة، ويتوشّحُ شِبه "تنّورة" من الخيوط يتدلّى من كُلٍّ منها عظمُ كَتفيْ غنَم بحيثُ تُحدِثُ قعقعةً غريبةً حين يمشي أو يرقُص. وتُغطّي رأسَهُ شِبه قُلنسوة قُمعية الشكل بأعلاها عُرفٌ من الرّيش وتزدانُ بالعقيق والودَع وبمرايا صغيرة مُستديرة،ويتدلى من القُلنسوة قناعٌ على وجهِه به منقارُ طيرٍ وله لحيةٌ مُستعارة من وبَر الإبل وشَعر الخيْل » (حسنين، 1997، صفحة 28).

ويكادُ يتطابق هذا التوصيف لبوسعدية الذي ظهر في (الجزائر) حيث وصَفه " أشيل روبرت" في كتابه (العربي كما هو) بقوله:« زيُّه غريبٌ جدًّا، كما سنرى، كان يرتدي شاشية مخروطية تُحيط بها العديد من الحُليّ، أوّلا رأسُ ذئب،ثعلب أو وشَق، ثمّ مرايا صغيرة مستديرة، أصداف، أسنان خنزيرٍ برّي، ويعلوها ذيلٌ قديمٌ لحصانٍ أو بغل(..) أمّا ملابسُه فتتكوّن من قندورة، سروال عربي، وعباءة ملوّنة مُبهرجة عادةً ما تكون حمراء، تتزيّنُ هذه العباءةُ التي تُغطّي جذعَه بأزرارٍ نُحاسية هنا وهناك، أحزمة قديمة، أنواع مختلفة من الحِبال، شرائط باهتة، أجراس بحزامٍ جلدي مصنوع من حزام بندقية قديم، ويبدو فوق القندورة وكأنه تنورة قصيرة، ولكي يُعطي الزنجيُّ لنفسه مظهراً مُخيفاً أو أكثر هزلية، يُعلّق على خِصره جلود الرّاكون المجُفّفة والذئاب أو الثعالب » (Achille, 1900, p. 107)

صورة بوسعدية في الجزائر

محمّد ياسين رحمة (

أمّا بوسعدية [illegible] به الهذيان في أحيانٍ كثيرة، مرورًا بحركاته التي تحيلنا مباشرة إلى ساحرٍ من قبائل الإفريقية، انتهاءً بزيّه التنكُّري الجامع بين مُهرّجٍ مُضحك ووحشٍ مُخيف: ألوان زاهية وعظام، وريش وجُمجمة جمل وأسنان حيوانية وجلود حيواناتٍ وقناع وأدوات نُحاسية..» (عياد، " بوسعدية "...الراقص الغامض الذي وحّد القارة الإفريقية، 2022)

لقد صار من المؤكّد أنّ التقنُّع (تقنُّع الوجه والجسد كلّه) آلية بارزة عند بوسعدية، ويهدف التقنّع بوصفه وجهاً من وجوه التنكُّر إلى« إعطاء مجال حيوي للّعب بين الحضور والغياب، الذات والآخر، السّاكن والمُتحرّك، الثابت والحيوي، فهدف القناع إخفاء أو حماية أو تجديد شخصية من يرتديه، كما أنّه يُحوّل هوية المُرتدي بتقديم ملامح بديلة ويُتيح للجسد حريّة من التعبير أوسع » (نعيم، 2005، صفحة 68).غاية القناع، إذن، هي "الإخفاء"، أو "الحماية" أو "التجديد". وهو ما أكده أوّلا (أندري كلافل) في حديثه عن "الجسد الكرنفالي" حين عدّ الكرنفال « لا يتحدّث إلاّ عن الجسد، وإذا كان يستعملُ الأقنعة فإنه لا يفعل ذلك لإخفائه وإنما لإبرازه كجسدٍ آخر،حيثُ يُفتّتُه ليُعيد تشكيله وصُنعَه » (المنيعي، صفحة 36). وفي حالة "بوسعدية" يُمكن الأخذ بعين الاعتبار الغايتين معًا " إنكار" الهوية و"إثباتها" في

الآن نفسه، فإذا صحّت الرواية بأنه كان ملكاً على رأس قبيلته، فإنّ دوره الجديد هو قلْبُه للمعادلة ومحاولته لجلد الذات وإنكارها بتجريدها من عُزلتها وإنزالها من علْيائها مادام قد عجز، وهو الملك، عن حماية ابنته من الاختطاف والاستعباد، فصار أشبه بالصّعلوك التائه في الجغرافيا المعلومة مُخلّفاً وراءه كلّ شيء مُتجرّداً من هويته مُنكِراً لهذا العِرق الذي ظلّ يُعاني من الاضطهاد والاستعباد على مرّ التاريخ.وهو إثباتٌ له في الآن نفسه عبْر الرّقص، والملابس، والهمهمات، وكلّ ما يعكسُ الخصوصية الثقافية الإفريقية.

3-3/ التشويه:

يرتبط التشويه بالمظهر السابق للجسد الغروتسكي وهو التنكُّر، ذلك أنّ التشويه محاولة لإنكار وطمس الهوية الخاصة بالجسَد تقيةً أو تكفيرًا عن ذنب عن طريق إلحاق الأذى به أو جعلِه قبيحًا، ألا نجد الشيعة يفعلون ذلك في احتفالات عاشوراء وتمثيليات إعادة واقعة مقتل الحُسن؟ أليس ذلك محاولة للتكفير عن ذنب خذلان الحُسين في أرض كربلاء وقد كانت قُلوبهم معه لكن سيوفهم مع بني أميّة؟ على العموم،وإن كان الموضوع نفسه فإن الأنموذج الثاني يختلف لحساسيته وسياقاته الدينية التي نتجنب الخوض فيها، وما جاء من حديثٍ عنه فقد كان عرَضياً لغاية التوضيح لا أكثر.

وللتشويه آليات عديدة منها "التضخيم " الذي يطال بعض أجزاء الجسد سيما الوجه، ويجعلُ التّشويهُ الغروتسكَ يدخُل في علاقاتٍ مُجاوَرَة مع مفاهيم أخرى، كالكاريكاتير، والكرنفال، والغريب، والعجيب، والمُفارقة...إلخ. وفي الغروتسك يعملُ الجسدُ على خَرْق الأحجام، أحجام الأعضاء: أنف ضخم أو مُشوَّه، فم واسع كفوهة مغارة، الطول المُلفت للنظر أو السُّمنة الزائدة، الأحدب، العملاق،.. « وتُعدّ فكرة تحريف الأشكال الطبيعية مسألة جوهرية في نظرية "هيغل " حول الفنّ، فالتحريف ذو منحى رمزي لأنّه يُمدّ الروحيّ بتجسيد واقعي مادّي » (بلخير، 2011، صفحة 46). فكلّ ما يشعر به المُؤدي على الصعيد الروحي العميق المُتوارى خلف المادة، يتمّ تجسيدُه مادياً بإخراجه إلى مجال الرؤية التي تعوّدت على كلّ ما هو مُتّسق ومُنسجم وعقلاني وخاضع لنظام المؤسسة (المجتمع، الدين، القانون،..) التي تعمل عمَل الرّقيب والحسيب، ولهذا السبب يتمّ قمع المجنون لأنّ سلوكَه خرَج عن الضبط المؤسساتي.

وإذا كان "بوسعدية" شخصية هائمة في البلاد فهو لا ينتمي إلى موقعٍ جغرافي قارّ، لذلك فهو في مأمن من اتّهامه بالجنون ونبذه في مُجتمعه بالحجر عليه في مستشفيات الأمراض العقلية.وتأسيساً على ما سبق يغدو شخصية استثنائية عاشت تجربة روحية خاصّة وعزم- إراديا أو لا إراديا- للتعبير عنها بالجسد، وبما أنّ هذه التجربة قد ارتبطت بالقهر الإنساني المُتمثّل في سياسة الرقّ والاستعباد، فإنّ "التشويه " هو أوّلاً طريقة في التعبير عن هذه التجربة بتشويه للجسد للتعبير عن الروح، ثمّ إنّه وسيلة احتجاج على الواقع بكسر نظامه ونسقه المُتفق عليه.

من مظاهر هذا التشويه الجسدي في فُرجة بوسعدية، تطويع الجسد بفِعل الالتواءات حتى يقترب من حركات الحيوانات، وفتح فمه بشكلٍ يجعلُه يبدو أشبه بفوهةٍ مغارةٍ مُرعِبة.والحقيقة أنّ المُبالغة في إبراز أعضاء الجسد عموماً والوجه بوجهٍ خاصّ يزدادُ غرابةً مع انخراطها في الحركة والرّقص والأداء بتعبيرٍ أدقّ، فقد كان بوسعدية « عندما يرى عربياً كريماً يبحثُ في محفظة نقوده، يزيد من التواءاته ويقترب من هذا المُتبرّع وهو لا يزالُ يرقصُ فاتحًا فَمَه، وعاءُ تسوُّلٍ جديد لكسب المال، ومن ثمّ يُخزّنُ بسهولةٍ- دون أن يشعُر بالحرج من ذلك- عدّة قطعٍ من عشرة سنتيمات كعلامة تحشو فَكّيْهِ بالطّعام، كلُّ هِبةٍ جديدة تُضيء هذا الوجه اللامع الحليق، وتتسبب في مبالغة الزنجيّ في القفز، يُضاف إليها الشُكر الذي يتجلّى في حركات الرأس وصوتٍ ضعيف » (Achille، 1900، صفحة 106، 107)

وإذا كان التشويه أحد مظاهر الجسد الغروتسكي، فإنّ« الانحراف في اللّباس، والخروج عن التنظيم » (بلخير، 2011، صفحة 46) يُعدّان مظهراً من مظاهر التشويه كذلك، حين يقودان إلى الهزلي والمُرعِب في ذات اللحظة، كالجمع بين الإنسانيّ والحيوانيّ في السلوك واللّباس: قفزات كقفزات القرد، التواءات أفعى راقصة، فمٌ واسعٌ كفم حيوان مفترس، جلود ثعالب وذئاب وراكون، وريش طيور، قواقع وأصداف، مرايا، أضراس وأسنان وأنياب...وباختصار هجينٌ من الإنسانيّ والحيوانيّ في جسدٍ واحد ممسوخ قصداً، بقدر ما يُثير الضحك بقدر ما يبعث على الشجن كما يُثير الرّعب والتساؤل أيّ نوعٍ من القسوة الروحية عاشها هذا المخلوق فترجمها جسدُه احتجاجاً عن طريق أسلوب المسخ وكسر كلّ قواعد الاتساق والانسجام، والنقاء في النوع؟ ! وفي الأخير صدق "ديكارت " حين قال:« إنّ تجربة الألَم هي التي تُجسّد الإحساس بالشّعور بوحدة الجسد والروح » (الحيسن، 2014، صفحة 79).

استنتاجات:

- توزّع جسَد فُرجة بوسعدية على الجغرافيا، وتقاسمتْ هويتَها مجتمعات إفريقية كثيرة.
- هي كنزٌ من العلامات السيميائية والثقافية، وفُرجة مكتملة بمشهديةٍ عالية، من الإجحاف أن نصفها بتوصيفات قدحية من قبيل " ما قبل " مسرحية، و" شبه " مسرحية، فلا يجوز التعامل معها وفق منظومة المسرح الأوروبي فنتجنّى على خصوصيتنا الثقافية.
- صُنّفت هذه الفُرجة في أغلب الدراسات الأجنبية في خانة الرقص، ولكنها فُرجة مُكتملة الأركان بكل ما تحمله الكلمة من معاني تبادل الأثر بين المُؤدي والمتلقي.
- كانت هذه الفرجة محلّ احتقار وسُخرية في مرآة الآخر الذي لا يرى غير صورته، ويسعى دوما أن يقيس الآخر على مقاس أنموذجه (المُتفوّق) ! بالرغم من أنها كانت مصدر إلهامٍ ومنبع ثراء لإخراج هذا المسرح من إفلاسه في القرن العشرين.

خاتمة:

بتضافر هذه المظاهر يكتملُ تشكُّل الجسد الغروتسكي في أداء بوسعدية، جسداً مُحتَجًّا ومُستسلِمًا، مُقاوِمًا وراضخًا، مُضحكًا ومُرعبًا، أليفًا ومُتوحّشًا، إنسانًا وحيوانًا، مألوفًا وعجائبيًا خارقًا، صادقًا ومُتحايلًا، بريئًا ومُتورّطًا في تجربةٍ من تجارب هذه الحياة القائمة على تجاورِ الأضداد.

المصادر والمراجع:

1. divid, Richards. (1944). *Masks of difference.* combridge: combridge university press.
2. Hamon, William. (2006). *Ahand book to littérature.* new jersey: person éducation.
3. Robert, Avhille. (1900). *L'arabe tel'qu'il est, études algériennes & tunisiennes.* Alger: Imprimerie joseph angelini.

4. البازعي سعد، الرويلي ميجان (2005) دليل الناقد الأدبي .ط 4 ، الدار البيضاء ,المغرب :المركز الثقافي العربي.
5. الحيسن إبراهيم (2014) .الأيقونة والجسد، نماذج من الفنّ التشكيلي المغربي .المغرب :منشورات جمعية الفكر التشكيلي.
6. الخطيب إبراهيم (1982) .نظرية المنهج الشكلي .ط 1، الرباط، لبنان :الشركة المغربية للناشرين المتحدين ، مؤسسة الأبحاث العربية.
7. المنيعي حسن .الجسد في المسرح .طنجة، المغرب :منشورات المركز الدولي لدراسات الفرجة.
8. بلخير لطيفة (2011) .اشتغال الجسد الغروتيسكي في المسرح وأدبية النصّ الدرامي .ط 1، حكومة الشارقة :الهيئة العربية للمسرح.
9. إلياس ماري، قصاب حسن حنان (1997) .المعجم المسرحي، مفاهيم ومصطلحات المسرح وفنون العرض .ط 1 ، لبنان :مكتبة لبنان ناشرون.
10. حسنين علي الصّادق .(1997) .حكاية بوسعدية . مجلة تُراث الشعب، ليبيا، ع1، س17، 1997، ص 28 .

11.بن عياد صلاح. (2022). " بوسعدية "...الراقص الغامض الذي وحّد القارة الإفريقية. رصيف 22 https //raseef22.net>article>1086.

12.ثروت عكاشة .(1990) .المعجم الموسوعي للمصطلحات الثقافية .لبنان :مكتبة لبنان.

13.عزيز حلمي، غيطاس محمّد .(1993) .قاموس المصطلحات الأثرية والفنية .مصر :الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان.

14.نعيم إقبال .(2005) .الجروتسك في العروض المسرحية .حكومة الشارقة :إصدارات دائرة الثقافة والإعلام.

15.وهبة مجدي. معجم مصطلحات الأدب .لبنان :مكتبة لبنان.

16.يوسفي حسن .(2000) .المسرح والأنثروبولوجيا .ط 1، الدار البيضاء ,المغرب :دار الثقافة.

تقييد الصفة واللازم في كناية الجزء للكل: مقاربة معرفية

Restriction of the adjective and necessary in the metaphor of the part for the whole: an epistemological approach

عادل الحدان، جامعة الحسن الثاني- الدار البيضاء- المملكة المغربية
البريد الإلكتروني:elhaddan@gmail.com

تهدف هذه الورقة الى دراسة اشتغال كناية الجزء للكل، وذلك بتتبع أنساق الربط التصوري بين مجالات المصدر ومجالات الهدف. ويحاول البحث الإجابة عن إشكالية أساسية مفادها: كيف يبنين الذهن البشري تصوراتنا لكنايات الجزء للكل؟ وتتطلب الإجابة عن هذا الإشكال صياغة مبادئ أو مباعد كنائية، مما يضبط إدراكا لعملية إنتاج التعابير الكنائية على مستوى الذهن بصفة عامة، وإدراك ماهية تعابير كناية الجزء للكل على وجه الخصوص؛ باعتبارها من أكثر التعابير استعمالا في الكنايات التصورية، علاوة على ذلك ارتباطها بالإدراك الجشطلتي للأشكال والذوات المبنينة تصوريا. ولخدمة هذه الأهداف والمرامي اعتمد البحث على إطار النظري يمتح من الدلالة المعرفية؛ حيث تم الاستناد إلى نظرية الاستعارة والكناية التصورية مع لايكوف وجونسون (1980)، وجهود محمد غاليم (1987) المستمدة من نوريك (1981). وقد قسمنا هذه الورقة الى قسمين: في القسم الأول تعرضنا للإطار النظري، ثم انتقلنا في القسم الثاني لبيان خصائص كنايات الجزء للكل؛ حيث قمنا بصياغة مبعدين دلاليين من خلال استقراء المعطيات الكنائية، يتمثلان في مبعد تقييد الصفة، ومبعد تقييد اللوازم.

الكلمات المفاتيح: الكناية، الجزء والكل، الدلالة التصورية، الربط التصوري، الاستعارة.

The aim of this paper is to study the use of part-whole metonymy by tracing the patterns of conceptual linkage between source and target domains. The research attempts to answer a fundamental question: how does the human mind construct our conceptualizations of part-whole metonymy? Answering this question requires formulating principles or dimensions of metonymy, which regulate our perception of the process of producing metonymic expressions at the mental level in general, and our understanding of the nature of part-whole metonymy expressions in particular. This is because part-whole metonymy is one of the most commonly used expressions in conceptual metonymy, and it is also associated with the holistic perception of shapes and imagined entities. To achieve these goals and objectives, the research relies on a theoretical framework based on cognitive semantics. Specifically, it draws on the conceptual metaphor and image-schematic theory of Lakoff and Johnson (1980), and the efforts of Mohammad Ghaleem (1987), which are derived from Norrick (1981). This paper is divided into two sections: in the first section, we present the theoretical framework, and then in the second section, we describe the characteristics of part-whole metonymy by formulating two semantic dimensions through a deduction of metonymic data, namely, the dimension of restricting the attribute and the dimension of restricting the necessities.

Keywords: metonymy, the part and the whole, imaginative significance, imaginative linking, metaphor.

.

1.الإطار النظري :

1.1.الكناية التصورية:

تتطلب دراسة الكناية التصورية في اللسانيات المعرفية الوقوف عند المقترحات الأولية الرائدة التي قدمها لايكوف وجونسون (1980) حول الاستعارة التصورية في كتابهما (الاستعارات التي نحيا بها). حيث اعتبرا أن الاستعارة ظاهرة عادية في اللغة والفكر، على خلاف النظرة السائدة قبلهما التي ترى في الاستعارة ظاهرة بلاغية تزيينية. وعلى هذا الأساس اعتبر عملهما الكناية ظاهرة تصورية تشبه إلى حد ما الاستعارة. " فالكنايات، شأنها شأن الاستعارات، ليست حالات عشوائية أو اعتباطية، ويجب أن لا نتعامل معها باعتبارها أمثلة فريدة. فالتصورات الكنائية هي بدورها نسقية". (لايكوف وجونسون: 1980، ص 75) لكونها جزء من حياتنا اليومية، وطريقة في التفكير وممارسة سلوكنا وكلامنا انطلاقا من التجربة.

وعلى الرغم من ذلك فإن هناك تباينا بين الاستعارة والكناية من حيث السيرورة التي تنتج كلا منهما. " فالاستعارة، أساسا، وسيلة لتصور شيء ما من خلال شيء آخر، ووظيفتها الأولى الفهم. أما الكناية فوظيفتها إحالية قبل كل شيء. إنها تسمح باستعمال كيان معين مقام كيان آخر. إلا أنها ليست أداة إحالية فحسب، بل وظيفتها تيسير الفهم أيضا". (لايكوف وجونسون: 1980، ص 75) مما يعني أن الكناية تسمح بالتركيز أكثر على العنصر المحال عليه بدقة. وهذا ما يؤكد نسقية الكناية من حيث أنها ليست حالات عشوائية أو اعتباطية ترد في الكتابات البلاغية والأدبية.

وتتلخص وظيفة الكناية في الإحالة على المجالات بدقة كونها أداة مرجعية للربط بين مجالين تصوريين بناء على علاقة مجاورة أو ترابط (جاكندوف: 1992). وهي بذلك عملية معرفية للوصول إلى تصور ذهني انطلاقا من مصدر نحو هدف. (لانكاكير:1993) وفي أثناء الربط الكنائي التصوري بين مجال المصدر والهدف يتم الربط الذهني بين علاقات تصورية، تندرج ضمن نسق ذهني تمت بنينته بواسطة التجربة البشرية، حيث نجد المعطيات الآتية: (لايكوف وجونسون: 1980)

المنتج للمنتوج:

(1) اشتريت فورد.

(2) قرأت الجاحظ.

(3) يعلق زيد بيكاسو في غرفة نومه.

الشيء المستعمل للمستعمل:

(4) دخلت الحافلات في إضراب .

(5) لا توجد أقلام جادة.

المسؤول للمنفذ:

(6) قنبل نيكسون هانوي.

(7) بنى خوفو الهرم الأكبر.

المؤسسة للأشخاص المسؤولين:

(8) يعتقد البرلمان أن الإجهاض عمل لا أخلاقي

(9) رفعت فيليبس أثمنتها من جديد

المكان للمؤسسة:

(10) لم ينبس البيت الأبيض ببنت شفة

(11) هدد الكرملين بوضع حد للمحادثات

المكان للحدث

(12) لن نجعل التايلاند تصير فيتناما آخر

(13) لنتذكر دائما لبنان

تشترك هذه الحالات الكنائية في النسقية التي نجدها في الاستعارات التصورية لأنها جمل لا تنتج اعتباطيا أو صدفة، إنها نتاج لسيرورة ذهنية تسمح لنا بتصوير شيء من خلال ارتباطه بشيء آخر.

2.1.المبادئ العلاقية للكناية:

لدراسة طبيعة الترابطات الذهنية نستعين بعمل (غاليم : 1987) الذي يضع الترابطات بين المجالات التصورية في إطار مبادئ دلالية علاقية، باعتبارها جزءا من البنية التصورية، إذ تقوم هذه المبادئ على رصد العلاقات الدلالية في اللغات الطبيعية، والعمل على إنتاج قواعد سلامة الدلالة وسلامة التصورات. ذلك من خلال اقتراح مباعد علاقية مشتقة من المبادئ التصورية العامة التي تعتمد وجهة نظر نفسية؛ حيث تمثل ميولات المتكلمين إلى تعرف الترابطات بين الكيانات الدلالية بناء على الاستنتاج بين:

(14) " النار" (سبب) و " الدخان" (مسبب) ؛ و" السيف" (أداة) و"السياف" (منفذ)

تنقسم المباعد الدلالية إلى نوعين:

- مباعد استعارية مشتقة من مبادئ المشابهة التصورية.
- مباعد كنائية مشتقة من مبادئ المجاورة التصورية.

وتصاغ المباعد كأي صورة من المبادئ التصورية، مثلا: مبعد يعالق بين السبب والمسبب يصاغ:(غاليم:1987، ص128)

{1}- "س وص قراءتان دلاليتان والعلاقة بينهما كنائية".

3.1. علاقة الجزء بالكل:

ترتبط علاقات الجزء بالكل بالكيفية التي ندرك بها الارتباطات بين الأجزاء عموما بالكل، في نسقنا التصوري. (لايكوف وجونسون:1980،ص40) كعلاقة اليد بالجسم، والعجلة بالسيارة، فالأجزاء تشكل الصورة الجشطلتية للأشياء. وبالتالي نتعرف الجزء بالكل، والكل بالجزء عن طريق الاستنتاج النابع من تجربتنا التصورية المشتقة من المجاورة الكنائية.

وبناء عليه، يمكن صياغة مبدأ علاقة الجزء بالكل كالآتي:

" تحيل س على ص، إذا كانت س تتصور جزءا من ص".

وبما أن هذا المبدأ يقوم على الاستنتاج التبادلي بين الجزء والكل يمكن الحصول على الصيغة التقابلية الآتية: (غاليم:1987، ص121)

{2} كل ⟷ جزء.

تشمل التعالقات المبنية على التقابل بين الجزء والكل الأشياء المدركة أو المجسمة، وكذا الأفعال البسيطة بالأفعال المركبة، ومنه يمكن اشتقاق مباعد الكل والجزء من المبدأ الدلالي السابق كالآتي:

المبعد 1:

{3}" هناك علاقة كنائية بين س و ص، إذا كانت س تخصص جزءا من الكل ص"

يقيم المبعد 1 علاقة دلالية بين الجزء والكل في إطار استنتاجي يجعل من الجزء يؤدي إلى إدراك الكل بكيفية تلقائية فالعجلة في (15) تحيل على السيارة بناء على التصورات النمطية لشكل السيارة، مع التركيز على أهمية الجزء المحيل على الكل، ففي (16) تخرج الدلالة الإحالية عن موضوع السيارة، مع أن المرآة جزء من السيارة.

(15) اشترى زيد عجلة

(16) اشترى زيد مرآة

المبعد 2:

{4}" هناك علاقة كنائية بين س و ص، إذا كانت س تخصص فعلا بسيطا رئيسا في إنجاز الفعل المركب ص"

يرتكز المبعد 2 على الترابط الخفي بين الأفعال البسيطة والأفعال المركبة، كدلالة " الركوع" على الصلاة. مما يفسر العمليات الذهنية التي يبنين بها الذهن البشري أفعالنا، ويعالق بين الفعل البسيط الجزئي، والفعل المركب الكلي.

2.كناية الجزء للكل:

تندرج كناية الجزء للكل ، كما سبقت الإشارة إلى ذلك، ضمن بنيات المجاورة التصورية، التي تربط بين كيانين إحاليا، بناء على ترابطات علاقية تصورية. مما سيمح بتوليد بنيات لغوية مبنينة ذهنيا للعالم، أي: عالم نظمه الذهن بطريقة لا واعية. ومر بسيرورات التنظيم الذهني. إذ ذاك تكون المعلومات التي تفيدها اللغة معلومات عن العالم المسقط وليس عن سواه (حجفة: 2000، ص110). وهنا تطرح مسألة العلاقة بين الإحالة والصدق اللذين يتسمان بالنسبية.

إن الوظيفة الكنائية الإحالية تغلب على الوظيفة التنبؤية في هذا المستوى الأولي. لذلك نركز على دراسة الربط الإحالي في نماذج كنائية، وفق المبادئ والمباعد الدلالية المعتمدة. مما سيمكن من اختبار تعميماتها الإجرائية.

وفي سبيل ذلك، سنقسم المعطيات إلى تقييدات دلالية مستنبطة من العلاقات الكنائية، التي توافق النمذجة الذهنية لكناية الجزء للكل، ومن تم نحصل على مباعد مشتقة من المبدأ الكنائي العام:

1.2. تقييد الصفة:

يشير لايكوف وجونسون (1980) إلى أن كناية الوجه تمثل حالة كنائية خاصة للربط الإحالي بين الوجه والشخص، وذكر معطيات من قبيل:

(17) إنها ليست سوى وجه جميل، وكفى.

(18) هذه الوجوه الجديدة تبعث عن الأمل.

(19) لا أحب هذه الوجوه الكئيبة.

في الأمثلة (17) و(18) و(19) تحيل الوجوه على الأجسام، انطلاقا من تجربتنا الثقافية التي تجعلنا ننظر إلى وجه الشخص عوض وضعه الجسمي أو حركاته، لنكون فكرة عنه، لأننا ندرك العالم بواسطة الكناية عندما نحدد هوية الشخص من خلال وجهه، وعندما نتصرف وفق هذا الإدراك. (لايكوف وجونسون:1980،ص56) ويلاحظ كذلك أن الإحالة عن الشخص بالوجه خاضعة لتقييد "الصفة" (جميل - جديد - كئيب)، علاوة على ذلك فقد تم التركيز على الوجه باعتباره الجزء الأهم من الجسم. بمعنى أن المتكلم يختصر سمات الجسم في الوجه، رغم وجود أعضاء/ أجزاء أخرى قابلة للتمييز، ففي (17) يختصر المتكلم الفتاة في الوجه الجميل، مما يفتح المجال أمام تأويلات أخرى مثل:

(20) إنها ذميمة الأخلاق، لكنها جميلة الوجه.

(21) إنها لا تمتلك مقومات المرأة المثالية، لكنها جميلة الوجه.

(22) إنها معاقة، لكنها جميلة الوجه.

فإذا كناية الوجه تنوب عن الشخص في ارتباط بمحددات الصفة، فإن هناك كنايات أخرى تربط الشخص بأجزائه الأخرى، (لايكوف و جونسون: 1999) لنلاحظ المعطيات الآتية:

(23) تعج الجامعة برؤوس فارغة.

(24) إننا لا نشغل القامات القصيرة.

(25) وظفت المؤسسة دماء جديدة.

(26) يحتاج كلامي إلى آذان صاغية.

تقدم المعطيات أعلاه طرقا أخرى لانتقاء الأجزاء المُحيلة على الكل، فالرؤوس الفارغة في (23) تحيل على الطلبة المتأخرين دراسيا، أما (24) فتحدد صفة القصر معيارا للتشغيل، وفي (25) دلت الدماء الجديدة على الأشخاص الأكثر نشاطا وحيوية، وكذلك في (26) أحالت الآذان الصاغية على المستمع المنصت. إن هذه المعطيات جميعها ترتبط بأعضاء مخالفة لجزء الوجه، لكنها أحالت على الكل (الشخص) بالطريقة نفسها، مع الاحتفاظ بالصفة (فارغة- قصيرة- جديدة- صاغية).

ومنه يمكن صياغة المعبد 3:

{5}" هناك علاقة كنائية بين س و ص، إذا كانت س تخصص جزءا من الكل ص، وكانت س ملتصقة بصفة".

2.2. تقييد اللوازم

تقوم الصفة وفق هذا المبعد الكنائي على تخصيص إحالة الجزء الذي لا يميز الكل بطريقة آلية، بمعنى أن الجزء (الوجه - الرأس- الأذن- الدم) لا يحيل على الشخص دائما، مما جعل الصفة أداة لتأكيد الإحالة. ويستثنى من المبعد الحالات الآتية:

(27) أرسلنا على الأعداء عينا.

(28) ضعفت قوة التاج بشكل مميت.

(29) أسطول من مئة شراع.

ترتبط الأجزاء في المعطيات (27) و(28) و(29) بالكل بطريقة مباشرة، حيث دلت العين في (27) على الجاسوس، لأن لفظة العين تحيل ثقافيا وتصوريا على شخص يراقب العدو كما لو كان عينا، فالتركيز حدث على جزء الجزء:

{6} العين ← ← الوجه ← ← الشخص

أما في (28) فقد أحال التاج على الشخص (الملك) على الرغم من عدم تطابق الشخص ولوازمه، فقد يكون ملكا بدون تاج. ومع ذلك يؤدي إدراكنا لصورة الملوك التقليدية إلى ربطها بمجموعة من اللوازم (التاج المرصع بالجواهر أو الأزهار، الصولجان، العرش أو كرسي الحكم...). وإذا سلمنا بالإحالة في (28)

فإن اللوازم تعتبر جزءا من الكل، شأنها شأن الشراع في (29) الذي يحيل على السفينة. وعليه، نصوغ المبعد 4:

{7}" هناك علاقة كنائية بين س و ص، إذا كانت س تخصص جزءا من الكل ص، أو س من لوازم ص".

خاتمة:

نخلص في نهاية هذه الورقة إلى القول إن كناية الجزء للكل تقوم على ترابطات علاقية مشتقة من البنية التصورية القائمة على المجاورة الدلالية، حيث يترابط مجالان تصوريان: مجال مصدر ومجال هدف وحيد. وأن هذا الترابط يحصل بالإحالة التي تقوم بإسقاط تمثلاتنا الذهنية على الموجودات في العالم الخارجي.

وقد حاولنا الانطلاق من نظرية الكناية التصورية لإبراز نسقية التعابير الكنائية من خلال الاستعانة بالمبادئ الدلالية والمباعد التصورية لكناية الجزء للكل، في محاولة تطوير مبعدين دلاليين، يمكن تعميمهما على تعابير كناية الجزء عن الكل، إذ أضفنا محددات قيمية تتمثل في الصفة واللازمة.

نشير كذلك إلى أن هذه الورقة تفتح الباب أمام جهود أكثر لتعميق البحث في الكناية بصفة عامة، وكناية الجزء للكل بصفة خاصة.

المصادر والمراجع:

العربية:

جحفة، عبد المجيد (2000). مدخل إلى الدلالة الحديثة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء ، المغرب، الطبعة الأولى.

غاليم، محمد (1987). التوليد الدلالي في البلاغة والمعجم. دار توبقال للنشر الطبعة الأولى.

غاليم، محمد (2010). المعنى و التوافق: مبادئ لتأصيل البحث الدلالي العربي، دار الكتب الحديث، عمان، الأردن.

لايكوف وجونسون (1980). الاستعارات التي نحيا بها. دار توبقال للنشر. الدار البيضاء . المغرب، ط2. ترجمة: عبد المجيد جحفة

لايكوف وجونسون (1999) الفلسفة في الجسد. دار الكتاب الجديدة المتحدة. بيروت، ط1، 2006. ترجمة عبد المجيد جحفة.

الأجنبية:

Norrick, N. R. (1981). Semiotic principles in semantic theory (Vol. 20). John Benjamins Publishing. University of Chicago press.

Langacker, R. W. (1993). Reference-Point Constructions. Cognitive Linguistics, 4, 1-38.

Lakoff, G., & Johnson, M. (1980). Metaphors we live by. University of Chicago press.

Jackendoff, R. S. (1992). Languages of the mind: Essays on mental representation. The MIT Press.

التفاصيل وتشكّل المرجع في النص القصصيّ
قراءة في كتاب "لسوادي حلاوة" لرحمة البحيري.

Details and formed references in narrative texts.
A reading in the book " Lisawadi Halawa " by Rahma Al-Bhiri

د. وليد عبد اللاوي، جامعة صفاقس (تونس)
abdellaouiwalid@live.fr

المُلخص:

اهتممنا في هذا المقال بمسألة التفاصيل وأثرها في تشكّل المرجع في النص القصصيّ، وقد تطلّب منا ذلك الوقوف في القسم الأول على ملامح التفاصيل ومظاهرها في مستوى المتن القصصي، والاهتمامُ في القسم الثاني بملامح التفاصيل في خطاب الهامش، ثمّ التركيز في القسم الثالث على بيان أثر هذه التفاصيل المُختلفة في تشكيل دلالة جديدة للمرجع.

ومن أهم النتائج التي توصلنا إليها في هذا المقال أنّ التفاصيل في النص القصصي لا يختصرُ دورها في شدّ انتباه القارئ، والإيهام بمرجعيّة الأحداث المرويّة مثلما ذكر ذلك العديد من الباحثين، إنّما هي أداةٌ تستعملُها المُؤلفة لكتابة بيئتها وخُصوصيّتها المحليّة التونسيّة، وهي كذلك وسيلة يعتمدُها الرّاوي لتشكيل دلالات أخرى للمرجع مُخالفة لدلالته المرجعيّة أو الأصليّة، وهي بلا ريب دلالة مُلتبسةٌ باعتقادات الراوي ورغبة المُتلقي في رؤية ذاته داخل النص القصصي.

الكلمات المفاتيح: التفاصيل، المرجع، الراوي، المدينة، تشكيل.

Abstract:

In this article, we focused on the issue of details and their impact on the formation of the reference in the fictional text, and this required us to stand in the first section on the features of the details and their manifestations at the level of the narrative text. In the second section we pay attention to the features of the details in the margin, and then focus on the third section on explaining the impact of these different details in shaping the new meaning of the reference.

One of the most important results we reached in this article is that the details in the fictional text are not limited to attract the attention of the reader, and the illusion of reference to the narrated events, as mentioned by many researchers, Rather, it is a tool used by the author to write about her Tunisian local environment and her specificity, and it is also a means used by the narrator to form other connotations of the reference contrary to its referential or original connotation, which is undoubtedly an ambiguous connotation with the narrator's beliefs and the recipient's desire to see himself within the fictional text.

Keywords: details, references, recommendations, narrators, cities, Formation.

المقدمة

يسعى المُؤلفُ في مُختلف الأجناس الأدبيّة والقولية عموما إلى استدراج القارئ والتأثير فيه، وتختلفُ أساليب الاستدراج باختلاف الذات المُتكلّمة (Speaker subject) والجنس الأدبي الذي تكتبُه. ولئن اتخذ كاتبو الأمثال والمقامات قديمًا من الطرافة والمُحسنات البديعيّة مثل السجع والجناس والطباق وسيلةً لاستمالة القارئ، وشدّ انتباهه ، فإنّ أصحاب الرواية والقصص حديثًا اتخذوا من التفاصيلِ (Details)وتفاصيلِ التفاصيلِ استراتيجيّة لإثارة القارئ واستدراجه إلى عوالمهم القصصيّة التخييليّة.

وقد استوقفت ظاهرة التفاصيل في الخطاب السردي العديد من الدارسين، فاعتنوا بها من زوايا سردية مُتعدّدة من نحو البحث في شعريتها وبلاغتها والوظائف التي تنهضُ بها (هيمة، 2016، والعايب، 2018، وذويب، 2018، وبدري، 2018، و2021). ولكن رغم جُهود هؤلاء الباحثين في مُقاربة مسألة التفاصيل والبحث في مظاهرها وأنواعها في نماذج من الروايات العربيّة، فإنّ انفتاح التفاصيل على المرجع وأثرها في تشكّله ظلّ مُغيّبًا في جُلّ الدراسات التي اطلعنا عليها. ولما كان ذلك كذلك، اخترنا في هذا البحث دراسة مسألة التفاصيل في كتاب "لسوادي حلاوة" للكاتبة التونسيّة رحمة البحيري.

ويعودُ اختيارُنا لهذه المجموعة القصصيّة إلى سببين اثنين: أوّلهما، يتعلّقُ بالمُدونة في حدّ ذاتها، إذ لمسنا وعيًّا من لدُن الكاتبة بقيمة التفاصيل، وقد تجسّد ذلك على أديم النُصوص في مستوى المتن والهامش. وأمّا ثانيهما، فهو يتعلّقُ بالموضوع المبحوث فيه، إذ اهتمّ جُلُّ الباحثين بالتفاصيل في الرواية، ووقع تغييب القصص؛ لأسباب مُتعددة منها أنّ الرواية لها قُدرة على استيعاب التفاصيل أكثر من القصص القصيرة التي تتسمُ بالإيجاز في اللفظ والثراء في الدلالة (GROJNOWSKI,1993,p 44 -41) .

ولن يكون بحثنا استقصاءً لمواطن التفاصيل والأنماط الخطابيّة التي تتأدّى بها فحسب، إنّما يقتضي عملنا أن نتناول التفاصيل من حيثُ هي وسيلة سرديّة ترتبطُ ارتباطًا وثيقًا بالمرجع، ولها بالأحداث المرويّة والشخصيّات والأشياء والأمكنة والعوالم أسبابٌ وأنسابٌ. فأين تتجلّى التفاصيلُ في النص القصصيّ؟ وكيف تُسهمُ التفاصيل في تشكّل المرجع ورسم هوية سردية لهُ مُغايرة للهوية التاريخيّة؟

تقديم المُدونة

" لسوادي حلاوة" هي مجموعة قصصيّة للكاتبة التونسيّة رحمة البحيري، تضمنت تسعة نُصوص مُختلفة، وهي كالآتي: "القناص"، و"الحمام"، و"لسوادي حلاوة"، و"قرية السوالم"، و"حورية الكلاتوس"، و"مرشي الهجاجل"، و"علي ولد الحوات"، و"شجرة البول العملاقة"، و"العربية وسيعة". ولسرد هذه القصص استعانت البحيري بنوعين من الرُّواة: أوّلهما، راو من خارج الحكاية (Extradiegetic Narrator)، ينقلُ ما يرى، وتجسّد ذلك في النُصوص الآتية: "القناص"، و"الحمام"، و"لسوادي

حلاوة"، و"قرية السوالم". أمّا ثانيهما، فهو راو شخصي(Actorial Narrator)يُشاركُ في الأحداث، وتجلّى ذلك في "حورية الكلاتوس"، و"مرشي الهجاجل"، و"علي ولد الحوات"، و"شجرة البول العملاقة"، و"العربية وسيعة".

ورغم تباينُ هذه النُصوص، فإنّ البحيري كانت حريصةً على كتابة هويّتها العربيّة الإسلاميّة، وبيئتها التونسيّة، ومدينتها "القيروان" الضاربة في التاريخ، وقد أحسنت الكاتبة استثمار الموروث الشفوي التونسي من نحو الخُرافات التي جاءت على لسان الشخصيّات في نص "الحمّام" أو أغاني "لطفي بوشناق" و"الشيخ العفريت". وإلى جانب ذلك جعلت البحيري الشخصيّات تتكلّمُ باللهجة العاميّة التونسيّة واللكنة القيروانيّة على وجه من الخُصوص، أي الطريقة التي يتكلّمُ بها أهالي القيروان، فاكتسبت بذلك المجموعة القصصيّة بُعدًا محليًّا يُمكنُ أن يُؤسس لها مُلكًا كونيًّا.

1 ـــ ملامح التفاصيل في مستوى المتن القصصي

أ ـــ التفاصيل في مستوى الأحداث المرويّة

إنّ المُتأمّل في هذه القصص التي نحن منها بسبيل يُلاحظُ أنّ الرّاوي، ومن ورائه المُؤلفة يعتني بالتفاصيل الدقيقة والبسيطة للأحداث، فيحرصُ على التوغّل في أعماق اليومي والمحلّي، ويسردُ الأفعال الجزئية والهامشيّة التي تنهضُ بها الشخصيّات من نحو التفاصيل التي تتعلّقُ بنجاح "عمّار" ودراسته وعلاقته بصديقته "نور" وبقية زملائه، وإحالته على مجلس التأديب مثلما تجلّى ذلك في نص "قرية السّوالم"، أو ما نلمسُهُ في نص "مرشي الهجاجل" من تتبع دقيق لليوميّ مثل النقاشات التي تقعُ بين رُوّاد الحانة وبين المُتسوقين في السُوق الشعبي، وغيرها من التفاصيل اليوميّة البسيطة.

ولئن أوهم الرّاوي في بعض النُصوص القصصيّة مثل "القناص"، و"الحمام"، و"لسوادي حلاوة"، و"قرية السوالم" أنّهُ راو من خارج الحكاية ينقلُ ما يراهُ فحسب، فإنّ التفاصيل الدقيقة التي ينقلها تكشفُ إيهامه وحقيقته، وتُؤكدُ لنا أنّهُ ليس راويًا من الخارج مثلّما أوهم ، بل هو راو عليم بكل تفاصيل الحكاية. ووكدُنا ما وقفنا عليه في نص " لسوادي حلاوة" من ذكر مُفصّل لأفعال شخصيّة "زينة" التي تزوّجت من فاتح، ثمّ اكتشفت بعد الزواج أنّهُ يُديرُ شبكة دعارة. "تنهدت ملْء رئتها، كشفت عن معصم فنار، حرّكت به خليط الزقوقو المنقع في الماء من ليلة أمس، وضعت غربال الشعر فوق قدر من نحاس، سكبت السائل، وأخذت تتأمّلُ نزوله مصفّى في قاعه، فكّرت لحظتها لو أنّها تجد غربال شعر لحياتها أيضا ؛ يساعدها في ترشيح ما علق من طفيليات سلبتها براءتها ونغصت صفوها، صفرت متحسرة وهي تدعك ما بقي عالقا وسط الغربال: " كيف يا ربي؟ كيف؟ أستغفر الله"، تمكنت منها جملة" حتى لوكان يصلح" وظلت تتردد في خفاء وتنهش ذاكرتها دونما رحمة، أضافت الطحين والسكر، ثم شرعت في طبخ

عصيدة الزقوقو بهونٍ في حركة دائرية بطيئة على قدر وقع الكلام في نفسها"(البحيري، 2022، ص ص 51 ـ 60).

يسرُدُ الرّاوي في هذا المقطع حدث إعداد زينة لعصيدة الزقوقو، وهو حدثٌ عرضيٌّ في الحكاية. ولكن رغم ذلك، فإنَّ الرّاوي أحاط بمُختلف تفاصيله، وحاول الإلمام بكل جزئياته، فنقل الأفعال التي تقومُ بها زينة بكل دقّة "كشفت"، و"حركت" و"أخذت و" سكبت" و"وضعت". ولم يكتف الرّاوي بسرد أفعال زينة الجسديّة، إنّما نقل كذلك أفعالها الباطنيّة ("فكّرت"، "تأمّلُ"، نغّصت"). وتستوجبُ هذه التفاصيل بالضرورة كائنًا عليمًا بذات زينة ومشاعرها وكيفية رؤيتها للحياة والأشياء. فمثلُ هذه التفاصيل من شأنها أن تشُدّ القارئ، وتستدرجهُ لمُتابعة الحكاية. ولا يتركُ الرّاوي فرصةً، إلا وينتقي من الأحداث المرويّة ما يراهُ يُفصّلُ، فهو يملكُ "قُدرةً على الالتفات إلى تفصيلات دقيقة يُؤثثُ بها المشهد الحكائي. وظيفتها الأساس الإيهام بأنّ المشهد حي حقيقيّ، أو هو جزءٌ من الواقع"(بدري، 2021، ص 360). وقد يُؤدي الرّاوي هذه التفاصيل بأنماط مُختلفة، فتارةً ترِدُ سردًا لحدثٍ، وتارةً أخرى تكونُ وصفًا لمكان أو شخصيّة.

ورغم حرص الرّاوي على ذكر تفاصيل الأحداث المرويّة، فإنّنا نلفيه أحيانًا يُوردُ بعض الأحداث مُجملةً من قبيل ما وقفنا عليه في نص "الحمام" من ذكر دقيق لتفاصيل نزع منيار ثيابها في الحمّام " شرعت في خلع جبتها، [...] اقتلعت كل ملابسها، تحسست جسدها بخوف من يلامس جسما غريبا لأول مرة، أحسّت بدفء سرى في شرايينها، عانقت نفسها بحنيّة، ارتمت في الجابية، تلولبت مثل عروس البحر بنغم شبقي إلى أن استفرغت كل طاقتها السلبية. تسترت وبقيت في هدوء تراقب وتُجد في داخلها الحارزة مُنجية".(البحيري، 2022، ص ص42 ـ 45). وفي مُقابل ذلك يكتفي الرّاوي بإيراد أحداث أخرى مُجملة دُون التدقيق فيها مثل حدث إمساك الشُرطة بالمرأة التي حاولت استدراج "منيار" وإقناعها بالسفر إلى سُوريا، "أخرجوها في موكب من الشتم وزغاريد الظفر"(البحيري، 2022، ص45).

وليس اختيار الرّاوي التفصيل في حدث نزع منيار ثيابها نوعًا من الترف السردي، بل يدخلُ ذلك في إطار الكشف عن نهاية الصراع النفسي والوجودي الذي كانت تعيشهُ شخصيّة "زينة"، وتحول حالتها، فقد تحررت أخيرًا من الهاجس الذي كان يُؤرقها. وقد "نشعُرُ أحيانًا بكثير من الإطناب، ولكنّهُ إطنابٌ أساسي، وضروري لما يبعثه في نفوس القراء من جاذبية وتشويق للتعرف على مزيد من هذه الأشياء"(هيمة، 2017، ص 5). وتُسهمُ هذه التفاصيل كذلك في الحدّ من سُرعة السرد، فينتقلُ الراوي من ناقل للأفعال إلى واصف للأحوال، ومن هنا تأتى قصصيّة "لسوادي حلاوة".

بيّن من خلال ما تقدّم أنّ الرّاوي في قصص "لسوادي حلاوة" هو راو انتقائي لهُ قُدرة على اختيار التفاصيل وربطها وسبكها، فهو شبيه بذلك "المصور الحاذق الذي يلتقط الصور والمشاهد، مُركزا على الجُزئيات والتفاصيل الصغيرة التي قد لا يلقى لها الإنسان العادي بالا [...] مُكونًا منها صُورًا ومشاهد نابضة بالدلالات والإيحاءات"(هيمة، 2017، ص4). ولا يعملُ على رصف التفاصيل وتكثيفها، إنّما يسيرُ وفق استراتيجية مخصوصة تُسهمُ في جعل التفاصيل سياسة في القص يعتمدُها الرّاوي لتجذير الخُصوصيّة التونسيّة وإثبات هويّته وذاته. بيد أنّ التفاصيل لا تتوضّحُ في مستوى الأفعال التي تنهضُ بها الشخصيّات فقط، إنّما يُمكنُ أن تتوضّح بصفة أكبر إذا نظرنا في أحوال الشخصيّات من ناحيّة أولى، وما تتلفظُ به من أقوال مختلفة عند عمليّة التخاطُب من ناحيّة ثانية.

ب ـــ التفاصيل في مستوى الشخصيّات

يعمدُ الرّاوي في نُصوص "لسوادي حلاوة" إلى وصف الشخصيّات وصفًا دقيقًا، فيُركّزُ على الملامح الجسديّة مثل الجسد واللباس، ومن ذلك ما نلمسهُ في المقطع الآتي: " تأنق الجمالُ فيها بدقّة بالغة، نحت كلّ جزءٍ وفق محور تماثل بديع، تشفّف كل ما فيها فتعرّت الدّماء وبانت حُمرتها، ويكأن الثّلج في نصاعتها، تلونت بمكياج ربّاني، شفتاها ورديّة الزهر، عبث بهما مرض الغربي، فسيّحهما بحبر الفراولة. لاحظت ذلك فبلّلتهما بقطرات من زيت الزيتون لتسدّ رمقها. إلا أنّ بعض القطرات غرّها فتحة البلوزة فجذبت مُعانقة الصدّر مُتزحلقة على امتداد عنق ازدان بسلسلة شيشخان؛ رغم ما ثقلها من زمرّد وألماس إلاّ أنّها اكتسحت مشارف قلعتها لسنوات عدّه مُنذ طلاقها. أزاحتها بتهاون لتزيل ما تمرّد من الزيت، فانكشف ما كان متواريا وراء تشابكات الذهب؛ جرح عميق غليظ يشبه جُرف سيل جاف شوّه نعومة المكان، فحفر تشقّقات تشمئزّ لها الأبصار"(البحيري، 2022، ص52).

لقد اعتنى الرّاوي في هذا المقطع بوصف "زينة" ، وقد كان وصفهُ لها وصفًا خارجيًّا، فركّز على مواضع الإثارة في جسدها، ثمّ شرع في عملية الوصف، فوصف وجهها، وشفتاها، وصدرها وعُنُقها الذي ازدان بسلسلة شيشخان زادها الزُمرّد والألماس جمالاً. ولم يقتصر وصفُ الرّاوي على مواطن الجمال فحسب، إنّما وصف الجُرح الذي شوّه نُعومة جسدها. وقد بدا الوصفُ مُتناغمًا ومُنسجمًا مع أسماء الشخصيات " زينة"، و"الفاتح"، وما تحملهُ من أبعاد ودلالات مُختلفة.

ولا يعتني الرّاوي في هذه النُصُوص القصصيّة بكل الشخصيّات المرويّة، إنّما يقصُرُ همّهُ عادةً على تلك الشخصيّات التي تُساهمُ في دفع مسار الأحداث دُون أن ينظُر في مكانتها داخل الحكاية، فشخصية "بروكة" في نص مرشي الهجاجل، هي شخصية ثانوية. لكن رغم ذلك، فإنّ الراوي اهتم بها، فوصف شكلها وطباعها "ثم إنّ بروكة صاحب المحل، ليس كابنه البتة لا شكلا ولا مضمونا. كان قصيرا، سمينا، هادئا، قليل الكلام والحركة. يلزم كل الوقت كرسيا على جانب، ولا يصحيّه من نومه إلا يد إحداهن

تربّت عليه، لتعطيه ماله، ويستلمه دون أن يراجع وراءها. لا أعلم لما أطلقوا عليه لقب برّوكة، لكن حسب اعتقادي أنه رجل ذو بركة"(البحيري، 2022، ص97).

وقد أسهمت طباعُ برّوكة الهادئة في منح الرّاوي هامشا من الحُرية في التعامل مع الزبائن، والتحدث إليهم، لذلك سيكون لهذه التفاصيل التي قدمها الرّاوي حول شخصيّة " بروكة" دورٌ مُهمٌ في توجيه المسار القصصيّ. فلو كان "برّوكة" كثير الكلام والحركة لما استطاع الرّاوي التحدث مع الفتاة التي استدرجته، ولكانت الحكاية مُغايرةً تمامًا.

ولا يكتفي الرّاوي بذكر التفاصيل الخارجيّة للشخصيّة المرويّة، إنّما يعمدُ إلى تتبّع الحالة النفسيّة لبعض الشخصيّات، فينقُلُ تفاصيلها الداخليّة بكل عناية، ومن ذلك ما نُلحظهُ في نص "لسوادي حلاوة" من تفصيل لحالة زينة والعم الشاذلي "إلا أنّهُ يتقبلُ دلالها بكل صدر رحب، ويتمتمُ داعيًا:" ربي يزين سعدك بنيت"، فتؤمنُ باستحياء، وتتعثر حروف التطلّب بين طيّات لسانها:"كهوّا؟" فيكمل ضاحكا، منتعشًا بمخزون الحياة الذي يملأ صدرها ويهيج روحها:" ربيّ يحلّيك في عين شاريك!" وتشرد في الحال في حلاوة الدّعاء، وتتخيّل بيتها المستقبليّ مع شاريها كما يُسمّيه العم الشّاذلي وهذا السّجاد يحملُ سعادتهما على عاتقه دون تململ، وتخيلهُ وهو يعكس قوس قزح عليهما، ويحضن أطفالهما بدفء ما حاكه (البحيري، 2022، ص 50). وتُسهمُ هذه التفاصيل الداخليّة التي ذكرها الرّاوي في هذا المقطع إلى تقريب صُورة الشخصيّة إلى المُتلقي والإيهام بأنّهُ يُحيلُ فعلاً على شخصيات في العالم المرجعي.

ولا يخصُّ الرّاوي الشخصيات المرويّة بالوصف الداخلي فقط، إنّما يعمدُ في بعض النُصوص التي يكون فيها مُشاركًا في الحكاية إلى وصف حالته أو إحساسه في لحظة قوّة أو ضعف أو شهوة من نحو قوله في نص "مرشي الهجاجل"، "لأول مرة أرى نهدين بحلمتين حقيقيتين، وليس من وراء شاشة أو على ورق. أحسست بنوع آخر من الذكورة. انتابني إحساس لذيذ بالغلط. تراقص نبض دمي على ايقاع خفقات قلبي. شعرت باتساع حدقاتي وكل مساماتي. نظرت إلى وجهها، استغربت من ابتسامتها. شعرت فجأة بانقباض ما رأيت من خلالها صورة عشيق أميّ. اكفهررت. انتصبت شعر جلدي وكأنه يريد أن يهجرني. غدوت قطا بريّا في لحظة الشعور بالخطر. أدارتني ظهرها بعد أن غمزتني. وتحولت بعد ذلك إلى قط وديع يريد أن يسمعها مواء حاجته"(البحيري، 2022، ص98).

يصفُ الرّاوي في هذا المقطع حالتهُ النفسيّة عندما شاهد لأول مرّة جسد امرأة غريبة، ويُسهمُ هذا الوصفُ الدقيق للعالم الداخلي إلى جعل المروي لهُ يغُوص في بواطن الرّاوي الشخصيّ، فيكشف مشاعرهُ، وما يُساورهُ من دهشة، ورهبة واستغراب في أول مرّة يرى فيها نهدين بارزين بعيدًا عن الصور أو الأفلام. ولم يقتصر الرّاوي في هذا المقطع على وصف مشاعرهُ المُتداخلة، إنّما استعمل التشبيه التمثيلي لتكون الصورة أوضح في ذهن المُتلقي، فشبّه نفسهُ بالقط الجائع حين يُحسّ بالخطر في لحظة أولى، ثمّ شبّه

ذاتهُ بقط وديع يريد أن يُسمع المرأة مُواء حاجته. فالرّاوي إذن لا يكتفي بتعيين الموصوف، إنّما يميلُ إلى التفصيل في الوصف عبر التشبيه وتكثيف النُعوت.

ويُمكنُ أن تتوضّح التفاصيلُ بشكل جليّ إذا نظرنا في كيفيّة نقل الراوي لأقوال الشخصيّات والظروف الحافة بمقام تلفظها، إذ نلفي حرصًا كبيرًا منه على الاهتمام بالتفاصيل القوليّة، فيُميّزُ بين تلفظ الشخصيّات المُتكلّمة وتلفظه حين يكونُ نقلهُ لأقوال الشخصيّات نقلاً مُباشرًا، فيُعينُ الشخصيّة المُتكلّمة، ويُحددُ عملها القوليّ ("قال" و"قالت" و"أجاب" و "ردّ" و"سأل")، ثم ينقلُ كلامها بكل عناية وتفصيل. ويعمدُ في كثير من الأحيان إلى تمطيط الخطاب الإسنادي، فيُعين الشخصيّة المُتكلّمة ويذكر عملها اللغوي، ثمّ "يُضيفُ إلى ذلك جرس الكلام ودفقه والايماءات والإشارات ومقام التخاطب ومعنى الأقوال الخفي"(القاضي وأخرون، 2010، ص 174)، ومن ذلك ما نقفُ عليه في المثال الآتي:

" وعلى وقع الضحكات جلجل الهاشمي:" يا حمادي! ها فنّوزة ! امشيلي راهي الدنيا شهيلي!" فأتانا يتهادى ببسمة تتلألأ من تحت شنباته، تدسّ الانشراح في صدور جمدّها قرس الزمان: "وهذه واحدة عارقة لسي الهاشمي!" تمعنني بعينين يسكنهما الحزن رغم ما يبدو عليه من بشاشة وحيوية، وعلى ما يبدو أنّهُ قد فقه ما أنا فيه من اضطراب، فأكمل: "وهذه واحدة عارقة من عندي لضيوف خويا الهاشمي!" فردّ عليه: "يرحم اميمتك! ما نكلف عليك! "(البحيري، 2022، ص ص 94 ـ 95).

نقل الرّاوي في هذا المقطع الحوار الدائر بين "الهاشمي" ونادل الحانة "حمادي" نقلا مُباشرًا. ولكن رغم وجود قطيعة تلفظيّة بين تلفظ الرّاوي وتلفظ الشخصيّة المُتكلّمة، فإنّ الرّاوي انخرط في أقوال المُتكلمين ووجّهها حسب رؤيته، وقد تجسّد هذا التوجيه بذكر حالة المُتكلمين وتفاصيل المقام التلفظي مثلما يلي:

الخطاب الإسنادي	مواطن التفصيل
"جلجل الهاشمي"	الصوت
"فأتانا يتهادى ببسمة تتلألأ من تحت شنباته، تدسّ الانشراح في صدور جمدّها قرس الزمان"	حالة الشخصيّة المُتكلّمة(حمادي) وتأويل حالة الزبائن.
"تمعنني بعينين يسكنهما الحزن رغم ما يبدو عليه من بشاشة وحيوية، وعلى ما يبدو أنّهُ قد فقه ما أنا فيه من اضطراب، فأكمل:"	الحالة النفسيّة للشخصيّة (حمادي) والرّاوي ذاته.

يبدو الرّاوي من خلال ما تقدّم حريصًا على نقل كل الحيثيات المُصاحبة لتلفظ الشخصيّات المُتكلّمة، بدءً من ذكر طبيعة صوت الهاشمي، مُرورًا بحالة الزبائن، وصولاً إلى حالته. ويعكسُ هذا التمطيط في مستوى الخطاب الإسنادي وعي المُؤلفة بقيمة التفاصيل في السرد الحديث، وأثرها في تأصيل الخُصوصيّة المحليّة داخل هذه النُصوص القصصيّة الت نحنُ منها بسبيل. وقد يُقلل الرّاوي أحيانًا من تحديد العمل القولي للمُتكلمين، فيجعلها تتكلّمُ دُون أن يتدخل، ومن ذلك ما نلمسهُ في هذا الحوار القائم بين ثُلّة من النسوة في الحمام.

"وامتزج الكلام بقهقهة مع نبرة استغراب" ووووه! بلباسها في قلب الحمّام!".

ـ " قد تكون مجرابة، أو عندها بثور، أو الله يعلم ببلائها، وأتت تداوي بماء الكبريت! هيّا لنبتعد! مثلما يقولون: "ايجيك البلاء ياغافل"!

ـ " بل لا أتوقع، ألا ترين كيف تتلوّى؟ يبدو أنها مجنونة!"

ـ " بل يبدو أنّها ملبوسة! يقولون، باسم الله العظيم، حمام القرقيبة مسكون! مؤكد أنّها لم تسمّ قبل أن تدخل!"

ـــ "ووووه؟ باسم الله!"

ـــ" نعم! يحكون، اسم الله العظيم، كم من واحدة دخلت الحمّام ولم تخرج، ولم يجدوا لها أثرًا!"(البحيري، 2022، ص ص 36 ـ 37).

جاء هذا الحوار بين مجموعة من النسوة تُحاولُ كل واحدة منهن تقديم تفسير لسبب دخول "منيار" الحمام بلباسها، وقد تعددت التأويلات باختلاف المُتكلمين. ولئن أرجعت المرأة الأولى سبب ارتداء "منيار" لباسها في الحمام إلى إصابتها بالأمراض الجلديّة، وهو تأويلٌ منطقي، فإنّ المرأة الثانية والثالثة، أرجعتا سبب ارتداء "منيار" لباسها في الحمام إلى الجُنون واللبس أو المس، وهو تأويل ينحو منحى الخرافة لكنّهُ يكشفُ في الآن ذاته عن المستوى الثقافي والمعرفي للشخصيّتين.

وقد حرص الرّاوي على نقل أقوال الشخصيّات مثلما تلفظت بها، فنقلها باللهجة العاميّة التونسيّة دُون أن يتغافل عن نقل أصوات الدهشة "ووووه"، وتُسمّى هذه العمليّة بالتفريد (Individuation)، أي أنّ الرّاوي يجعلُ من الشخصيّة المُتكلّمة تتكلّمُ بلهجتها العاميّة، فيتكلّم المُثقف (الكاتب والأستاذ والطبيب) بلغة المُثقفين والعاميّ بلُغة العوام. ويُعدُّ التفريد مظهرًا آخر من مظاهر التفصيل في نقل أقوال الشخصيّات المُتكلّمة.

جليّ من خلال ما تقدّم أنّ التفاصيل حاضرةٌ في مستوى الأحداث والأحوال والأقوال، وقد تأدّت بأنماط خطابية مُختلفة، فتارةً تكونُ سردًا لأفعال تنهضُ بها شخصيّات مُعيّنة، وتارةٌ أخرى تكونُ وصفًا خارجيًّا أو داخليًّا لشخصيّات مُختلفة، وقد تتجسّدُ كذلك في اهتمام الرّاوي بعمليّة التلفظ، وما

يحفُ بهذه العمليّة من تفاصيل وجزئيات دقيقة مثل ذكر حالة المُتلفظ أو المُخاطَب أو ما يتّسمُ به الكلامُ من انفعال . وتروم المُؤلفة من وراء هذه التفاصيل التلفظيّة كتابة الخُصوصيّة المحليّة وتجذيرها، وهو ما سيتأكّدُ بصفة جليّة في خطاب الهامش.

2 ــ ملامح التفاصيل في الهامش

لقد سلّمت المُؤلفة منذ البداية مقاليد السرد للرواة، لكن ذلك لم يمنعها من الحُضور صراحةً في خطاب الهامش، فنجدُها تُفسّرُ بعض الكلمات العاميّة التي تلفظت بها الشخصيّات المُتكلّمة أو أشار إليها الراوي في عملية القص. وقد تباينت هذه التفاسيرُ والشروحُ بين الإيجاز والإطناب، فتتعمّدُ المُؤلفة أحيانًا الإيجاز في تفسير بعض الأشياء والكلمات العاميّة إذا كانت غير مُهمة في المتن، فتكتفي بتفسير مُجمل لا يتجاوز ثلاث كلمات، ومن ذلك تفسيرها كلمة "البراني" بالغريب (البحيري، 2022، ص 51،الهامش 1) أو كلمة "المحرمة" بالحجاب (البحيري، 2022، ص 83، الهامش3).

وفي مقابل ذلك يطولُ هذا الخطاب التفسيري، وتُفصّل المُؤلفةُ القول في تفسير بعض المفردات العاميّة الأخرى، من قبيل تعريفها لكلمة "الكسكسي" بأنّهُ " أكلة مغاربية، أمازيغية، تختلف في طريقة طهوها من جهة إلى أخرى في بلاد المغرب العربي، وهي من الوجبات الرئيسيّة ولا تغيب طويلا على المائدة التونسية، وهي أكلة كل مناسبة" (البحيري، 2022، ص68، الهامش 2) أو تعريفها لكلمة "القرابيلة" بأنها " نوع من البنادق يستخدم للصيد خاصّة، يستعملها الريفيون والبدو للتعبير عن فرحهم في المناسبات خاصّة في رقصة الزقارة" (البحيري، 2022، ص69، الهامش1). ولا تروم البحيري من وراء هذا التفصيل والتدقيق في معنى المُفردات العاميّة تسهيل فهم القارئ العربي لهذه المفردات فحسب، إنّما تقصدُ من وراء ذلك منح القارئ أكثر ما يُمكن من المعلومات والتفاصيل حول المفردات العاميّة، ويدخلُ ذلك في إطار التثاقف (Acculturation) والتعريف بالخُصوصيّة المحليّة، واستدراج القارئ للاطلاع على الثقافة التونسيّة وخصائصها من جهات عديدة مثل اللغة والعادات والتقاليد.

بيد أنّ دراستنا لمسألة التفاصيل في مستوى المتن القصصي، وخطاب الهامش تبقى حسب رأينا منقوصة، إذا لم نربطها بأثرها في عمليّة تشكيل المرجع والإحالة عليه. فكيف تُساهمُ التفاصيل في تشكيل دلالة المرجع في الخطاب القصصي؟

3ـ التفاصيل وأثرها في تشكيل المرجع

من آكد سمات الخطاب المرجعيّ أن ينهض "بتعيين ما هو خارج عن نطاق القول من عناصر. وقد تكونُ هذه العناصر ملموسة كالطائر والشجرة والقلم. وقد تكون مُجرّدة مثل الحُريّة والحب. ويكونُ المرجع المُحال عليه قائما في التاريخ مُتداولا بين الناس كالخبز. ويكونُ هذا المرجع مُتخيّلاً لا يوجد حقيقة إلا في النص السردي [...] ويكونُ المرجع مُمكن الوجود في النص التخييليّ [...] ويكونُ غير

مُمكن الوجود"(القاضي وآخرون، 2010، ص 187). والمُتأمّلُ في الخطاب القصصي من جهة المرجع، يُلاحظُ أنّ المراجع التي يُحيلُ عليها الرّاوي في هذه المجموعة القصصيّة تنقسمُ إلى قسمين: أولها المراجع القائمةً في التاريخ مثل مدينة القيروان وقرية السوالم ومرشي الهجاجل، وغيرها من الأمكنة المرجعيّة. وأمّا ثانيها، فهي مراجع تخييليّة مُمكنة الوجود مثل شخصيّة "منيار" أو "علي ولد الحوات"، أو "بروكة"، إذ يُمكنُ أن نجد مثل هذه الشخصيّات في العالم المرجعي الذي نعيشُ فيه. لكن هل أنّ مدينة القيروان التي يُحيلُ عليها الرّاوي في نصوص " لسوادي حلاوة" هي ذاتُها القيروان التي نعرفُها في العالم المرجعي؟ ألا تُسهمُ تلك التفاصيل التي يذكرها الرّاوي عن المدينة في طمس هويّتها التاريخيّة والتأسيس لهويّة نصيّة مُوازية؟

ـــــ أ ـــــ التفاصيل وأثرُها في تشكّل المدينة

لقد مثّلت المُدن العربيّة مصدر إلهام العديد من المُبدعين في مجال الأدب والفنون، فاهتموا بها في قصائدهم وقصصهم ورسوماتهم ومسرحياتهم، من قبيل ما نقفُ عليه في قصائد محمود درويش من حُضور لافت لفلسطين وبعض المُدن العربيّة، أو ما نلمسهُ كذلك في كتابات إبراهيم الدرغوثي ومحمد الباردي من حُضور لبعض المُدن التونسيّة مثل تونس وقفصة وقابس، وغيرها من المُدن. وتخضعُ المدينة " لمُقتضيات الجنس الذي تتنزّلُ فيه، إذ ليس وجودها هنا وهناك في مجال الأدب وجودًا تاريخيًا ينهضُ على طريقة النقل والتسجيل. فهي في الشعر تصاوير محمولة في المجاز والرّمز، وهي في أصل القصص عامّة [...] مُلتبسة بمبدأ التمثيل "(الخبوّ، 2006، ص 36). وقد ولّت البحيري وجهها شطر مدينة القيروان تسردُ تفاصيلها، وتنقلُ أجوائها أناء الليل وأطراف النهار، فتتبعُ تحركات الشخصيّات في المدينة، مُحاولة رسم القيروان بسحر الكلمة، ودقة العبارة. ولا نُبالغُ في القول إذا قلنا إنّ البحيري لم تترُكُ شاردةً ولا واردةً في القيروان إلا نقلتها، واحتفت بها في أزمنة مُختلفة، ومن ذلك احتفاؤها بمدينة القيروان ليلة القدر مثلما يوضّحُه المثال الآتي:

"كان ذلك في سيدي رمضان، تحديدا ليلة السابع والعشرين منه. كان كل شيء في غاية البهاء حولنا. جلبة هذه الليلة بالقيروان لها وقع خاص، يأتي الزوار من كل حدب كي يصلوا التراويح بالجامع الكبير، جامع عقبة بن نافع. وكعادة أهالي المنطقة يأخذون أطفالهم معهم، ويُلزمونهم بجملة من الآداب أهمها أن لا تتحرّك، وأن يخشع [...] ذهبنا بعدها إلى السيد الصحبي. وجدنا احتشادًا كبيرًا. رجال الشرطة يُنظمون السيّر. عربات بأحصنة تُشبه عربات مُلوك خيالي. رجالٌ كُثرٌ يلبسون مثلي، ويحملون بنادر، تارةً يُهللون، وتارةً أخرى يُمجّدون النبيّ عليه أفضل صلاة وسلام، والناس أمامهم يرقصون في الملأ. تخلّلناهم ودخلنا إلى الصحن ، أي سقيفة الضريح، فهو مقام الصحابيّ أبي زمعة البلوي. وكان على غير عادته، في أوج أناقته، افترش أبهى حلية من زرابي القيروان. اتّخذ رجال الحضرة مكانًا على جانب منه

يُرددون أغانيهم الصوفيّة علة وقع زغاريد النساء، ونسم البخور. أخذتنا الخالة سميرة إلى امرأة افترشت أرضا عند باب الضريح تنقشُ الحرقوس على الأيادي. رسمت لنا حوتة، وخلال. بينما انحنت على يد الخالة تزخرف بياضها"(البحيري، 2022، ص ص 108 ـ 111).

لقد حاول الرّاوي في هذا المقطع السردي نقل أجواء ليلة القدر في مدينة القيروان، فوقف في مرحلة أولى عند جامع عقبة بن نافع، واصفا وقْع هذه الليلة على الحاضرين، مُذكرًا في الآن ذاته بالآداب التي يُلزمُها الآباء على أطفالهم مثل عدم التحرّك والخشوع في الصلاة. ثمّ انتقل بعد ذلك إلى مقام أبي زمعة البلوي، فتتبع حركة الشخصيّات "يُمجدون"، و"يرقصون"، و"افترش"، و"اتّخذ". وأسهمت هذه الدقة في تقريب أجواء القيروان للمروي لهُ من جهة أولى، لكنّها رسمت في مُقابل ذلك هويّة سرديّة (Narrative identity)للمدينة تختلفُ عن الهويّة التاريخيّة (Historical identity) التي نعلمها عن القيروان في العالم المرجعي؛ وبذلك، فإنّ إحالة الرّاوي على معالم مدينة القيروان مثل مسجد عقبة بن نافع وضريح سيدي الصحبي ليست إحالة على وجه الحقيقة مثلما يفعلُ المُؤرخُ، بل هي إحالةٌ مزعومة (Searle, 1979,p115) يعدلُ فيها الرّاوي عن الجهة الأصليّة للقيروان، وينسج قيروانهُ المُمكنة، وهي وجهة مُلتبسة بجهات اعتقاد المُتكلّم وأحواله، فما ينقلُه عن أجواء القيروان في ليلة القدر، هو في الحقيقة صادر عن ذاتٍ مُدركة تُدركُ القيروان إدراكًا مخصُوصًا، فتنتقي ما تراهُ مُناسبًا، وتُفصّلُ القول فيه، وتُهملُ في مُقابل ذلك بعض التفاصيل الأخرى التي لا تخدمُ مسارها القصصيّ، وربّما لا تخدمُ تجسيد الخُصوصيّة المحليّة كأحسن وجه.

نحنُ إذن إزاء مدينة قُدّت من تفاصيل دقيقة أثرت تأثيرًا كبيرًا في تشكّل الملامح السرديّة لمدينة القيروان، وجعلتها مُتفردة عن القيروان في التاريخ، ومُختلفة عن قيروان فرج الحوار في رواية " راضية والسيرك" وقيروان جرجي زيدان في رواية " فتاة القيروان"، وغيرها من النُصوص السرديّة الأخرى التي اتخذت من القيروان مكانا تدور فيه الحكاية المرويّة. ونفهم من ذلك أنّ الهويّة السرديّة ()للمدينة ليست ثابتةً، إنّما تتجدّدُ وتتبدّلُ من نص إلى نص ومن مُؤلف إلى آخر. بيد أنّ ما يلفتُ انتباهنا في "لسوادي حلاوة" أنّ دلالة المرجع (القيروان) ليست ثابتة في كلّ القصص، بل تتبدّلُ من نص إلى آخر مثلما يُوضّحهُ الجدول الآتي:

مدينة القيروان في نماذج من نُصوص "لسوادي حلاوة"		
"مرشي الهجاجل" (أ)	"لسوادي حلاوة"(ب)	"علي ولد الحوات" (ت)
رأيت صومعة الجامع الكبير تتلألأ لي من بعيد، تضج أعماقي نفحات الأمن والأمان، تحكي لي طيبة وخشوع أهاليها. [...] كان مرشي الهجاحل على الجهة الأخرى من دوار الصنبة، سوق بباب حديديّ أزرق لا يقفل، يعكس عالم القيروان، يلتقي فيه بالغني والفقير، المثقف والجاهل، ونظرا لضيق منعرجاته ولفاته مع تراص الدكاكين فإن أصحاب السيارات يتحولون إلى فقراء يعتمدون على أرجلهم ويتساوون مع البقية (البحيري، 2022، ص ص 93 ـ 96).	سحبت من جهازها قشابية من الحايك على شكل عباية، تسترت بها وعزمت الذهاب إلى الجامع الكبير، جامع عقبة بن نافع، لأخذ ما جهزته من عصيدة، كي يتم توزيعه على حلقات الذكر ومجالس الترتيل التي لا يهدأ لها بال منذ صلاة الفجر [...] شقت حي الصدادمة، وصولا إلى الجرابة فباب القدة [...] اعترضت طريقها حشودٌ كثيرةٌ تبهرجت بألبسة تقليدية متنوعة، الجبّة، الفوتة والبلوزة، السفساري (البحيري، 2022، ص ص 60 ـ 61)	" رأيت ليل القيروان في سيدي رمضان بعيدًا عن حومة الجامع، الحيَ العتيق الذي أقطن فيه. تمشيتُ في زُقاقها، [...] امتدّ على سورها الخارجي سوقا أشبه بالسرك، هذا يبيعُ لعبا وهذا ينادي ملابس من الخارج تركيا، ايطاليا.. وآخر يبيعُ حلوى الشعر الوردية والحلوى الحمصيّة الحمراء، وفي زاوية عرضت الأواني الفخارية المُزركشة... اشترت منها الخالة سميرة طقمًا"(البحيري، 2022، ص ص 110 ـ 111)

ينقُلُ الرّاوي في المقاطع (أ) و(ب) و(ت) تفاصيل مُتنوعة عن مدينة القيروان، وما تتسمُ به من أجواء في بعض المُناسبات. غير أنّ المُدقق في هذه المقاطع يلمسُ صُورًا مُتباينةً عن المدينة ذاتها، فنجدُ الرّاوي في المقطع (أ) ينقلُ تفاصيل سُوق الهجاجل، فيصفُ بابهُ الحديدي ومُنعرجاته الضيّقة. ويُصوّرُ في المقطع (ب) أجواء الأحياء في ليالي رمضان. وأمّا في المقطع (ت)، فإنّ الرّاوي يصف أجواء المدينة العتيقة والسُوق الخارجي، وما يتضمّنهُ من سلع مُختلفة. وقد أسهمت هذه التفاصيل الدقيقة التي اهتمّ بها الرُّواة في (أ) و(ب) و(ت) في خلق قيروانات سرديّة مُمكنة، وهو ما يُسميه لوبومير دوليزال (Lubomir Dolezél) بالنظائر أو النُسخ، (Godman,1992,p 135) فهي لها منطقها الخاص

الذي به تختلفُ عن القيروان في العالم المرجعي؛ ولذلك يُمكنُ القول إنّ الدلالة الإحاليّة المرجعيّة في هذه المقاطع هي دلالة سرديّة وشكليّة تُفهمُ انطلاقًا من النص. ولا تُؤثرُ التفاصيل في تشكيل المدينة والأمكنة التابعة لها فحسب، إنّما تُؤثرُ كذلك في تشكّل الأشياء وتمنحُها دلالات مُغايرة لدلالتها في العالم المرجعي.

ب ـ التفاصيل وأثرُها في تشكّل الأشياء

لقد دعا سول كريبك (Saul Kripk) إلى ضرورة التمييز بين نوعين من الإحالة، وهما الإحالة الدلالية وإحالة القائل، وتتصلُ الإحالة الأولى بمراجع " تُسوّغها الأعراف اللغويّة المتواضع عليها. أمّا الثانيّة فمُقترنة بما يأمل القائل القصد إليه، إذ يُمكنُ بحسب المقام أن يُنجز القائلُ عملاً إحاليًّا ظاهرًا به يُحققُ عملاً إحاليًا غير ظاهر"(الخبوّ، 2006، ص75). ويُنجزُ الرّاوي الإحالة بطُرق مُختلفة من نحو أسماء الأعلام والأماكن والتراكيب الاسميّة، وبعض الضمائر المُتصلة.

وإذا أمعنا النظر في هذه النُصوص القصصيّة من جهة الأشياء التي يُعيّنها الرّاوي ويصفُها، أدركنا أنّ هدفهُ من الإحالة على بعض الأشياء هو تحقيقُ أعمال إحالية ضمنيّة ترتبطُ ارتباطًا وثيقًا بمقاصده، ومن ذلك ما وقفنا عليه في وصفه عصيدة الزقوقو. "سحبت طبقا من نحاس دائري، يوحي لمعانهُ بحداثة تقصديره، شابه المرآة من صفائه فعكس صورتها بنقاء أكبر. تساءلت إذا ما كانت جروحها معدنا فتقصدرها وتمحي جميع ندبات الماضي. أحضرت من جهازها صحافًا فخاريّة مُزركشة بنقوشات إسلاميّة، رصّفتها وملأتها بالعصيدة، وأخذت تُزيّنها بحلوى الدنيا والمكسرات، فتبهرجت بأبهى حلية تطعم القلب وتخلب الأعين. ألقت نظرة خاطفة على كلّ الصحاف وقالت:" الزّقوقو أسود حالك ؛ مسوّد ملوّد، لكن لا يوجد في لذته قط، امم... ثم إنّ القليل من الزينة غطّت سواده!" تنشقت هواء الأمل ثمّ أردفت قائلة:" **أكيد لسوادي حلاوة!**"(البحيري، 2022، ص ص 59 ـ 60).

لقد أحال الرّاوي في هذا المثال على "عصيدة الزقوقو"، وهي أكلة تونسيّة يتمُّ إعدادها في المولد النبوي الشريف. بيد أنّ الناظر في عمليّة الإحالة يُلاحظُ أنّ الرّاوي فصّل القول في وصفها، فذكر الأواني التي استعملتها "زينة" في إعداد "عصيدة الزقوقو" مثل الطبق النحاسي والصحاف المُزركشة، ثمّ نقل ما تلفظت به الشخصيّة المُتكلّمة، وانطباعها حول هذه الأكلة التي أعدّتها بكل دقة وإتقان، فأنجزت بذلك "زينة" عملاً إحاليًّا ظاهرًا تمثّل في الإحالة على نوعٍ من الطعام. حققت به عملاً إحاليًّا غير ظاهر، وهو التفاؤل والثقة بالنفس، فسوادُ "زينة" مثل سواد الزقوقو حلو المذاق، ويمكن أن تُغطيه بالتفاؤل والأمل. وقد تكتسب الأشياء دلالتها من خلال دورها في تنامي الأحداث، فالستارة البالية الداكنة التي وضعها "بروكة" في ركن المحل تستمدُّ هويتها انطلاقًا من حدث تغير الفتاة ملابسها خلفها، واستراق الرّاوي النظر إلى جسد الفتاة بين الفينة والأخرى.

وعُمومًا يُمكن القول إنّ التفاصيل في هذه المجموعة القصصيّة أسهمت إسهامًا كبيرًا في تشكيل المرجع على هيآت مخصوصة، وإكسابه معان سرديّة مُخالفة للمعاني المرجعيّة. ولا يُمكنُ فهم هذه المعاني والدلالات إلا إذا ربطنا ذلك بالسياق الذي وردت فيه. وكثيرا ما يلتبس المرجع بما يُبديه الراوي من أراء مُختلفة،. وتتأدّى هذه الجهة التي ينتقيها الرّاوي بأفعال توجيهيّة مُختلفة من نحو الجهة التقويمية والإلزامية، وجهة المعرفة، وجهة الشك واليقين التي تُسهمُ في تشكّل معنى المرجع.

خاتمة

وصفوة القول إنّ التفاصيل في " لسوادي حلاوة" ، ليست تأنُّقًا أو ترفًا في الكتابة، إنّما هي سياسة في القول ينتهجُها الرّاوي ومن وخلفه المُؤلفة لإكساب النص بُعدًا تجريبيًّا، وبُعدًا محليًّا، وقد تجلت التفاصيل داخل المتن القصصي في مستوى أفعال الشخصيّات وأحوالها، وما تتلفظُ به من أقوال، فتأدّت بأنواع خطابيّة مُختلفة، فجاءت سردًا مُفصّلاً ودقيقًا لأفعال الرّاوي والشخصيّات، وتجلّت وصفًا مُفصلاً لأحوال للشخصيّات، وظهرت كذلك في مستوى الحوار الدائر بين المُتكلمين. وقد حرصت المُؤلفة في خطاب الهامش إلى تفصيل القول في شرح بعض المُفردات العاميّة التونسيّة أو التعريف ببعض الأمكنة. ولا يخلو هذا التفصيلُ من توجيه تروم البحيري من ورائه غايات عديدة لعلّ أهمها المُساهمة في التعريف بالثقافة التونسيّة عبر السرد.

ومن أوكد النتائج التي توصلنا إليها خلال بحثنا في " لسوادي حلاوة" لرحمة البحيري أنّ الوظائف التي تنهضُ بها التفاصيل في النص القصصي ليست الإيهام بمرجعية الأحداث المرويّة، وشدّ انتباه القارئ والتأثير فيه فقط مثلما ذهب إلى ذلك العديدُ من الدارسين، إنّما تستحيلُ التفاصيلُ وسيلةً تعتمدُها الكاتبةُ، لتُجذّر الخُصوصيّة المحليّة التونسيّة في العوالم القصصيّة التي تُبدعُها من جهة أولى، ووسيلةً ينتهجُها المُتكلّم ـ الرّاوي، لحجب الدلالة الحقيقية للمراجع، وإنشاء دلالات أخرى مُغايرة للدلالة الأصلية. ومهجة الأمر إنّ النظر في مسألة التفاصيل وتشكّل المرجع في النص القصصي، جعلنا نُخرجُ مسألة التفاصيل من الرؤية السرديّة النصيّة إلى رؤيّة استدلاليّة تنفتحُ على الإحالة والمقام. ومن أهم ما يُمكنُ أن ينفتح عليه هذا المقال من مسائل بحثية، مسألة البلاغة، أفلا تكونُ التفاصيلُ التي يسرُدها الرّاوي (المُتكلّم) للمروي لهُ (المُخاطَب) سبيلاً إلى التأثير في المُخاطب وحمله على الاقتناع بما يؤمنُ به المُتكلّم من أفكار؟ وثمّة مسألة كذلك أخرى على غاية من الأهميّة، وهي دور التفاصيل في تشكيل عوالم الإمكان.

قائمة المصادر والمراجع

المصدر:

البحيري (رحمة)، **لسوادي حلاوة**، بورصة الكتب للنشر والتوزيع، القاهرة، ط1، 2022.

المراجع

أ ـ المراجع باللسان العربي:

ـــــ بدري (أحمد الناوي) ، إنشائية التفاصيل في رواية" زينب" لمُحمد حسين هيكل، **مجلة علامات**، المغرب، عدد 49، سنة 2018.

ـــــ بدري (أحمد الناوي) التفاصيل في الرواية الواقعيّة، " بين القصرين" لنجيب محفوظ أنموذجًا، **مجلة نقد وتنوير**، العدد العاشر، ديسمبر 2021.

ـــــ الخبو (محمد) ، **مداخل إلى الخطاب الإحالي في الرواية**، مكتبة علاء الدين، تونس، صفاقس، ط1، 2006.

ـــــــ ذويب (نجاة) ، بلاغة التفاصيل في رواية 366 لأمير 366تاج السر، **مجلة علوم اللغة العربية وآدابها**، جامعة الوادي.

ـــ العايب (يوسف) ، بلاغة التفاصيل في رواية" دمية النار" لبشير مفتي، **مجلة الحقيقة**، مجلد 17، عدد3، سبتمبر 2018، العدد 46.

ـــ القاضي (محمد) وآخرون، **معجم السرديات**، دار محمد علي الحامي، تونس ، ط1، 2010.

ـــــ هيمة (عبد الحميد) ، جمالية التفاصيل في رواية حوبة ورحلة البحث عن المهدي المُنتظر، **مجلة مقاليد**، العدد12، جوان، 2017 .

ب ـ المراجع باللسان الأعجمي:(الفرنسي والأنجليزي)

- Ducrot (Oswald), ***le dire et le dit***, Minuit, Paris, 1984.

- Goodman (Nelson), ***Manières de faire des mondes***, traduction de l'anglais par, M D popelard, ed, acqueline, Chambon Nimes ;coll. Royonart,1992.

- GROJNOWSKI(Daniel) , ***Lire la nouvelle***, éd. Dunod, Paris, 1993.

- KRONFLED (AMICKAI), ***Reference and computation, and essay in applied philosophy of language***, published by Cambridge University press, 1990.

-Searle (Jean) ,***Sens et expression etudes de theorie des acte du langage***, traduction et preface par Joell proust, éd , de Minuit,1979.

الثروة اللفظية وانعكاساتها على شخصية المتعلم وقدرته التعبيرية

The Vocabulary wealth implications for the learner's personality and expressive ability

الحسن عبد النوري، أستاذ التعليم العالي مؤهل
المركز الجهوي لمهن التربية والتكوين الدار البيضاء ـ سطات
eabedenouri@gmail.com

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى تبيان أهمية الثروة اللفظية لدى المتعلم لغويا، ووجدانيا، واجتماعيا. حيث تمكنه من نقل أفكاره وتجاربه وأحاسيسه إلى الآخر، مما ينعكس ايجابا على قدرته التعبيرية قولا وكتابة. ثم تساعده على بناء الثقة بنفسه، وعلى خلق شخصية اجتماعية، وقيادية.... ونظرا لأهمية الثروة اللفظية لدى المتعلم، اقترحت هذه الدراسة مجموعة من السبل والإجراءات الكفيلة بإنمائها وتجويدها، ومنها: ضرورة توافر الوسط السوسيو- الثقافي المحفز، واستثمار المدرس للمعجم الأساسي للتواصل، والمبني وفق معايير علمية وتربوية مضبوطة. كما ينبغي تشجيع المتعلم على القراءة والمطالعة، وعلى استعمال المعاجم المدرسية، مع ضرورة تحديثها وتطويرها باستمرار. إضافة إلى اهتمام المناهج التربوية بتدريس المفردات، وتطبيق المدرس لطرائق فاعلة، مع أخذه بعين الاعتبار لشروط بيداغوجية وديدكتيكية محددة. والانفتاح على وسائل الاتصال الحديثة، لما تمنحه من إمكانات لتعليم وتعلم اللغة العربية بشكل عام، وإثراء الثروة اللفظية بشكل خاص (المعاجم المدرسية الحاسوبية، مواقع لبرامج وألعاب تعليمية لغوية...).

الكلمات المفتاحية: الثروة اللفظية ـ تعليم وتعلم اللغة العربية ـ إجراءات تنمية الثروة اللفظية.

Abstract:

This study aims to show the importance of the Arabic learner's vocabulary richness, linguistically, emotionally, and socially. Given its great importance, this study suggests some procedures for expand and develop vocabulary Arabic learner, such us enriching his socio-cultural environment, and building a basic communication dictionary, respecting a scientific and educational ways. In addition, the teacher should encourage the learner to read, to use school dictionaries. And teaching vocabulary according to the explicit or implicit method, Focusing on group work strategy. In the end, this study called out for necessity of modern means of communication in acquiring the largest amount of words, especially computer school dictionaries, and language educational website…

Keywords: vocabulary Wealth- Arabic Teaching and learning- Vocabulary development procedures

مقدمة:

يعتبر ضعف المتعلم في القدرة على التعبير باللغة العربية، سواء على المستوى الكتابي أو الشفهي؛ رغم بلوغه المستويات المتقدمة من التعليم، من الإشكالات التي تستحق البحث والدراسة في العقود الأخيرة، وخاصة بعد الانتشار الواسع للتكنولوجيات الحديثة، ووسائل التواصل الاجتماعي المختلفة... ويعتبر نقص الثروة اللفظية من بين الأسباب الرئيسة، نظرا لعوامل متعددة ومتنوعة؛ منها ما يتصل بطرائق وأساليب التدريس المعتمدة في المؤسسات التربوية، وعدم احتواء الكتب المدرسية على قوائم محددة للمفردات في كل مستوى دراسي معين، ثم هيمنة اللهجات العامية على شرح الدروس داخل الفصول الدراسية. إضافة إلى عدم اهتمام المدرسين بالمعاجم المدرسية، وعزوف المتعلمين بمختلف أعمارهم ومستوياتهم عن القراءة والمطالعة....، ثم الوسط السوسيو ثقافي غير المحفز، وغير المشجع للمتعلم لإثراء مخزونه من المفردات. ولهذا ارتأت هذه الدراسة إبراز أهمية الثروة اللفظية لدى متعلم اللغة العربية، ودورها في الرفع من قدرته التعبيرية قولا وكتابة، وتحقيق وجوده الاجتماعي داخل المؤسسة التربوية وخارجها، وبناء الشخصية القيادية... ثم اقتراح مجموعة من السبل والإجراءات الكفيلة بتطويرها وتنميتها.

1ـ تعريف الثروة اللفظية:

تتشكل الكلمة من حرفين أو أكثر، سواء أكانت فعلا أم اسما أم حرفا، ولها معنى، وقد تكون منفردة أو منتظمة داخل جملة ما. وتحيل الثروة اللفظية إلى ذلك المخزون الذي يخزنه المتكلم المستمع في ذهنه، إذ" لكل متكلم للغة طبيعته، فقد قر قراره على مخزون ذاكري غير واع، يجلي معرفته لتلك اللغة وملكته فيها، وهذا المخزون عبارة عن معجم ذهني يمثل ثروة المفردات المخزنة، وجهاز قواعده نشيط يرسم أسس تأليف هذه الأبجدية". (الفاسي الفهري، 2000، ص 6)

والثروة اللفظية هي عدد الكلمات التي اكتسبها المتعلم باختلاف أنواعها ومستوياتها..، وتصبح جزءا من مدخراته المعرفية، وهي المحددة لمعجمه الذهني الذي يفترض أنه يدخل في تحديد كفايته اللغوية. وتكمن أهميتها في مساعدة المتعلم على التواصل مع الآخرين استماعا ومحادثة وتعبيرا عما يدور في عقله من أفكار، وما يحس به من مشاعر (الحاج صالح، 2010، 11). كما تعمل على تجريد وجوده المادي والإنساني ضمن قواعد وخطاطات لغوية محددة تحقق الوعي بهذا الوجود. وتمكن معرفة الفرد لكلمات معينة من استثارة الكلمات والأفكار المتصلة بها، مما يغني معجمه الذهني خاصة، ويعمق مستوى كفايته اللغوية عامة.

2ـ أهمية الثروة اللفظية لدى متعلم اللغة العربية:

اهتم التوجه البنيوي بالنحو تنظيرا وتطبيقا، واعتبره مكونا لغويا مركزيا لتعليم وتعلم اللغة. ولم تحظ المفردات/ الثروة اللفظية باهتمام الباحثين في ميدان ديدكتيك اللغات والمدرسين على السواء، إلا في العقد الأخير من القرن الماضي، ودورها البالغ في بناء كفايته اللغوية. Schmitt 2000، Nation 2001، Chaibi 2000، Grabe 2004، Thornbury 2002[1].... ومن ذلك المساعدة على التعبير والتواصل قولا وكتابة في وضعيات تربوية مختلفة، مما "يجب التركيز في تدريسها على تحقيق هذه القدرة التعبيرية/ التواصل اللغوي". (عبد الهاشمي، 2005، ص 13) ونظرا لمعرفة المتعلم لأهميتها، فإنه لا يعود إلى كتب النحو أثناء مواجهته لصعوبات تواصلية؛ بل يعود إلى القاموس اللغوي لمعرفة معاني بعض المفردات الصعبة. إذ "ليس الإشكال في المبادئ التركيبية والنحوية للغة معينة، بل في مفرداتها؛ لأن مركز فهم اللغة واستعمالها يكمن في معرفة مفرداتها"(Hunt و Beglar، 2005، ص 2). لذا يعمل المتعلم على اكتساب مفردات جديدة، ويقضي وقتا طويلا في ترديد وتدوين كلمات معزولة أو وفق سياقها في مذكرته، ويسعى إلى تنمية ثروته اللفظية دون الاهتمام بتعميق قدراته اللغوية الأخرى. وهذا لا يعني إقصاء المدرسين لباقي الأنشطة اللغوية الأخرى، بل لابد من الحفاظ على الترابط والتكامل بين جل مكونات الكفاية اللغوية.

إن المفردات هي الأداة الرئيسة التي نعبر بها عما يجول بخاطرنا من أفكار ومشاعر وأحاسيس، "إنها الوعاء الذي ينقل ما نفكر فيه من قضايا اجتماعية واقتصادية وتعليمية...."(عبد الباري، 2011، ص 34) وتمكن المتعلم من هيكلة تجاربه ضمن أنظمة مفتوحة وغير محدودة، وتزيد من خبراته وتجاربه وأفكاره وصوره الذهنية، وتحسن من مهاراته. كما تعد نقطة انطلاق إبداعه اللغوي، وبناء شخصية منفتحة، ومؤثرة وجذابة أثناء التفاعل مع الآخرين والتأثير فيهم؛ مما يحقق وجوده الاجتماعي. وكلما تقدم المتعلم في تعلمه للمفردات زادت ثقته بنفسه، وأدرك دور اللغة الملموس في نشاطه اللغوي (ضرورة احترام الفروق الفردية بين المتعلمين...). وأشارت مجموعة من الدراسات أن الثروة اللفظية تكشف عن مستوى الكفاية اللغوية لدى المتعلم، وتنبئ بنجاحه اللغوية والدراسي Anual2008، Laufer1993، Milton و Massai 2017(Dodigovic و Agustín-Llach ، 2020، ص ص 57-60). كما تعمل على تنظيم تركيب الجمل وتربط بين جل مستويات اللغة، وتساهم في بلوغ الفهم

[1] - Thornbury, S. "How to teach vocabulary": Boston, Pearson Education, Inc. 2002.
- Nation, I. S. Learning vocabulary in another language. Cambridge University Press; 2001.
- Schmitt, N. Vocabulary in language teaching. Cambridge University Press; 2000.
- Grabe, W. "Research on Teaching Reading". In Annual Review of Applied - Linguistics, Volume 24 (pp: 87-112). Editor Chief: Mary McGroarty, Publish: Cambridge University Press; 2004.
- Chaibi, A."Teaching Vocabulary: Theoretical and Practical Consideration":; MATE NEWSLETTER,21/2, 2000

العميق للخطاب المكتوب والمنطوق على حد سواء. ومن المؤشرات الإيجابية على غنى رصيد المتعلمين من المفردات ما يلي(Spracklin ، 2018، ص 4):

- تنوع في المفردات الموظفة قولا وكتابة: من حيث توسيع معاني الألفاظ، عن طريق استثمار الترادف، والاشتقاق، والسياق...

- عمق الثروة اللفظية: وتبرز عندما ينتج المتعلم خطابا أغلب مفرداته نادرة الاستعمال، لا يستوعبها إلا جهابذة اللغة.

- اتساع مخزون الثروة اللفظية: يتجلى في استعمال المتعلم لألفاظ متنوعة ومختلفة المرجعيات...، سواء أكانت أسماء أم أفعالا أم مرادفات...

- قلة أخطاء استعمال المفردات: مما يكشف عن امتلاك المتعلم لجميع المعطيات الصرفية والنحوية والدلالية والتداولية حولها، وارتباطها بسياق محدد ومناسب.

وقد صنفت Picoche 1992 المفردات من حيث علاقتها بالاستعمال إلى ثلاثة أنواع (Picoche، 1992، ص 54):

- المفردات المستعملة: تختلف من شخص إلى آخر، وتشمل جميع المفردات الموظفة من قبل متكلمي لغة معينة، للتعبير عن آرائهم وأفكارهم وحاجاتهم.... إنها المفردات المستخدمة في إنتاج اللغة قولا وكتابة، ويتم اكتسابها بطريقة مباشرة اعتمادا على مهارة التذكر.

- المفردات غير المستعملة: تشكل جزءا من الثروة اللفظية، التي تضم مفردات يفهمها الفرد فهما دقيقا أو تقريبيا أثناء الاستماع أو القراءة، وتوظف نادرا في مهارتي الكتابة والتحدث. إنها مفردات يفهمها الفرد، ولا يوظفها في تواصله، وتكتسب بطريقة غير مباشرة وفق سياق ورودها.

- المفردات الخاصة بالفرد: هي المفردات التي يستعملها الشخص في وسط سوسيو- مهني محدد.

ونجمل النتائج الإيجابية التي تترتب عن ثراء وغنى ثروة المتعلم اللفظية فيما يلي:

- زيادة الخبرات والتجارب والمعارف والمهارات التي يكتسبها المتعلم، وبالتالي زيادة محصوله الفكري والثقافي؛ لأن المفردات هي المادة اللغوية الأساسية التي تدون بها المعارف والثقافات. وتمكنه من الاستمرار في التحصيل المعرفي وتبادل المشاعر والأفكار...

- يبقى التحصيل الفكري/ المعرفي في اتجاه متناغم مع نمو المفردات.

- المتعلم الذي تقل ثروته اللفظية تقل قدرته على التواصل مع الآخرين والتكيف معهم (الانسحاب الاجتماعي).

- يساعد غنى المخزون من المفردات المتعلم على استيعاب المقروء، مما يحفزه على الاستمرار في فعل القراءة.

- تكون المفردات أكثر حضورا في الذهن، وأكثر بروزا في الذاكرة، نتيجة اتساع شبكات التواصل مع الآخر، وتجعل صاحبها أكثر طلاقة وسلاسة في التعبير.
- تجعل الثروة اللفظية الغنية والواسعة المتعلم فعالا في محيطه، وبين أفراد جماعته (الشخصية الاجتماعية المرحة، وروح القيادة...).

ومن السلبيات الناجمة عن نقص الثروة اللفظية ما يلي (محمد المعتوق، 1996، ص ص 68-73):

- العزلة الاجتماعية: محدودية علاقات الفرد مع الآخرين، والميل نحو الانطواء، والشعور بالفشل...
- اضطراب الشخصية: إن عجز الإنسان عن التعبير عن مشاعره وأفكاره بصورة واضحة، وعجزه عن التعبير بمرونة يولد لديه مع مرور الوقت الشعور بالنقص أو الدونية.
- إذا كان الضعف الفكري ناتجا عن الفقر في المهارات اللغوية برمتها، فإن ضعف الإنتاج أو غيابه يعود إلى ضعف أو فقر الثروة اللفظية.

صفوة القول، تكسب الثروة اللفظية الغنية المتعلم القدرة والطلاقة على التواصل والتعبير قولا وكتابة، والنجاح في تعلمه للغة، وتزيد من خبراته وتجاربه وأفكاره، وتحسن من مهاراته. كما أنها نقطة انطلاق إبداعه اللغوي، الذي يعد قوة أساسية يعتمد عليها في اكتساب ثقته بنفسه. وتكوين شخصية منفتحة، ومؤثرة وجذابة أثناء التفاعل مع الآخرين والتأثير فيهم؛ مما يحقق وجوده الاجتماعي.

3- سبل تنمية الثروة اللفظية لدى متعلم اللغة العربية:

بعد توضيح أهمية الثروة اللفظية في اكتساب/ تعلم اللغة، والتمكن منها والتواصل بها بنجاعة وفاعلية قولا وكتابة، وتنمية شخصية المتعلم نفسيا واجتماعيا...؛ مما يقتضي اقتراح إجراءات لتنميتها وتعميقها. ومن هذه الإجراءات نورد ما يلي:

- الوسط السوسيو- ثقافي للمتعلم:

لا يخفى دور الوسط السوسيو- ثقافي في إغناء ثروة المتعلم اللفظية، إذ أصبح من المسلم به أن المناخ الأسري الذي يتميز بالهدوء والمحبة بين أفراده، يمنح الطفل وضعا مريحا لتشكيل معالم شخصيته في المستقبل، نفسيا واجتماعيا وذهنيا. أما على المستوى اللغوي، فالبيت هو المكان الأول الذي يسمع فيه الطفل ألفاظ أبويه ومناقشات إخوانه وتفاعلاتهم الاجتماعية، وهو في بطن أمه؛ إنه المكان الذي يتعلم فيه المبادئ التربوية العامة والمعايير التي تحكم اللغة بشكل عام، وتنمية مفرداتها بشكل خاص. كما يعمل الوضع المادي والاجتماعي والثقافي للأسرة على خلق ثروة لفظية غنية، وقدر كبير من المعلومات والخبرات (الرأسمال الثقافي). ومما يزيد من غناها وتنوعها اتصاله واحتكاكه المباشر مع زملائه منذ مراحله الأولى، وولوجه للكتاتيب القرآنية ومؤسسات التعليم الأولي. إضافة إلى مشاهدة الأفلام الكرتونية باللغة العربية، وما تقدمه من مفردات فصيحة، وخاصة إذا ارتبطت بوضعيات تواصلية معينة.

كما تمكن الشروط السابقة الذكر المتعلم من بناء معجمه الخاص، الذي يتكون من مفردات فريدة من نوعها، من حيث عددها وطبيعتها... ولهذا اعتبر الباحث الروسي فيكوتسكي "Vygotsky"[2] صاحب النظرية السوسيو- بنائية أن تعلم اللغة ومفرداتها هو نشاط اجتماعي ثقافي، أساسه التفاعل والتواصل مع الآخر في وضعيات حقيقية.

- القراءة والمطالعة:

إن تعليم المفردات مباشرة دون إدماجها في السياق يعطي نسبة ضئيلة في اكتسابها/ تعلمها، مقارنة بوضعها داخل سياق تواصلي. وإذا كان للغة الشفهية دور في إمداد المتعلم بالألفاظ والتراكيب المستعملة في الحياة العملية، فإن للقراءة أثرا كبيرا في تعميق معرفة القارئ بهذه الألفاظ والتعابير، وتوظيفها في الوضعيات التواصلية المختلفة. ومن هنا تظهر أهمية تشجيع المدرسين وأولياء الأمور المتعلم/ الطفل على القراءة، وتلخيص المقروء وصياغته بأسلوب شخصي، وإبداء الرأي تجاه أفكار الكاتب من جهة، ثم تحفيزه على كتابة الخواطر والقصص والمذكرات الشخصية من جهة أخرى. لأن القراءة هي الوسيلة المركزية لاكتساب/ تعلم وتمثل الكلمات بكيفية جيدة، إذ المتعلم الذي له شغف بالقراءة والمطالعة، حتما سينمي لغته ومعارفه وخبراته وثقافته.... وفي هذا الصدد أشارت Laufer 1992 إلى "أن الثروة اللفظية تبنى أساسا من خلال نشاط القراءة، ويقتضي فهم مضمون النص المقروء معرفة المتعلم لخمسة وتسعين في المئة من مفرداته".(Dodigovic و Agustín-Llach ، 2020، ص 57) كما تنمى أيضا من خلال ممارسة فعل الكتابة، نظرا لما توفره هذه المهارة من الوقت الكافي للمتعلم قصد التأمل، والبحث في الذاكرة عن المفردات المناسبة لمعنى وسياق معينين. ثم يعمل على بث الروح من جديد في بعض الألفاظ الخامدة، وتحويلها من المعجم غير الموظف إلى المعجم المستعمل.

وصفوة القول، يكون إثراء مخزون الألفاظ اللغوية أثناء ممارسة نشاط القراءة مباشرا وسريعا، إذ يحتاج القارئ إلى تفسير ما يمر به من عبارات وألفاظ. ويشجعه هذا الإجراء على استمرار نشاط القراءة، نظرا لحاجته إلى فهم وإدراك ما يقرأ. وبهذا تكون عملية التنقيب والبحث في الذاكرة عن معاني المفردات في فاعلية مستمرة وسريعة. (حساني، 2000، ص 145)

- بناء المعجم الأساسي للتواصل باللغة العربية:

[2] – ليف سيمينوفيتش فيغوتسكي" Vygotsky "، باحث روسي (1896– 1934) من أهم رواد الفكر السيكولوجي، وعرفت نظريته بنظرية الثقافة الاجتماعية– تنمية المنطقة المركزية القريبة من النمو. وركز في نظريته على مفهوم التفاعل الاجتماعي والثقافي بآعتباره مفهوما أساسيا في تطوير إدراك ولغة الطفل...

تنمى أيضا الثروة اللفظية لدى المتعلم ببناء معجم أساسي للتواصل باللغة العربية، شأنها في ذلك شأن باقي اللغات الأجنبية؛ "وفق أصول العربية وضوابطها، وبحسب ما تمليه حاجات وضرورات التواصل بين أفراد الأمة، ووفق حاجات التواصل مع اللغات الحية الأخرى عبر الترجمة إلى العربية ومنها"(خسارة، 2017، ص 10)؛ مما يساهم في اكساب المتعلم القدرة على التعبير باللغة العربية قولا وكتابة. ولا يقصد المعجم اللغوي بأكمله، بل عدد محدود من الكلمات المألوفة والمتواترة في الإعلام، وفي التواصل الشفهي والكتابي، ثم الارتقاء بها بواسطة الترادف والتضاد والاشتقاق إلى الكلمات الأقل تداولا. ولهذا يجب ضبط حصيلة المفردات الواجب تقديمها للمتعلم في سياقات مختلفة ومتنوعة، ووفق شروط التربية الناجحة والتدرج والتسلسل المنطقيين للعمليات التعليمية. وما تمليه شروط مرحلته النمائية، وهذا من شأنه أن يساعده على توسيع وتطوير حصيلته من المفردات، ومن التمكن من استخدام اللغة العربية في وضعيات تواصلية مختلفة. لذا يعد التمكن من المعجم الأساسي في التواصل خطوة جد مهمة لوضع قواعد المعرفة اللغوية لدى المتعلم منذ سنواته الأولى من التعليم. ثم توحيد لغة الطفل العربي والشباب العربي عامة، "فبما أنه اشتركت في إخراجه وتحريره وضبطه جميع الدول العربية، واتفقت هذه الدول على إدخاله في التعليم، والاعتماد عليه في تأليف الكتب المدرسية، وتسييره في جميع المؤسسات ذات التأثير على الجمهور، فإنه سيتم ذلك توحيد لغة المتعلمين، وذلك من موريتانيا إلى الخليج". (الحاج صالح، 2010، ص 13)

- المعجم المدرسي:

يضم المعجم المدرسي مجموعة من المفردات اللغوية المتداولة فعليا في الكتب المدرسية الموجهة لمستوى دراسي معين، وتتلاءم وشروطها التعليمية. وهو من أهم الوسائل التعليمية والبيداغوجية التي ينبغي أن ترافق المتعلم عبر كل مراحله التعليمية، نظرا لما له من أهمية في تنمية ثروته اللفظية وإغنائها. ولهذا وجب تحديثه واغناؤه باستمرار بالكلمات الجديدة، ليكون مناسبا للوضعيات التواصلية داخل الفصل الدراسي وخارجه. وأن يستفيد صناع هذه المعاجم المدرسية من الأنظمة المعلوماتية لحوسبة مضامينها، واستثمار طاقتها الهائلة لاستمالة المتعلم، وتحفيزه على إغناء ثروته اللفظية.

ونظرا لأهميته، من اللازم أن يصبح وسيلة لا غنى عنها لمتعلم اللغة العربية؛ لأنه يمثل الجانب الثقافي والتربوي لأي مجتمع. إذ على سبيل المثال،" يتعلم التلميذ الأوربي كيفية البحث في القاموس منذ الصغر، ويتدرب على ذلك، حتى يتقنه إتقانا عظيما؛ ويساعده على الفهم السليم والبحث العلمي الجاد منذ الصغر. وعلى العكس من ذلك "نجد تلامذتنا، إذا صادفتهم كلمة صعبة يكتفون بفهم مشوش وعدم الفهم في أغلب الأحيان"(يسري، 1991، ص 11). ويلاحظ في كثير من المناهج الدراسية على مستوى الوطن العربي، أنها لا تعير أي اهتمام إلى المعاجم المدرسية. وإن وجدت، فإن" كثيرا من

المؤسسات التعليمية لا تهتم بتوفير الأعداد الكافية منها، وإن وفرتها فلا تهتم بتعريف الناشئة على منهجية استخدامها، ولا بخلق الحوافز الكافية لديهم قصد الرجوع إليها". (محمد المعتوق، 1996، ص 15)

- طرائق تدريس المفردات:

اختلف الباحثون المهتمون بطرائق تدريس المفردات حول جدوى الطرائق المقترحة، إذ هناك من يقر بفاعلية التعليم الصريح من خلال أنشطة تعليمية تعلمية متفق بشأنها. في حين ينظر آخرون إلى أن التعليم الضمني للمفردة هو الذي يعطي نتائج جيدة. ويقتضي التعليم الصريح معرفة المتعلم لقائمة المفردات التي يسعى المدرس تعليمها في حصة معينة، ويجعله واعيا ومسؤولا عن سيرورة تعلمه. بينما ينخرط المتعلم وفق النهج الضمني مباشرة في تعليم وتعلم المفردة دون توجيه مسبق من المدرس، الشأن نفسه في عملية اكتسابه للغته الأم.

- تدريس المفردات بطريقة ضمنية: إن اكتساب المفردات ومعانيها يتم بطريقة لا واعية أثناء مجابهة المتعلم لها وفق سياقات مختلفة، ومن خلال إشراك المتعلم في الأنشطة اللغوية الفصلية، خاصة في مهارتي الاستماع والقراءة.

- تدريس المفردات بطريقة صريحة: يكون تعلم واكتساب المفردات بسيطا من خلال وضعها في مقاطع تعليمية تعلمية، والاستهلال بالمفردات المتضمنة في المعجم الأساسي للتواصل، ويكون المتعلم واعيا بدوره ومسؤوليته في نشاط التعلم. وعليه تقترح مفردات مختارة وفق معايير علمية وتربوية مضبوطة، وتتوافق مع مرحلة المتعلم النمائية، وحاجاته ومتطلباته.... ولكي تنجح طرائق تدريس المفردات سواء الصريحة أو الضمنية لابد من تحديد أدوار كل من المتعلم والمدرس، وطبيعة المنهاج الدراسي، وما يتضمنه من مفردات.

***المتعلم وأدواره في نشاط التعلم:**

- المتعلم نشيط ومسؤول في سيرورة تعلمه/ اكتسابه للمفردات، انطلاقا من استراتيجياته، وحاجياته، وطموحاته ودافعيته وتحفيزه تجاه اللغة العربية.

- مواجهته للمفردة في وضعيات تواصلية مختلفة، ليتسنى له الإحاطة بجميع معانيها.

- قيامه بعمليات المقارنة والتصنيف والتجميع، وتساعده هذه الاجراءات على اكتساب ثروة لفظية واسعة.

- ينظر إلى المتعلم مركز العملية التعليمية التعلمية، حيث يبني تعلماته/ ثروته اللفظية نفسه بنفسه بمساعدة المدرس.

***المدرس/ المنهاج الدراسي:**

- توضع المفردات في المناهج الدراسية على أساس دراسات ميدانية دقيقة، وتحترم معايير علمية وتربوية دقيقة، وتتصل بكل مستوى دراسي معين. ويجب أن تحترم المفردات المقترحة للتدريس الخصائص الآتية:

- ضرورة استهلال المدرس لأنشطة تدريس المفردات في المستويات الأولى من التعليم بالمفردات ذات المعنى المادي، دون المعنى المجرد؛ لأنها سهلة في التعرف والتذكر، وسهلة في تعميم المعنى على مفردات تنتمي إلى الحقل الدلالي نفسه.

- لا تدرس المفردات الجديدة إلا من خلال سياقها ولا تحفظ عن ظهر قلب.

- خلق روابط بين المفردات العامية والفصيحة المتشابهة من حيث الصوت، والمعنى، والصيغ الصرفية...

- خلوها من الحروف المتنافرة من حيث اتحاد أو تقارب مخارجها.

- تفضيل الصيغ الصرفية المألوفة لدى المتعلم (فعل، تفعل، أفعال، فعال، فعلان....).

- تفضيل الصيغة ذات الحروف القليلة، والمجرد عن المزيد، والمفردات التي يشتق منها على غيرها؛ لأن المشتقات يسهل تخزينها، وتذكرها عند الاقتضاء، واستعمالها قولا أو كتابة.

- أن تكون المفردات ضمن نطاق الوسط السوسيو لساني والسوسيو ثقافي للمتعلمين واهتماماتهم، خاصة في طور التعليم الابتدائي. ويفضل أن تكون المفردات متواترة ومألوفة، وشائعة في أكثر من بلد عربي، وشاملة لعدة مجالات في وقت واحد، أي التي يمكن توظيفها في سياقات مختلفة.

- تحديد قوائم للمفردات التي تدرس في كل مستوى، وتواكب مستجدات مجتمع المعرفة وحاجات المتعلم؛ لأنه إذا تجاوزت عتبة معينة انعكس ذلك على تعلم المتعلم للغة العربية. ثم يجب أن يستهل النشاط التعليمي التعلمي من المفردات الأكثر تداولا في الأداء الفعلي للكلام، وهي الألفاظ التي تنعت عادة بالألفاظ الأساسية في التواصل، ثم الارتقاء بها بواسطة الترادف والتضاد والاشتقاق إلى الكلمات الأقل تداولا.(Dodigovic و Agustín-Llach ، 2020، ص 3) فالتلميذ العربي في كل مستوى من المستويات التعليمية في حاجة إلى قائمة من الألفاظ داخل كتابه المدرسي كما هو الأمر في اللغات الاجنبية، " وقد قدر بعض الباحثين أن الطفل في ست سنوات يحتاج إلى 2600 كلمة، وفي ثمان سنوات يحتاج إلى 3600 كلمة، وفي عشر سنوات إلى 5400 كلمة، وفي اثني عشرة سنة إلى 7200 كلمة".(نجيب، 2000، ص 48)

- المدخل التكاملي في تقديم المفردات، ووضعها وفق معاني سياقية داخل أنشطة المهارات اللغوية الأربع: الاستماع، والتحدث، والقراءة، والكتابة.

- تعليم المفردات من خلال سياق لغوي، ووضعيات تواصلية حقيقية مختلفة يمارسها المتعلم بمفرده أو مع زملائه داخل الفصل الدراسي. وترسيخ استعمال الموقف التواصلي، مما يمكن المتعلم من استثمار أقوال

وأمثلة مناسبة لتدعيم رأيه. ويعتبر العمل بالمجموعات أو الورشات الطريقة الجيدة للتعرف عن الكلمات الجديدة وتوظيفها، وتذكر كلمات أخرى مرتبطة بها دلاليا وصرفيا...

- إغناء المعرفة حول المفردة من خلال أنشطة لغوية، منها: الكلمات المتقاطعة، والمفردات المترادفة، والكلمات المتضادة، والكلمات ذات المقاطع المتشابهة في أصواتها، والكلمات التي تبدأ بحرف واحد، والكلمات المتشابهة في الشكل أو المضمون، وملء الفراغات.... (محمد المعتوق، 1996، ص ص 279- 285)

- ضرورة اعتماد أنشطة تعليمية تعلمية ذات طابع تراكمي، هدفها تطوير وتعميق ثروة المتعلم اللفظية في اللغة العربية. بحيث ينتقل المتعلم من استقبال الكلمة إلى محاولة إنتاجها، ومن معرفتها جزئيا إلى تعرفها بشكل دقيق داخل سياق تواصلي معين.

- استخدام تقنيات مختلفة لإغناء الثروة اللفظية، منها: تحليل مكونات المفردة وخريطتها الدلالية، ثم اكتساب المتعلم مهارات البحث في القاموس؛ شريطة أن تكون هذه القواميس تفاعلية، وتساهم في إدماج كل المفردات الجديدة، ومواكبة للتطورات الاجتماعية واللغوية.... (حسيني، 2005، ص 56)

- الابتعاد عن حشو ذهن المتعلم بمفردات قد لا يحسن استعمالها، ويوجه المدرس كل جهوده نحو اكتساب المتعلم القدرة على التعبير بدقة، بلغة فصيحة دون أخطاء معجمية قولا وكتابة.

- تحفيز المدرس تلامذته على المناقشة والتعبير عن أفكارهم مع مراعاة الفروق الفردية.

- تشجيعهم على ارتياد مكتبة المؤسسة التربوية، وارشاد كل متعلم على حدة لما يتناسب مع قدراته الذهنية، واهتماماته وحاجاته الخاصة....

عموما، لا يتحقق اكتساب/ تعلم المتعلم لمفردات اللغة العربية وفق سيرورة واحدة، ولإدماجها في معجمه الذهني لابد من تعرف خصائصها النطقية والخطية والتركيبية والدلالية والمرجعية...، وربطها بمفردات أخرى على شكل شبكات داخل ذهنه. لأن معرفته بمفردات معينة تمكنه من استثارة مفردات أخرى وأفكار متصلة بها، وتعمل هذه العملية على إغناء معجمه الذهني. إضافة إلى أن الموقف التعليمي هو الذي يفرض على المدرس تطبيق طريقة معينة، سواء أكانت صريحة أم ضمنية، ومن الأفضل أن يدمج بينهما في وضعية تعليمية تعلمية ما. (عبد الباري، 2011، ص 13) ويوظف طريقة العمل بالمجموعات، لما توفره من الناحية السيكو لسانية من مناخ صحي لتعلم المفردات، وتصحيحها سواء من حيث النطق أو الفهم أو التمثل أو الكتابة.

- وسائل الاتصال الحديثة ودورها في تنمية الثروة اللفظية لدى متعلم اللغة العربية:

إذا كان الإنسان في الماضي يتواصل مع الأشخاص بشكل مباشر، فإنه في الوقت الحاضر يستطيع أن يلتقي بمن يشاركه في هذه العملية متى شاء وأين شاء. إذ يتواصل الأفراد عن طريق الإنترنت، ويتبادلون الآراء والخبرات والمعارف والأفكار رغم تباعد المسافات. وقد مكنت هذه الوسيلة من انتشار اللغة العربية عالميا، والتعريف بثقافات المجتمعات العربية...

وبالرغم من سلبيات الإنترنت، فمن الممكن أن تكون أكثر جدوى في تيسير تعلم اللغة العربية ومهاراتها، وإغناء رصيد المتعلم من المفردات؛ إذا انصب اهتمامه بالمواقع التثقيفية، وزيارة البرامج التعليمية التي تولي اهتماما بتعليم اللغة العربية بشكل عام، وإثراء المفردات اللغوية بشكل خاص، وفق منهجية يتفاعل معها المتعلم بصريا وسمعيا...

ومن الإجراءات التي تجعل الإنترنت وسيلة لتعليم وتعلم اللغة، وإغناء الثروة اللفظية ما يلي:

- توفير المؤسسات اللغوية والتعليمية لبرامج نافعة في تطوير المهارات اللغوية.
- إنتاج برامج تعليمية خاصة بتعليم وتعلم اللغة العربية، تحت إشراف مؤسسات لغوية رسمية، وبدعم من الجهات الوصية عن قطاع التربية والتعليم.
- مراقبة هذه البرامج من قبل الوزارة الوصية، من أجل منع ما يعمل على تشويه للغة العربية ومفرداتها.
- أن تعمل المؤسسات اللغوية العربية على إصدار قواميس، ومعاجم مدرسية حاسوبية تواكب التطورات في هذا المجال، خاصة إذا كانت مسموعة ومقروءة ومرئية؛ ليتعلم المتعلم كتابة المفردات ومعانيها....
- يمكن أن تشارك الأسرة المتعلم في اختيار البرامج والألعاب التعليمية اللغوية، التي تعود عليه بالفائدة الثقافية والفكرية واللغوية، وتصحيح ما يمكن تصحيحه من تعبيرات، وصياغات لغوية وكلمات دخيلة...

خاتمة:

على سبيل الختم، تقوم الثروة اللفظية بدور أساس في التنبؤ بالمسار الصحيح لتعلم اللغة بشكل عام، وإكساب المتعلم القدرة التعبيرية بشكل خاص. كما تسهم في خلق الشخصية القيادية والمرحة داخل الفصل الدراسي وخارجه.... ونظرا لأهميتها لابد من تركيز صناع المناهج الدراسية على الأنشطة المعجمية، لتدريس المهارات اللغوية الأربع. وأن ينهج المدرس طريقة العمل بالمجموعات، لما توفره من مناخ سيكو لساني صحي لتعلم المفردات، وتصحيح نطقها وفهمها وكتابتها. وتوظيفه لاستراتيجيات تدريسية فعالة مثل استراتيجية لعب الأدوار، واستراتيجية الحوار، واستراتيجية التعلم التعاوني... ثم تجديد المعاجم المدرسية شكلا ومضمونا، وتعرف المتعلم التقنيات الناجعة للبحث فيها. وأن تقترح المؤسسات اللغوية الحكومية معاجم أساسية للتواصل، وفق أسس علمية وتربوية. إضافة إلى الاستثمار الناجع لشبكة

الإنترنت، وما توفره من إمكانات لحوسبة القواميس والألعاب اللغوية، بشكل تفاعلي ومشوق ومثير لدافعية المتعلم؛ ودون ترك المجال للشركات التجارية في هذا السياق، والذي همها الربح المادي فقط.

- المراجع:

1- أحمد حساني، دراسات في اللسانيات التطبيقية، حقل تعليمية اللغات، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الأولى، الجزائر، 2000.

2- أحمد محمد المعتوق، الحصيلة اللغوية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد 212، 1996.

3- أحمد نجيب، أدب الأطفال علم وفن، دار الفكر العربي، الطبعة الثالثة، لبنان، 2000.

4- عبد الحق يسري، معجم المعاجم العربية، دار الجيل، بيروت، الطبعة الأولى، لبنان، 1991.

5- عبد الرحمان الحاج صالح، الرصيد اللغوي للطفل العربي وأهمية الاهتمام بمدى استجابته لحاجاته في العصر الحاضر، مجلة الممارسات اللغوية، المجلد الأول، العدد الأول، الجزائر، 2010.

6- عبد الرحمان عبد الهاشمي، التعبير: فلسفته، واقعه، تدريسه، أساليب تصحيحه، دار المناهج للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 2005.

7- عبد القادر الفاسي الفهري، اللسانيات واللغة العربية: نماذج تركيبية ودلالية، دار توبقال للنشر والتوزيع، الجزء الأول، الطبعة الأولى، المغرب، 2000.

8- فاطمة حسيني، كفايات التدريس وتدريس الكفايات: أليات التحصيل ومعايير التقويم، سلسلة دراسات تربوية، مطبعة النجاح، الطبعة الأولى، الدار البيضاء، 2005.

9- ماهر شعبان عبد الباري، تعليم المفردات اللغوية، دار المسيرة للنشر والتوزيع، الطبعة الأولى، عمان، الأردن، 2011.

10- ممدوح محمد خسارة، التنمية اللغوية: طريق إلى المعاصرة، مجلة قضايا لغوية، منشورات الهيئة العامة السورية للكتاب، العدد الرابع، 2017.

11- Dodigovic, M & Pilar Agustín-Llach, M. "Introduction to Vocabulary-Based Needs Analysis". in: Vocabulary in Curriculum Planning: Needs, Strategies and Tools. Edited by Marina Dodigovic María Pilar Agustín-Llach. Palgrave macmillan, 2020.

https://doi.org/10.1007/978-3-030-48663-1

12- Hunt, A. & Beglar, D. A Framework for Developing EFL Reading Vocabulary. Reading in a Foreign Language, Volume 17, N : 1. 2005.

13- Picoche, J. 1992. Précis de lexicologie française. L'étude et l'enseignement du vocabulaire. Paris : Nathan.

14- Spracklin K. Pour la compétence lexicale en immersion française : la construction d'une expérimentation réussie, SHS Web of Conférences 46, 07006 (2018) pp3-4.

تعامل المستشرقين الفرنسيين والألمان مع التراث العربي

French and German orientalists and their dealings with Arab heritage

مرعي أرحومه، محاضر، قسم اللغة العربية،
كلية الآداب والعلوم، جامعة درنة،فرع القبة، ليبيا
جمعة الجالي، طالب دكتوراة، قسم اللغة العربية،
مدرسة العلوم الإنسانية، الأكاديمية الليبية، فرع الجبل الأخضر، ليبيا
البريد الإلكتروني:m.aljali@uod.edu.ly

الملخص:

تقوم هذه الدراسة على بيان دور الاستشراق الفرنسي والألماني وتعاملهم مع التراث العربي، جمعاً وتحقيقاً ونشراً وتأليفاً.

وتهدف إلى تبيان الفروقات بين الاستشراق الفرنسي والألماني، والتعريف بأهم أعلام المستشرقين الفرنسيين والألمان، وتبن الأسبق فيهم إلى التراث العربي، والأهداف والدوافع المرجوة من وراء هذا الاتصال.

الكلمات الافتتاحية:

تعامل، المستشرقين، الفرنسيين، الألمان، التراث العربي

Abstract :

The aim of this study is to illustrate the role of French and German orientalism and their cooperation with Arab heritage, collecting, investigating, publishing, and authoring. It also seeks to identify the most important scientists who contributed to the development of French and German orientalism and to highlight the distinctions between the two schools. The French orientalism embraced the Arab heritage to get benefits from such contact.

***Keywords*:**

cooperation, orientalists, the French, the German, Arab heritage.

.

المقدمة:

ظهرت عبر التاريخ ـ في فترات وأماكن مختلفة من العالم ـ حضارات عديدة وعريقة، أدت كل حضارة أدواراً في تشكيل التاريخ الإنساني، ثم ظهرت حضارة العرب؛ التي كانت أعرق وأكثر كمالاً، وظلت خالدة باقية عبر العصور، بفضل الدين الإسلامي، فمنذ انبلاج فجر الإسلام، لعبت الحضارة الإسلامية دوراً مهماً في تكوين الحضارة الإنسانية العالمية، بعد أن اتخذت من تراث السابقين منطلقاً لها، واسهمت اسهاماً فاعلاً في الخلق والإبداع والابتكار، وتوصل علماؤها إلى ما لم يتوصل إليه غيرهم خلال العصور الوسطى، في الوقت الذي كان يخيم الجهل والظلام على أوروبا.

ولما سطع نور الحضارة الإسلامية، وأضاء مشارق الأرض ومغاربها؛ أيقن الأوروبيون أن لا سبيل لجلاء ظلمتهم إلا بالاستضاءة بنور الحضارة العربية الإسلامية، فتولدت لديهم فكرة الاستشراق، التي ظاهرها التلمذة والمعرفة، وباطنها إرهاصات لشن حملات عسكرية.

وما أن أطل القرن الحادي عشر الميلادي، حتى بدأت المسيحية تشن حرباً على المسلمين، رافعةً من الصليب شعاراً لها، تتحرك من حقد صليبي كنسي سافر، هدفها الاستيلاء على الأماكن المقدسة، والقضاء على الإسلام والمسلمين والحد من انتشاره، بالإضافة إلى الأطماع الاستعمارية، التي جعلت من حكام الغرب يتحالفون مع الكنيسة من أجل الاستيلاء على تراث الحضارة الشرقية وخيراتها.

وبعد أن رد الصليبيون على أعقابهم خلال حملاتهم على الوطن العربي، أكب المستشرقون على دراسة تلك الحضارة العظيمة، فبدأوا يتعلمون اللغة العربية، ويجمعون المخطوطات العربية، ويترجمونها، وينشؤون كراسي اللغة العربية في بلدانهم، ويعقدون المؤتمرات، خدمةً لأغراضهم التنصيرية.

وقد شكلت الأندلس في القرن الحادي عشر الميلادي نقطة فاصلة في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية، حيث شهدت هذه الفترة رقياً حضارياً و ثقافياً في شتى المجالات، ولكنها لم تلبث حتى بدأ الانهيار السياسي ثم الثقافي، وخلال هذه الطفرة الحضارية ازداد الاحتكاك بين الإسلام والنصارى، سلماً وحرباً.

وعلى الرغم من الأهداف الاستعمارية والتنصيرية الضيقة للمستشرقين؛ إلا أننا نذكر جهودهم تجاه التراث " بالحمد والثناء، والرضى والإعجاب... بتراثنا العظيم، الذي شغل القوم، وملأ أيَّامهم، فلو لم يجدوا فيها نفعاً وغناءً لصنع حضارتهم، لم يصرفوا إليه كلَّ هذه العناية، التي تمثلت في جمع المخطوطات العربية، وصيانتها، وفهرستها، والتعريف بها، ثم درسها وتحقيقها، ونشرها" (الطناحي، 1984، ص273)

أسباب اختيار الموضوع: أن الاستشراق على الرغم من أهدافه ودوافعه تجاه العرب واضحة ـ يختلف من دولة إلى أخرى، فرأيت في هذا البحث أن المقارنة بين الاستشراق الفرنسي والألماني باعتبار أن المستشرقين الفرنسيين هم الأقدم والأكثر ارتباطاً بالاستعمار والتنصير، وأن المستشرقين الألمان

متأخرون زمنياً ولكنهم (فيما أرى) الأكثر عمقاً وموضوعيةً وحياديةً ـ بعض الشيء ـ في تعاملهم مع التراث العربي، وقد حاولت أن أنهج نهجاً موضوعياً، متتبعاً تعاملهم مع التراث العربي.

أهداف الدراسة: تهدف الدراسة إلى تتبع الاستشراق الفرنسي والألماني والمقارنة بينهما، وتحاول إبراز نقاط الاختلاف بينهما، التي ستتبين من خلال البحث.

منهج الدراسة: اعتمدت في هذه الدراسة على المنهج التاريخي، من خلال عرض الآراء التي أرخت لنشأة الحركة الاستشراقية، كما استخدمتُ المنهج المقارن، من خلال المقارنة بين المستشرقين الفرنسيين والألمان في العصور الوسطى، العصور المتأخرة.

الدراسات السابقة: توجد الكثير من الدراسات التي تناولت موضوع الاستشراق، إلا أني لم أجد دراسة تقارن بين الاستشراق حسب اختلاف البلدان. **فأبرز الدراسات التي استفاد منها الباحث:**

ـ الاستشراق الفرنسي والجزائري فيما بين 1879 ـ 1962 دراسة تاريخية فكرية، إعداد عبد الحميد برقية.

ـ الاستشراق الفرنسي والأدب العربي القديم (رجيس بلاشير نموذجا) إعداد شنوفي بارودي.

ـ دور المستشرقين الألمان ومساهمتهم في دراسة وتحقيق التراث العربي المخطوط، إعداد لاحق بسمة.

المبحث الأول: رصد الحركة الاستشراقية:

المطلب الأول: مفهوم الاستشراق.

الاستشراق لغة: عند النظر إلى لفظة الاستشراق نجد أنها مأخوذة من (شرق) يقال شرقت الشمس إذا طلعت وهي تعني مكان شروق الشمس، والشرق: خلاف الغرب والشروق كالطلوع، يقال لكل شيء طلع من قبل الشرق. والسين في كلمة الاستشراق تفيد الطلب أي طلب دراسة الشرق(ابن منظور، 1955، مادة شرق)، واستشرق: أي اتجه نحو الشرق وانتسب إليه .(النبهان، 2012، ص10)

أما كلمة الاستشراق في قاموس اللغة الإنجليزية، فيطلق عليه(orientalism)، والفعل منه (orientalise)، ومعناه يستشرق: أي يختص (الأوروبي والأمريكي) بلغة الشرق وعاداته فيصبح مستشرق (orientalist)، والكلمة مأخوذة أيضاً من كلمة الشرق.(لبادة، 1993، ص657)

التعريف الاصطلاحي للاستشراق عند الغربيين: عُرِّف الاستشراق من قبل بعض الباحثين الغربيين بعدة تعريفات، منها تعريف المستشرق الألماني رودي بارت حيث يقول: " الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة. وأقرب شيء إليه إذن أن نفكر في الاسم الذي أطلق عليه. كلمة استشراق مشتقة من كلمة "شرق" وكلمة شرق تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق أو علم العالم الشرقي"(بارت، 2011، ص17) . ويعتمد المستشرق الإنجليزي آربري تعريف قاموس أكسفورد الذي يعرف المستشرق بأنه: " من تبحَّر في لغات الشرق وآدابه" (آربري، 1946، ص8)

أما الاستشراق اصطلاحاً عند البحاث العرب: فقد تعددت تعريفاته أيضاً، فمنها: أنه" مصطلح أو مفهوم عام يطلق عادة على اتجاه فكري يعنى بدراسة الحضارة الشرقية عامة، ودراسة حضارة الإسلام والعرب بصفة خاصة" (عدنان، 1984، 15)، ويعرف أيضاً بأنه " دراسة يقوم بها الغربيون لتراث الشرق، وبخاصة كل ما يتعلق بتاريخه ولغاته، وآدابه، وفنونه، وعلومه، وتقاليده وعاداته"(الصغير، 1986، ص10) ، ولعل أوجز التعريفات الذي هو بمثابة الخلاصة والمتضمن لأهدافهم، "هو دراسات أكاديمية يقوم بها غربيون كافرون ـ من أهل الكتاب بوجه خاص ـ للإسلام والمسلمين من شتى الجوانب: عقيدة، وشريعة، وثقافة، وحضارة، وتاريخاً، ونظماً، وثروات، وإمكانات بهدف تشويه الإسلام ومحاولة تشكيك المسلمين فيه، وتضليلهم عنه، وفرض التبعية للغرب عليهم ومحاولة تبرير هذه التبعية بدراسات ونظريات تدعي العلمية والموضوعية، وتزعم التفوق العنصري والثقافي للغرب المسيحي على الشرق الإسلامي" (غراب، د. ت ، ص7)

فمن خلال التعريفات اللغوية والاصطلاحية السابقة يتضح أن المعنى اللغوي للفظة (الشرق)، تتفق مع المعنى الاصطلاحي عند الأوروبيين، فدلالة اللفظة لغوياً تتمركز حول مكان طلوع الشمس، والمعنى الاصطلاحي الغربي يعني الاتجاه نحو الشرق؛ لطلب العلم والمعرفة، فاستخدام الكلمة بهذه الدلالة اسماً لعلوم تبحث في منطقة معينة، وتعني اعترافاً بأن العلم والمعرفة والارشاد يطلب من هذه المنطقة، ووضعها بالشرق بالمقام الأول يعني أنها المنطقة التي أشرقت فيها شمس المعرفة .(عبد المنعم، 1417 هـ، ص15.) وبذلك يتضح الارتباط بين الاشتقاق اللغوي العربي لكلمة (استشراق) المشتقة من جهة الشرق، وبين المفهوم الغربي (للاستشراق) الذي يعني طلب العلم، فيكون مفهوم الاستشراق هو(طلب العلم الشرقي)، وأن حرف السين في لفظة (الاستشراق) يدل على طلب المعرفة والاطلاع عليها وفحصها ودراستها بغية أغراض معينة.

أما المستشرقون: فهم قوم غير الشرقيين، أو هم الغربيون الذين تخصصوا في دراسة الشرق من كافة جوانبه، وعلومه وتاريخه وأديانه ولغاته وآدابه وشعوبه ... إلخ، لأهداف مختلفة، ودوافع شتى .(محمد، 2014، ص11)

المطلب الثاني: نشأة الاستشراق.

تعددت الآراء واختلفت حول تحديد بداية الاستشراق، فيرى البعض أن نشأة الاستشراق تعود إلى أواخر القرن السابع الميلادي، منذ عهد بني أمية، على يد الراهب (يوحنا الدمشقي)، الذي أخذ في نشر الآراء المحيرة عن الإسلام، من خلال كتابه (حياة محمد) الذي قدم فيه الدين الإسلامي على أساس أن المسلمين فرقة نصرانية ..." (أحمد، 1994، ص47)

ويرى البعض أن الاستشراق نشأ منذ القرن العاشر الميلادي حين كانت قواعد الأندلس وحواضرها الكبرى مثوى للثقافة، ومنائر للمعرفة بما فيها من خزائن الكتب والجامعات والمدارس العالية، التي يفد إليها الطلاب من فرنسا وإيطاليا وألمانيا وإنجلترا للدرس والتحصيل، وكان رائد حركة التلمذة الراهب الفرنسي جربر دي أورالياك (938 ـ 1003م الذي تعلم العربية في قرطبة ثم عاد إلى بلاده ليتولى البابوية تحت اسم سلفستر الثاني.(بشير، 2002، ص47)

وحدد بعض الباحثين أن القرن الثاني عشر هو بداية نشأة الاستشراق، واستدل على ذلك بظهور أول نتاج استشراقي على يد الراهب الفرنسي بطرس المحترم (1094 ـ 1156م) الذي أوعز بترجمة القرآن إلى اللاتينية في العام 1141م.

وهناك مِن الباحثين مَن يرى أن بداية حركة الاستشراق كانت في القرن الثالث عشر الميلادي، حين صدر قرار مجمع فينا الكنسي سنة (712 هـ / 1312م) الذي أوصى بإنشاء كراسي للغات ومنها العربية، وكان صاحب الاقتراح (ريموند لول) الذي دعا إلى تعلم العربية بوصفها أفضل الوسائل لارتداد العرب إلى المسيحية. (محمد، 2014، ص15)

وأخيراً فإن بعض الباحثين يرجع نشأة الاستشراق إلى القرن الثامن عشر الميلادي حين ضعفت قبضة الدولة العثمانية التي كانت تضرب سياجاً من العزلة لمنع الأوروبيين من الاتصال بالشرق، ثم ما لبثت أوروبا أن تدخلت في شؤون الشرق فكان ذلك بداية الاستشراق.(الخربوطلي،1970، ص18) فكانت حملة نابليون على مصر في سنة 1798م " هي البداية الفعلية للاستشراق؛ لأن هذه الحملة جاءت ومعها عدد كبير من المستشرقين الذين قاموا بعمل دراسات مختلفة نشرت في الكتاب المعروف باسم (كتاب وصف مصر)"(إبراهيم، 1988، ص120)

المطلب الثالث: بداية ظهور مصطلح الاستشراق.

يبدو أن اطلاق مصطلح الاستشراق كان متأخراً؛ إذا ما ربطناه باتصال الغرب بالشرق؛ وذلك لأنه منذ القرن العاشر اتصل الغرب بالحضارة العربية، اتصالاً فعلياً ومؤثراً، وظهرت آنذاك طائفة من علماء الغرب ـ جمهورهم من الرهبان ـ التفتوا التفاتة جادة إلى تراث العرب، وقد عرفوه من عرب الأندلس ـ خاصة ـ " وأكبوا عليه يفاتشونه ويتدارسونه، وكان اهتمامهم في أول الأمر مصروفاً إلى علوم الحكمة والفلسفة، والجبر والحساب والفلك والاسطرلاب، والطب والكيمياء والبصريات. ثم أفضى بهم ذلك إلى فروع التراث العربي الأخرى"،(الطناحي، 1984، ص206) (وقد ساعدهم هذا الاهتمام في النهوض بأمتهم، فأخرجها من ظلمات الجهل إلى نور المعرفة بعد دراستهم للحضارة العربية والإسلامية دراسة متأنية، لغة وديناً، وتاريخاً وآداباً وعلوماً، وكل ما يتعلق بتلك الشعوب، فحملوا مشعل الاستشراق، "وسخروا في سبيل إنجاح غاياته، والوصول إليها، إمكانات كبيرة تفوق التصور، فلم يتركوا

شاردة ولا واردة إلاَّ واطَّلعوا عليها وبحثوها وكشفوها إلى العالم برمته. وهذه الأبحاث والدراسات جاءت وفق أفكار ومناهج منظمة، اتبعها المستشرقون حتى يحققوا نجاحهم"، (كبير، 2017، ص 103)فخلصوا إلى دراسات ضافية حول المشرق الإسلامي، غير أن منهجهم وأهدافهم من الدراسة كانت مليئة بالتعصب والحقد، يشوبها الغموض متسمة بالتزوير والتلفيق والتشويه"،(الطناحي، 1984، ص103). وبالرغم من هذا الاتصال والاحتكاك إلا أن المصطلح لم يظهر إلا على لسان آربري (المستشرق الإنجليزي) عندما أشار إلى أن كلمة مستشرق قد ظهرت قبل مصطلح الاستشراق، ويضيف قائلاً: والمدلول الأصلي لاصطلاح (مستشرق) كان في سنة 1638م. وفي سنة 1691م وصف آنتوني وود Anthony صمويل كلارك Samuel Clarke بأنه (استشراقي نابه) يعني ذلك أنه عرف بعض اللغات الشرقية"(آربري، 1946، ص8) ويذهب المستشرق الفرنسي مكسيم رودنسون إلى أن الاستشراق ظهر في اللغة الفرنسية عام 1799م، بينما ظهر في اللغة الإنجليزية عام 1838م، ويربط (مكسيم رودنسون) ظهوره لحاجتهم إلى إيجاد فرع متخصص من فروع المعرفة لدراسة الشرق، ووجود مختصين للقيام على إنشاء المجلات والجمعيات والأقسام العلمية. (رودنسون ، 1978، ص27)

المبحث الثاني: تعامل المستشرقين مع التراث العربي الإسلامي، خلال العصور الوسطى:

المطلب الأول: دوافع اتصال المستشرقين مع التراث العربي الإسلامي.

شكل نهاية القرن العاشر وبداية القرن الحادي عشر الميلادي نقطة فاصلة في تاريخ الأندلس بين عهدها الزاهر، وعهد تراجعها واضمحلالها، فمنذ عهد الفتنة تكالب ملوك الطوائف، على الفتك ببعضهم واستنجادهم بملوك النصارى ضد بعضهم بعضاً، فانتهز النصارى الفرصة السانحة التي ينتظرونها منذ فتح الأندلس، فأخذت النتائج الإيجابية تظهر لفائدة النصارى (العروسي، 1982، ص18) . ولا سيما بعد سقوط طليطلة، ويكاد يجمع المحققون على أن حركة الاستشراق بدأت بفرنسا سنة 1093م، عندما قدم الراهب الفرنسي (بطرس الناسك) إلى بيت المقدس للحج والزيارة فاغتاظ لرؤية السيادة الإسلامية على فلسطين والأماكن المقدسة، فكرَّ راجعاً إلى وطنه (فرنسا) لدعوة المسيحين لإنقاذ هذه الأماكن، وقد عرَّج على رومة حيث يوجد البابا " أروبان الثاني " الرئيس الأعلى للمسيحيين، فاتفق مع المجمع الكنسي ورجال السياسة والعسكريين على غزو البلاد الشامية، فبدأت الحملات الصليبية، وكان أغلب قادتها من فرنسا،(المطوي، 1982، 44ـ47) وخلال هذه الحملات بدأ اتصال رجال الدين النصارى بالتراث العربي الإسلامي، وشرعت العقلية الغربية في دراسة الحياة الإسلامية، حيث تأكد لها أن المسلمين يمتازون بصفات تستحق الدراسة والتقدير، فهم أمة ناهضة انطلقت إلى آفاق واسعة تتسم بأهداف الإنسان الحر وآماله الكبيرة، غير أن العقلية الأوروبية كُبِّلت بقيود الكنيسة، فظلت تعادي

الإسلام بشدة وعنف، لأن هزيمتها في الحروب الصليبية جعلتها تحمل في طياتها مرارة شديدة وعداوة ضارية، مشبَّعة بالتعصب الأعمى رغم أنها كانت تعايش الأندلس الإسلامية، إلا أن " حقدها الديني وتعصبها الشديد لم يتركا لها مجالاً كافياً للتفكير في الحقيقة وما وراءها"،(سمايلوفتش، 1974،ص 72).

المطلب الثاني: العناية بتعلم اللغة العربية.

شهد القرن العاشر الميلادي صحوة علمية في الأوساط الأوروبية، وبدأ خلالها طلائع علمائهم ـ وجمهورهم من الرهبان ـ بالوفادة على مراكز الحضارة العربية بالأندلس والشام ومصر، ينهلون من تراثهم، ويتتلمذون على علمائهم، في شتى العلوم، ومن أوائل الوافدين من علماء الغرب الراهب الفرنسي جربر دي أوراليالك المتوفى سنة 1003م، وقد قصد الأندلس، وأخذ على أساتذتها في مدارس ريبول، وإشبيلية، وقرطبة، حتى أصبح أوسع علماء عصره، ثقافةً بالعربية، وغيرها من العلوم، ولما ارتحل إلى رومة، سما على أقرانه، وانتخب حبراً عظيماً، باسم سلفستر الثاني، فكان أول بابا فرنسي، وقد أمر بإنشاء مدرستين عربيتين، الأولى في رومة مقر خلافته، والثانية في رايمس ـ شمال فرنسا ـ وطنه(الطناحي، 1984،ص206).

وفي نهاية القرن الثاني عشر الميلادي، اهتم فريدريك الثاني ملك صقلية، ثم الفونسو ملك قشتالة في منتصف القرن الثالث عشر الميلادي بنقل العلوم العربية وترجمة كتبها، ومن أجل ذلك تُرجم القرآن وأنشئت المدارس والمعاهد لتعليم اللغة العربية، وكل ما يتعلق بالدين الإسلامي، لغرض الجدل والتشكيك.(ماضي،1991،ص22).

وفي القرن الثالث عشر والرابع عشر، بذل رايموندوس لالوس "جهوداً كبيرة لإنشاء كراسي لتدريس اللغة العربية، وكان قد تعلم العربية على عبد عربي. فكل هذه الجهود التي بذلت في العصور الوسطى من أجل تعلم اللغة العربية، لم يكن حباً فيها، ولكن ليتخذوها وسيلة إلى فهم القرآن، وسلاحاً في مناقشته، وللتبشير، وهو إقناع المسلمين بلغتهم ببطلان الإسلام واجتذابهم إلى الدين المسيحي، وكان موقف الغرب المسيحي ـ في العصر الوسيط ـ من الإسلام هو موقف الدفع والمشاحنة فحسب، رغم أن العلماء ورجال اللاهوت كانوا يتصلون بالمصادر الأولى في تعرفهم على الإسلام، لكن كل محاولة لتقييم هذه المصادر على نحو موضوعي نوعاً ما، كانت تصطدم بحكم سابق يتمثل في أن هذا الدين المعادي للمسيحية لا يمكن أن يكون فيه خير، وهكذا كان الناس لا يصدقون إلا تلك المعلومات التي تتفق مع هذا الرأي الراسخ في أذهانهم وكانوا يتلقون بنهم كل الأخبار التي تلوح فيها الإساءة إلى النبي العربي وإلى دين الإسلام(بارت،2011،ص15). هكذا عمل الرهبان على تشويه الإسلام، وتحريف حقائقه، ليثبتوا لجماهيرهم التي تخضع لزعامتهم الدينية أن الإسلام دين لا يستحق الانتشار، وأن المسلمين قوم همج

لصوص وسفَّاكو دماء، يحثهم دينهم على الملذات الجسدية، ويبعدهم عن السمو الروحي.(السباعي، د.ت، ص20).

المطلب الثالث: إسهامات المستشرقين في الحركة العلمية

بدأ المستشرقون الطامحون إلى المعرفة يتطلعون ويراقبون عن كثب ما كان يجري في طليطلة، وما كان يدون في بغداد، وكثيراً ما يتحدث التاريخ عن صلات الإمبراطور شارلمان بالخليفة هارون الرشيد، ويبدو أن شارلمان كان على معرفة تامة بأمور الشرق، كما كان على معرفة كاملة بأمور الأندلس، فشكلت هذه المعرفة حافزاً له على أن يسلك في إمبراطوريته طريق العرب بالنسبة للحركة العلمية، فاستعان ببعض العلماء، من بينهم رجل يدعى (الكوان)، كان ملماً بكثير من المعارف العربية عن طريق اللاتينية والعبرية فعندما لاحظ رغبة شارلمان في نهضة بلاده بدأ يؤسس المدارس والمجامع العلمية على غرار المدارس العربية، وأمر بتدريس العلوم الحديثة، ولما قوى نفوذه قام بإدخال هذه العلوم في المدارس التي كانت تسيطر عليها الكنيسة ووضع مناهج مفصلة لتدريس الجغرافيا، والموسيقى، والطب، والفنون، وبعد موت شارلمان شرعت الكنيسة بإلغاء هذه العلوم غير أنه لم يمضِ زمن طويل حتى أعتلى عرش فرنسا الملك شارل، حفيد شارلمان، فقرر إعادة كل ما كان في عهد جده من ثقافية، فاستدعى عالماً إنجليزياً يسمى (جون أريجينا) كان ملماً بالعربية واليونانية والعبرية ومنحه سلطات واسعة في مجال التربية(سمايلوفتش، 1974، ص72)، وقد قامت جهوده على ثلاث نقاط:

1 ـ أسند مهمة التدريس في المدارس الأوروبية إلى أساتذة من العرب.

2 ـ أرسل عدداً من الطلاب الغربيين إلى الأندلس لتلقي العلم على أيدي العرب، حتى يعدوا أنفسهم لتحمل مسؤولية التوسع الثقافي في أنحاء البلاد.

3 ـ أعتنى بترجمة أهم الآثار العربية، وبصفة خاصة ما كان متصلاً منها بالآداب والعلوم والفنون والطب والفلسفة إلى اللغة اللاتينية.

فأظهرت نتائج المجهود العلمي لهذا العالم الإنجليزي نجاحاً في توطيد العلاقات الثقافية بين الغرب والشرق، "وفي نهاية القرن التاسع الميلادي جلس على الكرسي البابوي البابا سلفستر الثاني الذي درس في الأندلس هذه العلوم واقتنع بفائدتها وتأكد من ضرورتها بالنسبة لأوروبا وأراد لها أن تحذو حذو العرب في نهضتهم حتى لقد أصدر قراراً يقضي بأن تترجم إلى اللغة اللاتينية الآثار العقلية العربية في مختلف العلوم والآداب والفنون، ... ومن أجل ذلك بقى أثر الحضارة العربية ينتشر ويتغلغل في الأوساط الأوروبية بالرغم من عداء الكنيسة لهذه النهضة، ومن تحيز رجال الدين لتعاليمهم الخاصة"(

سمايلوفتش، 1974، ص72). ويتضح من خلال ما سبق أن النهضة الأوروبية اعتمدت ـ في نهضتها ـ اعتماداً كلياً على العرب وآثارهم ومدارسهم في البيئة الأندلسية، بحكم الامتداد الجغرافي لها، وبفضل المد الإسلامي أبان الفتوحات.

المطلب الرابع: جمع المخطوطات العربية وترجمتها:

حين تعلم المستشرقون اللغة العربية وأقاموا المعاهد لدراستها بدأوا في مهمة جمع المخطوطات في وقت مبكر، فمنذ سقوط طليطلة أول معقل إسلامي ينهار في أيدي المسيحيين في القرن الحادي عشر الميلادي، سنة 1085م، عكف الفرنسيون على جمع المخطوطات العربية في المدينة المستسلمة لدراستها وترجمة جانب منها، وكان في طليعة هؤلاء المستشرقين الرهبان الفرنسيين، من أمثال بطرس المحترم (1094 ـ 1156) رئيس دير كلوني(1123) الذي شيدته فرنسا (910) فجعل من الرهبان مركزاً خطيراً لنشر الثقافة العربية (العقيقي،1964 ، 123/1).

ثم استمر سعي الفرنسيين نحو المخطوطات العربية وبحثهم عنها، وأعطتهم الحروب الصليبية منفذاً جديداً نحو معقل المخطوطات في الشرق وجلبوا منها الكثير، بل كانت هدفاً مقصوداً لبعض غاراتهم"، (درويش،2004،ص20) وقد عبر أسامة بن منقذ عن هذا الاستيلاء بقوله: " فهون علي سلامة أولادي وأولاد أخي، وحرمنا ذهاب ما ذهب من المال، إلا ما ذهب لي من الكتب، فأنها كانت أربعة آلاف مجلد من الكتب الفاخرة، فإن ذهابها حزازة في قلبي ما عشت"(درويش،2004،ص20).

كانت طليطلة تمثل وسيطاً من أهم الوسائط الثقافية العربية الإسلامية إلى جميع أرجاء القارة الأوروبية، ولما وجد الملك القشتالي مكتباتها زاخرة بالمؤلفات العربية، عمل على تأسيس مدرسة للمترجمين، لترجمة أمهات الكتب العربية في مختلف العلوم إلى اللغة اللاتينية(سميرة،2017،ص2).

فأنشأ رايموندو الأول رئيس أساقفة طليطلة مكتب المترجمين بها سنة (1130م)، وأشرف ميخائيل سكوت على مكتب الترجمة الذي أنشأه فردريك الثاني في صقلية سنة(1220م)، وبدأ رجال الكنيسة يتوافدون إلى هذه المدارس والمكاتب؛ بغية الاطلاع والترجمة، والتألف والنشر في علوم الفلسفة والطبيعة والفلك، وغيرها.

المطلب الخامس: طلائع المستشرقين.

ترجم العقيقي لمجموعة من المستشرقين الذين وفدوا على الأندلس من أشهرهم:

ـ **جربر دي أوروالياك** (938 ـ 1003م): راهب فرنسي من الرهبانية البندكتة، ارتبطت باسمه حركة الاستشراق، إذ رحل من فرنسا إلى الأندلس(إسبانيا)، فتعلم على أساتذتها اللغة العربية، ووقف على علوم العرب في الرياضيات والطب والكيميأ والفلسفة، والعلوم الدينية.

نشاطه العلمي: قام بإنشاء مدرستين عربيتين، الأولى في رومة مقر خلافته، والثانية في رايمس ـ شمال فرنسا ـ وطنه، وقيل: إنه أول من صنع ساعة رقاصة، ووصف حروف الغبار وصفاً علمياً، وأول من بثَّ الأعداد العربية في أوروبا. وله دراسة عن كتاب أقليدس بالعربية(محفوظات كنيسة وستر بإنجلترا)

من أهم أعماله في الترجمة:

ترجم بعض الكتب الرياضية، والفلكية، كالزيج المنصوري(1000م)،(العقيقي،1964، 120/1)

ـ **الراهب اللاهوتي بطرس المحترم** (1094 ـ 1156م): وهو راهب لاهوتي فرنسي من الرهبانية البندكتية، عين ـ لسعة اطلاعه ـ رئيساً على ديرها كلوني(1123م)، الذي شيدته فرنسا سنة (910م)، فأصبح مركزاً خطيراً لنشر الثقافة العربية، قصد الأندلس فيمن قصدها مستزيداً من علومها، وهو الذي أوعز بترجمة القرآن إلى اللاتينية في العام 1141م)،(العقيقي،1964، 122/1، 123). فبعد اطلاعه على الحرب الدائرة بين المسلمين والإسبان، ومحاولات المسلمين استرداد بيت المقدس، خرج بقناعة إلى أنه لا سبيل إلى مكافحة الإسلام إلا بقوة الكلمة ودحضها بروح المنطق الحكيم للمحبة المسيحية، فوضع خطة ترجمة القرآن، يتلخص غرضها في الآتي:

ـ كان الدافع الأول من وراء الترجمة التشويهية، هو اعتقادهم بأن النصرانية هي الحق والهدى.

ـ الحيلولة بين النصارى وبين اعتناق الإسلام حين رأى تسامح الإسلام ودخول كثير من النصاري في الإسلام.(فوك،2000، ص17)

أدلرد أوف باث (1070 ـ 1135 م): مستشرق إنجليزي من الرهبانية البندكتية، طلب العلم في تور والأندلس وصقلية، فاشتهر بتضلعه من ثقافة العرب الذين آثر مذهبهم في العلم على مذهب الفرنجة، فقال في كتابه (المسائل الطبيعية)، وهو محاورة بينه وبين ابن أخيه خريج جامعات الفرنجة: " إنني ـ وقائدي هو العقل ـ قد تعلمت من أساتذتي العرب غير الذي تعلمته أنت، فبهرتك مظاهر السلطة، بحيث وضعت في عنقك لجاماً تقاد به قياد الإنسان الحيوانات الضارية ولا تدري لماذا ولا إلى أين)،(العقيقي،1964، 121/1، 122) .

أهم أعماله في الترجمة: لباث العديد من الترجمات اللاتينية، في الفلك والرياضيات، من أشهرها:

زيج الخوارزمي بتنقيح المجريطي(مكتبة مازرين، في باريس1126م).ترجم بمعاونة يوحنا الأشبيلي أربعة كتب لأبي معشر البلخي(1133).كما صنف بعض الكتب منها: كتاب الأسئلة الطبيعية(1130)، الإسطرلاب(1134)،القنص بالباز(محفوظة في مكتبات باريس وإنجلترا)،العلوم عند العرب(1472).إلى غير ذلك من أبحاث في الفلك والطبيعة، وغيرها.

جيرار دي كريمونا (1114 ـ 1187م): وهو مستشرق إيطالي من الرهبانية البندكتية قصد طليطلة حيث تضلع من العربية، وعكف على مصنفاتها، فترجم منها ما لا يقل عن 87 مصنفاً في الفلسفة والطب والرياضيات والفلك، فقدت معظم أصولها العربية وسلمت ترجماتها اللاتينية.

آثاره في الفلسفة والمنطق: ترجم رسائل الكندي في العقل والمعقول وفي الجواهر الخمسة(1531م).، ترجم إحصاء العلوم للفارابي، ترجم شرح الفارابي على أرسطو، القانون لابن سينا، الأسرار في الكيمياء، الأدوية المركبة للكندي، علم الفلك وأصول الهندسة لأقليدس، الموجز في الفلك للفرغاني، حساب الجبر والمقابلة للخوارزمي)،(العقيقي،1964، 126/1)، وغيرها الكثير.

ـ ميخائل سكوت (1175 ـ 1236م): وهو مستشرق اسكتلندي من الرهبانية البندكتية، تلقى العلم في أكسفورد، قصد طليطلة حيث أتقن العربية صنف أول مؤلف نفيس له وهو خلاصة الفلسفة لابن سينا. وترجم تاريخ الحيوان لأرسطو من العربية، في عشرة أجزاء، وغير ذلك من كتب الفلسفة والطبيعة.

أهم آثاره العلمية: ترجم أغلب مؤلفات أرسطو، ألف كتاب علم النفس(1477، ثم عرف بعنوان سر الأسرار)، وألف كتباً في التنجيم والكيمياء، وغيره)،(العقيقي،1964، 127/1ـ 128).

ومما سبق نستنتج أن التعامل الغربي مع التراث خلال هذه العصور كان تحت قيادة الكنيسة، التي ارتكز اهتمامها باللغة العربية والترجمة من أجل الطعن في الإسلام وتشويهه، والنيل من القرآن والسنة، كي تحد من انتشاره، والدعوة إلى التنصير، واتصفت دراستهم بالذاتية. وكان للفرنسيين السبق إلى التراث العربي الإسلامي، بحكم قربهم من الأندلس، وقيادتهم للحروب الصليبية.

المبحث الثالث: تعامل المستشرقين مع التراث العربي الإسلامي خلال العصور المتأخرة:

يعد القرن الثامن عشر الميلادي، هي البداية الفعلية لموضوع الاستشراق في تعاطيه الفعلي مع التراث، ودراسته دراسة موضوعية علمية متأنية، ولم يجد الاستشراق الفرصة المواتية " لينهج طريقاً علمياً إلا بعد أن انفصل عن أيديولوجية اللاهوت وكون ذاته وكيانه" (سمايلوفتش، 1974، ص96)، وتخلص من سيطرة الكنيسة ، وإن لم يتخلص بعد من أيديولوجية الاستعمار التي " استطاعت أن تسخره في سبيلها وتحركه لخدمة أهدافها"(سمايلوفتش، 1974، ص96)، ورغم كل ذلك استطاع نفر قليل جداً من المستشرقين أن يقبلوا على الاستشراق بدافع من حب الاطلاع وهؤلاء كانوا أقل من غيرهم خطأً في فهم الإسلام وتراثه؛ لأنهم لم يتعمَّدوا الدَّس والتحريف، "فجاءت أبحاثهم أقرب إلى الحق وإلى المنهج العملي السليم من أبحاث الجمهرة الغالبة من المستشرقين، بل إن منهم من اهتدى إلى الإسلام وآمن برسالته" (السباعي، د.ت،ص25)، كالمستشرق الألماني يوهان يعقوب رايسكيه ت1774م(المنجد، 1978، ص23) ، على أن هؤلاء لا يوجدون "إلا حين يكون لهم من الموارد المالية الخاصة ما يمكنهم

من الانصراف إلى الاستشراق بأمانة وإخلاص؛ لأن أبحاثهم المجردة عن الهوي، لا تلقى رواجاً، لا عند رجال الدين، ولا عند رجال السياسة، ولا عند عامة الباحثين، ومن ثم فهي لا تدر عليهم ربحاً ولا مالاً؛ ولهذا ندر وجود هذه الفئة في أوساط المستشرقين "(السباعي، د.ت، ص 25).

وعلى الرغم من قلة هذه الفئة إلا أن النزعة الإنسانية في عصر النهضة الأوروبية ـ في القرن السادس عشر الميلادي وما بعده ـ أدت إلى دراسات أكثر موضوعية من ذي قبل، "ومن ناحية أخرى شجعت البابويه الرومانية دراسات لغات الشرق من أجل مصلحة التنصير"(زقزوق، 1989،ص36).

ومن أجل هذه المصلحة بدأ الأوربيون يطلبون الثقافة العربية لذاتها "فقاموا للمرة الأولى بدراسة اللغة العربية دراسة جيدة، تميزت هذه الحركة الجادة المنظمة بعدة أمور، منها جمع المعجمات وكتب النحو العربي، وطبع المخطوطات العربية ونشرها، والبحث في تاريخ العرب والأدب العربي" (القاضي،2015، ص26)، فأنشئت العديد من الكراسي لتدريس اللغة العربية، فكان أول كرسي أُنشئ عام 1539م في باريس وقد "شغل هذا الكرسي جيوم بوستل (ت 1581م) الذي يعد أول المستشرقين الحقيقيين الذين أسهموا في إثراء دراسات اللغات والشعوب الشرقية في أوروبا وجمع في الوقت نفسه وهو في الشرق مجموعة هامة من المخطوطات، وقد سار على نهجه تلميذه (جوزيف اسكاليجر ت 1609م)." "(زقزوق، 1989،ص36،37) كما اهتم الفرنسيون بإنشاء الجمعيات لمتابعة الدراسات الاستشراقية. كالجمعية الآسيوية في باريس عام 1822م، بالإضافة إلى إصدار المجلات والدوريات، كمجلة الإسلام التي ظهرت عام 1895م، وانعقاد المؤتمرات الدولية، كمؤتمر باريس الأول الذي ظهر في عام 1873م ، وقد بلغ هذه المؤتمرات التي تعقد بصورة منتظمة حتى الآن أكثر من ثلاثين مؤتمرا.

وفي ألمانيا أنشئت بعض الجمعيات والمجلات كجمعية الدراسات الشرقية عام 1845م. ومجلة الإسلام الألمانية التي ظهرت في عام 1910م. وشهدت ألمانيا عقد أول مؤتمر للمستشرقين الألمان في مدينة درسدن في عام 1849م، فكل هذه الأعمال الاستشراقية قد مولتها الحكومات الأوروبية، يقول رودي بارت: لقد أصبح "الاستشراق في ألمانيا حالياً وفي العالم الأوروبي الحديث كله مادة علمية معترف بها من الجميع ... نعترف شاكرين بأن المجتمع ممثلاً في الحكومات والمجالس النيابية يضع تحت تصرفنا الإمكانات اللازمة لإجراء بحوث الاستشراق وللحفاظ على نشاطنا التعليمي في هذا المضمار .." "(زقزوق، 1989،ص 60).

المطلب الأول: عناية المستشرقين الفرنسيين بالمخطوطات

اهتم الغرب منذ زمن طويل بدراسة حضارات الأمم والشعوب السابقة وبخاصة العربية والإسلامية والإلمام بتراثها، فكانت عملية الجمع والدراسة أسبق من إطلاق مصطلح الاستشراق، غير أن

عملية الجمع لم تكن في بدايتها عملية منظمة مقصودة(القاضي،2015، ص23) ، وقد عُرفت هذه العملية ـ عند الدكتور عادل الآلوسي ـ بالاستشراق القديم الذي يعتمد على " دراسة حضارة الأمم والشعوب وآدابها وفنونها ولغاتها وتقاليدها ... " (القاضي،2015، ص22)، ثم " انطلقت بعد ذلك الحركة المنظمة الجماعية خلال عدة قرون، وظهر المصطلح للدلالة على هذه الحركة الملحوظة من قِبل الغرب تجاه الشرق"(القاضي،2015، ص23) ، وبدأت على إثرها مهمة "جمع المخطوطات العربية من كل مكان في بلاد الشرق الإسلامي. وكان هذا العمل مبنياً على وعي تام بقيمة هذه المخطوطات التي تحمل تراثاً غنياً في شتى مجالات العلوم""(زقزوق، 1989،ص73)، وقد تمت عملية جمع المخطوطات على النحو التالي:

1 ـ تولت الجهات المعنية في أوروبا مهمة جمعها، حيث بدأت ترسل مبعوثيها لشراء المخطوطات من الشرق، ففي سنة 1534م أرسل ملك فرنسا فرانس الأول المبشر فلهم بوستلل إلى الشرق لجمع المخطوطات العربية وأمهات الكتب؛ ليتعمق في معرفة روح الإسلام.

وقد أرسل الوزير كلوبير سنة 1730 قسين فرنسيين، كل على حدة، إلى الشرق للبحث عن المخطوطات"(المقداد، 1993،ص46).

وفي سنة1833" حصلت فرنسا على قرابة ألف وخمسمائة مخطوط، كان شرفيل المعتمد القنصلي بمصر قد جمعها""(المقداد، 1993،ص47) ، وما بين سنتي 1847 و 1857 شغل شارل شيفر عددا من الوظائف في العالم الإسلامي منها " وظيفة مترجم أول في سفارة فرنسا بأستنبول، فكان لذلك أهمية في تمكن هذا المستشرق الذي يتقن العربية والتركية والفارسية، من جمع عدد كبير من المخطوطات بهذه اللغات الثلاث الرئيسية في منطقة الشرق الأوسط"."(المقداد، 1993،ص48)

ثم ازداد حرص ملوك فرنسا في إرسال سفرائهم رسمياً لهذه المهمة، حتى قيل أن مكتبة باريس الوطنية التي أنشئت سنة (1654م) قد احتوت على آلاف المخطوطات، بينها نفائس علمية، وأدبية، وتاريخية قلما توجد في غيرها، وقد تكونت هذه المكتبة على أيدي المستشرقين الذين أوفدهم الوزير كولبير إلى الشرق في عهد عبد الملك لويس الرابع عشر.

2 ـ استغل المستشرقون أثناء الحروب الصليبية ظروف المجاعة التي لحقت بلاد المسلمين في القرن الثالث عشر الهجري، فعملوا على شراء المخطوطات من المحتاجين للمال بأسعار زهيدة، وكانوا يحملونها عن طريق السفن إلى أوروبا وأقيمت بها أسواق مختصة في بيع المخطوطات. وقد تنافس المستشرقون في جمع التراث العربي والإسلامي واغتنموا فرصة سيادتهم على الشرق عند ضعفه، فصادروا ما بالمساجد وما لدى الأفراد من مخطوطات، فأخذا أغلبها سرقة واعتداءً. وبعضها حملت إليهم حملاً في عقر دارهم.(العقيقي،1964، 352/3).

3 ـ فرض الحكام في أوربا على كل سفينة تجارية تتعامل مع الشرق أن تحضر معها بعض المخطوطات. فساعد هذا الفيض الهائل من المخطوطات المجلوبة من الشرق على تسهيل مهمة الدراسات العربية في أوروبا وتنشيطها.

4 ـ جمعت لمخطوطات العربية عن طريق الحملات التي قامت بها الدول الغربية، كالحملة النابليونية على مصر عام 1798م، التي أدت إلى تزايد نفوذ أوربا في الشرق، والاحتفاظ بعدد كبير من المخطوطات.

5 ـ طلبت هذه المخطوطات عن طريق الأسفار الطويلة التي يقوم بها الرحالة الفرنسيون، الذين دفعوا في تحصيلها " النفقات الباهظة في مختلف الأصقاع، حتى توفر لديهم من المخطوطات العربية وحدها، أعلاق نفيسة تقدر بمئات الألوف، أكثرها من الأمهات والنوادر".(العقيقي،1964، 352/3) فمن هؤلاء المستشرقين الفرنسيين الرحالة الذين جلبوا الكثير من المخطوطات العربية أثناء جولاتهم ورحلاتهم، (بوتي دولا كروا) "."(المقداد، 1993،ص46) وبهذه الطرق وغيرها، احتفظت مكتبات أوروبا بآلاف المخطوطات، وقد اعتنوا بها عناية كبيرة " وصانوها من التلف والضياع، باحتفاظهم بها في رفوف مكاتبهم، واهتمامهم الفائق بها (الطناحي،1984، ص196).

ولم يكتفِ المستشرقون بجمع المخطوطات الاحتفاظ بها فقط؛ بل قام المستشرقون في الجامعات والمكتبات الأوروبية كافة بفهرسة المخطوطات العربية "فهرسة علمية دقيقة، في مجلدات عديدة مجددة منقحة، تناولت غالبيتها أسماء المؤلفين وأقدارهم، وإحصاء مؤلفاتهم، بين مطبوع ومخطوط مع ذكر مكانه، وأصالة المخطوط ونسبته إلى صاحبه، وتاريخ نسخه، ومزاياه ونوع الورق والحجم وعدد الصفحات والسطور، وذيلوها بذيلين: أحدهما لأسماء المؤلفين، والآخر لعناوين كتبهم، ونشروها منذ ثلاثمائة سنة ونيف"".(العقيقي،1964، 352/3).

وكان غرض المستشرقين من فهرسة المخطوطات " للإفادة منها والرجوع إليها بأيسر كلفة، مع تعرف أوصافها من خلال نبذة قصيرة عن كل مخطوطة... وكان أول فهرس للمخطوطات العربية في فرنسا هو ذاك الذي وضعه بطرس دياب الحلبي سنة 1667م، لمكتبة الملك، ويروى أنه قام بوصف المخطوطات التي كانت تحتوي عليها مكتبة الوزير كولبير"."(المقداد، 1993،ص 62) وكان هذا العمل في المكتبات الغربية والعربية على حد سواء. وقد وضعت هذه المخطوطات تحت تصرف الباحثين الراغبين في الاطلاع عليها في مقر وجودها أو طلب تصويرها بكل يسر.

المطلب الثاني: أشهر المستشرقين الفرنسيين، الذين اعتنوا بالتراث العربي.

إن المتتبع لجهود المستشرقين الفرنسيين الذين اعتنوا بالدراسات الشرقية، لا يستطيع حصر ترجماتهم وجهودهم في دراسة موجزة ومتواضعة كهذه الدراسة، ولكنني سأقتصر على أشهرهم فمن هؤلاء:

سيلفستر دي ساسي، (1758 ـ 1838م): ولد سيلفستر بباريس فتعلم اللاتينية واليونانية في صغره، ثم درس العربية والفارسية والتركية، ولما أنشأت الحكومة الثورية في باريس أول مدرسة اللغات الشرقية الحية، عام1795م عين رئيساً لها، فركزت هذه المدرسة على عنصر الفائدة العلمية، وفي عام 1815م عين رئيساً لجامعة باريس، وعندما تأسست الجمعية الأسيوية انتخب رئيساً لها عام 1822م، عمل ساسي في نشر المخطوطات الشرقية في مكتبة باريس الوطنية، وله كتابات وأبحاث حول العرب وآدابهم، وحقق عدداً من المخطوطات، فأصبحت فرنسا في عهده قبلة المستشرقين من جميع أنحاء أوروبا، ولم تكن له دراسات حول الإسلام بسبب انفصال الاستشراق عن اللاهوت ـ في القرن الثامن عشر ـ في كل من فرنسا وإنجلترا.(زقزوق، 1989 ص48) ثم اشتغل في السياسة فتحصل على عضوية في مجلس الشيوخ، وقد ترجم البيان الختامي عند احتلال الجزائر، وكذلك عند احتلال مصر عام 1797 (العقيقي،1964، 1/ 179).

آثاره العلمية: لساسي الكثير من الأبحاث والدراسات في شتى المجالات، في النحو الأدب واللغة والتاريخ وغيرها، من أشهرها: تلخيص كتاب الخطط للمقريزي (1797، جزء من كشف الممالك والأوزان والمكاييل الرسمية في الإسلام للمقريزي.(1799)، (التحفة السنية في علم العربية(1799)، ترجم الحمام الزاجل لخائيل الصباغ(باريس 1805)، تاريخ الساسانيين عن الفارسية لميرخوند (باريس 1805)، تحفة البردة للبوصيري(1806)، أصل الأدب الجاهلي عند العرب(1808)، وصف مصر (باريس 1809)، الإفادة والاعتبار بما في مصر من الآثار لموفق الدين البغدادي(1811)،شرح معلقة لبيد(1816)، مقامات الحريري(1822)، قصيدة الأعشى (ودع هريرة)متناً وترجمة (1828،دراسات عن أصل ألف ليلة وليلة (المجلة الآسيوية 1827)، وغيرها من المؤلفات.

بلاشير : (1900 ـ 1973) ولد في موم روج بالقرب من باريس، وتلقى دروسه الثانوية، في الدار البيضاء، وتخرج بالعربية في كلية الآداب بالجزائر (1922)، ولما نال شهادة الإجازة في التعليم / أجريجاسيون (1924) انتدب مديراً لمعهد الدراسات المغربية العليا بالرباط حتى عام 1935م، ثم استدعته مدرسة اللغات الشرقية بباريس أستاذاً لكرسي الأدب العربي، ثم حاز على الدكتوراه في الأدب العربي عام 1936م، برسالتين الأولى: " دراسة عن أبي الطيب المتنبي" ، الثانية " ترجمة فرنسية كتاب الأمم لصاعد الأندلسي" وعين أستاذاً في جامعة السربون منذ العام 1938 ، ثم أستاذاً للغة العربية وحضارتها في جامعة باريس، ومشرفاً على مجلة (المعرفة) التي صدرت في باريس باللغتين والفرنسية(بدوي، 1993، ص127).

آثاره: لبلاشير الكثير من الأعمال الأدبية حول الثقافة العربية(العقيقي، 1964، 1 /317) ، **منها:** المتنبي الشاعر العربي الإسلامي(مجلة الدراسات الإسلامية 1929)، سيرة ومصنفات الشاعر المترسل

الأندلسي ابن دراج القسطلي، (1930)،أبو الطيب المتنبي ، بحث أدبي(باريس 1936)، هل للعكبري تعليق على ديوان المتنبي؟(مؤتمر المستشرقين 1938)،تعليق على ديوان المتنبي(حوليات معهد الدراسات الشرقية1938)، أهم مواضع شعر الغزل على عهد الأمويين بدمشق(حوليات معهد الدراسات الشرقية 1939)، ابن القارح ورسالة الغفران للمعري(مجلة الدراسات الإسلامي 1941)، قواعد نشر وترجمة النصوص العربية(باريس 1945)، نبذة عن النفس في القرآن(1948).
أدب الأمثال عند العرب(1954).

المطلب الثالث: عناية المستشرقين الألمان بالمخطوطات

تعود البدايات الأولى لاتصال ألمانيا بالشرق إلى فترة الحروب الصليبية على العالم الإسلامي (1147 ـ 1149)، حجاجاً وزواراً، وربما مشاركين في الحملات، إلا أن مرحلة تاريخ الاستشراق الألماني كانت في القرن الثامن عشر، " لأن الدراسات الشرقية في وقتها لاقت اهتماماً واضحاً خلال هذا القرن من خلال المساعي العلمية التي قامت بها شخصيات كان لها دور تأسيسي لتلك الدراسات"(المطوري، 2015، ص193) ، كما أنها وقفت ضد الظلم والإجحاف الذي لقيه الإسلام خلال العصور الوسطى، ويعد (رايسكيه ت1774) أنموذجاً رائداً يرجع إليه "الفضل في إيجاد مكان بارز للدراسات العربية في ألمانيا، ولكن عصره ومعاصريه تجاهلوه وحاربه رجال اللاهوت متهمينه بالزندقة، ولعل ذلك يرجع إلى موقفه الإيجابي من الإسلام، ... وقد جر عليه موقفه ويلات كثيرة وعاش طول حياته في ضائقة مالية، ومات بائساً مسلولاً"(زقزوق، 1989، ص44) ، فأُطلق عليه "شهيد الأدب، وصارت حياته تاريخاً لتلك الآلام التي سجلها في مذكراته"(زقزوق، 1989، ص44)' وعلى يديه تخلص الاستشراق من سيطرة اللاهوت وأصبح "علماً قائماً بنفسه هدفه دراسة اللغات الشرقية وآدابها، وبرزت هناك نزعة علمية تتجه إلى دراسة الآداب والعقائد الشرقية لذاتها مستهدفة المعرفة وحدها""(زقزوق، 1989، ص49))، وبعد أن تأسس الاستشراق الألماني تأسيساً علمياً، نشطت عملية البحث عن التراث العربي المخطوط وجمعه خلال الاتصال الفعلي للألمان بالمشرق الإسلامي، الذي يعود إلى ما بعد الحرب العالمية الثانية (الجنابي، 2015،ص30).

وقد تمت عملية جمعهم للمخطوطات عن طريق الشراء أو الإهداء، بعكس المستشرقين الإنجليز والفرنسيين الذين تعددت طرقهم في الجمع فكان أغلبها يتم عن طريق الاعتداء والسرقة. وقد كان عدد المخطوطات حتى مطلع القرن الثامن عشر قليلا، وبعد ذلك الزمن دخلت كميات هائلة من المخطوطات الشرقية النفيسة، لا يحصى عددها، في حوزة المكتبات الألمانية حتى منتصف القرن العشرين من خلال الشراء والإهداء" (عبد الله،2014،ص 14)، ولعل أهم ما يميز الاستشراق الألماني أنه " لم يزدهر نتيجة للاستعمار ـ كما هو الحال في فرنسا وإنجلترا .. ـ أو يرتبط بأهداف دينية تبشيرية كسواه، فهو يمتاز

بالموضوعية والعمق"(67عبد الله، 2013، ص444) . وقد تميز المستشرقون الألمان في التحقيق" بالدقة والضبط في التحقيق، واستعانوا بعلماء وأساتذة العرب والمسلمين كشيوخ الأزهر، في مقدمتهم الشيخ محمد عبده (ت 1323هـ / 1905م)، ومن الأساتذة المبدعين الأستاذ فؤاد سزكين وغيرهم، بعكس المستشرقين الغربيين الذين "لم يتصلوا أو يستعينوا بالعرب المسلمين، فعلى سبيل المثال فقد أرسل المستشرق سخاو مسودات طبع من تحقيقه إلى وزير المعارف المصرية آنذاك نخري باشا لعرضه على علماء الأزهر لمراجعته، فكان الشيخ محمد عبده أحد العلماء الذين راجع وصحح أكثر من مائة وخمسين موضعاً ... فكان المستشرق يعدل بعض الكلمات ويصححها على تصحيح الشيخ محمد عبده حتى نجده يشير إلى ذلك في الهامش بقوله: (أُقرُّ قراءة الشيخ محمد عبده) " (عبد الله،2014،ص 21).

وقد أسهم المستشرقون الألمان أكثر من سواهم "بجمع المخطوطات العربية ونشرها وفهرستها، ولا سيما كتب المراجع، والأصول المهمة، ومن أهم ما قام به المستشرقون الألمان وضع المعاجم العربية، ولم يقتصر دورهم على حفظ هذه المخطوطات فحسب، بل عمدوا إلى تحقيقها تحقيقاً علمياً ذا فهارس متعددة، وتعد فهرسة المخطوطات العربية الموجودة في فيينا من المؤلفات الرائدة التي يعتمد عليها المحققون العرب" (67عبد الله، 2013، ص444). وتشير أغلب الدراسات إلى أن " مجموع ما نشره الألمان وحدهم يفوق ما نشره المستشرقون الفرنسيون والانكليز معاً"، (المنجد، 1978 ص8) هذا ويؤكد صلاح الدين المنجّد " على سبق المستشرقين الألمان في خدمة التراث على غيرهم من المستشرقين الآخرين". النملة 2003 ، ص39).

وقد التزم المستشرقون الألمان في تحقيقهم قواعد علمية ومنهجية ميزتهم عن بقية المستشرقين، حتى أن العرب اعتمدوها في مجال التحقيق، يقول صلاح الدين المنجّد: " إن هذه القواعد التي نقدمها غايتها توحيد طريقة النشر والتعريف التراث العربي المخطوط، وقد استقيناها من منهج المستشرقين الألمان.(المنجد، 1987، ص8)

وكانت هذه القواعد الأمانة في تخريج النص كما أراد له مؤلفه أن يكون في الأصل، مع التزام الدقة والضبط في تقويم النص وتفادي التصحيف والتحريف، حيث طبقت هذه القواعد من قبل جمعية المستشرقين الألمان، في العديد من نشرياتها الإسلامية التي كان يشرف عليها المستشرق الألماني الكبير (هلموت ريتر)" .(المنجد، 1987، ص8)

ولما أدرك المستشرقون الألمان أن هذا التراث يمتلك أعداداً هائلة من النصوص، فحصروها في فهارس، حيث وضع " كريستمان فهرساً للمخطوطات العربية في عام 1613م، وفي مراحل لاحقة قام وليم الفرد، وزيبولد، وبروكلمان، وهلموت ريتر، بإنجاز فهارس للمخطوطات العربية"(المطوري،2015، ص241).

المطلب الرابع: أشهر المستشرقين الألمان الذين اعتنوا بالتراث العربي.

يوهان جاكوب رايسكه: (1716 ـ 1774) يعد يوهان من الرعيل الأول من مستشرقي الألمان، بدأ يتعلم العربية بنفسه، فدرس في جامعة ليبزيج، وانتقل إلى جامعة ليدن لدراسة المخطوطات العربية فيها، كما عُني بدراسة اللغة العربية، والحضارة الإسلامية، فاخذ الاستشراق في ألمانيا أبعاداً جديدة على يديه، لما قدمه من دراسات منهجية في الأدب العربي عامة والشعر الجاهلي خاصة، بحيث يمكن القول بأنه أول من جعل اللغة العربية وما يتعلق بها علماً ودرساً مستقلاً في ألمانيا كلها(سمايلوفتش، 1974، ص65)، وقد تحدث عن اهتمامه بالمخطوطات قائلاً: " ليس عندي أولاد، ولكن أولادي يتامى بدون أب؛ وأعني بهم المخطوطات، وقد مكنه أستاذه اسخولتنز أن يطلع على مخطوطات مكتبة جامعة ليدن، وقد اهتم بالشعر العربي فنسخ منه في سنة 1739م: قصائد لجرير، لامية العرب للشنفرى، ديوان طهمان، الحماسة للبحتري.

وقد اتجهت عنايته الرئيسية إلى المعلقات فاطلع عليها في المخطوطين رقمي 292 و 629 من مخطوطات مجموعة فارنر في ليدن بشرحي التبريزي وابي جعفر النحاس، وتوفر على دراسة معلقة طرفة بن العبد وأعدها للنشر وفرغ من ذلك 1742، وظهرت في 1742 بعنوان (معلقة طرفة بشرح النحاس)، ويعد تحقيقه لمعلقة طرفة، فتحاً جديداً عظيماً في ميدان الدراسات العربية.

ولم يهتم ريسكه بدراسة اللغات السامية الأخرى، رغم نصيحة اسخولتنز بذلك، لاقتناعه بأن لا فائدة ترجى منها، فقال صراحةً: لوشاء المرءُ النهوض بالعربية، فينبغي عليه ألا يتناولها تناول اللاهوت، وقد ربأ بنفسه أن يصنع صنيع أستاذه اسخولتنز الذي كان يتهرب من الصعوبات في النصوص العربية، وإذا وجد كلمات لا يفهمها فإنه يحذفها في صمت أو يغيرها اعتباطاً، وقد كُلف ريسكه بترتيب المخطوطات في مكتبة جامعة ليدن، فهيأ له ذلك فرصة ممتازة لتحقيق أمانيه في الإفادة من مخطوطاتها، فنسخ لنفسه المخطوطات التي تهمه: المعارف لابن قتيبة، وتاريخ أبي الفداء، والبلدان لأبي الفداء، وتاريخ حمزة الأصفهاني، وغيرها.(بدوي،1993،ص299)

بيترمن: (1801 ـ 1876) مستشرق ألماني حصل الكثير من المخطوطات، عين في 1837 أستاذاً بغير كرسي للغات الشرقية في جامعة برلين، قام في الفترة من سنة 1852 إلى 1855 برحلات واسعة في الشرق الأدنى وإيران. وفي عامي 1867 ـ 1868 كان قنصلاً لشمالي ألمانيا في القدس (فلسطين)، وفد للشرق لجمع المخطوطات المهمة وقد عاد من رحلته بقدر وفير من المخطوطات. (بدوي،1993،ص149

ويلهلم آلورد: (1828 ـ 1909) ويسمى فلهلم الفرت، وكان يسمي نفسه بالعربية: وليم الورد. كان من أقدر المتمكنين في اللغة العربية، ومن المهتمين بالشعر، درس عدد كبير من المخطوطات العربية ونسخها

في مكتبات غوتا وباريس، ويعد أكبر حجة في الشعر الجاهلي وشعر الرجازين العرب، وقد اشتغل في التأليف والترجمة، وكان أعظم أعماله فهرس المخطوطات العربية في المكتبة الملكية ببرلين في عشرة مجلدات.(بدوي،1993،ص48)

تيودور نولدكه (1836 ـ 1930م)ولد بمدينة هاربورج، التي أطلقت اسمه على أحد شوارعها، وهو من أسرة عريقة، تعلم اللغات السامية والفارسية والتركية والسنسكريتية، أهتم اهتماماً خاصاً بالشعر العربي وخاصة المعلقات، وبقواعد اللغة العربية، ترك حوالي سبعمائة بحث، وأربعة وعشرين كتاباً قيماً،(العقيقي، 2،1964/379)منها:

نشوء وتركيب السور القرآنية، تاريخ القرآن، ديوان عروة بن الورد متناً وترجمة(1863)، فكرة عامة عن حياة محمد (1863)، في سبيل فهم الشعر الجاهلي(1864 ، قواعد اللغة العربية(فيينا 1896)، تاريخ الفرس والعرب في عهد الساسانيين(ليدن 1879م).

كارل بروكلمان: (1868 ـ 1956م) ولد في مدينة روستوك، بدأ دراسة اللغة العربية وهو في المرحلة الثانوية، ودرس في الجامعة فضلاً عن اللغات الكلاسيكية (اليونانية واللاتينية)، ودرس على يد المستشرق نيلدكه، ونال شهادة الدكتوراه في الفلسفة واللاهوت، عُني بدراسة التأريخ الإسلامي، وله في هذا المجال كتاب مشهور (تأريخ الشعوب الإسلامية)، ولكنه مليء بالمغالطات والافتراءات على الإسلام، ومن أشهر مؤلفاته كتاب (تأريخ الأدب العربي) الذي ترجم في ستة مجلدات، وفيه رصد لما كتب في اللغة العربية في العلوم المختلفة من مخطوطات، ووصفها وبيّن مكان وجودها، وحقق المجلد الثامن من طبقات ابن سعد، وصنف فهرس المخطوطات الشرقية في مكتبة البلدية في بروسلا وهمبورج.(العقيقي، 2،1964/379

ومن آثاره: تاريخ الشعور الإسلامية، فهرسان لمخطوطات مكتبتي: برسلاو وهامبورغ، يعرفان بتلك الكتب، ويرقمان مواقعها، كتاب في النحو العربي بالألمانية، معجم اللغة السريانية، قواعد اللغة السريانية،ترجمة (لغات الترك) لمحمد الكاشغري، إلى الألمانية، نشر القسم الأكبر من كتاب عيون الأخبار لابن قتيبة، نشر رسالة تلقيح فهوم أهل الأثر لابن الجوزي، نشر قسماً من طبقات ابن سعد.

المطلب الخامس: جهود الفرنسيين والألمان في حركة التحقيق والنشر.

للمستشرقين جهود عظيمة في مجال التحقيق والنشر، فقد "قاموا بتحقيق الكثير من كتب التراث وقابلوا بين النسخ المختلفة ،ولاحظوا الفروق أثبتوها ورجحوا منها ما حسبوها أصحها وأعدلها، وأضافوا إلى ذلك فهارس أبجدية للموضوعات والأعلام أثبتوها في أواخر الكتب التي نشروها، وقاموا في بعض الأحيان بشرح بعض الكتب شرحاً مفيداً"(زقزوق، 1989،ص75). ومما لا شك فيه " إن تحقيق النصوص وتوثيقها فن عربي أصيل يتجلى في معالجة أسلافنا الأقدمين لرواية كتب الحديث واللغة والشعر

والأدب والتاريخ في دقة وأمانة ونظام بارع، ولكن المستشرقين تبنوا إحياء هذا الفن في هذه العصور القريبة، ونبغ من بينهم علماء أمناء، قاموا بنشر عيون ثمينة من التراث العربي على الوجه الأكمل"(سمايلوفتش، 1974،ص168) خاصةً وأن عملية تحقيق المستشرقين للنصوص العربية ونشرها قد ارتبطت بظهور وسائلها، فعندما " ظهرت المطبعة في القرن الخامس عشر الميلادي، كان المستشرقون من أسبق الناس إلى طبع الكتاب العربي"(الطناحي، 1984،ص213)، حيث سبقوا العرب بأكثر من قرن، فمنذ هذا الوقت انتشرت مؤلفات التراث العربي بين أيدي الناس في أوربا،(القاضي،2015،ص36) فكانت عوناً كبيراً للباحثين الأوروبيين من المستشرقين وغيرهم من بلاد الشرق، ومن بين هذه الكتب نذكر ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ نشرهم لسيرة ابن هشام، الإتقان للسيوطي، والمغازي للواقدي، والكشاف للزمخشري، وتاريخ الطبري، وكتاب سيبويه، والاشتقاق لابن دريد، والأنساب للسمعاني، ومعجم الأدباء لياقوت، وتجارب الأمم لابن مسكويه، وفتوح مصر والمغرب والأندلس لابن عبد الحكم، واللمع لأبي نصر السراج، والبديع لابن المعتز، وحي بن يقظان لابن طفيل، والمختصر في حساب الجبر والمقابلة للخوارزمي، والملل والنحل للشهرستاني، وعمدة عقيدة أهل السنة والجماعة للحافظ النسفي، وفتوح الشام للأزدي البصري، وفتوح الشام للواقدي، والكامل للمبرد، والجمهرة لابن دريد، وأخبار النحويين والبصريين للسيرافي، وكتاب المناظر لابن الهيثم، والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر العسقلاني، والأحكام السلطانية للماوردي، وفضائح الباطنية للغزالي، وتاريخ اليعقوبي، والفهرست للنديم، وكشف الظنون للحاجي خليفة، والتعريفات للجرجاني، وطبقات الحفاظ للذهبي، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وتهذيب الأسماء للنووي، وصحيح البخاري، والمقتضب لابن جني، ومقالات الإسلاميين للأشعري، والوافي بالوفيات للصفدي، والتيسير في القراءات السبع لأبي عمر عثمان الداني، .والرد الجميل على مدعي ألوهية المسيح بصريح الإنجيل للغزالي، وعيون الأنباء في طبقات الأطباء لابن أبي أصيبعة، والأغاني للأصفهاني، والأوائل للسيوطي، والطبقات لابن سعد، وعيون الأخبار لابن قتيبة، والفقه الأكبر لأبي حنيفة، وعدد هائل من دواوين الشعر العربي في عصوره المختلفة".(سمايلوفتش، 1974،ص168)

وبهذا يمكننا أن نقول بأن الجهد العلمي الذي بذله المستشرقون في إحياء التراث العربي جهد لا يستطاع إنكاره فهم كانوا أساتذة الجيل الحاضر في الطريقة العلمية التي جروا عليها. "(سمايلوفتش، 1974،ص168)

وقد ازدادت جهودهم في النشر بعد أن "نقل المستشرقون الاهتمام بالتراث العربي إلى داخل الجامعات، فأنشأوا بها كراسي للّغات الشرقية والأدب العربي؛ فارتبطت حركة نشر النصوص بالجامعات، والمعاهد العلمية، ارتباطاً وثيقاً، فلم يأخذوا في دراساتهم العربية إلاَّ بعد أن هيَّأوا مادَّة هذه

الدراسات، وهي النصوص، فلا دراسة مع غياب النص، وقد اصطنعوا في هذه الأقسام العلمية وظيفة (قارئ نصوص) بجانب الأساتذة والمحاضرين (الطناحي،1984،ص15-17).

ولا نكاد نصل إلى نتائج واضحة من خلال المقارنة بين جهود المستشرقين الفرنسيين والألمان، في التحقيق والنشر، وأغلب الظن أن السمة البارزة التي اتضحت من خلال التتبع أن الاستشراق الفرنسي - لما كان دافعه سياسياً واستعماريا - اهتم بتحقيق التراث الذي يشتمل على الجانب السلبي، فركزوا على نشر التراث الإسلامي المنحرف كالباطنية، والمجوسية، والغنوصية، ولذلك أولوا اهتمامهم بدراسات الحلاج، فالمستشرق الفرنسي لويس ماسينيون، - مثلاً - كان مستشاراً في المستعمرات الفرنسية، والراعي الروحي للجمعيات التبشيرية الفرنسية، عمل على نشر التصوف الكاذب، وإشاعة الخرافات والأباطيل، فقد ملأ كتابه الضخم عن الحلاج بحشد هائل من الخرافات والترهات والأباطيل. هدف من خلاله تنفيذ مخطط استعماري أحكم صنعه (بدوي، 1993،ص529).

ثم أن هؤلاء المستشرقين الفرنسيين روجوا إلى أن مكان لتفكير العقلي هو الغرب، وأن المكان الأمثل للسحر والخرافة هو الشرق، وأن الشرق " عالم الأنبياء " والغرب " عالم الأطباء " وأن مهمة الشرق قد انتهت وتعطلت تاريخياً بنهاية زمن الأنبياء والرسل والمعجزات .

وقد خلق هؤلاء المستشرقون تصوراتهم الذاتية عن بلاد الشرق بطريقة مفتعلة ومجانية للواقع، فقدم بعضهم لوحات لغرف النساء التي لم يروها في الواقع، وإنما كانت مجرد انعكاس لتخيلاتهم فقد انجزت أغلب هذه اللوحات في مراسم روما وباريس، بالاعتماد على نماذج نسائية أوروبية. (فارح 2012، ص88)، لعل مصدر أغلب هذه التصورات، هو كتاب ألف ليلة ولية الذي حظي بترجمات كثيرة من المستشرقين الفرنسيين إلى اللغة الفرنسية، التي كان لها تأثيرات كبيرة في آداب الغرب وفنونه وأخلاقه العامة (المقداد، 1993،ص47).

أما جهود المستشرقين الألمان في مجال تحقيق النصوص القديمة ونشرها، وصيانة وحفظ الأصل منها فقد كانت على قدر كبير من الأهمية، فبعد أن كانت تلك النصوص عرضة للتلف والضياع في زحمة ما تمر به الأمة الإسلامية من شتى المحن والكوارث جعلت المسلمين في انشغال وذهول عن تراثهم وحفظه، حيث نالت تلك النصوص حظها من الحفظ بعد رحيلها إلى مختبرات الصيانة والدرس التي أعدها هؤلاء المستشرقون في بلدهم.(المطوري، 2015، ص240) فبدأ هذا المشوار معهم على مستوى واسع منذ القرن الثامن عشر، وازداد هذا الاهتمام في القرن التاسع عشر، إذ تم نشر مئات من النصوص القديمة، واختاروا منها نماذج أساسية وحيوية من التراث الإسلامي وقاموا بتحقيقها ونشرها، وقد تنوعت موضوعات تلك النصوص، فمنها عن الشعر الجاهلي والإسلامي، ومنها عن اللغة والأدب، والتاريخ، والجغرافيا، والفلسفة، والفرق، والحساب، والفلك.(المطوري، 2015، ص240،241). وأن

أهم ما يميز عملهم، هو اتصافهم بالموضوعية، مع مراعات الدقة، ومما يميزهم أنهم لم يخضعوا لغايات سياسية ودينية بسبب عدم تورط ألمانيا بالاستعمار، لذلك غلبت على الاستشراق الألماني الروح العلمية.(فارح، 2012،ص89)

ويعد فستنفلد من أبرز المستشرقين الذين عملوا في مجال التحقيق والنشر، فقام بنشر ما يقارب المائتين من النصوص الإسلامية، وهو عمل يعجز عنه مجمع علمي بأكمله، من أبرز تلك الأعمال: معجم الأدباء لياقوت الحموي، ووفيات الأعيان لابن خلكان، وتهذيب الأسماء واللغات للنووي، وغيرها. (المطوري، 2015، ص241)

المطلب السادس: جهود الفرنسيين والألمان في حركة التأليف، والترجمة.

تعددت مجالات التأليف عند المستشرقين في الدراسات العربية والإسلامية، فشملت التاريخ العربي الإسلامي، وعلم الكلام، والشريعة والتصوف، والأدب، واللغة العربية، وفي الدراسات المتعلقة بالقرآن والسنة، والنحو العربي، وفقه اللغة، إذ أنهم لم يتركوا مجالاً من مجالات العلوم العربية والإسلامية إلا وألفوا فيها(زقزوق، 1984،ص17)، ومن مؤلفاتهم ذات القيمة العلمية:

أ- الكتب : ألف المستشرقون الكثير من الكتب، من أشهرها:

تاريخ الأدب العربي: لكارل بروكلمان (ت 1956م) وهو كتاب أساسي في الدراسات العربية والإسلامية، قام بروكلمان بهذا العمل الضخم بمفرده. ولا يقتصر هذا الكتاب على الأدب العربي وفقه اللغة، بل يشمل كل ما كتب باللغة العربية من المدونات الإسلامية. فهو سجل للمصنفات العربية المخطوط منها والمطبوع. ويكتمل بمعلومات عن حياة المؤلفين.(زقزوق، 1989،ص79)

- تاريخ الشعوب الإسلامية: لبركلمان: وهو كتاب يقع في خمسة، أجزاء يتناول الجزء الأول الكلام على العرب، وفتوحاتهم وإمبراطوريتهم، ويتناول الجزء الثاني، انحلال تلك الإمبراطورية، ويتكلم الجزء الثالث على الأتراك والعثمانيين وحكمهم، وحضارتهم. والجزء الرابع مخصص للكلام على الإسلام في القرن التاسع عشر، عصر الاستعمار الغربي الواسع، والجزء الخامس، يتناول الدولة الإسلامية بعد الحرب العالمية الأولى. (شلق، 2001،ص237، 238) وقد اشتهر بروكلمان بنشاطه، وغزارة إنتاجه الذي اتصف بالموضوعية، والعمق، والشمول والجدة؛ مما جعله مرجعاً للمصنفين في التاريخ الإسلامي والأدب العربي؛ إذ قل منهم من لا يستند إليه ويتوكأ عليه في مصنفاته.(العقيقي،1964، 2/ 424 - 440).

أما **الفرنسيون فإن أبرز ما يميزهم هو تأليفهم في المجال الديني، كمؤلفاتهم: حول القرآن الكريم، والسيرة النبوية، والفرق الإسلامية، وفي علم الكلام..) فمن الكتب التي ألّفوها في السيرة النبوية :**

محمد وانتهاء العالم في عقيدة الإسلام الأصلية: لكازانوفا سنة1910، أصل اسم محمد لكولين، سنة 1925. معضلة محمد: لبلاشير. محمد: لمكسيم رودونسون سنة 1961.**وفي الحديث الشريف:** المعجم المفهرس للكتب الستة: لوليم مارسيه، وفي **الفرق الإسلامية:** طابع الفرق الإسلامية: لجود فري ديمومبين سنة 1925م. العقيدة الباطنية في الإسلام: لحينون سنة 1947م. الصابئة والإسماعيلية، لكورين سنة 1951م.ونصوص في مذهب الإسماعيلية: لجويار سنة 1873م و **ألفوا كتابات حول علم الكلام والصوفية/ منها :** آلام الحلاج ومذهب الحلاجية، ماسينيون، 1909م، وأثر فلاسفة العرب في تفسير علم الكلام: جوليشون، سنة 1926م، وأصول المراتب الصوفية في الإسلام، ماركه، 1973م.(نصري،2009، 1 / 34،35).

ب ـ الموسوعات والمعاجم: تعد (دائرة المعاف الإسلامي) من أبرز ما ألفه المستشرقون، على الرغم مما فيها من مآخذ كثيرة عن الإسلام والمسلمين، إلا أنها تعد ثمرة من ثمار التعاون العلمي الدولي بين المستشرقين. وقد تم إصدارها في طبعتها الأولى بالإنجليزية والفرنسية والألمانية في الفترة من عام 1913 إلى عام 1938 م.

المعجم العام: لـ (هربلو 1625 ـ 1695): وهو مستشرق لفرنسي، له باع طويل في اللغة العربية، وقد جمع الكثير من المخطوطات العربية، ولكنه اشتهر (بالمعجم العام) وهو دائرة معارف في بضعة مجلدات، مرتبة على حروف المعجم، تبحث في علوم الشرقيين وتاريخهم وأديانهم وآدابهم ونظمهم وعاداتهم وأساطيرهم وغيرها. (العقيقي،1964، 173/1).

المعجم العربي اللاتيني: الذي ألفه جورج فيلهلم فرايتاج (ت1861) والعديد من القواميس الصغيرة والكبيرة التي تجمع بين العربية وغيرها من لغات أوروبية مختلفة كالإنجليزية والفرنسية والألمانية وغيرها... وهناك مستشرقون ينفقون سني عمرهم في إعداد مثل هذه المعاجم. وحسبنا أن نشير هنا إلى معجم اللغة العربية القديمة المرتب حسب المصادر، فقد قضى أوجست فيشر (ت 1949) أربعين عاماً في جمعه وتنسيقه، وتعاون معه عدد من المستشرقين(العقيقي،1964، 415/2).

وفي مجال اللغة العربية: فقد اهتم المستشرقون باللغة ومعرفة مفرداتها، لتعينهم على نشر وتحقيق المخطوطات، فقد ذكر أن نولدكه أمسك عن شرح معلقة طرفة، عند شرح المعلقات؛ "لأنها تحتوي على وصف الجمل وهو لم يكن متخصصاً في علم الحيوان وإن اطلع على كثير من ذلك واستشار المتخصصين في هذا العلم، ومع ذلك فقد كان يشعر بقلة علمه في هذه الناحية، وقد عني المستشرقون بحل هذا المشكلة عناية كبيرة، فوضعوا كتباً معينة لعلم الأشياء والأسماء في العربية"(سمايلوفتش،1974،ص554) ، فمثلا نرى دوزي يؤلف كتاباً تحت مسمى " قاموس أسماء الملابس عند العرب " عام 1845 في

أمستردام ، وأصدر بروينلش " البئر عند العرب" عام 1925 في ليبزيج" (سمايلوفتش، 1974،ص106) .

الترجمة: ترجم المستشرقون مئات الكتب العربية والإسلامية إلى اللغات الأوروبية كافة، فقد نقلوا إلى لغاتهم الكثير من دواوين الشعر والمعلقات وكتب التاريخ كتاريخ أبي الفداء، وتاريخ الطبري، ومروج الذهب للمسعودي، وتاريخ الممالك للمقريزي، وتاريخ الخلفاء للسيوطي، والإحياء والمنقذ للغزالي، وغير ذلك من مئات الكتب في اللغة والأدب والتاريخ والعلوم الإسلامية المتعددة، هذا فضلاً عما ترجم في القرون الوسطى من مؤلفات العرب والمسلمين في الفلسفة والطب والفلك وغير ذلك من العلوم.

ومن أشهر المستشرقين الفرنسيين الذين عنوا بالترجمة:

بطرس المحترم(1092 ـ 1156م): ترجم القرآن إلى اللاتينية عام 1141م، وهي أول ترجمة للقرآن كله من العربية (العقيقي،1964، 1 /120).

سلفستر دي ساسي(1758 ـ 1838م): ترجم إلى الفرنسية الكثير من الكتب منها: مرثية تأبط شراً.(جوتنجين 1814)، قسماً من زبدة الحلب في أخبار حلب. لابن العديم (باريس 1819)،مجمع الأمثال للميداني، وهي ستة آلاف مثل ، تحت كل مثل ترجمة باللاتينية، في ثلاثة أجزاء(بون 1838)، معجم الأدباء لياقوت الحموي في ستة أجزاء كبيرة بفهارس وتذييل(1866)، أسرار التنزيل وأنوار التنزيل للبيضاوي(ليبزج 1866)، تاريخ الحمدانيين (المجلة الشرقية الألمانية1856)، نبذة عن العقود في أمور النقود، للمقريزي(1796)، تلخيص كتاب الخطط، للمقريزي(1797م)، معلقة لبيد(1816م)، مقامات الحريري(1812)، ألفية ابن مالك(ترجمة وشرح، 1833م). (العقيقي،1964، 1 /179).

لويس ماسنيون(1883 ـ 1962م): من الكتب التي ترجمها : ديوان الحلاج(1931م)، رسائل الصفا، والأمثال البغدادية. (العقيقي،1964، 1 /287 .

أما المستشرقون الألمان فقد اشتغل الكثير منهم في ترجمة الآثار العربية إلى الألمانية، فمن أشهرهم:

جاكوب رايسكه(1716 ـ 1774م: اشتهر بالتأليف والترجمة وتميز بالموضوعية، فما ترجمه: المقامة السادسة والعشرين من مقامات الحريري/ معلقة طرفة بن العبد بشرح النحاس/ المختصر في أخبار البشر لأبي الفداء/ نزهة الناظرين في تاريخ من ولي مصر من السلاطين ، لمرعي بن يوسف.

نولدكه(1836 ـ 1930م): أشتهر نولدكه بكثرة التأليف والتحقيق، والترجمة فمن أشهر الأعمال التي ترجمها إلى الألمانية. وشر رسالته حول أصل تركيب سور القرآن، إلى الألمانية ـ بعد أن أضاف عليها وتوسع فيها ـ بعنوان (تاريخ النص القرآني جوتنجين 1860)، ترجم الجزء الخاص بالساسانيين ـ من

كتاب تاريخ البلدان للطبري في (ليدن 1886م)، ترجم المعلقات الخمس، مع موجز لتاريخ الجاهلية(فيينا 1899م).(العقيقي، 2،1964/ 353 ـ 433)

الخاتمة:

هكذا ينتهي بحثي الموسوم بـ (المستشرقون وتعاملهم مع التراث العربي) الذي حاولت فيه بكل جهدي عبر هذه الصفحات القليلة، أن نلم ـ ولو قليلاً ـ بتعامل المستشرقين الفرنسيين والألمان بالتراث العربي، ومن خلال البحث توصلت إلى نتائج من أهمها:

1 ـ لقيت المخطوطات العربية والإسلامية بما تشكله من تنوع في مجالات المعرفة اهتماما بالغاً من قبل المستشرقين على اختلاف جنسياتهم وعقائدهم ودوافعهم.

2 ـ كان للاستشراق الفرنسي السبق إلى التراث العربي والإسلامي، من خلال رجال الكنيسة، الذين اتصلوا مبكراً بعلماء المسلمين بالأندلس، والمشرق العربي.

3 ـ إن أغلب المستشرقين في العصور الوسطى من الفرنسيين، وقد انصبَّ اهتمامهم على ترجمة التراث اليوناني والفاسي، وأقبلوا على كتب الفلسفة والطبيعة والطب والفلك، وغيرها.

4 ـ ارتبط الاستشراق الفرنسي باللاهوت، وهدف إلى تشويه التراث العربي والديني بسبب دافعه الاستعماري.

5 ـ جمعت المخطوطات العربية من قبل الفرنسيين بطرق شرعية وغير شرعية، وقد طلبت أغلبها من جهات دولية أي أن الدولة أرسلت في طلبها.

6 ـ تأخر الاستشراق الألماني إلى العصور الأخيرة ولكنهم بذلوا جهوداً مضنية في البحث عن المخطوطات وجمعها وفهرستها ودراستها ترجمة وتحقيقاً، وامتازوا بالمؤلفات المطولة التي أرخت للأدب ككتاب تاريخ الأدب العربي، وقد اتصفوا بالموضوعية، إذ لا تربطهم أطماعاً استعمارية بالمشرق العربي.

7 ـ انفصل الاستشراق الألماني مبكراً عن اللاهوت الذي كان دافعه التنصير وتشويه الدين الإسلامي؛ حيث انصرفوا إلى البحث العلمي وتتبع الحقيقة، ولذلك نجد بعضهم اهتدوا إلى الإسلام من خلال بحثهم العلمي ـ وهذا الاستنتاج ليس عاما إذ أن مساهمتهم في التراث العربي المخطوط لم تخلُ من الانتقادات الموجهة إليهم في إطار مبدأ الاستشراق كمؤسسة من مؤسسات الغزو الفكري العربي للعالم الإسلامي.

8 ـ ركز المستشرقون الفرنسيون على التأليف في الجانب الديني، والفرق الإسلامية، بينما كثر تأليف الألمان في اللغة والشعر واللهجات.

9 ـ ينقسم دافع المستشرقين بشكل عام من خلال البحث عن التراث ودراسته، إلى (أ) ـ المعرفة من أجل تحقيق أهدافهم الخاصة، وهؤلاء هم الأغلبية وخاصة عند مستشرقي العصور الوسطى. (ب ـ

المعرفة من أجل الوصول إلى الحقائق وهؤلاء هم القلة منهم، وتمثل هذه القلة بعض المستشرقين المتأخرين ولا سيما بعد الانفصال عن اللاهوت.

10 ـ استعان المستشرقون الألمان ـ دون غيرهم ـ بالعلماء العرب والمسلمين فيما أشكل عليهم في مجال التحقيق، آخذين بمشورتهم.

11 ـ إن مجموع ما نشره الألمان وحدهم يفوق ما نشره المستشرقون الفرنسيون والانكليز معاً، وأن الألمان هم الأسبق في خدمة التراث على غيرهم من المستشرقين الآخرين.

المراجع:

ـ **آربري،** المستشرقون البريطانيون، تعريب محمد الدسوقي النويهي، لندن: وليم كولينز، لندن، 1946.

ـ **أحمد درويش،** الاستشراق الفرنسي والأدب العربي، دار غريب ، القاهرة، 2004.

ـ **أحمد سمايلوفتش،** فلسفة الاستشراق وأثرها في الأدب العربي المعاصر، أطروحة دكتوراه، جامعة الأزهر 1974.

ـ **أحمد عبد الحميد غراب،** رؤية إسلامية للاستشراق، مجلة البيان، المنتدى الإسلامي (د. ت).

ـ **أحمد نصري،** آراء المستشرقون الفرنسيين في القرآن الكريم، دار القلم ـ الرباط، ط.1،2009.

ـ **ادوار سعيد،** الاستشراق (المفاهيم الغربية للشرق)، ترجمة محمد عناني، رؤية للتوزيع والنشر ـ القاهرة، ط/1، 2006.

ـ **إسماعيل علي محمد،** الاستشراق بين الحقيقة والتضليل، دار الكلمة ـ القاهرة، ط/6، 2014.

ـ **أمجد يونس الجنابي،** آثار الاستشراق الألماني في الدراسات القرآنية، الرياض ـ السعودية، ط/2، 2015.

ـ **رائد أمير عبد الله:**

ـ المستشرقون الألمان وجهودهم تجاه المخطوطات العربية الإسلامية، مجلة كلية العلوم الإسلامية، المجلد الثامن، 2014.

ـ المستشرقون وجهودهم في خدمة التراث، العربي الإسلامي المخطوط، مجلة آداب الرافدين، الموصل، العدد 67، لسنة 2013.

ـ **رجب محمد عبد الحليم،** العلاقات بين الأندلس الإسلامية وإسبانيا النصرانية في عصر بني أمية وملوك الطوائف، دار الكتاب المصري ـ القاهرة، (د. ت).

- **رودي بارت،** الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية، ترجمة مصطفى ماهر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، 2011.

- **سعد آل حميد،** أهداف الاستشراق ووسائله، كلية التربية، جامعة الملك سعود، (د. ت).

- **شوقي إبراهيم** ، في الغزو الثقافي، والتيارات المعادية للإسلام، 1988م.
ـ **صلاح الدين المنجّد:**
ـ قواعد تحقيق المخطوطات، دار الكتاب الجديد لبنان، الطبعة السابعة، 1987.
ـ المستشرقون الألمان، الجزء الأول، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ط/1، 1978م.
ـ **عبد الرحمن بدوي،** موسوعة المستشرقين، دار العلم للملايين، بيروت، الطبعة الثالثة، 1993.
- **عبد الله عبد المنعم،** الاستشراق في السيرة النبوية، المعهد العالمي للفكر الإسلامي، الولايات المتحدة الأمريكية، ط/1، 1417 هـ.
ـ **علي بن إبراهيم الحمد النملة،** المستشرقون ونشر التراث (دراسة تحليلية ونماذج من التحقيق والنشر، الرياض، الطبعة الأولى، 2003.
ـ **علي حسن الخربوطلي،** المستشرقون والتاريخ الإسلامي، الهيئة المصرية للكتاب، القاهرة، 1988.
ـ **علي شلق،** كارل بركلمان والاستشراق، دار الاجتهاد للأبحاث والترجمة، لبنان، العدد 50/ 51، م/3، 2001.
ـ **فاطمة هدى نجا،** نور الإسلام وأباطيل الاستشراق، دار الإيمان، طرابلس ـ لبنان، ط/1، 1993.
ـ **فرج السيد أحمد،** الاستشراق، دار طويق، الرياض، (د. ط)، 1994،
ـ **مجدي فارح،** الثقافة الشعبية في أعمال المستشرقين (بين التزوير والتنوير)، مجلة حوليات التراث ـ كلية الآداب جامعة تونس، العدد12، لسنة2012.
ـ **محمد بشير،** مناهج البحث الإسلامي لدى المستشرقين وعلماء الغرب، مركز الملك فيص، الرياض،ط2، 2002،
- **محمد حسين الصغير،** المستشرقون والدراسات القرآنية، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت ، لبنان، ط1986،1.
ـ **محمد سعدون المطوري،** الاستشراق الألماني ودوره في الدراسات الشرقية، مجلة المنارة للاستشارات والدراسات الاستشراقية، العدد الثالث، 2015 .
ـ **محمد العروسي المطوي،** الحروب الصليبية في المشرق والمغرب، دار الغرب الإسلامي، 1982
- **محمد فاروق النبهان** ، الاستشراق (تعريفه، مداسه، أثاره)، المنظمة الوطنية الإسلامية، 2012.
- **محمد ماضي،** الوحي القرآني في المنظور الاستشراقي، دار الدعوة للنشر، ط/1، 1991.
- **محمد وزان عدنان،** الاستشراق والمستشرقون، رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، السعودية، 1984.
ـ **محمود حمدي زقزوق:**

ـ أعمال المستشرقين، مجلة عالم الكتب، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض المجلد الخامس، العدد الأول، 1984

ـ الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري، دار المنار للطباعة والنشر والتوريع، القاهرة، ط/2 ، 1989.

- **محمود محمد الطناحي**، مدخل إلى تاريخ نشر التراث العربي، مكتبة الخانجي ـ القاهرة، ط/1 1984.

ـ **محمود المقداد**، تاريخ الدراسات العربية في فرنسا، المجلس الوطني للثقافة والفنون ـ الكويت، 1993.

- **مصطفى السباعي**، الاستشراق والمستشرقون ما لهم وما عليهم ، دار الوراق للنشر والتوزيع، المكتب الإسلامي، (د. ت)

ـ **مكسيم رودنسون**، الصورة الغربية والدراسات الغربية الإسلامية" في تراث الإسلام (القسم الأول) تصنيف شاخت بوزورث، ترجمة محمد زهير السمهوري، الكويت: سلسلة عالم المعرفة، 1978.

ـ **ابن منظور**، لسان العرب، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت لبنان، 1955.

- **مولاي سميرة**، ولخضاري لخضر، الترجمة اللاتينية للقرآن قراءة في الجذور والخلفيات، مجلة تاريخ العلوم ـ جامعة وهران، العدد التاسع 2017.

ـ **نجيب العقيقي**، المستشرقون، الجزء الأول، والثاني والثالث، دار المعارف ـ القاهرة، 1964.

- **نصيرة كبير**، الأدب المقارن وحركة الاستشراق في الأدب العربي، أطروحة دكتوراه، جامعة جيلالي اليابس ـ سيدي بلعباس، الجزائر، 2016، 2017.

ـ **هالة جمال القاضي**، جهود المستشرقين الإنجليز في تحقيق التراث اللغوي(دراسة تحليلية لنماذج من القرنين التاسع عشر والعشرين) ، مكتبة الآداب ـ القاهرة، 2015.

ـ **هاني لبادة**، قاموس النبراس: إنكليزي ـ عربي، دار النبراس العربي ـ الأردن، 1993م

سعيد يقطين والتراث العربي: أسئلة التراث وآليات القراءة.

Said yaktine and Arab Heritage :Heritage's questions and reading's mechanisms

د. نصر الدين بن عطية. جامعة سيدي بلعباس. الجزائر
البريد الإلكتروني: benattinasreddine11@gmail.com

ملخص:

سعى سعيد يقطين إلى قراءة جديدة للتراث وبآليات جديدة تراعي التطورات التاريخية الكبرى التي يشهدها المجتمع العربي، قراءة قادرة على خلق القيم التي تمكننا من معرفة الذات والنص العربيين الكامنين اللذين بقيا بعيدين عن التفكير فيهما وتفجير بواطنهما. قراءة قادرة على فحص التراث بما يخدم العصر الذي نعيش فيه، لا ترتاح إلى الأجوبة المسبقة، بل تتطلب الانطلاق من صياغة فرضيات محكمة ومن رؤية وأسئلة جديدة، بعيدا عن النرجسية الكاذبة أو الوهم الخادع اللذين يحولان بيننا وبين قراءة تراثنا.

وقد اختار جملة من المفاهيم والمصطلحات لتعويض مفهوم التراث، ومن تلك المفاهيم مفهوم النص. كما اهتم سعيد يقطين بقراءة التراث السردي وأولاه عناية خاصة وذلك بنظرة علمية تنم عن وعي فكري ومنهجي سليم.

الكلمات المفتاحية: التراث، قراءة، السرد.

Abstract:

Said yaktine has sought a new reading for heritage and new mechanisms that take into account the major historical developments taking place in the Arab society, a reading capable of creating the values that enable us to know the underlying Arab self and text, who ever remain hostile to thinking about them and blowing up their nation. A reading capable of examining heritage to serve the era in which we live, A reading that does not rest with prior answers. Rather, it requires starting from formulating solid hypotheses and from a new vision and questions away from false narcissism or delusion that prevents us from reading our heritage.

He chose a set of concepts and terms to replace the concept of heritage, and among those concepts the concept of the text. Said Yaktine also took interest in reading the narrative heritage and gave it special attention, with a scientific view that reflects a sound intellectual awareness and a sound methodology.

Key words: heritage, Reading, narrative.

.

تمهيد:

حظيت قضية التراث باهتمام واسع في الأوساط الفكرية العربية والإسلامية في مرحلة ما بعد الهزيمة العربية الكبرى. وقد استنزفت قضيته طاقات الباحثين والمفكرين، ومما زاد القضية خصوصية واهتماما تبني بعض النخب العربية لخطاب الحداثة الغربية. وهنا اشتد الصراع بين فريقين، فريق يدعو إلى مشروع الغرب بحذافيره نابذا كل خطاب أصيل وفريق يدعو إلى التجديد وفق الأصول الموروثة بما يسهم في تعزيز الهوية الحضارية للأمة العربية . وبما أن التراث هو الذات فقد تطور الإشكال حتى مس كل مكونات الذات العربية، إشكال ارتبط كذلك بسؤال ممتد في سيرورة الزمن العربي الحديث هو سؤال النهضة العربية بامتداداته الفرعية من أسئلة: من نحن؟ ومن أين نبدأ في الإصلاح؟ وكيف نقرأ التراث؟ وكيف نتعامل معه؟

ثم إن ما كتب عن هذا التراث كان ينبع من موقف عاطفي، سواء مال إلى هذا التراث أم مال عنه. وقد تباينت الآراء حوله بين مسترجع له للإفادة منه، وبين عائد إليه لتعويض النقص الذي اعترى الحاضر العربي، وبين فريق ناصبه العداء حتى تحول التراث إلى عدوّ له وليس كيانا له هويته، وينبغي التعامل معه على هذا الأساس.

ويعتبر سعيد يقطين من المفكرين العرب الذين اشتغلوا بسؤال التراث وكيفية التعامل معه، وانكبوا عليه بحثا ودراسة وتقييما. فما الآليات التي اتخذها في ذلك؟ وهل استطاع بناء نظرية جديدة لقراءة هذا التراث؟

1. **مفهوم التراث عند سعيد يقطين:**

إن للمرجعية العربية حضورا في الخطاب اليقطيني كون النصوص التي يعالجها نصوصا عربية تراثية وحديثة مما طبع تلك النصوص بسمات تلك البيئة، وجعلها تزخر بحمولة فكرية وثقافية تعبر بوضوح عن الامتداد العميق للتراث في نفوس أبنائه. وقد عبّر سعيد يقطين عن اعتزازه بالتراث. يقول: "إن التراث الذي وصل إلينا مازال يمتد فينا، ومازال يحيا فينا شئنا أم أبينا، وعَيْنا ذلك أم لم نعِهِ، يحضر بأشكال متعددة في ذهنيتنا ومخيلتنا وذاكرتنا، (...) وأنماطه العليا مترسخة في الوجدان، ومتركزة في المخيلة" (يقطين، 1992، ص 125). فهو يشكّلنا بقدر ما نشكّله، حالّ فينا يصعب أن نفصل بين ذواتنا وبينه.

ويرى يقطين أنّ التراث هو "كلّ ما خلفه لنا العرب والمسلمون من جهة، ويتحدد زمنيا بكل ما خلفوه لنا قبيل عصر النهضة من جهة ثانية" (يقطين، 1997، ص 47) وهو يتسع "ليشمل كل الموروث المكتوب والمحكي، وكل الآثار التي بقيت من عمران وعادات وتقاليد" (يقطين، 1997، ص 47). وهو دعامة من دعامات وجودنا و"جزء من مقوماتنا الحياتية والوجودية والحضارية، وعلاقته بواقعنا علاقة امتداد واتصال" (يقطين، 1992، ص144). إن التراث بمفهوم يقطين هو هذا الكل من

الماضي الذي يحضر فينا فيشكلنا مما يجعل منه جزءا من حاضرنا يرافقنا في بناء المستقبل. مؤكدا على الطابع الإنساني للتراث.

لكنه يتساءل: "ما هو التراث الذي حظي بالاهتمام أكثر من غيره؟ وعلى أيّ أساس تم التركيز على جوانب منه، وتمّ إغفال جوانب أخرى؟ وبالنظر إلى تاريخ هذا التراث نفسه من الداخل، ما نوع التراث الذي كان متداولا أكثر من غيره، وقاوم الزمن، وظل متسربا إلى مختلف البنيات التي أنتجها العربي؟ أسئلة كثيرة تفرض نفسها علينا في هذا المقام" (يقطين، 1997، ص 47). أسئلة مثقلة بالعقبات والتحديات، متكررة الطرح لكنها متغيرة الإجابة لأن الدارس للتراث لا يمكنه أن يخرج عن هذه الأسئلة.

2. **التراث نتاج الثقافة العالمة والثقافة الشعبية:**

تعرضت كثير من المرويات في مرحلة التدوين إلى انتقائية خضعت لمرجعية المدون الدينية العقائدية، كما خضعت كذلك لأنساق السلطة السياسية الناشئة مما أوجد في الساحة النقدية الثقافة العالمة (النص الأنموذج) الذي ينبغي أن يسعى إليه المتلقي لتمرين ذائقته في مقابل الثقافة غير العالمة أو اللانص التي سعت تلك المؤسسة إلى إقصائه.

ونجم عن هذه الثنائية الجدلية "أنْ أصبحت الثقافة الرسمية ثقافة معيارية ومهيمنة وأصبح خطابها خطابا سلطويا لا يعترف بتعددية الخطاب. في حين أصبحت الثقافة الأخرى ثقافة مهمشة وهي ثقافة غير معترف بها معرفيا أو جماليا على الرغم من أنها ثقافة الأغلبية العظمى للشعب العربي" (رجب، 2006، ص13). و"هي مفاضلة تنتزع شرعيتها لحيازتها جملة من الشروط التي توافق الأعراف التي تحكم المؤسسة الثقافية، وكل ما لا يتوافر عليها مصيره النبذ والإقصاء والتهميش (إبراهيم، 2010، ص 103)

وقد أدى هذا إلى أن يظل "هذا التقاطب بين الخاص والعام والنص واللانص يتسع مع التطور التاريخي للأمة العربية، وكانت بدايته مع الحقب الأولى للتدوين وللتقعيد حيث كانت تفرض على المدونين والمقعدين لعلوم العربية المختلفة ضرورة التمييز بين النص واللانص لاعتماد هذا وتنحية ذاك... بدأت تكبر الهوة بين ثقافة الخواص وثقافة العوام" (يقطين،، 1997، ص62).

وقد رفض سعيد يقطين اعتبار التراث مرتبطا بالثقافة العالمة دون الثقافة الشعبية، أي تمييز التراث الثقافي على أساس غير موضوعي. ذلك أن أمتنا العربية "ذات إرث أدبي واحد يعبر عن مشاعرها وخواطرها وقلوبها وعقولها في جميع جوانب حياتها الروحية والوجدانية والعقلية والاجتماعية" (ضيف، 1987، ص27). وأن هذا الإنتاج ساهم فيه أعلام الفكر والإبداع، وقد برز إنتاجهم وصار رسميا. كما ساهم في إنتاج التراث الشعب بكل طبقاته متمثلا في الثقافة الشعبية، وقد أغفل إنتاجهم على مر الزمان واختزل هذا الشطر من التراث. ويرى أنه حين يتم الانتقاء والاختزال باستبعاد جزء أو قطاع

من التراث من دائرة الاهتمام نكون أمام المسبقات والأحكام الجاهزة، والرؤيات الضيقة. وهذا برأيه ما "يباعد بيننا وبين فهْم هذا التراث الزاخر وتفسيره، وتقييمه التقييم المناسب" (يقطين، 1997، ص 15). كما أسهمت بشكل أو بآخر في تعميق أزمة التراث لاسيما على صعيد المفاهيم كونها أدت إلى إنتاج ثقافة ذات طابع تجزيئي.

3. القراءة الواعية للتراث:

إن الباحثين والدارسين عبر أزمنة مختلفة وأماكن متقاربة أو متباعدة كانت لهم رؤيتهم الخاصة في قراءة التراث وفهمه واستيعابه، ولم تتوقف عند باحث، أو كانت حكرا على جيل دون غيره لأنّ القراءة إسهام عقلي في الفهم والتفسير لذلك تظل مفتوحة على قراءات جديدة دون أن تلغي السابقة منها. فكلّ فعل قرائي هو وعي معرفي بدرجة استيعاب لرؤى وتفسيرات الآخرين.

وانطلاقا من هذه الرؤية العقلية في فهم الأشياء واستيعابها وزاوية النظر فيها يرى يقطين أن كل الأبحاث التي تناولت "هذا التراث تنمّ عن التكرار والاجترار، الشيء الذي يباعد بيننا وبين فهم هذا التراث الزاخر وتفسيره وتقييمه التقييم المناسب" (يقطين، 1997، ص 16). ويعتقد أن تلك القراءات بقيت "عاجزة عن تحقيق المبتغى ... لأنها بكلمة وجيزة لم تأخذ بأسباب البحث العلمي... في معالجة الجوانب التراثية التي اهتمت بها " (يقطين، 1997، ص18) .ربما يرجع ذلك إلى أن بعض المقاربات ترى أن عملية قراءة التراث يجب أن تتم وفق ضوابط تشكلت في السابق، لا مجال لإعادة النظر فيها، مما جعل تلك القراءات لا تحقق تراكمات كمية قابلة للتحول إلى رؤية جديدة خلاقة وإبداعية منفتحة على الكونية مما جعلها تخفق.

إنّ هذه الرؤية من شأنها أن تخلق في القارئ روح الاستنساخ، وعدم القدرة على الاختلاف. الأمر الذي جعل وعينا بالتراث متخلفا وقاصرا - حسب اعتقاده- كما أن هذا الوعي مازال جزئيا وتجزيئيا لا يرى الأشياء في كليتها، وسجاليا خاصة مع التيارات التي تمتح من الغرب أو من المستشرقين الذين كانوا يتعاملون مع التراث العربي الإسلامي بصورة مختلفة تعتمد بشكل خاص على مظاهر الاختلاف والتباين مما جعل هذا العقل لا يفكر إلا بما يملى عليه، ولا يطرح بدائل جدية بناء على إستراتيجية واضحة المعالم. وعليه أصبح المفكر العربي بدل أن يرى "صورة الآخر في ذهنه رأى صورته في ذهن الآخر، وبدل أن يرى الآخر في مرآة الأنا رأى الأنا في مرآة الآخر، ولمّا كان الآخر متعدد المرايا ظهر الأنا متعدد الأوجه" (إبراهيم، 2010، ص 90).

إن الوعي بالتراث يقتضي الوعي بالزمان "باعتباره تجربة حية وتاريخا من التداخلات والتفاعلات والاستمرار، كما يتجلى في الواقع والوجود والذهن. وبهذا يغدو التراث العربي تجربة حياتية لها جذورها الممتدة في تاريخ الشعب العربي، والممتدة إلى الحاضر والمستمرة في المستقبل" (يقطين، 2012، ص

25). ويرى أن البديل عن هاتين النظرتين هو"النظر إليهما [التراث والحداثة] من المنظور الثقافي والحضاري لأنه المنظور الذي يتيح لنا التعامل معهما وفق إستراتيجية أبعد ورؤية أوسع من تلك التي مورست ردحا طويلا من الزمان ... ليكون بحثا وتنقيبا في التراث والإنسان وفي مختلف العلاقات التي تربطها بالسياق الحضاري العام الذي يفرض علينا أمرياته ومستلزماته" (يقطين، 2012، ص 23). وهكذا نكون قد امتلكنا التراث بأدوات تستوعب مكاسب العقل الحديث من عقلانية وموضوعية وفعالية وإنسية فنقيم معه علاقة حرة، وما لم نسع إلى ذلك فسنبقى مملوكين للتراث لا مالكين له.

لذا عمل سعيد يقطين على محاولة إعادة امتلاك هذا المخزون الثقافي الحيّ، لا إبعاده والتخلص منه، أي جعل التراث معاصرا لنفسه على صعيد الإشكالية النظرية والمحتوى المعرفي.

لكن بأيّ آليات نصنع لتراثنا موقعه ضمن هذه الرغبة، ونهيئ له أسباب الصمود أمام الاجتياح الثقافي العالمي إذا لم يكن مُسنَدا إلى قراءة مستوعِبة تشرف بنا وبه على حداثة نتطلع إليها، حداثة نابعة من صميم حياتنا معبرة عن مقومات شخصيتنا، بعيدة عن العطب. والعبور بين ضفتي "التراث" و"الحداثة" يستلزم بكل تأكيد تشييد جسر مؤداه النظر الدقيق، وتحديد الأهداف "إذ ليس المهم أن نكتشف في تراثنا رموزا تناظر علامات ثقافية معاصرة (الجرجاني = سوسور) فهذا هروب إلى الأمام، ولكن السير إلى الأمام يكمن في الطريقة التي نتعامل بها مع الجرجاني لإنتاج معرفة جديدة (...) أن نكون خير خلف لخير سلف" (يقطين، 1992، ص 136). وما لم نفعل ذلك فستظل تلك الحداثة سرابا نلهث خلفه ما دمنا غير محصنين بتراث معلوم ومدروس ومفهوم، وغير محاورين الآخر من موقع الوعي بالخصوصية، والوعي بالتفاعل معه كذلك في حدود معلومة.

ويطرح يقطين تساؤلات حول الزمان لخلخلة الرؤية حول التراث والحداثة، حيث يقول: "هل التراث الذي ندرسه باعتباره ماضيا انقطع في الماضي أم أنه مازال ممتدا في الحاضر؟ وكيف يفعل التراث الممتد في حاضرنا فينا؟ كيف نتعامل مع مختلف مظاهر الحداثة؟" (يقطين، 2012، ص 25). ويصل في الأخير أن وضع التراث كمقابل للحداثة ليس سوى وهْمٍ "فالثنائيات مضللة وسجالية بالمعنى السلبي. إن جوهر المشكل يكمن في كيفية التفاعل وطريقته والوعي الذي ننطلق منه في ممارسته" (يقطين، 1992، ص 137). فكل المحاولات التي سعت إلى التفاعل "مع التراث أو الغرب وإن حاولت تحويل البنية النصية المتفاعل معها(الغرب الاشتراكي والمضمون القومي للأدب القديم ... ظلت في العمق ناقصة وعاجزة عن إنتاج معرفة جديدة، لقد بقيت "صدى" أخرس لنظريات غير مستوعبة" (يقطين، 1992، ص 135)

ويعتقد أن كل محاولة عربية في التعامل مع التراث لإعادة قراءته سلكت طريقين، إمّا: "التقديس واتخاذ موقف المدافع، أو على العكس من ذلك عدم المبالاة أو الرفض..." (يقطين، 1997،

ص 16) ، ومثل هذه الثنائيات لا تقدّم شيئا لأن المشكل فيها عدم الوعي بهذه الثنائيات. و" الوعي الحقيقي بالتراث لا يمكن في تقديسه أو تدنيسه، ولكن في قراءته من أجل المستقبل وبحثه والوعي به من أجل الإنتاج والتجاوز" (يقطين، 1997، ص 41) . وهنا تكمن الخطورة لأننا يجب أن نفرّق بين الاعتزاز بالتراث والتأريخ له، وبين الوعي النقدي به، وإننا إذ نفعل ذلك فحتى لا يحكم التراث قبضته علينا ويمنعنا من مواكبة الحياة وبناء المستقبل، ولن يكون ذلك إلا بمساءلته بأسئلة تتعدى الظرف التاريخي الذي نعيش فيه، وتوفير العدة النظرية والإجرائية الضرورية، واعتماد النظرة العلمية الفاحصة التي تمكننا أولا من فهمه، ثم العمل بعد ذلك على تفسيره وتأويله.

إن نجاح فعل المساءلة والمراجعة هو ما يمكّن من التحكم في علاقة المرء بتراثه لأن تلك العملية تمحو كل قدسية، ولكن غالبا ما لا تحقق هذه المساءلة هدفها فتنحرف عن مسارها. والحل يكمن في توليد فكر نقدي جديد عن التراث في الساحة العربية فكر عقلاني نقدي بعيد عن الدوغماتية أو الهيمنة الإيديولوجية أو الانتماء الطبقي، وهو ما اتصفت به بعض الرؤى النقدية التي لم تستطع التخلص من الأحكام الجاهزة أو السياقات الاجتماعية والثقافية المهيمنة.

وقد وقف يقطين طويلا يستقرئ كل ما يحيط بالتراث،ويستنطق كل ما ساهم في فهمه فهمًا مترهلا لا يصمد أمام المقارعة بالحجة. "فكل ما أنتج بصدده بقيت تحكمه هواجس إيديولوجية صراعية بمختلف الصور التي عرفها تاريخنا الحديث(...) وحتى الطريقة التي تمت بها كانت تجزيئية وناقصة" (يقطين، 1997، ص 42).

وتأسيسا على ذلك يضع يقطين التراث موضع المساءلة والاختبار بحس نقدي صارم لا يعرف المناقشة، ولا يروم التقديس مادام يحاور تصورات متراكمة قصد تصحيح ما اختل فيها. وكل ذلك من أجل تقديم قراءة تجعل التراث بمختلف مكوناته ممتدا فينا دون أن يقف على عتبات الماضي. وإننا لا نستطيع أن نكون متفاعلين تفاعلا إيجابيا مع تراثنا إلا ب (يقطين، 1992، ص144) :

1- عملية فهم صحيح تستدعي شروطا كثيرة ومقتضيات متعددة لعل أهمها يكمن في تجاوز الوعي الذي نمارسه الآن حياله.
2- الاستيعاب: وهي النظر إلى التراث ككل أي كنص له سياقات وصيرورة، وتطورات،وتحولات.
3- القراءة المنتجة التي تمكننا من تجاوز النظرات الاختزالية أو الإسقاطية للتراث على واقعنا (...) بإنتاج معرفة جديدة، ونص جديد بناء على تفاعلنا الإيجابي مع التراث ومع واقعنا الذاتي ومع العصر الذي نعيش فيه.

لقد تعززت عند يقطين القناعة بضرورة هذا التوجه الجديد من القراءة برؤى اختمرت لديه بالتجربة وبالاطلاع على هذا التراث من جهة، وعلى ما أنجز في غير الثقافة العربية من جهة أخرى.

"قراءة بأدوات جديدة وبأسئلة جديدة وبوعي جديد ولغايات جديدة. ليست الجدة هنا مقابلة للقديم، ولكنها تنبني على أساس محاولة الجواب عن سؤال: "لماذا نبحث – الآن- في نصوص قديمة" (يقطين، 1992، ص18) بهدف تطويره والنهوض به، وذلك عن طريق تفعيله تفعيلا إيجابيا مع مختلف المستجدات فنكون أمام تراث متجدد يخضع باستمرار للمراجعة، تراث لا تفصله عن الحاضر مسافة علمية طويلة. ومادام أننا نحاور منجزا إنسانيا فلا شك أننا أمام قدرة فاعلة وخلاقة على التكيف والتجديد، وعلى إعادة التفسير.

ولأنّ التراث العربي حافل بالتنويعات الجغرافية والثقافية كان لا بد على الدارس العربي أن يتحلى بالأدوات الإجرائية والآليات المنهجية الحديثة قصد تقديم إضافة حقيقية، ذاك أن بعض الباحثين السابقين أسقطوا من الذاكرة التراثية بعض الجوانب كان يجب الوقوف عندها - كما رأينا في بداية هذا البحث- وهو الشيء الذي دفع يقطين إلى العودة إلى التراث وقراءته وفق أنساق معاصرة من أجل تجديد مقاربة صحيحة ومتكاملة في فهمها لهذا التراث.

ولأنّ التراث لا يسمح إلا باتخاذ المواقف بتوجيه من إيديولوجيات معينة وجب طرح بدائل/ مفاهيم أخرى تقوم مقام هذا التراث، وتكون أكثر تخففا من الشحنات الإيديولوجية والذاتية التي تحيط به فتسعف في تقدم الدراسة دون القفز على إشكاليات حقيقية، ودون إلغاء المقدمات وتزوير النتائج، أي وجب أن تكون هذه البدائل معادلا موضوعيا للتراث لا يقود تخيرها إلى تغيير النتائج، وإلا فالاختيار لا يستقيم بهذا المعنى. فأيّ بديل هذا الذي بإمكانه أن يقوم بهذه الوظيفة؟ إنه ببساطة "النص" بتجرده من الأبعاد التي جعلت "التراث" مفهوما ملتبسا وغائما.

وظف يقطين مفهوم "النص" في سعيه إلى تجاوز الالتباس الذي يطرحه مفهوم "التراث" الذي يشكل مادة ضخمة لاشتمالها على العمران والعادات والتقاليد والمكتوب والمحكي. كما أن النص "أقدر من التراث على التحلل من البعد الزمني، فهو لا زمني لأنه يتصل بخاصية متعالية على الزمن هي النصية" (يقطين، 1992، ص 48) . التي تمثل الثابت البنيوي القابل للتأويل والتفسير بدافع الحاجات وتداعي الأسئلة. وبهذا التحلل يتجاوز "النص" القيد الزمني الذي كبّل حرية "التراث".

إن مفهوم "النص" بالإضافة إلى تحلله من البعد الزمني أقدر من مفهوم التراث على التفاعل مع غيره، فخاصية الانجذاب بين النصوص خاصية معلومة، وميزة التعالق ميزة ثابتة ما دامت النصوص لا تولد من فراغ.

وبكل هذه الاعتبارات يتم تجاوز سلبيات النظر إلى "التراث" في بعده الزمني، ويتم التركيز على ما تفعله الدراسة حين تتعامل مع هذا التراث من زوايا لا تستند إلى تحديد الموضوع، ولا تنطلق من أسس نظرية، وتمارس الانتقاء في المعالجة (محكومة في ذلك بوعي إيديولوجي مسبق).

غير أن الحديث عن "النص" جرّ يقطين إلى "اللانص" ومنهما إلى "الكلام" الذي أحلّه في إطار إستراتيجية استبدال المفاهيم محل"النص" بدلالاته المتنوعة، وحتى نتاح لنا إمكانية الانتهاء إليه تحديدا وتصورا، نستعير مفهوما أنسب وأدق في الأدبيات العربية، وهو مفهوم الكلام ونحلّه محل مفهوم النص. وسنعاين أن مفهوم الكلام أكثر ملاءمة للانطلاق في معالجة مختلف القضايا والإشكالات التي نود إثارتها. سنوظف الآن الكلام محل النص، كما أحللنا النص محل التراث، ونظل نتدرج وصولا إلى استرجاعه وتوظيفه محملا بدلالات جديدة، مستمدة من علاقته بالكلام" (يقطين، 1992، ص 53).

إن هذا الإجراء وحده الكفيل بتوليد مفاهيم أخرى ك"اللانص"، وعقد المقارنة بينه وبين "النص"، وبالتالي مشروعية البحث فيه، ومحاولة إيجاد موقع له.

وقد كانت العرب "تميز النص عن اللانص بناء على أن الأول يخضع للقيم النصية الجمالية والمعرفية المتعارف عليها، وهي بوجه عام قيم سامية، وتسير في اتجاه النموذج المعرفي السائد، وتوجهه تراكمات تاريخية ترتهن إلى قبولها التحول في نطاقه. أمّا الثاني فيتأسس على كونه يتحقق على هامش النموذج المعرفي، وأحيانا بناء على تناقض صريح أو مضمن مع أهم تجلياته" (يقطين، 1992، ص57- ص 58).

إن هذه الإجراء يمنح للباحث مجالات متعددة، إذ يتيح إمكانية معالجة أي نص كيفما كان شكله أو شكل العلاقة التي يتخذها، وكيفما كان العصر الذي هو فيه، أو طبيعة الثقافة التي ينتمي إليها. ومنه حاول يقطين إعادة النظر في علاقة النصوص المركزية بنظيرتها الهامشية، وهو بذلك يلغي مساحات اللانص في التراث القديم وينظر إلى الأفق العام من قاعدة النسقية بالمنهج الذي تنتظم فيه مفاهيم "النص الأكبر" و"التفاعل النصي" و"النصية" ضمن شبكة دلالية منسجمة ووظيفية، تحيل كل حلقة فيها على البناء الكلي بشكل يسمح بإعادة النظر في الموروث السردي، ويتيح في الآن ذاته آلية القراءة والتفسير.

إنّ دراسة النص من خلال نظرية التفاعل النصي تتيح "التعامل مع النص من جهة "تفاعله" مع نصوص أخرى من أجناس مختلفة، ظهرت في الفترة نفسها أو في فترات سابقة أو لاحقة... وهذا العمل علاوة على كونه يسمح لنا بالنظر للنص في ذاته، يتيح لنا إمكانية النظر إليه في مختلف علاقاته مع نصوص أخرى، ومع السياق الاجتماعي والثقافي الذي ظهر فيه " (يقطين، 1992، ص 50).

4. **قراءة التراث السردي العربي، النظرية والمنهج:**

تمحور النقد العربي القديم أساسا حول الشعر، وأنجز فيه الكثير مما يمكن أن يشكّل عناصر لنظرية متكاملة، أمّا السرد فليس له حضور في تراثنا النقدي.

لكن الاهتمام العربي سينصب على السرد في العصر الحديث مع المعارك التي خاضها الدارسون العرب ضد المستشرقين الذين كانوا يقولون إن الخيال العربي لم يبدع الملاحم والقصص والروايات. فكانت قراءات فاروق خورشيد مثلا لإثبات توفر التراث العربي على ما في نظيره الغربي.

وقد زاد الاهتمام به مع الحقبة البنيوية. فقد اهتمت الدراسات النقدية العربية المعاصرة بقراءة التراث السردي العربي فوظفت في ذلك أحدث المناهج. وقد كان لمنجزات التحليل السردي الغربي أثره في تطوير هذه القراءة في غياب تراث نقدي عربي- كما قلنا- يتصل بالسرد بشكل مباشر.

وعليه فقد تعددت تلك المقاربات بتعدد المناهج والتصورات السردية المعتمدة في تناول السرد الغربي. ولما كانت تلك النظريات الغربية المعتمدة من طرف الباحث العربي قد تشكلت بدورها خلال الحقبة البنيوية كان انطلاقه من هذه النظريات خلفية لقراءة التراث السردي العربي. وقد اقترن ذلك بوعي نقدي حداثي يسعى إلى التفاعل الإيجابي بين الموروث السردي العربي والفكر الغربي إبداعا وتأصيلا.

لكن الأبحاث النقدية العربية الخاصة بالسرد ظلت رهينة الإيديولوجيات والمواقف المسبقة لذلك لم تثمر قراءة واعية لأنها لم تنطلق من أسس سليمة، وظلت تتعامل مع نصوص السرد تعاملها مع أي نص أدبي دون أن تتوفر على الهواجس النظرية والمنهجية التي تساهم في تشكيل رؤية جديدة ومغايرة في قراءة التراث السردي.

هنا يصل يقطين إلى ضرورة يمليها علينا الوعي بالسرد هي قضية تجديد النظر إلى الأدب والتعامل معه. فالواقع مازال يتناول مفهوم الأدب وتحديد الأنواع والأجناس بمفاهيم تقليدية تطرح بنفس الرؤيات، في حين أن أسئلة كثيرة تفرض نفسها بعد تبلور الوعي بالسرد وبالتراث السردي، ولا يمكن الإجابة عنها إلا بالبحث العلمي والتجديد المنهجي الذي يلائم الدرس السردي على صعيد الرؤية والتصور. ولن يحدث التغيير إلا بتغيير زاوية النظر من هذا التراث وتعميق الأسئلة. وذلك من خلال (يقطين، 2012، ص 61):

1- الانتقال من القراءة الإيديولوجية إلى القراءة العلمية التي تتأسس على الرغبة في الفهم والتحليل وفق ما يقتضيه البحث العلمي.

2- الانطلاق من فرضيات وأسئلة محددة تساعد على الوصول إلى إنتاج معرفة جديدة تعيد الاعتبار إلى جزء كبير من النصوص السردية التي ظلت مهمشة لعصور طويلة بسبب دواع متعددة.

3- الابتعاد عن النرجسية الذاتية والانفتاح على التراث الإنساني في شموليته، ومحاولة الاستفادة من منجزات العصر وتوظيفها في عملية القراءة.

يؤكد يقطين على الحضور الواضح للسرد في التراث العربي إلا أن المؤسسة الثقافية قد غيّبت الجزء الأكبر منه لأنه لم يخضع للمعايير التي رسمتها تلك المؤسسة، كما أن الاهتمام بالشعر أيضا أدى إلى عدم الالتفات إلى السرد العربي لأنه (الشعر) ديوان العرب ومن ثم أقصي جزء كبير من التراث الأدبي لاعتبارات عديدة (يقطين، 2012، ص 61) حتى صار مصطلح الثقافة العربية في مرحلة ما يحيل إلى مفهوم محدد هو الشعر دون سواه مما أضر بصورة الأدب العربي.

ومهما يكن فإنّ الأدب أحد وجوه الحياة الفكرية في المجتمعات الإنسانية يحضر كمعطى ثقافي عام عند جميع الأمم. والسرد أحد وجوه تجلي الأدب، وهو أحد طرائق نقل الأفكار والقيم، لكن كيف نتعامل مع السرد العربي؟

إنّ الإجابة عن هذا السؤال لن تكون إلا بتطوير الوعي والأسئلة التي نعالج بها مختلف قضايا هذا السرد العربي، من قبيل ماهية النص العربي، أجناس الأدب العربي، الأنواع التي يتضمنها كل جنس. وبتجديد طرائق تفكيرنا في مختلف ما يتصل بالإنتاج الأدبي الذي أبدعه الإنسان العربي في تاريخه نكون قد أسهمنا في تجديد وتطوير واقعنا. ويشير يقطين إلى أن ما قدّم حول السرد العربي من أبحاث يعد نزرا يسيرا بالمقارنة مع الشعر، وكان في معظمه يتسم بالاختزال والتجزيء.

وقد بدأ يقطين أولى خطواته باتخاذ المفهوم الجامع "السرد العربي" ليكون رديفا للشعر العربي في التراث العربي، و"ليكون شاملا لممارسة خطابية متنوعة ولنصوص متعددة وكثيرة من تراثنا وليحل محلّ العديد من المفاهيم التي لا تزال تردّدها الألسن، مثل القص والقصة والحكاية" (يقطين، 2012، ص 271) ويعتبره أكثر دقة وشمولية لأنه يسعى إلى رصد الظاهرة السردية التراثية في كلّيتها، كما يسعى إلى الإحاطة بمختلف حيثياتها وملابساتها. إنّ هذا الأمر يأتي (يقطين، 2012، ص 57):

1- استجابة لدواع جديدة تستدعيه وتتطلبه.
2- ليعوّض أو ليتجاوز، أو ليجدّد أو ليحل محلّ مفاهيم قديمة أو استعمالات متشعبة.
3- توليد دلالات جديدة في ضوء سياقات التي تولد فيها.

إنه يعبّد الطريق بذلك للتفكير في كل ما يتصل بالسرد العربي على غرار إعادة تجنيسه وكتابة تاريخه وجمع مواده. كما تناول قضية السرد الرسمي والآخر الشعبي التي سادت في الثقافة العربية والتي أدت حسب رأيه إلى طرد أنواع من السرد على غرار السيرة الشعبية التي اهتم بها في مؤلفاته، فهي جميعا سارت في اتجاه إقصاء السير الشعبية واعتبارها (لانصا) مستندة في ذلك على مبدأين مركزيين، الأول: يكمن في الملائمة النصية المنطلقة من النص الديني الذي تقاس عليه مشروعية النصية أو اللانصية، والثاني: يتجلى في المنهجية المنطلقة من الفصل بين ما يسمى ثقافة عالمة وثقافة شعبية حيث يتم استبعاد السيرة الشعبية من دائرة (النص) لأنها تقوم حسب تصورهم على الكذب والخرافة مما يتنافى مع

الخلفيات التي يستندون إليها في عملية التقييم لهذا النتاج السردي. وقد دعا إلى تناول الظاهرة السردية العربية دون تمييز بين الرسمي والشعبي.

خاتمة:

إن قراءة التراث أو اتخاذ موقف منه يتطلب بالدرجة الأولى الوعي به لاكتشاف خباياه، وإن تعدد التصورات إزاء التراث تجعل الباحث العربي المعاصر يقف أمام تراثات متعددة (مادي، عقلاني، روحي...)، لكن ما هو متعدد في الأصل ليس مفهوم التراث وإنما هو النظر فيه والقراءة التي تناولته. وستبقى القراءات متعددة بل وتزداد بازدياد المنهجيات المستحدثة والنظريات المستجدة. وتبقى هذه القراءات تتفاوت فيما بينها من حيث قدرتها على اقتناص الخصائص المميزة لموضوعات التراث. وقد استطاع يقطين تجديد الرؤى حول هذا التراث خاصة السردي منه، والإجابة على عدد من الأسئلة الجوهرية التي أثيرت حوله، وبناء تصور جديد للأجناس التراثية بأنواعها مما يجعل خطواته تلك إسهاما حقيقيا في خدمته وإثرائه وتقريبه من القراءات المعاصرة. وهو ما يشكّل خطوة إيجابية في التعامل مع التراث بعيون معاصرة

المصادر والمراجع:

1) ضيف شوقي: 1987، في التراث والشعر واللغة، دار المعارف، القاهرة، مصر.
2) عبد الله إبراهيم: 2010، الثقافة العربية والمرجعيات المستعارة، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان.
3) النجار محمد رجب: 2006، الأدب الملحمي في التراث الشعبي العربي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، القاهرة.
4) يقطين سعيد :2012، السرد العربي مفاهيم وتجليات، منشورات الاختلاف، الجزائر.
5) يقطين سعيد: 1992، الرواية والتراث السردي، من أجل وعي جديد بالتراث، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان/ الدار البيضاء- المغرب.
6) يقطين سعيد: 1997، الكلام والخبر مقدمة للسرد العربي، المركز الثقافي العربي، بيروت- لبنان/ الدار البيضاء- المغرب.

الوصف والصّورة في معلّقة امرئ القيس

Description and illustration in Imru-Al-Qays's Muallaqa

أحلام الطويل، باحثة دكتورا، بجامعة تونس
Email: ahlamattawil@gmail.com

المستخلص:

نتناول بالبحث في هذه الأوراق قضايا الوصف والتّصوير في معلّقة امرئ القيس. ومردّ اهتمامنا بهذا المبحث هو إيماننا العميق بأنّ الوصف والتّصوير لم يكونا مجرّد إجراء فنّي أو أسلوب في الأداء، وإنّما كانا دائما وسيلة لإنتاج المعنى، فرغم إيلاء النّقاد قديما وحديثا إهتماما بالغا بالأبعاد الفنّيّة والمضامين الدّلالية للشّعر الجاهليّ، ورغم أنّ ما كتب حوله من الكثرة ما يستعصي على الحصر، فإنّ هذه الوفرة لم تعن استيفاء جميع جوانبه والإلمام بكلّ قضاياه، حتّى أنّ العديد من هذه البحوث وقع في التّرديد والإعادة. وإنّ مبحث الصّورة والوصف كان قليل الحظّ من الدّرس ولعلّ الأعمال القليلة التي يمّمت الصورة اكتفت بمقاربة تقليديّة تهيّبت الولوج إلى أبعادها الجوهريّة وجانبت درك مشكليّاتها. ولقد رأينا بأنّ مقاربة هذا المبحث الفنّيّ الدّقيق يتطلب استنطاق مدونة ذات قيمة عالية لا يختلف إثنان على ثبوت جودتها ومعلقة امرئ القيس تمنحنا هذه المساحة من البحث لما تحويه من ألوان الوصف وأنماط التّصوير، هذا بالإضافة إلى أنّنا نروم الوصول في بحثنا إلى ما أبعد من مجرّد الاستعذاب والاستحسان لمفاتن الصورة وتلاوين الخطاب الوصفيّ ومن مجرّد التعبير الانطباعيّ الذي انزاح بعديد الدّارسين عن غاية استكناه الأبعاد الفنّيّة التي شكّلت الاستثناء الشّعري العربيّ.

الكلمات المفتاحيّة: معلقة امرئ القيس، الوصف، التّصوير، الأبعاد الفنّيّة.

Abstract: In these papers, we discuss the issues of description and illustration in the "Muallaqa" of "Imru al-Qays". The reason for our interest in this topic is our deep belief that description and depiction were not just a technical procedure or a method of performance, but were always a means of producing meaning. Despite the fact that critics, old and new, paid great attention to the artistic dimensions and semantic contents of pre-Islamic poetry, and despite the abundance of what was written about it Strictly speaking, this abundance did not mean the fulfillment of all its aspects and knowledge of all its issues, to the extent that many of these researches fell into repetition. The subject of image and description didn't get enough chance to be studied, and perhaps the few works that were interested in the image were satisfied with a traditional approach that were discouraged to access its essential dimensions and avoided the realization of its problems. And we have seen that the approach of this precise technical topic requires the investigation of a code of high value that no two differ on its quality, and the poem "al Muallaqa" of "Imru' al-Qays" gives us this chance of research because it contains types of description and patterns of images. in addition to that, we aim, in our research, to reach beyond mere pleasure, and the approbation for the charms of the image and the descriptive discourse and the mere impressionistic expression that moved many critics away from the goal of being satisfied with the artistic dimensions that constituted the Arab poetic exception.

Keywords: Imru' al-Qais's "Muallaqa", description, depiction, artistic dimensions.

.

المقدّمة:

لقد حظي الوصف في الشعر العربي بأهمّيّة بالغة، حتى إنّ البعض أرجع مدار القصيدة العربية إليه فجعلها قائمة عليه. شأنه شأن الصّورة التي استأثرت بمكانة هامة في المدوّنة العربيّة وعدّت أداة أساسيّة في الصّنعة والإبداع الشعريّ. فلم يكن الوصف أو التّصوير مجرّد إجراءات فنّيّة أو أساليب في الإبداع الأدبيّ بل كانا وسيلتين لتوليد المعاني وإنتاج الدّلالات. وإنّ الشّعر الجاهليّ يزخر بمواطن الوصف ومكامن التّصوير التي مثّلت دعائم هذا الكيان الأدبيّ الذي انتقينا منه معلّقة امرئ القيس أو حندج بن حجر الكنديّ الملقّب بالملك الضّليل والذي ولد في نجد في أوائل القرن السّادس ميلادي وراح يجوب الآفاق منغمسا في حياة اللّهو والمجون. ولقد عدّ أمير شعراء العصر الجاهليّ وله ديوان حافل بأغراض شتّى كالغزل والفخر والوصف، خصصنا بالدّرس منه معلقته كي نختبر من خلالها هاته المعاني ونطرح بواسطتها عديد التّساؤلات، خصوصا وأنّ ما وصل إلينا من دراسة للوصف قديما لا يتجاوز التّعريفات المختصرة التي لا ترقى لأن تكون جهازا نظريّا يقوم على أسس بحث علميّ، كتناول ابن رشيق للوصف في كتابه "العمدة" (ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشّعر وآدابه، 1934) الذي جعله بابا من أبواب الكتاب غير محدّد لجنسه، أو ما ورد في كتاب "نقد الشّعر" لقدامة بن جعفر الذي عدّ أوّل تأليف نقديّ يتناول هذا الموضوع بالدّرس، أو ما جاء في كتاب "منهاج البلغاء و سراج الأدباء" لحازم القرطاجني الذي فرّق فيه بين المحاكاة والوصف وجعل المحاكاة منوطة بجودة الشّعر. أما النّقاد المحدثون فقد انصرفوا عن هذا المبحث ولم يعيروه اهتماما يذكر باستثناء بعض المقالات المتفرّقة أو الكتب التي تناولت الشّعر الجاهليّ في مجمله ككتاب "شعرنا القديم والنّقد الجديد" لوهب أحمد رومية (سلسلة عالم المعرفة، مارس 1996) وغيره من العناوين العامّة المتناولة للشّعر عموما.

ولا شكّ في أنّ أولى الصّعوبات التي تعترضنا هي أنّ تناولنا لمعلّقة امرئ القيس الذي كان أسبق شعراء العربيّة إلى ابتداع المعاني والتّعبير عنها يقتضي منّا أن نلامس هذا المنجز الأدبي بكثير من الحذر لنغنم من جميع مواطن الوصف فيه ونستقرىء مكامن الصّورة منه.

أمّا ثاني هذه الصّعوبات فيتمثل في أنّ مبحث الوصف ما يزال متفلّتا من عقال الدّرس تتنازعه التّعريفات ويفتقر إلى التّدقيق والضّبط، وأنّ مبحث الصّورة ما يزال في نقدنا العربيّ غير محدّد، تتقاطع فيه مجالات أخرى غير المجال الأدبيّ منها المبحث السينمائيّ والتّشكيليّ والفيزيائيّ، فتتداخل الأدوات المنهجيّة وتتعدّد الوسائل البحثيّة التي من شأنها أن تحقّق مقاربة هذا المنحى من البحث.

ويقوم منهجنا في هذا البحث على استنطاق المعلّقة واستبيان مواطن الوصف والتّصوير فيها من خلال نماذج نخضعها للدّراسة المتأنّية لتتفتّح أمامنا أبواب البحث وتتشكّل المفاهيم الإجرائيّة التي تناسب دراستنا. واستنادا إلى ما تقدم أفردنا جزءا أوّل جعلناه مدخلا مفهوميّا وقفنا خلاله على حدّ الوصف

وعلى حدّ الصّورة قديما وحديثا، لغة واصطلاحا. وجزءا ثانيا أفردناه للبحث في الوصف بجانبيه النّظري والتّطبيقي وجزءا ثالثا خصّصناه للبحث في التّصوير بجانبيه النظريّ والتّطبيقيّ. أمّا الجانب النّظري فأردناه تعقّبا لمختلف التّعريفات والتّقنيّات والخصائص والنّظم والطّرق، وأمّا الجانب التّطبيقيّ فأردناه متوازيا مع الجانب النّظري تناولنا خلاله مقتطفات من المعلّقة أخضعناها للنّظر والتّحليل.

مدخل تمهيدي:

1-حدّ الوصف لغة واصطلاحا:

أ-حدّ الوصف لغة:

الوصف لغة في "لسان العرب " (ابن منظور، 2006، ص308): "وصف الشّيء له وعليه وصفا وصفة: حلّاه. و قيل: الوصف: المصدر، والصّفة: الحلية. الوصف: وصفك الشيء بحليته ونعته. وأما النّحويّون فالصّفة عندهم هي الحلية والنّعت. والنّعت هو اسم الفاعل".

حسب هذا التّعريف نرى أنّ معنى الوصف قد قام على نعت الشّيء بما فيه من أعضاء وأوصاف وسمات وخصال وكذلك على تجاوز مجرّد النّعت إلى التّحلية أي إضافة نعوت بما ليس فيه أصلا للثّناء عليه ولتزيده حسنا وبهاء.

أما في المعجم الوسيط: "وصف الخبر حكاه بالتفصيل، صوره، ذكره. وصف الحادث (ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب). جرمٌ موصوف. والصفة عند النحويين: النّعت واسم الفاعل واسم المفعول والصفة المشبّهة واسم التّفضيل أيضا." (المعجم الوسيط، 1987)

ونستنتج من هذا التّعريف أنّ النّحويّين لا يقتصرون في حدّ الوصف على النّعت فقط بل يزيدونه الحالة التّي يكون عليها الشّيء فتأخذ المشتقّات الأخرى التّي ذكرناها وظيفة النّعت.

لذلك يعتبر الوصف أصل الفعل اللّغويّ للإنسان وبالتّالي أصل النّشاط الذّهنيّ والإدراك البشريّ للمحيط الخارجيّ وللكون. فالإنسان يدرك فيصف أو يصف فيدرك ومن هنا الأهميّة البالغة التّي يكتسبها في مراتب المعرفة البشريّة وفي الأدب من بعد ذلك.

ب-حدّ الوصف اصطلاحا:

لم نجد للعرب تعريفا موحّدا للوصف بل غاية ما وصلنا هو شبه اتّفاق يذكّرنا بمبدأ المحاكاة عند أرسطو الذي يقول بنظرية نقل الواقع عبر أساليب بلاغية وتراكيب لغوية منتقاة للتأثير في المتقبّل. وقد يتطلّب منّا الأمر وقوفا على المدوّنة الغربيّة لاتّصالها بالمدوّنة العربيّة وتأثيرها فيها.

ب.1-الوصف في النقد الغربي:

ب.1.1-في النقد الغربي القديم:

تناول النّقاد الغربيّون القدامى مفهوم الوصف في علاقة بدراسة النّشاط اللّغوي وبلاغة الخطاب و لم يرق هذا التّناول إلى التّنظير:

-**عند أرسطو**: هو محاكاة الواقع و نقله كما هو"فكلّ فن محاكاة" ومن هذه الفكرة انبثقت بلاغة الخطاب عند البلاغيّين القدامى من بعده وأصبح هذا المبدأ مقياسا للإجادة.

-**بعد أرسطو**: تطوّر مفهوم الوصف وأخذ يبتعد عن المحاكاة فظهرت فكرة تقديم الواقع في صورة مرئيّة فأصبحت وظيفة الكلام والبلاغة قائمة على مبدأ الرؤية الواضحة من خلال عرض التّفاصيل والجزئيّات وهذا ما سمّاه البلاغيّون القدامى ب"الإكفرازيس" وهذا ما سيتماهى مع مفهوم الوصف في القرن الثاني ميلادي مع البلاغي الإغريقي "هرموجين" الذي عرف "الإيكفرازيس" بكونها خطابا يظهر الأشياء بأدقّ تفاصيلها وهذا ما أنتج فيما بعد مفهوم "الأنرجيا" في التّراث الإغريقيّ فبثّ في الأشياء المرئيّة حياة وحركة.

ومن هنا بدأت تصنيفات الوصف وبدأ الخوض في أساليبه وحدوده، فأصبح الخطاب الذي يعرض الأشياء بشكل يظهرها للعيان ببداهة ووضوح. ومن أصنافه الوصف المادي والمعنوي للشخص، الوصف المقارن، وصف الأماكن، وصف الأخلاق...

و قد أكّد البلاغيّون القدامى ضرورة تبسيط الأسلوب ومزجه بصور مختلفة تربطها محاكاة تامة من ذلك محاكاة الجمل والتّراكيب، ومن هنا ظهرت قيمة الوصف الذي يصور الأشياء تصويرا حيا و يوهمنا برؤيتها فيصبح هذا الأخير في علاقة مباشرة مع الرّسم "التّصوير بالكلام يمكن رؤيته بالعيان". وتواصل هذا الاهتمام بالوصف إلى القرن السّادس عشر وتوسّع استعماله ليشمل المدح ووصف الطبيعة بعد أن كان مقتصرا على الخطابة والقضاء.

ولقد عرف الوصف في القرن السّابع عشر وحتى القرن التّاسع عشر هجوما كبيرا، لما يتطلبه من جهد وعناء يثقلان أحيانا على الكتّاب فيتذمّرون من أنه قد يتحول أحيانا إلى عائق أمام إنجاز الرّوائي كما عبّر عن ذلك ستوندال Stendhal . كما اعتبر ماكس جاكوب Max Jacob أن الوصف قائم على ما هو علمي وهو ما لا تبيحه لغة الشعر. و انتهى بودلير Baudelaire إلى نفس النّتيجة عندما اعتبر أنّه بوصفه لما هو موجود يتدنّى إلى رتبة المعلم.

ب.1.2-في النقد الغربي الحديث:

إن أهم ما كتب في الوصف حديثا يعود لقوتولد إفرايم لسينغ Gotthold Lessing Ephraim الذي جمع بين الشّعر والرسم في مقارنة طريفة لجعل الألوان والظّلال مماثلة للحروف المتعاقبة. أما جورج لوكاتش Georges Lukacs فقد كان مصبّ اهتمامه الأدب الواقعيّ فدرس وظيفة الوصف في السّرد والرّواية، ووجد أنّ الوصف يُخرج الشّخصيّات الموصوفة من الأشياء الموصوفة ويبعدها عن الحياة

اليوميّة وبالتّالي يفقد الوصف انسجامه مع الواقع . لذلك فقد اعتبر أنّ محور الأدب الأساسيّ هو الإنسان ومصيره في هذا الكون والوصف يخرجنا من هذه الدّائرة ويسقطنا في متاهات الجوامد وكان موقفه منه دحض مزاياه وتفنيد أهميّته.

وقد رأى الشّكلانيّون الرّوس من أمثال رومان جكوبسون R.Jakobson وفلاديمير بروب Vladimir Propp أنّ الوصف المستعمل في النّثر الواقعيّ إنّما يعتمد بالأساس المجاز المرسل والكناية والتعريض. واعتبر يوري لوتمان Youri Lotman القوالب والنماذج الوصفيّة أساس بناء الصّورة للعالم، فللوصف هنا وظيفة تقديم الأشياء وتجسيدها.

ومع رولان بارث ROLLAND (Roland Barthes, l'effet de réel, 1982. P84) BARTHESبدأ الحديث عمّا يسمّى بوهم الواقعيّة النّاتج عن الهوّة الموجودة بين المدلول والواقع ،فكلّ وصف أدبيّ عنده هو رِؤية فالواصف يقوم بتشكيل الواقع وتحويله إلى موصوف مؤطّر ولا يتجاوز هذا، حسب رأي بارث Barthes ، نسخ الواقع وتقديم نسخ جديدة لما تمّ نسخه من قبل .

ولقد درس جيرار جينات (Gérard Genette,Frontières du récit, article paru dans Communication, n8,1966) الوصف في علاقته بالسّرد، فاعتبر أنّ الوصف قد ظهر في شكل فقرات داخل الجنس الأدبي وأرجع لهذا الظّهور وظائف متعدّدة أهمّها الوظيفة التّزويقيّة لتجميل الخطاب باعتماد البلاغة والوظيفة الرّمزيّة فيقوم الوصف بالتّعريف بنفسيّة الشّخصيات وأفكارها من خلال وصفها ووصف ملابسها وهيئاتها، إلى أن جاء جون ميشال آدام Jean-Michael Adam (la description, P.U.F, 1993)الذّي أولى كل اهتمامه لدراسة الوصف، والتأريخ له، وبيان مختلف وظائفه وهي:

الوظيفة التعبيريّة: من خلال التعبير عن عواطف الكاتب وأحاسيسه.

الوظيفة التّصويريّة: من خلال تصوير الواقع ونقله نقلا حسّيّا.

الوظيفة التّجميليّة: عبر تجميل الموصوف.

الوظيفة الإنتاجيّة: من خلال إنتاج خيال جديد مستشفّ من منطق النصّ الدّاخليّ.

الوظيفة التّعليميّة: حيث يضمّن الكاتب زاده المعرفيّ في المقاطع السّرديّة فتكون وظيفة الوصف خلق تجانس وتكامل في هذه المقاطع من خلال انتقاء معجم فنّيّ خاصّ يلزم القارئ بالبحث في أفاق معرفيّة جديدة.

وظيفة المحاكاة أو التّقليد: فالوصف يضطلع بدور تحديد أطر السرد كالزمان والمكان وبالتالي إعطاء مرجعيّة واقعيّة للقصّة وهذا ما يتماشى مع رأي رولان بارث Roland Barthes .

الوظيفة العلاميّة: من خلال إحداث ما يسمّى ب"الوهم الواقعيّ" فليس كلّ حقيقيّ مشابها للواقع، فالحقيقة تتجاوز الواقع في بعض الأحيان، فدور الواصف أن يحدث هذا الوهم ويعيد تمثيل هذا الوهم بما اكتسبه من أساليب فنّيّة وطرائق إبداعيّة.

وبعد استقراء هذه الوظائف التّي يؤديها الوصف نظر آدام Adam في نظام المقطع الوصفي فوجده منعدم النظام فهو رهين رغبات الشاعر وذوقه ،فحاول إيجاد نظام معيّن فدرس النّعوت وكيفية اعتمادها فاتّبع مفهوم التراكم الذي يعني تفصيل خصال الموصوف الماديّة والأخلاقيّة .

ولعلّ الذي وضع أسس واضحة لنظريّة وصفيّة متكاملة لها حدودها وطرائقها ووظائفها، كان فيليب هامون الذّي ركّز مجال بحثه على الرّواية الواقعية وبيّن كيفية تضمين الوصف في السرد وانتهى إلى القول بأنّ دور الوصف هو تنظيم السّرد فهو يضطلع بدور الذّاكرة التي تختزن المعلومات، ويحتاج إلى أساليب كثيرة لتحقيق هذه الوظيفة أهمها الاستعارة والمعجم.... وقام فيليب هامون Philippe Hamonبإعادة النظر في وظائف الوصف مكتفيا فقط بالوظائف التي اعتبرها متوافقة مع وظيفة الوصف في الخطاب السّرديّ كتحديد تمفصلات السرد وتنظيمه أو إظهار الشخصيات وإبرازها أو تأجيل السّرد أو تزويق الموصوف وتجميله .

وتبعا لذلك، يمكننا القول بأنّ تتبّع مفهوم الوصف عند النقّاد الغربيّين يعدّ من المباحث المستعصية غير القابلة للتصنيف والتبويب بشكل واضح ونهائيّ، ذلك أنّهم لم يهتموا بالشّعر اهتماما كافيا فكانت دراسة الوصف عموما متعلّقة بمختلف أجناس الخطاب كالسرد والرواية والقصّة وغيرها...

ب.2-الوصف في النقد العربيّ:

ب.1.2-في النقد العربي القديم: لم نجد في الموروث النّقديّ القديم تأسيسا لنظرية متكاملة للوصف فجلّ ما وصلنا كان له علاقة بفكرة المحاكاة الأرسطيّة وإن تلميحا، من ذلك ما نجده عند حازم القرطاجنّي في كتابه "منهج البلغاء وسراج العلماء" حيث بيّن أنّ الوصف في الشعر كان خدمة للمحاكاة، ولقد عقد لهذا فصولا كثيرة .

ب.2.2-في النّقد العربي الحديث: لعلّ أهمّ دراسة لفتت الانتباه هي كتاب "الوصف في الشّعر العربي" لعبد العظيم علي قناوي (مصر، 1949) التي تناول فيها الوصف عبر مراحل تاريخيّة مختلفة من العصر القديم إلى العصر الحديث. كما ظهرت دراسات أخرى ولكنّها ظلّت محاولات متفرّقة ومعتمدة أساسا على ما توصّل إليه النّقد الغربيّ.

2-حد التصوير:

أ-التصوير لغة:

حسب لسان العرب لابن منظور صوّر أي "أعطى كل شيء صورة خاصّة وهيئة مفردة يتميّز بها على اختلافها وكثرتها" (ابن منظور، ج7، ص403). و حسب معجم المعاني الجامع "صوّر الشّيء جعل له صورة، رسمه، جسّمه، وجعل له شكلا وصورة".

ب-التصوير اصطلاحا:

أ-عند الغرب:

اشتركت المقاربات الفلسفيّة في بحث مشكليّات الصّورة، وأشهر من بحث في أصولها وجذورها أفلاطون وأرسطو، من القدامى، وجون بول سارتر من المحدثين، فقد اعتبرها القدامى وجها من وجوه المحاكاة، يتمّ عبر الإدراك الحسّي، وعبر الوعي وعلاقته بالأشياء. وقد استنتج أفلاطون أنّ التّصوير ليس تمثيلا للأشياء على حقيقتها ولكنّه تمثيل لما يظهر منها وهي ليست مجرّد انعكاس للأشياء ولا تطابقا مع الواقع. أمّا أرسطو، فقد رفع من شأن الصّورة وصاغ رؤية جديدة مخالفة لرؤية أفلاطون وأرسى نظريّته الشّعريّة في كتابه "فنّ الشّعر" (Aristote, Poétique, p79)على مبدأ المحاكاة فمثلما تكون المحاكاة عنده أشعارا فإنّها تكون أيضا صورا وألحانا. وأمّا عند المحدثين فإنّ سارتر لا يعتبر الصّورة وعيا محضا فموضوع الصّورة يختلف عن الصّورة ذاتها والوعي يتّسع، حسب رأيه، للأشياء ولا يتّسع لصورها "**صورة الكرسيّ ليست كرسيّا ولا يمكن أن تكون كرسيّا**" (Jean Paul Sartre, L'imaginaire, 1986, p16) ، فالصّورة هي "**ذاك النّظام التّوليفيّ الشّامل الذي يعادل الوعي**" (Jean Paul Sartre, L'imaginaire, 1986, p17).

ب-عند العرب:

قال عنها أبو حيّان التّوحيدي: "**الصّورة هي التي بها الشّيء هو ما هو**" (أبو حيان التوحيدي، المقابسات، ص313). فقد حظيت الصّورة الفنّيّة منذ القديم بالدّراسة و التّحليل والاهتمام، فدرسها الجاحظ والقاضي الجرجاني وقدامة بن جعفر وغيرهم فعرّفوها بأنّها التّجسيم والوصف الحسّيّ للمعاني وفصلوا بين اللّفظ والمعنى، واعتمدوا على الخيال فكانوا يرون بأنّ الشّاعر رسّام يرسم الصّور الشّعريّة، وربطوها بالقدرة على الصّياغة كاستعمال الاستعارات والتّشبيهات والكنايات ممّا جعلها جزئيّة تهتم بالشّكل على حساب المعنى. أمّا حديثا فقد توسّع مفهوم الصّورة حتى أصبح يشمل كلّ أدوات البيان والبديع والمعاني والقافية وغيرها من طاقات اللغة ودلالاتها.

المبحث الأوّل:الوصف في معلّقة امرئ القيس

في مفتتح مبحثنا الأوّل، ونحن نروم تعقّب مواطن الوصف وآلياته في المعلّقة لا يسعنا أن نغفل مكانة هذه المعلقة في المدوّنة العربيّة القديمة وكثرة ورود الدّارسين حياضها واغتنامهم من مفاتنها

وألوان الإبداع فيها، حتّى أصبح السؤال الذّي يتبادر إلى الأذهان هو هل مازال في هذه المعلقة ما لم يشمله الدّرس والتّحليل؟

إنّ الولوج في ثنايا هذه المعلّقة يقتضي منّا الوقوف على التّعريف بالشّاعر ومعلّقته:

1- التّعريف بالشّاعر:

امرؤ القيس هو حندج بن حجر الكنديّ (ملك كندة) ولد بنجد في أوائل القرن السّادس ميلاديّ من أصول يمنيّة،عاش في صباه عيشة أبناء الملوك في ترف ولهو ومجون ،ولقّب بامرئ القيس، والقيس صنم كانوا يعبدونه. ولمجونه ذاك وقرضه الشّعر الإباحيّ أخرجه أبوه، فراح يجوب الآفاق في مجموعة من روّاد المجون والمتعة حتّى قتلت قبيلة بني أسد أباه وبلغه خبر نعيه فحلف ألاّ يغسل رأسه أو يشرب خمرا حتّى يدرك ثأر أبيه. قضى بقيّة حياته في حرب محاولا أخذ ثأر أبيه، فاستنجد بالقبائل ثمّ بقيصر الرّوم ومات ميتة غامضة، ودفن بأنقرة حوالي سنة 540 م" (سليم الجندي، امرؤ القيس حياته وشعره، 1987، ص197-203). ويعدّ امرؤ القيس أمير شعراء العصر الجاهليّ وله ديوان حافل بأغراض شتّى كالغزل والفخر والوصف ومن أشهر قصائده على الإطلاق المعلّقة.

2- التّعريف بالمعلّقة:

قيل إنّ المعلّقات هي مجموعة قصائد سمّيت كذلك لتعليقها بأركان الكعبة، يقول ابن خلدون:"**إنّ العرب كانوا يعلّقون أشعارهم بأركان البيت الحرام موضع حجّهم وبيت إبراهيم كما فعل امرؤ القيس والنّابغة الذّبيانيّ وزهير وعنترة وطرفة وعلقمة والأعشى وغيرهم من أصحاب المعلّقات السّبع، فإنّه إنّما كان يتوصّل إلى تعليق الشّعر بها من له قدرة على ذلك بقومه وعصبيّته ومكانه في مضر على ما قيل في سبب تسميتها بالمعلّقات. ومعلّقة امرئ القيس هي من أروع ما كتب ويقال إنّها من أولى القصائد التّي علّقت بأسوار الكعبة. وقد وجدت عناية كبيرة من الباحثين القدامى والمحدثين عربا ومستعربين، وترجمت إلى لغات كثيرة ووضعت في أبياتها الشّروح والتّعليقات وكتبت الدّراسات، حتّى إنّ المستشرق الانجليزيّ آربري قال إنّها كانت ذات أثر ساحق على عقول المؤلفين اللاّحقين وخيالاتهم**" (ريتا عوض، بنية القصيدة الجاهلية، 1992، ص179-181-184).

تتألّف المعلّقة في رواية الأصمعيّ كما وردت في نسخة الأعلم الشنمتري من سبعة وسبعين بيتا، وقد بلغت القصيدة واحدا وثمانين بيتا في روايات أخرى كالتّي شرحها ابن الأنباريّ وابن النحّاس والبطليوسيّ والزّوزنيّ والتّبريزيّ، ووصلت إلى اثنتين وتسعين بيتا في الرّواية التّي اعتمدها أبو زيد القرشيّ في "جمهرة أشعار العرب" .

ونحن سنعتمد في بحثنا هذا على رواية أبي عبد الله الحسين بن أحمد الزّوزنيّ في كتابه شرح المعلّقات السّبع (طباعة دار الفكر للطّباعة والنّشر والتّوزيع بين الصّفحات 7 و56)، وفيها واحد وثمانون بيتا.

وذهب بعض العلماء إلى أنّ امرأ القيس كان يعشق عنيزة فنظم هذه القصيدة ذاكرا فيها قصته معها من أخذ ثيابها يوم الغدير مع صاحباتها ثمّ عقره لهنّ مطيّته ثمّ ركوبه ناقتها معها ودخوله عليها الهودج. وإذا صحّ أنّ هذا هو سبب نظمه القصيدة، فهو يؤخذ عليه لعدم وحدة الموضوع فيها، ذلك أنّه ذكر وصف الجواد والليل والبرق والمطر والسّحاب ويوم الغدير، فلقد استهل القصيدة بالغزل وثنّى فيها بقصّة الغدير لولعه بالنّساء والتّشبيب بهنّ، ثمّ عزّزها بوصف الجواد لأنّ ركوب الخيل له المرتبة الثّانية في فؤاده في اللّذّة، واستطرد إلى وصف الصيد والطبيعة جريا على سنن الجاهليّة في عدم وحدة موضوع القصيدة، فبينما هو يتغزّل ينتقل إلى الفخر بنفسه ثمّ يقفز إلى الوادي فيدير حديثه مع الذّئب ثمّ يطفر إلى وصف الجواد.

3-الموصوفات في المعلّقة:

اشتملت المعلّقة على عدد كبير من الموصوفات التّي استقاها الشّاعر من بيئته الجاهليّة والتّي كان لها تأثير في نفسه، وقد تناولها بطريقته الخاصّة، فكان إذا وصف شيئا لم يحط به من كلّ ناحية ولم يطلبه من كلّ وجوهه، ومن أبرز الموصوفات:

_ الطّلل: الأماكن والسّاحات والآثار الباقية فيها....

_المطيّة : الكور واللحم والشّحم ...

_المرأة: لون البشرة واللّباس والجسد(البطن، السّاق، الخصر، الخدّ، العينين، الجيد، الفرع، الشعر...).

_اللّيل والنّجوم...

_الجواد: سرعته وحجمه ولونه وخاصرته وقوائمه ومتنه وبراعته في الصّيد...

_البرق والمطر والسّيل ..

وإنّ ما نلاحظه من تتبّع للموصوفات في المعلّقة، يدلّنا على أنّ الشّاعر لم يطنب كثيرا في الوصف ولم يذكر كل أجزاء الموصوف فهو حين أراد وصف المحبوبة وصف خصرها وترائبها ثمّ انتقل إلى خدّها وعينيها ثمّ نزل إلى جيدها ثمّ ارتقى إلى شعرها ثمّ هبط إلى كشحها وساقها ثمّ ذهب إلى الفراش ثمّ وصف يديها. وكذلك شأنه في الجواد فقد وصف خاصرتيه وساقيه ثمّ انتقل إلى ذنبه ثمّ وصف ظهره. فالشاعر لم يحط بالموصوف من كلّ جوانبه إحاطة تامة فلو أكمل وصف المرأة فوصف ثدييها وحديثها وأنفها وأسنانها وما شاكل ذلك لكانت الصّورة غاية في الكمال. وكذلك لو وصف أذني الجواد وجمجمته وحوافره لأصبحت الصورة تامّة، وقد يكون الشّاعر قد قصد إلى ذلك لأنّ الوصف يجيء وظيفيّا فلا يرد لمجرّد استعراض صفات الموصوف، وإنّما يكون محمّلا بدلالات أعمق، تتّصل بذات الشّاعر التي تطغى غنائيّتها ويتفاقم حجمها، فلا يُظهر من الأشياء من حوله إلاّ شذرات ومقاطع لا ترقى إلى الصّورة الكاملة.

4-لغة الوصف:

تتميّز لغة الوصف عند امرئ القيس بالجزالة، فيصف الخيل كأنّه ينحته من صخر صلد، ويصف المرأة فكأنّه يتحسّس منها الجسد ويشاكس مفاتنه، ويصف الطّبيعة فكأنّه يمزج فيها صخب الحياة وسكون الموت. ولذلك فإنّ معجم الوصف عند امرئ القيس، له خصائص تقرّبه من الأنموذج العربيّ في فنّ الوصف أحيانا، وتبعده عنها أحيانا أخرى:

أ-خصائص المعجم الوصفيّ:

يتميز معجم الوصف في المعلّقة باستعمال الموصوفات المتداولة في المنوال الشعريّ عند العرب في الجاهليّة، بما هو إدراك جماليّ للواقع وأساس لفنون الشّعر العربيّ التي تستقي ماهيتها المعرفيّة وينابيعها الأساسيّة منه. فالوعي الفنّيّ يكشف خبايا الأشياء ويظهرها بأساليب جماليّة واعية ، ذلك أنّ الأشياء لا تكتسب شعريّتها بقوّة وجودها، ولكنّ اللّغة الشّعريّة هي التي تحدّد مصائرها الجماليّة وتبعثها في أبعاد فنّيّة بمواصفات خاصّة. وامرؤ القيس يستعمل لغة الوصف لنقل ما يجول في خاطره وما يعنّ على فؤاده ، فيتحدّث عن لواعج حبّه لعنيزة وفاطم وأمّ الرّباب وغيرهنّ. ويصف المنازل التّي أخلاها الأحبّة والأودية التّي قطعها والجبال والمواضع التّي غمرتها السّيول. ومن المعجم المعتمد في الوصف نستشفّ معالم من الحياة التّي يعيشها الشّاعر حين نظم القصيدة ونلاحظ بعضا من مجونه ولهوه واجتيابه الصحاري والأودية ومطاردته الوحوش واتخاذه الأطعمة من لحومها، ونحو ذلك ممّا يدلّ على أنّ حياته تشبه حياة الصّعاليك والخلعاء.

ب-خصائص التّركيب النّحويّ:

تتميّز التّراكيب النّحويّة في المقاطع الوصفيّة في هذه المعلّقة بالتّنوّع والثّراء، وهي في العموم لم تخرج عن المألوف الفنّيّ الجاهليّ فنجد :

-التّراكيب الإسميّة: كانت في أغلبها متكوّنة من مبتدأ وخبر وهي التّراكيب المستعملة أكثر في الوصف :

مثال : "وبيضَةِ خِدْر لا يُرَامَ خِبَاؤُهَا"

-التّراكيب العطفيّة : كان استعمالها مكثّفا في المقاطع الوصفية خاصّة في وصف المحبوبة ووصف الخيل إذ تتتالى النعوت والصّفات وتتدفّق مشكّلة ملامح المحبوبة أو مميّزات الخيل:

"لَهُ أَيْطَلاَ ظبيٍ وساقَا نَعَامَةٍ وإِرْخَاءُ سَرحانَ وتَقْرِيبُ تَتْفُلِ" (الزوزني، شرح المعلّقات السّبع، 1986، ص45)

فجعل المبتدأ المؤخّر قائما على جملة من المعطوفات التّي تحدّد أجزاء الفرس .

ونجد أيضا ما يعرف بعطف البيان حين تتوالى النّعوت مشكّلة صورة شاملة للموصوف في دقّة مذهلة ووصف حاذق مثال ذلك:

"مُهَفْهَفَةٌ بيضاءُ غيرُ مُفَاضَةٍ"
"وفرعٍ يَزِينُ المتنَ أسودَ فاحِمٍ"

فقد انسابت النّعوت سريعة متتالية دون أداة ربط، بغاية تقريب الموصوف أكثر من ذهن المتقبّل وجعله يلمّ بجوانبه.

-التّراكيب النّعتيّة: وهي الأكثر تناسبا مع المقام الوصفيّ :

عبرَةٌ مُهْرَاقَةٌ - رسمٍ دَارِسٍ - كشحٍ لَطِيفٍ – أُنبُوبِ السَّقِيّ المُرَحَّلِ....

-التّراكيب الفعليّة: قامت هذه التّراكيب بوظيفة نقل الحركة خدمة لغرض الوصف، فالحركة تساعد المتقبّل في إدراك الصّفة **"فهي في ذلك قريبة من وظيفة التّراكيب الظّرفيّة التّي حددت ظرف الاتّصاف بالصّفة في حين حدّدت التّراكيب الفعليّة حركة تسند إلى الموصوف فيقوم فيؤدّي ذلك ضرورة إلى انجلاء الصّفة أمام العيان"** (عبد العظيم علي القناوي، الوصف في الشّعر العربيّ في القرن الثاني للهجرة، ص 147). ومثال ذلك :

" تَصُدُّ وتُبْدِي عن أَسِيلٍ وتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ" (الزوزني، شرح المعلّقات السّبع، 1986، ص 28)

فيصف الشاعر إعراض الحبيبة عنه وإظهارها خدّا أسيلا واستقباله بعين كعيون ظباء وجرة ومهاها اللّواتي لها أطفال لحنوّها وعطفها. وقام بحذف الموصوف وهو الخدّ واستعاض عنه بصفته "أسيل" لدلالتها عليه، كما حذف المضاف وأقام المضاف إليه مكانه: من "وحش وجرة" وهو يقصد نواظر وحش وجرة.

ج-الأساليب البلاغيّة:

يبدو شعر امرئ القيس عموما زاخرا بصنوف البلاغة محلّى بها، فما يميّز تجربته هو وعيه الفنّيّ في تشكيل التّشبيه وهو ما سنستهلّ به هذا المقطع:

ج.1-التّشبيه:

لقد أعطى امرؤ القيس التّشبيه في المعلّقة ألقا خاصّا فكشف ما تنطوي عليه الأشياء من شعريّة، وأظهرها بطريقة فنيّة واعية وعمد إلى الاستقراء الفنّيّ للواقع ، فالوصف إدراك جماليّ للواقع فكما قال ابن رشيق:**"الشّعر إلاّ أقلّه راجع إلى باب الوصف، وهومناسب للتّشبيه مشتمل عليه"** (ابن رشيق،العمدة في محاسن الشّعر، ط 4 1967 ج2، ص197). وقد حدّد أبو الهلال العسكريّ القيمة الجماليّة للتّشبيه بأربعة أوجه هي:**"إخراج ما لا تقع عليه الحاسّة على مل تقع عليه، وإخراج ما لم تجر به العادة إلى ما جرت عليه، وإخراج ما لا يعرف بالبديهة العقليّة إلى ما يعرف بها عن طريق التّمثيل، وإخراج ما لا قوّة له في الصّفة على ما له قوّة فيها"** (أبو الهلال العسكريّ، كتاب الصّناعتين، تحقيق، 1952 ص

240،242). ولعلّنا نلحظ مع امرئ القيس براعة كبرى في القياس وإيجاد العلاقات بين أطراف التّشبيه وهذا ما يعطيه عمقا معرفيّا يميّزه عن غيره من الشّعراء، فوصل معه إلى مرحلة النّضج الفنّيّ. و لقد أكثر الشّاعر من استعمال التّشابيه التّامّة فهو حين أراد التّغزّل بالمحبوبة شكّل تشبيهه على الإثبات من جهة والنّفي من جهة أخرى. كأن يقول: "مهفهفة بيضاء – غير مفاضة". وقام باعتماد ألفاظ تشترك في معجم النّظر فالمحبوبة مصقولة التّرائب "ترائبها مصقولة كالسّجنجل" فهي جالبة للنّظر لجمالها و اكتمالها، فترائب المرأة هي المشبّه المراد وصفه وبيان مقدار جماله، والسّجنجل وهي كلمة روميّة الأصل وتعني المرآة و هي هنا المشبّه به، ووجه الشّبه بينهما واضح جليّ للعيان فتماسك جسد المرأة كتماسك المرآة و بياضها وبريقها. ولعلّ الشّاعر بانتقائه لهذا المشبّه به يريد تشكيل صورة قصوى للجمال.

كما نلاحظ أنّ امرأ القيس وهو يورد تشابيه يفصّل القول في المشبّه ثمّ يوجز في المشبّه به فيقوم بتوضيح الصّورة أكثر. يقول:

"وفَرْعٍ يَزِيْنُ المَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِـمٍ أَثِيْثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِـلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص29)

فيربط المشبّه وهو شعر الحبيبة بمجموعة متتالية من الصّفات تقدّم صورة متكاملة ومتماسكة تجعل المتقبّل يلمّ بكلّ تفاصيله:

-دوره الجماليّ: يزين المتن

-لونه: أسود فاحم

-كثافته: أثيث

كما يطالعنا أيضا إطنابه في ذكر المشبّه به حيث يذكره ويعزّزه بآخر لتقريب الصّورة أكثر. يقول:

"وتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرَ شَثْنٍ كَأَنَّـهُ أَسَارِيْعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيْكُ إِسْحِلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص31)

فحين غاب وجه الشّبه أراد الشّاعر تعويضه بذكر مشبّهين بهما اثنين لعلّ الوصف يكون أكثر جلاء وأشدّ وقعا في نفوس المتلقّين. واستعمل كذلك أداة التّخيير "أو":

"أساريع ظبي أو مساويك اسحل"

فيشبّه أصابع يدي الحبيبة وهي تناوله الأشياء ببنان رخص ليّن ناعم غير غليظ وكأنّها نوع من دود البقل اتّسم بمشابهته لأنامل النّساء أو ضرب من المساويك المتّخذة من شجرة مخصوصة "اسحل".

كما حصر التّشبيه البليغ عند وصف الفرس فقام باستعارة صفات مميّزة لإلصاقها بالفرس للوصول إلى وصف مثاليّ لأنموذج الفرس المشتهى فقال:

" لَهُ أَيْطَلا ظَبْيٍ وَسَاقَا نَعَـامَةٍ وَإِرْخَاءُ سَرْحَانٍ وَتَقْرِيْبُ تَتْفُلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص9)

فأورد المشبّه وجعله في علاقة مباشرة بالمشبّه به دون ذكر للأداة أو وجه الشّبه فجعل خاصرتيه كخاصرتي الظّبي في الضمور وساقيه كساقي النّعامة انتصابا وطولا وعدوه كعدو الذّئب لسرعته وتقريبه كتقريب ولد الثّعلب في حركته أثناء العدو، ومن هنا تظهر براعة فارس أراد أن يشكّل النّمط المشتهى لفرسه بتقديم صورة مثاليّة له.

لقد أتقن الشّاعر اختيار ألفاظه من حقول دلاليّة تتناسب والوصف المراد تشكيله، فقد تضافرت البنية المعجميّة والمضمونيّة والجماليّة لإبداع التّشبيه. ولعلّ هذا العمق الذي يتّسم به التّشبيه عنده إنّما هو دليل على عمق الوعي الشّعريّ لديه، حتّى أنّه استطاع أن ينقل لنا الحالة النّفسيّة بتشبيه وقوفه أثناء ترحّل القوم بناقف الحنظل:

"كَأَنِّي غَدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمَّلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَاقِفُ حَنْظَلِ " (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص45)

يصف حيرته بعد تحمّلهم ووقفته كجاني الحنظل يثقفه بظفره لاستخراج حبّه.

ج.2-الاستعارة:

أكثر امرؤ القيس من الاستعارات في معلّقته خاصّة في وصفه اللّيل فاستعار "السّدول" للّيل، فوصف وحشة اللّيل وهو يلقي ستور ظلامه على الشّاعر فيزيده حزنا وغمّا.

كما استعار للّيل "صُلبا" واستعار لطوله لفظ "التّمطّي" ليلائم الصّلب واستعار لأوائله لفظ "الكلكل" و لآخيره لفظ "الإعجاز".

"فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِـهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَـازاً وَنَاءَ بِكَلْكَـلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص35)

يريد أنّ اللّيل لمّا تمطّى بطوله وناءت أوائله وازدادت أواخره تطاولا زاد ذلك الشّاعر حزنا و مقاساة.

ج3-الكناية:

تعدّ الكناية من ضروب البلاغة البارزة في هذه القصيدة خاصّة في التّشبيب بالمرأة حين يقول:

"وتُضْحِي فَتِيْتُ المِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَـا نَؤُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص31)

فيكنّي عن ثراء الحبيبة ورفعة منزلتها في قومها بكونها "نؤوم الضّحى"، فوصفها بالدّعة والنّعمة وخفض العيش وأنّها مخدومة منعّمة "لا تفيق إلاّ وفتيت المسك منشور فوق فراشها" .

5-أنماط الوصف و دلالاته:

أ-الوصف التّعدادي و الوصف القياسي:

غلب على المعلّقة الوصف القياسيّ فقد عقد امرؤ القيس جلّ المقاطع الوصفيّة: (وصف المحبوبة، وصف الدّيار، وصف الرّحلة و الرّاحلة، وصف البرق والمطر...) باعتماد تقنيّات التّشبيه بكل أنواعه فشبّه الحسّيّ بالحسّيّ، يقول:

"وواد كجوف العير قفر"، كما اعتمد الاستعارة والكناية، وهي التّقنيّات المحدثة للصّورة الوصفيّة والمنشئة للمجاز.

و لعلّ هذا المزج بين تقنيات مختلفة في الوصف يتلاءم وروح القصيدة ويعكس الغايات والدّلالات التي يروم الشّاعر تبليغها فكأنّنا به وهو ينتقل من موصوف إلى آخر دون وجود روابط فنّيّة أو منطقيّة ينقل لنا ملامح من حياته التي ملؤها اللّهو والمجون والانتقال من مكان إلى آخر بحثا عن المتعة.

ب-الوصف الثّابت و الوصف المتحرّك:

غلب على المعلّقة الوصف المتحرّك خاصّة حين نقل الشّاعر أطوار رحلته و انتقاله من مكان إلى مكان و بدا هذا جليّا في وصفه لحركة الفرس و افتنانه في تصوير سرعته فيأتي بالحركة ونقيضها في شكل متسارع و كأنّنا أمام فرس تطوي الأرض طيّا (وصف بصريّ):

"مكرّ مفرّ مقبل مدبر معا"

و تتجاوز دقّة الوصف عنده هذه المرحلة فينقل الموصوف من بيئة إلى بيئة أخرى مختلفة فيشبّه جري الخيل بالسّباحة، يقول:

"مَسَحٍّ إِذَا مَا السَّابِحَاتُ عَلَى الوَنَى أَثَرْنَ الغُبَـارَ بِالكَـدِيْدِ المُرَكَّلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص42)

فيقيم الشّاعر مقابلة بين فرسه "مسحّ" وهي صفة للخيل المنجرد، و بين بقيّة الخيل "السّوابح" التي تكلّ من الرّكض فتثير الغبار بمثل هذا الموضع.

كما نجد ملامح الوصف الثّابت متجلّية في الاستهلال الطّلليّ للمعلّقة فيصف الدّيار وهي مكان ثابت ويقوم بتعداد أسماء الأماكن "سقط اللّوى"، "الدّخول"، "حومل"، "توضح"، "المقراة"، ثمّ يعمد إلى وصف أجزاء هذا الموصوف "عرصاتها"، "قيعانها"، فينقل ما فعله الزّمن بهذه الدّيار وكيف غدت خالية من أهلها، وكيف سكنتها الظّباء ونثرت في ساحاتها بعرها.

ومن الممكن أن نلاحظ ممّا تقدّم ذكره أنّ الو صف في المعلّقة قام على مبدإ الحركة وهو ما يغذّي ديناميكيّة المقاطع الوصفيّة و يربط بينها وبين المقاطع السّرديّة لينقل الشّاعر أطوار قصّته، فقد نظم الشّاعر المعلّقة للحديث عن قصّته مع عنيزة ثمّ نقل وصف الجواد واللّيل والبرق والسّحاب ويجوز اعتبار

يوم الغدير سببا من جملة أسباب نظم القصيدة فحين كان الشّاعر مولعا بالشّعر استهلّ بالغزل وثنّى بقصّة الغدير لولعه بالتّشبيب بالنّساء وعزّز ذلك بوصف الجواد واستطرد إلى وصف الصّيد والطّبيعة.

ج- الوصف العام والوصف الجزئي:

تمثّل الوصف الجزئي في إتباع أجزاء الموصوف كلّ جزء على حدة ففي وصفه الخيل بدأ بوصف عامّ للفرس "منجرد قيد الأوابد هيكل" ثمّ مضى إلى تدقيق ملامح صورته: حركته، صلابته، لونه، ملمسه، نشاطه، خلقته، متنه، قوائمه، أضلعه، مهارته في الصّيد...

و هذا ما يمكن الاصطلاح عليه ب"الوصف بالقائمة "، فالشّاعر يشكّل إطارا وصفيّا يجمع بين عناصر منتمية إلى سجلّ وصفيّ واحد، و يمكن استجلاء ذلك أيضا من خلال وصفه للحبيبة كما في المجسّم التّالي:

وصف المحبوبة

الوصف العامّ	الوصف بالقائمة:
	-لون البشرة
-التّعداد:	-الجسد
كثرة النّعوت (مهفهفة، بيضاء، غير مفاضة)	-الخمر
-القياس:	-العيون
كثرة التّشابيه	-الجيد
	-الشّعر
	-اللّباس
	-الأنام

6- وظائف الوصف:

يضطلع الوصف في معلّقة امرئ القيس بوظائف أهمّها:

أ-الوظيفة التّعبيريّة:

نقل إلينا الشّاعر من خلال المقاطع الوصفيّة ما يختلج في فؤاده وصوّر ملامح حياته التي يميّزها البحث عن المتعة بكل أقطابها (المرأة – الصّيد – الفرس).

ب-الوظيفة التّعليميّة:

من خلال توثيق ملامح العصر الجاهليّ و حياة الجاهليّ في حلّه و ترحاله و ما يسبّبه هذا التّرحال الدّائم من تأثير في ذات الفرد وشعور بالغربة وأيضا علاقة الإنسان الجاهليّ بالزّمن خاصّة اللّيل الذي يتطاول ليعمّق حزن الشّاعر.

ج-الوظيفة الجماليّة:

ظهرت خاصّة من خلال توظيف تقنية التّشبيه وذلك بابتداع تشبيهات معقّدة فنّيّا، كانت بعيدة عن السّطحيّة لتكوّن الأساس المعرفيّ للجاهليّ في إدراكه طبيعة العالم المحيط به. وهذا الوعي هو منطلق في الاستدلال على الفرع البعيد الغائب بالأصل المعلوم القريب قياسا وتمثيلا وتشكيلا جماليّا.

المبحث الثّاني: التصوير في معلّقة امرئ القيس

1-مكوّنات الصّورة:

أ- التّراكيب الفعليّة والتّراكيب الإسميّة:

-التّراكيب الفعليّة:

غالبا ما تبدأ مقاطع التّصوير بتراكيب فعليّة:

المثال الأوّل: صورة الفرس حيث يبدأ المقطع بقوله: "وقد أغتدي والطّير في وكناتها". يقترن الفعل المضارع بـ"قد" التي تدلّ على أنّ الفعل ليس دائم التّحقّق ويقترن أيضا بـ"حال" في"والطّير في وكناتها" فكان استهلال تصوير الفرس بذكر هيئات وحال الفارس.

المثال الثّاني يكمن في المقطع"فعنّ لنا سرب"الذي يدلّ الفعل فيه على الظّهور المفاجئ لسرب من النّعاج وهو سيكون القادح لنقل صورة هذا السّرب فالشّاعر ينتقل من صورة إلى أخرى دون رابط بينها فتشكّل الصّورة لديه يرتبط بفعل المفاجأة بما يعنّ له في طريق الرّحلة.

أمّا المثال الثّالث فنجده في المقطع "أصاحي ترى برقا أريك وميضه" إذ يبدأ بفعل الرّؤية الذي يصبح وسيلة لتصوير العوامل الطّبيعيّة المرتبطة بالبرق والمطر والسّيول وغيرها من مكوّنات المشهد.

-التّراكيب الإسميّة: غلب عليها التّراكيب المبدوءة ب"كأنّ":

"كأنّ دماء الهاديات بنحره عصارة حنّاء بشيب مرجّل"

فيكون الخبر صورة مطابقة لصورة المبتدأ:

الصّورة الأولى = الصّورة الثّانية

(دماء الصّيد فوق نحر الفرس) (عصارة الحنّاء على الشّيب)

ب-الصّور البلاغيّة:

سنهتمّ في هذا القسم بدراسة التّراكيب البلاغيّة باعتبارها أساليب بيانيّة وصيغا تعبيريّة تساعد في تمثيل الأشياء وتصوير الموجودات ومن أهمّ الوجوه البيانيّة المطّردة في المعلّقة: التّشبيه والاستعارة، ونحن ملزمون هنا بتقصّي علاقة كلّ منهما بعمليّة التّصوير وإنتاج شعريّة الصّورة:

-التّشبيه:

كما سبق أن رأينا قيام الوصف على التّشبيه عند امرئ القيس سنرى الآن قيام الصّورة عليه. و هنا يحضرنا قول الجرجاني: **"فههنا لطيفة أخرى تعطيك للتّمثيل مثلا من طريق المشاهدة وذلك أنّك بالتّمثيل في حكم من يرى صّورة واحدة إلاّ أنّه يراها تارة في المرآة وتارة على ظاهر الأمر، وأمّا في التّشبيه الصّريح فإنّك ترى صورتين على الحقيقة"** (عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة،1991، ص 218).

و إذا كان الأمر كذلك استوجب اهتمامنا في هذا الفصل الإلمام بأكثر صنوف التّشبيه ملاءمة للتّصوير وهي بالأساس تشبيه التّمثيل والتشبيه الاستطراديّ. فأمّا الأوّل فيكون وجه الشّبه فيه صورة منتزعة من متعدّد:

"كَأَنَّ ثَبِيْراً فِي عَرَانِيْنِ وَبْلِهِ كَبِيْرُ أُنَاسٍ فِي بِجَادٍ مُزَمَّلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص54)

يمثّل الشّاعر في هذا البيت صورة الجبل في أوائل المطر بصورة سيّد القوم قد تلفّف بكساء مخطّط، فيكون وجه الشّبه هو الغطاء، وقد يتّسع البيت الواحد فيكفي الصّورة بعناصرها الأساسيّة، وقد يضيق فيتواصل التّشبيه في الأبيات التّالية كما هو الحال في المثال الأوّل وهو يرسم صورة المطر يغمر كلّ شيء فقد رسم أثره على قمم الجبال وحين لم يسعه البيت واصل في البيتين اللّاحقين:

"كَأَنَّ ذُرَى رَأْسِ المُجَيْمِرِ غُدْوَةً مِنَ السَّيْلِ وَالأَغْثَاءِ فَلْكَةُ مِغْزَلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص54)

فشبّه استدارة الأكمة المحاطة بأغثاء السّيل باستدارة فلكة المغزل، ثمّ انتقل إلى تصوير أثر المطر في صحراء الغبيط بإنباته الكلأ والنّبات والأزهار فصار نزول المطر كنزول التّاجر اليمانيّ الّذي ينشر الثّياب ويعرضها على المشترين:

"وَأَلْقَى بِصَحْرَاءِ الغَبِيْطِ بَعَاعَهُ نُزُوْلَ اليَمَانِي ذِي العِيَابِ المُحَمَّلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص55)

وما نلحظه من اقتران بين طول تشبيه التّمثيل وامتداده واتّصال أجزائه وبين ثراء الصّورة واكتنازها ومتانتها واكتمالها يؤكّد قدرة الشّاعر على الإيغال في كون الموصوفات فتارة تسترسل الصّورة وتتمدّد وتارة تستوي وتتشكّل في بيت واحد فتكون ما يسمّى "بالصّورة الومضة". مثال ذلك قوله:

"تَرَى بَعَرَ الأَرْآمِ فِي عَرَصَاتِهَا وَقِيْعَانِهَا كَأَنَّهُ حَبُّ فُلْفُلِ" ((الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص9)

نقل لصورة بصريّة مستمدّة من العين المجرّدة تتلاءم و مميّزات الصّورة الفوتوغرافيّة. لقد تضافرت هذه الأضرب من التّشابيه لإقامة أركان الصّورة وحياكة نسيجها وأكسبتها ثراء ومتانة وهذا خير دليل على أنّ تشبيه التّمثيل آليّة أساسيّة من آليّات إنتاج الصّور الشّعريّة.

وأمّا الثّاني فهو تشبيه الاستطراد فبينما يصوّر الشّاعر موضوعا معيّنا تجده ينتقل إلى موضوع آخر وقد يكون الأوّل سببا للثّاني وهذا ما يخوّل للشّاعر الانتقال من تصوير الحبيبة إلى تصوير الفرس فالصّيد، فالوحش، فالبرق. فنلاحظ في الخروج وعدم الاقتصار على موصوف بعينه إلى عناصر أخرى وضع إطار شامل لقصّة مصوّرة تتعدّد مشاهدها فكأنّنا أمام مشاهد سينمائيّة متلاحقة فيتّسع مجال التّصوير ويتطوّر حتّى يُمسي مشاهد حيّة متحرّكة ولقطات مترابطة متوالدة. وممّا يميّز التّشابيه الاستطراديّة كثرة الأفعال النّاقلة للحركة وللأحداث المصوّرة (فعنّ، فأدبرن، فأدبرن، فألحقنا، فعاد، ورحنا، فبات...)، فتتسارع الحركة يغذّيها حرف الفاء الدّال على السّرعة لتتكاثر النّعوت "الجزع المفصّل"، "جيد معمّ"، صرّة لم تزيّل"، "قدير معجّل".

-الاستعارة:

تكمن مزيّة الاستعارة في قدرتها على إخراج الأشياء من الوجود بالقوّة إلى الوجود بالفعل فيجعلها متاحة للعيان ويبعث الحياة فيها فيحرّك الجامد ويبعث النّشاط في السّاكن. يقول الجرجاني في أسرار البلاغة:

"فإنّك لترى بها الجماد حيّا ناطقا والأعجم فصيحا والأجسام الخرس مبينة والمعاني الخفيّة بادية جليّة." (عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، ص 41)

واعتمد امرؤ القيس الاستعارة التّصريحيّة لتحويل معان مجرّدة إلى مدرك حسّي بصريّ، يقول:

"وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُوْلَهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُوْمِ لِيَبْتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَازاً وَنَاءَ بِكَلْكَلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص34-35)

فأعطى للّيل صدرا ومؤخّرة ليصوّر فعل اللّيل فيه وتأجيجه لمشاعر الحزن عنده فحوّل ما هو مجرّد "الشّعور" إلى ما هو محسوس "حركة الإقبال والأرداف".

2-متممات الصورة:

أ-الإطار العام للصورة:

تحديد مقام التّصوير ورسم الإطار الطّبيعي الحاضن للصّورة:

-الزّمان: أشار إليه الشّاعر بقرائن دالّة عليه مثل "و يوم" و"و ليل" و"وقد أغتدي" و"ألا ربّ يوم" و"ويوم عقرت للعذارى" و"و يوم دخلت" وغيرها.

-المكان: يعدّد الشّاعر الأماكن فيذكر "سقط اللّوى"، "الدّخول"، "حومل"، توضح"، "المقراة".

-الأحوال: يورد الشّاعر الكثير من الأحوال مثل "وقد مال الغبيط بنا معا"، "قد نضّت ليوم ثيابها"، "تجرّ وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحّل".

-الهيئات: اهتمّ الشّاعر خاصّة بإبراز هيئة الفرس (كرّه، فرّه، إقباله، إدباره، عدوه، ملامحه).

ب-النّعوت:

جاءت النّعوت تتمّة للصّورة الشّعريّة ورسما لملامح المنعوت وقد ورد النّعت في أشكال نحويّة مختلفة:

-تركيب نعتيّ: "ملاءة مذبّل"، "شيب مرجّل"،...

-تركيب عطفيّ: "أيطلا ظبي وساقا نعامة وإرخاء سرحان وتقريب تتفل"

-تركيب إضافيّ: "مداك عروس، صلابة حنظل"، "ذي العياب المحمّل"

-تركيب إسناديّ: "ليس بأعزل"

-تركيب بالجرّ: "في صرّة لم تزيّل"

إنّ النّعوت كانت بمثابة متمّمات للصّور الشّعريّة في المعلّقة فحقّقت اكتمال مقوماتها واستيفاء أجزائها ومكوّناتها فحين ترى تراكيب إسناديّة تنقل الحركات والأحوال وحين ترد تراكيب إسميّة ترسم الهيئات والملامح.

3-مقوّمات الصّورة:

أ-نظام الفضاء:

-تشكيل الفضاء:

يتشكّل الفضاء في الصّورة الشّعريّة من خلال تعريج الشّاعر على الأشكال والأحجام والخطوط والدّوائر، فهي دعائم إلى جانب الألوان تقوم عليها الصّورة، وينسج بواسطتها المصوّر تضاريس المكان وتضاريس القصيدة نفسها. فحين يقول:

"فَتُوْضِحَ فَالمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُه لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص9)

يبرز فعل الرّياح في المكان واختلاف الرّيحين، ريح الجنوب وريح الشّمال، عليه فتستر إحداهما التّراب وتكشف الأخرى التّراب عنه. فالرّسم لم يذهب أثره لأنّه إذا غطّته إحدى الرّيحين كشفته الأخرى وتركته بارزا للعيان، شاهدا على رحيل المحبوبة. فهذه الخطوط والمعالم وأشكال الطّلل الدّارس تظلّ

خالدة في مواجهة عوامل الطّبيعة، تأبى الزّوال والإندثار. إنّ مشهد الطّلل يمثّل المساحة الخلفيّة التي تتحرّك أمامها الشّخوص ويتنامى إزاءها السّرد. ولقد احتفى امرؤ القيس بالأحجام والأشكال. ولعلّ الضّخامة والطّول والإمتلاء تعتبر أهمّ مميّزات الصّورة لديه. فجلّ الكائنات المصوّرة هي كبيرة الحجم، عظيمة الجرم، لاسيّما الإبل والخيل والوحوش، فحين يقول:

"وَقَدْ أَغْتَدِي والطَّيْرُ فِي وُكُنَاتِهَا بِمُنْجَرِدٍ قَيْدِ الأَوَابِدِ هَيْكَلِ
مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعًا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص39-40)

فهو يغتدي والطّير بعد مستقرّة في أوكارها على فرسه الذي يتميّز بالسّرعة والضّخامة فيقيّد الوحوش (الأوابد) و يدركها لسرعته فهو لها بمثابة القيد لأنّها لا يمكنها الفوت منه، وهو (هيكل)، ضخم، عظيم الجرم.

و في البيت الثّاني يشبّه الفرس بحجر عظيم ألقاه السّيل من مكان عال إلى حضيض. وصور الضخامة وكبر الحجم تدخل الرّعب في نفس المتلقّي في مشاهد بانوراميّة panoramiques حسب مصطلحات التقنيّات السّينماتوغرافيّة les techniques cinématographique.

فالنّاظر للخيل يكاد يدرك بأنّها تستأثر بفضاء الصّورة خصوصا وأنّ الشّاعر قد استعار لفرسه صورة الهيكل أي البناء المرتفع. فنجد أنّ الصّورة تحتفي بالطّول والارتفاع والسّموق إلى جانب الضّخامة فتهيمن بذلك العناصر المصوّرة على الفضاء.

ويذهب "أبو هلال العسكري" إلى الجزم بأنّ الصّورة الاستعاريّة أبلغ من الحقيقة، إذ يقول في "كتاب الصّناعتين: الكتابة والشّعر": "الاستعارة أبلغ لأنّ القيد (في بيت امرئ القيس)، من أعلى مراتب المنع عن التّصرّف"

-الامتلاء:

و يعدّ الامتلاء صفة أخرى لهذه الأشكال والأحجام المذكورة، وقد اتّسمت بها النّوق والمرأة. ولقد استأثر جسد المرأة بالنّصيب الأكبر من هذه الصّور، يقول:

"هَصَرْتُ بِفَوْدَي رَأْسِهَا فَتَمَايَلَتْ عَلَيَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص26)

فعندما خرج الشّاعر من الحلة وأمن الرّقباء جذب ذؤابتيها فطاوعته فيما رام منها ومالت عليه بخصرها (كشح) وساقيها الممتلئتين باللّحم (ريّا المخلخل)، فموضع الخلخال منها مرتو مكتنز. و حتى ضمور الكشح في حدّ ذاته هو دليل على امتلاء الرّدف والجنبين والوركين.

و يعدّ الامتلاء خاصّيّة من خاصّيّات الفرس أيضا فحين يقول:

" كَمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَنَزَّلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص41)

فهو يصوّر الفرس الكميت يزلّ لبده عن متنه لانملاس ظهره و اكتناز لحمه، كما يزلّ الحجر الصّلب الأملس المطر النّازل عليه.

-اللّون:

يحظى اللّون بمكانة بارزة من الصّورة حتّى أنّها لا تستقيم مقاربتها بمعزل عن اللّون. و لقد وقف القدامى على حقيقة هذه الوشيجة بين اللّون و الصّورة فلقد قال عنها أرسطو: "المرئيّ هو في الواقع اللّون" (ابن رشد، الشّرح الكبير لكتاب أرسطو، قرطاج، 1997، ص145). ولقد استعمل امرؤ القيس العديد من الدّوالّ اللّونيّة من بياض وصفرة وسواد، فارتبط البياض لديه بالمرأة، يقول:

"مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ
كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضَ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص27)

لون البشرة صفته البياض، وهو ليس بياضا عاديّا بل هو لامع لمعان المرآة ويظهر في موضع القلادة من الصّدر (التّرائب) و هو "مصقول" برّاق اللّون متلألئ الصّفاء كتلألئ المرآة.

و في البيت الموالي شبّه لون العشيقة بلون بيض النّعام فهو بياض تخالطه صفرة وقد غذّاها ماء نمير عذب صاف، و البياض الذي شابته صفرة هو أحسن ألوان النّساء عند العرب.

أمّا اللّون الأسود فيتّصل بإظهار دلائل الجمال وخاصّة في إبراز لون الشّعر، يقول:

"وَفَرْعٍ يَزِينُ المَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص29)

صوّر الشّعر (الفرع) على أنّه "أسود فاحم" فهو ليس سوادا وحسب بل هو سواد شديد كأنّه الفحم فاللّون هنا يدلّ على الكثافة والعمق وهو من مظاهر الجمال المتعارف عليها عند العرب.

وارتبط اللّون الأحمر الّذي يخالطه السّواد بلون الخيل، يقول:

" كَمَيْتٍ يَزِلُّ اللَّبْدُ عَنْ حَالِ مَتْنِهِ كَمَا زَلَّتِ الصَّفْوَاءُ بِالْمُتَنَزَّلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص41)

استعمل اللّون الأحمر (الكميت) على وجه التّعظيم والتّهويل وتصوير صولة الفرس في الحرب وبأسه في القتال.

و هكذا تتراكب الألوان و تمتازج و تجتمع في تعارض عجيب يمنحها إضاءة داخليّة وإشراقا أحينا ويغرقها في سواد وعتمة أحيانا أخرى فتتلوّن الصّور المتتابعة خلال تلابيب القصيدة.

ب-نظام الحركة:

تعتبر الحركة مقوّما من مقوّمات الصّورة وبعدا أساسيّا من أبعادها. يقول جون بورجوس Jean Burgos "تعرف الصّورة أوّلا بحركيّتها وهي حركيّة تعصمها من أن تنغلق على نفسها أو أن تتقيّد بمعنى يجعلها تكتفي بمرتبة الرّمز ويحنّطها على الصّورة (Jean Burgos, Pour une poétique de l'imaginaire, 1982, p69-70) اوتقع الحركة في الفضاء المصوّر وهي تساهم في واقعيّة المشهد.

و تختلف الحركة في المعلّقة من حركة سريعة وقويّة، إلى حركة بطيئة ثقيلة، إلى حركة تكاد تقف على الثّبات.

فلقد أفعم امرؤ القيس صوره بلوحات غاية في الحركيّة فتطّرد معاني السّبق والمطاردة والقتال والكرّ والفرّ في معلّقته. يقول:

"مِكَرٍّ مِفَرٍّ مُقْبِلٍ مُدْبِرٍ مَعـًا كَجُلْمُودِ صَخْرٍ حَطَّهُ السَّيْلُ مِنْ عَلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص41)

يصوّر حركة نزول الفرس من مرتفع في إقبال وإدبار مجتمعان في ذات اللّحظة دليل على القوّة والسّرعة والبأس والصّلابة. ولقد حشد امرؤ القيس لهذه الصّورة من صيغ المبالغة الدّالّة على الحركة ما يجعلها تزخر بالحياة والحركيّة. وانتقى لها فعل (حطّ) للتّدليل على قوّة حركة السّقوط من أعلى. ثمّ تتباطأ الحركة و تثقل في قوله:

"فَقُلْتُ لَهُ لَمَّا تَمَطَّى بِصُلْبِـهِ وَأَرْدَفَ أَعْجَـازاً وَنَاءَ بِكَلْكَـلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص35)

تنطلق الحركة بفعل التّمطّي أي التّمدّد والتّطاول ولقد استعار الشّاعر للّيل صلبا واستعار لأوائله لفظ "الكلكل" بمعنى الصّدر ولمآخيره لفظ "الأعجاز"، و ذلك دليل على أنّ اللّيل أفرط طوله وناءت أوائله زادت أواخره. و هو بهذه الصّورة يعبّر عن طول الحزن واستحكام الأسى به. وقد تتوقّف الحركة ليراوح كلّ شيء مكانه في قوله:

"ولَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُدُوْلَـهُ عَلَيَّ بِأَنْوَاعِ الهُمُوْمِ لِيَبْتَلِـي" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص35)

لقد شبّه ظلام اللّيل في هوله بأمواج البحر التي ترتطم بنفس المكان وتظلّ تبعد وتقترب بغير نهاية أو تطوّر لهذه الحركة، فهي تكرّر الفعل ذاته بالصّفة ذاتها إمعانا في أسى الشّاعر وحزنه.

وهكذا تصبح الصّور دالّة على حالة الشّاعر النّفسيّة، محمّلة بمعاني الحياة والحركة.

4-دلالات الصّورة وأنساقها:

إنّ استقراء الصّورة الشّعريّة يبرز لنا العناصر الدّلاليّة التي تقوم عليها والّتي تؤدّي إلى إثبات العلاقة بين عمل التّصوير وصناعة المعنى. ولقد اعتبر عبد القاهر الجرجاني أنّ "على ضربين ضرب أنت تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده... و ضرب آخر أنت لا تصل منه إلى الغرض بدلالة اللّفظ وحده و لكن يدلّك اللّفظ على معناه الّذي يقتضيه موضوعه في اللّغة، ثمّ تجد لذلك المعنى دلالة ثانية تصل بها إلى الغرض. ومدار هذا الأمر على الكناية والاستعارة والتّمثيل." (عبد القاهر الجرجاني،دلائل الإعجاز، 1989، ص. 262)

و لقد ارتبطت الصّورة بالتّمثيل la représentation كما ارتبطت بالتّأويل l'interprétation فالصّورة تعبّر عن تجربة حسّيّة من ناحية وهي أيضا تعبير عن الوعي الذّاتيّ للإنسان في مواجهة غيره من المخلوقات، من ناحية أخرى. و تبعا لذلك فإنّ القصيدة لم تكن محاكاة لأفعال متكرّرة في الزّمن، ولا تمثيلا لمظاهر الواقع والطّبيعة فحسب، بل كانت تجسيدا لمعاناة الشّاعر الوجوديّة والتي هي في الواقع معاناة الجاهليّ بصفة عامّة وأزمته مع بيئته الصّحراويّة القاسية والتي أفضت به إلى أزمة وجوديّة.

و لعلّ دلائل الصّورة تظهر خاصّة عندما تطرح علاقة الإنسان بالزّمن فهو وحيد في مواجهة الزّمن العاتي، السّالب للشّباب والحيويّة والمؤدّي إلى الموت والمجهول ولذلك فإنّ السّياق الشّعريّ لم يكن إلاّ سعيا متواصلا لتخطّي المسار الزّمنيّ عبر الصّياغة اللّغويّة فجاءت اللّغة الشّعريّة بعيدة عن اللّغة التّقريريّة المباشرة وجانحة إلى التّعبير عبر الصّور الشّعريّة. فكان مشهد السّيل في المعلّقة مثلا بمثابة إعادة إدخال للمغامرة الفرديّة في الدّورة الكونيّة ويقدّمها من زاوية رؤية فنيّة تكشف علاقة الإنسان بمظاهر وجوده الخارجيّ وتكشف عن قدرة الشّاعر على تطويع اللّغة وتحويلها إلى أداة فنيّة في عمليّة الخلق والإبداع.

وإنّ في مطلع المعلّقة دليل على هذا الصّراع الدّاخليّ مع الزّمن الذي ما فتئ يعيشه الشّاعر، فحين يقول:

" **قفا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِل بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُولِ فَحَوْمَلِ**" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص8)

فإنّه يفترض وجود حركة يريد الشّاعر أن يوقفها، و هذه الحركة هي سيرورة الزّمن ليحقّق انتصاره الفنّيّ عليه فيجمّده في لحظة إبداعيّة تتخطّى فعله المدمّر. فالشّعر، من خلال الصّورة، يخلق زمانه الفنّيّ الخاصّ به و يهبه إيقاعا مغايرا لإيقاع الزّمن المتحكّم بالحياة اليوميّة، الآسرة للإنسان.

إنّ الوقوف في هذه الصّورة، هو وقوف ينطوي على الشّعور بالرّهبة والاحترام. فالإنسان يقف أمام القوى الخارقة التي يعبدها أو يخافها، ومن هنا يصبح الوقوف على الطّلل ذا أهمّيّة من حيث أنّه صورة الزّمن الذي يسلب الحياة من الإنسان والحيوان والأرض، فانتصب أمامه واقفا يملأ قلبه الأسى. ويتعزّز هذا المعنى بأنّ الوقوف يكون فعلا جماعيّا (قفا).

أمّا البكاء فهو دلالة أخرى من دلالات الصّورة يشي باحتباس الماء، فهي مأساة الجدب والتّصحّر الذي حوّل الحياة إلى حياة رعويّة بدويّة قاسية وحوّل حياة الإنسان إلى ترحال دائم وفراق متواصل للأحبّة وللأمكنة.

غيرأنّ البيت الموالي:

"فَتُوْضِحَ فَالمِقْراةِ لَمْ يَعْفُ رَسْمُها لِمَا نَسَجَتْهَا مِنْ جَنُوبٍ وشَمْأَل" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص9)

يقلب الصّورة فلو علمنا أنّ "المقراة"، والتي هي اسم مكان بعينه، من معانيها: (ما جمع فيه الماء فنقول قريت الماء إذا جمعته)، فإنّنا نقف على أنّ الشّاعر يستلهم الأضداد، فمن قلب الجدب واليباس يتفجّر الماء فيحقّق الخصب ولو باللّغة وبالوعي الإنسانيّ الرّافض الاستسلام للموت.

من هنا نرى أنّ صورة الطّلل في معلّقة امرئ القيس لا يسيطر عليها الجفاف المطلق والموات التّامّ بل تتجاور فيها صورتان، صورة اليباب الخارجيّ وصورة الخصب الدّاخليّ التي يولّدها وعي الإنسان. فتجيء الاستعارة، استعارة رياح الشّمال ورياح الجنوب اللّتان تكامل دورهما في حفظ الطّلل، لتزعزع السّياق العاديّ للّغة، وتبدع الصّورة الشّعريّة وتكسب المعاني المحدّدة للكلمات دلالات مفتوحة فتعيد الذّاكرة بناء معالم الدّيار الزّائلة وترسم "ساحاتها" و "قيعانها".

و هكذا نستنتج بأنّ الأنساق التّصويريّة التي تجليها أبيات هذه المعلّقة هي أنساق استعاريّة بالأساس فكثير من المفاهيم والأشياء والقيم ندركها من خلال تصوّرات أخرى اختار الشّاعر أن يقدّمها معمّاة وملفوفة في تلابيب الاستعارة. فجاءت صور الماء والمطر والرّحلة موحية بسياق فنّيّ له منطقه الخاصّ.

5-وظائف الصورة:

أ-الوظيفة الجماليّة:

إنّ الوظيفة التي عقدت للشّعر خاصّة هي وظيفة جماليّة فنّيّة فتواترت أوصاف لدى النّقّاد العرب القدامى مثل: "الحلاوة" و"الطّلاوة" و"الحسن" و"العذوبة" و"الملاحة" و"الرّقّة" وغيرها من العبارات التي إن أكّدت على شيء فإنّما تؤكّد على الجماليّة :"إنّ الوظيفة الجماليّة لا تقتصر على مجرّد تجميل الموصوف أو تزيين القصيدة أو البرهنة على المقدرة والبراعة اللّغويّة، وإنّما تتجاوزه إلى جماليّة في جوهر البناء الوصفيّ وصميم النّظم الهيكليّ واللّفظيّ للمقطع مبنى ومعنى" (بسمة نهى الشّاوش، وصف الحيوان في الشّعر

الجاهلي، 2009، ص819). وهذا الأمر يصحّ أيضا على الصّورة التي تتجاوز وظيفتها الجماليّة من مجرّد التّزيين والإبهار والدّهشة والألوان والأشكال والحركة إلى جوهر البناء التّعبيريّ نفسه، إذ تصبح عمليّة التّصوير إبرازا لزوايا ما كانت لتبرز لو لا عين الشّاعر التي تتجوّل في الموصوف مثل عدسة الكاميرا، لتتوقّف عند كلّ زواياه ليقدّم لوحة متكاملة الألوان والأشكال و الأضواء ولا أدلّ على ذلك من قول امرئ القيس في تصوير زوايا جسد المرأة:

"هَصَرْتُ بِفَوْدَي رَأْسِهَا فَتَمَايَلَتْ عَلَيَّ هَضِيمَ الكَشْحِ رَيَّا المُخَلْخَلِ
مُهَفْهَفَةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِبُهَا مَصْقُولَةٌ كَالسَّجَنْجَلِ
كَبِكْرِ المُقَانَاةِ البَيَاضِ بِصُفْرَةٍ غَذَاهَا نَمِيرُ المَاءِ غَيْرُ المُحَلَّلِ
تَصُدُّ وتُبْدِي عَنْ أَسِيلٍ وَتَتَّقِي بِنَاظِرَةٍ مِنْ وَحْشِ وَجْرَةَ مُطْفِلِ
وجِيدٍ كَجِيدِ الرِّئْمِ لَيْسَ بِفَاحِشٍ إِذَا هِيَ نَصَّتْهُ وَلَا بِمُعَطَّلِ
وفَرْعٍ يَزِينُ المَتْنَ أَسْوَدَ فَاحِمٍ أَثِيثٍ كَقِنْوِ النَّخْلَةِ المُتَعَثْكِلِ
غَدَائِرُهُ مُسْتَشْزِرَاتٌ إِلَى العُلَا تَضِلُّ العِقَاصُ فِي مُثَنًّى وَمُرْسَلِ
وكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالجَدِيلِ مُخَصَّرٍ وسَاقٍ كَأُنْبُوبِ السَّقِيِّ المُذَلَّلِ
وتُضْحِي فَتِيتُ المِسْكِ فَوْقَ فِرَاشِهَا نَؤُومُ الضُّحَى لَمْ تَنْتَطِقْ عَنْ تَفَضُّلِ
وتَعْطُو بِرَخْصٍ غَيْرِ شَثْنٍ كَأَنَّهُ أَسَارِيعُ ظَبْيٍ أَوْ مَسَاوِيكُ إِسْحِلِ
تُضِيءُ الظَّلَامَ بِالعِشَاءِ كَأَنَّهَا مَنَارَةُ مُمْسَى رَاهِبٍ مُتَبَتِّلِ" (الزوزني، شرح المعلقات السبع، 1986، ص31-32)

ففي حين يصور في البيت الأوّل جمال خصرها واكتناز مخلخلها وامتلائه ينتقل في البيت الذي يليه إلى تصوير صدرها وموضع القلادة منه فيبرز صفاءه وامتلاءه وتلألؤه كتلألئ المرآة. ثمّ تمرّ الكاميرا على كامل الجسد لتلتقط لونه الذي يمتزج فيه البياض بالصّفار في البيت الثّالث من هذا المقطع. وينتقل إلى تصوير نظرتها المعرضة عنه والتي يشبّهها بعيون ظبية "مطفل" وذلك لحسن عيونها وهي ترمق أولادها بشفقة وعطف. ويعود إلى تصوير جيدها الذي يشبّهه بالظّبي شديد البياض. ويمضي في التّوّ إلى الشّعر الفحم شديد السّواد. ويمتدّ تصوير الشّعر على بيتين ليتوقّف عند لونه وكثافته وخصلاته وعقائصه. ويفاجئنا بعودة سريعة إلى الخصر والسّاق التي ابتدأ المقطع بتصويرها. وبعد الحديث عن عاداتها في النّوم وتضوّع المسك من مناطقها يعود مارّا بأناملها إلى تصوير لمعانها وضيائها.

نستخلص من خلال هذا المقطع طريقة امرئ القيس في التّصوير التي لا تتمّ على نظام معيّن أو تدرّج محكم بل إنّ الكاميرا تنتقل من جزء من أجزاء الجسد إلى آخر ثمّ قد يعنّ له أحيانا أن يعود إلى نفس الجزء ليأخذه من زاوية مختلفة.

ب-الوظيفة التّعبيريّة:

حين قال آن نيكولا Anne Nicolas "إنّ الممارسة الوصفيّة هي عبارة عن قراءة الذّات للعالم، وتصوّر الواصف للطّبيعة و اللّغة" (Anne Nicolas, une économie de la violence, la description) أكّد على أهمّيّة هذه الوظيفة بالنّسبة للوصف، غير أنّ الدّارس للصّورة الشّعريّة يمكنه أن يلاحظ أنّ الوظيفة التّعبيرية تكون أكثر وضوحا وجلاء في التّصوير. وذلك لأنّ الذّات حاضرة بكلّيّتها فتصبح محورا تدور حوله عمليّة التّصوير لتتحوّل إلى كشف عمّا يعتمل في نفس الشّاعر من أحاسيس الحبّ والخوف والذّعر والألم والأمل والفرح والحزن، فتكون الصّورة ضربا من البوح بمكنون النّفس ورسما لملامح الذّات التي إمّا أن تكون، على حدّ تعبير بسمة نهى الشّاوش، ذاتا منتشية أو ذاتا محبطة أو ذاتا متفجّعة. ولعلّ الغالب على معلّقة امرئ القيس هو ملامح الذّات المحبطة التي تعاني معاناة حادّة أزمة الوجود الإنسانيّ، ولا أدلّ على ذلك من تشتّت الصّور في المعلّقة وتناقض الأجواء العاطفيّة والنّفسيّة السّائدة فيها. حتّى أنّ معلّقة امرئ القيس كانت محلّ اتّهام بالتّفكّك والاضطراب، بل إنّها المثل الذي يضرب على انعدام الوحدة في الشّعر الجاهليّ ورأينا طه حسين (طه حسين، في الشعر الجاهلي، 1997) يعرض تماما عن شعر امرئ القيس في حديث الأربعاء ويرى في معلّقته ذروة التّكلّف والتّعمّل اللذين لم يعرف لهما الشّعر العربيّ مثيلا في كتابه في الشّعر الجاهلي، وقد يعزى افتقار معلّقة امرئ القيس "للوحدة العضويّة" أنّها اعتمدت في تشبيهاتها على التّصوير المنظور، وعلى التقاط صور متتابعة لا ينظمها خيط واحد ولا يرتبط بعضها ببعض، غير أنّه وإن وردت أوصاف المرأة وأوصاف اللّيل والخيل ووصف الغيث في نهاية المعلّقة أوصافا حسّيّة فهي تتجاوز التّجسيد للمرئيّات إلى التّعبير عن الصّراع المستمرّ من أجل الحياة وهو ما يكشف عن خصوصيّة الوحدة الفنّيّة للقصيدة التي تتحكّم في الشّتات الظّاهريّ للصّور المتداخلة على جسد النّصّ.

الخاتمة:

لئن اعتبر الشّعر فنّا أداته الألفاظ والموسيقى والتعبير عن التّجارب الإنسانيّة وعمّا يحسّه الشّاعر من انفعالات إزاء مشاهد الكون المحيطة به فإنّ هذا الفنّ شكّل مصدرا ومنبعاً للصّور الفنّيّة والخيال الجامح الذي وجد صداه في معاني الوصف والتّصوير في المدوّنة الجاهليّة التي جاءت نتاجا للبيئة الصّحراوية المحيطة من سماء وسحاب وشمس محرقة وأمطار نادرة وليل طويل بارد شكّلت كلّها كنزا تعبيريّا اغترف منه الشّعراء الجاهليّون على الرّغم من محدوديّة تنوّعها وانتزعوا منها صورا تشبيهيّة فريدة فقدموا لنا وصفا حسّيا نفخوا فيه الكثير من الحركة والحياة.

و تقدّم معلّقة امرئ القيس رؤية فنّيّة وتعبيرا رمزيّا استلهم الصّور الشّعريّة وتوسّل بالوصف لتوليد الدّلالات فلم يكن إبداع التّشابه والاستعارات قائما على مشابهات حقيقيّة للأشياء ولعناصر الطّبيعة

بقدر ما كان طاقة إيحائيّة تفجّر المعاني الكامنة في نفس الشّاعر وتعيد صياغة اللّغة الشّعريّة لتعيد إنتاج التّجربة الإنسانيّة. ولعلّ اضطراب الصّور في المعلّقة وتداخل الأوصاف وغياب الخيط اللّاحم بين مختلف مقاطعها الوصفيّة لا يحيل إلاّ على تمزّق الشّاعر بين ذواته التي تنتشي حينا وتحبط حينا آخر. ولعلّ هذا التّفكّك في أواصر النّصّ الشّعريّ تقابله وحدة فنّيّة متماسكة تحكم جميع أبياتها وأجزائها وأجوائها المختلفة قوامها التّعبير الرّمزيّ عن الحياة وخلق واقع شعريّ جديد تصبح فيه الصّورة عنصرا في نسيج إبداعيّ متكامل.

المصادر والمراجع:

المصادر:

- الزوزني (أبو عبد الله الحسين بن أحمد)، شرح المعلّقات السّبع، دار الفكر للطّباعة و النّشر و التّوزيع، تونس، 1986

المراجع العربيّة:

- ابن جعفر (قدامة)، نقد الشّعر، تحقيق وتعليق محمد عبد المنعم خفاجي، دار الكتب العلميّة، بيروت، لبنان، (د.ت)

-ابن خلدون: المقدّمة

-ابن رشد، الشّرح الكبير لكتاب أرسطو، قرطاج، تونس، 1997

- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشّعر و آدابه، تحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، مطبعة حجازي، القاهرة، جزآن، ط1، 1934

- القناوي (عبد العظيم علي)، الوصف في الشّعر العربي، شركة مكتبة و مطبعة مصطفى البابي الحلبي و أولاده بمصر، ط1، 1949

- القرطاجني (حازم)، منهاج البلغاء و سراج الأدباء، تقديم و تحقيق محمد جميل ابن الخوجة، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ط3، 1986

-أبو حيّان التّوحيدي، المقابسات، العمدة في محاسن الشّعر،تحقيق محمد محيي الدّين عبد الحميد دار الجيل ،بيروت، ط 4 1967 ج2

-أبو الهلال العسكريّ، كتاب الصّناعتين، تحقيق محمّد البجاويّ ومحمّد أبو الفضل، دار إحياء الكتب العربيّة، القاهرة، 1952

-بسمة نهى الشّاوش، وصف الحيوان في الشّعر الجاهلي، جامعة تونس كلّيّة العلوم الإنسانية والاجتماعيّة، تونس، 2009

-حسين (طه)، في الشعر الجاهلي، دار المعارف للطّباعة و النّشر، تونس، سوسة، 1997-

- الجنديّ (سليم): امرؤ القيس حياته وشعره،بيروت دار الهجرة 1987
-عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة، شرح و تعليق و تحقيق محمد عبد المنعم خفاجي و عبد العزيز شرف، دار الجيل، لبنان، بيروت، ط1، 1991
-عوض (ريتا): بنية القصيدة الجاهليّة :الصّورة الشّعريّة لدى امرؤ القيس، بيروت، دار الآداب 1992
- روميّة (وهب)، شعرنا القديم و النّقد الجديد، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثّقافة و الفنون و الآداب، الكويت، مارس 1996

المعاجم:

- ابن منظور، لسان العرب، ضبط و تعليق خالد رشيد القاضي، مركز الموسوعات تونس، 2006، ط1،
- المعجم الوسيط، دار أمواج للطّباعة و النّشر و التّوزيع، بيروت، ط2، 1987

المراجع الأجنبيّة:

Anne Nicolas, une économie de la violence, la description

-Aristote, Poétique.

-Gérard Genette, Frontières du récit, article paru dans "communication", n 8, 1966.

-Jean Burgos, pour une poétique de l imaginaire, Paris, Seuil, 1982

-Jean-Michel Adam, la description, P.U.F, Paris 1993

-Jean Paul Sartre, L imaginaire, Gallimard, 1986

-Roland Barthes, l effet de réel, Le Seuil, Paris, 1982.

البناء للوسيط في اللغة العربية من منظور لساني مقارن

The Middle Voice in the Arabic language from a comparative linguistic perspective

د. سمير جلولات، جامعة القاضي عياض بمراكش، المغرب
samirjloulat@gmail.com

الملخص:

يشترك البناء الوسيط في اللغة العربية مع أبنية أخرى مثل: المطاوعة، والانعكاس والتفاعل والبناء لما لم يسم فاعله في اللاصقة الصرفية نفسها، مما يطرح العديد من الإشكالات النظرية والتجريبية، لعل أبرزها:

ما الفرق بين البناء للوسيط وهذه الأبنية التي قد تلتبس به؟

وما الخصائص التركيبية والدلالية المميزة له؟

ولا يقتصر هذا الاشتراك على اللغة العربية وحدها، بل يمتد إلى العديد من اللغات الطبيعية، مثل: الألمانية، والإيطالية، والفرنسية التي تسم البناء الوسيط بصرفية الانعكاس، بينما ترمّزه لغات أخرى مثل: اليونانية، والعبرية بصرافة البناء لما لم يسم فاعله.

تخطط هذه الورقة لتقديم توصيف نظري لهذا البناء في اللغة العربية، من منظور لساني مقارن، يقابل بين اللغة العربية واليونانية والفرنسية والإنجليزية، وذلك لتعرّف الكيفية التي يتم بها هذا البناء، وتتخذ من نظرية الصرف الموزع إطارا للاشتغال، مستلهمة أعمال ألكسيادو Alexiadou (2012)، شافير Schäfer (2008) ، ماغلجي Marelji(2004) ، الفاسي الفاسي (1986،1990)، والأعمال ذات الصلة، وذلك للإجابة عن الإشكالات السابقة.

الكلمات المفتاحية: البناء للوسيط، المنفذية، المعاني، السمة الجهية [-تام]، عائد مربوط.

Absract

The middle voice in the Arabic language shares with other structures such as: compliance, reflection, reciprocal and construction when its subject is not named in the morphological affix itself, which raises many theoretical and experimental problems, perhaps the most prominent of which are:

What is the difference between building for the middle voice and these structures that may be confused with it?

What are its structural and semantic characteristics?

This participation is not limited to the Arabic language alone, but rather extends to many natural languages, such as: German, Italian, and French, which characterize the middle voice with a reflexive inflection, while other languages such as: Greek and Hebrew denote it with the inflection of the inflection of what did not name its subject.

This paper plans to provide a theoretical description of this structure in the Arabic language, from a comparative linguistic perspective, contrasting Arabic, Greek, French and English, in order to identify how this structure takes place, and takes the distributed Morphology theory as a framework for work, inspired by the work of Alexiadou (2012), Schäfer (2008), Marelji (2004), Al-Fassi (1986, 1990), and related works, in order to answer the previous problems.

Key words: Middle voice, the agentivity, the experiencer, the Aspectual feature [-Perfective], Bound anaphor.

.

مقدمة

يعدّ البناء للوسيط ظاهرة لغوية تشترك فيها العديد من اللغات، غير أنها تختلف في طرق التعبير عنها، فبعض اللغات مثل: "اليونانية والأكادية والسريانية والأمهرية تَسِمُ الوسيط بنفس صرفية البناء لما لم يسم فاعله. بينما تُرمّزه لغات أخرى مثل: العبرية والإيسلندية واليونانية القديمة بصرفية مختلفة. في حين يوسم في لغات أخرى مثل: الفرنسية بعائد الانعكاس (s)، وفي الإنجليزية بصرفية نشطة هي صرفية البناء للمعلوم. يثير هذا التباين الصرفي بين اللغات، العديد من الأسئلة لعل أبرزها:

- ما الفرق بين بناء الوسيط وهذه الأبنية التي قد تلتبس به؟
- وما الخصائص التركيبية والدلالية المميزة للوسيط؟

وقد شكّل هذا البناء تحديا للكثير من النظريات اللسانية التوليدية التي حاولت البحث فيه عن إجابات للتساؤلات الآتية:

- هل يحيل اشتراك اللاصقة الصرفية بين البناء الوسيط وهذه الأبنية إلى البنية الموضوعية نفسها؟
- وهل هذه الأبنية متعدية أم لازمة، لاناصبة أم لاأركاتية؟
- ثم، أين يتم توليد موضوعاتها؟ وكيف يتم امتصاصها أو نزعها؟
- وأين يحدث ذلك؟ هل في المعجم أم في التركيب؟

وما يهمنا في هذه الورقة هو أين يتموقع بناء الوسيط في اللغة العربية عبر هذه اللغات؟

تتقصّد هذه الورقة إظهار الكيفية التي يتم بها بناء الوسيط في اللغة العربية، ويندرج التحليل المعتمد ضمن نظرية الصرف الموزع (كما هو عند مرنتز وهيل (1993) Marantz & Halle ، ومرنتز (1997)، والأعمال ذات الصلة)، ويستند إلى أعمال ألكسيادو (2012،2014)، ولوكاكو (2005) Lekakou.

1. تعريف بناء الوسيط

يطلق مصطلح بناء (Voice) في الأدبيات اللسانية التوليدية عادة على تناوب معين داخل البنية الموضوعية للفعل، إذ ينظر إليه أساسا على أنه الرأس المسؤول عن تقديم الموضوع الخارجي (الفاعل)، وبالتالي فهو يعدّ مقولة تركيبية للفعل (ألكسيادو (2014)). ويوصف البناء بالوسيط حينما يجمع بين خصائص البناء النشيط (المعلوم)، والبناء غير النشيط (ما لم يسم فاعله) في الوقت نفسه، فإذا قارنا بين الأبنية الآتية:

(1) ﴿ثُمَّ **شَقَقْنَا** الْأَرْضَ شَقًّا﴾ [سورة عبس، الآية، 26]

(نشيط)

(2) **شُقَّتِ** الْأَرْضُ (بناء لما لم يسم فاعله)

(3) ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ**تَنشَقُّ** الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ [سورة مريم، الآية، 91]

(وسيط)

نلحظ أن بناء المعلوم في (1) يضم موضوعين: الأول خارجي هو الفاعل الله المعبر عنه بالضمير المتصل نا الذي يأخذ دور المنفذ، والثاني داخلي هو المفعول به الأرض الذي يحمل دور الضحية. بينما لا يضم بناء ما لم يسم فاعله في (2) إلا موضوعا واحدا هو المفعول به "الأرض" الذي انتقل إلى موقع الفاعل بعد نزع المنفذ.

في حين أن البناء الوارد في (3) يجمع بين خصائص هذين البناءين في كون فعله تَنْشَقُّ، وإن كان مبنيا للمعلوم؛ إلا أنه يشبه بناء ما لم يسم فاعله في عدم انتقائه لموضوع خارجي صريح، لذلك يطلق عليه في الأدبيات التوليدية البناء الوسيط.

2. البناء للوسيط في اللغة العربية وبعض اللغات الطبيعية

تظهر عينة مختلفة من اللغات الطبيعية وجود تباين صرفي في بناء الوسيط حيث تشكل بعض اللغات كالإنجليزية والهولندية الوسيط دون أي علامة صرفية (4)، و(5). وبحسب ألكسيادو، شافير (2013) فإن اللغة التي لا تملك صرفيات خاصة بالمضادات الجعلية؛ يكون الوسيط فيها غير موسوم.

بينما إذا كانت اللغة تسم المضادات الجعلية؛ فعادة ما يتم وسم الوسيط أيضا، وغالبا ما يتم وسمه بالصرفية نفسها. فالألمانية والفرنسية مثلا ترمّزان الوسيط بنفس صرفية الانعكاس (6)، و(7)، والتي نجدها في المضادات الجعلية أيضا. بينما تسمه اليونانية بصرفية البناء لما لم يسم فاعله (8) كما يبدو من الأمثلة أدناه:

(4) This book reads easily (الإنجليزية)

(5) Dit boek leest makelijk (الهولندية)

(6) Das Buch liest leicht sich (الألمانية)

(7) Ce livre se lit facilement (الفرنسية)

بسهولة قرأ منعكس كتاب هذا

"يُقرأ هذا الكتاب بسهولة"

(8) efkola Afto to vivlio diavazete (اليونانية)

easily sg3.nact.the book read This

بسهولة 3مف غير نشط يقرأ كتاب ال هذا

"يقرأ هذا الكتاب بسهولة."

فلماذا هذا التباين الصرفي في بناء الوسيط بين هذه اللغات؟ وأين يتموقع بناء الوسيط في اللغة العربية عبر اللغات؟

1.2 مقارنة الوسيط بين اليونانية والعربية

يحمل الوسيط في اليونانية صرفية البناء لما لم يسم فاعله، فالفعل (diavazete) يقْرَأُ في (8) على سبيل المثال، يدل بناؤه على وجود منفذ ضمني للقراءة، ويمكن الاستدلال على وجوده ببعض الروائز مثل: رائز المركب الحرفي (by phrase) (لوكاكو(2005)، تسيمبلي (1989) Tsimpli)، كما يظهر في المثال أدناه:

(9) Afto to vivlio diavazete efxarista. (apo opiondipote)

شخص أي سرور -مع 3مف –غير تام -غير نشط يقرأ كتاب ال هذا

"يقرأ هذا الكتاب بسرور من قبل أي شخص"

ولا يختلف الوسيط في اللغة العربية عن نظيره في اللغة اليونانية، إذ يقبل أن يرد مع صرفية البناء لما لم يسم فاعله /ـُ/، كما في (10)، ويتم روز وجود منفذه الضمني إما بالظرف الموجه نحو المنفذ، أو برائز المركب الحرفي أو الأداة، كما في الأمثلة الآتية:

(10)أ. يُقْرَأُ هَذا الْكِتَابُ [عمدا] (الظرف الموجه نحو المنفذ)

ب. يُقْرَأُ هَذا الْكِتَابُ [للاستفادة] (العبارة التعليلية)

ج. يُقْرَأُ هَذا الْكِتَابُ [مِنْ قِبَلِ أَيِّ شَخْصٍ] (المركب الحرفي)

د) يُقْرَأُ هَذا الْكِتَابُ [بالمكبرة] (الأداة)

2.2 مقارنة الوسيط بين الفرنسية والعربية

يُقيّد الضمير العائد (se) في اللغة الفرنسية موضوع الانعكاس بقيد الحيوية [+حي]، كي يمكن تصوره منفذا ومعانيا في الوقت نفسه، بينما لا تشترط هذا القيد في الوسيط، كما يظهر من المقارنة بين الفاعلين جون واليونانية في المثالين:

11) Jean se rase (انعكاس)

جون (se) يحلق منعكس

"يحلق جون لنفسه"

(12) Le grec se traduit facilement (وسيط)

تترجم منعكس يونانية ال بسهولة

" تترجم اليونانية بسهولة"

ويقابل العائد على المنعكس (se) في اللغة العربية ضمير النفس نفسه ضمن ما يعرف بالانعكاس التركيبي، وهو مرتفع الإنتاجية، إذ يمكن تكوينه من جلّ الأفعال المتعّدية، شريطة أن يكون موضوعا داخليا يشغل موقع المفعول. ويمكن توضيح المراحل التي يمر منها تأويل هذا النوع من الانعكاس بالبنية ظَلَمَ نَفْسَهُ الواردة في المثال (13) التي تقبل التأويل (ب)، و(ج) أدناه:

(13)أ. ﴿[illegible]﴾ [سورة البقرة، الآية: 229]

ب. ظَلَمَ (س) (س)

ج. ظَلَمَ (س) (نَفْسَهُ)

حيث يُملأ موقعا الفاعل والمفعول بنفس العنصر المعجمي (س)، لأن الفاعل المنطقي المنفذ لحدث "الظلم" هو أيضا، مفعول وقع عليه هذا الحدث، ويعاني منه. ويتم تعويض المفعول بضمير النفس لوجود مفسر سابق (الفاعل (س)) يربط به في التركيب.

تستخدم اللغة العربية نوعا آخر من الانعكاس، هو الانعكاس الصرفي، ويتم تكوينه من خلال التأليف بين لاصقة الانعكاس، النون /ن/، أو التاء /ت/ وجذر الفعل في صور صرفية، مثل: انْفَعَلَ، وافْتَعَلَ، وتَفَعَّلَ، وتَفاعَلَ، واسْتَفْعَلَ، كما في الأمثلة أسفله:

(14) ﴿وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ **انقَلَبَ** عَلَىٰ وَجْهِهِ﴾ [سورة الحج، الآية: 11]
(انْفَعَلَ)

(15) ﴿فَإِنِ **انتَهَوْا** فَلَا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 192]
(افْتَعَلَ)

(15) ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا **تَبَرَّجْنَ** تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ﴾ [سورة الأحزاب، الآية: 33]
(تَفَعَّلَ)

(16) ﴿**تَبَارَكَ** الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾ [سورة الفرقان، الآية: 1] (تَفاعَلَ)

(17) ﴿أَمَّا مَنِ **اسْتَغْنَىٰ**﴾ [سورة عبس، الآية: 5]
(اسْتَفْعَلَ)

تفترض بعض التحاليل أن هذه اللاصقة تقوم بامتصاص الموضوع الخارجي "الفاعل"، بينما ترى أخرى أن العنصر الممتَصّ هو الموضوع الداخلي؛ المفعول، في حين ترفض تحاليل أخرى القول بامتصاص أحد الموضوعين، وتقول بتجميع دوريهما في دور واحد للحصول على بنية لازمة تركيبيا ومتعدية دلاليا، يكون فيها الفاعل المنفذ هو في الوقت نفسه مفعولا معانيا متأثرا. بمعنى أن الفاعل يُجري الفعل على نفسه، ويعاني منه. وهذا النوع من الانعكاس هو الذي قد يلتبس بالوسيط في اللغة العربية، كما أنه قد يلتبس بالمطاوعة أيضا.

1.2.2 الانعكاس غير المطاوعة

يقيّد الانعكاس الصرفي في اللغة العربية موضوعه بقيد الحيوية، كي يبدو منفذا ومعانيا في الوقت نفسه، غير أنه قد يلتبس بالمطاوعة التي لا تشترط هذا القيد، إذ يمكن أن يقترن موضوعها به كما في (18)أ)، التي تقبل

التأويل (18)ج) أدناه، كما يمكنها أن تأتي دونه على غرار (19)، الذي لا يقبل إلا قراءة المطاوعة (الفاسي الفهري، (1986: 114):

(18) أ. ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ فِي أَيَّامٍ مَّعْدُودَاتٍ فَمَن **تَعَجَّلَ** فِي يَوْمَيْنِ فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ وَمَن **تَأَخَّرَ** فَلَا إِثْمَ عَلَيْهِ﴾ [سورة البقرة، الآية: 201.] (مطاوعة/انعكاس)

ب. واذكروا الله في أيام معدودات فمن **عجّل نفسه** في يومين فلا إثم عليه ومن **أخر نفسه** فلا إثم عليه (انعكاس)

ج. واذكروا الله في أيام معدودات فمن **عجّله شيء** ما في يومين فتعجّل فلا إثم عليه ومن **أخره شيء** ما فتأخر فلا إثم عليه. (مطاوعة)

(19) ﴿إِذَا السَّمَاءُ **انشَقَّتْ**﴾ [سورة الانشقاق، الآية: 1] (مطاوعة)

2.2.2. الوسيط غير المطاوعة

إذا كانت المطاوعة في (19) تشير إلى حدث محدد هو حدث الانشقاق، يشترط فيه أن يكون قد تم وانتهى، فإن تأويل حدث البناء للوسيط في المثالين:

(20) ﴿تَكَادُ السَّمَاوَاتُ يَتَفَطَّرْنَ مِنْهُ وَ**تَنشَقُّ** الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَدًّا﴾ (=3) [سورة مريم، الآية: 91] (وسيط)

(21) ﴿يَوْمَ **تَشَقَّقُ** الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [سورة ق، الآية: 44] (وسيط)

يُعدّ تأويلا عاما؛ لتضّمنه السابقة الزمنية للمضارع /تَ/ الدالة على أن الحدث لم يصل إلى نهايته. وأنه غير محيل إلى زمن بعينه؛ وهذا الامتداد في الزمن يدخل هذا البناء إلى جهة الاعتياد (l'habitude)، ويجعل تأويل الحدث غير تام [-تام].

فالفرق بين هذين البناءين يؤول إلى كون الفعل في المطاوعة مخصص جهيا بالسمة [+تام]، بينما الوسيط فغير مخصص بهذه السمة، وهو ما يجعل المطاوعة بناءً حدثيا يشير في (19) إلى حدث انشقاق السماء وكأنه وقع حقيقة، بخلاف الوسيط الذي لا يشير إلى وقوع أي حدث؛ (لاحدثي)، إنما يتلقى تأويلا عاما، فتفطّر السماوات، وانشقاق الأرض في (20) لم يتحقق بعد، بدليل تصدرهما بفعل المقاربة تكاد الدال على قرب وقوع هذين الحدثين. وكذلك تَشَقُّقُ الْأَرْضِ في (21)؛ يحيل إلى أن حدث التشقّق سيقع في المستقبل في يوم الأيام، وهو ما يجعل زمنه الداخلي موسوما بالسمتين الجهيتين: <[+ممتد]،[-تام]> .

3.2.2 الوسيط غير التفاعل

يأتي بناء التفاعل الصرفي في اللغة العربية على صورة افْتَعَلَ أو تفَاعَلَ وهو ليس للمطاوعة ولا للانعكاس ولا للبناء الوسيط، رغم أنه يشترك معها في نفس اللاصقة الصرفية /ت/، كما في:

(22) ﴿وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَا **تَنَازَعُوا** فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ﴾ [سورة الأنفال ، الآية: 47]

(23) ﴿إِنَّ الَّذِينَ تَوَلَّوْا مِنكُمْ يَوْمَ **الْتَقَى** الْجَمْعَانِ إِنَّمَا اسْتَزَلَّهُمُ الشَّيْطَانُ بِبَعْضِ مَا كَسَبُوا﴾ [سورة آل عمران، الآية: 155]

فكيف يمكن تمييز هذا البناء الذي قد يلتبس بصورة الوسيط "يَفْتَعِلُ"، أو "يَتَفاعَلُ"؟

قبل أن نتحدث عن الفرق بين التفاعل والوسيط، لا بد أن نميز التفاعل عن الانعكاس لاشتراكه معه في بعض الخصائص المميزة من جهة، وبحكم أن الوسيط لا يختلف عن الانعكاس إلا بتضمنه لسابقة المضارع الجهية.

يُطلق في الأدبيات التوليدية على أفعال مثل: تَنازَعَ، الْتَقى الواردة في (22-23) أعلاه، أفعال التفاعل (Riciprocal)، ويعرّفها ديميتريادس Dimitriadis (3:2004) بأنها أفعال تعبّر عن علاقة متناظرة، وتشير في استخدامها اللازم إلى وضعيات اجتماعية مثل: تصالح، تواصل، تعانق (لوتوغنو Le Tourneau (1997))، ويدرجها الفاسي القهري (2011) ضمن أفعال التفاعل الصرفي.

وهناك نوع آخر من التفاعل، هو التفاعل التركيبي، يشترك مع ما اصطلح عليه النحاة العرب القدماء بناء النفس في بعض الخصائص، ويختلف عنه في أخرى. يشترك معه في تضمن كل منهما لعائد (anaphor) مربوط (تشومسكي، Chomsky (1981)) فإذا كان عائد المنعكس في (24) هو نفس، فإن عائد المتفاعل في (25) هو العبارة التبعيضية بعضهم بعضا، كما في المثالين:

(24) ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ﴾ [سورة الطلاق، الآية: 1]

(25) ﴿وَلَا يَتَّخِذَ **بَعْضُنَا بَعْضًا** أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ﴾ [سورة آل عمران، الآية: 63]

ويختلف عنه في موقع الربط، فعائد المنعكس لا يكون إلا موضوعا من الموضوعات وإلا خرج إلى التوكيد (كما في (24) أعلاه)، بينما عائد المتفاعل يمكن أن يكون موضوعا كما في (25)، أو ملحقا مثل (26):

(26) ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا الْيَهُودَ وَالنَّصَارَىٰ أَوْلِيَاءَ **بَعْضُهُمْ** أَوْلِيَاءُ **بَعْضٍ**﴾ [سورة المائدة، الآية: 53]

وإذا كان الفاعل في الانعكاس مفردا يجري عملا على نفسه ويعاني منه (كما في (24)، فإنه يكون في بناء التفاعل جمعا تركيبيا يضم موضوعين، بعضنا بعضا في المثال (25) أعلاه، أو جمعا دلاليا يضم موضوعا واحدا يمكن تقسيمه إلى جزأين، يجري كل منهما عملا على الآخر ويعاني منه، مثل الجمعان في الوارد في (23) أعلاه (الفاسي الفهري Fassi Fehri(2011) ، ويليامز williams (1992)، برونين Bruening (2006) ، رينهارت وسيلوني (2005)).

يسمح هذا الجمع في فاعل التفاعل بإسناد دورين محوريين لموضوع واحد، المنفذ، والمعاني، وهو ما يجعل التفاعل مثل الانعكاس وإن كان يختلف عنه في توجيه الحدث، ففي الانعكاس يوجه الحدث داخليا من الفاعل نحو ذاته، فيكون منفذا ومعانيا في نفس الوقت، كما يبدو من المثال:

(27) ﴿إِنَّا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ فَمَنِ **اهْتَدَى** فَلِنَفْسِهِ﴾ [سورة الزمر، الآية: 38]

بينما يوجّه خارجيا في التفاعل بتبادل هذين الدورين بين المشاركيْن (الجمع (أ)، والجمع (ب) في الاختصام)، بحيث يصبح المنفذ معانيا والمعاني منفذا، كما هو مبين في الرسم التقريبي الآتي:

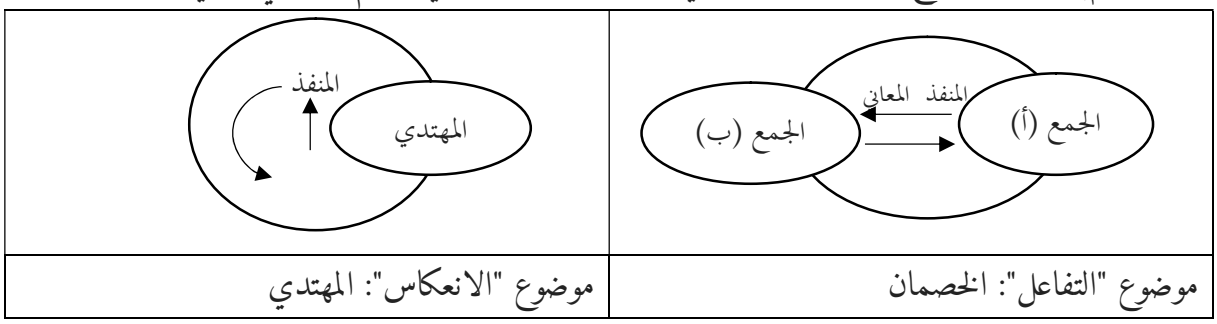

موضوع "التفاعل": الخصمان	موضوع "الانعكاس": المهتدي

3.2 مقارنة الوسيط بين اللغتين الإنجليزية والعربية

شكل عدم وسم الوسيط صرفيا في اللغة الإنجليزية تحديا، أدى إلى بلوة افتراضات متعددة حول هذا البناء: فاقترح كومري Comrie (1976) أن هذه اللغة لا تتوفر على سمة [+اعتياد]، وبالتالي فإن التمييز بين العام وغير العام ليس تمييزًا نحويًا في هذه اللغة.

بينما ادّعي جيورجي وبيانيزي Giorgi & Pianesi (1997) أن الوسيط في الإنجليزية يرتبط دائمًا بالخاصية الجهية [+ تام]. لعدم وجود مقابل لها [–تام] في هذه اللغة، نظرًا لعدم وجود صرفية خاصة به. واعتبرت ألكسيادو (2012) أن الإنجليزية فقدت صرفية الوسيط تماما، بحيث يتم الآن وسمها على أنها نشيطة (بناء للمعلوم). فإذا قارنا بين الأمثلة الآتية:

(28) أ. The girl broke the glass. (Active)

الفتاة كسرت الزجاج. (نشيط)

ب. The glass was broken (by the girl). (Passive)

كُسِرَ الزُّجاجُ (مِنْ قِبَلِ الْفَتاةِ). (بناء لما لم يسم فاعله)

ج. The glass broke. (Middle)

*كسر الزجاج. (وسيط)

نلحظ أن فعل الوسيط في اللغة الإنجليزية (broke)؛ كَسَرَ في المثال (28))، يمكن أن يستعمل في البناء النشيط أيضا دون أي تغيير. كما نلحظ أنه يبنى من أفعال أركاتية (لاناصبة)، وهي أفعال يكون فاعلها غير

منفذ، أي، أن موضوعها الوحيد يكافئ -تركيبيا- المفعول المباشر في البنية العميقة، لأنها أفعال يمكن أن تتعدى بإقحام منفذ أو جاعل في بنيتها المحورية (حسب تعميم بورزيو (1986)).

ولا نجد في اللغة العربية أفعالا تقبل أن ترد في البناء للوسيط والبناء للمعلوم (النشيط) دون إجراء أي تغيير على بنيتها، لكن بالمقابل، نجد بعض الأفعال التي لا يطرأ على بنيتها أي تعديل حينما تحول من البناء للمعلوم (النشيط) إلى بناء المطاوعة، وهو ما يؤشر على أن بناء الوسيط في الإنجليزية قريب من بناء المطاوعة في اللغة العربية كما يظهر من خلال الأمثلة الآتية:

(29) أ. شاعَ الرَّجُلُ الْخَبَرَ (نشيط)

ب. شيعَ الْخَبَرُ (بناء لما لم يسم فاعله)

ج. شاعَ الْخَبَرُ (مطاوعة)

فلكي ينبى الفعل للوسيط في اللغة العربية، يجب تغيير الفعل صرفيا، بإضافة السابقة التصريفية الزمنية للمضارع التي تسم الحدث بالسمتين [+اعتياد]، [-تام]، كما هو موضح من خلال مقارنة الأمثلة:

(30) أ. انْكَسَرَ الزُّجاجُ (مطاوعة)

ب. يَنْكَسِرُ الزُّجاجُ عادَةً حينَما يَشْتَدُّ الزَّمْهَرِيرُ (وسيط)

من خلال ما تقدم، يمكن أن نقول إن بناء الوسيط في اللغة العربية يتم بطريقتين:

- إما بإقحام صرفية البناء لما لم يسم فاعله كما في اليونانية.
- وإما بإدراج صرفية الانعكاس التي يقابلها في اللغة الفرنسية العائد (se).

كما أنه يبنى بإدراج صرفية المطاوعة، لكن كل هذا شريطة إضافة سابقة المضارع.

في ضوء هذا التقسيم، ينبثق التساؤل الإشكالي الآتي:

- ما طبيعة القيود التي تمنع بعض الأفعال من أن تبنى للوسيط بواسطة صرفية البناء لما لم يسم فاعله؟ وما الذي يسمح لغيرها بأن يبنى مع صرفية الانعكاس أو المطاوعة؟

4.2 بناء الوسيط بواسطة صرفية البناء لما لم يسم فاعله

إذا نظرنا إلى الأمثلة:

(30) أ. ضَرَبَ زَيْدٌ عَمْراً (نشيط)

ب. ضُرِبَ عَمْرٌ (بناء لما لم يسم فاعله)

(31) أ. قَتَلَ زَيْدٌ عَمْراً (نشيط)

ب. قُتِلَ عَمْرٌ (بناء لما لم يسم فاعله)

نلحظ أنها تصف أحداثا خارجية لا يمكنها أن تقع بشكل عفوي ومستقل عن تدخل منفذ إرادي وحيوي، قادر على إحداث الضرب والقتل بشكل قصدي. فهي أفعال جعلية متعدية لا يمكن أن تظهر إلا في سياق

يقتضي بالضرورة وجود موضوع خارجي يحمل دور المنفذ زَيْدٌ يشارك في الحدث ويراقبه، وموضوع داخلي يأخذ دور المعاني عَمْراً. لذلك فهذه الأفعال لا يمكنها أن تكوّن مضادات جعلية؛ مطاوعات، لأنها منفذية، وبالتالي فقيد المنفذية يمنع هذه الأفعال من أن تبنى للوسيط بواسطة صرفية الانعكاس أو المطاوعة، وهو ما يفسر لحن الأمثلة:

(32) أ. *انْضَرَبَ عَمْرٌ (مطاوعة)
ب. *يَنْضَرِبَ عَمْرٌ (وسيط)
(33) أ. *انْقَتَلَ عَمْرٌ (مطاوعة)
ب. *يَنْقَتِلُ عَمْرٌ (وسيط)

5.2 بناء للوسيط بواسطة صرفية الانعكاس أو المطاوعة

تشير الأفعال التي يشتق منها الوسيط بواسطة صرفية الانعكاس أو المطاوعة إلى أحداث يمكن اعتبارها ناتجة عن مسبِّبات داخلية أو خارجية، إذ يمكنها الظهور مع رأس يسقط موضوعا خارجيا أو بدونه (34هـ)، أي أنها لا تفرض أي قيود على موضوعاتها الخارجية، مما يسمح لها بالتناوب جعل- مضاد جعلي (مطاوعة أو انعكاس). فقد تظهر مع منفذات مثل: مُحَمَّدٌ في (34)أ)، أو جواعل مثل: الرِّيحُ في (ب)، أو أدوات مثل المِفْتاحُ في (ج)، مع موضوعات داخلية متأثرة تحمل دور الضحية في المطاوعة مثل الْبابَ في الأمثلة أدناه، أو المعاني مثل زَيْدٌ في المثال (35ب)أدناه:

(34) أ. فَتَحَ مُحَمَّدُ الْبابَ (منفذ) (نشيط)
ب. فَتَحَتِ الرِّيحُ الْبابَ (جاعل) (نشيط)
ج. فَتَحَ الْمِفْتاحُ الْبابَ (أداة) (نشيط)
د. انْفَتَحَ الْبابُ (مطاوعة)
هـ. يَنْفَتِحُ الْبابُ كُلَّ يَوْمٍ (وسيط)

كما أن هذه الأفعال تقبل أيضا أن تبنى للوسيط بواسطة صرفية الانعكاس، حينما تنتقي موضوعا موسوما بالسمة [+حي]، ونمثل لذلك بالمثال الآتي:

(35) أ. غَسَلَ زَيْدٌ زَيْداً (معلوم/انعكاس تركيبي)
ب. اغْتَسَلَ زَيْدٌ (انعكاس صرفي)
ج. يَغْتَسِلُ زَيْدٌ كُلَّ صَباحٍ (وسيط)

ونظرا لكون هذه الأفعال لا تفرض قيودا صارمة على موضوعاتها، كما تفعل الأفعال المنفذية، فإنها تقبل أيضا أن تبنى للوسيط بواسطة صرفية ما لم يسم فاعله، كما في المثالين:

(34) و. فُتِحَ الْبابُ (بناء لما لم يسم فاعله)

ز. يُفْتَحُ الْبابُ عادَةً مِنْ قِبَلِ الْحَرّاسِ (وسيط)

وإذا كانت الأدبيات اللسانية تجمع على غياب الموضوع الخارجي في أبنية المطاوعة، فإنها بالمقابل، قد اختلفت حول إمكانية وجود موضوع ضمني في الوسيط يتضمن سمات منفذية، مثلما اختلفت في موقع إسقاطه، في المعجم أم في التركيب أم في التأويل! مقدمة ثلاثة اقترحات مختلفة:

6.2 بعض تحاليل الوسيط في الأدبيات التوليدية

1.6.2 تحليل قبل-تركيبي للوسيط

يقترح هذا التحليل (فاكان (1992)، أكيما وشول ليمر (1994، 1995)، ماغليجي (2004) من بين آخرين) أن المنفذ في بناء الوسيط موجود في المعجم، أو في المكون التأويلي وليس في البنية التركيبية. ويفترض أن الدور الخارجي للمنفذ مشبع في المعجم، لأنه مسند إلى موضوع اعتباطي، وبالتالي، فلا حاجة إلى إسقاطه في التركيب، طالما أن الأدوار غير المشبعة معجميا هي وحدها التي تخضع لمبدأ الإسقاط في التركيب (فاكان (162:1992)).

ويترتب عن ذلك، أنه إذا كان الإشباع المعجمي للدور الخارجي يمنع ظهور المنفذ في التركيب، فيجب أن يكون هناك اتصال مباشر بين المعجم والتأويل. غير أن هذا الطرح لا يوضح طبيعة القيود التي تفرض على هذا الموضوع الاعتباطي.

2.6.2 تحليل تركيبي للوسيط

يقترح هذا التحليل أن المنفذ موجود في التركيب كعنصر خفي (مقولة فارغة) في مرحلة ما من الاشتقاق، ويختلف في تحديد موقع إسقاطه:

فهناك من يفترض أنه ضم (Pro) (هويكسترا، روبيرتز (1993) Hoekstra, Roberts) غير نشيط تركيبيا يتحقق كمقولة صفرية، ويتم إسقاطه في مخصص المركب الفعلي. بينما يرى آخرون (ستروك (Stroik 1999,1995,1992) من بين أعمال أخرى) أنه نشيط تركيبيا، ويتم توليده في موقع الملحق، وإسناده دور الموضوع الخارجي من خلال عملية تخفيض رتبة الموضوع (ستروك (120:1999)). وقد قوبل هذا المقترح بعدة انتقادات لعل أبرزها:

- أن المحور في الوسيط لا يتم نقله من موقع المفعول إلى موقع الفاعل، مثلما يتم نقله في البناء لما لم يسم فاعله (ينظر على سبيل المثال: ماغلجي (2004)، أكيما، وسشورلمير (1994).
- أن المحور في الوسيط يجب أن يكون موضوعا للفعل، في حين أن هذا التقييد لا ينطبق على البناء لما لم يسم فاعله. وقد استدل بهذا التمييز على أن تكوين الوسيط هو عملية معجمية، بينما تكوين البناء لما لم يسم فاعله فهو تركيبي (ألكسيادو، شافير (2013: 213)).

3.6.2 تحليل بعد-تركيبي للوسيط

يجادل هذا التحليل أن المنفذ الضمني لا يظهر لا في المعجم ولا في التركيب، بل في التأويل (راجع: كوندورافدي (1989ب)، ستينباخ (2002)) من بين آخرين) إذا كان المعنى المعجمي للفعل يقتضي منفذا، فعلى الرغم من عدم وجود المنفذ بشكل صريح إلا أنه يفهم أو يؤول وجوده ضمنيا. فالفعل يُقْتَلُ في (36) على سبيل المثال، يدل بناؤه للوسيط على وجود منفذ ضمني للقتل دون التقيد بزمن بعينه. ولو عُبّر بالماضي قُتِلَ لظن أن حدث القتل؛ قد تم وانقضى دون أن ينسحب على الحاضر.

ويمكن الاستدلال على وجود المنفذ الضمني في البناء للوسيط، كما سبقت الإشارة؛ ببعض الروائز مثل: تسويغ الظروف الإرادية كما في (ب)، والجملة التعليلية في (ج)، والمركب الحرفي (by-phrase) في (د) التي تسمح بإظهار الموضوع الضمني بشكل علني وإشباع الدور الخارجي للوسيط:

(36) أ. ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَن يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِن لَّا تَشْعُرُونَ﴾ [سورة البقرة، الآية: 153]

ب. وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ **يُقْتَلُ** فِي سَبِيلِ اللّهِ [عمدا] أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ

ج. وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ **يُقْتَلُ** فِي سَبِيلِ اللّهِ [لمرضاة محمد] أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ

د. وَلاَ تَقُولُواْ لِمَنْ **يُقْتَلُ** فِي سَبِيلِ اللّهِ [بالسيف/بواسطة الكفار] أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاء وَلَكِن لاَّ تَشْعُرُونَ.

وإذا كانت التحاليل السابقة تدافع عن وجود منفذ ضمني في بناء الوسيط -وإن اختلفت حول موقع إسقاطه- فإن هناك تحاليل أخرى ترفض وجود هذا المنفذ الضمني في هذا البناء (ربابورت (1999: 147) Rappaport والأعمال ذات الصلة).

من خلال ما تقدم، يمكن أن ندافع عن وجود صنفين من أفعال البناء الوسيط في اللغة العربية:

- صنف يمكن تصوره أقرب إلى البناء لما لم يسم فاعله، ويضم موضوعا ضمنيا، وهو أقرب ما يكون إلى الوسيط في بعض اللغات مثل اليونانية.
- صنف قريب من وجهة نظر تأويلية من بناء المطاوعة أو الانعكاس، ولا يضم أي منفذ ضمني، وهو أقرب إلى وسيط بعض اللغات مثل الفرنسية.

ونفترض أن لهذا الصنف الأخير من الوسيط نفس البناء التركيبي الذي نجده في المطاوعة، ولا يختلف عنها في التأويل الدلالي إلا بسبب إسقاطه للسابقة الزمنية التي تجعل الحدث موسوما بالسمة الجهية [+اعتياد]، كما هو موضح في التمثيل الشجري الآتي:

(37) تَنْشَقُّ الْأَرْضُ

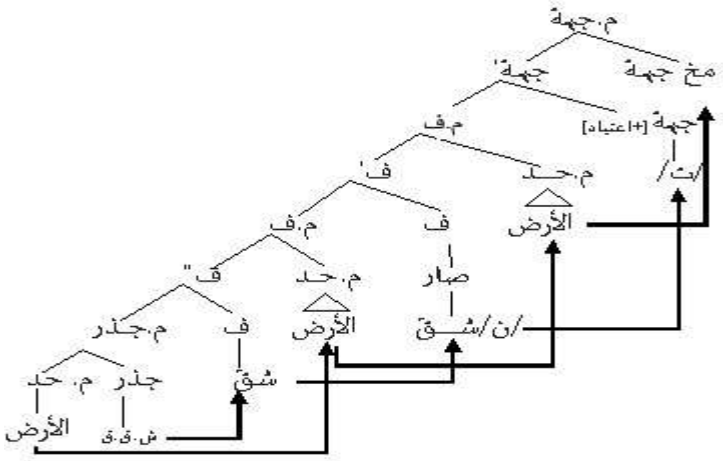

ويتم بناء الوسيط في (37) بضمّ الجذر [ش.ق.ق] إلى المفعِّل فيمقول فعلا شَقَّ، ثم يَصعد ليضمّ إلى الرأس الذي يسقط فعلا خفيفا من نمط صارَ يمنع تسويغ إسقاط موضوع خارجي في مخصص رأس المركب الفعلي الأعلى، فينتقل الموضوع الداخلي الأرض الذي يحمل دور الضحية بحكم تأثره إلى الموقع الفارغ للموضوع الخارجي أي: موقع المخصص المركب الفعلي (م.ف) كي يملأه بموجب مبدأ الإسقاط ويأخذ إعرابه؛ إعراب الرفع، ممّا يولد بنية لازمة هي بنية المطاوعة. ثم يصعد الفعل المطاوع انْشَقّ إلى الرأس الذي يسقط سابقة المضارع /تَ/ ليوسم بالسمة الجهية [+اعتياد] مما يولد بناء وسيطا.

بينما يشتق الصنف الأول بواسطة صرفية البناء لما يسم فاعله، كما في التمثيل الشجري:

(52) يُقْضى الْأَمْرُ

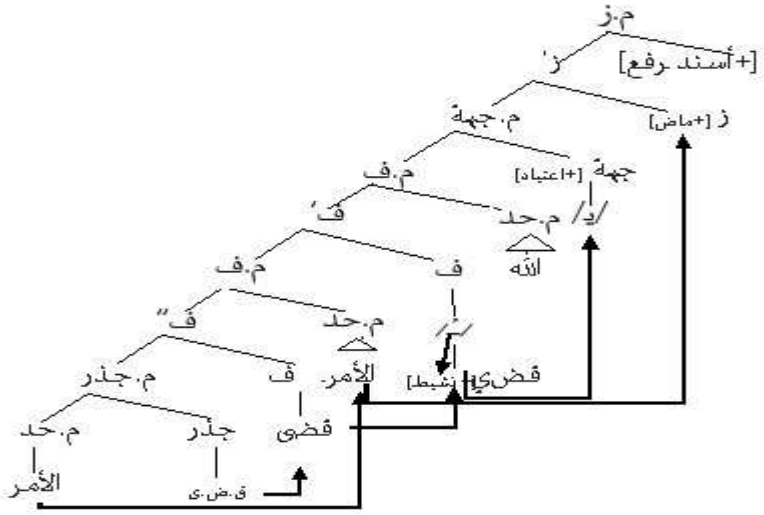

إذ تقمع صرفة الضمة /ـُ/ السمة [+نشيط] في الفعل قَضى، مما يجعل الموضوع الخارجي المسقط في مخصص المركب الفعلي ضمنيا. وبما أن هذا المخصص غير نشيط، فسينتقل الموضوع الداخلي إلى رأس أعلى أي؛ مخصص رأس الزمن "ز" لفحص إعرابه وإسناده إعراب الرفع. وهو ما يسمح ببناء ما لم يسم فاعله. غير أن إسقاط

سابقة الياء /يـ/ يجعل الحدث موسوما بالسمة الجهية [+اعتياد]، التي تمنع تقييده بمحدد زمني معين، مما يجعله يحتمل أن يؤوّل بأحداث قد تتحقق في المستقبل، فيتولد بذلك بناء الوسيط -المبني لما لم يسم فاعله (Midio-Passive).

بناء على ما تقدّم، يمكن أن نخلص إلى أن لاصقة المطاوعة تعدّ تمثيلا صرافيا لغياب الموضوع الخارجي في رأس المركب الفعلي العلوي، بينما تعتبر الصُّرفة الداخلية /ـُ/ تحققا صرافيا للموضوع الضمني في البناء لما لم يسم فاعله، وبالتالي، فهذا البناء يتميز عن المطاوعة بالمنفذية، غير أن هذه المنفذية تبقى ضمنية بسبب قمع صرفة بناء ما لم يسم فاعله للسمة [+نشيط] في الفعل، كما بيّنا أعلاه.

7. خلاصة

قارنا في هذه الورقة البناء للوسيط في اللغة العربية بنظيره في كل من اليونانية والفرنسية والإنجليزية، لنخلص إلى أن الوسيط لا يتصرف بشكل موحد عبر هذه اللغات، إذ يحمل في اللغة اليونانية صرفية البناء لما لم يسم فاعله. بينما ينتقي في اللغة الفرنسية ضمير العائد الانعكاسي (se)، في حين أنه لا يوسم صرفيا في اللغة الإنجليزية مما يجعله قريبا من البناء النشيط (المعلوم). وقد بيّنا أن اللغة العربية تسم هذا البناء صرفيا بطريقتين مختلفتين: واحدة يمكن تصورها أقرب إلى البناء لما لم يسم فاعله، كما في اللغة اليونانية. والأخرى أقرب إلى بناء المضاد الجعلي (المطاوعة أو الانعكاس) في اللغة الفرنسية. وإن كان الوسيط المنعكس في اللغة العربية يعبر عنه صرفيا بلاصقتي الانعكاس أو المطاوعة النون /ن/، أو التاء /ت/، بينما يعبر عنه في اللغة الفرنسية تركيبيا بالعائد المنعكس (se) الذي يقوم بنزع دور الموضوع الخارجي.

كما كشفنا عن بعض الفروق الدقيقة بين الوسيط وبعض الأبنية التي قد تلتبس به في اللغة العربية، فإذا كانت المطاوعة تشير إلى حدث محدد قد تم وانقضى، فإن تأويل حدث الوسيط عام لتضمنه السابقة الزمنية للمضارع التي تدل على أن الحدث لم يصل إلى نهايته. وإذا كان فاعل الانعكاس يجري عملا على ذاته كي يبدو منفذا له ومعانيا منه في نفس الوقت، فإن دخول السابقة الزمنية للمضارع عليه تخرجه إلى الوسيط، وتجعله لا يختلف عن بناء التفاعل إلا في توجيه الحدث؛ إذ إن الوسيط المنعكس يوجه الحدث داخليا من الفاعل نحو ذاته، بينما توجيه الحدث في بناء التفاعل يوجه خارجيا بتبادل الأدوار بين مشاركيْن يجري كل منهما عملا على الآخر ويعاني منه بحيث يصير المنفذ معانيا والمعاني منفذا.

الهوامش

[1]- يقابله (se) في الفرنسية و(se) في الإسبانية و(si) في الإيطالية و(zich) في الهولندية و(himself) في الإنجليزية.

[2]- تفترض بعض المقاربات أن صرفية الانعكاس تمتص الموضوع الخارجي (الفاعل)، بينما تفترض مقاربات أخرى أن العنصر الممتص هو الموضوع الداخلي (المفعول)، في حين ترفض مقاربات أخرى هذين الافتراضين،

وتقترح بدل امتصاص دور واحد من هذين الدورين أن يتم تجميعهما في دور واحد. للاطلاع على هذا المقترح الأخير راجع: رينهارت (2000،2002)، رينهارت وسيلوني (2005) Reinhart & Siloni ، كلانفيل (31:2011) Glanville.

[3]- ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج263/2.

[4]- المرجع نفسه.

[5]- اعتمد الفاسي الفهري (1986) ترجمة (Riciprocal) ببناء التفاعل، قبل أن يعدل عنه إلى العكائسية في (2010).

[6]- يقابله في الأدبيات التوليدية الانعكاس التركيبي.

[7]- نشير إلى أنه على النقيض من اللغة الإنجليزية فإن هذا المثال يعدّ لاحنا في اللغة العربية.

[8]- استعاضت ليفين وهوفاف ربابورت Levin & Rappaport Hovav (91:1995) بالمنفذية عما أسماه سميت Smith (107:1970) بمفهوم "المراقبة"، فبدلا من اقتراحه أن أفعالا مثل: كَسَرَ وفَتَحَ تصف أحداثا تقع تحت مراقبة مسبِّب خارجي، وأن أفعالا مثل: ضَحِكَ ولَعِبَ لا يمكن مراقبتها خارجيا، بل تخضع لمراقبة داخلية من قبل المتورط فيها؛ اقترحتا أن مثل هذه الأفعال تحدث بسبب خاصية متأصلة في موضوع الفعل هي إرادة أو رغبة المنفذ "المسؤول" عن هذه الأحداث. بينما اشترط الفاسي الفهري (87:1997) في المنفذية مشاركة كل من الفاعل والمفعول في العمل، وقصر الجعل المنفذي (الجعل المباشر) على الصورة الصرفية (فَعَلَ)، وأخرج (أَفْعَلَ) إلى الجعل المستقرى، أي الجعل غير المباشر. في حين أقامت ألكسيادو (2006، 2010) المنفذية على انتقاء الفعل لفاعل يحمل دور المنفذ.

[9]- إذا كان الموضوع الخارجي (الفاعل) زيد، يختلف عن الموضوع الداخلي (المفعول) زيد، فإن البناء سيكون للمعلوم، وإذا كان الفاعل زيد يجري حدث الاغتسال على ذاته ويعاني منه فالبناء للانعكاس.

[10]- تشير ألكسيادو وشافير (2013: 211) إلى أن بناء الوسيط في اللغة الألمانية يتصرف كالمضاد الجعلي؛ إذ يجتاز تشخيص اللاناصب. ومع ذلك يقترح أنه يشتمل على منفذ ضمني غير موجود في المضاد الجعلي، ومختلف عن المنفذ الضمني في البناء لما لم يسم فاعله.

[11]- بينما يفترض الفاسي الفهري (183:1990) أن الموضوع الضمني هو مقولة ضميرية فارغة ذات تأويل مبهم، ويمكن أن تولد في موقع ملحق الجهة، وأن الصرفة المجردة /ـُ/ تولد تحت إسقاط جهي مستقل أدنى من إسقاط الزمن في التمثيلات الشجرية. ينظر: الفاسي الفهري (190:1990-193).

البيبليوغرافيا:

المصادر والمراجع العربية:

- الفاسي الفهري، عبد القادر (1986) المعجم العربي: نماذج تحليلية جديدة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1.
- الفاسي الفهري، عبد القادر (1990) البناء الموازي، نظرية في بناء الكلمة وبناء الجملة .دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1.
- الفاسي الفهري، عبد القادر (1997) المعجمة والتوسيط نظرات جديدة في قضايا اللغة العربية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، ط1.
- الفاسي الفهري، عبد القادر (2010) ذرات اللغة العربية وهندستها، دراسة استكشافية أدنوية، دار الجيل الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1.
- ابن عاشور محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر التونسي (1984) التحرير والتنوير «تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»، دار التونسية للنشر، تونس.

المصادر والمراجع الأجنبية:

- Ackema, Peter, and Maaike Schoorlemmer (1995) *Middles and nonmovement* . Linguistic Inquiry. 26 :173-197.
- Ackema, Peter; Schoorlemmer, Maaike (1994) *The Middle Construction and the Syntax-Semantics Interface* .Lingua. 93: 59-90.
- Alexiadou, Artemis; Doron, Edit (2012) *The syntactic construction of two non-active Voices*: *Passive and Middle* .Journal of Linguistics. 34-1 :48
- Alexiadou, Artemis; Schäfer, Florian (2006) *Instrument subjects are Agents or Causers* .« In :Proceedings of WCCFL ,25 pp. 40-48.
- Alexiadou, Artemis; Schäfer, Florian (2013) *Towards a non-uniform analysis of naturally reflexive verbs* . Universität Stuttgart. In Proceedings of WCCFL31 .
- Alexiadou, Artemis; Schäfer, Florian; Spathas, Giorgos (2014) *Delimiting Voice in Germanic*: *on Object Drop and Naturally Reflexive Verbs* .«To appear in Proceedings of NELS 44.
- Alexiadou, Artemis (2010) *On the morpho-syntax of (anti-)causative verbs*. In M. Rappaport Hovav, E. Doron & Sichel I (eds.) Syntax, Lexical Semantics and Event Structure. Oxford University Press, 177-203.Al-ghalaayyini, M.
- Burzio, L (1986) *Italian syntax*: *A government and binding approach*. Dordrecht: Reidel

- Chomsky, N (1981) *Lectures on Government and Biding*. Dodrecht, The
- Comrie, Bernard (1976) *The syntax of Causative Constructions : Cross-Language Similarities and Divergences*. In Masayoshi Shibatani , ed: *The Grammar of Causative Constructions* 261-312. New York : Academic Press.
- Condoravdi, Cleo (1989b) *The middle*: *where semantics and morphology meet*. MIT Working Papers in Linguistics.30–11:18 .
- Dimitriadis, Alexis (2004) *Discontinuous reciprocals*. Manuscript: Utrecht Institute of Linguistics OTS. Dobrovie-Sorin, Carmen. (1998). Impersonal se Constructions in Romance and the Passivization of Unergatives .Linguistic Inquiry. 29:399-437.
- Dobrovie-Sorin, Carmen (1998) *Impersonal se Constructions in Romance and the Passivization of Unergatives* .Linguistic Inquiry. 29:399-437.
- Embick, David (1995) *Mobile inflection in Polish*, University Pennsylvania, Proceeding of NELS 25.
- Fagan, Sarah. (1992) *The syntax and semantics of middle constructions* .Cambridge University Press.
- Fassi Fehri, Abdulkader (2011) *Arabic agree, silent pronouns, and reciprocals*. In *Perspectives on Arabic Linguistics*: *Papers from the Annual Symposia on Arabic Linguistics*, ed. by Hamid, Ouali and Ellen, Broselow, 77-126.
- Glanville Peter John B.A; M.S (2011) *The Arabic Verb*: *Root and stem and their contribution to verb meaning*. Presented to the Faculty of the Graduate School of The University of Texas at Austin in Partial Fulfillment of the Requirements for the Degree of Doctor of Philosophy, The University of Texas at Austin.
- Giorgi, Alesasandra, and Fabio Pianesi (1997) *Tense and aspect – from semantics to morphosyntax*. New York: Oxford University Press.
- Halle, Morris & Marantz, Alec (1993) *Distributed Morphology and the pieces of inflection*. In: K. Hale y S. J. Keyser (eds.), *The view from Building* 20. Cambridge, Mass.: MIT Press, 111-176.

- Hoekstra, Teun & Ian Roberts (1993) *Middle constructions in Dutch and English*. In Knowledge and Language II. Lexical and Conceptual Structure ,ed. Eric Reuland & Werner Abraham, 183-220. Dordrecht: Kluwer.
- Lekakou, Maria (2005) *In the Middle, Somehow Elevated* .UCL, doctoral dissertation.
- Le Tourneau, Mark (1997) *Implicit participles in Standard Arabic*. In Perspectives on Arabic LinguisticsXI : Papers From the Eleventh Annual Symposium on Arabic Linguistics, ed. by Niloofar Haeri, Mushira Eid and, Elabbas Benmamoun, 91-113. John Binjamins.
- Levin, Beth, & Malka Rappaport Hovav (1995) *Unaccusativity*: *At the Syntax-Lexical Semantics Interface*. Cambridge, MA: MIT Press.
- Marantz, Alec (1997) *No escape from syntax*: *Don't try morphological analysis in the privacy of your own lexicon*. In Proceedings of the 21st Penn Linguistics Colloquium, UPenn Working 303.
- Marelj, Marijana (2004) *Middles and Argument Structure across Languages*. Doctoral Dissertation, Utrecht Institute of Linguistics OTS. Netherlands: Foris. Papers in Linguistics, Vol 4.2, ed. by Alexis Dimitriadis, Linda Siegel, Clarissa Surek-Clark, and Ann Wiliams, 201-225. Philadelphia: University of Pennsylvania.
- Rapoport, T.R. (1999) *The English middle and agentivity* .Linguistic Inquiry . 30:147-155.
- Reinhart, T (2000) *The theta system*: *syntactic realization of verbal concepts,* OTS Working papers, 00.01/TL, University of Utrecht.
- Reinhart, T (2002) *The theta system*: *An overview*. Theoretical Linguistics 28:229–290.
- Reinhart, T. & Siloni, T (2005) *The lexicon–syntax parameter*: *reflexivization and other arity operations*. Linguistic Inquiry 36:3: 389–436.
- Schäfer, Florian (2008) *The Syntax of (Anti-)Causatives. External Arguments in Change-of-state Contexts*. Amsterdam: John Benjamins.
- Smith, C.S (1970) *Jespersen's 'Move and Change' class and causative verbs in English*. In Linguistic and literary studies in honor of Archibald A. Hill. Vol. 2: Descriptive

linguistics, M.A. Jazayery, E.C. Polome & W. Winter (eds), 101–109. The Hague: Mouton de Gruyter. Solstad, T. 2007. Mehrdeutigkeit und Kontexteinfluss: Die Spezifikation kausaler.

- Steinbach, Markus (2002) *Middle Voice* .Amsterdam: John Benjamins.
- Stroik, Thomas (1992) *Middles and Movement* .Linguistic Inquiry. 23:127-137.
- Stroik, Thomas (1995) *On middle formation*: *A reply to Zribi-Hertz* .Linguistic Inquiry. 26:165-171.
- Stroik, Thomas (1999) *Middles and reflexivity* .Linguistic Inquiry. 30:119-131.
- Tsimpli, Ianthi-Maria (1989) *On the Properties of the Passive Affix in Modern Greek*. UCL Working papers in Linguistics.260-235 :1 .
- Williams, Edwin (1992) *Reciprocal Scope*. Linguistic Inquiry, 22: 159-173.
-

جهود عبد الرحمن الجيلالي من خلال مجلة "الأصالة "الجزائرية

les efforts de Mohammed Abed Algelali par le magazine EL-Assala

د. عبد الكريم طبيش، أستاذ محاضر أ، المركز الجامعي عبد الحفيظ بوالصوف ميلة
الايميل المهني للباحث .a.tebbiche@centre-univ-mila.dz
الإيميل: a.tebbiche@centre-univ-mila.d

الملخص باللغة العربية:

عطاءات بحجم ماقدّمه عبدالرحمن الجيلالي لا ينبغي اختزالها في كلمات تقال هنا وهناك فيذكر في ذكرى وفاته فقط، ويأتي هذ االمقال محاولة لإبراز الحضور الذي ميّز الجيلالي على المشهد الثقافي العربي عموما وبخاصة في مجلة الأصالة الجزائرية ذات التسعة والتسعين عددا.

وما يعرضه المقال الموسوم: جهود عبد الرحمن الجيلالي من خلال مجلة الأصالة جزءا من الصورة الحقيقية لهذه الشخصية الموسوعية، التي أخلصت لوطنها فأجهدت نفسها وقدمت ما كانت تراه يخدم الدّين والوطن والإنسانية، ومن خلال ذلك نتساءل: ما الجهود التي بذلها الجيلالي؟

إلى أي مدى تعتز الجزائر بتراث هذه الشخصية المتميزة في الذود عن وطنها؟

الكلمات المفتاحية: عبد الرحمن الجيلالي، الأصالة، القدس، تلمسان، التوأمة.

Absract:

Donations of the magnitude of what Abd al-Rahman al-Jilali offered should not be reduced to words said here and there on the anniversary of this man's death.

This article comes as an attempt to highlight the presence that distinguished Al-Jilali on the national scene, especially in the Algerian magazine Al-Asala, which has ninety-nine issues.

And what the article presents tagged: Abd al-Rahman al-Jilali's efforts through Al-Asala magazine is part of the true picture of this encyclopedic personality who was devoted to her homeland, so she exerted herself and presented what she saw as serving religion, the homeland and humanity, and through that we wonder: What efforts did al-Jilali make?

To what extent is Algeria proud of the legacy of this distinguished personality in defending her homeland?

Key words: Abd al-Rahman al-Jilali , Al-Asala, Jerusalem, Tlemcen,twinning,

.

مقدمـــة:

الجزائر ولادة بالعلماء والمفكرين والباحثين في تاريخها القريب والبعيد، والعيب الذي كشفته الأيام فيها هو نسيانها أو تناسيها لهم، وتشير الدراسات الحديثة بقوة إلى تميز هؤلاء العلماء والمفكرين في الجزائر في شتى العلوم، كما تشير أيضا إلى قلّة الاهتمام بهم وبخاصة في مجال الآداب، وإلّا كيف نفسر عزوف طلبة الجامعات هذا التخصص عن خوض دراسة تراثهم إذا استثنينا السنوات القليلة الماضية؟

ويأتي هذا المقال للكشف تماما عن مكانة مرموقة لأحد هؤلاء العلماء والأدباء وهو الموسوعي عبد الرحمن الجيلالي، وبالأخص إسهاماته في المجلة الجزائرية المسماة" الأصالة" التي من خلالها يتبين للقارئ كيف كان تفكير علماء الجزائر حيال الأزمات التي مرت بها البشرية بُعيد استقلال الجزائر.

تكمن عبقرية الجيلالي من خلال مقاله " تلمسان والقدس الشريف" في الطرح الموضوعي للمشكلة التي تعاني منها الدول العربية تجاه فلسطين عموما ومسجدها القدس خصوصا بما لا يتنافى وقوانين الأمم المتّحدة، فضلا عن أنها هي التي أسرعت إلى أخذها بعين الاعتبار أثناء حدوث الكوارث إقليميا أوعالميا.

1 –تعريف بعبد الرحمن الجيلالي:

عبد الرحمن بن محمد الجيلالي من شخصيات الجزائر في العصر الحديث، ومن رجالها الذين خدموا الجزائر في إطار الحركة الإصلاحية، بقيادة رواد سجلوا أسماءهم في تاريخ الجزائر الحديث" ومنهم عبد الحليم بن سماية الذي كان من منتقدي النظام الاستعماري، رغم أنه كان أستاذا في إحدى المدارس الرسمية. تتلمذ الجيلالي على يد الشيخ المولود الزريبي الأزهري الذي كان مصلحا ثائرا، وكان الزريبي قد تخرج من الأزهر وعاد إلى الجزائر ليدعو إلى النهضة والإصلاح، ولكنه واجه عقوقا وركودا من شعبه. كما درس الجيلالي على الشيخ الحفناوي صاحب(تعريف الخلف)، الذي كان من رجال الدين الرسميين ومن الصحفيين الذين عملوا طويلا في جريدة المبشر الرسمية، ودرس الجيلالي على الشيخ محمد بن أبي شنب أيضا." (www.maarefa.dog).

وجدنا في بعض المواقع الإلكترونية أن ولادة عبد الرحمن الجيلالي كانت سنة 1908 بالجزائر العاصمة (بوابة الجزائر، algeria Gate)، وأنه واحد من الذين تلقوا تعليمهم الدّيني في مساجدها المشهورة التي كانت روضات للعلم وقبلة للتفقه في الدّين الإسلامي وهي: الجامع الكبير وجامع سيدي رمضان ومسجد ضريح سيدي عبد الرحمان الثعالبي، وهي المصنفة ضمن المعالم الإسلامية الأكثر أهمية في الجزائر العاصمة، وقد أعد الجيلالي دراسات دقيقة حول هذه المساجد، ركز فيها على فن بنائها المعماري. كما وجدنا في موقع آخر يرى صاحب المقال وهو الباحث مولود عويمر أن الجيلالي من مواليد بولوغين بالعاصمة الجزائرية، بها"حفظ القرآن، ودرس ألوانا من الثقافة الإسلامية: اللغة العربية والأدب والفقه وعلم الكلام على علماء الجزائر أمثال: الشيخ محمود البوزيدي والشيخ أبو القاسم الحفناوي والشيخ المولود الزريبي والشيخ عبد الحليم بن سماية والدكتور محمد بن أبي شنب. كما تعلم اللغة الفرنسية بمفرده"(**عويمر2015**)

لم يبخل عبد الرحمن الجيلالي على جرائد الجزائر وعلى مجلاتها بمقالات متنوعة في مادتها، ومتحدة في هدفها الذي هو خدمة الجزائر، ومن بين التي لا تزال شاهدة على نشاطه الفكري المتنوع: جريدة النجاح والإقدام والبصائر والشهاب وهنا الجزائر والأصالة والثقافة، لقد كان تركيزه في مقالاتها على حبه لوطنه حيث كشف فيها للقارئ عن شخصيات الجزائر ومدنها باعتزاز وافتخار، فكانت الشخصيات مثلا: المكي بن عزوز ومحمد البشير الإبراهيمي ومبارك الميلي وعبد الحليم بن سماية، أما المدن فمدينة: الجزائر وبجاية وتلمسان وقسنطينة والمدية، وكان غرضه في ذلك إبراز مكانة الجزائر في الثقافة العربية الإسلامية وإسهامات علمائها في قيام الحضارة العربية الإسلامية قديما وحديثا.

تشبع عبد الرحمان الجيلالي بالأفكار الوطنية الاستقلالية انطلاقا من عقيدته الإسلامية، "ولما أعلنت الثورة الجزائرية سنة 1954 التحق بصفوف جيش التحرير الوطني وألقي عليه القبض فسجن وعذب"،بعد استقلال الجزائر التحق بالمتحف الوطني للآثار بداية من عام 1965، وفي عام 1970 عيّن أستاذا للفقه المالكي بمعهد تكوين الأئمة بمفتاح (ولاية البليدة)، وأخيرا التحق بجامعة الجزائر في سنة 1983 كأستاذ لعلم الحديث، وكُرّم بشهادة الدكتوراه الفخرية.

من آثار عبد الجيلالي العديد من المؤلفات منها كتاب: تقويم الأخلاق 1927، وكتابه المشهور: تاريخ الجزائر العام الذي لا يجوز للفرد الجزائري مهما كانت كان مستواه الثقافي تجاهل محتوياته عند دراسته لتاريخ الجزائر، وكتاب: ذكرى الدكتور محمد بن أبي شنب وتاريخ المدن الثلاث، وله العديد من المقالات المنشورة في شتى الصحف الوطنية، وله أيضا أحاديث إذاعية عديدة لم تجد طريقها إلى التجميع والاستفادة منها كغيرها من آثار كتّاب الجزائر قبل الاستقلال وبعده، دون أن ننسى تأليفه لرواية المولد التي لقيت رواجا كبيرا، ومثلت عدة مرات على خشبة المسرح ، كما بثتها بعض الأقسام العربية لإذاعات دولية في لندن ونيويورك وباكستان ومصر حسب ما ذكره الشيخ الجيلالي في حواره مع جريدة جزائرية(عويمر،2015)

2- مجلة الأصالة

مجلة الأصالة الجزائرية ليست كأية مجلة ظهرت بعد استقلال الجزائر، لأنها تعد بمثابة مؤسسة ثقافية لا تقل من حيث الأهمية والتأثير عن مجلة البصائر الأولى والثانية الصادرة عن جمعية العلماء المسلمين الجزائريين قبل الاستقلال.

بعد مرور أكثر من ثلاثة عقود على صدور هذه المجلة، تبين للباحثين أنها كانت تؤدي دورا تاريخيا في الحفاظ على ثوابت الأمة الجزائرية التي ظن الاحتلال يوما أنها مُسخت في هويتها، كما كانت أيضا تبرز للعالم العربي والإسلامي أن للجزائريين ارتباطا وثيقا بأرضهم منذ فجر التاريخ الإنساني، وأنّهم التزموا بالقيم الفكرية الكبرى ودافعوا عنها بشراسة حتى خلّدت مُدنهم، وذاع صيت أعلامهم، وبخاصة وأن للذي أنشأ هذه المجلة – وهو مولود قاسم – مكانة مرموقة في العلم والمعرفة، ناهيك عن مثلها في الوطنية والنشاط الدؤوب، أو هو كما

قيل عنه(شعلة من الوطنية، وكتلة متحركة من الإخلاص لوطنه الجزائر وللإسلام والعربية وأمة العروبة وديار الإسلام أينما كانت، ويملك ثقافة عالية جدا وفذة في العلوم والحضارة العربية الإسلامية وفي التاريخ الجزائري أساسا والمغاربي والعربي بصفة عامة، والعالمي بصفة أعم، وطعم هذه الثقافة بإتقانه لعدة لغات أخرى أبرزها: الفرنسية والإنجليزية والألمانية والسويدية والأسبانية ... وإن خدمات مولود قاسم لوطنه الجزائر وتاريخه وحضارته عظيمة جدّا قد لا تُعد ولا تُحصى) **(بوعزيز، 1995، ص ص.272،271)**.

المتمعّن في المواضيع التي كانت مجلة الأصالة تحتفي بها وبأصحابها لا يصعب عليه اكتشاف الأهداف التي من أجلها سهر فريق المجلة وفي مقدمتهم مولود قاسم، لأنّها جاءت كما قال يحي بوعزيز(لتواكب حركة التطور في البلاد، وتكشف الغطاء عن ماضي الجزائر المشرق، وتاريخها الطويل الحافل بالأمجاد والبطولات) (**بوعزيز، 1995،ص.274)** ، فالمجلة ثقافية تصدرها وزارة التّعليم الأصلي والشّؤون الدّينية، لها مبدأ ومخبر يتمثلان في كونها ثورة ثقافية وروحية تتصدى لكل أنواع الفكر المنحرف المستورد بالحجة والبرهان للعودة بالجزائر إلى جادة الطريق،(أما من حيث المنهج والمظهر الخارجي فستصدر هذه المجلة كل شهرين مؤقتا وسيتجلى مظهرها الخارجي من حين لآخر برسم من رسوم ماضينا التّليد المجيد من أقدم ما يوجد في بطون التّاريخ ممن كانوا مرجعا من مراجع وطنيتنا أثناء الكفاح التحريري على اختلاف عصوره وأطواره من الثوري السياسي إلى الثوري المسلح، أو بمنظر طبيعي من تضاريس هذا البلد الجلي الجميل، أو بصورة لشخصية مغربية، أو إسلامية عامة أو من التراث الإنساني المشترك الواسع) . (مجلة الأصالة، 1971، ص.2)

ويعود فضل تذكير الشعوب والأمم بمكانة الجزائر في الحضارة الإنسانية إلى جهود الساهرين على إصدار أعداد مجلة الأصالة ذات التسعة والتسعين عددا.

مضامين مجلة الأصالة متنوعة ومتشعبة، لكن محورها الأساسي هو خدمة الأمة الجزائرية من حيث دينها بمفهومه الواسع، لأن الدّين بالنسبة للطبقة المثقفة في الجزائر مقوم أساسي في تركيبة النسيج الاجتماعي للشعب الجزائري الذي عانى الويلات من أجل افتكاك حريته، لذلك لا غرابة أن يجد القارئ كل الأعداد مفعمة بالمادة التي تخبرك عن الدعوة إلى كل ما يخدم الوطن بحب وصدق، وفي شتى مناحي الحياة، وقد صُبّت هذه المادة في قوالب أدبية وعلمية، وصيغت بأسلوب علمي رصين ذي قصد، مما يدل على أن إدارة المجلة كانت تعمل بمنطق رزين حتى يساير اتجاه المجلة ومستجدات المجتمع الجزائري الذي لم يمض على استقلاله إلا عقد واحد من الزمن، حيث صدر العدد الأول لمجلة الأصالة في شهر مارس عام ألف وتسعمائة وواحد وسبعين.(مارس 1971).

ثانيا: ميادين مجلة الأصالة

أبرز الميادين التي غطّت مجلة الأصالة أخبارها ثلاثة ميادين هي:

1 - **ميدان الدراسات التاريخية** وقد استمر لصيقا بأعدادها جميعا.

هذه بعض عناوين المقالات التي تضمنتها الدراسات التاريخية:

- الجزائر في تاريخ الحضارة.
- هرمان هاون واحتلال الجزائر.
- العلاقات بين الجزائر وإيطاليا خلال العهد التركي.

2 -**ميدان الدراسات الإسلامية** الذي أطْلع الشعوب العربية والإسلامية على الوشائج الفلاذية التي تربط الجزائريين بتراثهم الحضاري.

وهذه بعض عناوين المقالات كانت هي الأخرى متميزة بجدتها:

- عالمية الإسلام وخلوده.
- الشيخ محمد أمزيان بن الحداد وقضية الحج.
- دور الإسلام في تاريخ الإنسانية.

3 - **ميدان الثقافة والأدب،** الذي فتح الباب لنبوغ أقلام نخب جزائرية.

ولم تغفل أعداد مجلة الأصالة وهي تدافع عن الدين والأرض واللغة، تلك الميادين الفكرية والحضارية، أو مستجدات الأخبار الثقافية والعلمية التي تجود بها كبريات مجلات العالم، لأن المجلة كانت ترى نفسها مجبرة على مواصلة درب الأولين من الشخصيات الأدبية والعلمية والسياسية للأمة وفي الاتجاه الذي يحفظ الشخصية ويعزها، وهو السبب ذاته الذي يشعر القارئ بأن اتجاه المجلة يصبو إلى إعداد جيل المستقبل للأمة الإسلامية.

وهذه بعض العناوين التي شملها هذا الميدان:

- الصراع بين العربية والفرنسية في الجزائر قبل الثورة
- دور الأديب في بناء المجتمع العربي المعاصر
- دراسة حول ديوان محمد العيد آل خليفة
- الجزائر في الأدب المغربي الحديث والمعاصر.
- فن المقامة في النثر الجزائري الحديث
- الجراح التي لا تنام، (شعر)
- أدباؤنا والمسيرة الثورية

ثالثا:- كتّاب مجلة الأصالة

أما عن كتاب مجلة الأصالة فقد تعددت أسماؤهم وأسماء دولهم وجنسياتهم واتجاهاتهم وعقائدهم، وانصهرت تصوراتهم من أجل هدف واحد هو: إثراء الفكر البشري وخدمة الحضارة الإنسانية والعمل على تقريب المفاهيم لدى العلماء، وصهر وجهات النظر في بوتقة واحدة، ومن هؤلاء:

مولود قاسم نايت بلقاسم وأحمد طالب الإبراهيمي وعبد الرحمن حاج صالح وأبو القاسم خمار ويحي بوعزيز وأبو القاسم سعد الله ومصطفى الأشرف وعبد القادر زبادية وعلال الفاسي وعبد الملك مرتاض ومحمد الصالح الصديق وهشام الصفدي وعثمان الكعاك وعباس الجراري ومحمد عمارة وعبد الله ولد بوية وشارل روبير آجرون وعمر فروخ وشكري فيصل وعلي عبد الواحد وافي وفرنسيس منهايم وإحسان عباس ومفدي زكريا ومحمد أركون ومحمد الغزالي، ويرى القارئ أن الذين اشتملتهم القائمة صاروا من أشهر الكتّاب والأدباء والعلماء في عصرهم.

7 - عناوين مقالات عبد الرحمن الجيلالي في مجلة الأصالة

وأنت تطالع أعداد مجلة الأصالة، لا ترى فيها إلاّ ما يثير إعجابك، ويدفع بك إلى أن تتمتع بما تقرأ، وبخاصة أن أصحابها أدباء وعلماء وفلاسفة لا يكنّون للبشرية جمعاء إلا الخير والسلام، ومنهم عبد الرحمن الجيلالي الذي إذا استنطقنا خميرة المادة التي كُتب بها مقالاته في هذه المجلة وجدنا صاحبها موسوعيا كما وُصف.

يمكن تقسيم مقالات الجيلالي التي ضمتها أعداد مجلة الأصالة إلى الآتي:

أ - مقالات في وصف أماكن ذات أثر(يمكن تصنيف ذلك في أدب الرحلة).

ب - مقالات في ذكر شخصيات جزائرية لها حضور طيب في التاريخ الجزائري (يمكن تصنيف ذلك في السيرة الذاتية).

ج - تمثيلية(فن المسرح).

د - مقالات في دراسة مواضيع حساسة طرحت للنقاش بقوة آنذاك.

وهذه الجداول على الترتيب تشهد للجيلالي حضوره الشامل المتعدد: الوطني والقومي والفكري والإسلامي والأدبي في أعداد مجلة الأصالة الجزائرية الصادرة في عهد الرئيس هواري بومدين.أنظر الشكل1 الشكل2الشكل3 الشكل4

- التمثيل

العنوان	العدد	التاريخ	السنة	الصفحة
الهجرة ودار الندوة (تمثيلية)	91	نوفمبر، ديسمبر 80	التاسعة	131-113

- الدراسات

العنوان	العدد	التاريخ	السنة	الصفحة
تلمسان والقدس الشريف	26	جويلية، أوت 75	الرابعة	110-104

من بواعث الاستشارات واهداف الشرقيين	15-14	جوان، جويلية73	الثالثة	159-155
تحقيق موقع (برشك)	23	جانفي، فيفري 75	الرابعة	77-76
الخلافة وإمارة المسلمين أو لبيعة ومبدأ الشورى في الاسلام	28	نوفمبر، ديسمبر 75	الرابعة	101-94
هؤلاء التوارك الملثمين	72	أوت 79	الثامنة	35-18
التجديد والمجددون في الاسلام	76-75-78-77	نوفمبر،ديسمبر 79	الثامنة	270-265
حاجة البشرية الى التشريع السماوي	80-79-82-81	جانفي ، فيفري 80	التاسعة	55-43
نظرة محمد صى الله علية وسلم الى المرأة	88-87	جويلية ، أوت 80	التاسعة	66-61

- الرحلة

العنوان	العدد	التاريخ	السنة	الصفحة
الجامع الكبير بمدينة الجزائر معمارا وتاريخيا	8	ماي جوان 72	الثانية	128-113
حول جامع سيدي بومروان العتيق بعنابة	35-34	جوان ، جويلة 76	الخامسة	194-184

- السيرة

العنوان	العدد	التاريخ	السنة	الصفحة
جوانب من كفاح عبد الحليم بن سماية السياسي والثقافي	13	مارس أفريل 73	الثالثة	212-199
لمحة عن زحف علي بن عافية الميروفيعلى بجاية	19	مارس، افريل 74	الرابعة	37-31
أبو يعقوب يوسف الورجلان وكتابه الدليل والبرهان	41	جانفي 77	السادسة	171-162
شخصيات لامعة من الأوراس	61-60	أوت، سبتمبر 78	السابعة	114-103
الشهيد عبد الواحد الونشريسي (955ه-1545م	83	مارس،أفريل،ماي، جوان 1980	التاسعة	45-39

رابعا: نموذج للتحليل:

مقال "تلمسان والقدس الشّريف"

عادة ما تدفع بالكتّاب والأدباء إلى نشر أفكارهم التي يؤمنون بها، غايات نبيلة يتمنون أن يشاركهم فيها قراؤهم، ويحبون أن تجسد في واقع الشعوب، ونشعر من هذا المنطلق أن الكاتب عبد الرحمن الجيلالي قد اختار مواضيعه بهذا القصد وبدقة متناهية، كما تشير إلى ذلك العناوين التي ذكرناها في الجداول، ومنها الموسوم:" تلمسان والقدس الشّريف" الذي يتضمن الحديث عن روابط تاريخية للمدينتين العريقتين رغم البون الشّاسع بينهما جغرافيا، حيث تقع إحداهما في المشرق العربي والأخرى في غربه.

المقال

تكمن عبقرية الكاتب في مقاله هذا حينما قام باستدعاء مجموع الأحداث التاريخية والعلمية والدينية، وركّب منها وشائج متينة بين شعوب المدينتين، ودعا إلى ضرورة إيصال الماضي بالحاضر والقيام بالتوأمة بين المدينتين.

يقع مقال: " تلمسان والقدس الشريف" في عشر صفحات، وقد نشر في العدد السادس والعشرين من مجلة الأصالة الجزائرية بتاريخ جويلية وأوت 1975، وهي السنة التي اجتمعت فيها أحداث حزينة وقعت للعرب والمسلمين عموما وللمقدسيين بالأخص، وتتمثل في شراسة الصراع بين أصحاب الأرض من المسلمين والمسيحيين وبين مغتصبيها من اليهود الصهاينة. ففي عام ألف وتسعمئة وخمسة وسبعين 1975 أعلنت الحكومة الإسرائيلية(وزارة الزراعة تحديدًا) عن مخطط"تطوير مدينة الجليل" الذي استهدف تحقيق سيطرة ديموغرافية يهودية في هذه المدينة، والذي كانت غالبية مواطنيه (70%) من العرب، وفي صلب هذا المخطط التهويدي مصادرة حوالي 21,500 دونما معظمها في مدينة الجليل، في منطقة سخنين وعرّابة ودير حنا في البطوف، وفي المثلث والنقب، وفي السنة نفسها تم التوقيع على اتفاقية سيناء الثانية في جنيف بين مصر وإسرائيل، وفيها أيضا تكللت تحركات جهود أحزاب عربية بتأسيس لجنة الدفاع عن الأراضي، ثم عقد مؤتمر شعبي كبير في مدينة الناصرة، ويذكر أن لجنة القدس تأسست بتوصية من المؤتمر السادس لوزراء خارجية الدول الأعضاء في منظمة التعاون الإسلامي المنعقد في المملكة العربية السعودية في جدة عام 1975، وكل هذه الأحداث جعلت الكاتب عبد الرحمن الجيلالي يبدأ مقاله بمقدمة تكشف عن نفسية متألمة وروح مضطربة وغير مطمئنة، ستزول أعرضها حينما يُقرن – في مقاله- بين اسم تلمسان واسم القدس الشريف، فالروابط بين المدينتين (تمتد إلى زمن بعيد ضاربة في أعماق التاريخ القديم والحديث أيضا، وهي تزيد على رابطة الجنس والدين واللغة بما يتصل هناك من روابط وصلات أخرى أدبية

واجتماعية وسياسية وما إلى ذلك من أعمال كثيرة هي من قبيل البر والخير والإحسان) **(الجيلالي، 1975،ص.104)**

فمقال الجيلالي الموسوم:" تلمسان والقدس الشريف" يحتوي على فكرة جوهرية هي: الدعوة إلى نصرة القدس الشريف بأسلوب حضاري جديد يتمثل في تفعيل فكرة التوأمة بين المدن العربية والإسلامية تقليدا لما قامت به الجزائر مع دولة تشيكوسلوفاكيا ودولة بلغاريا.

ولدراسة هذه الفكرة استرجع الجيلالي أحداثا تاريخية للمغاربة في فلسطين، وأبان من خلالها عن الروابط القوية التي كانت بين القدس الشريف ومدن المغرب العربي عامة وتلمسان بخاصة في القديم والحديث، ثم تطرق إلى الكيفية التي تم من خلالها تشكيل تلك الروابط، حتى صار للمغاربة بأرض فلسطين مفاخر تُذكر، مكتفيا بالإشارة إلى أشهر ما سجله التاريخ للمغاربة عموما ولشخصياتها على وجه الخصوص، وكان ممن ذكر من الشخصيات التي لها أوقاف لفائدة الفقراء والمساكين بالأقصى الشريف: الشيخ شعيب بن الحسين الشهير بأبي مدين الغوث التلمساني.

3.3 روابط بين المدينتين (تلمسان والقدس الشريف) قديمة وحديثة

- قديمة

من الروابط الفلاذية التي أشار إليها الكاتب في مقاله، رابطة المغاربة نزلاء بيت المقدس الشريف، ملاك حارة باسم: حارة المغاربة، وأصحاب وقف إسلامي للفقراء والمساكين؛ إذ يرجع الفضل إلى رواد من المغرب في إيجاد الحارة المتصلة بحائط البراق، وكذلك شأن باب المغاربة وحائط المبكى والرصيف الموجود أمامه، كلها أوقاف إسلامية مغاربة(نجد هناك حارة المغاربة متصلة بحائط البراق وهو الجدار الذي يحوط الحرم القدسي من الناحية الغربية، وبأعلا الحارة هذه نجد كذلك زاوية المغاربة التي أنشأها من ماله الخاص الشيخ عمر بن عبد الله المغربي المصمودي المعروف بالمجرد، وأوقفها على الفقراء والمساكين ثالث ربيع الثاني سنة 703هـ/1303م، وبجنوب باب السلسة نجد باب المغاربة وحائط المبكى نفسه ومعه الرصيف الكائن أمام هذا الحائط، كل ذلك هو وقف إسلامي تلمساني محض يرجع إلى أوقاف الشيخ شعيب بن الحسين الشهير بسيدي أبي مدين الغوث ... أنشئ هذا الوقف زمن صلاح الدين الأيوبي لمنفعة جماعة من المغاربة المسلمين) .

يسترسل الجيلالي في الحديث عن وشائج المغاربة بالمقدسيين فيسمي روادا تقلدوا مناصب بالقدس الشريف كونهم من علماء وفقهاء المذهب المالكي، ومن بين علماء المغرب العربي هؤلاء تلمسانيون تقلدوا منصب القضاء والإفتاء، ومنهم(نجد منصب قضاء المالكية بالقدس الشريف فس سنة 858هـ/1454م كان مسندا إلى القاضي برهان الدين إبي إسحاق ابراهيم بن زين الدين أبي المعالي منصور المالكي التلمساني، وفي سنة 867هـ/ 1462م خطة قاضي القضاة أو قاضي الجماعة بالديار المقدسية مسندة إلى الشيخ شهاب

الدين أبي العباس أحمد التلمساني) (**الجيلالي، 1975،ص105**). وخلاصة القول، يرى الجلالي أن للمغاربة ببيت المقدس ذكريات متأصلة سواء بأرض فلسطين عموما أو بمقدسها خصوصا(وحينما توجّهتُ وطفتُ بأرض فلسطين المقدسة وسبحتُ في أجوائها العطرة أو جلتُ في أنحاء بقاعها الفسيحة إلا وجدت هنالك للمغاربة- تلمسانيين أو غيرهم – أثرا ظاهرا يذكر فيشكر، وألفيتُ جو بيت المقدس على الأخص يعبق بعبير شذا مفخرة تلمسان خصوصا، والمغرب العربي قاطبة عموما العلامة أحمد بن محمد المقرئ التلمساني.

- حديثة

يركز الجلالي في ذكر الروابط الحديثة في مقاله على مواقف الجزائريين شعبا وأحزابا قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها، ويذكر مثالين اثنين:

- ويتمثل الأول في ردة فعل حزب الشعب الجزائري من جرائم جنود الاحتلال الإسرائيلي عام 1937م، حيث انتفض أنصار الحزب في ربوع الوطن الجزائري وجمعوا أموالا نصرة للقضية الفلسطينية.

- ويتمثل الثاني في العمل المثالي الذي قام به الطالب شعيب التلمساني المتمثل في إنشاء لجنة بالقدس عام 1952م في سبيل حماية وقف سيدي أبي مدين الغوث لحمايته والمحافظة عليه(فكل ذلك يدلنا على عناية أهل الجزائر وبالأخص منهم أهل تلمسان بالتراث الذي يربطنا بهذه البقاع المقدسة منزل الوحي ومصدر الأنبياء والمرسلين ومهبط الملائكة ومصعد النور من الفرش إلى العرش). (**الجيلالي، 1975،ص110**)

خاتمة المقال

بعد عرض الجيلالي لمحطات المغاربة في فلسطين قديما وحديثا وبخاصة قضية القدس الشريف، انتهي - في نهاية هذا المقال- إلى عرض صياغة جديدة حضارية يمكن أن تكون متنفسا بديلا حديثا عن الطرق التليدة في مناصرة الشعوب، تماشى والتطور الفكري في العالم الأوروبي والعربي والإسلامي على حد سواء، كل ذلك من أجل تمتين وشائج الأخوة وأواصر الدين بين أهالي مدينتي تلمسان والقدس الشريف، ويتمثل هذا العرض في الدعوة إلى فكرة التوأمة*(وأنا أقترح اليوم ربط مدينة تلمسان بمدينة القدس الشريف، تثبيتا وثيقا لما بينهما من علاقة الصداقة والود والإحسان، حتى تستمر هذه العلاقة منتظمة، لا تنفصم ولا تزول بحول الله) (**الجيلالي، 1975،ص،110**)

خاتمة:

بهذه المقالة نكون قد عرّفنا بعبدالرحمن الجيلالي وبحضور جهوده الأدبية والفكرية من خلال مجلة الأصالة الجزائرية، وتعرفنا على بعض أفكاره التي طرحها من خلال مقاله: تلمسان القدس الشريف، ومن ذلك يمكن أن نقول: إن الجيلالي وطني الروح وقومي الاتجاه وإسلامي المبدأ وعالمي الفكر استطاع أن يفيد قارئه بأحداث تاريخية وفكر حر يتفاعل مع أفكار غيره ليصوغ منها طريقا جديدا قادرا على إراحة الإنسانية من بعض ماتعانيه،

وإلى جانب ذلك كله فهو حاضر كأديب في موضوعات السيرة والرحلة والمسرح مجسدا لخصائصها، فضلا عن حضوره الميداني في التطبيب للمسائل الشائكة مثل مسألة القدس الشريف بأسلوب حضاري .

المصادر

•الكتب:

1- بوعزيز، يحي (1995).أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، ج 1، ط 1، دار الغرب الإسلامي.

المجلات:

[1] - مجلة الأصالة.(1971). السنة الأولى، العدد 1، محرم 1391هـ.

المواقع الالكترونية:

[1]- عويمر،مولود (2015). الشيخ عبد الرحمان الجيلالي – ذاكرة الأمة – موقع المكتبة الجزائرية، قسم: مقالات ودراسات جزائرية، تصفح يوم 2023/1/30، الساعة 16.و 37د.

[2]- المعرفة، موسوعة عربية، عنوانها: www.maarefa.dog، تصفح يوم 2022/12/14، الساعة 13.00.

[3]- الموقع الإلكتروني: بوابة الجزائر، algeria Gate، ماضي وحاضر وخطرات. تصفح يوم 2023/1/30، الساعة 16.و37د.

الهوامش:

*- ينظر ما ذكره الجيلالي في هذا المقال مثالا واقعيا عن فكرة التوأمة قائلا: ابتكر ذوو الخبرة السياسة فكرة التوأمة jummlage بين البلاد إمعانا منهم في ربط صلة التآخي والمآخاة بين الناس جميعا، فتراهم ربطوا بهذه الطريقة عاصمة الجزائر ببراق عاصمة تشيكوسلوفاكيا، كما ربطوا مدينة صوفيا عاصمة بلغاريا بعاصمة الجزائر أيضا، مجلة الأصالة، عدد 26، ص 110.

التجريب في الخطاب الروائي المغاربي، بين الخرق والتجاوز

Experimentation in the Moroccan novelist discourse reach and transgression

غازي عتيقة دكتوراه، جامعة محمد الخامس-الرباط-المغرب
البريد الإلكتروني: ghaziatika@gmail.com

الملخص:

يسعى هذا العمل إلى اتخاذه من "التجريب" موضوعا تيماتيا اعتمادا على استراتيجية التجاوز والخرق ،باعتباره سؤالا مركزيا شغل فكر الروائيين المغاربة، حيث تحولت الكتابة الروائية المغاربية عن مسارها التقليدي، لترتاد آفاقا جديدة حاولت من خلالها البحث عن أشكال جديدة تستطيع بواستها أن تلامس الأسئلة الجديدة ومجابهة الواقع بعمق، انطلاقا من الانفتاح على التراث العربي الإسلامي والتراث المحلي ،بوصفه منطلقا يمكن للتفاعل معه أن يبلور كتابة روائية أكثر جدة، ثم الانفتاح على التجربة الروائية الغربية والتجارب العالمية باعتبارها مصدرا لتحديث الكتابة الروائية، وجعله أكثر قدرة على طرح الموضوعات التي تؤرق كتاب الرواية المغاربية.

الكلمات المفتاحية:

التجريب، الخرق والتجاوز، الكتابة الروائية، التفاعل النصي، التراث السردي، اللغة التراثية، المدونة.

Abstract:

This work seeks to take it from "experimentation" as a thematic topic based on the strategy of transgression and breach, as a central question that occupied the thought of Moroccan novelists, as the Maghreb novelist writing shifted from its traditional path, to explore new horizons through which it tried to search for new forms through which it can touch new questions. Confronting reality in depth, based on openness to the Arab-Islamic and local heritage, as a starting point with which interaction can crystallize more novelistic writing, then openness to the Western novelist experience and global experiences as a source for modernizing novelist writing, and making it more capable of raising issues that haunt novel writers. Maghreb.

Keywards :

Experimentation, breach and transgression, novel writing, textual interaction, narrative heritage, traditional language, blog.

في البدء:

لقد كشفت التجربة الروائية المغاربية عن تنوع كبير في أنماط السرد وتقنيات الكتابة وأشكال التعبير، تنوع يعكس تعدد الأجوبة التي قدمها الخطاب الروائي المغاربي في مواجهة وضع ثقافي مزدحم الخصوصيات وبأقطاب الهيمنة . لقد طور هذا الخطاب بوصفه وعيا وشكلا من أشكال ممارسة الوجود، عدة استراتيجيات لإثبات حضور خاص به. فظهر اتجاه روائي يسكنه هاجس التجديد وتجاوز الأشكال السائدة عربية كانت أم أوروبية، بناء على ذلك يطمح لصياغة نسق روائي جديد محكوم بنزعة "تأصيلية" تنهل من التراث أساليب القص والحكي، أي للانطلاق من نوع سردي قديم كشكل واعتماده منطلقا لإنجاز مادة روائية، وتتدخل بعض قواعد النوع القديم في الخطاب فتبرز من خلال أشكال السرد وأنماطه أو لغاته أو طرائقه، ويمكن التدليل على ذلك بحضور أنواع ذات أسلوب قديم كالمقامة والرسالة والرحلة وكتابة المشاهدات وحكي الوقائع وما شابه هذا.

هذه التجربة ذات النزوع "التأصيلي" تعمل-ضمنيا-لرد الاعتبار لهذه الجذور القديمة ولتفادي استنساخ الأشكال الغربية وخلق أشكال فنية للرواية تستمد عناصرها من التراث العربي، تتخذ صيغا وأشكالا مختلفة. وتتدرج ضمن هذا المحور تجربة لافتة للنظر في هذا الإطار إنها: تجـــربة صلاح الدين بوجاه. فهل استوعبت الرواية التونسية المخيال المغاربي في نسيجها الإبداعي؟ وما هي مستويات التماهي بين المخيال والخطاب الروائي؟ ثم إلى أي مدى يمكن اعتبار هذه العلاقة تعبيرا عن البحث عن الهوية؟ وهل يتعلق الأمر بالبحث عن هوية للخطاب أم عن خطاب للهوية؟ ما هي الأسس المعرفية والجمالية للكتابة الروائية المغاربية الحديثة في علاقتها بالتراث السردي العربي؟ ما هي خصوصية التعالق والتفاعل النصيين بأنماط الكتابة السردية القديمة؟.

1.ملامح التراث في عنوان الرواية/المدونة:

إن في هذا المسار ما يجعلنا نتبين بنيات تراثية تتأسس عليها الرواية، تسعف المبدع على التحرر والانعتاق من قبضة الرواية الغربية، والانزياح عن مسيرتها، ومن أهم ما يلفت النظر فضلا عن ذلك، كون الرواية تتخذ من عنوانها شاهدا على الانتماء التراثي. فكيف يسعف العنوان في توثيق العلاقة بين الرواية والتراث؟.

يعتبر العنوان عتبة أساسية لولوج العالم الروائي، اختلف النقد حول وظائفه وأهميته، فإذا كان أمبرتو إيكو يؤكد أن العناوين الغامضة غير المخبرة تعتبر من أفضل العناوين، لأن أساس العنوان ليس في إيحاءاته الدلالية وإنما في وظيفته التعيينية التي تمكن من تمييز هذا النص عن زخم هائل من النصوص، فإن إغراق

جيرار جنيت وغيره من النقاد في تحديد الوظائف المناطة بالعنوان، يوحي بأهمية العناوين المخبرة والمشحونة دلاليا.

يقع عنوان الرواية " مدونة الاعترافات والأسرار"(بوجاه،1985)موقعا وسطا بين العنوان المعتم والإخباري، فلا هو غامض ولا معتم بشكل كلي، لأنه لا يمكننا من اقتراح مسار دلالي ممكن قد تطوره الرواية وتستثمره، لكن العنوان يجعلنا، وكما أسلفنا الذكر، نتبين ارتباطه بالتراث بحيث يبوح عنوان رواية "مدونة الاعترافات والأسرار" منذ الوهلة الأولى بالإيحاء التراثي للنص مختزلا بذلك برنامجا سرديا شديد المواربة والتعقيد، وهو ما يفتح أفق انتظار يحيل على مساحة أجناسية بينية تمتح من الرواية الغربية والحكي الشعبي معا. فهو يتكون من ثلاث ملفوظات: "مدونة"، "الاعترافات"، "الأسرار".

ولعل ما توحي به لفظة "مدونة" إشارة إلى عملية التدوين والكتابة باليد، واللفظة بهذا المعنى تشي بعالم ضارب في القدم، وتحيلنا على فن سردي قديم هو "الخبر"، وآخر حديث هو "الرواية" في محاولة لكتابة مشروع مناهض للسائد ليؤسس شكل كتابة جديد تحقق التوق إلى المغايرة من خلال العودة إلى التراث ويمثل بعض أشكاله السردية وخصائصها الجمالية تمثلا ينم عن استيعاب واع يتجاوز المحاكاة إلى الإضافة.

ثم إن هذا الملفوظ جاء مقرونا بشخصية "أبي عمران" ليصبح لصيقا به وهو ما تشير إليه لفظة "الاعترافات" وتؤكده عبارة "الأسرار"، التي تعلن منذ البداية أن الكتابة تقوم على منطق البوح والمكاشفة التي تتأسس في هذه الرواية على تعرية الذات في سياق المتن الروائي، ضمن نسق عربي قديم يقوم في بنائه وعرض مادته المعرفية على المتن والحاشية. والتي هي عبارة عن كتاب الحلقات للراوية "نجي الراوية أبي اليسر حسن بن علي"، الشيء الذي يحيل على توظيف فن الخبر الذي تشتغل عليه المدونة-الرواية وهو "الحديث" الذي تشهده المجالس والحلقات والمسامرات على اختلافها وتعدد مرجعياتها، وأبي اليسر بن حسن علي" ناقلا وراوية.

أما الملفوظ الثالث والأخير، فيتمثل في تحديد الإطار الأجناسي لهذا العمل بكونه "رواية تجريبية"، بهدف بناء رؤية فنية جمالية تجمع بين ما هو تراثي وحداثي من أجل بلورة التراث واستثماره مع ضرورة ربطه بروح العصر. ذلك أن المدونة/الرواية تؤكد من خلال ملفوظاتها اللغوية وانفتاحها على أشكال سردية قديمة كالمتن والحاشية، وفن الخبر، والحديث. لكن صدروها عن هذا النص التراثي لا ينفي عنها حداثتها فهي "رواية تجريبية" تسعى إلى تجاوز السائد والمألوف وتتوق إلى المغايرة من خلال النهل من معين التراث، إيمانا من صاحبها بأن "الكتابة الروائية تحول مستمر...متعرج حينا، عائد إلى أعقابه حينا، مفلت من أسر أصوله في أحايين كثيرة(...)وكل مشروع كتابة يلبث أيضا مشروع مناهضة للسائد، فالكتاب هم رافضة هذا الزمن وكل

زمان في واقع الأمر ذلك أنهم يحلمون بمجتمع بديل وبرؤية بديلة وبلغة بديلة تربك منظومة المستقر كي تعيد ترتيبه" (بن جمعة،1996، ص105) .

لقد حاول صلاح الدين بوجاه المهووس بالتجريب غزو المجهول وعدم الاكتفاء بما هو موجود، إنما هو ينزع إلى قهر المحظورات وتخطي الصعاب، وتجاوز المتناقضات، وربط حوار مع المتلقي. لقد عمد بوجاه إلى إحياء التراث-الذي مس كل المستويات-وجعله قادرا على الاستمرار والمساهمة في عملية الخلق والإبداع، كما تمكن من الأخذ من الآخر تماشيا مع مقتضيات المعاصرة لا مع متطلبات الماضي.

1.1.الخطـاب المقدمـاتي:

إن المقدمات تندرج في إطار النصوص الافتتاحية سواء كانت ذاتية يحررها الكاتب أو غيرية يكتبها له الآخر(ناقدا أو مبدعا أو ناشرا)، وتهدف إلى إنتاج خطاب على هامش المتن ويسبقه في الآن نفسه، علما أن المقدمات لا ينبغي أن تصادر حرية القارئ ولا أن تقيده برؤية قبلية حول الموضوع، بل يجب أن تشكل مفتاحا لحوار القارئ مع النص(استمتاعا ونقدا).

وعلى النقيض من العنوان فالخطاب المقدماتي خطاب اختياري"لا يتوقف عليه إخراج الكتاب بالضرورة(عكس العنوان واسم الكاتب باعتبارهما محفلين إجباريين لا اختياريين، فلا تدخل المقدمة في نطاق لزوم ما يلزم"[3] (genette ,(1987),p:152).

واختيار مقدمة/مقدمات لعمل ما يخضع لاستراتيجية الكتابة كما لمقصديتها، بل إن بعض الكتاب ذهبوا إلى رفضها والاستغناء عن خدماتها واعتبروها"إساءة لجوهر العمل الإبداعي الذي يفترض فيه توافره على القدر الكافي من الاستقلال والاكتفاء الذاتيين المطلوبين لمواجهة كل الاحتمالات التداولية الممكنة"[4](بوطيب،2001، ص11).

وهذا المأزق الوظيفي يقترح جنيت لتجاوزه استراتيجية مضادة، تقوم على تأجيل قراءة المقدمة/المقدمات إلى لحظة الانتهاء من قراءة النص الرئيس، فيقول "من أكبر سيئات المقدمة أنها تؤسس للحظة تواصل غير متكافئ، مادام الكاتب يقترح فيها على القارئ التعليق القبلي على نص لم يعرفه بعد، لذلك فإن العديد من القراء يفضلون قراءة المقدمة بعدما عن أي شيء يدور النص"[5] (genette ,p :219).

* كلمة المؤلف:

يستهل بوجاه مقدمته بقوله "فهي تجربة مضادة للرواية الغربية الكلاسيكية. وهي تجربة مضادة للرواية العربية الحديثة والوسيطة (وإن صح هذا المصطلح في الدلالة على إبداعات مستهل القرن)، في الآن ذاته فلا نكاد نستثني من ذلك غير بعض الإبداعات التونسية المتأخرة"[6] (بوجاه، 1985،ص11). كنص روائي يراهن على افتتاح السبيل أمام الروائيين العرب المؤمنين بالتجريب باعتباره دربا نحو إمكان بناء ما اندك ورتق ما ترهل"[7] (بوجاه، 1985، ص14). ويثير بشكله السردي الخاص المستقل وصياغته الكتابية القائمة على ثنائية الحاشية والمتن لكي "تقتبلك بمستوييها الإبلاغيين المتمثلين في المتن والحاشية موحية بتعاضدهما وتآزرهما في القيام بأمر رسالة تواصلية لا انفصام لعرى أحاديثها. إنهما بمثابة "الحوضين"المتراشحين من حيث انطلاق كل منهما من الثاني وإحالته عليه وعودته إليه في حركة لولبية لا تكاد تدرك لها نهاية"[8] ((بوجاه، 1985، ص11). فعبر ثنائية المتن والحاشية تتواثر أنساق المدونة بمستوييها الرئيسين لصياغة عمل تجريبي تتضام فيه الأنساق لتتجاوز بنيتها وتشيد"صرخنا الجنوبي المتميز المضاد-في وعي-لمفرزات حضارة هذا القرن[...]الحضارة التكنولوجية الغربية الوليد الشرعي للثورة الصناعية الغربية". ليؤسس شكل كتابة جديد يحقق التوق إلى المغايرة من خلال العودة إلى التراث، واستعارة قالب اللغة التراثية وبخاصة قوالب فني الخبر والترسل ونثر المعري، مما جعله ينعت نصه بـــ"الواقعية اللغوية"، لذلك "فلتعثرن أولا-خلال هذه المخطوطة البكر- على تصوير مباشر للواقع الأعجف العربي الخارجي، قديمه وحديثه، إثارة لقضايا عدة شغلت وتشغل هواجس أمة بأكملها. ولتعثرن،ثانيا، على واقع روائي داخلي صرف ينطلق من "المدونة" ومن "كتاب المجالس ويؤوب إليهما في حركة لولبية تمثل توقيعا فعليا حول الذات، سعيا منا إلى بناء عالم روائي يحيل على ذاته ملتمسا جل عناصره من بناه الداخلية. فهو يدعي امتلاك أحداثه الخاصة وشخصياته المتفردة...بل ورموزه التي لا فك لسننها إلا صدورا عنه وعودة إليه. ولتدركن ثالثا، واقعا لغويا محضا هو واقع لغتنا التي نهوى ونعشق، هذه التي تسكننا ألما جميلا ونسغا حلالا، يروي كرمة غدنا غوصا في تربة ماضينا!" [9] (بوجاه، 1985، ص 14-15). يتضح أن بوجاه فكأنه بهذا الاستهلال يعين الجنس الأدبي باعتبار عمله يندرج ضمن الكتابات التراثية، كما لا يفوته التذكير بسياق صدور مؤلفهن فكأنه وبطريقة ضمنية يجعل مؤلفه خارج وداخل سياق تواتر المحكي الروائي التجريبي، بحكم أن هذا المؤلف يشترك مع المؤلفات الأخرى في الموضوع بتشييد كتابة جديدة تحقق توقا إلى المغايرة.

وهو خارج هذا السياق باعتبار زمن الكتابة، فبوجاه كتب رواية مدونة الاعترافات والأسرار، في ظل فورة مغامرة البحث عن نمط كتابة رواية بديل يتجاوز السائد من أشكال الكتابة ذات الطابع التقليدي، ليؤسس شكل كتابة جديد يحقق التوق إلى المغايرة من خلال العودة إلى التراث.

والكاتب هنا يقوم بدور الناقد والموجه للعمل، وهذا أمر طبيعي "مادام المؤلف هو القارئ الأول لعمله و هو أيضا الناقد الأمثل لنصوصه"[10] (Rossum-guyou 1970,p30). كما أنه لا يراهن على القارئ النموذجي"الذي تتوفر فيه مجموعة شروط معرفية خاصة باللغة والتراث المعجمي والأسلوبي"، ولا على القارئ المؤهل" الذي يوظف إواليات القراءة المتخصصة أو القراءة النقدية" بل يتجه بكتابه نحو قارئ ضمني فعمله بمثابة"بنية نصية تتوقع حضور متلقي دون أن تحدد ماهيته"[11] (بوتويلو إيفانكونس، ترجمة حاد أبو أحمد،ص111).

2.تجليات فن الخبر في الرواية-المدونة:

لقد استعار صلاح الدين بوجاه قالب الخبر كشكل تراثي قديم ليضفي من خلاله صفة العتاقة على المدونة، التي قدمها ضمن زمر خبرية كثيرة لا علاقة جلية تصل بعض أجزائها بالبعض الآخر فيما عدا عمق الوشائج الدلالية التي تمثل الأرضية الثابتة والصلبة للرواية بأكملها. ذلك أن الدلالة قد لعبت دورا مهما في تماسك أجزاء المدونة التي تبدو منفصلة عن بعضها البعض، لأن الكاتب يؤمن إيمانا قاطعا بأن الرواية عامة حيز مفعم بالدلالات. ولعل هذا ما جعله يعطي قسطا كبيرا للدلالة التي تساهم في تماسك أنساقها، لذلك نرى أن اعتماده تقنية الخبر يعد منحى اقتضته الطبيعة الدلالية للعمل واقتضاه سعيه إلى تكريس البعد التجريبي في الآن ذاته. وأن من شأن ذلك أن ييسر لنا أمر الإيحاء بانعدام وحدة المكان والزمان، وبتداخل الأحداث ثم- وخاصة-بامحاء المعالم الواضحة للفاعل المحوري "أبي عمران"، حيث يطالعنا الكاتب منذ المقطع الأول بسرد لرؤيا من رؤى "أبي عمران سعيد"، ويحكي لنا رؤية عجيبة رآها في منامه، ومادامت رؤيا فهذا دليل على إمكانية تحققها.

بعيدا عن البحث في دلالات هذه الرؤيا، يمكن أن نستشف من خلالها مظهرا من مظاهر العري والكشف والإفصاح، ذلك أن "أبا عمران سعيد"بمجرد أن يشرع في سرد رؤياه على مستمعيه حتى نجده يعترف، فيكشف ويعري نفسه، لا سيما إذا افترضنا إمكانية تحقق الرؤيا. فهو إذن يحكي ويكشف بالتالي عن حقيقة وواقع سيعاش إن تحققت تلك الرؤيا.

ويطالعنا "أبو اليسر بن الحسن بن علي" في الحاشية-بعد أن فرغ من حث المتلقين من حوله على حسن الإنصات-بسرد حكاية شعب عجيب كان يقطن سبأ، وقد اهتم بذكر المساوئ واكتفى بالتلميح إلى المحاسن، فلو

ركز على ذكر المحاسن، وتغاضى عن ذكر المساوئ لقلنا إنه حكي بسيط لا يهدف من خلاله سارده سوى التغني بأمجاد الماضي، لكن تركيزه-بل إصراره-على ذكر المساوئ والعيوب دليل قاطع على أنه يهدف إلى تعرية ذلك الزمن، والكشف عن عورته التي تسوؤه.

وهنا نجد جارية الربض الأسفل "شعلة" فتصور لنا جانبا آخر من شخصية "أبي عمران سعيد"، فهو شخص محب لذاته، تواق لمجالس الأنس والطرب والشراب والخمرة، وتقول شعلة: "وما هي إلا ساعة أو نحوها حتى بهرج له شراب النزوة أن يجمعنا وليلى مضجع واحد، فانطلق شرها يجول في الوليمة وقد تثاقلت رؤوس و شخذت أخرى"[12] (بوجاه،1985 ص25). وهذا ما يجعلنا ندرك مغزى الكاتب من ذكر هذه الأشياء، حيث يسعى إلى التعرية والكشف عن شخصياته، جاعلا منها أداة يكشف بها عن حال الدنيا وفسادها، والتي لا يذوق عسيلتها، ولا يعيش فيها حياة كريمة سوى من شمر على ذراعي الشر والتدني على حد تعبير الكاتب.

فسرعان ما يكشف لنا راوي كتاب المجالس والحلقات عن فساد قديم على لسان الراوية "شعلة"، وذلك بتصويره حال الأمة عبر الحقب المتوالية التي يسودها الفساد من جانب، فهذه رعية تنقسم إلى فرق وطوائف، وهذا الخليفة الطفل الذي تستجلب إرضاء لدموعه آلاف الجواري.

يواصل الكاتب غزل ثوب الوهم الذي يرتديه زماننا فيعريه ويجعله جليا على لسان "أبي عمران سعيد"، الذي يعلنها حقيقة واضحة جلية مفادها أننا نعيش حاضرا تغلف الرداءة كل شيء فيه "وزمننا زمن الرداءة تغلف الأشياء كلها"[13] (بوجاه،1985،ص32). وتعد التفاهة أبرز ميزاته وهي الحال التي يعللها عجزه ويأسه من إمكانات التغيير: "إنما هو انسداد الأفق، وانقطاع السبل وتناهي الغاية وذهاب الرجاء إنما هو السواد يكلل الكاهل والهامة"[14] (بوجاه،1985،ص32).

والكاتب عندما يعري الزمن فهو يعري واقع الأمة العربية الإسلامية، ألا يجدر بنا ألا نعيب الزمان والعيب فينا وفي أولي الأمر الذين لا يعرفون-كلما اشتد الأمر وجد الجد-سوى اللغط الصامت الأجوف، فيبقى العدل خرافة لا تتعدى الأقلام كما يصرح بذلك الكاتب على لسان "أبي عمران"، ويتساءل عن جدوى الانتفاض القولي مادمنا عبيدا وأيدينا ذات غلال....وإننا نجد بعض التفسير لهذه الحال، فيما ترويه الأخت الصغرى، من إحساس بالوحدة استبدت به منذ الحداثة تقول: "فشب ويفع ولم نكن نكاد نقع له على زلة عدا الانزواء والخلوة ينشدهما حنينا إلى الحنين يحن"[15] (بوجاه،1985،ص53).

ومن خلال هذا المتن يصرح "أبو عمران" في أحد المقاطع بأنه رجل يعشق اللذات إذ يقول: "تلك لذاتي وكنت فتى لم أقل من لذة حستي، فتجلو النفس سبيلها إلى أنموذج إنساني أرقى...رفعته في سقوطه"[16] (بوجاه،1985،ص39).

وانطلاقا من هذا التصريح نرصد جانب من شخصية أبي عمران التي يبدو من خلالها أكثر مخالطة للنساء اللواتي يدخل معهن في علاقات غير شرعية، يكون هو نفسه غير راض عنها، من خلال تعجبه من جدوى تساؤلنا عن علة انحباس منافذ السماء، وأفعالنا توصد شاسع البوابات.

أما الحاشية فيستثمرها الكاتب في الحديث عن يوم المحاكمة فينقل إلينا من خلالها حاجب الديوان مشاهد من محاكمة أبي عمران بعد إلقاء القبض عليه، تلك المحاكمة الصورية التي يصدر الحكم فيها قبل بدئها نظرا لعظيم الجرم الذي اقترفه أبو عمران، الذي يعاقب بالصلب أو الحرق، لكنه لم ينتظر تنفيذ الحكم فيه، بل يتخذ منهم موقف القضاء، فيقوم بإدانة الطابع القومي للسلطة وكشف قبح صورتها "فالديوان سواد تحلله السواد يطغى على ضالة شموع تدوي عبر هذا الركن أو ذاك، وكذلك كانت محاكمات الشرق عريقها والحديث"[17] (بوجاه،1985،ص28). ولحظتئذ يدرك أن فساد الأخلاق هو سبب سواد وانسداد الآفاق، وهو بهذا يتهم نفسه التي تنساق خلف أهوائها وغرائزها.

وبهذا يكون اختفاء أبي عمران وغيابه المفاجئ ليكشف الغموض والالغاز هويته ووجوده المصير الذي انتهى إليه، وهو الاختفاء، لما رآه من فساد ودنس يلف كل شيء، فسدت الآفاق وضاعت مفاتيح الفرج، وغيب وغرب، لكنه لم ينل شيئا سوى الخيبة التي نهشت قلبه نهشا، وكانت خاتمة أخباره فيقول "فلم أختف بل أخفيت ولم أغب بل غيبت، ولم أغترب بل غربت، وما ذاك إلا لخطوط تعرضت وينبغي لها أن تنفرج، ولقواعد اثبتت وينبغي لها أن تهتز، ولشرائع سطرت، وينبغي أن يعاد فيها نظر"[18] (بوجاه،1985،ص61).

1.2.لغة الرواية-المدونة:

ولاشك أن البناء الفني للنص والمتحلق حول اللغة التي استخدمها بوجاه، يكاد يتكئ أساسا على معطيات الأشياء المسرودة داخل المعالم التراثية الموجودة، في إطار المدونات والمخطوطات المحتفى بها في نسيج النص، الذي طبعته بطابعها، ولا جرم أن احتفاء الكاتب بهذه الخصيصة نابع من اهتمامه المستمر على مدار النص والنصوص الإبداعية الأخرى في عالمه الروائي والقصصي، بل والنقدي أيضا بهذا الموضوع وكأنه مولع

بجمع الأشياء وترتيبها في قاموس خاص يحمل معاني ودلالات الواقع، الذي يعبر عنه في نصه الإبداعي ليصوغه ضمن ما يسميه "الواقعية الروائية".

لذلك نجد أن صلاح الدين بوجاه في روايته-مدونته يحتفي باللغة، ففي كل موضع من النص وانطلاقا من بنية الشكل الخارجي للرواية يعمد إلى بنية نصية تراثية تقوم على تقسيم النص إلى "متن و حاشية"، ويؤكد المشير التجريبي الأول. فعبر ثنائية "المتن والحاشية" تتواتر أنساق المدونة بمستوييها الرئيسين لصياغة عمل تجريبي تتمازج فيه الأنساق في حركة لولبية، تتجاوز بنيتها لمحاورة آفاق تمتلك أحداثها الخاصة وشخصياتها المتفردة. إن العودة لبعض أشكال القص الكلاسيكي: "لم تتم بتقليد هذا الشكل تقليدا سطحيا، وإنما تمت عبر تطويعه لمقتضيات العصر وتحويله إلى جنس أدبي حديث قائم على التخييل، وهي وليدة البحث عن أشكال جديدة مستمدة من التراث سعيا وراء خصوصية فنية، تمنع الذات من الذوبان في حضارة الشمال وتسهم في إثراء الثقافة التي يجب أن تقف من هذا المنظور على التنوع والاختلاف"[19] (العمامي،2001، ص293).

لقد عمد بوجاه في هذا النص-المدونة التجريبي إلى مغامرة البحث عن نمط كتابة رواية بديل، يتجاوز السائد من أشكال الكتابة الواقعية ذات الطابع التقليدي في بنيات شكلها وأنساق خطابها، ليؤسس شكل كتابة حديثا يحقق المغايرة من خلال العودة إلى التراث وتمثل بعض أشكاله السردية وخصائصها الجمالية، تمثلا ينم عن استيعاب واع يتجاوز المحاكاة إلى الإضافة التي تتجلى في مظهرين أساسين، يتصل الأول ببنية "الشكل الروائي التي اخترقت البنية التقليدية السائدة للرواية بتقديم النص في شكل متن وحاشية، يسهمان مجتمعين ومتفاعلين في تشكيل كلية النص، ويتعلق المظهر الثاني بلغة الكتابة الروائية التي سلكت مذهب البحث والتجريب، دون أن يقطع صلة الرواية بالواقع"[20] (بن جمعة،1996،ص105). فاللغة هنا معتقة في صورها البيانية وصيغها التركيبية وأساليبها الفنية حافلة بالإيحاءات الكثيفة والصور الاستعارية، مما جعل المؤلف ينعت نصه بـــ"رواية الواقعية اللغوية" التي تنهل من روافد شكلية عدة.

وتعكس لغة الرواية مسعى الانطلاق من موقع الإضافة، من خلال تجاوز السائد من لغة الرواية التقليدية التي استنفدت الكثير من طاقاتها الإبداعية، وذلك يجعل لغة الخطاب الروائي تتجاوز حدود الإبداع لتشكل أفقا إبداعيا، بتجسيدها هاجس السؤال الإبداعي من جهة أخرى، وهو ما يتجلى في نزعتها إلى الإعجاز بتفجير الكامن من طاقاتها وإلى الغوص في العتيق من الصيغ التركيبية والصور البيانية والأساليب الفنية الضاربة بجذورها في التراث العربي.

2.2. صيغ الإسنـاد:

وتتجلى انطلاقا من توظيف ملفوظات من قبيل (أخبر،أخبرت، روى....)حيث تروي الأخت الصغرى عن أمها، وجارية الربض تروي على لسان إحدى قيمات الدور التي يقصدها أبو عمران سعيد.

لقد حرص بوجاه على إسناد أخباره حرصا شديدا، إذ لم يرد خبر واحد إلا وقد سبقه إسناد، حتى أصبح الإسناد واحدا من المكونات الأساسية السردية لأخبار بوجاه في نصه-مدونته، ويضاف إلى ذلك أن طبيعة الخبر يستوجب إسناد الرواية في سلسلة من الرواة جيلا بعد جيل، واستمرارا للإسناد في السنة النبوية، التي حافظت على تلك الأسانيد لمحافظتها على المتون، وفي ذلك دلالة واضحة على أن الإسناد والتوثيق سمة من تراث الأمة العربية الإخباري القصصي عبر العصور.

3.2..تعدد الأصوات:

كما أن النص الذي بين أيدينا قصصي ذو طبيعة سردية، والسرد يتطلب إلى جانب الإخبار والإسناد، الانتقال إلى الزمن الماضي لتنفتح آفاق المتخيل السردي لدى المخاطب، وتتحقق المتعة والشوق لمتابعة الخبر حتى نهايته، ولا يخفى أن الإسناد في الرواية-المدونة، وهي في أساسها عبارة عن مجموعة من الأخبار المأثورة عن أبي عمران الذي يعد راويها، وهو راو ثقة لا ينقل أخبارا وحسب، بل يعمل على ضبطها. ولعل هذا الضبط والحزم في نقل الأخبار هو ما تستدعيه مدونة الاعترافات والأسرار، فهو الذي يفتح الرواية بعرض شذرات من حياته وهو أيضا الذي يختمها، بين الفاتحة والخاتمة في فصل معنون بـ"من أبي عمران سعيد إلى صاحب الكتاب" وبعدها يوكل رواية البقية لرواة آخرين يتعددون وتتنوع رواياتهم لأخباره، ومن ثم منظوراتهم له، تبعا لطبيعة العلاقة الجامعة بينهم، وفي فصلين متباعدين تقوم جارية الربض شعلة بتقديم أخباره انطلاقا من فصل" من اعترافات شعلة جارية الربض الأسفل"، حيث تحدثنا عن ارتياد "أبي عمران سعيد" وكشف خبايا وأسرار مجالس الأنس والطرب وما يمكن أن يحدث فيها من الفسق والمجون.

والأمر نفسه، نجده في فصل "عودة إلى اعترافات جارية الربض الأسفل"، فبمجرد أن نتصفح هذه الاعترافات ندرك أن جارية الربض تواصل الحديث عن ارتياد أبي عمران مجالس الأنس والنشوة إلا أنه هذه المرة يفضل مجالستها دون غيرها من نساء المدينة، فيبثها همومه، وتغمره بحنانها.

ليقوم بعدها حاجب الديوان بتقديم بعض أخبار أبي عمران من خلال محنته مع السلطة القمعية، في فصل "وما من نبأ إلا ويسعى إلى مستقر له"، فيروي لنا خبر اختفاء أبي عمران وغرابة مواقفه من كل ما يثار من القضايا.

وتواصل أخت أبي عمران الصغرى إخبارنا بطفولته وشبابه إلى حين اختفائه، وذلك في فصل "مما تروي الأخت الصغرى وتصمت"، حيث تروي لنا بدء من ولادته وفرحة أبيه "البشر" بمولده، كما تروي عن مرح الصبا ومباهجه، وتخبرنا كذلك عن اختفائه الذي أحزن كل من أحبوه فافتقدوه بالإضافة إلى رصد بعض مواقفه وآرائه في كونه يفضل القرية بعفويتها وبراءتها، على المدينة القبر ذات الدروب، وتشبه في صمتها صمت شهرزاد، صمت الألم الذي تقضمه جراء اختفاء أخيها، هذا الألم الذي منعها من مواصلة الحكي، كما يمكن أن نذهب بعيدا لنعتبر صمتها هذا دعوة توجهها للقارئ ليشاركها همها ويتألم لأجلها.

لنرصد بعد ذلك تدخل المؤلف ذاته في عملية الحكي ويظهر ذلك جليا من خلال تعمده الرد على رسالة أبي عمران في مناسبة أولى، كما أن كتابة سيرته الخيالية في فصل "السيرة الخيالية لأبي عمران يوسف سعيد"، وإيراد بعض أخباره في فصل لاحق له "من أخبار حبيبنا يوسف سعيد"، يتحول النص بدوره إلى مسارك في صيغ الخبر وروايته، وهذا يتبدى لنا في فصل "ماج النص بحلم ذاته قال"، حيث يتداخل صوت الكاتب في ختام الرسالة بصوت السارد أبي عمران، فيطرح الكاتب على لسان سارده، عدة تساؤلات "ألا يجدر بمن غيب أن يغيب، وبمن غرب أن يغترب، وبمن محي أن يمحي". ليصبح التعدد الأصواتي سمة لبنية خطاب هذه الرواية-المدونة، وتشكل علامة من علامات حداثتها وتجاوزها للسائد، والأمر نفسه تنبه إليه الأستاذ جمعة بوشوشة "فأقطاب الإرسال متعددون ووجهات النظر لا تكاد تحصى وإمكانيات التقبل-بالتالي-ذات ثراء لا حدود له"[21] (بن جمعة، 2003ص 96) .

ونلمح أيضا جميع الشخصيات تضطلع في الخطاب بدور الرواية وكذلك بالمشاركة في صنع الحدث موضوع الخبر أو الإخبار التي تنقلها إلى المتلقي.

وهذا التعدد الأصواتي جعل من تقبل هذا العمل، غير يسير نظرا لطبيعة بنيته القائمة على فن الخبر سواء على مستوى المتن أو الحاشية، وهو ما حقق للخبر لعب دور وظيفي في البناء الداخلي للخطاب الروائي.

تتجلى في غنى المعجم الذي حاور فيه عدة نصوص تراثية (النص القرآني، الخطاب الصوفي، كتاب المجالس"، بلغة تراثية تعتمد التكثيف والتركيز واسترفاد مذهب "الواقعية اللغوية"، وبذلك تكشف عن نضج فني واحتشاد أدبي كبيرين، كما تنم عن ثقافة واسعة ومعرفة بالتراث العربي، فهي لا تنقل عنه، أو تتقمصه، أو تحاكي لغته، وإنما تستوعب بنيته الداخلية، "وتستلهم أسراره اللغوية لتخلق بها بنية نصه الفريد، ولغته التي تناوش الشعر وتحوم بالقرب من تخومه الثرية بالوعود"[22] (صبري،1997،ص38).

تعيد هذه الرواية ببنائها الفريد وشكلها الخصب إنتاج أنساق تراثية، وبذلك يشكل النسق التراثي ملمحا سرديا بارزا في هذا النص، ويبدو ذلك انطلاقا من العناوين الطويلة للفصول ومن النسيج اللغوي والإحالي للنص، لكن هذا البعد يتساوق مع أساليب الرواية الحديثة أي أن يطعم "التأصيل" بالانفتاح على روح العصر. فهي نص سردي يتحول إلى نسيج من التداخلات اللانهائية لشذرات ونبذ من نصوص كثيرة لها خصائص قائمة بذاتها، لكن إطار السرد في الرواية يفلح في إعادة إنتاجها كمكونات سردية، وبذلك تتخلص من قيود المثاقفة الغربية وتحقق التفرد والخصوصية عن مختلف تشكل الرواية الغربية.

3. فن المقامة:

فخال أبي عمران في المدونة/الرواية كحال العيارين والمكدين يفرض عليه الانسحاب فينسحب، والغياب فيغيب، ويخالط جماعات الفقر وأهل التصوف وأهل الكدية ويصاحب أبا زيد السروجي بطل مقامات الحريري، وأبا الفتح الإسكندري بطل مقامات الهمداني. ومن ثم فإن هذه الطوائف إنما تهدف بهذا السلوك تاريخيا وفنيا إلى إدانة عصر برمته والثورة على طبقات بعينها، له مبرراته وبواعثه ولا سيما في عصور التمزق السياسي، ليحظى هؤلاء بإعجاب العامة في عصرهم فيتعاطفون معهم ويشيدون بفعالهم، ويحتفظون لهم بحكايات وقصص ونوادر يرددها الخاصة والعامة جميعا ويتناقلونها جيلا بعد جيل، وليس من قبيل الصدفة أن يرتقي بعض الشطار-في تراثنا الشعبي-إلى مرتبة البطولة.

ومن ميزات بطلنا أنه البطل الذي يكشف ويعري واقع القضاء، مما يعني أن الوجدان الشعبي قد فقد ثقته في السلطة ويئس من قدرتها على تحقيق العدالة وتطبيق القانون، ولم لا؟ "وحاميها حراميها" كما يقول المثل الشعبي القديم.

هنا تبرز العديد من سمات الشطارة متجلية في كون شخصية الشاطر "نمطية نابضة بالحياة لواقعيتها، وبساطتها في معالجة الأمور(...) يتعاطف مع الوجدان الشعبي ويكاد يرى نفسه فيها، ويفرح لفرحها ويحزن لهزيمتها، ولكنه لا يفقد به ثقته بأنها سوف تنتصر، وأن تحقق ما تصبو إليه لتحقيق العدل ودرء الظلم"[23] (رضا النجار،1981،ص ص 430-431) .

وهو أيضا دائم الترحال والانتقال من مكان إلى آخر ولا يستقر على حال، كل ذلك يجعل أخبار أبي عمران تتالى عبر اعترافاته واعترافات شخصيات الرواية، التي جمعته بها صلة فيتآلف بعضها مع البعض الآخر، ويكون أبو عمران سعيد-اعتبارا لكل ذلك-وحسب الأستاذ بوشوشة بن جمعة "مجرد ذات منحصرة في ذهن

يتأمل أو وجدان يحس، فهو الوحيد الذي يطيل التفكير في مصيره"[24] (بن جمعة،2003،ص106). الذي لا يطمئن إلى موقف ثابت فيزداد وجوده إشكالا وتستفحل أزمته، لقد عاش متقلب المزاج، متسائلا باحثا عن ذاته. وتواقا إلى المطلق، وهو ما ينطبق على حالة أبي هريرة الوجودية، الذي طالما بحث عن نفسه ولنفسه، عن مكان يجد فيه ذاته، يطلب ذاته المطلقة وهويته، ويتوق إلى التخلص من إطاري الزمان والمكان، ويود لو أنه علق بين السماء والأرض فيغيب عن الوجود ويعيش بين المطلقات والمجردات وبعبارة أخرى، في عالم الطهر والصفاء والوحدة.

وينتقل من وضع إلى غيره، بين الحيرة والاطمئنان، بين البؤس والنعيم، بين الشقاء والسعادة، بين الحقارة والعظمة، ليدرك أخيرا أن الكيان البشري سيرورة مطلقة أي حركة دائمة بدون توقف، تبتدئ ولا تنتهي ممتدة طورا فطورا حتى الممات.

4. فن الترسـل:

لجأ صلاح الدين بوجاه في سبيل تأصيل العمل الروائي، إلى فن الترسل في روايته-مدونته "مدونة الاعترافات والأسرار"، فلم يقف عند توظيف بنية الخبر بل تجاوزه، والذي نلحظه من خلال الفصلين المعنونين بـ "من أبي عمران صاحب الكتاب" و"من صاحب الكتاب إلى أبي عمران سعيد"، والتي تحيل عليها من خلال تركيبته اللغوية(من...إلى...) والتي تحدد كلا من المرسل(أبي عمران) والمرسل إليه (صاحب الكتاب) اللذين يتبادلان رسالة ما، رغبة منه في جعل المدونة فضاء عتيقا من حيث اللغة والأسلوب وطريقة السرد.

وجريا على عادة القدامى في كتابة رسائلهم فقد استهلها بالتحية وهي أول عبارة تطالعنا بها الرسالة، وقد تمثلت في رسالة "أبي عمران" من خلال "عليكم سلام الأعماق..."يستتبعها أبو عمران بدعاء ينم ظاهره عن دعاء للمرسل إليه(صاحب الكتاب)، ويكشف باطنه عن دعاء عليه، حيث يرجو أبو عمران ويتمنى أن يلقى كتابه هذا "صاحب الكتاب"، وقد نضب عنه كل عطاء، وذلك لكي يكون قادرا على تعرية الحقيقة بعيدا عن كل الضغوطات وجميع أنواع القمع، ولأن كشف الحقيقة وتجليتها ليس بالأمر الهين، فهو بحث يتطلب بحثا مستمرا وعملا دؤوبا عنها، ولعل ما يؤكد اكتمال شروط كتابة الرسالة هو حسن أدب كاتبها أبي عمران الذي يحاول أن يبدي فيها احترامه وتواضعه وأدبه، وهذه خصيصة من الخصائص التي يتصف بها كتاب الرسائل. حيث لعبت الرسائل قديما دورا مهما استقامة أمور الدولة لأنها الأقدر على أداء كنه الحاجة بأبلغ من العبارة اللسانية، يقول: "فتنافسوا يا معشر الكتاب، في صنوف الأدب، وتفقهوا في الدين، و ابدأوا بعلم كتاب الله عزو جل والفرائض، ثم العربية، فإنها ألسنتكم، ثم أجيدوا الخط، فإنه حلية كتبكم، وارووا الأشعار، واعرفوا غريبها

ومعانيها، وأيام العرب والعجم، وأحاديثها وسرها، فإن ذلك معين لكم على ما تسمو إليه هممكم، وارغبوا بأنفسكم عن المطامع: سنيها ودينها، وسفساف الأمور، ومحاقرها، فإنها مذلة للرقاب، مفسدة للكتّاب، ونزهوا صناعتكم عن الدناءات واربأوا بأنفسكم عن السعاية والنميمة، وما فيه أهل الجهالات، وإياكم والكبر والصلف والعظمة، فإنها عداوة مجتلبة من غير إحنة، وتحابوا في الله عزو وجل في صناعتكم، وتواصوا عليها بالذي هو أليق بأهل الفضل والعدل والنبل من سلفكم"[25] (زكي،بدون سنة،ص488). وهنا يورد عبد الحميد الكاتب أن الجانب الثقافي أمره مكتسب يرجع إلى شخصية الكاتب، وهو في مقدار تحصيله يختلف من كاتب لآخر، فلذلك طلب منهم أن يتنافسوا في التحصيل والتثقيف ومكانة الكاتب تكون بمقدار ما يحسن من صنوف الثقافة، وذلك نظرا لطبيعة المهمة الملقاة على عاتق كتّاب الرسائل.

ولما كانت كل رسالة تتضمن موضوعا/ غرضا، فإننا نجد أبا عمران سعيد يمهد ويشرح أحواله النفسية ومشاعره، مضمنا إياها الدافع من خط الرسالة الذي هو عبارة عن لوم وعتاب والرد على ادعاءات كل من الجارية والأخت الصغرى وحاجب الديوان، الذين تحينوا الفرصة لتقديم تأويلات بشأن غياب أبي عمران على هواهم، واستغلوا غيابه هذا ليفرغوا ما في جعبتهم من دنس يلفهم.

ونلمح الأمر نفسه في الفصل المعنون بـ "من صاحب الكتّاب إلى أبي عمران سعيد"، إننا إزاء رسالة أخرى يتبادل أطرافها كل من أبو عمران وصاحب الكتّاب، مع تغيير بسيط في المواقع، حيث يصبح الكاتب- هذه المرة-مرسلا ويصير أبي عمران مرسلا إليه، فالرسالة هي بمثابة الرد على كتّاب أبي عمران سعيد، يبعث صاحب الكتّاب بكتّابه هذا إلى أبي عمران ليعبر له فيه مؤازرته وتعاطفه معه، لكنه يعيب عليه وسم نفسه بالشاذ عن جادة الصواب، فالزمن زمن التدني، زمن الكلاب تنكر أذنابها، فأنى لأبي عمران وأمثاله من مكان في هذا الزمن المهترئ.

وبمطالعتنا لرسالة "أبي عـمران سعيد إلى صاحب الكتّاب" في علاقتها بأدب الترسل في التراث السردي العربي القديم، نلاحظ أن الرسالة الأولى حفلت ببعض خصائص أسلوب الثانية، وتخلت عن الكثير منها، مما يدل على أن عملية توظيف التراث هي عملية واعية ما يحقق للرواية أصالتها من جهة، ويتناسب وطبيعة فن الرواية من جهة أخرى.

من هنا كان التنقيب في أشكال تراثية، بغية تأصيل رؤية جديدة على مستوى الفكر والإبداع، ولعل هذا ما يفسر توجه الرواية العربية بصفة عامة والمغاربية بصفة خاصة إلى التراث السردي، محاولة منها طرح قضية الجناسة من جديد، على مستوى تأسيس المتخيل الروائي، فليس"للرواية قواعد، فكل شيء مسموح به فيها،

وليس هناك أي فن بويطيقي يذكرها أو يسن لها قوانين، إنها تنمو كعشب متوحش في أرض بوار"[26] (Caillois ,1942 ,p120) .فمنذ ظهور هذا الجنس الأدبي وهو يبحث عن مفاهيم هاربة، الأمر الذي يمنحه صفة التجدد باستمرار.

5.شعرية اللغة:

هي شاعرية النص بحسب الاصطلاح الغذامي، يقول عنها :" فنيات التحول الأسلوبي، وهي استعارة كتطور الجملة، حيث ينحرف عن معناه الحقيقي إلى معناه المجازي "[27] (الغذامي،1991،ص25). إنها "خصيصة علائقية، أي أنها تجسد في النص شبكة من العلاقات التي تنمو بين مكونات لأولية سمتها الأساسية أن كلا منها يمكن أن يقع في سياق آخر دون أن يكون شعريا"[28] (أبو ديب،1986،ص15).

تتحقق اللغة الشعرية في النص الروائي عن طريق انفتاح هذا الأخير على عالم الشعر، والخوض في جدليات الممكن و اللاممكن ومسائل لا معقولية الكتابة، مما يكسب النص الجديد حرية الخروج عن تقاليد الكتابة التقليدية، أي إبراز قدرات تعبيرية مختلقة دون فقدان الخصائص الجوهرية الكامنة فيه باعتباره نثرا لا شعرا، فالرواية من خلال محاولاتها التجديدية في فنيات الكتابة، تكتسب عوالم جديدة قريبة من عوالم الشعر بمكنونات احتمالية وإمكانيات قرائية تأويلية، لكنها بالقدر ذاته تبتعد عما قد يخرجها من طباعها الأبدية الملتصقة بها كجنس له كيانها المستقل.

فبعد أن ثبت للغة النثرية الروائية قدراتها على استيعاب واحتواء الفنون الأدبية الأخرى، لم يعد التعامل معها مقتصرا على كونها وسيط ناقل لأفكار المبدع ومعتقداته وانفعالاته، فاللغة الروائية في ظل الشعرية، اكتسبت شحنات انزياحية وصوتية ودلالية مختلفة تنحاز إلى اللامعقولية في الخطاب، ذلك أن "للغة الشعرية علاقة بغير المعقول من جهة خرقها لقانون اللغة، ولكونها تؤول وتستعيد الإنسجام والمعقولية "[29] (كوهين،ترجمة محمد العمري،1986،ص6).

كما أنها، أي لغة الشعر، قد حققت انحرافية على مستوى الكلمات مشكلة بذلك عالما من العلاقات المختلفة عن العالم الواقعي، وهو ما فتح المجال أمام الرواية لخلق مماثلات لتلك العلاقات المتداخلة على مستوى السرد والتأكيد، بعد تحققها فعليا، على تأزمها.

إن شعرية اللغة الروائية تعني، وفق هذا التصور، تعلق لغة النص الروائي بالجنس الشعري وسلبه أهم مقوماته الجمالية والفنية البنائية عن طريق المعارضة والمفارقة في الأسلوب والدلالة، مما قد يحقق طموحا بلاغيا

يثر عن طريق القراءة، فقد أصبح " النص الروائي بما هو جزء من الأدب، وخطاب أي ما يجعله خطابا شعريا (Sa poéticité) من الأنواع الأدبية، يكون كذلك بتوفره على شعريته هو الخطاب المحتمل دائما، ولكنه الخطاب المستحيل أيضا ما دام(Discours poétique الوصول إلى ذراه يستدعي تجاوزه باستمرار"[30] (المديني،1985،ص ص 85-87).

من بواعث الشعرية في النص الروائي تجليات السردية معبأة بحالات الوجدانية، أو الملونة بالأخيلة أو الموظفة لطاقات القصيدة الممثلة في الاستعارات والكنايات والرموز والأسطورة، فعبقرية لغة الرواية تكمن في "خلق كيان فني موحد متكامل من مواد متنوعة ومتنافرة وغريبة عن بعضها البعض"[31](باختين،ترجمة تكريتي،1986،ص22). من هنا يمكن حصر صور تجليات اللغة الشعرية الروائية من خلال الرواية المدروسة من خلال هذا المقطع من المتن:

عنك أخبر الكهنة قبل البدء

واليوم الثامن ما أضيف إلا لتمجيدك

كارتعاشة شذى لدى منعطف

الذكرى تجلبك، كزهر يدمن

غياهب الغيب تدعو، كغيمة عطر

لدى انبثاق الجيد قصر نداها... [32] (بوجاه،1985،ص86).

لقد أسعفته لغته أكثر مما ينبغي، فانزاح بها الإبلاغ لما تحفل به من رموز وإيحاءات، ثرة الدلالة، تتجاوز حدود الواقع لترقى إلى مصاف المطلق، وهو ما يجسده هذا المقطع من المتن الذي يشكل خاتمة الرواية " ثم رأيتني بخبي الأبلق وقد شققت لي في السحاب سبيلا علنا ندرك للإنسان أملا في وجود أجدى وعذوبة أعدل"[33] (بوجاه،1985،ص18). التي يكون فيها الحكي سرديا توثيقيا، إذ يتم الانتقال من المقطع المشحون بالتدفق الشعري إلى المقطع الآخر دون أن يشعر القارئ هذا الانتقال الحاصل بين مستوى كلامي ذو طابع شعري وآخر ذو طابع نثري، وهنا يتم التوائج بين لغة الشعر ولغة السرد في الخطاب الروائي وهو ما أضحى من خصوصيات الرواية الجديدة التي تستثمر ما يمكن أن يطلق عليه بـ"مزية الهذيان الشعري "[34](صلاح،2003،ص234).الذي يحمله الكلام التعبيري المكثف الدلالات الغني بالإيحاءات اللامتناهية.

بهذا يستعير بوجاه الخبر بوصفه أقدم أشكال السرد التراثي قالبا تعبيريا، يستهدف بلورة طريقة في السرد تقف على الضد من طرائق السرد الغربية وتسعى لتأصيل موقف معارض لتيار التغريب، ومن خلال هذا القالب يفسح المؤلف أمام اللغة الروائية، لتأخذ بعدا تأمليا صوفيا وشعريا مغرقا في القدم ومعبرا في الآن ذاته عن دلالات الشعر والفكر الحديثين، إنها تذكرنا بأروع عصور العربية وأفسح أساليبها، تذكرنا بلغة الأصبهاني في أغانيه ولغة التوحيدي في مقابساته.

إجمالا يمكننا القول، إن مظاهر التعامل مع التراث متعددة وتتخذ صيغا وأشكالا مختلفة، فكما يبدو فإن رواية "مدونة الاعترافات والأسرار" شديدة الارتباط بتراثنا السردي، حيث تحتفي باللغة والأسلوب احتفاء خاصا يحيل على واقع روائي وسم بـ"التجريب"، عبر مغامرة اللغة والإبحار في منعرجاتها وتضاريسها والتوغل في أعماق الكلام والمعتق وسعة المعنى: "تلتقي في ما كتبت-يوضح بوجاه-خيمياء الكتب القديمة وأذكار الأولياء الصالحين وأساطير السلالة بعقلانية المعتزلة وأهل الكلام وفلاسفة العصور الحديثة. كذلك يلتقي شعر الريف بنثر المدينة"[35] (بوجاه،1999،ص1).

وهذا ما نلمسه في "مدونة الاعترافات والأسرار في ضبط ما أثر عن أبي عمران من أخبار"، وبحاشيتها كتاب المجالس والحلقات لنجية الراوية أبي اليسر بن حسن بن علي، كنص روائي يراهن على التجريب ونسج فضاء روائي متفرد يؤسس قوانينه الخاصة ويعمق الحوار مع التراث، ويصوغ بالتالي واقعية لغوية، عبر ثلاث مستويات"فلتعثرن أولا خلال هذه "المخطوطة البكر" على تصوير مباشر للواقع الأعجف العربي الخارجي، قديمه وحديثه، إثارة لقضايا شغلت وتشغل هواجس أمة بأكملها. ولتعثرن ثانيا على واقع روائي داخلي صرف ينطلق من "المدونة" ومن "كتاب المجالس" ويؤوب إليهما في حركة لولبية تمثل توقيعا فعليا حول الذات،سعيا واعيا منا إلى بناء عالم روائي يحيل على ذاته، ملتمسا جل عناصره من بناه الداخلية، فهو يدعي امتلاك أحداثه الخاصة وشخصياته المتفردة، بل ورموزه التي لا فك لسننها إلا صدورا عنه وعودة إليه، ولتدركن ثالثا، واقعا لغويا محضا هو واقع لغتنا التي نهوى ونعشق، هذه التي تسكننا ألما جميلا و نسعا حلالا، يروي كرمة غدنا غوصا في تربة ماضينا"[36] (بوجاه،1985،ص ص 14-15).

لقد مثّلت هذه النّصوص التي تصادت معها المدوّنة معجما وفكرة ومقصدا وأسلوبا، روافد أساسية في تشكيل النّص وتبويب مادّته. وهو أمر يمكن أن يؤشّر بالنّظر إلى اتّساعه أمام صغر حجم الرّواية، على رغبة الكاتب في إعلان معرفته بالنصوص القديمة والحديثة، وعلى رغبته في إعلان انتماء روايته إلى تلك النصوص واندراجها ضمن رؤيتها الجماليّة والفكريّة. فهذه الرّواية كما يسمّيها صاحبها وكما يكشف عن ذلك الشّكلُ الذي

اختاره لكتابتها، مخطوطة. وهي من حيث يتناوب الرّواة فيها عبر فصول مستقلّة على التعريف بأبي عمران وحياته بين الولادة والموت، محاكاة لكتب التراجم والسّير في مادتها وأسلوبها. وإنّ الكاتب ينسج بذلك على منوال سنّة في نقل أخبار قديمة يحفز عبرها المتلقي على أن يقرأ النّص قراءة مخصوصة يتنبّه بها إلى تعدّد "أقطاب الإرسال... ووجهات النّظر... وإمكانات التّلقي"[37] (بوجاه،1985،ص12).

يتشكّل نصّ المدوّنة كما بيّنا سابقا عبر التّواشج مع التّراث العربي في شكليه المكتوب والمنطوق. وقد كان هذا في إطار المشروع الإبداعيّ الذي أعلن عنه بوجاه في المقدّمة، مدرجا ضمن نزعة إلى التجريب كبرى تُعلّق نشأة النّص بأشكال تعالقه مع النّصوص الأخرى وليس بكيفيّة تشخيصه للواقع. فإذا بالرّواية وقد ارتبطت لحظة الإبداع فيها بلحظة الحفر في الذاكرة وإعادة إنتاج النّصوص وأساليبها وأشكالها وأجناسها، تتشكّل بوصفها ظاهرة خطابيّة أكثر منها سرديّة حكائيّة وإذا بالنّصوص في الرّواية تتراكم مكوّنة ما يمكن تسميته طبقات لغويّة مكثّفة وحلقات خبريّة متوالدة. وقد بدا لنا ونحن ننظر فيالمدوّنة باعتبارها مثالا لذلك أنّ هذه الطبقات اللغويّة المكثّفة والحلقات الخبريّة المتوالدة خصيصتان في أداء الرّواية التّعبيري ونسقها الأسلوبي وبنيتها النّظاميّة. وهو فعلا ما صرّح به بوجاه في مقدّمة روايته حين جعلها "تجوس عبر فصول تجعلك مبحرا بين نثر وشعر، بين نغم وغياب إيقاع بل خلال أدغال من النحت الكلمي والنّقش لدى الجدر اللغويّة بمختلف إيحاءاتها الحاضرة والمنصرمة"[38] (بوجاه،1985،ص14). وهذه المواصفات تهيئ كلّها المدوّنة لأن تكون ظاهرة كتابيّة تتجاوز بكثير مجال الرّواية تضخيما من شبكتها النصّية واحتفاء ببلاغتها ورونق عبارتها. وهو الأمر الذي نعتبر أنّه بقدر ما سبّب فرادة الرّواية التّعبيريّة والأسلوبيّة والشعريّة، قد أخلّ بالشّرطين التّواصلي والبنائي التّنظيمي فيها.

في الختم:

حاول هذا النص استيعاب هذه المستويات المتشابكة كرهان استهدف صياغة رواية طريفة محكمة البناء، تعتمد تكثيف الدلالة وتخصيب المتخيل واستعارة قالب اللغة التراثية وبخاصة قوالب فني الخبر والترسل وفن المقامة ونثر المعري. فكانت النزعة إلى التجريب توقا إلى المغايرة وتخطي السائد وتأصيلا للذات وإثباتا للهوية من خلال البحث عن مسالك تأصيل الفعل الروائي، الكامنة في التراث والاشتغال على أشكاله وما تختص به من سمات جمالية، ومن ثمة فإن هذه الرواية قامت على جدل التفاعل بين عراقة التراث وحداثة الجنس الروائي، ضمن أفق كتابة يقوم على التجريب يفصح عنه العنوان وما يتبعه من تصديرات، ومتن حكايتها وبنية شكلها وأنساق خطابها ولغتها.

لائحة المصادر والمراجع:

1. صلاح الدين، بوجاه: مدونة الاعترافات والأسرار، سبراس للنشر، تونس 1985.
2. بو شوشة بن جمعة في الرواية المغاربية المعاصرة، توظيف التراث –مجلة كتابات معاصرة، بيروت العدد 29، 1996، ص105.
3. Gérard genette ; seuils ed:seuil,coll:poétique paris,(1987),p:152
4. عبد العالي بوطيب، العتبات النصية بين الوعي النظري والمقاربة النقدية، العلم الثقافي(ملحق جريد العلم)، 28أبريل 2001، ص11.
5. Gérard genette ; seuils,p :219.
6. الرواية، ص11.
7. الرواية، ص14.
8. الرواية، ص11.
9. الرواية، ص ص14-15.
10. François van Rossum-guyou : critique duroman, ed ,gallimard(1970),p30 .
11. خوسي ماريا بوتويلوإيفانكونس، نظرية اللغة الأدبية، تر حاد أبو أحمد، مكتبة غريب، سلسلة الدراسات الأدبية، ص141.
12. الرواية، ص25.
13. الرواية، ص32.
14. الرواية، ص53.
15. الرواية، ص39.
16. الرواية، ص28.
17. الرواية، ص 61.
18. الرواية، ص50.
19. محمد نجيب العمامي: الراوي في السرد العربي المعاصر، رواية الثمانينات بتونس، دار محمد علي الحامي، صفاقس، تونس 2001، ص293.
20. [1]بو شوشة بن جمعة في الرواية المغاربية المعاصرة، توظيف التراث –مجلة كتابات معاصرة، بيروت العدد 29، 1996، ص105.

21. [1]بو شوشة بن جمعة، اتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ط1، 2003، ص
22. صبري، حافظ : متاهة اللغة ومرآة الرواية، مجلة الآداب، بيروت، عدد5-6يونيو1997، ص38.
23. محمد رجب رضا النجار: حكايات الشطار والعيارين في التراث العربي، سلسلة عالم الفكر، ع45 يناير1981، ص. ص430-431.
24. بو شوشة بن جمعة، اتجاهات الرواية في المغرب العربي، المغاربية للطباعة والنشر والإشهار، تونس، ط1، 2003. ص
25. صفوت أحمد زكي، جمهرة رسائل العرب، المكتبة العلمية، بيروت ج2، ص458
26. Roger Caillois, Puissance du Raman ;ed sagitaire1942 ,p120.
27. عبد الله الغدامي، الخطيئة والتكفير:من البنيوية إلى التفكيكية، النادي الأدبي الثقافي، ط2، جدة،1991، ص25.
28. كمال أبو ديب"في الشعرية"،1986، ص15.
29. جون كوهين، بنية اللغة الشعرية، ترجمة محمد العمرين، دار توبقال للنشر، المغرب، ط1،1986، ص6
30. أحمد المديني، أسئلة الإبداع في الأدب العربي المعاصر، دار الطليعة، بيروت.ط1،1985، ص ص85-87.
31. ميخائيل باختين،شعرية دوستويفسكي، تر جميل نصيف تكريتي،دار توبقال،المغرب،ط1،1986، ص22.
32. الرواية، ص86.
33. الرواية، ص18.
34. صالح صلاح، سرديات الرواية العربية المعاصرة، المجلس الأعلى للثقافة القاهرة، ط1،2003، ص234.
35. صلاح الدين بوجاه، حسبي أن أقول كلمتي وأمضي،أخبار الأدب(مصر)عدد1999،328، ص1.
36. الرواية،ص.ص14-15.
37. الرواية، ص12.
38. الرواية، ص14.

آفاق التحليل البلاغي للخطاب السياسي

Prospects of rhetorical analysis of political discourse

أحمد الرويني، باحث بسلك الدكتوراه، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، مراكش، المغرب
Ahmederrrouyny1983@gmail.com

الملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى الكشف عن الثراء النظري والإجرائي الذي يميز المقاربة البلاغية للخطاب السياسي، وإبراز مقدرتها على بلورة الغايات الحجاجية الثاوية وراء الاختيارات اللفظية والصور الأسلوبية التي يلجأ إليها الخطيب، وذلك انطلاقا من تصور مؤداه أن لهذه الألفاظ والصور وظيفة تأثيرية وإقناعية إلى جانب وظيفتها الجمالية. بيد أن نظرية التحليل البلاغي للخطاب السياسي لا تركز فقط على دراسة الاختيارات المعجمية والأسلوبية والتقنيات الحجاجية التي يُبنى عليها الخطاب السياسي أو ما أطلق عليه أرسطو اللوغوس، بل تهتم أيضا بتحليل صورة الخطيب باعتباره يحاجج المتلقي بهويته وأخلاقه وهو ما سمي عند أرسطو الإيتوس، وتُعنى كذلك بصورة المتلقي وأحواله النفسية والوجدانية أثناء التلقي أو ما سماه أرسطو الباتوس. وفضلا عن ذلك، تستحضر نظرية التحليل البلاغي مختلف الإشارات النصية وغير النصية المتعلقة بالسياق التواصلي الذي أُنتج فيه الخطاب السياسي.

الكلمات المفاتيح: الخطاب السياسي- الحجاج- نظرية التحليل البلاغي -السياق.

Abstract:

The aim of this study is double-fold. First, it uncovers the theoretical and procedural richness characterizing the rhetorical approach for the political discourse. Second, it highlights the ability of the latter to shape the rhetorical goals underlying the verbal choices and the imagery that the speaker resorts to based on the concept: these utterances and the imagery has an impact and persuasive function alongside its aesthetic one. However, the rhetorical analysis theory for the political discourse is not only founded on studying the lexical choices and the rhetorical techniques underlying the political discourse- what Aristotle called the logos, but it is also interested in analyzing the background of the speaker as they argue and persuade the receiver with his identity and morals-what Aristotle called Ethos. Moreover, it is concerned with the background of the receiver, their psychological and emotional conditions – what Aristotle called Pathos- during the reception.

Additionally, the rhetorical approach evokes different textual and non- textual hints concerned with the communicative context where the political discourse is made.

Key Words: Political discourse- argumentation- context- rhetoric analysis theory.

تمهيد:

يتفق معظم الباحثين والمنشغلين بالخطاب السياسي على أن الوظيفة الإقناعية لهذا الخطاب وطبيعته الحجاجية، تجعل المقاربة البلاغية المنهج الأمثل لدراسته وتأول ملفوظاته. ويجد هذا الاختيار ما يسوّغه في أمرين؛ أولهما يتمثل في كون المقاربة البلاغية بما هي نظرية علمية مرنة ومنتجة قادرة على دراسة شتى المتون السياسية القديمة والحديثة القائمة على نقل المعاني السياسية وإبلاغها. وثانيهما يرتبط بانفتاح هذه المقاربة واستثمارها النتائج التي توصلت إليها المناهج الأخرى المعنية بالخطاب السياسي (المنهج النفسي، والسوسيولوجي، والفلسفي، والسيميائي...).

ومن منطلق هذه الخصوصية المميزة للمقاربة البلاغية وكذا الآفاق الرحبة التي تفتحها أمام الدارس والمحلل، سنحاول رصد القوة الحجاجية والإقناعية التي تمتاز بها الصور الأسلوبية والوجوه البلاغية في الخطاب السياسي، آخذين في الحسبان جملة من الاعتبارات النوعية والكمية. وتتمثل الاعتبارات النوعية في الطبيعة التداولية والتواصلية التي تميز الخطاب السياسي عن سائر الخطابات الأخرى. أما الاعتبارات الكمية فتتجسد في الحضور اللافت للمقومات الأسلوبية والصور البلاغية ودورها المهم في بناء حجاجية الخطاب السياسي.

تداولية الخطاب السياسي

تكشف الملاحظة الأولية للخطاب السياسي بأنه خطاب تواصلي تداولي يقوم على أربعة أركان: مرسل/متكلم، ومرسل إليه/متلق، ورسالة ذات أغراض محددة، بالإضافة إلى السياق الذي يجري فيه الكلام وما يقترن به. ولذلك يتوجب على كل دارس ومحلل أن يستحضر هذه الاعتبارات التداولية أثناء التحليل البلاغي للخطاب السياسي، لما لها من أهمية قصوى في الكشف عن مقامات الحجاج والإقناع فيه. وبإمكاننا توضيح هذه العناصر التداولية على النحو الآتي:

- مرسل الخطاب ومنتجه؛ فغالبا ما يلجأ الخطيب السياسي إلى تقديم نفسه للمخاطبين في صورة إيجابية تسعفه في تحقيق المقاصد الإقناعية المتوخاة من خطابه. ولذلك صار "من المهم الحديث عن صورة الباث كما يرسمها هو ذاته في خطابه حين يحرص على الظهور بمظهر معين والتحلي بخصال محددة تتلاءم مع غايته وتدعم طاقة خطابه الحجاجية" (الدريدي، 2008، صفحة 91). وقد أولى أرسطو اهتماما كبيرا للصورة التي يكون مصدرها شخصية المتكلم وأخلاقه، واعتبر أن "الإقناع يحصل بالسمات والطباع، متى كان الخطاب قادرا على جعل الخطيب أهلا للتصديق؛ لأن شرفاء الناس يوحون لنا بثقة كبيرة في كل القضايا، ويلهموننا بثقة كاملة في القضايا غير اليقينية أو المشكوك فيها" (Aristote, 2007, p. 47) . وقد تنبهت الدراسات الحديثة المعنية بالخطاب السياسي إلى الوظيفة الحجاجية للمظهر التي يقدم الخطيب به نفسه للمستمعين، واعتبرت أن "التحدي الأكبر للخطاب السياسي ليس كما يعتقد البعض، هو نقل رسالة أو نشر إيديولوجية، أو التحريض على الفعل، بل هو تأكيد هوية الخطيب، سواء كان هذا الخطيب فرديا (شخص ما) أم جماعيا (حزب، مجموعة برلمانية،

نقابة)، وذلك من أجل تسهيل انخراط الجمهور)"(Mayeffre, 2013) . ونظرا لهذا البعد الحجاجي لهوية الخطيب، فإن الدارس والمحلل ملزم باستحضار هذا المعطى أثناء عملية التحليل البلاغي الفاحص للخطاب وتأوله.

-متلق الخطاب وأحواله؛ يتحتم على السياسي أثناء إنتاج خطابه أن يراعي أحوال المخاطبين ويستحضر ظروفهم النفسية والاجتماعية من أجل التأثير فيهم وحملهم على الفعل والإنجاز، وهذا ما يقتضي أن يبني المتكلم خطابه وفق ما يسلم به المخاطَب من أفكار ومعتقدات وما يؤمن به من قيم ومبادئ. وقد اهتم معظم رواد البلاغة العربية بمنازل المخاطَبين ومراتبهم الاجتماعية، وألحوا على مسألة تناسب الخطاب مع شخصية المخاطَب، وأكدوا أن لكل طبقة اجتماعية الخطاب الذي يوائمها. وفي هذا الصدد قال أبو هلال العسكري: "وإذا كان موضوع الكلام على الإفهام، فالواجب أن تُقسَّم طبقات الكلام على طبقات الناس، فيُخاطب السّوقي بكلام السّوقة، والبدوي بكلام البدو، ولا يتجاوز به عما يعرفه إلى ما لا يعرفه؛ فتذهب فائدة الكلام، وتعدم منفعة الخطاب" (العسكري، 1961، صفحة 29). ومن هنا، ينبغي للمحلل البلاغي أن يفهم جيدا أحوال المخاطَبين النفسية والمعرفية أثناء عملية تلقي الخطاب وتداوله، لما توفره من إرشادات ثرية وفوائد كبيرة تمكن من توضيح مبهم الكلام وغامضه.

-الرسالة: يسعى الخطاب السياسي إلى تحقيق وظائف عدة، منها ما هو إخباري صرف مثل: نشر الأخبار والمعلومات السياسية، والتعليق على الأحداث وقضايا الشأن العام. ومنها ما هو برغماتي بالأساس، من قبيل: التأثير في نفوس السامعين وتحريك عواطفهم، وحملهم على الانخراط والفعل في مشروع أو عمل معين. ومهما يكن، فإن هذه الوظائف المختلفة قد تكون مجتمعة في رسالة واحدة، وقد يكون بعضها حاضرا بشكل صريح وبعضها الآخر بشكل ضمني تبعا لسياق الخطاب وظروف إنتاجه. لذلك، يتوجب على المحلل أن يكشف عن هذه الوظائف ويحددها بدقة أثناء التحليل البلاغي الحجاجي للخطاب السياسي.

-سياق إنتاج الخطاب والحيثيات المحيطة بإنجاز المتكلم كلامه؛ توفر معرفة السياق الخطابي تبصرات عميقة تسعف الباحث أثناء عمليتي التحليل والتأويل. ولذلك، فإن الاحتكام إلى السياق أمر ضروري في كل مستويات تحليل الخطاب الحجاجي، إذ هو "الكفيل بتسويغ الحجج الواردة في الخطاب من عدمها، فقد يكون الحجاج صحيحا من الناحية النظرية، ولكنه غير مناسب للسياق" (الشهري، 2004، صفحة 467).

وبناء على كل ما سلف، نستطيع الجزم بأن الكشف عن المقاصد الحجاجية والإقناعية للأساليب اللغوية والوجوه البلاغية الواردة في الخطاب السياسي، لا يمكن أن يتحقق بدراسة هذا الخطاب باعتباره نسيجا منغلقا على ذاته، وإنما بالنظر إليه باعتباره شكلا تواصليا مرتبطا بسياق محدد، وخطابا صادرا عن ذات إنسانية (متكلم) تقدم نفسها في صورة ومظهر خاص إلى ذات إنسانية أخرى (مخاطَب) تتفاعل مع الرسالة التي تتلقاها بعقلها ومشاعرها.

حجاجية الخطاب السياسي

بعدما اهتممت في ما تقدم بتحديد العناصر الأساسية المتدخلة في إنتاج الخطاب السياسي وتداوله، وأكدت أن دراسة السياق والعلاقات التفاعلية بين الخطيب والمخاطَب ينبغي أن تكون حاضرة في كل مستويات التحليل البلاغي، لا أن تُدرس منعزلة أو مستقلة عنها. سأنتقل إلى إبراز ما تنهض به المقومات الأسلوبية والتقنيات البلاغية من غايات تأثيرية ومقاصد تداولية، انطلاقا من فكرة مؤداها أن هذه المقومات الواردة في الخطاب السياسي لا يقصد بها المتكلم التزيين والتنميق بقدر ما يقصد بها الحجاج والإقناع.

ونظرا لكثرة المقومات الأسلوبية والوجوه البلاغية التي يحفل بها الخطاب السياسي، سنهتم في هذه الدراسة بالبحث في بعض تقنيات الغموض اللفظي التي يعمد إليها الخطيب من أجل الإثارة والتأثير، وسنبحث في حجاجية كل من الاستعارة والتشبيه باعتبارهما من أبرز الوجوه البلاغية شيوعا في الخطاب السياسي، وأقدرها على إقناع المخاطَب وحمله على الإذعان للأطروحات السياسية المعروضة عليه. كما سنسلط الضوء على الوظيفة التي تؤديها الضمائر الشخصية في بناء وتعضيد الحجاج في الخطاب السياسي، باعتباره خطابا تداوليا تتواجه فيه الآراء وتتعارض فيه أصوات عدة؛ إذ نجد صوت المتكلم المدافع عن تصوراته ومواقفه السياسية وصوت المعارض الرافض والمشكك في هذه المواقف، كما نجد أصواتا أخرى كثيرة يستدعيها الخطيب ليحاججها ويجادلها أو ليستشهد بمواقفها وأفكارها.

- تقنيات الغموض اللفظي: غالبا ما يتحقق الغموض اللفظي في الخطاب السياسي بأساليب مختلفة من قبيل "الحذف والزيادة والإضمار والنقصان والتقديم والتأخير والإفراد والتعميم وتردد الضمير بين أكثر من استخدام، وغيرها من الأساليب التأليفية المخلة بالفهم" (الباهي، 2013، صفحة 185). فقد يلجأ الخطيب السياسي إلى هذه التقنيات بغرض إضفاء سمة الغموض الدلالي حين يريد أن يقدم نفسه ومشروعه السياسي للمخاطب أو حين يتكلم عن خصومه السياسيين أو عندما يعلق على أحداث الشأن العام ويقدم رأيه حولها. وهكذا، نجد أن السياسي الذي يكون في موقع السلطة يتلاعب بالكلمات ويستخدم الألفاظ الغامضة التي تسعفه على التأثير في أذهان السامعين وتسمح له بالسيطرة على السلطة وإضفاء الشرعية عليها. في حين يلجأ السياسي الذي يتموقع في صف المعارضة إلى صياغة خطاب سياسي مضاد ينتقد فيه السلطة القائمة ويشكك الجماهير في كفاءتها ومصداقيتها باستخدام كلمات غامضة ومضللة تحتمل الكثير من التأويلات. ومهما يكن، فالغموض اللفظي الناتج عن تلاعب السياسيين بالكلمات بذكاء أحيانا وبدهاء في أحايين كثيرة، يزيد من حدة النقاش ويرفع من درجة السجال بين المحللين والمهتمين بالشأن السياسي العام حول الأغراض والمقاصد المتوخاة من هذا الخطاب. ولإبراز ما يخلقه الغموض اللفظي في الخطاب السياسي من نقاش محتدم في صفوف المحللين والجماهير، تكفي الإشارة إلى توالي البرامج الحوارية وتعدد اللقاءات الإعلامية التي تحاول رصد وتأول بعض مظاهر الحذف والنقصان والإضمار والتقديم والتأخير التي يلجأ إليها الرؤساء والزعماء السياسيين والنقابيين، ولا

سيما خلال الاستفتاءات والمحطات الانتخابية. وعلاوة على ذلك، يؤدي تلاعب السياسيين بالكلمات إلى تضليل الجماهير تجاه المعاني السياسية المحتملة، وذلك من خلال دفعهم إلى فهم معاني غير مقصودة دون أن يتحمل الخطيب مسؤولية هذا الفهم.

-التعابير الاستعارية: لا يوظف الخطيب السياسي المعاني الاستعارية من أجل تزيين الخطاب وتنميقه فحسب، بل من أجل التأثير في السامعين، وحملهم على التسليم بالأطروحات والأفكار التي تُعرض عليهم. وبذلك تمكن الاستعارة من تحقيق الإقناع والحجاج المقصودين من وراء هذا الكلام السياسي. وقد أسهب رواد البلاغة العربية القديمة في الحديث عن مختلف الوظائف الحجاجية التي يمكن أن تؤديها الاستعارة في الخطاب الشعري والنثري، وأكدوا أن الاستعارة من أهم مسالك الاستدلال والإقناع التي يستعيض بها المحاجج السياسي عن ألفاظ الحقيقة، لأنها "أدعى من الحقيقة لتحريك همة السامع إلى الاقتناع بها والالتزام بقيمها؛ فالمستعير يقصد أن يغير المقاييس التي يعتمدها السامع في تقويم الواقع والسلوك، وأن يتعرف السامع على هذا القصد منه، وعلى معنى كلامه وما يلزم عنه، وأن يكون هذا التعرف سبيلا لقبول خطابه ولإقباله على توجيهه" (طه، 2012، الصفحات 312-313). ويعد عبد القاهر الجرجاني أبرز من وقف عند القيمة الحجاجية الهائلة التي تمنحها الاستعارة للخطاب، وذلك في خضم تمييزه بين نوعين من الاستعارة وهما: التعبير الاستعاري غير المفيد والتعبير الاستعاري المفيد؛ حيث بين أن النوع الأول (الاستعارة غير المفيدة) "هو ذلك الذي لا يفيد نقله، حيث يكون اختصاص الاسم بما وُضع له من طريق أريدَ به التوسُّع في أوضاع اللغة، والتنوُّق في مراعاة دقائق في الفروق في المعاني المدلول عليها. أما المفيد فقد بان لك باستعارته فائدة ومعنى من المعاني وغرض من الأغراض، لولا مكان تلك الاستعارة لم يحصل" (الجرجاني، 2008، الصفحات 32-33). فإذا كانت الاستعارة غير المفيدة- حسب تصور الجرجاني- لا تضيف أي معان جديدة للكلام، بقدر ما تُظهر براعة الخطيب وافتنانه بجمال الأسلوب، فإن الاستعارة المفيدة عنده تمنح الكلام فائدة ومعنى جديد لا يُتوصل إليه بألفاظ الحقيقة. وقد أطلق اللساني المغربي أبو بكر العزاوي على هذا النوع من الاستعارات المفيدة اسم "الاستعارة الحجاجية" واعتبر أنها "النوع الأكثر انتشارا لارتباطها بمقاصد المتكلمين، وبسياقاتهم التخاطبية والتواصلية" (العزاوي، نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، 1991، صفحة 83)، في حين نعث الاستعارة غير المفيدة "بالاستعارة غير الحجاجية أو البديعية، وتكون مقصودة لذاتها، ولا ترتبط بالمتكلمين وبمقاصدهم وأهدافهم الحجاجية" (العزاوي، نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، 1991، صفحة 83). ومن هنا، فإن الاستعارة الحجاجية تتحدد انطلاقا من الأثر الذي تتركه في ذهن المتلقي ونفسيته، ومن خلال ما تكشف عنه من دلالات خفية، ومن خلال ما تمنحه للخطاب من معاني كثيرة بألفاظ موجزة.

ولا مرية في أن الكشف عن الأبعاد الحجاجية للاستعارة التي يتضمنها الخطاب السياسي، يفرض على الدارس أن يعرف السياق العام لهذا الحدث الخطابي وأن يراعي الحيثيات المتدخلة في إنتاجه وتداوله؛ فسياق

الكلام هو ما يمنح الاستعارة بعدها التداولي والحجاجي، ويبين التأثير الذي تخلفه في ذهن السامع وعواطفه. ومن ثم، فإن استحضار السياق حاضر دوما في تحليل وتأول الاستعارات الواردة في الخطاب السياسي، ولا سيما في الخطب السياسية ذات المقاصد التهديدية والردعية؛ حيث يعمد المتكلم إلى توظيف الاستعارات العنيفة والدموية، التي تثير مشاعر الخوف والرعب في نفوس المعارضين والخصوم السياسيين، حتى يضمن انصياعهم وخضوعهم لأوامره. وبإمكاننا التمثيل على أهمية السياق في إبراز الوظائف الحجاجية والإقناعية للاستعارة من خلال عدة نماذج من الخطب السياسية الرائجة في العصر الأُموي (41ه -132ه)، الذي ارتبطت نشأة الدولة فيه "بحد السنان، وقوة البيان، وكما كان السيف من أسلحتهم في توطيد الملك، واستلاب الحكم، والاستيلاء على شؤون المسلمين، كان البيان القوي يحاول أن يخادع الناس، وأن ينتزع من صدورهم ما يؤمنون به، من أحقية آل البيت، وأن يجتذبهم إلى سياسة الأمويين، ويخضعهم بالقول المعسول واللفظ الخلاب لسلطانهم المستحدث" (خفاجي، 1990، صفحة 225). ولعل من أشهر الخطباء السياسيين الذين استعانوا بالمعاني الاستعارية لتحقيق مقاصدهم الحجاجية وغاياتهم تأثيرية نذكر: زياد بن أبيه (ت53ه) والحجّاج بن يوسف الثقفي (ت95ه) وغيرهم من الخطباء الولاة المشهورين في ذلك العصر.

-التشابيه: لا يخفى على أحد أن البراعة في ابتكار الصور التشبيهية يعضد العملية الإقناعية ويساعد المتكلم على النفاذ إلى عوالم السامعين الفكرية والشعورية وتوجيهها كيفما يشاء. ولذلك، يعمد الخطيب السياسي البارع إلى حشد جملة من التشابيه التي من شأنها أن تقوي حجته وتجعله يحرك وجدان الجماهير ومشاعرهم، مما يمكنه من تحقيق الإقناع العقلي والتأثير العاطفي.

ولا شك أن المتأمل في التراث البلاغي العربي، سيدرك أن البلاغيين العرب حددوا للتشبيه ثلاثة وظائف أساسية وهي الإمتاع والإيضاح والإقناع؛ فالتشبيه باعتباره أحد صور المجاز الشائعة عند العرب، يمنح الكلام بعدا جماليا، فهو بمثابة النقش أو الزخرف الذي يُشعر المتلقي بالمتعة واللذة؛ "فالاحتفال والصنعة في التصويرات التي تروق السامعين وتروعهم، والتخييلات التي تهز الممدوحين وتحركهم، تفعل فعلا شبيها بما يقع في نفس الناظر إلى التصاوير التي يشكلها الحذاق بالتخطيط والنقش أو بالنحث والنقر" (الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، الصفحات 317-318). وإلى جانب هذه الوظيفة الإمتاعية، يعتبر التشبيه مكونا مهما في كشف المعاني وتوضيح الدلالات وتمكين المخاطَب منها، وهو ما ألمح إليه ابن رشيق بقوله: "والتشبيه والاستعارة جميعا يُخرجان الأغمض إلى الأوضح، ويقربان البعيد" (القيرواني، 1955، صفحة 287). فالتشبيه إذن، أداة مهمة في إيضاح الكلام وإظهار المعنى للمتلقي بعيدا عن الإبهام والغموض. وفضلا عن هذه الوظيفة التوضيحية، تنبه رواد البلاغة العربية إلى الدور الإقناعي الذي تؤديه الصور المجازية، ولا سيما التشبيه والتمثيل والاستعارة، ومن ذلك ما أورده عبد القاهر الجرجاني قائلا: "واعلم أن مما اتفق العقلاء عليه أن التمثيل إذا جاء في أعقاب المعاني أو برزت هي باختصار في معرضه ونُقلت عن صورها الأصلية إلى صورتها كساها أبهة

وكسبها منقبة ورفع من أقدارها وشبّ من نارها وضاعف قواها في تحريك النفوس لها ودعا القلوب إليها واستثار لها من أقاصي الأفئدة صبابة وكلفا وقسر الطباع على أن تعطيها محبة وشغفا فإذا كان مدحا كان أبهى وأفخم... وإن كان ذما كان مسّه أوجع ... وإذا كان حجاجا كان برهانه أنور وسلطانه أقهر وبيانه أبهر" (الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، صفحة 92).

على هذا النحو ندرك أن التشبيه أداة أساسية في الحجاج من زوايا عدة؛ فهو من جهة حجة وبيّنة للاحتجاج والاستدلال على دعوى المتكلم، وهو من جهة أخرى دليل يصعب الإتيان بدليل مضاد له وذلك خلافا للكلام العادي الخالي من التشابيه الذي يسهل على المخاطَب إبطاله والاعتراض عليه. وبتأملنا الخطاب السياسي عند الأمويين، نجده حافلا بالصور التشبيهية التي تكشف عن قدرة فائقة لدى الخطباء في ابتكار الصور الموحية وتوظيف التشابيه من أجل نقل المعاني السياسية وتهيئة المخاطَبين للاقتناع بها. وتعتبر الخطب التهديدية والترهيبية التي ألقاها الحجّاج بن يوسف الثقفي أمام معارضيه من العراقيين حين كان واليا عليهم من أكثر الخطب توظيفا للتشابيه العنيفة التي تصور مختلف صنوف العقاب الذي ينتظر هؤلاء الخصوم.

- الضمائر الشخصية: تنقسم الضمائر الشخصية في اللغة العربية إلى ثلاثة أنواع، وهي: ضمائر التكلم (أنا، تاء المتكلم، نحن، نا الفاعلين)، وضمائر الخطاب (أنتَ، أنتِ، أنتما، أنتم، أنتن، كاف الخطاب)، وضمائر الغيبة (هو، هي، هما، هم، هن، هاء الغائب).

وعادة ما يلجأ الخطيب السياسي في مقام الحجاج والإقناع إلى الاستعانة بالضمائر الإشارية، ولا سيما ضمير المتكلم الجمع، الذي يحمل إشارات كثيرة، ويفترض تأويلات مختلفة؛ إذ قد يشير إلى أنا الخطيب (الحاكم أو الملك) الذي يحس بالعظمة والأبهة، كما قد يشير فعلا إلى جماعة من المتكلمين. ويحقق توظيف هذا النوع من الضمائر في الخطاب السياسي وظائف عدة، لعل أهمها: وظيفة الإدماج؛ حيث تسعى كل سلطة سياسية حاكمة إلى احتكار الحديث باسم الجماعة التي تحكمها، وهو ما يمكنها من تقديم مصالحها وأهدافها بوصفها مصالح وأهداف الجماعة/الشعب برمتها. وعلاوة على ذلك، قد يسعى الخطيب السياسي من وراء استخدامه ضمير المتكلم الجمع إلى إخفاء الفاعل الحقيقي وجعله مبهما وغامضا، مما يوفر له القدرة والإمكانية على التنصل من مسؤوليته الفردية عن الأقوال والتعليقات الصادرة عنه.

ويرى الفيلسوف "طه عبد الرحمن" أن توظيف ضمير المتكلم الدال على الجمع يهدف إلى إظهار التضامن والمشاركة بين الذات المتكلمة والذات المتلقية للخطاب، إذ يجعل المتكلم ناطقا باسمه وباسم غيره، ولا غير أقرب إليه من المخاطب، حتى كأن هذا المخاطب عالم بما يخبره به المتكلم ومشارك له فيه، فيكون ضمير الجمع، من هذه الجهة، أبلغ في الدلالة على التأدب وليس على الإعجاب بالنفس (طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، 2012، صفحة 13).

وبوجه عام، ينهض ضمير المتكلم الدال على الجماعة في الخطاب السياسي بمهمتين أساسيتين، وهما: أنه أداة إشارية تؤسس علاقة تواصلية متينة بين المتكلم بالمرسَل إليه، والأخرى هي: أنه مؤشر على الوظيفة التداولية أو القصدية (الموافقة). وهذا هو التأثير أو القصد الذي يتناوله المرسِل (الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، 2004، صفحة 287).

خاتمة:

من خلال كل ما تقدم، نستطيع القول إن الخطاب السياسي هو حدث تواصلي غايته التأثير والإنجاز، لذلك يقع على عاتق الباحث والمحلل دراسة هذا الخطاب وتمحيصه وفق خطة بلاغية تتيح الكشف عن أبعاده التداولية والحجاجية، وتمكن من تتبع مختلف الوجوه البلاغية الواردة فيه وإبراز وظائفها الحجاجية والإقناعية سواء الظاهرة أم الخفية.

ولكي تحقق المقاربة البلاغية للخطاب السياسي هذه الأهداف، لا بد لها من استحضار جملة من الاعتبارات، لعل من أهمها:

- الانطلاق من تصور مبدئي يرى أن الخطاب السياسي هو خطاب تداولي يمزج بين الجمال والإقناع مزجا قويا؛ إذ غالبا ما كان يستعين الخطباء المتميزون بالصور البلاغية من تشبيه واستعارة وتمثيل وغيرها من ضروب المجاز من أجل إظهار البراعة في اختراع الصور الموحية والتفوق في ابتكار المعاني التخييلية من جهة، ومن أجل تعضيد الخطاب والرفع من فعاليته الحجاجية والإقناعية من جهة أخرى.
- عدم الاكتفاء بدراسة الصور البلاغية الواردة في الخطاب السياسي وتحليلها منعزلة عن النسيج النصي الذي وردت فيه؛
- النظر في الفعالية الحجاجية والإقناعية التي يحققها تفاعل الوجوه البلاغية، ولا سيما التشبيه والاستعارة، مع باقي المكونات البلاغية الثاوية في الخطاب (الاستفهام، الأمر، القسم وغيره من الأساليب البلاغية)؛
- مراعاة السياق الذي أُنتج فيه الخطاب أثناء عمليات تحليل حجاجية الصور البلاغية وتأولها؛
- تحديد طبيعة العلاقات التفاعلية التي يبنيها الخطيب مع المتلقي من خلال خطابه (علاقة وئام ومودة، أم علاقة صراع وخصومة...؟)؛
- الاستفادة من معطيات خارج نصية تتعلق بالأحوال الشخصية والاجتماعية لكل من الخطيب والمتلقي؛
- الاستعانة أثناء التحليل البلاغي للخطاب السياسي بآليات ومفاهيم مستمدة من حقول معرفية أخرى تُعنى بدراسة الخطاب السياسي (التداولية، السوسيولوجيا، علم النفس، الحجاج العاطفي...).

قائمة الهوامش:

[1]سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ص 91.

2 Aristote, Rhétorique, p 45.

[3] Damon Mayeffre , Dire son identité politique, Cahier de la Méditerraneé, en linge, 66, 2003, mise en linge le 21 juillet 2005, Consulté le 06 novembre 2013, URL ://cdlm.reveus.org/119.

[4] أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، صححه وفسر غريب ألفاظه السيد محمد أمين الخانجي، مطبع محمود بك، الأستانة العليا، 1961م، ص 29.

[5] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ط1، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، 2004، ص 467.

[6] حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، أفريقيا النشر، الرباط، المغرب، 2013م، ص185.

[7] يرى عبد القاهر الجرجاني أن للاستعارة "مزية على الكلام الظاهر، تتحقق بإثبات المعاني المرادة وتقريرها على نحو يُكسبها نبلا وفضلا". يُنظر دلائل الإعجاز، ص 71.

[8] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2012م، ص ص 312-313.

[9] عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، ط3، دار المدني، جدة، السعودية، 2008م، ص ص 32-33.

[10] أبو بكر العزاوي، نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، مجلة المناظرة، عدد 4، ماي 1991، ص 83.

[11] المرجع نفسه، ص 83.

[12] محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه الأموي والعباسي، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1990، الجزء 1/ 225.

[13] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية، ص ص 317-318.

[14] ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، الجزء 1، ص287.

[15] عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، ص92.

[16] طه عبد الرحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ص 13.

[17] عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، ص 287.

قائمة المصادر والمراجع:

- أبو هلال العسكري، الصناعتين، الكتابة والشعر، صححه وفسر غريب ألفاظه السيد محمد أمين الخانجي، مطبع محمود بك، الأستانة العليا، 1961م.

- أبو بكر العزاوي، نحو مقاربة حجاجية للاستعارة، مجلة المناظرة، شركة بابل للطباعة والنشر والتوزيع، الرباط، المغرب، عدد 4، ماي 1991.
- ابن رشيق القيرواني، العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده، الجزء 1، مطبعة السعادة، مصر، 1955.
- حسان الباهي، الحوار ومنهجية التفكير النقدي، أفريقيا النشر، الرباط، المغرب، 2013م.
- سامية الدريدي، الحجاج في الشعر العربي القديم من الجاهلية إلى القرن الثاني للهجرة، بنيته وأساليبه، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن.
- عبد القاهر الجرجاني، أسرار البلاغة في علم البيان، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني، جدة، السعودية.
- عبد القاهر الجرجاني، دلائل الإعجاز، قرأه وعلق عليه محمود محمد شاكر، دار المدني، ط3، جدة، السعودية، 2008.
- عبد الرحمن طه، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، ط3، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2012م.
- عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب، مقاربة لغوية تداولية، دار الكتاب الجديد المتحدة، ط1، بيروت، لبنان، 2004.
- محمد عبد المنعم خفاجي، الأدب العربي وتاريخه الأموي والعباسي، الجزء 1، دار الجيل، بيروت، لبنان، 1990.

دلالة الألفاظ المقترَضة في أهازيج ظاهرة ألتراس كرة القدم المغربية
ألتراس "حَلاّلة بويز" نموذجا

دراسة سوسيولسانية

The significance of the borrowed words in the chants of the Moroccan football Ultras phenomenon
Ultras "Helala Boys" as a model

A sociolinguistic study

عصام الهتاكي، مختبر اللغة والمجتمع، كلية اللغات والآداب والفنون، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب.
إشراف الدكتور: عبد النور الحضري
البريد الالكتروني: aissam.elhattaki@uit.ac.ma

الملخص:
نروم من خلال هذه الدراسة تسليط الضوء على ظاهرة الألفاظ الأجنبية المقترضة والمعرّبة في أهازيج ألتراس كرة القدم المغربية، والتي شاع استخدامها بين صفوف الشباب المغربي المنتمي لظاهرة الألتراس، هاته الظاهرة العالمية التي ذاع صيتها وفرضت نفسها تدريجيا في السياق المغربي بشكل عام وصارت ملازمة للمشهد الرياضي بالمغرب، ثم انتقلت شيئا فشيئا لتحفر وجودها في الفضاء العام.

كلمات مفاتيح:
اللسانيات الاجتماعية، الاقتراض اللغوي، التعريب، الألفاظ الأجنبية، ظاهرة الألتراس، "حلاّلة بويز"، كرة القدم، القنيطرة.

Abstract:
Through this study, we aim to shed light on the phenomenon of borrowed and Arabized foreign words in the Moroccan football ultras, which are commonly used among Moroccan youth belonging to the ultras phenomenon. This global phenomenon became famous and gradually imposed itself in the Moroccan context in general and became associated with the sports scene in Morocco, then it moved little by little to engrave its presence in the public space.

Keywords:
social linguistics; linguistic borrowing; localization; profanity; Ultras phenomenon; "Helala Boys"; Soccer; Kenitra.

مقدمة:

ليس من المغالاة في شيء هنا زعم أن أغاني ظاهرة ألتراس كرة القدم المغربية أصبح لها أهمية بالغة وذلك بسبب الدور الريادي التي تضطلع به ظاهرة الألتراس ببلادنا. وتهدف هذه الدراسة كما سبق الذكر إلى تعرف ظاهرة الاقتراض اللغوي من خلال تحليل أغاني ألتراس كرة القدم المغربية، وسوف تقتصر هذه الدراسة على أغاني الألتراس المغربية، وتحديدا أغاني ألتراس "حلالة بويز" المشجع للنادي الرياضي القنيطري، الذي ينتمي جغرافيا إلى مدينة القنيطرة؛ إحدى المدن المغربية الساحلية، تطل على ساحل المحيط الأطلسي، وتقع على الضفة الجنوبية لنهر سبو على بعد 40 كلم شمال العاصمة الرباط. فقد وهبها هذا الموقع أسباب الاحتكاك مع الآخرين ووفر لها التأثر بالألسنة المحلية والأجنبية.

وقع الاختيار على هذه المدينة لعدة اعتبارات من بينها: إن هذه المدينة تتواجد فيها مجموعة تعتبر من بين أهم مجموعات حركة الألتراس بالمغرب، حيث اقترضوا الكثير من الألفاظ الأجنبية وتداولوها على نطاق واسع بين صفوف الشباب نظرا للكم الهائل من المقاطع والألبومات الموسيقية التي يتم طرحها والتي تمثل بالنسبة لهم مقاومة ونضالا في إيصال صوتهم ومعاناتهم لأكبر شريحة من الناس، ويتخذون في ذلك اللغة وسيلة للتعبير عما يختلج في صدورهم وعما يعيشه مجتمعهم. والمستمع لهذا النمط من الأغاني يجد طغيان الألفاظ الأجنبية بشكل كبير على الرغم من التأثير العميق الذي تلعبه اللهجة المغربية في نفوس الجماهير.

نروم في هذا البحث تحقيق هدف.

أهمية الدراسة:

تكتسب هذه الدراسة أهمية بالغة، وتكمن أهميتها في كونها تتطرق لظاهرة قديمة حديثة؛ قديمة من حيث وجودها لدى المجتمع الغربي، حديثة بالمجتمع المغربي، باعتبارها لم تظهر به إلا في العقدين الأخيرين. وقد عالجت الدراسة مشكلتها في ثلاثة مباحث رئيسية: تناول المبحث الأول التعريف بالاقتراض والتعريب، والمبحث الثاني يتحدث عن ظاهرة الألتراس، بينما هم المبحث الثالث بالدراسة التطبيقية، وخرجت بنتائج أهمها أن لأهازيج ظاهرة الألتراس دورا كبيرا في اقتراض الألفاظ الأجنبية على مستوى المفردات والعبارات.

هدف الدراسة

نروم في هذه الدراسة تحقيق الهدف الآتي:

التأكيد على الأهمية التي أصبحت تحظى بها ظاهرة الألتراس بالمغرب، وبيان دورها في اقتراض وتعريب العديد من الألفاظ الأجنبية.

موضوع الدراسة:

يندرج موضوع الدراسة الذي نحاول تقديمه ضمن مجال اللسانيات الاجتماعية، أي الدراسة التي تعنى بالقدرة اللغوية المنجزة في السياق وفي الظروف الاجتماعية التي توظف فيها تلك القدرة. وقد شكلت محاضرات

فرديناند دي سوسير اللبنة الأولى التي تأسست عليها اللسانيات الحديثة، حيث اعتبر أن اللسانيات موضوعها الوحيد والفعلي هو اللغة في ذاتها ولذاتها، أي نظام من العلامات المجردة، وثروة في العقول تتقاسمها الجماعة، وقد انصب هذا التوجه على التنظيم الداخلي للغة، وهناك توجه آخر يعتبر موضوع اللسانيات دراسة بنية ووظيفة اللغة وفق تصور تزمني تطوري *Diachronique*، وفي علاقة ببنية المجتمع الذي نشأت فيه. ويستحضر العوامل الخارجية عنها، كوضع اللغة، الفضاء الذي استعملت فيه، والانتماء الاجتماعي للمتكلم، وسنه، وجنسه، ومهنته، إلخ. وسمي هذا التيار بمدرسة اللسانيات الاجتماعية، (الحضري، 2017، ص. 98) الذي يعنى بدارسة اللغة في سياقها الاجتماعي والثقافي.

مشكلة الدراسة:

مما لا شك فيه أن جزءا مهما من الألفاظ والعبارات الأجنبية التي تم ويتم اقتراضها وتعريبها من طرف شباب الألتراس تعكس بشكل كبير تأثر المجتمع ككل بالتطورات الثقافية والتكنولوجية العالمية، على اعتبار أن كرة القدم لعبة عالمية تجمع بين مختلف الثقافات والشعوب. وقد تمثل هذه الأغاني منصة لهذا التبادل الثقافي بين المجتمعات وبين اللغات المختلفة. كما أن تطور وسائل الاتصال وانتشار الإنترنت ووسائل التواصل الاجتماعي أصبح التأثير أكثر وضوحا وسهولة.

اقتراض واستعارة الألفاظ الأجنبية أمر طبيعي وشائع في اللغة، وتعتبر هذه الظاهرة جزءا من التطور اللغوي في المجتمعات، وهو ليس بالأمر الجديد، لأن اللغات كانت ولا تزال يحتك بعضها ببعض. وعلى ضوء هذا التصور لظاهرة اقتراض الألفاظ الأجنبية في أغاني الألتراس تمت صياغة إشكالية الدراسة على النحو التالي:

إلى أي حد تلعب أغاني ظاهرة ألتراس كرة القدم المغربية في اقتراض العديد من الألفاظ الأجنبية؟ حيث تستخدم مزيجا من اللغات واللهجات لنقل رسائلهم وقيمهم وتوجهاتهم، مما يعزز التواصل والتفاعل بينهم وبين أفراد المجتمع وبين مختلف الثقافات.

المبحث الأول: الإطار المفاهيمي للدراسة

أولا: حول ظاهرة الاقتراض اللغوي

إن من أهم الوسائل التي تعتمد عليها اللغة في نموها وارتقائها هي تلك الظاهرة التي اصطلح اللغويون المحدثون على تسميتها باقتراض الألفاظ، ولذا تعد هذه الظاهرة معلما رئيسيا من معالم الدراسة اللغوية.

يعرف الاقتراض اللغوي على أنه سد ثغرة معجمية في لغة ما. ويعتبر من بين أبرز الظواهر اللغوية في حياة اللغات، وهو ينتمي إلى مجال اللسانيات الاجتماعية، كما يعد ظاهرة طبيعية في كل اللغات الحية، وهو مظهر يدل على مدى حيوية اللغة وتطورها، فنجد أن اللغة العربية قد تميزت بظاهرة الاقتراض من اللغات التي احتكت بها منذ العصر الجاهلي، فعرفت اتساعا كبيرا في عصر صدر الإسلام، لانفتاح المجتمع العربي على الحضارات والمجتمعات الأخرى نتيجة تلاقح العرب مع باقي شعوب الأرض.

فالمرء حين يقترض لفظا أجنبيا، ويستعمله في كلامه أو في كتابته، يحاول عادة أن يشكل ذلك اللفظ حتى يصبح على نسج لغته، أو قريب الشبه بألفاظها، سواء من نحية الأصوات أو من ناحية الصيغ. ويساعد مثل هذا الصنيع على شيوع اللفظ الأجنبي بين أفراد البيئة لسهولة تناوله حينئذ والنطق به. (أنيس، 1966، ص. 103)

فالاقتراض ظاهرة لغوية مشتركة لا تكاد تخلو منها لغة أو لهجة ما دام لها متحدثون لهم أدنى اتصال أو احتكاك مع متحدثي لغة أو لهجة أخرى، ويدل تاريخ البحث في اللغات على أنه لا توجد لغة تخلو تماما من هذه الظاهرة. ويعرف "ماريو باي" ظاهرة الاقتراض بين اللغات بأنها: "العملية التي تمتص بها لغة ما ألفاظا وتعبيرات، وربما أيضا أصواتا وأشكالا قواعدية من لغة أخرى، وتكيفها في استخدامها، مع أو بدون تكيف صوتي ودلالي". (جاه الله وعبدالمولى، 2007، ص. 7)

وينقسم الاقتراض حسب "عبد العزيز المطاد" إلى قسمين:

- اقتراض داخلي: ويتم داخل نفس العشيرة اللغوية.
- اقتراض خارجي: وهو الذي يتم من الداخل إلى الخارج، أي من داخل العشيرة اللغوية إلى خارجها أو العكس؛ وهو ما يعرف بالدخيل والمعرب. والاقتراض بهذا المعنى ظاهرة عامة في جميع اللغات وجميع الأزمان، بل إن أبسط مظاهر التأثر الذي تمارسه لغة على أخرى يتمثل في اقتراض الكلمات. لهذا، فظاهرة الاقتراض بين اللغات قديمة وموغلة في التاريخ، لأن اللغات كانت ولا تزال يحتك بعضها ببعض، مما يجعل الظاهرة مستمرة لا تكاد تخلو منها أي لغة مادام قد توفرت لها ظروف محددة تساعد على هذا الاقتراض مثل؛ الاتصال السياسي بين أمتين مختلفتين في اللغة، والاستعمار أو الدين أو العلاقات التجارية، والثقافية وغير ذلك. (المطاد، 2017، ص. 160-161)

ثانيا: حول التعريب

اتجه اللغويون في العصر الحديث إلى ظاهرة التعريب الذي يعد فرعا من فروع الاقتراض اللغوي، وهو من أهم الوسائل التي ساعدت على تحديث اللغة العربية، وذلك عن طريق تعريب العديد من الألفاظ الأجنبية التي أصبحت شائعة ومستعملة في اللغة اليومية.

يتخذ المصطلح دلالات مختلفة في المعاجم العربية. فالتعريب في اللغة: هو الإيضاح والإبانة، قال الزبيدي: التعريب تهذيب المنطق من اللحن. ويقال عرّبت له الكلام تعريبا، وأعربت له إعرابا إذا بينته له حتى لا يكون فيه حضرمة. وقيل: التعريب: التبيين والإيضاح، وفي الحديث "الثَّيِّبُ تُعْرِبُ عن نفسها". وقال الأزهري: الإعراب والتعريب معناهما واحد، وهو الإبانة، يقال: أعرب عن لسانه وعرب أي أبان وأفصح. (أحمد محمد، 2015، ص.3)

وجاء في "القاموس المحيط": أن العُرب (بالضم وبالتحريك): خلاف العجم. والإعراب: الإبانة والإفصاح عن الشيء. أما التعريب: فهو تهذيب المنطق من اللحن. (الفيروزآبادي، 2008، ص. 1066)

يتبين أن التعريب لفظ متشعب ومتعدد المعاني، يقصد منه على وجه الإجمال في معناه اللغوي على البيان والوضوح.

أما من الناحية الاصطلاحية، فقد اتفق معظم اللغويين العرب على مفهوم التعريب الذي يشير إلى نطق الاسم الأعجمي على منهاج اللغة العربية، ويكمن الاختلاف بينهم في حدود مفهوم التعريب مع مفهوم الدخيل.

ويعد التعريب أسلوب مشروع، وله أحكامه وضوابطه التي تعنى في الأساس إخضاع المصطلح الأجنبي لشيء من التعديل أو التغيير في بنيته، ليطابق النظم الصوتية والصرفية في العربية.

العربية كانت دائما منفتحة على جميع الشعوب والحضارات وأن مسألة التعريب هي عملية ضرورية لنموها واستمرارها. وأما الشروط التي وضعتها العربية في التعريب هي: المكون الصوتي، المكون البنائي، المكون الصرفي. (دنياجي، 2006، ص. 232)

فالتعريب، كما بين كمال بشر: "محصور في النقل إلى اللغة العربية (والعربية وحدها)، وقد يكون النقل في مجال الألفاظ ذاتها، وهو الأشيع والأكثر استعمالا لمصطلح التعريب. والمقصود هنا نقل اللفظة الأجنبية كما هي إلى اللغة العربية، مع نوع من التعديل أو التغيير في صورتها بالقدر الذي يتمشى مع القواعد الصوتية والصرفية في اللغة العربية. فالتعريب هنا إذن محصور مفهومه في مجال الألفاظ ونحوها من حيث المبنى والشكل. (بشر، 1998، ص. 311)

ويعتبر الفاسي الفهري التعريب خدمة للغة العربية من الداخل (على مستوى نسقها وعلى مستوى إنتاج الأدوات التي تمكن من تنميتها ونشرها)، وأيضا إعادة النظر في وضعها في المحيط إزاء اللغات واللهجات الأخرى (في إطار التعدد اللغوي والتعدد اللهجي). وهو اختيار استراتيجي معقول لتمكين اللغة الوطنية الرسمية في محيطها. (الفهري، 2003، ص. 6) ويقصد به أن تكون المادة العلمية أجنبية لكن تدرس باللغة العربية بدلا من اللغة الأصلية التي اخترعت بها.

إذن، التعريب هو اقتباس كلمة من اللغات الأجنبية وإدخالها في اللسان العربي مع تغيير في بنيتها، ثم تنسب هذه الكلمة إلى اللغة العربية.

المبحث الثاني: ظاهرة الألتراس

أولا: نبذة تاريخية عن ظاهرة الألتراس

استطاعت كرة القدم بشعبيتها وبإثارتها أن تستقطب أكبر عدد من الجماهير، تحت لواء ألوان نوادي رياضية معينة، جعلت لهم تقاليد خاصة في التشجيع كل حسب طريقته، وانتماءاته العرقية، القارية، وتوجهاته الإيديولوجية، فانتشرت بذلك الشعارات، الأغاني واللوحات الفنية، فأصبح شغف الأنصار بنواديهم لا حدود

له، وأصبحوا يساهمون بشكل كبير في صناعة الفرجة، إذ يغلب عليها الطابع التنافسي والحماسي الكبير، والانسجام والتنظيم، فأصبحت تكتسي أهمية بالغة عند الجماهير، وتستحوذ على قدر كبير من المتابعة.

تعد كلمة "الألتراس"؛ إحدى نماذج الانتماء والعمل الجاد من أجل تحقيق النجاح. فالألتراس "Ultras" كلمة لاتينية؛ تعني "الفائق" أو "الزائد عن الحد". أما المعنى الشائع لها، فهو التعبير عن المجموعات التي تعرف بانتمائها وولائها الشديد لفرقها الرياضية. والتي تعرف بأنها مجموعة من المشجعين الرياضيين، تتميز بوفائها وانتمائها غير المشروط لفرقها، والتزامها المنقطع النظير، ومساندتها بالأغاني والشعارات، والأناشيد، واللوحات الفنية. (شعيشع، ص1.)

تكونت أولى المجموعات في مدينة ساو باولو البرازيلية عام 1939-1940، وعرفت بـ "التورصيدا" "*Torcida*"، لتنتقل فيما بعد إلى أوروبا، وبالضبط إلى يوغوسلافيا، ثم كرواتيا مع جمهور "هايدوك سبليت"، إلا أن أغلب الكتابات حول الألتراس تتفق على أن أولى المجموعات التي عبرت عن وعيها بالانتماء للألتراس تأسست بإيطاليا في موسم 1968-1969 تحت اسم "فوسا دي ليوني" لمساندة فريق "إيه سي ميلان"، وظهر بعد ذلك ألتراس فريق نادي "انتر ميلان" تحت مسمى "بويز سان" 1968-1969، في نفس السنة ستنشأ مجموعة مشجعي فريق "سامبدوريا" وتتخذ لها اسم "ألترا تيتو كوشياروني" على اسم اللاعب "تيتو كوشياروني" لتصبح أول مجموعة توظف لفظة "ألتراس" في تسميتها. بعد هذا التاريخ ستنتشر مجموعات الألتراس في باقي بلدان أوروبا انطلاقا من إسبانيا في منتصف السبعينات، ثم فرنسا في الثمانينات وإنجلترا وباقي الدول الأوروبية في التسعينات.

وعليه، فمفهوم الألتراس يستخدم في وصف الروابط والفصائل من المشجعين المتعصبين لأفكارهم ونواديهم الرياضية.

كما لم يكن الوطن العربي، ببعيد عن تلك الظاهرة، التي زحفت إليه عبر دول المغرب العربي، وبالتحديد من خلال تونس عام 1995، حيث ظهرت ألتراس "أفريكان وينرز" المساند للنادي الإفريقي التونسي. ثم وصلت الظاهرة فيما بعد إلى المغرب، الجزائر، مصر، وليبيا، ثم استمرت لتصل إلى باقي الدول العربية.

وإذا صح القول فالاهتمام برياضة كرة القدم كواحدة من أكثر الرياضات شيوعا وشعبية في العالم بأسره لزم عنه وجود مشجعين أوفياء لهذه الرياضة أو لنواد معينة.

وتشترك المجموعات المنضوية تحت لواء الألتراس بصفة عامة على أربعة مبادئ رئيسة نلخصها كالآتي:

- عدم التوقف عن التشجيع والغناء طوال المباراة مهما كانت النتيجة.
- عدم الجلوس أثناء المباريات نهائيا.
- حضور جميع المباريات الداخلية والخارجية أيا كانت التكلفة والمسافة.
- الولاء والانتماء لمكان الجلوس في الملعب.

ثانيا: ظاهرة الألتراس بالمغرب: البدايات الأولى

تتعدد القصص والروايات حول تاريخ تواجد ظاهرة الألتراس بالمغرب وهناك نقاش حاد حول نشأة أول ألتراس بالمغرب، لكنها تتفق في مجملها على سنة 2005. بعد هذا التاريخ تأسس باقي أشكال الألتراس والتي يتجاوز عددها الخمسين أو أكثر، وأصبحت تمثل جميع الفرق الرياضية بفروعها المختلفة.

ترتكز غالبية التسميات الألتراس المغربية على اللغة الإنجليزية، وتنتمي إلى حقل دلالي يحيل على الشجاعة والنبل والقوة كصفات للمنافسة وإثبات الذات ("بويز"، "وينرز"، "هيركوليس"، "فايترز"، "ماتدوريس"، "ريفولتي"...)، مع استعمال خصوصيات محلية، في بعض الحالات، كاستعارات هوياتية، مثل "حلالة بويز"، حيث تشير "حلالة" إلى زهرة محلية تسمى "البابونج"؛ كانت تغطي أكثر مساحات مدينة القنيطرة، تستعمل لصنع العطور والأدوية واحتفظت المدينة بالاسم، واستغله أفراد المجموعة افتخارا به، أو إيمازيغن"، و"سواسة"، و"ريفينوس"؛ حيث إن هذه الألفاظ تحيل على اسم الساكنة بمنطقة أكادير، وآيت ملول، والريف، أو على فترة من تاريخهم ك "قراصنة" كما هو الشأن بالنسبة لجماهير مدينة سلا. أما "ألتراس شارك" (القروش) فهي كناية على طبيعة النشاط الاقتصادي لمنطقة آسفي، الذي يرتكز على الصيد البحري، أو "أورانج" (الليمون) في حالة النهضة البركانية كمنتوج يميز منطقة بركان ونواحيها. (بنيس، 2019، ص 5)

فالألتراس تعلي من شأن حضور المباريات سواء في الداخل أو في الخارج، بغض النظر عن التكلفة أو المسافة المقطوعة، ومن شأن ذلك أن يُكون صورة عن النادي بأن له مشجعين مخلصين أشداء يسافرون خلف ناديهم في أي مكان وبأي تكلفة، ولا يمكن أن يغيب عنصر الانتماء للمكان عن مجموعات الألتراس، فهم يختارون منطقة مميزة بالمدرجات يندر تواجد المشجعين العاديين فيها، وتكون حكرا عليهم وعلى فعالياتهم التي تتضمن التشجيع والمؤازرة ورفع "الباش" المعبر عن مجموعة الألتراس. مثل؛ "كورفا ديفرينتي"، "كورفا سود"، "كورفا نورد"، "كورفا تشي كيفارا"، كورفا صافانا"...

ثالثا: ألتراس "حلاّلة بويز": النشأة والتعريف

"حلالة بُويز في مزجِها بين تعصُبِ اللاَزُوري وإيقاعِ التانغُو، أصبحت كابن الأرجُنتين مارادونا أو مِيسي، الكُل ينتظِرُ منه تمريرَةً مُوسيقِية أو فِكرية لِيُسجِلها في شباكِ عقلِه". (حلاّلة بويز: 2007)

تشجيع فريق النادي الرياضي القنيطري لكرة القدم في كل مبارياته الداخلية والخارجية تكوّن وراءه ألتراس يطلق عليها اسم "حلاّلة بويز"؛ الاسم الذي تم اختياره بعناية من قبل الأعضاء المؤسسين للمجموعة الذين يضحون بالغالي والنفيس في سبيل فريقهم. كان الهدف الرئيسي من هذا التأسيس ولا زال هو تشجيع الفريق في السراء والضراء، والتنقل معه أينما حل وارتحل بكل فخر وإخلاص وتضامن وبأسمى الأشكال وبأفضل الطرق والأساليب الممكنة على الإطلاق، حيث جمعوا بين "تعصب إيطاليا، ونسيم أمريكا اللاتينية". (حلالة بويز: 2007)

اسم الألتراس كما هو معروف تمت استعارته من زهرة جميلة تعيش وتغطي أكثر مساحات مدينة القنيطرة، ومنطقة الغرب بصفة عامة. ففكرة التأسيس جاءت سنة 2006 عندما كان الفريق يمارس بالدرجة الثانية، كان الأعضاء حينئذ يجتمعون فيما بينهم بالملعب وفي ترحالهم مع الفريق. إلا أن التأسيس الفعلي كان سنة 2007 في أول حضور رسمي للمجموعة بملعب الأب "جيكو"، في مقابلة جمعت النادي الرياضي القنيطري بنادي الوداد الرياضي.

المبحث الثالث: مصادر الاقتراض للألفاظ الأجنبية في أهازيج الألتراس

أولا: الألفاظ الاجنبية المقترضة في الأهازيج

لدراسة الألفاظ الأجنبية التي اقترضتها ألتراس "حلاّلة بويز" يمكن أن نقف على مصادر الاقتراض الرئيسية كما يلي:

-الاقتراض من الإيطالية:

اللفظة المقترضة	مقابلها بالعربي
Capo	القائد
Curva	المنطقة
Tifo	الأنصار
Tifosi	المشجع
Ragazzi	الرفاق
Grinta	المثابرة

الاقتراض من الفرنسية:

اللفظة المقترضة	مقابلها بالعربي
Babour	المركب
Couleur	اللون
Politique	السياسة
Dédicace	تحية/إهداء
Media	وسائل الإعلام
Cortège	الموكب

Virage	المدرج
Drapeau	الشعار
Tambour	الطبل
Passion	الشغف

-الاقتراض من الإسبانية:

اللفظة المقترضة	مقابلها بالعربي
Vida	الحياة
Verde	الأخضر
Bandera	العلم
Siempre	دائما
Banda	الفرقة
Gloria	المجد
Corazón	القلب
Vamos	هيا

ندرج هنا بعض الأمثلة المنتقاة من أهازيج ألتراس "حلالة بويز":

-جينا نحكيو عسيتيياسيو، على الحقيقة المرة اللّي نعيشو (جئنا لنحكي عن الوضع والحقيقة المرة التي نعيشها).

-"ديديكاس للثورة فلا تونيزي، للشّعب المصري لاليبي ولاسيري.. جامي ننساو اليمن والبحرين، فلسطين، شُهدا عند رب العالمين.. ليجون حاربوا والرجال جاهدو علّيبيرطا راهوم ماتو" (تحية للثورة في تونس، للشعب المصري والليبي والسوري، لن ننسى اليمن والبحرين وفلسطين، شهداء عند رب العالمين .الشباب حاربوا، والرجال جاهدوا، ومن أجل الحرية ماتوا).

- "ACAB يا طاغية".

-"بزاف عليك البوليتيك، فين القسم اللي عطيتي، فالمال العام تبروفيطي، واللي فجيوبك ما يكفيك" (السياسة لا تليق بك، أين القسم الذي أديت؟ في المال العام استغللت، ولم تكتف بما لديك).

-ماريونيط يحركُونا (يحركوننا كالبيادق).
-فين رزقنا ديرو الفار (أين رزقنا؟ فعُلوا تقنية الفار).
"بيلا سطوريا لحياتي" (قصة جميلة في حياتي).
(باندير فيمي وطانبور نغني عليكولور) (علم، دخان وطبل نغني

وردت العديد من الألفاظ المقترضة والمعربة في الأغاني وجعلوها على نسج الكلمات العربية الفصحى، أو على نسج العامية، ونطلق عليها هنا بالمعربة لأنها أجنبية؛ فما لاحظناه أن الألتراس إذا أعجبهم اللفظ الأجنبي يقترضونه ويعربونه، بحيث يصبح سهلا في النطق، ويدخلونه إلى معجمهم بدون أي قاعدة أو منهجية محددة. لذلك، فهم يعربون بما تفرضه عليهم الحاجة ويدعمه الاستعمال. وهذه بعض الأفعال المقترضة من اللغة الفرنسية في الأغاني:

"نلاشي"/ المنحوتة من الجملة: "je ne lâche pas".
"يسوفري"/يعاني (souffrir).
"يبروفوكي"/يحرض (Provoquer).
"ديكوتينا"/نشمئز (Dégoûter).
"تبروفيطي"/يتمتع (Profiter).
"نسيبورطي"/يؤازر (Supporter).
"ديفونديو" ندافع (defender).
"نريزيستي"/أقاوم (résiste).

ثانيا: دلالة بعض الألفاظ والعبارات الأجنبية المقترَضة في الأغاني

المستوى الدلالي يتصل بالألفاظ ودلالتها وتنوع معانيها من منطقة لأخرى بل حتى من المنطقة الواحدة، فهناك عدد لا حصر له من الألفاظ الأجنبية الدخيلة في أهازيج الألتراس كما هو الحال أيضا في اللهجة المغربية، وقد تنوعت هذه الألفاظ المستقاة من اللغات الأجنبية من بين فرنسية وإيطالية وإسبانية وإنجليزية وحتى من اللغة اللاتينية القديمة. فكل شريحة من المجتمع تحتفظ بمجموعة من الألفاظ التي تستعملها في التعبير، وقد تكون هذه الألفاظ عامية، أو فصيحة، أو دخيلة أو معربة، أو مقترضة، ولا يفهم المقصود منها إلا من خلال توضيح معانيها لذلك، سنحاول وصف الألفاظ والعبارات الأجنبية المقترضة من طرف ألتراس "حلاّلة بويز" مع توضيح دلالتها.

نماذج من الألفاظ والعبارات المقترضة:

Ultras: دلالة على الحب الزائد، والتعصب للفريق.

Sapere Aude: خرج هذا المفهوم لنبض الحياة، في أول مرة عن طريق الشاعر والكاتب الروماني هوراس في أحد كُتبه، ونالت هذه العبارة إشعاعاً كبيراً بالضبط عند استخدامها من طرف ايمانويل كانط في مقالته: "ما هو التنوير؟"، حيث وصف فيها عبارة تجرأ على المعرفة، على أنها تحريرٌ للإنسان من كل القيود، فهي بمثابةِ مُشيرٍ ومرشِدٍ إلى استخدام القوى العقلية الخاصة بكل فرد، وهي من تجعله يحلل ويفكر قبل بناءِ معرفةٍ ذاتية. واستخدمت "حلالة بويز" هذه العبارة في بداية انتقالها من مرحلة التعصب، إلى مرحلة الوحدة والاتحاد مرسلة بذلك دعوة للجماهير القنيطرية والمغربية من أجل تحليل عمليات افتعال حالات الشغب، وإلى ضرورة غلق باب الصراع مع جميع الجماهير، بالإضافةِ إلى ذلك فعبارة تجرأ على المعرفة هي بمثابة أحد الشروط الأساسية التي يجب أن تتوفر في فرد الألتراس.

Capo: تعني القائد. وتستعمل للدلالة على شخص يقوم بتحريك الجمهور وإلهاب حماسه من أجل التشجيع. ويكون للكابو صفات خاصة ترشحه لتولي هذا الموقع، وأبرزها أن يمتلك من الكاريزما ما يجعله يستحوذ على تركيز كل من في المدرج.

Tifo: وهي كلمة إيطالية تعني "المشجع"، دلالة عن دخلة أو طلعة تقوم بها مجموعة الألتراس لتعبر عن فكرة ما، وغالبا تكون في بداية المباراة، والهدف منه توصيل فكرة معينة إلى اللاعبين أو جمهور الفريق المنافس أو إظهار مدى حب المجموعة لفريقها.

Curva: الكورفا هي منطقة من الملعب تقع مباشرة خلف المرمى يُمنع على الغرباء دخولها. وقد اختار ألتراس هذه المنطقة للجلوس عندما بدأت أسعار التذاكر في الارتفاع، ولم يستطع الكثير من المشجعين المتحمسين تحمّل الذهاب إلى الملعب والجلوس في وسطه. في حين كانت المقاعد الرخيصة تقع خلف المرمى أو Curva باللغة الإيطالية.

Vidi Veni Vici: عبارة لاتينية شهيرة معناها "أتيت، رأيت، غزوت". أطلقها الإمبراطور يوليوس قيصر في إحدى حروبه الشهيرة سنة 47 ق م، وتعتبر أقصر خطبة في التاريخ. واستعملت من طرف ألتراس "حلالّة بّويز" دلالة على هيمنتهم على حركية الألتراس بالمغرب.

Contro Calcio Moderno: عبارة تعني ضد كرة القدم الحديثة. للدلالة على أن كرة القدم هي لعبة شعبية، عكس اليوم الذي يرى فيه أنها افتقدت لتلك الميزة، وأصبحت لعبة الأغنياء.

Esprit Ultras: روح الألتراس هو الدافع الذي يوحدهم ويعطيهم الحماسة للتشجيع والتضحية من أجل الفريق، وهذه الروح تولد من الحب الذي فيه تعصب للفريق.

Bread and Circuses: الخبز والسيرك: عبارة وردت في قصيدة للشاعر الهزلي الروماني جوفينال الذي عاش في أواخر القرن الأول وأوائل القرن الثاني الميلادي، وتستخدم عادة في السياقات الثقافية، وخاصة السياسيّة منها لنقد سياسة الإلهاء التي تقوم بها الحكومات من خلال توفير الطعام (الخبز) والترفيه (السيرك) لعامة

الشعب لاسترضائه مقابل دفعه عن الانشغال بالأمور العامة. تمثّلت هذه السياسة بتشييد المسارح وساحات القتال والمصارعة الرومانية حيث كان تجرى المسابقات الجماهيرية، أبرزها مدرج "كولوسيوم" الذي اشتهر بإقامة مباريات القتال بين المصارعين. كان جوفينال قد استخدم هذه العبارة هجاء لأنانية الشعب حين يلهى بالترفيه عن الشؤون العامة.

Opuim ofF the People: "أفيون الشعوب" وقد تمت إضافة حرف F لأداة الربط OFF، الذي عكس الجملة بأكملها، وأصبحت لها دلالات تشير بأن ألتراس حلالة بويز أطفأت فاعلية هذا الأفيون، ووضعت نهاية لاستغلال وجعلِ كرة القدم كأداة تلهي الشعب عن همومه.

Chromosome: انحاء الصبغية السادسة المسؤولة عن الشعور والإحساس بالألم. وهي حالة مرضية فريدة من نوعها، لفتاة إنجليزية اسمها "أوليفيا" تعاني من انحاء الكروموسوم 6 أو انعدام تواجده بِلُغةٍ أخرى، مما جعلها الإنسان الوحيد في هذا العالم الذي لا يُعاني من الألم ولا يحسُّ به، ولا تشعرُ حتى بالخوف من جميع الحالات والمشاهد المرعبة أمامها، وفي قصة ترويها أم "أُوليفيا" أنه في يوم من الأيام صدمتها سيارة مسرعة ونهضت دون خوف من الحادثة ودون أن تُراعي حتى لحالتها الجسدية ... أي من كل هذا فإن الكروموسوم السادس هو المسؤول عن الإحساس الفعلي، الجسدي والنفسي، بالإضافة إلى هذا فإن حالة أُوليفيا ولدت لديها حالة غضبية وجعلتها كمثل الصخرة التي لا تبكي، لا تخاف ولا تدهشها قساوة المشاهد من حولها.

فإن كانت أوليفيا هذه تعاني من هذه الحالة كأمرٍ ومشيئةٍ من الله، إلا أن انحاء الكروموسوم 6 لدى الشباب المغربي من صناعة الدولة والمسؤولين، فالواقع المعيشي الملموس والموروث لسنوات وما يتعرّض له من إقصاء، ظلم، قمع وظلامية المستقبل وانعدامه، جعلت منه كائنا صلبا لا تدهشه ولا تخيفه مصيبات اليوم أو الغد، فغالبيتُنا يتنفسُ فقط، وغالبيتُنا لم يعِش، لم يدرُس، ولم يعمل كما يريد، وغالبيته لا توفر له حتى أبسط حقوقه الاجتماعية، وهذا الواقع هو واقع عشّش في هذا البلد لسنوات وذلك بسبب فساد جيب المسؤول ورحيل المحاسبين نحو وجهات غير معروفة، فهل يمكن وفي هذه الظروف بأسرها أن نحس، أن نتألم أو نبكي... (حلاّلة بويز، 2007)

Pyroshow: تستخدم الشماريخ أساسا في الإنذارات البحرية، وتتميز بمقاومتها للماء لتبقى مشتعلة أطول وقت ممكن. واشعال الشماريخ عند الألتراس في وقت واحد ليكون منظرها جميل. فهي بذلك دلالة عن مدى حب المجموعة للفريق وتستخدم بعض المجموعات الشماريخ إما للاحتفال بالانتصار أو إما كوسيلة للاعتراض على الأمن.

ACAB: هو تلخيص لشعار (All Cops Are Bastards)؛ أي كل رجال الشرطة لقطاء. وتجدر الإشارة إلى أن عمال المناجم بالمملكة المتحدة رفعوا هذا الشعار للمرة الأولى في منتصف ثمانينيات القرن الماضي.

Valuim: دواء مخدر ذو قدرة إدمانية عالية.

خاتمة

من خلال عرضنا السابق لمادة البحث يمكن أن نخلص إلى أهم النتائج التالية:

ظاهرة الاقتراض اللغوي هي أمر ملازم للغات واللهجات في مختلف العصور.

إن أغاني الألتراس بصفة عامة وأغاني ألتراس "حلاّلة بويز" على وجه التحديد قد احتفظت بمجموعة من الألفاظ المقترضة من اللغات الأجنبية، وخصوصا من اللغات (الفرنسية والإسبانية، الإيطالية، وحتى الإنجليزية...)، فانتشرت هذه الألفاظ على نطاق واسع بين أوساط الشباب المتيّمين بهذه الظاهرة؛ لأن شباب الألتراس تأثروا بألفاظ اللغات الأجنبية وأقحموها في أغانيهم وفي كلامهم، والذي يعد بالنسبة لهم مظهرا من مظاهر الكمال والافتخار.

الألتراس لا تستقر على لغة واحدة في تبليغ رسائلهم للعالم، وحتى للتواصل، وإنما هناك لغات متعددة، فالأغاني تحتوي على متن غني ومتعدد، فهم يتخذون من اللغة أساسا للتعبير عما يجول في خاطرهم وفي تفاهمهم مع بعضهم البعض.

وجدير بالذكر أن الألفاظ الفرنسية أكثر تواجدا في أهازيج الألتراس من بقية الألفاظ الأخرى. ونؤكد هنا أن ما حاولنا جرده في هذه الدراسة من الألفاظ الأجنبية هو غيض من فيض، فهناك العديد منها في حاجة إلى الدراسة والتحليل.

لائحة المصادر والمراجع

أنيس، إبراهيم؛ من أسرار اللغة، مكتبة الانجلو المصرية، ط3، القاهرة، 1966، ص. 103.

بشر، كمال، دراسات في علم اللغة، دار غريب، القاهرة، 1998، ص. 311.

بنيس، سعيد، تمثلات الخطاب الاحتجاجي للألتراس في المغرب وتأثيراته السياسية، مركز الجزيرة للدراسات، 2019، ص. 5.

الحضري، عبد النور، "اللسانيات الاجتماعية في المغرب من خلال كتاب ليلى المسعودي: دراسة في النظرية والمنهج"، ضمن تكامل المعرفة والعلوم الإنسانية، تكريم ليلى المسعودي، منشورات مختبر اللغة والمجتمع CNRST-URAC56، جامعة ابن طفيل، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، القنيطرة، المغرب، 2017، ص.98.

دنياجي، نور الدين، مقدمات في مسألة التعريب، مجلة آفاق، العدد: 70-71، 2006، ص. 232.

شعيشع أحمد، فرسان الثورة: "الألتراس من التشجيع الرياضي إلى التوظيف السياسي"، موقع أكاديمية: https://www.academia.edu/11777256 /، تاريخ الدخول: 23-06-2023، ص. 1.

الفهري، عبد القادر الفاسي، اللغة والبيئة، منشورات الزمن، الرباط، 2003، ص. 6.

الفيروز آبادي، مجد الدين، القاموس المحيط، دار الحديث، القاهرة، 2008، ص. 1066.

كمال محمد جاه الله ومبارك محمد عبد المولى، ظاهرة الاقتراض بين اللغات، دار جامعة إفريقيا، 2007، ص.
7.محمد، محمد بن عبد الرحمن أحمد، التعريب في مصطلحات الفقهاء، مجلة جامعة جازان، المملكة العربية السعودية، مجلد 4، ع. 1، 2015، ص. 3.
المطاد، عبد العزيز، المصطلحية واللغة العربية (من المقاربات التقليدية إلى المناهج الحديثة)، منشورات الرباط نت، ط1، الرباط، 2017، ص. 160-161.
صفحة "حلالة بويز" على منصة الفايسبوك على الرابط:
.https://www.facebook.com/HELALABOYS1938
قناة ألتراس "حلالة بويز" على منصة اليوتيوب على الرابط:
.https://www.youtube.com/@HB2007comHELALABOYS

تشكيل الجغرافيا الشفهية بمنطقة الغرب:

- رصد تيمة "الغابة" في مجموعة من الأشكال الشعبية –

The formation of oral geography in the western region.

- Obeserve the forest theme in a range of popular forms -

بوعزة الخلقي

أستاذ التعليم الثانوي التأهيلي/ باحث بمختبر اللغة والمجتمع، جامعة ابن طفيل، القنيطرة، المغرب.

البريد الالكتروني: khalikibouazza@gmail.com

ملخص البحث:

سندرس في هذه الورقة البحثية كيفية تأثير المكان/المجال في تشكيل الثقافة المحلية واكسابها مجموعة من الخصوصيات المنبثقة من المجال البيئي، عبر تتبع حضور المجال الغابوي الذي تحول إلى سلطة فاعلة في تشكيل معالم مجموعة من الأشكال الشفهية بمنطقة الغرب بالمغرب.

الكلمات المفتاحية:

الجغرافيا الثقافية- الغابة – الأشكال الشفهية – منطقة الغرب.

Abstract:

In this paper, we will examine how thé place _field_ affects thé formation of local culture and gives it a Set of peculiarities emanating from the environmental field by tracing the presence of the forest field,which has become an effective authority in shaping the features of a group of oral forms in the western region of morocco.

Keywords:

cultural geography _ forest_ oral forms_ west region.

على سبيل البدء:

تعتبر سلطة المكان إلى جانب سلطة الزمان من السلط القوية التي تؤثر في بناء الثقافة وتحديد معالمها الكبرى، لذلك قيل "إن المجال البيئي التي ينشأ فيه الإنسان يكون حاسما في رسم الشكل الحضاري الذي ينشئه، ولا شك أيضا، أن لكل منطقة جغرافية خصائصها الطبيعية والمناخية والأركيولوجية والأنثربولوجية التي تشكل مبرر الوجود «Raison d'être» بالمكان". (ابراهيم الحيّسن، 2004، ص:11)، لهذا السبب لا

يمكن النظر إلى الثقافة بمعزل عن المكان الذي نشأت فيه، لأن حياة الشعوب والقبائل والمجتمعات سواء منها القديمة أو الحديثة لا يمكن تحليل كُنهها وفهم عمقها إذا لم يتم الانتباه إلى الخصائص المميزة للمكان، فما هي يا ترى إذن الخصائص المكانية المميزة لمنطقة البحث (الغرب المغربي)؟ وما علاقتها بالتراث الشفهي المحلي؟

1- تحديدات مفهومية: المجال الغرباوي والثقافة المحلية:

أ- مونوغرافية المجال:

- على مستوى المغرب: يعتبر "المِلك الغابوي" من بين أهم الأوعية العقارية بالمغرب التي حددها المشرع المغربي في ظهير 1917، وتمتد المساحة الغابوية على نحو 9 ملايين هكتار أي ما يمثل 9 من مساحة المغرب، تتميز الغابة المغربية بتنوعها الكبير، وتقدر مساحتها ب 12.5% من مجموع مساحة البلاد أي أزيد من 9 ملايين هكتار (عبد السلام بوهلال: 2016، ص:119). أما من ناحية الأدوار التي يؤديها هذا القطاع فيمكن إجمالها في الوظيفة الاجتماعية: من خلال توفير حاجيات ممارسة حقوق الانتفاع لأزيد من 7 ملايين نسمة (حطب التدفئة – الرعي – نباتات عطرية وطبية..)، إضافة إلى الوظائف الاقتصادية التي يضطلع بها منها على الخصوص توفير حوالي 10 مليون يوم عمل في السنة بالعالم القروي (بصري هشام، 2014، ص:15).

- على مستوى منطقة الغرب: تمتد "الثروة الغابوية بالجهة على مساحة تقدر ب 454449 هكتار، ويختلف توزيعها على مختلف أقاليم الجهة، فإقليم سيدي سليمان يشمل مساحة تقارب 83140 هكتار" (مونوغرافية إقليم سيدي سليمان، 2017، ص:92)، بينما تمتد مساحة الغابات بإقليم القنيطرة على 42532 هكتار، (مونوغرافية إقليم القنيطرة، 2016، ص:83)، في حين تمتد الثروة الغابوية المتواجدة بتراب إقليم سيدي قاسم على مساحة تقارب 10700 هكتار. (مونوغرافية إقليم سيدي قاسم، 2016، ص: 79).

تصنف منطقة الغرب تضاريسيا ضمن خانة السهول الخصبة التي تتميز بمناخها المعتدل وفرشتها المائية الغنية، ويشغل الغطاء الغابوي مساحة تقدر ب: (454449 هكتار)، موزعة على ثلاثة أقاليم، هي:

الإقليم	مساحة الغابة
القنيطرة	42532 هكتار
سيدي سليمان	83140 هكتار
سيدي قاسم	10700 هكتار

عموما، تلعب الغابة دورا مزدوجا اقتصاديا وإيكولوجيا، من الناحية الاقتصادية تساهم في تقديم المنتوجات الغابوية (خشب التدفئة، الكلأ، الفحم الخشبي، الفلين)، أما من الناحية الإيكولوجية فإنها تأخذ شكل مانع وحزام أخضر يمنع زحف الرمال في اتجاه الحواضر الكبرى نحو الرباط وسلا والقنيطرة وكذلك الأراضي السقوية، ونظرا لهذا الارتباط المعيشي في بعديه الاقتصادي والحياتي فإن حضور الغابة في حياة الأفراد والقبيلة

سيكون له تأثيرا قويا في الثقافة المحلية، بل إننا سنكون أمام سلطة مكانية تبرز بجلاء في مختلف الاشكال والتعبيرات الأدبية والفنية المحلية.

ب- جوانب من الثقافة المحلية:

يتأسس التراث الشفهي بمنطقة الغرب بالمغرب على مجموعة من الدعامات الأساسية التي تشكل دائرة الأدب الشعبي الذي يتسم بالغنى والتنوع في محموله الفني والقيمي على مستوى المضمون وبالتعدد الشكلي على مستوى قنوات ارساله لذلك وجدنا مجموعة من الأشكال البسيطة التي تتميز بها منطقة البحث منها على الخصوص الأشكال التالية:

الشكل الشفهي	ماهيته	مجالاته/تعبيراته
1- فن لَمْزُوكِي	مرددات نسائية	الأفراح- الأعراس
2- الغزل الشعبي	تغزل الرجل بالمرأة (مركزية الرجل في المجتمع الغرباوي)	الاحتفال- الفرح
3- الرثاء الشعبي	ذكر مناقب الميت	الحزن-الجنائز
4- الغناء الشعبي	الاحتفاء بالحياة	الأفراح- الأعراس

تشترك هذه الأشكال في مجال "الغابة" الذي يعد سياقا فاعلا في انتاج مختلف المضامين الشفهية سواء ارتبطت بلحظات الفرح (الغزل- السخرية- الأعراس) أو بلحظات الحزن (الجنائز-المآسي)، إننا إزاء جغرافية ثقافية "تلعب دورا أساسيا في جميع العلوم الإنسانية من فكر وأدب وفنون وتاريخ، لأنها تنطلق من فرضية أهمية المكان في بلورة الثقافة، وأهمية الثقافة في تشكيل المكان"، (مايك كرانغ، يوليوز 2005، ص:7) وتنبني على التفاعل بين المجال والإنسان الأمر الذي ستحاول هذه الورقة البحثية الإمساك بتلابيبه عبر رصد بعض الأشكال الشفهية في علاقتها بالغابة.

2- الغابة: المفهوم والأنماط:

وجب في البداية تحديد ماهية "الغابة" ودلالاتها وأهميتها وعلاقتها بالثقافة المحلية، وبعد ذلك الانتقال إلى رصد أنماطها بغية الوقوف عند تجلياتها الثقافية العاكسة لهوية الإنسان الغرباوي الذي يتسم بمجموعة من الصفات والقيم يبثها في مختلف أشكال التعبير الشفهية، بل أصبح القول والنظم في تيمة "الغابة" من الموضوعات والأغراض التي يتبارى النظام فيها، ومن ذلك الأغنية الموسومة ب: "الغابة" التي جاء في مطلعها:

- "إلَى كُنْتي نَظَّامْ * جِيبْ على الغَابَة".

يكشف المقطع عن منافسة بين المرسِل (المغني) والمرسَل إليه (المستمع) حيث يتحداه بالقول: (إلى كُنْتي نَظَام) أي إذا كنت بارعا في النظم (جِيبْ على الغَابَة) أي قل شعرا في الغابة، وهنا تتكشف محورية الغابة وسلطتها الثقافية في مختلف أشكال الأدب الشعبي.

2-1 مفهوم "الغابة":

بالنظر إلى العلاقة الوطيدة بين المجال والثقافة فإن التحليل والحفر في أركيولوجية المجتمعات لا بد أن يتوقف عند المفاهيم التالية: (المكان/ السياق/ الفضاء/ مجال البحث) لأنها تكتسي أهمية بالغة في فهم الثقافة وتجلياتها المختلفة، فإذا كان المجال الصحراوي بتضاريسه الوعرة وأراضيه القاحلة ينتج عنه "نمط الترحال" الذي يتحول فيه الإنسان إلى باحث عن الماء والكلأ، فإن المجال السهلي خصب معطاء ينجم عنه "نمط الاستقرار" الذي يدافع فيه الإنسان عن حدود أراضيه ويقاتل من أجلها لأنها مصدر قوته وتعني له الحياة، ومن ثمة فإن المبدع الذي يعيش في إطار النمط الأول سيبدع أشكالا أدبية وفنية تختلف في صيغتها وشكلها ومضمونها عن المبدع الذي يعيش في إطار النمط الثاني، إننا إزاء علاقة جدلية وتبادلية تنبني على التأثير والتأثر بين طرفي المعادلة (أ) و (ب):

أ-

المجال	طبيعته التضاريسية	نمط العيش
الصحراء	قاحل	الترحال

يشترط ابراهيم الحَيْسن لفهم التراث الشعبي للمجتمع الحساني جنوب المغرب بضرورة "فهم نمط العيش بالصحراء باعتباره المحدد الرئيس لإبداعات أفراد هذا المجتمع بكل الطقوس الجغرافية والثقافية والاجتماعية التي تمترس في ضوئها، وهي إبداعات إنسانية تخضع لسلطة الزمان والمكان وتتأثر بالعلاقة القائمة بينهما". (ابراهيم الحَيْسن، 2004، ص:11)، وفي مقابل هذا النمط الذي يتأسس على الترحال بحثا عن سبل العيش (الكلأ والماء) نجد النمط التالي:

ب-

المجال	طبيعته التضاريسية	نمط العيش
السهل	خصب	الاستقرار

يتموقع الغرب المغربي ضمن المعادلة (ب) أي ضمن مجال سهلي أرضه منبسطة ومرعاه خصبة وماؤه عذب زلال ووحيشه وطرائده وفيرة، لهذه الأسباب المعيشية اكتسى مفهوم "الغابة" دورا أساسيا وجوهريا يرخي بظلاله على مختلف مناحي الحياة الثقافية والفنية والاقتصادية والاجتماعية، وبالنظر إلى قيمة "الغابة" في حياة الإنسان الغرباوي فإن ثقافته تعكس بجلاء وبشكل مرآوي هذه العلاقة في مرددداته وحكاياته وأمثاله وألغازه وغنائه، فما هي يا ترى أهم أنماط الغابة؟

2-2 أنماط الغابة:

بالنظر إلى مركزية الغابة في المخيال الشعبي بمنطقة الغرب وتأثيراتها المختلفة خصوصا في انتاجاته الثقافية المادية واللامادية خاصة في جانب فنون القول فإن تيمة "الغـــــابة" توزعت في الأدب الشعبي الغرباوي إلى نمطين، هما:

- النمط الأول: "غابة الرمى":

تعتبر الغابة من أهم التيمات التي أسالت المداد وتفتقت عنها قارحة فن القول الشفهي لدى شيوخ الرمى باعتبارها فضاء ضم هؤلاء بكسبهم وخيامهم وضمنت لهم القوت والدفء، وتكاثر الوحيش بشتى أصنافه وأضحت ملجأ آمنا وقاهم حر القيظ وبرودة الليالي القارسة، ولم يتنكر البدوي لهذه العلاقة الحميمية بينه وبين الغابة فمدحها وأثنى عليها ورثاها في جل المحافل القروية:

المثل	متنه
(أ)	- "غابَة الفَرْنَان امْعَيْشَة قَوْمَان"؛
(ب)	- "اللّه يَجْعَلنا غَابة، والنَاس فِيها حَطّابَة"؛
(ج)	- الحَجْلة فِ الغَابة دَارَت نَقَابَة".

ويدخل هذا النمط في إطار مفهوم "غابة الرمى" الذي يعكس الغابة كمفهوم ثقافي واجتماعي واقتصادي تتوقف حياة الإنسان الغرباوي عليه وهذا ما أشارت إليه المردة (أ) التي وصفت غابة الفرنان "أي الفلين" ب: (امْعَيْشَة قَوْمَان) بمصدر العيش والحياة، بينما ذهبت المردة (ب) إلى تشبيه المتحدث لنفسه بالغابة والناس تحطب منها وتنطوي المردة على مجموعة من التأويلات قد تصل إلى حد التناقض والتعارض ويتوقف تفسيرها على السياق الذي ترد فيه، فمن تأويلاتها نذكر:

- التأويل الأول: اعتبار المتكلم ذاته "غابة" والناس تجمع فيها حطب النار، وقد ترد المردة في سياق يخبر فيه المتحدث بمن يغتبه فيكون الجواب/الدعاء: "اللّه يَجْعَلنا غَابة، والنَاس فِيها حَطَابَة".

- التأويل الثاني: اعتبار المتكلم نفسه مصدرا للعطاء والجود والكرم وتمنيه دوام هذه الحالة التي يكون فيها معطاء، وقد نظر المجتمع المحلي إلى هذا الأمر من زاوية المثل الشعبي الغرباوي التالي: "تَعْيَا اليَد اللّي تَعْطِي، وْمَا تَعْيَاش اليَد اللّي تَاخُدْ"، أي اعتبار حالة العطاء من الصفات التي ينبغي المحافظة عليها بعدم الاستنزاف لذلك وجدنا المخيال الشعبي يبدع في رسم صورة جلية عن طبيعة تفكير المجتمع في هذا الشأن وجدنا المثل الشعبي يسير على سكة النصح والارشاد حتى لا تنقرض قيمة الكرم بالقول التالي: "لكَانْ خُوكْ عْسَل، مَا تْلَحْسُوشْ كَامَلْ"، أي ضرورة الرفق بالكرماء ولذلك وجدنا الحديث الشريف يقول: "اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُفْـــلَى". (البخاري، 2002، الرقم: 1427).

بينما تم الحديث في المرددة (ج) عن الطرائد (الحَجَل) التي تنتظم في اطار منظم يصعب خرقه وتفكيكه، ولعل ذلك اشارة خفية يرسلها النظام إلى الإنسان الغرباوي ليتدبر في تنظيم طيور الغابة التي لم تعد تؤمن بالأنانية والفردانية وانتقلت إلى التكتل والعمل والتعاون داخل مؤسسة "النقابة" التي تعد في الأصل هيكلا تنظيميا وجد لتنظيم العمال والعمل، لذلك فالمرددة من خلال المفارقة الصارخة المتضمنة بين ثناياها تسلط الضوء على واقع الطيور المنظم في مقابل واقع انساني غير منظم يمكن التمثيل لها بالترسيمة التالية:

المرسل (النظَّام) ـــــــــــــــــــــــــــــــ		
الرسالة	(المرددة:	ج)
ـــــــــــــــــــــــــــــــ المرسل إليه (أفراد		
القبيلة)		

تنطوي الخطاطة التواصلية على بعدين اثنين، هما:

- الدلالة القريبة: تنظيم الطيور (الحجل) في اطار نقابة؛
- الدلالة البعيدة: حفز الإنسان على الاقتداء بالطيور وتنظيم حياته.

لجأ الأدب إلى تصوير الحياة الإنسانية بطرق متعددة تمتح من الجمال وأسعفته في ذلك مجموعة من الأساليب الفنية بهدف امتاع المتلقي واقناعه ولبلوغ هذا المسعى سارت المحكيات الشفهية من أمثال وألغاز وحكايات ومرددات وحكم شعبية في نفس الدرب الذي سار فيه الأدب الفصيح عبر مختلف أنماطه وأجناسه، غير أن اختلاف قوالب القول المتأرجحة بين ثنائية الكتابي والشفهي لم تكن حائلا للخوض في مختلف الموضوعات والأغراض التي تم تناولها المبدع الفصيح والشعبي حيث وجدناه في الشعر العربي القديم منها غرض الغزل الذي تناوله "النظَّام" الشعبي.

- النمط الثاني: "غابة الغيوان":

موازاة مع العلاقة البراكماتية المادية نسج القروي داخل فضاءاتها علاقات مع الحبيبة وتغنى بهما معا، وسط فضاءات الخصب الملهمة وسمي هذا النمط "بغابة الغيوان"، منها النموذج الآتي:

هَاكْ عْلَى دْوَارْ حَاطْ فِي وَلْجَة
خْيَامُو مْفَـــــلْجَة
قولوا لْحَبِيبتي دُوزِي مَنْ ثَمَّة
دُوزِي امْعَرْشَة
كِيف السلْطان تَابْعو البَاشا
والخِيل مْسَنْحَة.

وصف النظَّام خيام قبيلة حبيبته المنصُوبة في "الوَلْجَة" أي الموجودة في المكان المرتفع ب: "لَمْفَـــلْجَة" أي المتفرقة، طالبا من محبوبته المرور من هذا الربوة "امْعَرْشَة" أي معتدة بنفسها مثل السلطان المتبوع باحشيته وجنـــوده المسلحة.

تحول المكان الموصوف إلى فضاء حاضن للمحبوبة لهذا السبب وجدنا النظام يعمد إلى عقد مجموعة من المشابهات طرفاها الفضاء والمحبوبة.

3- تيمة "الغابة" في المرددات الشعبية: شخصيات وأماكن:

تعكس المرددات الشعبية "الجغرافيا الثقافية" التي عاشت بين أحضانها، بل يمكن اعتبارها مرآة عاكسة للتاريخ المحلي وآلية راصدة للأماكن وموثقة للشخصيات التراثية دالة على غابة الرمى، نحو المردد الشفهية الغرباوية التالية:

هَـــادَاك فْـــــــرِيزِيطْ * لا شَـــعْبَة لا حَيْطْ
وَلْدُو فِيه العَوْدَات * مَا تْرْبَطهم بِشْـــــرِيطْ
صَيْدُو فِيه التوَازِيطْ * مْعَاهُـــم ولد اخْوِيطْ
عَنْـــدو مْيَات خَشْبَة * حَازَمْـــــــــــها بشْرِيـطْ
مَاذا شَدُو مَن وَحْش * والخَيْر يْشِيـــــــــــــــطْ
حَيَحْنَا فِ شْعَابْ لْحُومَرْ * و والـــو مَا لْـــــــقِينَا
وَحَيَـــــــحْنَا فِ الدرية * وزَدْنا للضَاية الحَيَّة
حَيَحْنا فِ ضَايَة كَعْبُوشْ * تمَّة لـــقَيْنَا لوحُـــوش
وِيلاَ كُنْتِي نَظَّام * جِيبْ علَى الغَابَة
الغَابة فِيها تْوِيرْسَة * زِينَة وَهْـــــشِيشَة
كَانَت عَايْـــشَة مُوسَى * القَيْطُون والعُشَّـــــة
والمَسْكِيـــن تْـعَشَا * كَانْ الشَـــــرْقِي وَمْشَى

يستحضر النظَّام في هذه المردد التي تدور في فلك "الغابة" مجموعة من الأماكن الواقعة بمنطقة الغرب وأسماء مجموعة من الشخصيات المحلية، منها:

أ- أسماء الأماكن:

أسماء الأماكن	تحديدها
التوَازِيطْ	قبيلة في وسط سهل الغرب
شْعَابْ لْحُومَرْ	منطقة في جماعة عامر السفلية – اقليم القنيطرة
الضَايَة الحَيَّة	عامر الشمالية – اقليم سيدي سليمان

ضايَة كَعْبُوشْ	عامر السفلية – اقليم القنيطرة
تْـــــــوِيرْسَة	جماعة عامر الشمالية – اقليم سيدي سليمان
القَيْطُون	الخيمة
العُشَّـــــــة	مسكن بدائي (أغصان الأشجار)

يكتسي المكان أهمية محورية في خارطة الأدب الشفهي، وبالرجوع إلى مجموعة من المرددات الشعبية نسجل حضور قوي لفضاء "الغابة" في مجموعة من الأشكال الشفهية، حيث تبرز أهميتها في تشكيل الثقافة المحلية.

ب- أسماء الشخصيات:

أسماء الشخصيات	تحديدها
النظَّام	الذي يقوم بنظم الكلام
المَسْكِين	المسكين
وَلْد اخْوِيطْ	من أعلام قبيلة التوازيط / عُرف بنظم الكلام
عَايْشَة مُوسَى	امرأة ارتبط اسمها في المحكي الشفهي الغرباوي بالكرم

تحتضن المرددة الشفهية مجموعة من أعلام منطقة الغرب في مختلف المجالات والحقول منها: (الأولياء والصالحين، شيوخ الكلام، رماة، فقهاء، كرماء..)، لهذا السبب تعد هذه الأشكال الشفهية بمثابة مدونات توثيقية لشخوص المنطقة، لذلك وجدنا هذه المرددة الغنائية تظهر على شكل أوامر تلقى من يخوض مغامرة الصيد، الذين يستحثون خروج (الوحش) من مخابئه في مطاردة صارمة تقوم بمسح الأمكنة (اشْعَاب الحُومَر/الضَاية الحَايـــــــلَة/ دِيزَة) واستعمال (اسْلاكْ/الخيل/الحيَّاحَة).

إذا كانت المحكيات الشفهية بمثابة خرائط جغرافية وسجلات تاريخية توثق وتحفظ الذاكرة المحلية في أبعادها المختلفة (المجالية والقبلية والبشرية والثقافية والإيكولوجية والطبيعية)، فإن الشعر العربي القديم بدوره احتفى برحلات القنص ومناسباتها ووسائلها وطقوسها من خلال شعر "الطرديات" المبثوثة في مجموعة من المصادر الشعرية القديمة.

4- حضور "الغابة" في الثقافة الشعبية المحلية: دراسة مجموعة من الأشكال الشعبية:

تحتل تيمة "الغابة" مركزا محوريا في خارطة الثقافة الشعبية بمنطقة الغرب، ومن أجل رصد حضورها وكيفية اشتغالها، يقتضي منا الأمر دراسة مجموعة من الأشكال الشفهية، ولبلوغ هذا المسعى سنرصد حضور هذه التيمة في أشكال: فن لمزوكي والغزل الشعبي والرثاء الشعبي:

4-1 الشكل الأول: فن لَمْزُوكِـــــي:

يعتبر "فن لَمْزُوكِـــــي" من المرددات الشعبية التي تبدعها نساء الغرب في سياقات الفرح التي تشهدها المنطقة ومن نماذج هذا اللون الشفهي التي يتم نظمه في قالب غنائي:

- "صَيَّحْ صَيَّحْ آغْزِيلْ الغَزْلاَن * إِلَى صَيَحْتِي أَوْلِيدِي ايْعِينَكْ مُولَانَا

سِيرْ معَ الظَل وَلاَ تَمْشِي فَ الأَرْض العَرْيَانَة * إِلَى سَوْلُوكْ أَوْلِيدِي قُولِيهَم: غَادِي ف غَرَض لَلاَ سلْطانا".

تنطلق المردة بصيغة الأسلوب الإنشائي الطلبي (صَيَّحْ صَيَّحْ) وهو أمر غير حقيقي (مجازي) اختل فيه شرط الاستعلاء لأن المرسلة في نفس مقام المرسل إليهم، وقد سارت المردة على نفس السكة الفنية من خلال حضور مجموعة الأساليب الأخرى:

المتن الشعبي	الأسلوب
- "سِيرْ معَ الظَل"	صيغة الأمر/ غير الحقيقي
- "لاَ تَمْشِي فَ الأَرْض العَرْيَانَة"	صيغة النهي/ غير الحقيقي
- "قُولِيهَم"	صيغة الأمر/ غير الحقيقي.

وقد خرجت الصيغ الإنشائية المذكورة عن المعنى الحرفي (الحقيقي) إلى معنى استلزامي (غير حقيقي) مجازي يفيد المدح والغزل، الأمر الذي أسهم في اكساب المردة بعدا فنيا انتقلت المعاني من دائرة ضيقة إلى دائرة أرحب وأوسع.

2-4 الشكل الثاني: الغزل الشعبي:

تتسم حياة الإنسان الغرباوي بمجموعة من الخصائص السوسيوثقافية منها على الخصوص حضور قيم الشجاعة والكرم والتضامن غير أن هذا لا ينفي حضور النفس الاحتجاجي الذي يحضر في سياق رد الفعل بشكل لافت يعبرها عنها القول الغرباوي المأثور التالي:

- "لَجِيتِيهْ تحت رِيح دِيه بِحْوَايْجُو، ولَجِيتِيه فِي العَكْس رَاه مُولاه".

بمعنى إذا أحسنت إليه أحسن إليك، وإذا أسأت إليه أساء إليك، حتى قيل في أهل الغرب أنه يبيع بقرة من لمقاضاتك على دجاجة بالقول التالي:

- "يْبِيع بقرة، بَاش يَدْعيك على دْجَاجَة".

إن شخصية الإنسان الغرباوي المتأرجحة بين الحب والكره، بين الغزل والهجاء والمدح أبدعت مجموعة من روائع الغزل في "غابة الغيوان" منها النموذج الآتي:

أَنَا غَادِي لِ سْمَنْطُو * نْهَـــز رَاسِي مَا نْحُطُو
لْقِيتْ طَفْلاتْ كَيحَطْبُو * فِيهَم عَايْشَة الدَاغْرِيَة
لَمْتَهَا بَيْضَـة نْقِيَة * ضَحْكَاتْ وْطَاحَ اللْثَـامْ

فمْـــها مَعْدَن لَغْرامْ * واضْرُب اضْرُب يَا الرامِي
وَ حْدَر يَديك لَ تْخَسَر لَوْشَامْ
شَفْتْ الزِين وَزَرْكوا دْمُوعي * وَحْيَاوْ عْلِيا عْظَـــامِي
وَانَا وَصِيتُو عْلَى لَمْزَوَقْ * وْهُوَ جَابْ لِي مِيرِيكانْ
ومِيرِيكان حَرْمُوهْ الطُلْبَة والرْمَى ولَعْوَام * ومَيـــدُوزْشِي فِ الغِيـــوَانْ

إذا كان الشاعر العربي القديم دأب على استهلال قصائده بالوقوف على الأطلال واسترجاع شريط ذكرياته الماضية، فإن النظام في النموذج الذي بين أيدينا يستهل قصيدته بزيارة الغابة التي يخترقها نهر سْمَنْطو وسط سهل الغرب ويرمق مجموعة من الفتيات يحطبن غير أن واحدة منهم خلبت لبه، لم يجد النظام مانعا من ذكر اسمها "عائشة" واسم قبيلتها "ادْوَاغَر" فبدأ في تعداد محاسنها وجمالها الحسي والمعنوي الذي يمكن اختزاله في الجدول التالي:

الغزل	المعنى	الصورة
- "لَحْمْتَهَا بَيْضَـة نْقِيَة"	- لحم المحبوبة أبيض وصاف	- حسي/ ماجن
- "ضَحْكَاتْ وْطَاحَ اللْثَـامْ"	- ضحكت حتى سقط لثامها	- معنوي/ عفيف
- "فمْـــــــــــــها مَعْدَن لَغْرامْ"	- فمها منجم الغرام	- معنوي/ عفيف
- "شَفْتْ الزِين وَزَرْكوا دْمُوعي"	- رأى الجمال وانهمرت عيونه	- حسي/ عفيف
- "وَحْيَاوْ عْلِيا عْظَـــــــــــــامِي"	- أحيت المحبوبة عظام حبيبها الميت	- معنوي/ عفيف

وينهي قصيدته بوصية يعلن فيها عن رفضه للجمال الأجنبي في سياق المفاضلة بين المحلي (لْبَلْدِي) والأجنبي (رُومِي)، وهذه الثنائية تحضر من خلال الطباق التالي:

- "وَانَا وَصِيتُو عْلَى **لَمْزَوَقْ** * وْهُوَ جَابْ لِي **مِيرِيكانْ**".

إن رفض النظام لمحبوبته "المحلية" يعضده بموقف الفقهاء (الطلبة) والرماة (محاربو القبيلة) وعامة الناس (لعْوام)، الأمر الذي يجعل من دائرة الحب تنحصر في غابة الغيوان التي تم تحديد معالمها سلفا وأي خروج عنها يصنف ضمن دائرة الحرام وغير المقبول: (حَرْمُوهْ/ مَيـــــــــدُوزْشِي).

3-4 الشكل الثالث: الرثاء الشعبي:

يحضر الرثاء في حياة أهل الغرب ويحظى بأهمية مركزية يصعب التخلي عنها حتى أضحت مظهرا من مظاهر الحياة الاجتماعية الغرباوية، ومن نماذجها نستدل بما يلي:

طَليتْ على الوَادي * تَمَّة تفَكـرْت جْوَادِي

أسيدي دَاك الوَادِي * مْـــزِينُو بِمْـــــوَاليهْ
حَاشَى مَنْ عَنْد الله يبْقَى خَالِي * فِيـــه سِيدْ العَـــرْبِي البُوهَـالِي
مَدْفُونْ فِيه اشْيِيشَبْ * يَاكْ اطْوِيل وعَالِي
مَلِي مَاتْ وانَا مَا تَـــزْهَالِي * تَـــبْعُو محمد مَا نْسِيتو مَنْ بَالِي
تَبْعُـو بنْعمَر كانْ رافَد هْبَالِي * تبْعُو بنْعيسى فَضْلِي وْرَاسْ مَالِي
مَا امْشَى حَتى وَصَانِي * شَـــــلاَ مَا خَلاَ لـــــــــي
رْبَاعَة كُلْها سَـــــــارَت لله * وبْقَى حْوِيسِينْ وَلْد العطَار هُو التَالِي
الله يَرْحَم لَـــــــشْيَـــاخْ.

يفتتح الراثي قصيدته بالوقوف في الوادي (يقصد نهر تيفلت) فتذكر أهله الكرماء (جْوَادِي)، الذين يزينون

المرثي	موضوع الرثاء		مكان الرثاء
	المتن الشعبي	المعنى	
سيدْ العَـــــرْبي البُوهَـــــالِي	- تَمَة تفكـرْت جْوَادِي - مْـــزِينُو بِمـــــــاليهْ - حَاشَى مَنْ عَنْد الله يبْقَى خَالِي	- تذكرت الكرماء - تزينت بأهلها - لن يبق خال	وَادِي نهر تيفلت
اشْيِيشَبْ	- اطْوِيل وعَالِي - مَلِي مَاتْ وانَا مَا تَـــزْهَالِي	- طويل وعالي - بعد موته لم يفرح	وَادِي نهر تيفلت
محمد	- مَا نْسِيتو مَنْ بَالِي	- لم أنساه	وَادِي نهر تيفلت
بنْعمَر	- كانْ رافَد هْبَالِي	- كان صبورا	وَادِي نهر تيفلت
بنْعيسى	- فَضْلِي وْرَاسْ مَالِي - مَا امْشَى حَتى وَصَانِي - شَـــــلاَ مَا خَلاَ لـــــــــي	- رأسمالي - أوصاني - ترك أشياء مهمة	وَادِي نهر تيفلت

المكان ويجعلونه جميلا بقوله: (حَاشَى مَنْ عَنْد الله يبْقَى خَالِي)، وعزا ذلك إلى وجود قبور الأولياء والصالحين:

في مقابلة مباشرة مع الراوي إدريس الكرش علق على هذه القصيدة بقوله: "المقصود بالرثاء مجموعة الرمى المشهورة بتيفلت والتي كانت لها علاقة وطيدة بمنطقة الغرب خصوصا قبائل التوازيط التي توجد نواحي سيدي يحيى بالغرب"، وهي منطقة يختلط فيها اللسان العربي والأمازيغي، وتشهد كل سنة موسما يسمى باسم الولي

الصالح "سِيدْ العَرْبي" وهي ذكرى سنوية بين قبيلتين تحتفلان بالصلح الذي أبرم بين قبيلة أمازيغية "لـخـــزَازْنـــة" وقبيلة عربية "اتْوَازِيطْ"، وتنتهي بحفل "البكاء والعناق" بين أفراد القبيلتين التي تتسم بالتسامح والتعايش ويتم اختزالها في توصيف "اطْوَيْط"، لذلك ورغم الاختلاف اللهجي والثقافي فإن ذلك لم يمنع أفراد القبيلة من الاعتزاز بقبيلتهم وانتمائهم و المثل الشعبي الغرباوي التالي يبرز ذلك:

- "الغابة تَيْـــزَيْـــنُوها اعْـــوَادْها، والقبيلة تَيْـــزَيْـــنُوها اوْلاَدْهَا".

ربط المثل الشعبي على مستوى الجمال بين ثنائيتين، هما:

- الثنائية الأولى: [الغابة/ الأغصان]: أشار الشطر الأول من المثل الشعبي حيث تم اقتران جمالية الغابة بوجود الأغصان والأشجار، وبالمقابل لا قيمة للغابة في غياب مكوناتها وأجزائها الصغيرة.

- الثنائية الثانية: [القبيلة/ الأولاد]: أشار الشطر الثاني إلى ارتباط حيث تم الربط بين جمالية القبيلة بوجود أبنائها وأهلها مما يعني أن القبيلة لا قيمة لها في غياب مكوناتها وأجزائها.

استنادا إلى الثنائيات المعلنة في المثل الشعبي السابق وبالنظر إلى (أَسِيدي دَاك الوَادِي * مْـــزِينُو بِمْـــــوَالِيهْ)، فإن النَظَّام حصر جمال المكان في وجود أهله غير أن القصيدة انزاحت عن هذا المعنى الظاهر والمألوف إلى معنى آخر غير مألوف، إذ تزين المكان بقبور الشيوخ والأولياء والصالحين: (سِيدْ العَـــــرْبي البُوهَـــــالِي، اشْبِيشَبْ، محمد، بْنعمَر، بْنعيسى..)، ولم تكتف القصيدة باستحضارهم بل تجاوزت الأمر إلى تعداد مناقبهم وإبراز أهميتهم في تزيين المكان من خلال الانتقال بالدلالة من معناها الحسي (حضور فيزيائي ومادي) إلى المعنى الرمزي (الروحي)، فإذا كان المكان يكتسي دلالته من خلال الأحداث الجارية والشخصيات الحاضرة والأزمنة المتعاقبة فإن المكان هنا اكتسب معناه وتحددت دلالته وقيمته من خلال الشخوص التي عاشت فوق ترابه وزينته، والتي وصفها النظام بالميتة فوق ترابه وزينته أيضا واستمر هذا التزيين والتجميل إلى ما بعد الحياة، حيث رثى النظَّام مجموعة من أعلام المنطقة، وانتقل بلفظة جمالية المكان إلى أفق غير مألوف انزاح فيه عن المألوف حين وصف قبور الموتى بالعمارة الجميلة التي زينت المكان بقوله: (حَاشَى مَنْ عَنْد الله يَبْقَى خَالِي)، حيث انتقل العمارة بدلالة الجمال من المعنى الحسي (الحضور الجسدي) إلى المعنى الرمزي (الحضور الروحي).

انتقل الرثاء الشعبي من الأفق الفيزيائي المادي الضيق المباشر إلى أفق أرحب وأوسع حيث تحول المكان إلى فضاء مفتوح تكتنفه الكثير من الدلالات الكثيرة حولت المرددة الرثائية إلى "نص" مفتوح على مجموعة من القراءات المتسعة والمتعددة الأمر الذي يسهم في استمرارية هذه المرددات في العيش ومرافقة الإنسان الغرباوي في رحلة الحياة والوقوف على مختلف مظاهرها وتجلياتها.

على سبيل الختم:

تتشكل الجغرافيا الشفهية بمنطقة الغرب من مجموعة من التيمات غير أن حضور تيمة "الغابة" في مجموعة من الأشكال الشعبية يعتبر قويا بالنظر إلى اشتغاله القوي في كل الأنساق الشفهية المتداولة بمنطقة الغرب سواء تعلق الأمر بتعبيرات الإنسان المحلي السعيدة (الغناء الشعبي، لمزوكي)، أو في المناسبات الحزينة (الرثاء الشعبي، تهلال، تعداد..)، الأمر الذي يجعل من منطقة الغرب فضاء ثقافيا يعكس المجال المحلي من خلال عناصره ومكوناته المتعددة يحضر فيها البيئي والتضاريسي بشكل لافت حتى أضحت الثقافة اللامادية (الشفهية) مرآة عاكسة للموروث المادي (المجال)، لهذا السبب اتخذنا من تيمة "الغابة" قاربا للعبور نحو مختلف مناحي جغرافيا منطقة الغرب بغية استكناه حقيقة الإنسان الغرباوي، إضافة إلى رسم معالم شخصيته ومقومات هويته التي يتقاطع فيها مع الآخر في عدة مكونات ويتفرد عنها بمجموعة من المكونات الأخرى.

يشهد العصر الراهن مجموعة من التغيرات المتسارعة التي تدفع بالبعض إلى الحديث عن أهمية وراهنية البحث في الثقافات المحلية في تفاعلاتها بالمجالات المتسمة بالتغير والتبدل والتحول، إلا أن هذا لا يمنع من الحفر في أركيولوجية هذه الثقافات في علاقتها بالمجالات لأن "العقل الصناعي" لن تكون له القدرة على سبر أغوار هذه المناطق المعتمة في حياة الشعوب، لذلك ستبقى هذه المناجم شاهدة على تفرد الإنسان، هذا التفرد الذي لن يصل إليه الذكاء الصناعي مهما بلغ من التطور.

شروحات مساعدة:

- (اشْعَاب الحُومَر/الضَاية الحَايـــــــلَة/ دِيزَة): أسماء أماكن بمنطقة الغرب.
- (اسْلاكْ): كلاب الصيد.
- (الحيَّاحَة): يرافقون "الصيَّادة" خلال رحلة الصيد وتنحصر مهمتهم في حث الوحيش والطرائد على الخروج من أوكارها وأعشاشها وجحورها ومخابئها من خلال الضجيج الذي يحدثونه (النقر والصفير والصياح) وتسمى هذه العملية (بِتَحْيَـــــاحْ).

المصادر والمراجع:

1 - ابراهيم الحيْسن: التراث الشعبي الحساني: العناصر والمكونات، المطبعة والوراقة الوطنية، ط1، مراكش، سنة 2004، ص:11.

2 - أبو عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري: صحيح البخاري، دار ابن كثير، ط1، دمشق – بيروت، 2002، أخرجه البخاري، كتاب الزكاة، باب لا صدقة إلا عن ظهر غنى، (112/2)، برقم (1427).

3- المتون الشفهية: إدريس الكرش، باحث في تراث منطقة الغرب، أستاذ متقاعد، ينحدر من قبيلة التوازيط نواحي سيدي يحيى الغرب (مقابلة مباشرة).

4 - بصري هشام: التحديد الإداري للملك الغابوي واشكالاته العملية، مكتبة الرشاد، ط1، سطات، سنة 2014، ص:15.

5- مجلة دفاتر البحوث العلمية، ع8، (الموضوع: التحديد الإداري للملك الغابوي بالمغرب واشكالية المحافظة على الغابات) عبد السلام بوهلال، المركز الجامعي مرسلي عبد الله، تيبازة، الجزائر، 2016، ص:119.

6- مجلة عالم الفكر، ع317 (موضوع العدد: الجغرافيا الثقافية) تأليف: مايك كرانغ، ترجمة: سعيد منتاق، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، يوليوز 2005، ص:7.

7- مونوغرافية إقليم القنيطرة، المندوبية السامية للتخطيط، المديرية الجهوية لجهة الرباط - سلا - القنيطرة، سنة 2016، ص: 83.

8- مونوغرافية إقليم سيدي سليمان: المندوبية السامية للتخطيط، المدريرية الجهوية لجهة الرباط - سلا - القنيطرة، سنة 2017، ص: 92.

9- مونوغرافية إقليم سيدي قاسم: المندوبية السامية للتخطيط، المدريرية الجهوية لجهة الرباط - سلا- القنيطرة، سنة 2016، ص: 79.

محمد في المدينة للمستشرق الإنجليزي مونتجومري وات
الفصل الأول: تحدي القرشيين دراسة نقدية

Muhammad At Medina, of the English orientalist Montgomery Watt
The first chapter: the challenge of the Quraishites, a critical study

محمدالقطاري: MOHAMED EL-KETTARI
mohamed.elkettari@usmba.ac.ma
باحث في سلك الدكتوراه جامعة سيدي محمد بن عبد الله كلية الآداب والعلوم الإنسانية سايس فاس

ملخص: اهتمت الدراسات الاستشراقية بأهم مقوماتنا الحضارية: اللغة والدين الإسلامي. واتخذ ذلك طابعا أكاديميا، وكان ذلك على ضربين اثنين:أحدهما اتخذ طابعا نقديا، وثانيهماتخذ طابعا مادحا، لكن مصنفاته تحتاج إلى تمحيص وتحقيق، لأنها مليئة بالمغالطات والتلبيسات.ويعد مونتجومري وات من المستشرقين البريطانيين، ويدرج العديد من الباحثين أعماله ضمن الأعمال الاستشراقية المادحة والمنصفة للدين الإسلامي، وقد أكد في مصنفاته أنه يحاول أن يكون محايدا.فهل كان مونتجومري وات في مؤلفه "محمد في المدينة الفصل الأول"مادحا للشريعة الإسلامية ومنصفا لها، أم متحيزا لمنظومته المعرفية الاستشراقية،ومضمرا لحقد دفين للدين الإسلامي برغم من تستره خلف شعارات الحياد والموضوعية؟ وللإجابة على الإشكال أعلاه فقد اعتمدت الخطة التالية: مقدمة وخمسة محاور وخاتمة.

الكلمات المفتاحية:الدراسات الاستشراقية، الدين الإسلامي، مونتجومري وات، الحياد والموضوعية.

Abstract: Oriental studies focused on the most important foundations of our civilization: language and the Islamic religion. This took an academic character; It was on two ways: one of them took a critical character, and the second one took a praiseworthy character, but its works need scrutiny and investigation.Because It is full of inaccuracies and misrepresentations. Montgomery Watt is considered as one of the British orientalists, and many researchers include his works among the orientalist works which praising and fair the Islamic religion. He has confirmed in his works that he is trying to be impartial. Was Montgomery Watt being praising and fair to Islamic law, in his book "Muhammad in the City, Chapter One" , or biased towards his orientalist epistemological system, and harboring a hidden hatred toward the Islamic religion inspite of being cover-up behind slogans of neutrality and objectivity? In order to answer the above questions, the following plan has been adopted: an introduction, five axes, and a conclusion.

Keywords: Oriental studies, Islamic religion, Montgomery Watt, impartiality and objectivity.

مقدمة:

إن الحمد لله، نحمده ونستعينه، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدا عبده ورسوله، أما بعد.

لقد اهتمت الدراسات الاستشراقية بأهم مقوماتنا الحضارية المتمثلة في اللغة والدين. واتخذ ذلك طابعا أكاديميا، وكان ذلك على ضربين اثنين:أحدهما اتخذ طابعا نقديا بعيدا عن الروح العلمية المجردة وكان خطابه واضحا من خلال تبخيس دور الأمة الإسلامية وإسهامها في الحضارة الإنسانية، واعتبارها حاضنة لعلوم اليونان دون زيادة أو نقصان.

والثاني اتخذ طابعا مادحا ولكن مصنفاته تحتاج إلى تمحيص وتحقيق لأنها مليئة بالمغالطات والتلبيسات وتفسير الدين الإسلامي انطلاقا من المرجعية اليهودية -المسيحية، وأعتقد أن ما يتضمنه من تلبيسات قد تنطلي على من لا حظ له في علوم الشريعة.

ويعد مونتجومري وات من المستشرقين البريطانيين،ويدرج العديد من الباحثين أعماله ضمن الأعمال الاستشراقية المادحة والمنصفة للدين الإسلامي، وهذا في تقديري ليس على الإطلاق. وقد أكد في كتابه محمد في مكة أنه حاول الحياد"ولقد حاولت المحافظة على الحياد في المسائل اللاهوتية (الدينية) التي يدور حولها النقاش بين المسيحية والإسلام، فمثلا، لتجنب الجزم بما إذا كان القرآن كلام الله أم لا، فقد تحاشيت استخدام التعبير يقول الله أو يقول محمد واستخدمت التعبير يقول القرآن، ومع ذلك فإنني لا أتبنى المنظور المادي بحجة التزامي بالنزاهة التاريخية، فأنا أكتب كمؤمن بالتوحيد"(و.مونتجمرى وات،2002: 40).

فهل كان مونتجومري وات في مؤلفه "محمد في المدينة الفصل الأول" مادحا للشريعة الإسلامية ومنصفا لها، أم متحيزا لمنظومته المعرفية الاستشراقية، ومضمرا لحقد دفين للدين الإسلامي برغم من تستره خلف شعارات الحياد والموضوعية؟

وللإجابة على الإشكال أعلاه فقد اعتمدت الخطة التالية: مقدمة وخمسة محاور وخاتمة، ويدرس المحور الأول: مفهوم الاستشراق والتعريف بمونتجومرى وات، ومصادره في الفصل قيد الدراسة النقدية، والمحور الثاني: الحالة عند الهجرة، والمحور الثالث: الغزوات الأولى، والمحور الرابع: المعركة الأولى، والمحور الخامس: معركة بدر و خاتمة.

المحورالأول: مفهوم الاستشراق والتعريف بمونتجومري وات ومصادره في الفصل قيد الدراسة

أتطرق لهذا المحور من خلال التعريف بالاستشراق لغة واصطلاحا (أولا)، والتعريف بمونتجومرى وات (ثانيا).

أولا: التعريف بالاستشراق لغة واصطلاحا وأهدافه ودوافعه وأنواعه

1- الاستشراق لغة:

يعد الاستشراق في اللغة من استشرق يستشرق، استشرقا، فهو مستشرق،فاستشرق الأوربي أي اهتم بالشرق والدراسات الشرقية،ومستشرق فرنسي أي أديب فرنسي يهتم بدرس تراث الشرق وحضارته ولغاته. واستشراق، مصدر استشرق،عناية واهتمام بشئون الشرق وثقافاته ولغاته، أسلوب غربي للسيطرة على الشرق وإعادة بنائه وبسط النفوذ عليه(أحمد مختار عمر،2008: 1192/2).

2-الاستشراق اصطلاحا:

يقصد بالمستشرقين ذلك الكتاب الغربيون الذين يكتبون عن الفكر الإسلامي وعن الحضارة الإسلامية، ويمكن تصنيف أسماءهم في شبه ما يسمى طبقات على صنفين:من حيث الزمن طبقة القدماء كجربر دورياك والقديس توماس الاكويني، وطبقة المحدثين مثل كاره دوقو و جولدتسهير.ومن حيث التوجه العام نحو الإسلام والمسلمين لكتاباتهم: نجد طبقة المادحين للحضارة الإسلامية وطبقة المنتقدين لها المشوهين لسمعتها(مالك بن نبي،1969: 5).

3- أهداف الاستشراق:

يعتبر التبشير والاستشراق وجهان لعملة واحدة، فالأول له بعد ديني إحساني والثاني له طابعا أكاديميا. "إن عملاء التبشير والاستشراق -وهم عملاء الاستعمار في مصر والشرق الإسلامي-هم الذين دربتهم دعوة التبشير على إنكار المقومات التاريخية والثقافية والروحية في ماضي هذه الأمة. وعلى التنديد والاستخفاف بها. وهم الذين وجههم كتاب الاستشراق إلى أن يصوغوا هذا الإنكار والتنديد والاستخفاف في صورة البحث، وعلى أساس من أسلوب الجدل والنقاش في الكتابة أو الإلقاء عن طريق المحاضرة أو الإذاعة.إن التبشير والاستشراق كلاهما دعامة الاستعمار في مصر والشرق الإسلامي، فكلاهما دعوة إلى توهين القيم الإسلامية، والغض من اللغة العربية الفصحى وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب العربية، وكذا بين الشعوب الإسلامية، والتنديد بحال الشعوب الإسلامية الحاضرة، والازدراء بها في المجالات الدولية العالمية"(محمد البهي، د.ت:1). وعليه فإذا كان الاستعمار العسكري يخرب العمران والوجود المادي والمعماري للإنسان، فإن الاستشراق يدمر الكيان الإنساني من الداخل فكرا ومعتقدا وبالتالي نكون أمام الانهيار الذاتي أو التحطيم الذاتي.

4- دوافع التبشير والاستشراق:

من دوافع التبشير والاستشراق كسر شوكة الوحدة الإسلامية على اعتبار أن الوحدة الإسلامية"تجمع آمال الشعوب السمر...وتساعدهم على التملص من السيطرة الأوروبية. ولذلك كان التبشير عاملا مهما في كسر شوكة هذه الحركة، ذلك لأن التبشير يعمل على إظهار الأوروبيين في نور جديد جذاب، وعلى سلب الحركة الإسلامية من عنصري القوة والتمركز اللذين هما فيها: إذا كانت الوحدة الإسلامية تكتلا ضد الاستعمار الأوروبي، ثم استطاع المبشرون أن يظهروا الأوروبيين في غير مظهر المستعمر، فإن الوحدة الإسلامية حينئذ تفقد حجة من حججها وسببا من أسباب وجودها. من أجل ذلك قالوا: يجب أن نحول بالتبشير مجاري التفكير في الوحدة الإسلامية حتى تستطيع النصرانية أن تتغلغل في المسلمين.وكذلك كان الفرنسيون يخافون من المساعي لتحقيق الوحدة الإسلامية.وعلى هذا الأساس أصبح الأتراك خطراً على أوروبا منذ دخلوا في الإسلام، لا لأنهم مسلمون، بل لأنهم قد أصبحوا قوة تستطيع أن تقف في وجه الأطماع الأوروبية . حتى السنوسية، وهي فرقة من المرابطين - المجاهدين - نشأت في طرابلس الغرب، قد أصبحت على قلة أشياعها وقلة انتشارها قوة ترهب الاستعمار، لا لشيء إلا لأن الاتحاد قوة تفسد على المستعمرين أعمالهم. ولقد بالغ (صموئيل زويمر) حينما هاله أن يرى نفرا من النصارى يدعون إلى مصادقة المسلمين في الصين. إن هذه الصداقة في رأي (زويمر) تخلق في نفس النصارى جبنا عن التبشير"(مصطفى خالدي -عمر فروخ،1973: 37-38).

ينضاف إلى هذا أن الحركة الاستشراقية تستهدف عنصريين مهميين من عناصر الوحدة الإسلامية وهما: اللغة العربية والدين الإسلامي؛ حيث تعمل هاته الحركة على إضعافهما بالتشكيك فيهما والتقليل من شهودهما الحضاري ما استطاعت إلى ذلك سبيلا.

5- أنواع الاستشراق:

عندما يتأمل الإنسان إنتاج المستشرقين يجده على اتجاهيين هناك الجانب الهدام؛ الذي يبخس دوار المسلمين في إسهامهم في القيم والعلوم الإنسانية، ويشكك في النص الديني قرآنا وسنة وفي اللغة العربية.وهناك اتجاه المدح والإثراء، لكن في اعتقادي عبارة عن دس السم في العسل؛ فإنتاجهم ليس بريئا وفي حاجة ماسة إلى الدراسة النقدية "وبالتالي يتبين لنا أن الانتاج الاستشراقي، بكلا نوعيه، كان شرا على المجتمع الاسلامي، لأنه ركب في تطوره العقلي عقدة حرمان سواء في صورة المديح والإطراء التي حولت تأملاتنا عن واقعنا في الحاضر وأغمستنا في النعيم الوهمي الذي نجده في ماضينا، أو في صورة التفنيد والاقلال من شأننا بحيث صيرتنا حماة الضيم عن مجتمع منهار، مجتمع ما بعد الموحدين، بينما كان من واجبنا أن نقف منه عن بصيرة طبعا ولكن دون هوادة، لا نراعي في كل ذلك سوى مراعاة الحقيقة الإسلامية غير المستسلمة لأي ظرف في التاريخ، دون أن نسلم لغيرنا حق الاصداع بها والدفاع عنها لحاجة في نفس يعقوب.وعلى كل، فإن أمكننا أن نصرح بأننا نجد على

كل وجه جانبا إيجابيا في هذا الاستشراق، فإننا لا نجده في صورة المديح، بل في صورة التفنيد"(مالك بن نبي،1969: 25).

ثانيا : التعريف بمونتجومرى وات ومصادره في الفصل الأول من كتاب محمد في المدينة

1- التعريف بمونتجومري وات

يعد "**مونتجومري، وات** - Montgomery,watt عميد قسم الدراسات العربية في جامعة إد نبرا.

آثاره: اللغة العربية (صحيفة الجمعية الامريكية الشرقية 46،1926) ومن تاريخ الجزيرة العربية (47،1927)عوامل انتشار الإسلام (الفصول الإسلامية 1955)، ومحمد في مكة (لندن 1958) والإسلام والجماعة الموحدة، وهو دراسة فلسفية اجتماعية لرد أصل الوحدة العربية إلى الإسلام (1961) والجدل الديني (عالم الإسلام 1961)، وتاريخ أسبانيا الإسلامية، بمعاونة كاكيا (جامعة إدنبرا 1965، وقد ترجم إلى الفرنسية والأسبانية والروسية) ومن هو العربي؟ ويشرف على كتاب بعنوان: الإسلام"(نجيب العقيقي،2006: 132/2).

2- مصادره في الفصل الأول من كتاب محمد في المدينة

لقد تطرق مونتجومريوات إلى مصادره في كتابه محمد فى مكة(و.مونتجمرى وات،2002: 41-45)، وهو الشي الذي لم يقم به في كتابه محمد في المدينة على الأقل فيما التزمت بدراسته، ولهذا تتبعت المتن والحواشي من أجل جرد مصادره وكانت على المنوال التالي: ج . هوروفتز، الواقدي(مونتجومري وات،د.ت: 4-5) ابن هشام، بن سعد(مونتجومري وات، د.ت:7) القرآن(مونتجومري وات، د.ت:9)،الطبري(مونتجومري وات، د.ت:11)، وبلسنر مقالتي المحرم ورجب في دائرة المعارف الاسلامية، تفسير الطبري.. أبو جعفر النحاس، الناسخ والمنسوخ، كيتاني، حميد الله، مغازي النبي محمد، محمد القائد لمحمد عبد الفتاح(مونتجومري وات، د.ت:14-16)، ريشارد بل أصل الإسلام في الجوار المسيحي(مونتجومري وات، د.ت:25).

المحور الثاني: الحالة عند الهجرة

ذكر مونتجومرى، وات أن الرسول ﷺ لم قدم المدينة قد سمى كل من أتباعه في مكة والمدينة بالمهاجرين والأنصار، وأشار بالهامش إلى أنه ربما يكون اسم الأنصار مشتق من القرآن61-14 (مونتجومري وات، د.ت:4). وبالرجوع إلى القرآن نجد أن الامر يتعلق بالآية التالية: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُونُوٓاْ أَنصَارَ ٱللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ٱبۡنُ مَرۡيَمَ لِلۡحَوَارِيِّـۧنَ مَنۡ أَنصَارِيٓ إِلَى ٱللَّهِۖ قَالَ ٱلۡحَوَارِيُّونَ نَحۡنُ أَنصَارُ ٱللَّهِۖ فَـَٔامَنَت طَّآئِفَةٞ مِّنۢ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ وَكَفَرَت طَّآئِفَةٞۖ فَأَيَّدۡنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَىٰ عَدُوِّهِمۡ فَأَصۡبَحُواْ ظَٰهِرِينَ ١٤﴾[من سورة الصف، الآية:14]، وهذه الآية خطاب الله لعموم المسلمين ولا علاقة لها بالأنصار تحديدا، الذين يقصدهم وات؛ حيث "يقول تعالى آمرا عباده المؤمنين أن يكونوا أنصار الله في جميع أحوالهم بأقوالهم وأفعالهم وأنفسهم وأموالهم وأن يستجيبوا لله ولرسوله كما استجاب الحواريون لعيسى"(ابن كثير، د.ت: 89/8).

والآيات التي تتحدث عن الأنصار تتجلى في قوله ﷻ: ﴿وَالسَّٰبِقُونَ ٱلۡأَوَّلُونَ مِنَ ٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ وَٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُم بِإِحۡسَٰنٖ رَّضِيَ ٱللَّهُ عَنۡهُمۡ وَرَضُواْ عَنۡهُ وَأَعَدَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي تَحۡتَهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدٗاۚ ذَٰلِكَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ (100)﴾[من سورة التوبة، الآية: 100]،وقوله تعالى:﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِيِّ وَٱلۡمُهَٰجِرِينَ وَٱلۡأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِي سَاعَةِ ٱلۡعُسۡرَةِ مِنۢ بَعۡدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٖ مِّنۡهُمۡ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡۚ إِنَّهُۥ بِهِمۡ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ﴾[من سورة التوبة، الآية:117]. وهذا في تقديري أن مونتجومري وات يحيل على آي القرآن الكريم اجمالا،ودونما تحديد أو ضبط للآية المقصودة في الإستشهاد، والتي تفي بالغرض حسب وجه المناسبة.

المحور الثالث : الغزوات الأولى

شبهة التشكيك في المعطيات التاريخية:

قال مونتجومري"وكانت القوافل المهاجمة قوية جدا، واحدة منها تتألف من 2500 جمل يصحبها 200 إلى 300 رجل. ربما كانت هذه الأرقام مبالغ فيها لأنه لم يكن يوجد سوى 70 رجلا في القافلة المهمة التي كانت السببَ في معركة بدر، وربما كان ضعفها هذا هو الذي حمل القرشيين على الخروج بكثرة"(مونتجومري وات، د.ت: 6)،وهذا الكلام أورده مونتجومري وات دون إحالة. ويقصد تحديدا غزوة بواط التي غزاها رسول الله ﷺ"في ربيع الأول على رأس ثلاثة عشر شهرا، يعترض لعير قريش، فيها أمية بن خلف ومائة رجل من قريش، وألفان وخمسمائة بعير ثم رجع ولم يلق كيدا"(الواقدي،1984: 12/1). وهذا الكلام أثبته كذلك صاحب الطبقات الكبرى، حيث كان الرسول ﷺ في هاته الغزوة في مأتين من أصحابه(محمد بن سعد، د.ت:2/8-9)، وينظر كذلك (بن كثير،1997: 29/5).ولا أجد سببا علميا دعاه للقول بالمبالغة، وهذه وقائع تاريخية أثبتها أصحابها في مظانها، وقريش جاءت إلى بدر للحرب، وقد علمت أن قافلة أبي سفيان قد أصبحت في أمان،لكنها كانت لها أغراض أخرى من غزوة بدر، وهي أن تشعر العرب والمناطق المجاورة أنها ما تزال تفرض سيطرتها على المنطقة وليس إقامة الحرب من أجل قافلة عليها سبعين رجلا كما ادعى.

شبهة مشاركة الأنصار في الغزوات و السرايا قبل غزوة بدر:

و حول مشاركة الأنصار في الغزوات قبل معركة بدر قال:"لو كان مع محمد 200 رجل أو 150 لكان الأنصار من بينهم، وتجمع المصادر على أن معركة بدر، كانت الأولى التي يشترك فيها الأنصار، غير أن هذا الاجماع ليس تاما. ففي المقطع الوحيد الذي يذكر فيه اسم الرواة، يتملكنا الشك لأن الأسماء الأخيرة في الرواة متأخرة وهي أسماء أشخاص يظهرون في الخلافات الفقهية، بالإضافة إلى أنهم جميعا ينتمون لبني مخزوم من قريش. ولما كان محمد لديه أقل من مئة مهاجر في معركة بدر، حيث كانوا جميعا حاضرين، فهناك مجال للقول بأن الأنصار اشتركوا، على الأقل، في أكبر الغزوات الأولى"(مونتجومري وات،د.ت: 6)وكلام مونتجمري هذا بدون إحالة.لقد أكد الواقدي أن أول لواء عقد الرسولﷺ بعد قدومه المدينة كان لحمزة بن عبد المطلب حيث"بعثه في ثلاثين راكبا شطرين، خمسة عشر من المهاجرين وخمسة عشر من الأنصار. فبلغوا سيف البحر يعترض لعير

قريش قد جاءت من الشام تريد مكة، فيها أبو جهل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة. فالتقوا حتى اصطفوا للقتال، فمشى بينهم مجدى بن عمرو، وكان حليفا للفريقين جميعا، فلم يزل يمشى إلى هؤلاء وإلى هؤلاء حتى انصرف القوم وانصرف حمزة راجعا إلى المدينة في أصحابه، وتوجه أبو جهل في عيره وأصحابه إلى مكة، ولم يكن بينهم قتال. فلما رجع حمزة إلى النبي صلى الله عليه وسلم خبره بما حَجَز بينهم مَجْدىّ، وأنهم رأوا منه نَصَفَة لهم، فقدم رهط، مجدى على النبي ﷺ فكساهم وصنع إليهم خيرا، وذكر مجدى بن عمرو فقال: إنه ما علمت مَيمون النّقيبة مُبارك الأمر. أو قال: رشيد الأمر"(الواقدي،1984: 1/9-10). وهاته الرواية غير مسندة، أما الروية المسندة فتنفي أن يكون الأنصار قد اشتركوا في مبعث حتى غزوة بدر الكبرى "حدثني عبد الرحمن بن عياش، عن عبد الملك بن عبيد، عن ابن المسيب وعبد الرحمن بن سعيد بن يربوع، قالا: لم يبعث رسول الله صلى الله عليه وسلم أحدا من الأنصار مبعثا حتى غزا بنفسه إلى بدر، وذلك أنه ظن أنهم لا ينصرونه إلا في الدار، وهو المثبت"(الواقدي،1984: 1/10). وهذا رجوع من الواقدي عن مضمن الرواية الأولى وقد قال في حقه الإمام البخاري:" محمد بن عمر الواقدي مدنى قاضى بغداد عن معمر ومالك، سكتوا عنه، تركه أحمد وابن نمير، مات سنة سبع ومائتين أو بعدها بقليل"(البخاري، د.ت: 1/178).وقد ورد في سيرة بن هشام أن سرية حمزة بن عبد المطلب لم يكن فيهم من الأنصار أحد(بن هشام، 1990: 2/237-238).

المحور الرابع: المعركة الأولى

الشبه المثارة حول سرية نخلة:

المعركة الأولى يقصد بها مونتجومري سرية نخلة"أميرها عبد الله بن جحش إلى نخلة، ونخلة وادي بستان، ابن عامر، في رجب على رأس سبعة عشر شهرا.قالوا: قال عبد الله بن جحش: دعاني رسول الله صلى الله عليه وسلم حين صلى العشاء فقال: وافِ مع الصُّبح، معك سلاحك، أبعثك وجها! قال: فوافيت الصبح وعلىّ سيفي وقوسي وجَعبتي ومعي دَرَقَتي، فصلى النبي ﷺ بالناس الصبح ثم انصرف، فيجدني قد سبقته واقفا عند بابه، وأجد نفرا معي من قريش. فدعا رسول الله ﷺ أبى بن كعب فدخل عليه، فأمره رسول الله صلى الله عليه وسلم وكتب كتابا. ثم دعاني فأعطاني صحيفة من أديم خَولانّي فقال: قد استعملتك على هؤلاء النَّفَر، فامض حتى إذا سرت ليلتين فانشر كتابي، ثم امض لما فيه. قلت: يا سول الله، أَيّ ناحيةٍ؟ فقال: اسلك النجدية، تؤُمّ رَكيَّةَ قال: فانطلق حتى إذا كان ببئر ابن ضُمَيرة نشر الكتاب فقرأه فإذا فيه:« سر حتى تأتي بطن نَخْلة على اسم الله وبركاته، ولا تكرهن أحدا من أصحابك على المسير معك، وامض لأمري فيمن تبعك حتى تأتي بطن نخلة فترصد بها عير قريش». فلما قرأ عليهم الكتاب قال: لست مستكرها منكم أحدا، فمن كان يريد الشهادة فليمض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ومن أراد الرجعة فمن الآن! فقالوا أجمعون: نحن سامعون ومطيعون لله ولرسوله ولك، فسر على بركة الله حيث شئت. فسار حتى جاء نخلة فوجد عيرا لقريش فيها عمرو بن الحضرمي، والحكم بن كيسان المخزومي، وعثمان بن عبد الله بن المغيرة المخزومي، ونوفل بن عبد الله المخزومي. فلما رأوهم

أصحاب العير هابوهم وأنكروا أمرهم، فحلق عكاشةُ رأسه من ساعته، ثم أوفى ليطمئن القوم.قال عامر بن ربيعة: فحلقت رأس عكاشة بيدي وقد رأى واقد ابن عبد الله وعكاشة أن يغيروا عليهم فيقول لهم: عُمَّارٌ! نحن في شهر حرام! فأشرف عكاشة فقال المشركون بعضهم لبعض: لا بأس، قوم عمارا! فَأَمِنوا في أنفسهم، وقيدوا رِكابهم وسَرَّحوها، واصطنعوا طعاما. تشاور أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم في أمرهم...فَغَلَب على الأمر الذين يريدون عرض الدنيا، فَشَجَّعَ القومَ فقاتَلُوهم. فخرج واقد ابن عبد الله يقدم القوم، قد أنبض قوسه وفوّق بسهمه، فرمى عمرو بن الحضرمي -وكان لا يخطى رميته- بسهم فقتله. وشد القوم عليهم، فاستأسر عثمان بن عبد الله بن المغيرة، وحكم بن كيسان، وأعجزهم نوفل ابن عبد الله بن المغيرة، واستاقوا العير..وكانت العير فيها خمر وادم وزبيب جاءوا به من الطائف، فقدموا به على النبي صلى الله عليه وسلم. فقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام، فقد أصاب الدم والمال، وقد كان يحرم ذلك ويعظمه. فقال من يرد عليهم: إنما أصبتم في ليلة من شعبان. وأقبل القوم بالعير، فلما قدموا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وقف العير فلم يأخذ منها شيئا، وحبس الأسيرين، وقال لأصحابه:« ما أمرتكم بالقتال في الشهر الحرام»..."(الواقدي،1984: 1/13-16).

وسيأتي الرد على الشبه المثارة حول هذه السرية لاحقا.

قصة غياب سعد بن أبي وقاص و عتبة بن غزوان عن شهودهم "نخلة":

وحول مبررات الغياب فقد تحدث عنها سعد ابن أبي وقاص، حيث قال:"...خرجنا مع عبد الله بن جحش حتى ننزل بحران...فأرسلنا أباعرنا، وكنا اثني عشر رجلا، كل اثنين يتعاقبان بعيرا. فكنت زميل عتبة بن غزوان وكان البعير له، فضل بعيرنا، وأقمنا عليه يومين نبغيه.. ولم نشهد نخلة، فقدمنا على رسول الله صلى الله عليه وسلم وهم يظنون أنا قد أصبنا.. حتى قدمنا المدينة فنجد نفرا من قريش قد قدموا في فداء أصحابهم، فأبى رسول الله ﷺ أن يفاديهم وقال: « إني أخاف على صاحبي». فلما قدمنا فاداهم رسول الله ﷺ.

قالوا: وكان من قول رسول الله صلى الله عليه وسلم لهم: « إن قتلتم صاحبي قتلت صاحبيكم »...فحدثني عمر بن عثمان الجحشي، عن أبيه، عن محمد بن عبد الله بن جحش، قال: كان في الجاهلية المرباع، فلما رجع عبد الله بن جحش من نخلة خمس ما غنم، وقسم بين أصحابه سائر الغنائم، فكان أول خمس في الإسلام حتى نزل بعد ﴿وَاعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ﴾ [من سورةالأنفال،الآية:41]..قالوا: ونزل القرآن ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ﴾ [من سورة البقرة، الآية: 217]، فحدثهم الله في كتابه أن القتال في الشهر الحرام كما كان، وأن الذي يستحلون من المؤمنين هو أكثر من ذلك، من صدهم عن سبيل الله حتى يعذبوهم ويحبسوهم أن يهاجروا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، وكفرهم بالله وصدهم المسلمين عن المسجد الحرام في الحج والعمرة، وفتنتهم إياهم عن الدين، ويقول:﴿وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ ﴾[من سورة البقرة، الآية:191]. قال: عنى به إساف ونائلة.."(الواقدي،1984: 1/16-18).

شبهة التردد الذي وقع لأفراد سرية عبد الله بن جحش حين سماعهم لأوامر الرسول ﷺ:

قال مونتجومري" كما أن تردد رجال الحملة حين قراءتهم لأوامر محمد كان الخطر البديهي على الحملة، وكذلك الشعور بالخزي مما يطلب اليهم فعله...ولهذا قال محمد لعبد الله بن جحش، أن يعيد كل الذين لا يرغبون في تنفيذ المخطط"(مونتجومري وات، د.ت: 11).

لقد جاء في مغازي الواقدي" فلما قرأ عليهم الكتاب قال: لست مستكرهاً منكم أحداً، فمن كان يريد الشهادة فليمض لأمر رسول الله ﷺ ومن أراد الرجعة فمن الآن! فقالوا أجمعون: نحن سامعون ومطيعون لله ولرسوله ولك، فسر على بركة الله حيث شئت"(الواقدي،1984: 14/1) . وجاء في تاريخ الطبري"فلما نظر عبدالله في الكتاب، قال: سمع وطاعة؛ ثم قال لأصحابه: قد أمرني رسول الله صلى الله عليه و سلم أن أمضي إلى نخلة، فأرصد بها قريشا حتى آتيه منهم بخبر، وقد نهاني أن أستكره أحدا منكم؛ فمن كان منكم يريد الشهادة، ويرغب فيها فلينطلق، ومن كره ذلك فليرجع؛ فأما أنا فماض لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم. فمضى ومضى معه أصحابه، فلم يتخلف عنه منهم أحد"(الطبري، د.ت: 411/2)، أنظر(ابن هشام،1990: 244/2).

و من خلال ما تقدم يظهر أن الشبهة المشار اليها أعلاه أطلقها مونتجومرى وات كالطير في السماء لا أساس لها ولا قرار، وذلك بين من خلال الرجوع إلى مصادره. فأين يا ترى مظاهر التردد والشعور بالخزي عند أفراد هاته السرية؟!!

شبهة التشكيك في شجاعة سعد بن أبي وقاص:

ومن الشبه التي أثرها مونتجومري وات حول هاته السرية كذلك شكه في صحة مبررات التخلف عن هاته السرية من طرف سعد بن أبي وقاص ورفيقه عتبة بن غزوان حيث ادعا أن بعيرهما قد ضل. وقال عقب حديثه عن تردد رجال سرية عبد الله بن جحش حين سماعهم لأوامر الرسول ﷺ وشعورهم بالخزي مما طلب اليهم فعله حسب تعبيره"ولهذا قال محمد لعبد الله بن جحش، أن يعيد كل الذين لا يرغبون في تنفيذ المخطط. وهذا ما نجده في قصة سعد بن أبي وقاص، ورفيقه على ظهر البعير عتبة بن غزوان. أما أن يكون بعيرهما قد ضل، وإنهما في بحثهما عنه قد ابتعدا عن الحملة، فهذه هي القصة التي روياها بعد عودتهما للمدينة بعد عدة أيام على عودة الغزاة المنتصرين. وإذا كانت تلك هي القصة التي روياها، فإن ذلك لا يعني أن القصة صحيحة. وهناك رواية تجعلنا نفهم أنها ليست حقيقية. ولا شك أن الاثنين قد أضاعا كثيرا من الوقت، ومن الغريب أن يحدث ذلك، في أراضي بني سليم، القبيلة التي ولد فيها عتبة"(مونتجومري وات، د.ت: 11). ومستنده في الرواية التي تحدث عنها أعلاه تاريخ الطبري الذي أكد أن سعيد بن أبي وقاص، وعتبة بن غزوان أضل بعيرا لهما بموضع بُحْران(الطبري، د.ت: 411/2). وعليه فشبهة التردد كانت شاملة لسائر أفراد السرية وقد سبق التطرق إليها.

وأكد مونتجومري أيضا في معرض حديثه عن سعد بن أبي وقاص حيث قال:"وقد حدث حادث آخر مؤسف فيما بعد أساء لسمعة سعد في الشجاعة. كان سعد، في معركة القادسية الكبرى، التي كسرت شوكة الامبراطورية الفارسية، يقود المسلمين وكان مريضا، ولذلك قاد قواته إلى اصطبل في المؤخرة"(مونتجومري

وات، د.ت: 11). وهذا الكلام قاله مونتجومري وات دون إحالة على أي مصدر من مصادره، وجل ما ذكر أعلاه يجعلنا نقف مع شيء من البحث عن سعد بن أبي وقاص خاصة وهو لا يتهم المجاهل وإنما يتهم شخصية معروفة في تاريخ الأمة الإسلامية، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على ضرب الرموز ويوطئ لعملية التحطيم الذاتي، وهو من الأساليب القديمة في الحروب، فمن هو سعد بن أبي وقاص؟

ترجمة سعد بن أبي وقاص:

يعد سعد بن أبي وقاص، "واسم أبي وقاص مالك بن اهيب بن عبد مناف ابن زهرة بن كلاب القرشي الزهري، يكنى أبا إسحاق، كان سابع سبعة في الإسلام أسلم بعد ستة.قال الواقدي: حدثني سلمة عن عائشة بنت سعد، عن سعد قال: أسلمت وأنا ابن تسع عشرة سنة. وروى عنه أنه قال: أسلمت قبل أن تفرض الصلوات. وشهد بدرا، والحديبية، وسائر المشاهد، وهو أحد الستة الذين جعل عمر فيهم الشورى، وأخبر أن رسول الله ﷺ توفي وهو عنهم راض. وأحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وكان مجاب الدعوة مشهورا بذلك ..وذلك أن رسول الله ﷺ قال فيه: اللهم سدد سهمه، وأجب دعوته. وهو أول من رمى بسهم في سبيل الله ..وجمع له رسول الله ﷺ وللزبير أبويه، فقال لكل واحد منهما، فيما روى عنه ﷺ:« ارم، فداك أبي وأمي». ولم يقل ذلك لأحد غيرهما فيما يقولون...وكان أحد الفرسان الشجعان من قريش الذين كانوا يحرسون رسول الله ﷺ في مغازيه، وهو الذي كوف الكوفة ولقي الاعاجم، و تولى قتال فارس، أمره عمر بن الخطاب رضى الله عنه على ذلك، ففتح الله على يده أكثر فارس، وله كان فتح القادسية وغيرها.."(بن عبد البر،1992: 606/2-608). وجاء في حديث الطبري عن يوم أرماث"ولما عبر أهل فارس أخذوا مصافهم وجلس رستم على سريره...وأخذ المسلمون مصافهم وجُعِل زُهرة وعاصم بين عبدالله وشُرَحبيل، ووكل صاحب الطلائع بالطِّراد، وخلط بين الناس في القلب والمجنَّبات ونادى مناديه: ألا إن الحسد لا يحل إلا على الجهاد في أمر الله يا أيها الناس، فتحاسدوا وتغايروا على الجهاد. وكان سعد يومئذ لا يستطيع أن يركب ولا يجلس، به حُبون[والحِبْنُ: ما يَعْتَري في الجسد فيقِيحُ ويَرِمُ وجمعُه حُبونٌ](ابن منظور: 104/13) فإنما هو على وجهه في صدره وسادة، هو مكب عليها مشرِف على الناس من القصر يرمي بالرقاع فيها أمره ونهيه، إلى خالد بن عُرْفُطة وهو أسفل منه وكان الصف إلى جنب القصر، وكان خالد كالخليفة لسعد لو لم يكن سعد شاهدا مشرفا"(الطبري، د.ت: 530/3-531). وأعتقد أن المرض لا يتنافى مع الشجاعة ومع ذلك كان سعد يدير المعركة رضي الله عنه.

وجاء في تاريخ خليفة بن خياط في معرض حديثه عن فتح المدائن "حدثنا من سمع مسلمة عن داود بن أبي هند عن الشعبي قال: أول من أقحم فرسه في دجلة سعد"(خليفة بن خياط،1985: 134). واعتقد أن ما ذكرناه لا يسيئ لشجاعة سعد بن أبي وقاص كما ذكر مونتجومري.

شبهة حول أوامر الرسول ﷺ لعبد الله بن جحش:

قال مونتجومري وات" كان الشيء الأساسي في أوامر محمد المختومة إلى عَبْدَ اللهِ بْن جَحْشٍ أن يذهب إلى نخلة، وينصب كمينا لقافلة قرشية. والشيء الثاني (حسب روايات أخرى) أن يرفع تقريرا.. ومما لا شك فيه أن محمدا أمر بالقيام بهذه المهمة، مع علمه بأنها ربما تؤدي إلى سقوط القتلى من رجاله أو من رجال أعدائه"(مونتجومري وات، د.ت: 12). بالرجوع إلى مصادر مونتجومري وات لا أجد نصب الكمين خاصة عند الواقدي وابن هشام والطبري، حيث نجد عند الواقدي أن الرسول عليه السلام قال لعبد الله بن جحش: "سر حتى تأتي بطن نخلة على اسم الله وبركاته، ولا تكرهن أحدا من أصحابك على المسير معك، وامض لأمري فيمن تبعك حتى تأتي بطن نخلة فترصد بها عير قريش" (الواقدي،1984: 1/13-14). إذا الشاهد عندنا «فترصد بها عير قريش». وعند ابن هشام إضافة إلى الرصد جمع الأخبار "فلما سار عبد الله بن جحش يومين فتح الكتاب، فنظر فيه فإذا فيه إذا نظرت في كتابي هذا فامض حتى تنزل نخلة، بين مكة والطائف فترصد بها قريشا وتعلم لنا من أخبارهم"(ابن هشام،1990: 2/244). وتَرَصُد قريش وجمع الأخبار عنها هو ما أمر به عبد الله بن جحش كذلك عند الطبري(الطبري، د.ت: 2/411). وبالتالي يظهر أن غرض رسول الله ﷺ من هاته السرية هو الرصد وجمع الأخبار عن قريش وليس الدخول في اشتباك.

شبهة انتهاك الأشهر المحرمة:

وفي معرض حديثه عن شبهة انتهاك الأشهر المحرمة قالمونتجومري وات"هناك مسألة أهم وهي ما إذا كان محمد ينتظر أن يحدث الهجوم على القافلة خلال شهر رجب المقدس. يعين الواقدي وقت الحادث في نهاية رجب، ويشير إلى أنه كان يجب على المسلمين، إذا أرادوا مهاجمة القافلة، إما أن يهاجموها خلال شهر رجب، أو بعد أن تكون قد دخلت أرض مكة المقدسة. إذا أمكن قبول هذه الرواية، فيمكن أن تكون القافلة قد قلبت خطط محمد، وذلك بوصولها مكة قبل الوقت المعين، أما القول بأن المهاجمين لم يكونوا يعرفون ما إذا كان الشهر الحرام انتهى أو لم ينته، فهذه محاولة لغسل العار الذي أصبح مشهورا"(مونتجومري وات، د.ت: 13).وهذا مردود عليه لأن الرسول عليه السلام ما أمر بالقتال بالشهر الحرام(الواقدي،1984: 1/16، ابن هشام،1990: 2/245، الطبري،د.ت: 2/412).والشاهد على ذلك أن سرية عبدالله بن جحش لما قدمت المدينة" أنكر عليهم النبي ﷺ، وقال: «ما أمرتكم بقتال في الشهر الحرام». وقالت قريش: قد استحل محمد الشهر الحرام، فأنزل الله تعالى:﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾[من سورة البقرة، الآية:217] فهذه أول غنيمة، وأول أسير، وأول قتيل قتله المسلمون"(العيني، 2001: 2/40).

وبالتالي ما فعلته سرية عبد الله بن جحش فعلته استقلالا. علما أن العار الحقيقي هو فتنة المسلمين في دينهم وإخراجهم من أرضهم واستباحة ممتلكاتهم. وقد وضع الله ﷻ حدا للشبه في هاته المسألة بقوله عز وجل:﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ أَكْبَرُ مِنَ ٱلْقَتْلِ وَلَا يَزَالُونَ يُقَـٰتِلُونَكُمْ حَتَّىٰ يَرُدُّوكُمْ عَن دِينِكُمْ إِنِ

اِسْتَطَـٰعُواْ ۗ وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُوْلَـٰٓئِكَ حَبِطَتْ اَعْمَـٰلُهُمْ فِى ٱلدُّنْيَا وَالَاخِرَةِ ۖ وَأُوْلَـٰٓئِكَ أَصْحَـٰبُ ٱلنَّارِ ۖ هُمْ فِيهَا خَـٰلِدُونَ﴾ [من سورة البقرة، الآية:217].

التعليق على قوله "ولهذا يؤكد بعض العلماء المسلمين... أن تحريم القتال خلال الأشهر الحرم قد نسخ"(مونتجومري وات، د.ت: 15)

لقد جاء في تفسير الطبري "اختلف أهل التأويل في قوله: ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [من سورة البقرة، الآية:217]، هل هو منسوخ أم ثابت؟ فقال بعضهم: هو منسوخ بقوله الله جل وعز: ﴿وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾ [من سورة التوبة، الآية: 36]، وبقوله: ﴿اقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ﴾ [من سورة التوبة، الآية: 05]...وقال آخرون: بل ذلك حكم ثابت لا يحل القتال لأحد في الأشهر الحرم بهذه الآية، لأن الله جعل القتال فيه كبيرا. قال أبو جعفر: والصواب من القول في ذلك ما قاله عطاء بن ميسرة: من أن النهي عن قتال المشركين في الأشهر الحرم منسوخ بقوله الله جل ثناؤه: ﴿إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِى كِتَـٰبِ ٱللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَالَارْضَ مِنْهَآ أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلْقَيِّمُ ۚ فَلَا تَظْلِمُواْ فِيهِنَّ أَنفُسَكُمْ ۚ وَقَـٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَـٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً ﴾[من سورة التوبة، الآية:36]. وإنما قلنا ذلك ناسخ لقوله:﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [من سورة البقرة، الآية:217]،لتظاهر الأخبار عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه غزا هوازن بحنين وثقيفا بالطائف، وأرسل أبا عامر إلى أوطاس لحرب من بها من المشركين، في بعض الأشهر الحرم، وذلك في شوال وبعض ذي القعدة، وهو من الأشهر الحرم. فكان معلوما بذلك أنه لو كان القتال فيهن حراما وفيه معصية، كان أبعد الناس من فعله صلى الله عليه وسلم"(الطبري، د.ت: 4/ 313-314).

وجاء في كتاب الناسخ والمنسوخ"قال جل وعز:﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ ۖ قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ [من سورة البقرة، الآية:217]. العلماء على أن هذه الآية منسوخة، وأن قتال المشركين في الأشهر الحرم مباح، غير عطاء فإنه قال: الآية محكمة ولا يجوز القتال في الأشهر الحرم .

ويحتج له بما حدثناه إبراهيم بن شريك قال حدثنا أحمد يعني ابن عبد الله بن يونس قال حدثنا ليث عن أبي الزبير عن جابر قال: كان رسول الله ﷺ لا يقاتل في الشهر الحرام، إلا أن يغزى أو يغزو فإذا حضر ذلك أقام حتى ينسلخ. قال أبو جعفر: وهذا الحديث يجوز أن يكون قبل نسخ الآية. وابن عباس وسعيد بن المسيب وسليمان بن يسار وقتادة والأوزاعي على أن الآية منسوخة فمن ذلك: ما حدثناه عليل بن أحمد قال حدثنا محمد بن هشام قال حدثنا عاصم بن سليمان قال حدثنا جويبر عن الضحاك عن ابن عباس قال وقوله ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ أي في الشهر الحرام﴿قُلْ قِتَالٌ فِيهِ كَبِيرٌ﴾ أي عظيم فكان القتال فيه محظورا حتى نسخته آية السيف في براءة ﴿فَاقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾ [من سورة التوبة، الآية:5] فأبيحوا القتال في الأشهر الحرم، وفي غيرها"(النحاس،1991: 1/535 -536).

وقد بين النبي ﷺ الأشهر الحرم باللفظ حيث"روى أبو بكرة وغيره أن النبي ﷺ خطب فقال: «إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق الله السموات والأرض، فالسنة اثنا عشر شهرا منها أربعة حرم، ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادى وشعبان».(البخاري، 2005: 200/3)

قال أبو جعفر: وقد قامت الحجة بأن قوله جل وعز ﴿يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلشَّهْرِ ٱلْحَرَامِ قِتَالٍ فِيهِ﴾ منسوخ بما ذكرناه من نص القرآن، وقول العلماء وأيضا فإن النقل يبين ذلك لأنه نقل إلينا أن هذه الآية نزلت في جمادى الآخرة أو في رجب في السنة الثانية، من هجرة رسول الله ﷺ إلى المدينة وقد قاتل رسول الله ﷺ هوازن بحنين، وثقيفا بالطائف، في شوال وذي القعدة من الأشهر الحرم، وذلك سنة ثمان من الهجرة"(النحاس،1991: 539-538/1).

قال ابن العربي في أحكام القرآن"اختلف الناس في نسخ هذه الآية، فكان عطاء يحلف أنها ثابتة، لأن الآيات التي بعدها عامة في الأزمنة وهذا خاص، والعام لا ينسخ بالخاص باتفاق.وقال سائر العلماء:هي منسوخة، واختلفوا في الناسخ، فقال الزهري: نسخها قوله تعالى:﴿وَقَٰتِلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ كَآفَّةً كَمَا يُقَٰتِلُونَكُمْ كَآفَّةً﴾[من سورة التوبة، الآية: 36]. وقال غيره: نسختها: ﴿ قَٰتِلُواْ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَلَا بِٱلْيَوْمِ ٱلْءَاخِرِ ﴾[من سورة التوبة، الآية:29]. وقال غيره: نسخها«غزو النبي - ﷺ- ثقيفا في الشهر الحرام وإغزاؤه أبا عامر إلى أوطاس في الشهر الحرام»، وهذه أخبار ضعيفة.وقال غيره: نسختها بيعة الرضوان على القتال في ذي القعدة، وهذا لا حجة فيه، لأن النبي - ﷺ - بلغه أن عثمان قتل بمكة، وأنهم عازمون على حربه، فبايع على دفعهم لا على الابتداء.وقال المحققون: نسخها قوله تعالى: ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُواْ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ﴾[من سورة التوبة، الآية:5] يعني أشهر التسيير، فلم يجعل حرمة إلا لزمان التسيير.والصحيح أن هذه الآية رد على المشركين حين أعظموا على النبي - ﷺ- القتال والحماية في الشهر الحرام، فقال الله تعالى:﴿ وَصَدٌّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ وَكُفْرٌۢ بِهِۦ وَٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَإِخْرَاجُ أَهْلِهِۦ مِنْهُ أَكْبَرُ عِندَ ٱللَّهِ وَٱلْفِتْنَةُ ﴾ [من سورة البقرة، الآية:217]وهي الكفر في الشهر الحرام أشد من القتل، فإذا فعلتم ذلك كله في الشهر الحرام تعين قتالكم فيه"(ابن العربي،د.ت:1/206-207).

وقريب من موقف ابن العربي ذهب ابن القيم الجوزية حيث يقول: " هذا الذى أنكرتموه عليهم، وإن كان كبيرا، فما ارتكبتموه أنتم من الكفر بالله، والصد عن سبيله، وعن بيته، وإخراج المسلمين الذين هم أهله منه، والشرك الذى أنتم عليه، والفتنة التي حصلت منكم به أكبر عند الله من قتالهم في الشهر الحرام، وأكثر السلف فسروا الفتنة ههنا بالشرك، كقوله تعالى: ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ ﴾[من سورة البقرة، الآية:193]ويدل عليه قوله تعالى: ﴿ ثُمَّ لَمْ تَكُن فِتْنَتُهُمْ إِلَّآ أَن قَالُواْ وَٱللَّهِ رَبِّنَا مَا كُنَّا مُشْرِكِينَ ﴾[من سورة الانعام، الآية:23] أي: لم يكن مآل شركهم، وعاقبته وآخر أمرهم، إلا أن تبرؤوا منه وأنكروه. وحقيقتها: أنها الشرك الذى يدعو صاحبه إليه، ويقاتل عليه، ويعاقب من لم يفتتن به، ولهذا يقال لهم وقت عذابهم بالنار وفتنتهم بها:﴿ذُوقُواْ فِتْنَتَكُمْ﴾[من سورة الذاريات، الآية:14] قال ابن عباس: تكذيبكم، وحقيقته: ذوقوا نهاية فتنتكم، وغايتها،

ومصير أمرها.."(ابن القيم الجوزية،د.ت: 3/155-154).لقد حكم الله سبحانه بين أوليائه وأعدائه بالعدل والإنصاف، فلم يبرئ أولياءه من ارتكاب الإثم بالقتال في الشهر الحرام، بل أخبر أنه كبير، لكن ما عليه أعداؤه المشركون أكبر وأعظم من مجرد القتال في الشهر الحرام، فهم الأجدر بالذم والعيب والعقوبة، لا سيما وأن أولياؤه كانوا متأولين في قتالهم ذلك، أو مقصرين نوع تقصير يغفره الله لهم بحق ما فعلوه من التوحيد والطاعات، والهجرة مع رسوله، وإيثار ما عند الله(ابن القيم الجوزية،د.ت: 3/157).

المواقف المتناقضة من مونتجومري تجاه نية الرسول ﷺ في خرق الشهر الحرام:

يقول مونتجومري وات: "وإذا افترضنا أن محمدا كان في نيته خرق الشهر الحرام (وإن كان ذلك غير ثابت) فإنه لا يعني أنه كان يفكر بارتكاب أمر معيب أو غير مشرف، فلقد كَانَ طَابَعُ شَهْرِ رَجَبِ الْمُحَرَّمِ مُرْتَبِطًا بالديانة الجاهلية التي كان محمد يحاربها. ولهذا كان خرق الشهر الحرام كتحطيم الاصنام"(مونتجومري وات، د.ت: 13) وعلى النقيض من ذلك تماما يؤكد:"وشيء آخر ثابت وهو أن محمدا لم يكن يعبأ كثيرا بالقتال في الأشهر الحرم، ولكن كان عليه أن يحترم معتقدات قسم كبير من أصحابه، وأن يتجنب ما ينشأ عن ذلك من صدى يهدد سلطته كنبي"(مونتجومري وات، د.ت: 16).وعندما نتأمل في مضمون هذين النصين يظهر لنا التناقض وغياب الحقيقة العلمية المجردة، وكأنه لا علاقة بين النصين، علما أن ما بين النص الأول والثاني بضع صفحات. فالنص الأول ينفي أن يكون في نية الرسول ﷺ خرق الشهر الحرام، بينما النص الثاني يؤكد أن الرسول ﷺ لايعبأ بالقتال في الأشهر الحرم. وبالتالي فالنص الثاني الذي يرتد عن مضمون النص الأول وينسخه يظهر ما تبطن من حطام النزعة الاستشراقية لذا كاتبنا الذي استيقظ من غفوته وقام بتصحيح خطه التحريري، الذي يتمثل في التلبيس والتشبيه على شخص الرسول ﷺ. وعندما تغيب الحقيقة العلمية المجردة تظهر هكذا أوجه التناقض والتذبذب في المواقف.

شبهة حول تردد الرسول ﷺ قبول خمس الغنيمة:

ومن الشبه التي أثارها مونتجومري وات وهي شبهة تردد الرسول ﷺ في قبول خمس الغنيمة حيث قال:"ولكن ماذا نقول عن تردد محمد في قبول خمس الغنيمة؟ إذ لا يعقل أن يتخلى عن أصحابه أو يخشى قريش"(مونتجومري وات، د.ت: 14). السؤال الذي يطرح نفسه أين هي المصادر التي تتحدث عن تردد الرسول ﷺ في قبول الخمس ؟! هذا من جهة، ومن جهة ثانية أقول بأن للرد على هاته الشبهة هناك مسلكان، المسلك الأول: لنفترض جدلا أن الرسول ليس برسول، وإنما هو مجرد متنبئ أو مدع للرسالة، في هاته الحالة لن يتردد في قبول خمس الغنيمة، وأما الفعل الجلل الذي أقدم عليه أصحابه من انتهاكم لحرمة الأشهر الحرم فيمكن أن يجد له مسوغات وجودية، كحالة الدفاع الشرعي عن النفس، خاصة وأن الأطراف في حالة شنآن وأن العلاقة غير

ودية، كما يمكن أن يفسر الحادث بالدفاع عن الأمن القومي بلغة العصر. والمسلك الثاني يتجلى في أن موقف الرسول ﷺ دليل من دلائل نبوته، ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ (3) إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَىٰ (4)﴾[من سورة النجم، الآية: 3-4]. وخلق عظيم من أخلاق الأنبياء والمرسلين الذين من قيمهم السامية أن شرف الغاية من شرف الوسيلة. وليست كقيم الغرب الذي يدين بالغاية تبرر الوسيلة. والرسول ﷺ علم أن أصحابه قاموا بفعل جلل، فانتظر السماء أن تقول كلمتها، وهو ما حدث بالفعل حيث نزل الوحي الفيصل في المسألة.

المحور الخامس : معركة بدر

إثارة الشبه حول موقف الأنصار من غزوة بدر:

جاء في صدد الحديث عن المقدمات الممهدات لمعركة بدر أن قال مونتجومري وات"ويقولون بأن الأنصار لم يتعهدوا بالدفاع عن محمد إلا داخل أراضي المدينة"(مونتجومري وات، د.ت: 19). جاء في بيعة العقبة الثانية حسب ما قال البراء بن معرور "والذي بعثك بالحق لنمنعنك مما نمنع منه أُزُرَنَا فبايعنا يا رسول الله فنحن والله أبناء الحروب وأهل الحلقة ورثناها كابرا عن كابر"(ابن هشام،1990: 89/2). وقول العباس بن عبادة بن نضلة وهو الشاهد عندي" والذي بعثك بالحق لئن شئت لنميلن غدا على أهل منى بأسيافنا، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم «لم نؤمر بذلك ولكن ارجعوا إلى رحالكم»"(الطبري، د.ت: 365/2، انظر ابن هشام،1990: 94/2). ترى هل منى توجد داخل أراضي المدينة !! والقول الفصل في المسألة هو "حدثنا أبو بكر بن شيبة حدثنا عفان حدثنا حماد بن سلمة عن ثابت عن أنس أن رسول الله ﷺ شاور حين بلغه إقبال أبي سفيان قال: فتكلم أبو بكر فأعرض عنه، ثم تكلم عمر فأعرض عنه، فقام سعد بن عبادة فقال: إيان تريد يا رسول الله، والذي نفسي بيده لو أمرتنا أن نخيضها البحرَ لأخضنها، ولو أمرتنا أن نضرب أكبادها إلى برك الغماد لفعلنا"(النووي،2001: 462/12).

تاريخ معركة بدر:

حسب مونتجومري "تاريخ المعركة هو السابع عشر أو التاسع عشر أو الواحد و العشرون من شهر رمضان من السنة الثانية للهجرة الموافق 13 أو 15 أو 17 آذار سنة 622م"(مونتجومري وات، د.ت: 19). قد يظهر للبعض أن الكلام عادي. لكن في تصوري أنه غير عادي لأنه يشكك في معركة من أهم المعارك في تاريخ الامة الإسلامية ألا وهي معركة بدر التي سماها القرآن بيوم الفرقان، وهو يوم بدر الذي فرق الله به فيما بين الحق والباطل، حيث أظهر الحق وأبطل الباطل(السعدي، 2003: 333). وبالتالي فالدارس لكتاب مونتجومري وات محمد في المدينة قد يعتقد أن الأمة التي يتكلم عنها الكاتب لها تاريخ محرف غير منضبط ومدعاة للشك خاصة عند أهم المراحل التاريخية وأعظمها.

جاء في مسند الإمام أحمد "عن بن عباس أنه قال: إن أهل بدر كانوا ثلاث مائة وثلاثة عشر رجلا وكان المهاجرون ستة وسبعين وكان هزيمة أهل بدر لسبع عشرة مضين يوم الجمعة في شهر رمضان"(أحمد،1995:

27/3). وهو تاريخ المعركة ذاته الذي ذهب اليه الإمام الذهبي(الذهبي، 1990: 57/1).وابن خياط في تاريخه (بن خياط،1985: 58).وابن عبد البر(ابن عبد البر،1966:114). وقتل من المشركين سبعون (ابن عبد البر،1966: 118)-عوض العدد التقريبي الذي ذهب إليه مونتجومري بين 45و70(مونتجومري وات، د.ت: 20)-والأسرى مثل ذلك (ابن عبد البر،1966: 120).

شبهات حول أسرى بدر وكيف تعامل الهدي النبوي معهم:

أكد مونتجومري بأنه "حدث في بدر أن جاء مسلم بأسير، فرآه جماعة من المهاجرين الذين كانوا يكرهونه فوثبوا عليه وقتلوه. وهكذا ضاعت الفدية على الرجل الذي أسره. وقد وضع محمد حدا لهذه الأعمال . وكانت سياسته عامة أن يحتفظ بالأسرى حتى دفع الدية، أما الذي كانوا من قبيلته أو كانت تربطهم علاقة ما بالمسلمين، وكذلك الذين لم يكونوا متنفذين ولا أغنياء تدفع دياتهم، فكان يطلق سراحهم بدون دفع الدية. ولقد أخذ يدرك أهمية اكتساب قلوب المكيين بالنسبة إليه. واستثني عقبة بن أبي مؤيت من سياسة اللين هذه، فقتل بسبب عدائه القديم لمحمد لأنه نظم هجاء فيه. كما قتل النفير بن الحارث الذي كان قد أعلن أن قصصه عن الفرس تساوي قصص القرآن"(مونتجومري وات، د.ت: 20-21).

تفنيد الشبه حول معاملة الأسرى والميز في افتدائهم:

تعد معاملة الأسرى بالحسنى من صميم الدين الإسلامي قال تعالى:﴿وَيُطْعِمُونَ ٱلطَّعَامَ عَلَىٰ حُبِّهِۦ مِسْكِينًا وَيَتِيمًا وَأَسِيرًا (8) إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ ٱللَّهِ لَا نُرِيدُ مِنكُمْ جَزَآءً وَلَا شُكُورًا (9) إِنَّا نَخَافُ مِن رَّبِّنَا يَوْمًا عَبُوسًا قَمْطَرِيرًا (10)﴾[من سورة الانسان، الآيات: 8-10]. وإطعام الأسير المشرك يكون قربة إلى الله تعالى، إلا أنه من صدقة التطوع، فأما المفروضة فلا(القرطبي، 460/2006:21). إن المتأمل في الهدي النبوي تجاه الأسرى يجده أكثر تقدما حتى من القوانين المعاصرة "عن أبي عزيز بن عمير أخي مصعب بن عمير قال: كنت في الأسرى يوم بدر فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «استوصوا بالأسارى خيرا ». وكنت في نفر من الأنصار فكانوا إذا قدموا غداءهم وعشاءهم أكلوا التمر وأطعموني البر لوصية رسول الله ﷺ. رواه الطبراني في الصغير والكبير وإسناده حسن"(الهيثمي، د.ت: 86/6). وقد جاء في مغازي الواقدي الذي يعد من مصادر مونتجومري وات حيث قال "أبو العاص بن الربيع: كنت مع رهط من الأنصار جزاهم الله خيرا، كنا إذا تعشينا أو تغدينا آثروني بالخبز وأكلوا التمر، والخبز معهم قليل والتمر زادهم، حتى إن الرجل لتقع في يده الكسرة فيدفعها إلى. وكان الوليد بن الوليد بن المغيرة يقول مثل ذلك ويزيد: وكانوا يحملوننا ويمشون"(الواقدي،1984: 119/1).

وهذا ما أكدته اتفاقية جنيف المؤرخة في 12 أغسطس 1949 خاصة في المادة 26 "تكون جرايات الطعام الأساسية اليومية كافية من حيث كميتها ونوعيتها لتكفل المحافظة على صحة أسرى الحرب في حالة جيدة ولا

تعرضهم لنقص الوزن أو اضطرابات العوز الغذائي. ويراعى كذلك النظام الغذائي الذي اعتاد عليه الأسرى.."(نعمان عطا الله الهيتي، 2015: 368).

واتهام الرسول عليه السلام بازدواجية المعايير والمحاباة في تدبير مسألة الأسرى كذب وبهتان وإذا كان الأمر كذلك كان من الأولى أن يكون تجاه عمه العباس بن عبد المطلب"عن ابن عباس قال: كان الذي أسر العباس بن عبد المطلب أبو اليسر بن عمرو وهو كعب بن عمرو أحد بني سلمة فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم: كيف أسرته يا أبا اليسر؟ قال: لقد أعانني عليه رجل ما رأيته بعد ولا قبل هيئته كذا هيئته كذا قال: فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «لقد أعانك عليه ملك كريم». وقال للعباس:«يا عباس افد نفسك وابن أخيك عقيل بن أبي طالب ونوفل بن الحارث وحليفك عتبة بن جحدم أحدبني الحارث بن فهر». قال: فإني كنت مسلما قبل ذلك وإنما استكرهوني قال: «الله أعلم بشأنك إن يك ما تدعي حقا فالله يجزيك بذلك فأما ظاهر أمرك فقد كان علينا فافد نفسك». وقد كان رسول الله صلى الله عليه وسلم قد أخذ معه عشرين أوقية ذهب فقال: يا رسول الله احسبها لي من فدائي قال: « لا ذلك شيء أعطانا الله منك». قال: فإنه ليس لي مال قال: « فأين المال الذي وضعته بمكة حين خرجت عند أم الفضل وليس معكما غيركما أحد؟ فقلت: إن أصبت في سفري هذا فللفضل كذا ولقثم كذا ولعبد الله كذا». قال: فوالذي بعثك بالحق ما علم به أحد من الناس غيري وغيرها وإني أعلم أنك رسول الله رواه أحمد وفيه راو لم يسم وبقية رجاله ثقات"(الهيثمي،د.ت: 6/85-86).

و كذلك بعثت زينب بنت رسول الله ﷺ في فداء زوجها أبي العاص بن الربيع "عن عائشة زوج النبي صلى الله عليه وسلم قالت: لما بعث أهل مكة في فداء أسرائهم بعثت زينب بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم في فداء أبي العاص بن الربيع بمال، وبعثت فيه بقلادة لها كانت خديجة أدخلتها بها على أبي العاص حين بنى عليها. قالت فلما رآها رسول الله صلى الله عليه وسلم رق لها رقة شديدة وقال إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا فقالوا نعم يا رسول الله فأطلقوه وردوا عليها الذي لها"(الطبري، د.ت: 2/468).

نلاحظ كيف يلتمس الرسول ﷺ-برغم مكانتها الدينية والسياسية- من أصحابه أن يطلقوا صهره وأن يردو لابنته الذى لها، ويقول لهم «إن رأيتم أن تطلقوا لها أسيرها وتردوا عليها الذي لها فافعلوا»، وهذا درس بليغ ومنهج قويم في تدبير الشأن السياسي؛ حيث جعل الإسلام الحاكم أجيرا لدى الأمة وليس بمصيطرعليها. وعلم الرسول ﷺ أن الأحكام تجري على الجميع فالتمس ولم يجبر أحدا. فماذا ياترى لو قعت هاته الواقعة في واقعنا المعاصر هل يلتمس الحاكم أو رئيس الدول شيئا من أحد؟!

والأسرى الذين لا يجدون فداء كانوا يعلمون أطفال الأنصار"حدثنا علي بن عاصم قال: قال داود حدثنا عِكْرِمة عن ابن عباس قال: كان ناس من الأسرى يوم بدرٍ لم يكن لهم فداءٌ، فجعل رسول الله - صلى الله عليه وسلم - فداءَهم أن يعلموا أولاد الأنصار الكِتابةَ"(أحمد، 1995: 3/20).

و فيما يتعلق بالأسرى الذين قتلوا فهما النضر بن الحارث وعقبة بن أبي معيط وهما من أشد أعداء الله وأعداء الرسول وأعداء الإسلام والمسلمين لعنهما الله "قال ابن إسحاق: حتى إذا كان رسول الله صلى الله عليه وسلم بالصفراء قتل النضر بن الحارث، قتله علي بن أبي طالب كما أخبرني بعض أهل العلم من أهل مكة، ثم خرج حتى إذا كان بعرق الظبية قتل عقبة بن أبي معيط.قال ابن إسحاق: فقال عقبة حين أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بقتله: فمن للصبية يا محمد؟ قال «النار» وكان الذي قتله عاصم بن ثابت بن أبي الاقْلَح أخو بني عمرو بن عوف، كما حدثني أبو عبيدة بن محمد بن عمار بن ياسر. وكذا قال موسى بن عقبة في مغازيه وزعم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يقتل من الاسارى أسيرا غيره. قال ولما أقبل إليه عاصم بن ثابت. قال: يا معشر قريش علام أقتل من بين من ههنا؟ قال على عداوتك الله ورسوله.وقال حماد بن سلمة، عن عطاء بن السائب عن الشعبي قال: لما أمر النبي صلى الله عليه وسلم بقتل عقبة قال: أتقتلني يا محمد من بين قريش؟. قال: « نعم ! أتدرون ما صنع هذا بي؟ جاء وأنا ساجد خلف المقام فوضع رجله على عنقي وغمزها، فما رفعها حتى ظننت أن عيني ستندران، وجاء مرة أخرى بسلى شاة فألقاه على رأسي وأنا ساجد، فجاءت فاطمة فغسلته عن رأسي» قال ابن هشام ويقال بل قتل عقبة علي بن أبي طالب فيما ذكره الزهري وغيره من أهل العلم.قلت: كان هذان الرجلان من شر عباد الله وأكثرهم كفرا وعنادا وبغيا وحسدا وهجاء للإسلام وأهله لعنهما الله وقد فعل"(بن كثير، 1997: 5/189-188).

خاتمة:

وختاما أعتقد بأنه لا فرق بين الاستشراق الهادم والاستشراق المادح، فكلاهما خطر على الأمة الإسلامية، والثاني أشد خطرا وفتكا، نظرا لكونه حافلا بالمغالطات والشبهات خاصة وأن المهتمين بالدراسات الاستشراقية أساتذة باحثون، ولا يمكن أن يتم كشفهم إلا من نظرائم من حماة الشريعة وحراس العقيدة، وقد تضمن الفصل الأول من كتاب محمد في المدينة لمونتجومري وات العديد من المغالطات والتشكيكات والشبهات، سواء حول الأحداث أو حول الأشخاص، كما أن كاتبنا لم يكن محايدا بتاتا، وبسبب غياب الموضوعية العلمية المجردة وقع في التناقض البين. ومن يعتقد أن كاتبنا يعد من أهل الإنصاف ومن المادحين للشريعة الإسلام ولرموزها فهاته الدراسة حاولت الكشف عن زيف هذا الاعتقاد.

لقد اهتمت الدراسة بالفصل الأول فقط من كتاب محمد في المدينة لمونتجومري وات، والكتاب يتضمن عشرة فصول لهذا حبذا لو اهتم الباحثون بالفصول المتبقية من الكتاب، وذلك من أجل استجلاء مدح وانصاف مونتجومري وات للإسلام إن وجد أو كشف الشبهات والمغالطات.

قائمة المراجع:

1. أحمد مختار عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة د علم الكتب. ط .1، 1429 هـ -2008م.
2. البخاري ،محمد بن إسماعيل بن إبراهيم الجعفي التاريخ الكبير د.ط، د.ت
3. البخاري، أبو عبد الله محمد بن إسماعيل بن إبراهيم، صحيح البخاري، ت. عبد الخالق محمود علام -دار الصبح للطباعة والنشر و التوزيع - أديسوفت الدار البيضاء، ط.3، 1426هـ - 2005م.
4. البهي محمد ، المبشرون والمستشرقون في موقفهم من الإسلام، مطبعة الأزهر.
5. بن حنبل احمد، مسند أحمد بن محمد بن حنبل، تح: أحمد محمد شاكر دار الحديث القاهرة . ط.1، 1416هـ- 1995 م.
6. بن خياط، أبو عمرو خليفة بن خياط، تاريخ خليفة بن خياط، تح د أكرم ضياء العمري دار طيبة - الرياض. ط .2 ، 1405هـ- 1985.
7. الذهبي، شمس الدين محمد بن احمد بن عثمان ،تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والاعلام، تح: دعمر عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي بيروت. ط.2، ت 1410هـ-1990م.
8. السعدي،عبد الرحمن بن ناصر، تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، دارالحديث القاهرة.1424هـ-2003م.د.ط.
9. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير ، تاريخ الطبري تاريخ الرسل والملوك، تح محمد أبو الفضل إبراهيم دار المعارف بمصرط.2.
10. الطبري، أبو جعفر محمد بن جرير، تفسير الطبري جامع البيان عن تأويل أي القرآن، حققه و علق حواشيه : محمود محمد شاكر راجعه و خرج أحاديثه: احمد محمد شاكر مكتبة ابن تيمية القاهرة، ط.2.
11. ابن العربي،أبو بكر محمد بن عبد الله ،أحكام القرآن تح: محمد عبد القادر عطا دار الفكر .
12. بن عبد البر،أبوعمريوسف بن عبد الله بن محمد ،الاستيعاب في معرفة الأصحاب، تح: علي محمد البجاوي دار الجيل بيروت. ط/1 1412هـ/1992م.
13. ابن عبد البر ،الدرر في اختصار المغازي والسير، تح: شوقي ضيف القاهرة. ت 1386 هـ -1966م.
14. العيني، بدر الدين أبي محمد محمود بن احمد ،عمدة القاري بشرح صحيح البخاري، تح عبد الله محمود محمد عمر كتاب العلم ط.1، ت 1421ه
15. بن القيم الجوزية شمس الدي أبي عبد الله محمد بن أبي بكر،زاد المعاد في هدي خير العباد، تح: عماد زكي البارودي خيرى سعيد المكتبة التوفيقية.د.ط، د.ت.

16.القرطبي، أبو عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر ، الجامع لأحكام القرآن و المبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان،تح: د عبد الله بن عبد المحسن التركي، محمد رضوان عرقسوي مؤسسة الرسالة ط.1، 1427 هـ/2006م.

17.بن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ، تفسير القرآن العظيم، تح : هاني الحاج المكتبة التوفيقية.د.ط، د.ت.

18.بن كثير، عماد الدين أبي الفداء إسماعيل ابن عمر ، البداية والنهاية تح: عبدالله بن عبد المحسن التركي هجر للطباعة والنشر.ط/1 1418هـ/1997م

19.مالك بن نبي، إنتاج المستشرقين وأثره في الفكر الإسلامي الحديث، دار الارشاد ط.1، 1388هـ - 1969م.

20.مونتجومري وات، محمد في المدينة، تعريب شعبان بركات، منشورات المكتبة العصرية -صيدا -بيروت.

21.مونتجمرى وات، محمد فى مكة، تر: د .عبد الرحمن الشيخ، حسين عيسى، مراجعة د. أحمد شلبى، الهيئة المصرية العامة للكتاب 2002 .

22.مصطفى خالدي، عمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية - صيدا – بيروت ط: 5 1973.

23.نجيب العقيقي، المستشرقون دار المعارف القاهرة.ط.5 ، 2006.

24.نعمان عطا الله الهيتي، القانون الدولي الإنساني في حالات الحروب والنزاعات المسلحة مؤسسة رسلان للطباعة و النشر و التوزيع . ت 2015

25.النووي، محيي الدين أبو زكريا يحي بن شرف، المنهاج في شرح صحيح مسلم بن الحجاج، المكتبة العصرية صيدا – بيروت، ط.1، 1422هـ-2001م.

26.النحاس، أبو جعفر أحمد بن محمد بن إسماعيل ، الناسخ والمنسوخ في كتاب الله عز و جل واختلاف العلماء في ذلك،د و تح : د. سليمان بن إبراهيم بن عبد الله اللاحم مؤسسة الرسالة ط.1، 1412ه-1991م.

27.ابن هشام، السيرة النبوية، تح: د عمر عبد السلام تدمري دار الكتاب العربي بيروت. ط. 3 ، 1410هـ/1990م.

28.الهيثمي، نور الدين علي بن أبي بكر ، مجمع الزوائد ومنبع الفوائد بتحرير الحافظين الجليلين : العراقي و ابن حجر، منشورات دار الكتاب العربي بيروت-لبنان.

29.الواقدي، أبو عبد الله محمد بن عمر بن واقد، كتاب المغازي للواقدي تح : مارسدن جونس بيروت-عالم الكتب، د.ط، د.ت.

الاكتساب اللغوي : مقاربة في النظريات المفسرة لعمية اكتساب اللغة

approach in theories, explains acquisition mechanism the language : linguistic acquisition

الباحث لغزال محمد / الدكتور عبد النور الحضري
مختبر اللغة والمجتمع، كلية اللغات والآداب والفنون – جامعة ابن طفيل – المغرب
البريد الإلكتروني : Laghzalmohamed2@gmail.com

ملخص الدراسة : نسعى في هذه الدراسة إلى تبيان مفهوم الاكتساب اللغوي باعتباره آلية من آليات تفعيل المكون التواصلي للغات الحية، إذن لا يمكن تحقيق التفاعل الإنساني دون اكتساب العنصر الأول المساهم في ذلك وهو اللغة، ثم سنحاول الإحاطة بالاكتساب اللغوي في التراث العربي القديم من خلال جرد مجموعة من الآراء والتصورات للنقاد العرب القدامى، ومقارنة هذه الآراء بنظيرها الغربي، حيث سنقف على مجموعة من النظريات الغربية التي توضح السلوك اللغوي وآلية اكتسابه خاصة النظرية اللغوية لشومسكي، معرفين بها وممثلين للنموذجين اللغوية 1957 و 1993، من خلال رصد مدى مساهمتها في فهم التصور النظري لاكتساب الإنسان للغة عموما، هذا وسنتطرق في ختام دراستنا هذه برصد العلاقة بين اكتساب اللغة والسياسة اللغوية، مبرزين مفهوم السياسة اللغوية، ومحاولين الكشف عن دور سياسة اللغة في اكتساب لغة دون أخرى ، آخذين بالسياسة اللغوية وتذبيرها في المغرب نموذجا .

الكلمات المفاتيح : الاكتساب اللغوي – النظرية اللغوية – النحو الكلي – التخطيط اللغوي – السياسة اللغوية

Abstract : In this study, we seek to clarify the concept of linguistic acquisition as a mechanism for activating the communicative component of living languages. Therefore, human interaction cannot be achieved without acquiring the first element contributing to this, which is language. Then we will try to understand linguistic acquisition in the ancient Arab heritage by inventorying a group of opinions And the perceptions of the old Arab critics, and comparing these views with their Western counterpart, where we will stand on a set of Western theories that explain linguistic behaviour and its acquisition mechanism, especially the linguistic theory of Chomsky, defining it and representing the linguistic models 1957 and 1993, by observing the extent of its contribution to understanding the theoretical perception of human acquisition of language Generally, At the end of our study, we will discuss the relationship between language acquisition and language policy, highlighting the concept of language policy, and trying to reveal the role of language policy in acquiring one language over another, taking language policy and its management in Morocco as an example.

Keywords : linguistic acquisition - linguistic theory – syntax Global - Language planning - language policy .

مقدمة :

ربطا للصلة بين موضوع الاكتساب اللغوي بالمواضيع السابقة: اللسانيات الاجتماعية، مناهج البحث وكذا الوضع اللغوي، نجد أن الاكتساب يتحدد باعتباره هو القدرة على امتلاك اللغة والتواصل بها، وهو الذي يفرز أشكالا لغوية متغيرة بتغير الوضع الاجتماعي والاقتصادي والسياسي والثقافي والأخلاقي والمهني للوسط الاجتماعي الذي ينتمي إليه الإنسان، مما يشكل أساس موضوع اللسانيات الاجتماعية المهتمة بدراسة هذه التغيرات، دراسة تتأسس على طرق منهجية لرصدها وكشف جدلية الاجتماعي واللغوي فيها، بشكل علمي وموضوعي، وذلك من أجل الكشف عن الأشكال التي تفرزها، في ضوء التجاور اللغوي المتغير من جهة، والمتنوع والمتعدد من جهة أخرى .

إذن، بناء على ما سلف، فإن الاكتساب اللغوي هو أساس ومدخل لفهم التغير اللغوي في اللسانيات الاجتماعية، في محاولة لفهم التباينات اللغوية، والتي تفرز أنظمة اجتماعية وعلائقية وثقافية وسياسية واقتصادية تتسم بالتباين والاختلاف .

سنحاول مقاربة موضوع الاكتساب اللغوي بعدة نظريات وآراء سواء في الفكر العربي أو الغربي، وقد تناولنا هذا البحث من خلال أربعة محاور، خصصنا المحور الأول لأصل اللغة محاولين الإجابة عن سؤال فطرية اللغة أم مكتسبة، في حين جعلنا المحور الثاني لتبيان المستوى الصوتي في اكتساب اللغة خاصة عند الطفل المغربي، أما المحور الثالث ففيه حديث عن العوامل المؤثرة في اكتساب اللغة باعتبار اللغة طاهرة اجتماعية تتأثر وتؤثر، والمحور الرابع والأخير ارتأينا أن نتحدث عن نظرة اللسانيات التوليدية للاكتساب اللغوي من خلال نموذجين أساسيين تظهر فيهما ملامح الفكر العربي خاصة عند ابن جنب وابن خلدون .

1- أصل اللغة هل هي فطرية في للبشر أم مكتسبة ؟ :

في خضم إجابتنا عن سؤال فطرية اللغة أم مكتسبة ، سنحاول عرض مجموعة من النظريات التي اهتمت بهذا الجانب من الفكر اللغوي الذي افتقدت له الدراسات زمنا طويلا، ودون تحيز في الإجابة عن السؤال سنتطرق إلى ذكر النظريات الغربية والنظريات التي أنتجها فركا العربي محاولا تبيان التفسير المنطقي والذاتي لظاهرة اللغة التي أولت لها الدرسات الفلسفية وقتا طويلا بالدراسة انطلاقا من محاورة كراتيل الأفلاطونية وصولا إلى سؤال الوجود عند هيكل.

1-1 آراء من تراثنا العربي في اكتساب اللغة :

سنحاول في هذا الصدد أن نتلمس بعض الآراء والأفكار المتفرقة لكوكبة من العلماء العرب الذين اهتموا بقضية تحصيل اللغة وامتلاكها.

- ابن خلدون (ت808ه) :

تناول ابن خلدون قضية اكتساب اللغة من منطلق ثابت مفاده أن اللغة ملكة طبيعية يكتسبها الإنسان حيث: " أن اللغات لما كانت ملكات، كان تعلمها ممكننا، شان سائر الملكات" ، فاللغة عبارة عن ميزة أو صفة إنسانية يكتسبها الإنسان بشكل متدرج غير مقصود، فتبدو هذه المقدرة وكأنها طبيعة وفطرة، "لأن الملكات إذا استقرت ورسخت في محالها ظهرت كأنها طبيعة وجبلة لذلك المحل" (ابن خلدون، 1929، ص3) ، فهو عندما يؤكد على أن الملكة اللسانية مكتسبة يميز بين نوعين من الاكتساب:

- ✓ الاكتساب من خلال الترعرع في البيئة وسماع لغتها: فالذي يعين الطفل على فتق لسانه هو الانغماس الكلي في وسط لغوي عفوي، فلو أننا هيئنا لأطفالنا مناخا عربيا فصيحا سنة واحدة أو أقل لرأيتهم لا يتكلمون إلا الفصحى، في مخرج الحروف والصيغ الصرفية والتركيب النحوي بلاغة وبيانا وأداء .
- ✓ الاكتساب أو التعلم بواسطة الحفظ والمران: لا بد من كثرة الحفظ ومداومة الاستعمال، وهذه هي وسيلة التعلم لدى الاوائل . ولابد أن ننتبه إلى ما ذكره ابن خلدون عندما اعتبر اللغة ملكة صناعية فقال في مقدمته:" أعلم أن اللغات كلها ملكات شبيهة بالصناعة..." (ابن خلدون، 1929، ص 3) .

إذن اكتساب اللغة عند ابن خلدون كما هو واضح من كلامه هو اكتساب للتراكيب الحاملة للمعاني والدالة على المقاصد .

- **ابن جني (ت 392) :**

ابن جني بقي محافظا على مبدأ أن اللغة بدأت بصورتها الصوتية السمعية، لأن "أصل اللغات كلها إنما هو من الأصوات المسموعات" (ابن جني، 1959، ص200) ؛ فمحاكاة الإنسان لأصوات الطبيعة "كذوي الريح وحنين الرعد وخرير الماء وشحيح البغل وهق الحمار ونعيق الغراب وصهيل الفرس ونزيب الظبي..." (ابن جني، 1959، ص123) ، هو وجه صالح ومذهب متقبل عنده، والذي يعنينا في كل هذا هو الوصول إلى حقيقة أن اللغة أصوات حتى نظهر العلاقة بين النطق والسماع، وأهميتها في تحصيل اللغة واكتسابها، وهو ما يجعلنا نميل إلى القول بالنظرية الصوتية في نشأة اللغة، دون أن نتجاهل الحاجة الماسة إلى التخاطب والتفاهم، والتعبير عما في النفس، والتي نراها من أهم الدوافع إلى نشأة اللغة الإنسانية بحيث اضطر الإنسان الأول للنطق بالألفاظ مستعينا في ذلك بحاسة السمع، كما اضطر قابيل (القاتل) أن يتعلم كيف يواري سوءة أخيه هابيل (المقتول) بعد أن استعان بحاسة البصر ، وقد صدق الله الذي أخرجنا من بطون امهاتنا لا نعلم شيئا، وجعل لنا السمع والأبصار والأفئدة.

- **ابن فارس (ت 395) :**

لم يعد هناك أدنى ريب ولاشك في أن اللغة تكتسب اكتسابا، فهي لا تولد مع الإنسان، وإنما الذي يولد معه هو الاستعداد لتعلمها فهي تؤخذ اعتيادا كالصبي..." (ابن فارس 1993، ص 123) ، ففي هذا النص يرشدنا ابن فارس الى طريقين لتحصيل اللغة واكتسابها وهما على النحو التالي :

- ✓ السماع العفوي: ونعني به عملية الاكتساب المباشر بموجب المنشأ .
- ✓ التلقين: حيث تؤخذ تلقنا من ملقن .

- **الإخوان الصفا :**

يظهر من خلال تعرضهم للاكتساب اللغوي اهتمامهم البالغ بهذه القضية التي جعلتهم يؤكدون على أفضلية الإنسان على ما سواه بقدرته على اكتساب اللغة وتعلمها، كما أنهم أشاروا إلى أثر البيئة في الفرد واكتسابه المعارف عامة، قائلين " وقل من يكون من الناس مخالفا لسيرة أبويه وأهله وأقاربه وعشيرته في صناعتهم..." (الإخوان الصفا، 2017، ص 165) ، فليس هناك سيرة ولا صناعة أعظم من اللغة، فالطفل السوي يتفاعل مع الأفراد المحيطين به في بيئته، فيسمع اللغة منهم ويحاول جاهدا بالاستعداد الفطري الغريزي الذي أودعه الله تعالى في الإنسان أن يقلدهم، فيمكنه ذلك من اكتساب اللغة وتعلمها . وقد أولى الإخوان اهتماما خاصا بحاسة السمع في اكتساب اللغة، حيث أكدوا أن الإنسان مع استماعه الأصوات، وتميزه بالنغمات يفهم معاني اللغات والأقاويل .

1-2 أهم النظريات الغربية المفسرة لعملية اكتساب اللغة :

اهتم عدد كبير من الباحثين الغربيين بتفسير اكتساب اللغة وتكوينها لدى الأطفال فتوصلوا إلى عدة نظريات وأفكار تفسر هذه العملية، وعلى العموم فإنه يمكننا إجمال هذه النظريات في ثلاث أقسام رئيسية هي :

- **نظرية التعلم (سكينر 1904-1990) :**

هذه النظرية مفادها أن اللغة يتم تعلمها بنفس الطريقة التي نتعلم بها أنواع السلوك الأخرى، إذ يرى أن اللغة " عبارة عن مهارة ينمو وجودها لدى الفرد عن طريق المحاولة والخطأ، ويتم تدعيمها عن طريق التعزيز والمكافأة " (صبري إبراهيم، 1989، ص 66) ..

إذن الأساس الذي تقوم عليه هذه النظرية هو التقليد والمحاكاة من الطفل لألفاظ الكبار، وهذا التقليد من الطفل لألفاظ الكبار هو تأكيد لعملية السماع .

- **النظرية المعرفية (بياجيه 1896-1960) :**

تقوم هذه النظرية على أساس التفريق بين الأداء والكفاءة، ويعارض فيها بياجيه فكرة تشومسكي في وجود نماذج موروثة تساعد على تعلم اللغة، كما أنها في نفس الوقت لا تتفق مع نظرية التعلم في أن اللغة تكتسب عن طريق التقليد والتدعيم لكلمات وجمل معينة ينطق بها الطفل في مواقف معينة " " (صبري إبراهيم، 1989، ص 66) . إلا أن الكفاءة لا تكتسب إلا " بناءا على تنظيمات داخلية تبدأ أولية ثم يعاد تنظيمها وفق تفاعل الطفل مع البيئة الخارجي". ويقصد بياجيه بالتنظيمات الأولية وجود استعداد لدى الطفل للتعامل مع الرموز اللغوية التي تعبر عن مفاهيم تنشأ من خلال تفاعل الطفل مع البيئة منذ المرحلة الأولى وهي المرحلة

الحسية الحركية. وعلى الرغم مما ذهب إليه بياجيه وهو يتكلم عن الكفاءة والأداء فإنه لم يسقط أهمية السماع في تحصيل اللغة.

- **النظرية اللغوية (تشومسكي 1928) :**

يطلق عليها في العالم العربي تسميات متعددة: كنظرية تحليل المعلومات، النظرية العقلية النفسية، النظرية التوليدية التحويلية، وكل هذه المسميات تدور فيما اسماه شومسكي بالقدرة اللغوية، أي: تلك القدرة والفطرة التي منحها الله سبحانه وتعالى للإنسان فاستطاع بها توليد عدد غير محصور من العبارات والتراكيب اللغوية.

فحسب هذه النظرية فإن الأفراد يولدون وهم يمتلكون اليات لاكتساب اللغة، لذلك فسر اكتساب اللغة على أساس وجود نماذج أولية للصياغة اللغوية لدى الأطفال تمكنهم من تحديد قواعد التركيب اللغوي في أي لغة من اللغات (شومسكي، 1972، ص 58) ، حيث إن هناك عموميات في التراكيب اللغوية تشترك فيها جميع اللغات، كتركيب الجمل من الأسماء والأفعال والصفات والحروف.

ويرى تشومسكي أن هذه العموميات هي التي تتشكل منها النماذج الأولية، وهي أولية بمعنى أن الطفل لا يتعلمها، بل تمثل لديه قدرة فطرية على تحليل الجمل التي يستعملها ثم تكوين جمل لم يسمعها مطلقا من قبل، وقد يفعل الطفل ذلك بشكل صحيح تماما من البداية، وإما بشكل يكون على الأقل مفهوما ومقبولا من ناحية الاخرين.

وقد توصل شومسكي في تفريقه بين الإنسان والحيوان من ناحية اللغة إلى فكرة تسمى (الفطرية اللغوية) في ذهن الإنسان والحيوان، فالإنسان غير السوي فضلا عن الذكي القادر يستطيع إنتاج جمل والتعبير عما في نفسه، في حين أكثر الحيوانات لا تستطيع ذلك مما جعل شومسكي يزداد تمسكا بهذه الفكرة في نظريته . وقد استدل شومسكي على هذا " بأن الطفل يمتلك قدرات فطرية تساعده على تقبل المعلومات اللغوية، وعلى تكوين بنا اللغة خلالها، وهذا يعني أنه مهيأ بطريقة أو بأخرى لأن يكون قواعد لغته الأم من خلال الكلام الذي يسمعه " (شومسكي، 1972، ص 55) ، أو أن يمتلكه بطريقة لا شعورية القواعد التي تكمن ضمن المعطيات التي يتعرض لها . ويمكن أن نفهم أن النمو اللغوي عند الطفل في وجه نظر شومسكي يعني " أن عملية الاكتساب اللغوي لا تستند إلى الذكاء أساس لها إذ يستطيع أشد الناس غباء أن يعبر عما يريد، بغض النظر عن سطحية المعنى أو عمقه، في حين لا نجد ذلك عند بهيمة عالية الذكاء " (ميشال زكريا، 1980، ص 67) .

وقد قادته هذه الفرضية إلى فرضية أخرى تتعلق بها وهي أن هذه الفطرية الذهنية قائمة على عدد من الكليات النحوية (القواعد الكلية) التي تقوم بضبط الجمل وتنظمها بقواعد وقوانين لغوية عامة تخضع لها الجمل التي ينتجها المتكلم، حيث يختار ما يتصل بلغته من قوالب وقواعد من بين الأطر الكلية العامة في ذهنه، التي هي كلية شمولية عالمية متساوية عند بني البشر، تكون في الإنسان منذ ولادته، ثم يقوم بملئها بالتعابير اللغوية من

المجتمع الذي يعيش فيه، فتتضح وتقوى بالتدريج، وكلما اكتسب الإنسان ما يملأ به هذه الكليات الفطرية ازداد النمو الداخلي التنظيمي للقواعد الكلية في ذهنه في جزئيه منها، وهي تلك المسؤولة عن توليد الجمل وبنائها، حتى أصبح الموضوع الأساس في الدراسة اللغوية عند شومسكي هو(المعرفة) التي يمتلكها اباء اللغة، التي تمكنه من إنتاج الجمل وفهمها، وهذه المعرفة تسمى (القدرة)، بينما " رفض شومسكي أن دارس اللغة طفلا كان أو راشدا يبدأ بتعلم اللغة وذهنه صفحة بيضاء ينقش عليها النماذج اللغوية التي يتعلمها وعند الحاجة يلجأ إلى ذلك المخزون ويختار النماذج التي تناسب المقام، وإنما ذهب إلى أن الطفل يكتسب لغته الأم عن وعي وإدراك حتى في سنه المبكر (صبري إبراهيم، 1989، ص 66) .

- **النظرية التوليدية التحويلية :**

إذا تمعنا في مفهوم ابن خلدون الذي ذُكر أعلاه حول الملكة اللغوية سنجد أنها تقارب شيئا ما ملكة اللغة عند شومسكي، يقول ابن خلدون " اعلم أن اللغة في المتعارف هي عبارة المتكلم عن مقصوده ، وتلك العبارة فعل لساني لا بد أن تصير ملكة مستقرة في العضو الفاعل لها هو اللسان وهو في كل أمة بحسب اصطلاحاتهم..." (ابن خلدون 1929، ص54) ، كأن الملكة عند ابن خلدون شيء متغير يسير إلى الاستقرار. إذا صح هذا التحليل يمكن أن نقارب به مفهوم شومسكي للنحو كبرنامج نشوئي ذهني ينمو عبر حالات .

- الحالة الأولى : حالة بدئية محددة عضويا تمر أثناء النمو الطبيعي حتى تصل إلى الاستقرار النسبي، وتبدو الحالة الأولى حسب شومسكي موحدة عند النوع البشري، وهي ما يصطلح عليه في النظرية التوليدية بالنحو الكلي univers of grammar، (chomsky 1995 .p14) .
- الحالة الثانية : حالة الاستقرار حيث يستقر النحو عند كل شخص أو عشيرة لغوية بحسب التواضعات المتفق عليها، وهي ما يصطلح عليه في النظرية التوليدية بالنحو الخاص.

انطلاقا من هاتين الحالتين يمكن القول : " إن النحو التوليدي ينبني على مرحلتين ، أولا نحو كلي نشوئي أولي تعمل ظروف التجربة على فرز معالمه وتهذيبه ليسفر عن حالة ثانية خاصة بنموذج نحوي مستقر نسبيا ". (chomsky. 1980 .p234 . ترجمة محمد المدلاوي) . إذن فما هي هذه النظرية التوليدية التحويلية التي غيرت مفهوم النحو ولخصته في مرحلتين ؟ وكيف نظرت للاكتساب اللغوي عند الإنسان المثالي؟ وكيف فسرت اكتساب الشخص للنطق الفعلي السليم للكلمات والجمل؟ هي أسئلة من ضمن أخرى سنحاول الإجابة عنها من خلال نموذجين أساسيين:

1- نموذج شومسكي ((Naom chomsky التوليدي التحويلي 1957 .
2- نموذج المفاضلة لبرانس وسمولنسكي (Prince and smolensky) 1993.

- **النموذج الأول :**

انطلاقا من كتاب شومسكي " البنى التركيبية 1957 "، لم يعد مفهوم النحو هو التقليدي الذي يرمي إلى ضبط اللغة ليستعملها المتكلم استعمالا سليما...، بل أصبح مجموعة من القواعد الكامنة في ذهن المتكلم الراسخة والمكتسبة من محيطه الاجتماعي منذ الطفولة والتي تمكنه من اكتساب لغات أخرى، كما تمكنه من إنتاج جمل جديدة لم يسمعها من قبل . وقد انبنت النظرية التوليدية التحويلية على عدة مفاهيم شأنها شأن كل النظريات، ومن بين هذه المفاهيم نجد :

ـ **التوليـــد** : هو القدرة على إنتاج غير محدود من الجمل انطلاقا من عدد محدد ومحصور من القواعد في كل لغة وفهمها وتمييزها عما هو غير سليم نحويا .

ـ **التحويل** : هو عملية نحوية تجري على سلسلة تملك بنية نحوية وتنتمي إلى سلسلة جديدة ذات بنية مشتقة (شوسكي 1969، ص 100.)، والمقصود بهذا الكلام هو أن التحويل علاقة تربط بين تمثيلين أول مجرد باطني مشترك عند جميع البشر..(بنية عميقة)، وتمثيل ثاني مشتق خاص بكل عشيرة لغوية..(بنية سطحية). فالربط بين هاذين التمثيلين الباطني والظاهري هو التحويل.

تبسيطا نحاول إعطاء مثال حول البنية العميقة المشتركة عند جميع البشر والبنية السطحية الخاصة بكل عشيرة لغوية .

اسم ـ حرف ـ فعل

في اللغة العربية : يلعب محمد في المدرسة
في اللغة الفرنسي : mohamed jouer à l'école
في اللغة الإنجليزية: mohamed power of school
في اللغة العبرية : .....
في اللغة الصينية : .....

ـ **البنية العميقة** : هي تركيب باطني مجرد موجود في ذهن المتكلم وجودا فطريا، وهي أول مرحلة من عملية إنتاج الجمل ..، بعبارة أخرى هي تركيب ظاهري مستتر يحمل عناصر ومكونات تسمح بإنتاج جمل وعبارات وكلمات عالمية (شوسكي 1971، ص 75. ترجمة حفيضي محمد) .

ـ **البنية السطحية** : هي التركيب التسلسلي السطحي للوحدات الكلامية المادية المنطوقة أو المكتوبة، إنها التفسير الصوتي للجمل (المرجع نفسه) .

الصورة العامة للنحو في نموذج 1965 [1].

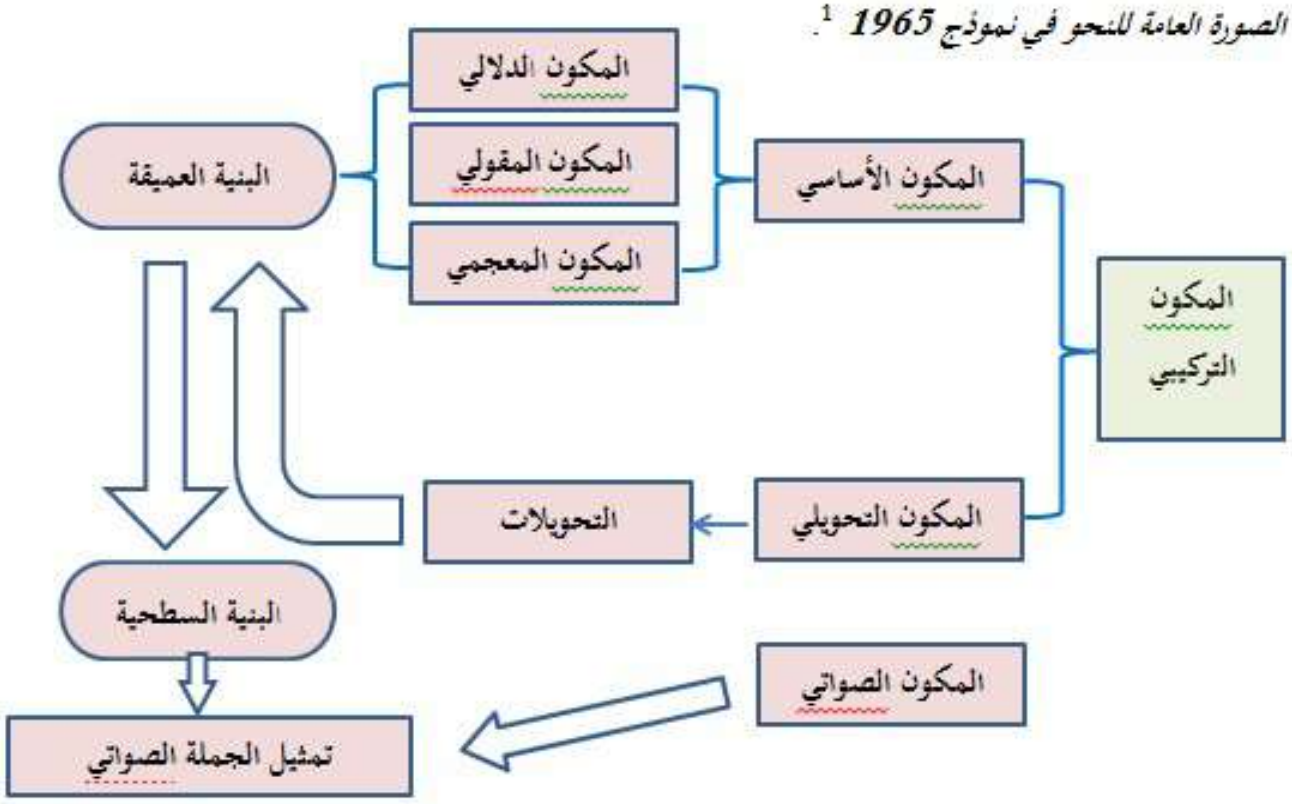

كملاحظة أولية لنموذج شوسكي 1957 يبدو أنه جعل النحو جهاز ذي مكونات هذه المكونات نقرأها كالتالي :

- **المكون التركيبي** : هو المكون التوليدي الوحيد الذي يصف البنية العميقة للجمل ويحدد عناصرها المؤلفة، أي هو مكون وصفي يرسم معلومات حول بنية الجملة اعتمادا على وسائل محددة (جهاز توليد الجمل عن طريق تركيب الكلمات) .
- **المكون الأساسي** : هو مكون يحتوي على ثلاثة مكونات فرعية كل واحد منها تناط به وظيفة يؤديها داخل المكون التركيبي .
- **المكون المقولي** : يحتوي على مجموعة من المقولات توجد في كل اللغات الطبيعية، أي مشتركة بين اللغات تسمى بقواعد إعادة الكتابة (حرف ـ فعل ـ إسم ـ مركب إسمي ـ مركب حرفي ...) .
- **المكون المعجمي** : يحتوي على مداخيل معجمية، كل مدخل معجمي يحتوي على سمات دلالية مشتركة بين البشر (+حي + حيوان -مشترك +عاشب ...) .

- **المكون الدلالي :** يقوم بتخصيص معنى شامل لكل تركيب، انطلاقا من الدلالات الفردية للمورفيمات التي تؤلفه، إذ يتناول هذا المكون التراكيب التي يولدها المكون المقولي والمعجمي ويخصصها بتمثيل دلالي (أي بنية صورية في الذهن)،

- **المكون التحويلي :** يحتوي هذا المكون على مجموعة من التحويلات التي تتغير عندما يريد الشخص نطق جملة مختلفة عن سابقتها. مثلا عندما نريد نطق جملة " زيد في المنزل يلعب " يعمل المكون المقولي على وضع القواعد التالية (مركب اسمي ـ مركب حرفي ـ مركب إسمي ـ مركب فعلي)، وعندما نلجأ إلى نطق جملة أخرى مثال " يلعب زيد في المنزل " تعمد التحويلات إلى تغيير المقولات السابقة حسب الجملة المراد نطقها (مركب فعلي ـ مركب إسمي ـ مركب حرفي ـ مركب فعلي) " أنظر شومسكي 1965 " .

- **المكون الصواتي :** يقوم هذا المكون بتخصيص كل تركيب لغوي بنطق خاص انطلاقا من لفظ كل وحدة صوتية على حد، بتعبير آخر هو جهاز يسند للكلمات المولدة والجمل أشكالها الصوتية وهو يختلف عند كل شخص.

تماشيا مع ما ورد أعلاه يمكن القول: إن إجابة شومسكي عن سؤال كيف يكتسب الشخص النطق الفعلي للكلمات والجمل ؟ جعلت منه يَوجد نموذجا نحويا ذا مكونات تفسر كيفية الاكتساب. لكن العيب الذي يمكن العثور عليه في هذا النموذج ـ أنه اتخذ مكونات النحو منفصلة فيما بينها، ـ أي كل مكون له وظيفة ودور ـ ، في حين نجد نموذجا آخر حاول الإجابة عن نفس السؤال بواسطة دمج كل تلك المكونات لتصبح جهازا توليديا واحدا يعتمد على أصناف من القيود تعكس عمل مختلف مكونات النحو. هذا النموذج هو المفاضلة .

- **النموذج الثاني :**

عرف الباحثان برانس و سمولنسكي في أعمالهم نظرية المفاضلة بأنها " جهاز نحوي ذو مستوى تمثيلي واحد يقترن فيه كل دخل بلائحة من الخروج الممكنة، وكل خرج يعتبر مرشحا ليكون الخرج الأفضل الذي يترجم إلى نطق فعلي صواتيا، وتخضع كل تلك الخروج المرشحة لفحص تقويمي يحتوي على قيود كلية أو خاصة بكل عشيرة لغوية، فتنتقي منها الخرج الأكثر صونا وإرضاء للقيود التي تتوفر عليها كل لغة " .

الملاحظ أن نموذج المفاضلة جعل من مكونات النحو مندمجة فيما بينها غير منفصلة، ووضع مجموعة عناصر تناط بها توليد البنيات التركيبية، هذه العناصر هي :

1. **الدخل** : هو مجموع الأصوات التي تبنى بها الكلمات والجمل في لغة من اللغات أو لهجة من اللهجات، أي بنية من المقولات التي تقوم عليها .

2. **المولد** : هو مكون تناط به مهمة التوليد (هذا المكون يقابل المكون التركيبي بكل عناصره في نموذج شومسكي 1957) ، وهو غير مقترن بقيود إنما يولد كل الخروج الممكنة انطلاقا من الدخل (price and smolensky 1993. P43).

3.**المقوم** : هم نظام من القيود المتفاعلة ، تناط بها مهمة مفاضلة الخروج المرشحة وانتقاء المرشح الذي يصون تلك القيود التي تختلف من لغة لأخرى ، ومن لهجة لأخرى . (المرجع نفسه)

4.**قيود متفاعلة** : هي مجموع القواعد التي توجد في كل بنية لغوية سواء كانت لغة أو لهجة، والتي تنبني على قواعد صواتية و صرافية و تركيبية ودلالية...، أي التي تعمل على توليد بنية غير لاحنة .

5.**خرج أفضل** : هو البنية اللغوية التي تنطق في التمثيل الصواتي الأخير ويستطيع الآخر فهمها واستيعابها لأنها تتماشى مع قيود لغته أو لهجته ..

وللتوضيح أكثر نضع الصورة العامة للمفاضلة وكيف تشتغل نحويا لتفسير كيفية النطق الفعلي للكلمات والجمل الغير اللاحنة كالتالي :

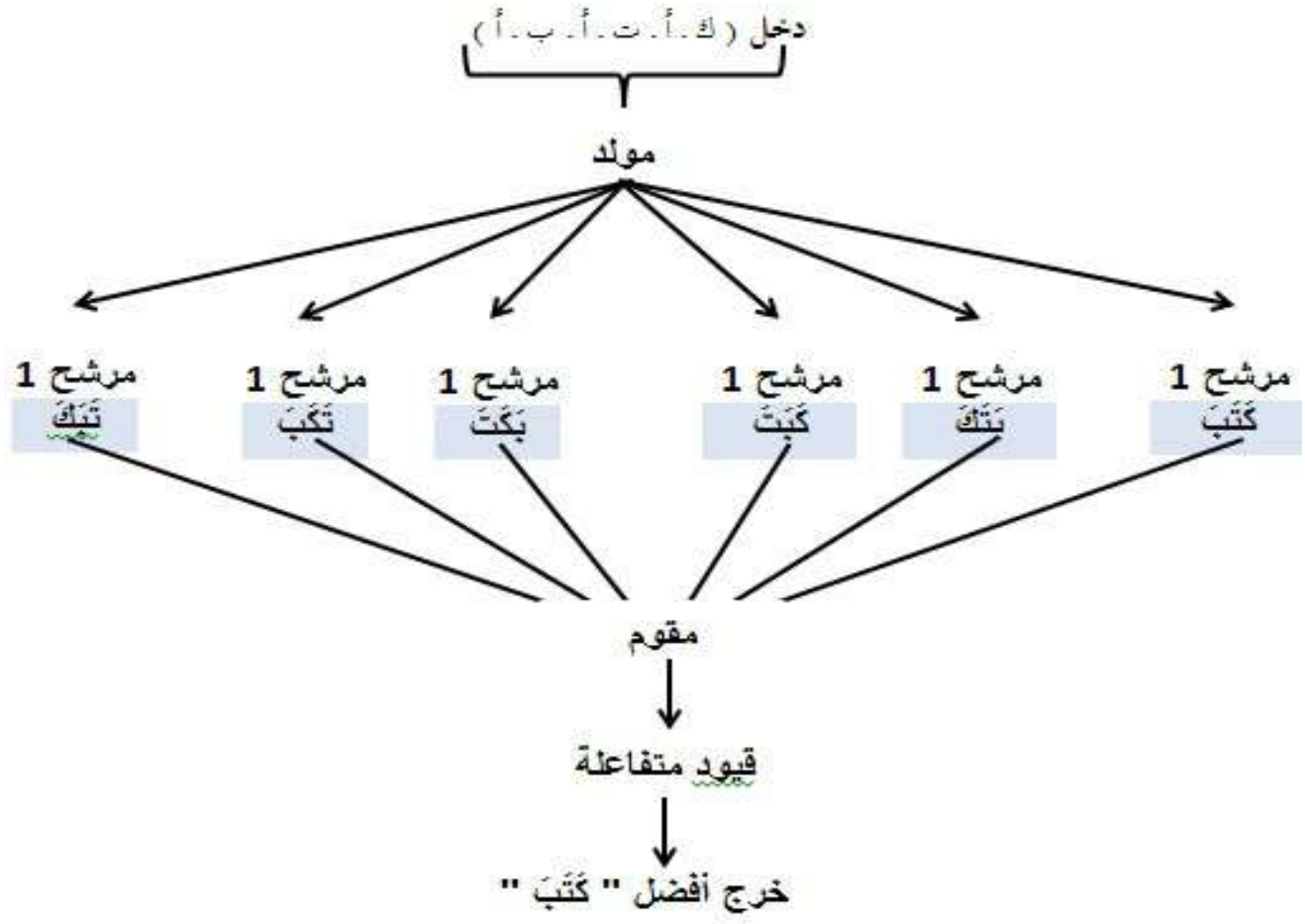

في إطار قراءتنا لنموذج شومسكي 1957 ، ونظرية المفاضلة 1993، وجدنا أن الإجابة عن السؤال المطروح أعلاه

قد استحضر الحديث عن هاذين النموذجين اللذان يشتغلان بمجموعة مكونات كل منها يناط به وظيفة أساسية توضح كيفية اكتساب الشخص للنطق الفعلي للكلمات في شكلها الصوري الصواتي الظاهر، خالية من اللحن

والأخطاء، وهذا الأمر يتعلق بالنظام الداخلي للغات الطبيعية واللهجات على حد سواء، وكل أوجه النطق الطبيعي .

2 - السياسة اللغوية والاكتساب اللغويّ :

في هذا المحور سأحاول تسليط الضوء على بعض السياسات المؤثرة في تعلم اللغة واكتسابها داخل المجتمع، وتقديم بعض أنواع الص ا رع حول التحكم في التعليم اللغوي داخله، وكذا تبيان العلاقة التي تربط بين التعليم اللغوي والسياسات الإقتصادية والإجتماعية للدولة.

لفهم العلاقة التي تربط بين السياسة اللغوية والاكتساب اللغوي في مجتمع ما، لا بد للباحث أولا من فهم الوضعية العامة لذلك البلد، سياسيا واقتصاديا وثقافيا ومحاولة ربطها بسياقاتها التاريخية الاستعمارية والحضا ا رت المتعاقبة عليه، ثم الأخذ بعين الاعتبار مجاله الجغ ا رفي ومحيطه الإقليمي :ومعنى ذلك، أن هناك ظروف داخلية وخارجية توجه وتتحكم في" الطبخة اللغوية "لبعض المجتمعات كتخطيط سياسي، غايته التأثير في تنويعات اللغوية ووظيفتها داخل الدولة .

2-1 مفهوم السياسة اللغوية

السياسة اللغوية فرع من علم حديث هو علم اللسانيات الاجتماعية، لها موضوعها ومنهجها. وتعرف بأنها مجموع الإجاراءات التي تتخذها مؤسسات الدولة لم ا رقبة الوضع اللغوي والتحكم في مساره وضبط إيقاعه" (الصيفي هدى، 2015، ص 21)، عرفها لويس جان كالفي بأنها" مجمل الخيا ا رت الواعية المتخذة في مجال العلاقات بين اللغة والعلاقات الاجتماعية، وبالتحديد بين اللغة والحياة " (جان كالفي، 2008، ص 221) ، وتعرف السياسة اللغوية في اصطلاح اللسانيات الاجتماعية أيضا بأنها التَّدَخُّل في اللغة من الناحية الرسمية المعلنة، ويكون التدخل غالبا من أعلى هرم سلطة في البلد.

كما عرفها لابورت بأنها" الإطار القانوني والتهيئة اللغوية، كمجموعة من الأعمال التي تهدف إلى ضبط وضمان منزلة ما للغة أو عدة لغات " (المرجع السابق، ص 11)

فالسياسة اللغوية تستهدف تنظيم الحيثيات الاجتماعية للغة ووظائفها واستش ا رف مستقبلها وحفظ سماتها، بترسيمها وإق ا ررها في الدساتير والنصوص التشريعية، ولاسيما إن كانت لغة قومية أو ت ا ربية مرتبطة بهوية معينة " (الصيفي، 2015، ص 28) ، كما هو الشأن في المغرب، حيث تم سن قوانين تشريعية تنظم الوضع اللغوي داخله وتحدد اللغات الوطنية والأجنبية، وكذا الرسمية وغير الرسمية منه

أما التعريف الإيديولوجي للسياسة اللغوية فيعتبرها "آلية لموضعة اللغة في البنية الاجتماعية بشكل يجعل اللغة تحدد من ستفتح في وجهه أبواب السلطة السياسية والثروات الاقتصادية ، وتعد السياسة اللغوية آلية بوساطتها تضع المجموعات السائدة أسس الهيمنة في استعمال اللغة " (جيمس طوليفيسن، 2009، ص 65) .

2-2 مفهوم التخطيط اللغوي:

يُعدّ التخطيط اللغوي المرحلة الثانية والتطبيقية لما بعد السياسة اللغوية والتي تُتَّخَذُ من أعلى هرم سلطة داخل الدولة، وهو البحث عن الوسائل الضرورية لتطبيق السياسة اللغوية، كما يقصد به كل الجهود الواعية ال ا رمية إلى التأثير في بنية التنويعات اللغوية أو في وظيفتها " (الصيفي، 2015، ص 29) ، وتشمل هذه الجهود إنشاء قواعد الإملاء، وتحديث الب ا رمج وتوحيدها، أو توزيع الوظائف بين اللغات في المجتمعات المتعددة اللغات وإسناد وظائف إلى لغات بعينها.

ويعرفه "هوغن" بأنه: عملية تقعيد اللغة وبناء المعاجم لِيَسْتَدِلَّ ويَهتَدِى بها الكُتَّاب والأفراد في مجتمع ما ..." (حراز وبلكا، 2014، ص 20)، كما أنه مجموع الإجراءات العلمية والعملية المتبعة لتنفيذ قرارات السياسة اللغوية وتحقيق أهدافها .

إن النهوض بأي لغة مهما كانت في هذا العصر يقتضي لم يعد متعلقا فقط بالتعليم وإنما يتعلق كذلك بوضع تخطيط لغوي حكيم ينسجم مع الخصوصيات اللغوية والهوياتية للجماعة اللغوية، وقد علمتنا العولمة اللغوية أن اللغات السائدة في العالم حازت الصدارة في التواصل الدولي، ليس عن طريق التعليم فقط وإنما أيضا عن طريق السياسة اللغوية المدعمة لها، لذلك فتعلم اللغة واكتسابها يقتضي على الجهات المختصة ضرورة استخدام الوسائل التكنولوجية الحديثة في تعليم اللغات وتنميتها.

إن منهجية رسم سياسة لغوية لا تبتعد عن منهجية علم اللغة الاجتماعية، طالما أنها سليلة هذا العلم، يقول ميشال زكريا " إن التخطيط الألسني ككل تخطيط يتطلب دارسة الاحتياجات والأهداف والوسائل، ووضع خطط العمل وتقييمها)...(لذا على المسؤول على التخطيط أن يلم بقضايا اللغة في المجتمع قبل البدء بعمله، وأن يتحرى عن مشاكل الألسنة، وأن يدرس العوامل الاجتماعية والثقافية والاقتصادية والسياسية والتربوية التي تتداخل مع المسألة اللغوية في المجتمع" (ميشال، 1993، ص 13) .

2-3 أزمة السياسة والتخطيط اللغويين في نظام التربية والتعليم بالمغرب :

لقد غدا تعلم اللغة يكتسي طابعا ايديولوجيا لاسيما بعد اقتران اللغات السائدة كالإنجليزية والفرنسية بتحقيق غايات وأهداف محددة، كالغزو الاقتصادي والثقافي واستعمال اللغة كآلية من آليات الهيمنة والعولمة في العالم.

إن للمغرب سياسة لغوية كباقي شعوب العالم، لكنها ليست مستقلة بما يكفي لتسن قوانين صارمة بشأن اللغات الوطنية من أجل تعزيزها وادماجها في جميع مناحي الحياة العامة للدولة، "ولا يجادل أحد في أن اللغة الفرنسية لا ت ا زل بالمغرب هي الرسمية الحقيقية للدولة، وفي المقابل اللغة العربية هي لغة رسمية في نص الدستور فقط " (بودهان، 2010، ص 97)، وهذا ما يطرح الإشكال التالي: لماذا لا تزال اللغة الفرنسية مهيمنة بالمغرب بعد أكثر من ربع قرن من رحيل فرنسا من المغرب؟، ما سر استمرارية هذه اللغة؟، وهي أسئلة بديهية

مشروعة لكل باحث ومهتم بالوضع اللغوي للمغرب، لأنه وضع لم يسلم من تدخلات وتوصيات سياسية تخدم إيديولوجيات معينة. " فالفرنسية فرضها الاستعمار ابتداء من 1912 وفرنسا رحلت عن المغرب سنة 1956 ، فينبغي منطقيا وواقعيا أن ترحل معها لغتها الفرنسية وتبقى مجرد لغة ثانوية مثل كل اللغات الأجنبية التي تدرس بالمغرب كالألمانية والإنجليزية والإسبانية)...(ولتعود الأولوية والصدارة إلى العربية التي هي لغة وطنية للمغاربة " (بودهان، 2010، ص 98) .

ويعتبر النظام التربوي والتعليمي بالمغرب من أكثر القطاعات تضررا من سياسات المشروع الفرانكفوني، الذي يفرض مجموعة من التوصيات لتعزيز اللغة الفرنسية في المؤسسات الحكومية، وما يوضح ذلك هو إقرارها في جميع المستويات والبرامج والمناهج التعليمية للمغرب.

إن من أسباب فشل النظام التعليمي بالمغرب هو: الانفصال الشامل والقطيعة التامة بين لغة البيت ولغة المدرسة، لذلك فمجموعة من الباحثين يرون ضرورة إعادة النظر في اللغات التعليمية بالمغرب. فلغة البيت ليست هي لغة المدرسة، كالفرنسية مثلا، فكل واحدة مستقلة عن الأخرى معجما وصرفا وتركيبا، وهذا يشكل عائقا وتحديا أمام المتعلمين. فالتعدد اللغوي بالمغرب لم تقرره سياسة لغوية واضحة المعالم، وهذا ما نتج منه تجمع لغوي ي ا ركم اللغات من دون تحديد مكانة كل لغة ووظيفتها...، ولهذا صار هذا التعدد مشكلة لا ميزة " (حراز وبلكا، 2014، ص 90)، يقول عبد الله العروي بخصوص التعدد اللغوي ووضعه بالمغرب: "إننا حين نتكلم على التعدد اللغوي نركز دائما على إيجابياته، ونسكت على سلبياته " (حراز وبلكا، 2014، ص 133)، وهناك من ذهب إلى تشبيه السياسة اللغوية بالمغرب في النظام التعليمي بأنها مختبر للغات فقط بدل أن تكون المدرسة فضاء للتفكير " (معتصم، 2011، ص 70) ، فعلاقة المغرب باللغة الفرنسية كعلاقة الابن بأمه لا يستطيع الاستغناء عنها .

3- خاتـــــمة :

أردنا في هذه الدراسة أن نبين مفهوم الاكتساب اللغوي باعتباره آلية من آليات التواصل، إذن لا يمكن تحقيق التفاعل الإنساني دون اكتساب العنصر الأول المساهم في ذلك وهو اللغة، ثم سنحاول الإحاطة بالاكتساب اللغوي في التراث العربي القديم من خلال جرد مجموعة من الآراء والتصورات للنقاد العرب القدامى، ومقارنة هذه الآراء بنظيرها الغربي، حيث سنقف على مجموعة من النظريات الغربية التي توضح السلوك اللغوي وآلية اكتسابه خاصة النظرية اللغوية لشومسكي، معرفين بها وممثلين للنموذجين اللغوية 1957 و 1993، من خلال رصد مدى مساهمتها في فهم التصور النظري لاكتساب الإنسان للغة عموما، هذا وسنتطرق في ختام دراستنا هذه برصد العلاقة بين اكتساب اللغة والسياسة اللغوية، مبرزين مفهوم السياسة اللغوية، ومحاولين الكشف عن دور سياسة اللغة في اكتساب لغة دون أخرى ، آخذين بالسياسة اللغوية وتذبيرها في المغرب

نموذجا، ومنهمن هنا يمكن القول إن العلاقة بين السياسة اللغوية والاكتساب اللغوي هي علاقة سبب بنتيجة، كون السياسة اللغوية هي مَنْ تُخطط وترسم الحدود والأبعاد اللغوية التي ستسود في البلاد، وبالتالي فالعملية الاكتسابية للغة تتم عند الأفراد بطريقة واعية أو غير واعية.

قائمة المصادر والمراجع

- إلياس بلكا ومحمد حراز، إشكالية الهوية والتعدد اللغوي في المغرب العربي، المغرب نموذجا، مركز الإمارات للدراسات والبحوث الإستراتيجية، ط 1، المغرب، 2014 .
- إخوان الصفا، رسائل إخوان الصفا وخلان الوفاء، الجزء الأول، مؤسسة هنداوي، ط2، مصر، 2018 .
- أحمد عزوز، التخطيط اللغوي والمصطلحات المحايثة، ج1، أعمال الملتقى الوطني حول التخطيط اللغوي، المغرب، 2012 .
- أحمد بن فارس، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط 1، لبنان، 1993 .
- السيد، محمود أحمد. اللغة.. تدريسا واكتسابا، دار الفيصل الثقافية، ط1، السعودية، 1988.
- ابن جني أبو الفتح، الخصائص، ت.محمد علي النشار، دار الهدى،ط.2، لبنان، 1959.
- جيمس طوليقسن، السياسة اللغوية وتعلم اللغة، ترجمة محمد خطابي، دار الثقافة، ط 1، المغرب، 2009 .
- شمس الدين، جلال. علم اللغة النفسي مناهجه ونظرياته وقضاياه، الإسكندرية: الناشر مؤسسة الثقافة الجامعية، دون السنة.
- عبد المجيد الزهير، المنهج التوليدي التحويلي، دراسة وصفية وتاريخية، بحث دكتوراه، المغرب، 2008 .
- عبد المجيد سيد أحمد منصور, علم اللغة النفسي، جامعة الملك السعود، ط1، السعودية 1982 .
- عبد الواحد خيري، السمات في التحليل الغوي، منشورات مختبراللسانيات، ط1، المغرب، 2010 .
- عبد الرحمان بن خلدون، المقدمة، الجزء الأول تحقيق / سيد حامد النساج ، دار الملايين، لبنان، 1929 .
- لويس جان كالفي، حرب اللغات والسياسات اللغوية، ترجمة حسن حمزة، المنظمة العربية للترجمة، ط 1: بيروت، 2008 .
- محمود فهمي حجازي، مدخل إلى علم اللغة، دار قباء، القاهرة، ط.2، بدون تاريخ
- محمد بودهان، في الهوية الأمازيغية، منشورات تاوزاي، ط 2، المغرب، 2010 .
- معمر نواف الهوارنة، اكتساب اللغة عند الأطفال، الهيئة العامة السورية للكتاب، ط 1، لبنان، 2010 .
- منصور، عبد المجيد سيد أحمد. علم اللغة النفسي، عمدات شؤون المكتبات – جامعة الملك سعود، ط1، السعودية 1972.
- ميشال زكيا، قضايا ألسنية تطبيقية، دار العلم للملايين ط 1، ، لبنان 1993 ،

- هدى الصيفي، علاقة السياسة اللغوية بالتخطيط اللغوي، دراسة حالات من الوطن العربي، بحث مقدم لاستكمال متطلبات الماجستير في اللغة العربية وآدابها، كلية الآداب والعلوم جامعة قطر، السنة الجامعية – 2014 – 2015 .

الإيجاز وبناء المعنى في خمرية ابن الفارض

Conciseness and Meaning construction in Ibn Al-Farid's Khamriah

احمد بولوزة، مختبر الثقافة والعلوم والآداب العربية، جامعة الحسن الثاني (المغرب)
البريد الإلكتروني: boulouzaahmed1@Gmail.com

الملخص:

نهدف من هذا المقال إلى بيان الدور الذي يلعبه الإيجاز في بناء المعنى وتأويله في النص الشعري الصوفي باتخاذ خمرية ابن الفارض نموذجا تطبيقيا نستجلي بواسطته استفادة الخطاب الشعري الصوفي من آلية الإيجاز في بناء عوالمه المعنوية، لاسيما أنه خطاب يتكئ على الإشارة ويسعى إلى التلميح لا التصريح، ويؤْثر بلاغة الصمت على الكلام، لنرى مكانة الإيجاز بوصفه مكونا بلاغيا في التعبير الصوفي لابن الفارض ومدى خدمته لرؤية الشاعر الصوفية. منطلقين في ذلك من إشكالية يمكن صوغها كالتالي:

أيلعب الإيجاز دور الحذف والاختزال في الخطاب الصوفي أم أنه يتعدى ذلك إلى بناء المعنى وتوليده؟

ولمقاربة هذه الإشكالية نعتمد منهجا تحليليا مقارنا يمتح مادته من المدونة البلاغية العربية القديمة بمقارنة نصوصها لتحديد العدة المنهجية المسعفة في تحليل النص الشعري الصوفي.

الكلمات المفاتيح:الإيجاز، بناء المعنى، الشعر الصوفي، الخمرية، ابن الفارض...

Abstract :

Our objective in this article is to explain the role played by conciseness in the construction and interpretation of meaning in Sufi poetic texts, using Ibn al-Farid's "Khamriah" as a practical model. Through this example, we aim to examine how Sufi poetic discourse utilizes the mechanism of conciseness to construct its realms of meaning, particularly as a discourse that relies on suggestion and aims for allusion rather than explicitness, preferring the eloquence of silence over speech. We seek to evaluate the position of conciseness as a rhetorical component in Ibn al-Farid's Sufi expression and its utility for the poet's vision. Starting from this, we address an issue that can be formulated as follows:

Does conciseness in Sufi discourse function merely as omission and reduction, or does it extend beyond that to encompass the construction and generation of meaning? To approach this issue, we adopt a comparative analytical approach, drawing from the ancient Arabic rhetorical tradition and comparing its texts to determine the relevant methodological tools for analyzing Sufi poetic texts.

Keywords: conciseness, meaning construction, Sufi poetry, Khamriah, Ibn Al-Farid..

مقدمة:

يتسم الخطاب الصوفي بكونه خطابا ثوريا في علاقته بالاعتيادي والموروث، بما في ذلك اللغة نفسها، فلم تكن العبارة دائما وفية لما يرومه الصوفي من معان، ولذلك عرف عن الصوفية لجوؤهم إلى التلميح والإشارة والرمز في بناء عوالمهم المعنوية، ما دامت العبارة في عرفهم ضيقة وعاجزة، ولعل هذا ما يدفعنا إلى ملاحظة احتفاء الصوفية بمفهوم الإيجاز، يوظفونه في نصوصهم، ويتخذونه آلية لتوليد المعاني التي تعجز اللغة الاعتيادية عن مجاراتها. يسمح لنا هذا بالقول إن الإيجاز مكون رئيس في الخطاب الصوفي لاسيما الشعري منه، ولذلك ستكون غايتنا هنا بيان مكانته- بوصفه مكونا بلاغيا- في بعض شعر ابن الفارض، ومدى خدمته لرؤية الشاعر الصوفية. ولتحقيق هذه الغاية، نعمد أولا إلى تتبع تشكل مفهوم الإيجاز عند البلاغيين العرب القدامى، بمساءلة المدونة البلاغية، لنبني تصورنا لهذا المفهوم من خلال إعادة النظر فيما قاله هؤلاء، دون الاحتكام إلى الآراء الجاهزة التي ضيقت هذا المفهوم، وجعلته حبيس المعيار الكمي، ثم نعمد ثانيا إلى تتبع تجليات الإيجاز في خمرية ابن الفارض، المتحقق بتضافر مكونات بلاغية عدة، غايتها توليد المعنى من اللفظ الوجيز، بوصفه مكافئا للبلاغة.

الإيجاز في المدونة البلاغية:

أ- الجاحظ وبوادر دراسة الإيجاز

يمكن أن نعثر على البوادر الأولى لدراسة الإيجاز بلاغيا عند الجاحظ الذي جعله مرادفا للبلاغة، وهو في ذلك يسوق مجموعة من المواقف والأقوال التي ربطت الإيجاز بالبلاغة وجعلته صنوها، من ذلك حكاية معاوية بن أبي سفيان مع صُحار بن عياش العبدي، حين سأله عن البلاغة «مَا تَعُدّونَ البَلَاغَةَ فِيكُمْ؟ قَالَ الْإِيجَازُ، قَالَ لهُ مُعَاوِيَةُ: ومَا الْإِيجَازُ؟ قَالَ صُحَارٌ أَنْ تُجِيبَ فَلَا تُبْطِئَ، وَتَقُولَ فَلا تُخْطِئَ. فَقَالَ لَهُ مُعَاوِيَةُ: أَوَ كَذَلكَ تَقُولُ يَا صُحَارُ؟ قَالَ صُحَارٌ أَقِلْنِي يَا أَمِيرَ المؤْمِنِينَ، أَلَّا تُبْطِئَ وَلَا تُخْطِئَ» (الجاحظ: 1998، ص، 96). وكذلك ما يسوقه من جواب أعرابي عن سؤال المفضل بن محمد الضبي: ما البلاغة؟ بقوله: «الإِيجَازُ فِي غَيْرِ عَجْزٍ والْإِطْنَابُ فِي غَيْرِ خَطَلٍ» (الجاحظ: 1998، ص، 99)، وينقل عن العرب قولهم: «فُلانٌ يَفُلُّ الحَزَّ، وَيُصِيبُ المَفْصَلَ، وَيَضَعُ الْهَنَاءَ مَوَاضِعَ النَّقْبِ»(الجاحظ: 1998، ص، 147)، ثم يربط الإيجاز بمقام القول وأقدار السامعين، فليس الإيجاز يحسن في كل موطن وكذلك الإطناب، وهو ما يفهم من قوله: «وَرَأَيْنَا اللهَ تَبارَكَ وَتعَالَى إِذَا خَاطَبَ الْعَرَبَ والْأَعْرَابَ أَخْرَجَ الْكَلَامَ مُخْرَجَ الْإِشارَةِ وَالْوَحْيِ وَالْحَذْفِ، وَإِذَا خَاطَبَ بَنِي إِسْرَائِيلَ أَوْ حَكَى عَنْهُمْ جَعَلَهُ مَبْسُوطًا وَزَادَ فِي الْكَلَامِ» (الجاحظ: 1967، ص، 93)

ب- الرماني والمقياس الكمي للإيجاز

يتخذ الإيجاز منعطفا جديدا مع الرماني، إذ معه سندرك تخصيص الإيجاز بالدراسة ومحاولة التحديد المفهومي له، فإذا كان الجاحظ قد اعتنى بتقديم القصص والأمثلة التي تعضد موقفه من البلاغة بوصفها مكافئا

للإيجاز، فإن الرماني قد أفرد للإيجاز بابا كاملا في نكته ، بل إنه جعل هذا الباب صدرا لكتابه، في إشارة إلى أن الإيجاز يقع في السنام من البلاغة، وبخلاف الجاحظ فهو لا يكتفي بتقديم النماذج الشاهدة على اعتناء العرب بالإيجاز، بل يذهب إلى محاولة حصر مفهومه وبيان أنواعه والشروط الكفيلة بتحقيقه.

ينطلق من تعريف الإيجاز بقوله: «الْإِيجَازُ تَقْلِيلُ الْكَلَامِ مِنْ غَيْرِ إِخْلَالٍ بِالْمَعْنَى» (الرماني: د.ت، ص، 76)، غير أن الإيجاز عنده لا يمكن أن يسمى كذلك، ويعد طريقة بليغة في تأدية المعنى إلا إذا أمكن تأدية ذلك المعنى بأكثر من طريقة دون إخلال بسلامته وصحته (باديس: 2008، ص، 15)، «وَإِذَا كَانَ الْمَعْنَى يُمكِنُ أَنْ يُعبَّرَ عَنْهُ بِأَلْفَاظٍ كَثِيرَةٍ، وَيُمْكِنُ أَنْ يُعبَّرَ عَنْهُ بِأَلْفَاظٍ قَلِيلَةٍ، فَالْأَلْفَاظُ الْقَلِيلَةُ إِيجَازٌ» (الرماني: د.ت، ص، 76)، ويفهم من هذا أن بلاغة الإيجاز تتحقق بالنظر إلى غيره، «فَالأُسْلُوبُ لَيْسَ لَهُ بَلاَغَةٌ فِي ذَاتِهِ وإِنَّمَا بَلاَغَةً بِالنِّسْبَةِ إِلَى طَرِيقَةٍ أُخْرَى فِي التَّعْبِيرِ وَمَنْهَجٍ آخَرَ فِي قَوْلِ الْأَشْيَاءِ» (باديس: 2008، ص، 19) والحديث عن المعنى الكثير واللفظ القليل، هو حديث عن المعيار الذي أوجده الرماني للإيجاز المبني على أساس المقايسة الكمية، وهو معيار سيظل ساري المفعول في كتابات من جاؤوا بعده، ممن انشغلوا بمبحث الإيجاز. غير أن الرماني في معرض شرحه لهذا المعيار يؤكد على منطلقه الذي عد فيه الإيجاز ذروة البلاغة، ولذلك نصادف تعريفات أخرى للإيجاز عنده قد توهم بالتعدد، لكن مرامه منها واحد، وهو التأكيد على أفضلية الإيجاز عما سواه، وهو ما نفهم منه أن إمكانية تأدية المعنى بطرق مختلفة لا يعني أن هذه الطرق في مرتبة واحدة من البلاغة، بل «الإِيجَازُ هُوَ تَهْذِيبُ الْكَلَامِ بِمَا يَحْسُنُ بِهِ الْبَيَانُ، والْإِيجَازُ تَصْفِيَةُ الْأَلْفَاظِ مِنَ الْكَدَرِ وَتَخْلِيصُهَا مِنَ الدَّرَنِ، و الْإِيجَازُ الْبَيَانُ عَنِ الْمَعْنَى بِأَقَلِّ مَا يُمْكِنُ مِنَ الْأَلْفَاظِ» (الرماني: د.ت، ص، 80)، وألفاظ " تهذيب" و"تصفية" و"تخليص" تشهد بذلك، بما ينبئ بأن للإيجاز «فَضِيلَتُهُ عَلَى سَائِرِ الْكَلَامِ» (الرماني: د.ت، ص، 76) وأنه من البلاغة " في أعلى طبقة".

غير أن الرماني يتدارك بخصوص المقياس الذي وضعه للإيجاز، فيرى أن بعض المعاني مهما قيل فيها فلا يخرج لفظها من دائرة الإيجاز كما هو الشأن في «صِفَةِ مَا يَسْتَحِقُّ اللهُ تعالَى مِنَ الشُّكْرِ عَلَى نِعَمِهِ» (الرماني: د.ت، ص، 76) ليخلص الرماني إلى أن المعاني الكبرى مهما قيل فيها فإن ذلك يعد إيجازا؛ لأنه «قَدْ يَطُولُ الْكَلَامُ فِي الْبَيَانِ عَنِ الْمَعَانِي الْمُخْتَلِفَةِ وهُوَ مَعَ ذَلِكَ فِي نِهَايَةِ الْإِيجَازِ» (الرماني: د.ت، ص، 76).

ت- الجرجاني وتوليد المعنى بالإيجاز

ينقل الجرجاني مبحث الإيجاز إلى مستوى مختلف من الدراسة، مهتديا في ذلك بما استقر عنده من جدوى نظرية النظم التي دافع عنها في " دلائل الإعجاز"، إذ يغدو الإيجاز مكافئا للمقدرة على تضمين الكلام الواحد أكثر من معنى، أو بعبارة أخرى، يصبح الإيجاز مرتبطا بإمكانية الانتقال من المعاني الأول إلى المعاني الثواني، أو الانتقال من المعنى إلى ما سماه الجرجاني "معنى المعنى"، وهو ما يجعل الإيجاز مبحثا يضرب بسهمه

في كل من المعاني والبيان، بخلاف ما ستستقر عليه آراء ما بعد الجرجاني التي ستحدده ضمن مباحث علم المعاني دون سواها.

والحق أن الجرجاني لم يفرد للإيجاز مبحثا خاصا في كتابيه كما هو الشأن عند الرماني ومن جاءوا بعد الجرجاني ممن أثاروا مبحث الإيجاز، وإنما أشار إليه في معرض إرسائه لدعائم نظرية النظم، وهو أمر يجد مسوغه في كون الإيجاز لن يعتد فيه بمعيار كم اللفظ، بقدر ما سينظر إليه من جهة القدرة على توليد المعنى، أي ثواني المعاني، فكلما كان اللفظ محتملا لغير معناه الظاهر، بل كلما كان أساسه الانتقال من هذا المعنى إلى ما يضمره من معان، كان ذلك هو الإيجاز.

يصير توليد المعنى هو المعيار للحديث عن الإيجاز، ما دام المعنى -بهذا الوصف- يغدو فائضا عن اللفظ، بل قد يغدو اللفظ غير مقصود لذاته، وهو ما يتساوى معه الإيجاز بالحذف والإيجاز بالقصر اللذين سبق أن اتخذهما الرماني قسمين للإيجاز، وتبعا لهذا النهج نلفي الجرجاني يفرد بابا للقول في الحذف، يعلي من مكانته في البلاغة ويشير إلى ما يمكن أن يتولد عنه من صنوف المعاني فيقول فيه: «هُوَ بَابٌ دَقِيقُ الْمَسْلَكِ لَطِيفُ الْمَأْخَذِ، عَجِيبُ الْأَمْرِ، شَبِيهٌ بِالسِّحْرِ، فَإِنَّكَ تَرَى بِهِ تَرْكَ الذِّكْرِ أَفْصَحَ مِنَ الذِّكْرِ، والصَّمْتَ عَنِ الْإِفَادَةِ أَزْيَدَ لِلْإِفَادَةِ، وَتَجِدُكَ أَنْطَقَ مَا تَكُونُ إِذَا لَمْ تَنْطِقْ، وَأَتَمَّ مَا تَكُونُ بَيَاناً إِذا لَمْ تُبِنْ" (الجرجاني: 1988، ص، 112)، وليست الميزة في الحذف إلا ما يتولد عنه من معان لا يتوصل إلى أمثالها بتركه، دون أن يعني ذلك أن الحذف أينما كان وممن كان يحسُن، بل هو شأو في البلاغة لا يدركه إلا من أوتي نصيبا وافرا منها، وحينها يكون «الِامْتِنَاعُ مِنْ أَنْ يَبْرُزَ اللَّفْظُ مِنَ الضَّمِيرِ أَحْسَنُ لِلتَّصْوِيرِ» (الجرجاني: 1988، ص، 132).

يصل الجرجاني بنظريته في النظم إلى أوجها حينما يكشف علو مكانة النظم التي تتحقق بالقدرة على توليد المعاني البليغة التي يحصل منها الشرف الذي «يُنَبِّهُكَ لِكَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ، وَيَدُلُّكَ عَلَى عِظَمِ شَأْنِ النَّظْمِ، وَتَعْلَمَ بِهِ كَيْفَ يَكُونُ الْإِيجَازُ بِهِ وَما صُورَتُهُ وَكَيْفَ يُزَادُ فِي الْمَعْنَى مِنْ غَيْرِ أَنْ يُزَادَ فِي اللَّفْظِ" (الجرجاني: 1988، ص، 223)، وبهذا يحل الجرجاني المعضلة التي جابهها الرماني ولم يحسم في أمرها حين حديثه عن إيجاز القصر، فبقي حبيس معيار المقايسة بين كم اللفظ والمعنى، ليغدو الإيجاز مكافئا لصور النظم من تقديم وتأخير، واستعارة وتلويح وتمثيل وغيرها من أبواب البلاغة التي هي ساح مبارزة البلغاء.

ث- السكاكي وقاعدة " متعارف الأوساط"

لعل الجديد الذي جاء به السكاكي في دراسته الإيجازَ هو ضبط المعيار الكمي الذي سبق أن تبناه الرماني في "نكته"، بتحديد منوال يكون القول دونه إيجازا وفوقه إطنابا، وهو ما سماه " متعارف الأوساط" وبالاحتكام إلى هذا المنوال «فَالْإِيجَازُ هُوَ أَدَاءُ الْمَقْصُودِ مِنَ الْكَلَامِ بِأَقَلِّ مِنْ عِبَارَاتِ مُتَعَارَفِ الْأَوْسَاطِ» (السكاكي: 1987، ص، 277)، و"متعارف الأوساط" هو ما درج على ألسن أوساط الناس- ممن يقعون موقعا دون البلاغة وفوق العي- من تعبير عن المعاني. ويبدو أن السكاكي باقتراحه هذا، كان يروم تجاوز

الإبهام الذي يتولد عن المعيار الكمي من حيث صعوبة الحكم على كلام ما بأنه وجيز أو فيه إطناب، مما يجعله حكما ذوقيا انطباعيا، ولذلك نلفيه يستدرك فيبين أن الكلام الوجيز قد يكون طبقات بالاحتكام إلى طرق الاختصار التي ينبه إليها متلقيه بقوله: «فَلَئِنْ فَهِمْتَهَا لَتَعْرِفَنَّ الْوَجَازَةَ مُتَفَاوِتَةً: بَيْنَ وَجِيزٍ وَأَوْجَزَ بِمَرَاتِبَ لَا تَكَادُ تَنْحَصِرُ» (السكاكي: 1987، ص، 277)، فكلما ابتعد الكلام عن متعارف الأوساط ترقى درجات في الوجازة أو الإطناب، مع تلافي التقصير والتطويل، اللذين هما خروج عن حدود البلاغة. ولأن السكاكي قد فطن إلى أن الإيجاز لا يرتبط دائما بكم اللفظ_ كما فطن إليه الرماني، واستفاض فيه الجرجاني_ فقد لمح إلى أن الإيجاز والإطناب مرتبطان بالمعنى بوجه خاص «سَوَاءٌ كَانَتِ الْقِلَّةُ أَوِ الْكَثْرَةُ رَاجِعَةً إِلَى الْجُمَلِ أَمْ غَيْرِ الْجُمَلِ»(السكاكي: 1987، ص، 277).

وخلاصة القول مما ذهب إليه كل من الجاحظ والرماني والجرجاني والسكاكي أن الإيجاز قد شهد تطورا في دراسته وتحول من مفهوم عام يحتكم فيه إلى الذوق والانطباع بوصفه وجها من أوجه البلاغة، إلى كونه مبحثا من مباحثها، تنبني عليه، وتسمح من خلاله بتفاوت البلغاء في مدارجها، وذلك بوضع المعيار الأساس الذي يسمح بإدراكه والحديث عنه، بعيدا عن الخلط والأحكام العامة التي أساسها الذوق، وذلك المعيار هو القدرة على أن يسمح التعبير الواحد بتوليد المعاني العديدة من منطلق "متعارف الأوساط" الذي هو الكلام العاري من كل بلاغة.

الإيجاز وبناء المعنى في خمرية ابن الفارض:

1- التعريف بالقصيدة:

تعرف هذه القصيدة في أوساط الصوفية بخمرية ابن الفارض، وهي القصيدة التي مطلعها:

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً *** سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرْمُ (ابن الفارض: 1990، ص، 179)

تدور معانيها حول المحبة الإلهية والفناء فيها (Dubois: 2010, p. 26)، بذكر تجلياتها على العارفين، والحض على النهل من معينها، وترك من يلوم العارفين في سلك سبيلها، وعدم الالتفات إلى عذلهم وتشنيعهم بالمحبين الهائمين. وقد بنى الشاعر هذه القصيدة بلغة تحتفي بالرمز الذي مداره على الخمرة والمحبة الإلهية (Nicholson: 2002, p. 73)، وأدار مضمونها على لحظات معنوية هي كالآتي:

- ذكر شرب المدامة وبيان تفردها
- تأثير المدامة السحري في من يعاقرها أو يقترب منها
- وصف المدامة من منطلق الخبرة بها ومعرفتها
- مباهاة الشاعر بشرب المدامة، ورده على من ينكرون عليه معاقرتها

ونرى أن الشاعر قد بنى هذه الوحدات المعنوية باعتماد التكثيف المعنوي، الذي أساسه الإيجاز الذي بينا في ما سبق ذكره أنه متعلق بالقدرة على الانتقال من المعاني الظاهرة إلى أخرى كثيفة باطنة، تتحقق من خلال التقديم والتأخير والحذف والتشبيه والاستعارة والرمز، و لا تتأتى إلا بارتياد التأويل.

2- بعض تجليات الإيجاز في الخمرية

سنعمد في هذا المستوى إلى تجليته بعض صور الإيجاز في المتن الشعري المدروس، منطلقين في ذلك من تصورنا للإيجاز كما فهمناه من مساءلة آراء البلاغيين فيه، بوصفه آلية لتوليد المعاني الكثيرة بالانتقال من ظاهر القول إلى باطنه، أو الانتقال من المعاني الأول إلى المعاني الثواني، أو من المعنى إلى معنى المعنى حسب تعبير الجرجاني، معتمدين الانتقاء في تقديم الشواهد، دون الإخلال بالبناء المعنوي للنص؛ لأن المقام في هذه الورقة لا يسمح بتقصي كل الأمثلة، ويمكن أن نستدل على حضور الإيجاز في نص ابن الفارض وفق ما يأتي:

أ- في ذكر شرب الخمرة وبيان تفردها:

شَرِبْنَا عَلَى ذِكْرِ الْحَبِيبِ مُدَامَةً *** سَكِرْنَا بِهَا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُخْلَقَ الْكَرْمُ
لَهَا الْبَدْرُ كَأْسٌ وَهْيَ شَمْسٌ يُدِيرُهَا *** هِلَالٌ وَكَمْ يَبْدُو إِذَا مُزِجَتْ نَجْمُ

في هذا المطلع يبني الشاعر معنى صوفيا أثيرا عند معشر الصوفية (Corbin: 1969, p. 174) متعلقا بالمعرفة والمحبة الإلهيتين باعتماد التشبيه البليغ والاستعارة والتقديم والتأخير والتنكير، فالجملة الفعلية التي تناسلت منها معاني القصيدة كشفت عن تحقق الحدث المتمثل في الفعل "شربنا" الذي لا يحيل على الشاعر وحده وإنما يشركه مع غيره من الندماء، من خلال الضمير "نا" الدال على جماعة الفاعلين، السالكين طريق المحبة الإلهية، وتقديم الجار والمجرور " على ذكر الحبيب" على المفعول به " مدامة" تولد عنه معان كثيرة تجعل من قول الشاعر وجيزا، إذ التقديم والتأخير ليس اعتباطا، فهو للذي يتذوقه «بَابٌ كَثِيرُ الْفَوَائِدِ جَمُّ الْمَحَاسِنِ، وَاسِعُ التَّصَرُّفِ، بَعِيدُ الْغَايَةِ»، (الجرجاني: 1988، ص، 83) ولعل أهم هذه المعاني جعلُ فعل شرب المدامة ومعاقرتها لا يتحقق إلا بطقوسه المتمثلة في ذكر الحبيب/ المحبوب، (Corbin: 1969, p. 181) الذي من شأنه أن يجعل هذه المدامة مخصوصة، رغم ورودها نكرة، وكأن في ذلك إشارة إلى أن هذه المدامة معروفة لأهلها، منكرة لغيرهم ممن لم يتحقق لهم معاقرتها أو السكر بها، والحبيب هنا «الْمَحْبُوبُ وَهُوَ الْحَقُّ تَعَالَى الْمُتَجَلِّي عَلَى عِبَادِهِ ظَاهِراً وبَاطِناً، بِصُورَةِ كُلِّ شَيْءٍ» (النابلسي: 2017، ص، 1468)، وذكره هنا يحتمل تذكره بعد الغفلة، أو ترديد اسمه جل وعلا، والذي يؤكد معنى تخصيص هذه المدامة وتفردها هو تحقق السكر بها قبل نشوء مادتها التي هي الكرم؛ لأنها مدامة المحبة الإلهية، السابقة عن تعين الموجودات، وهو معنى دقيق عند معاشر الصوفية، بل قد نجد صداه عند غيرهم كقول أحدهم (النابلسي: 2017، ص، 1469):

أَمُرُّ بِالْكَرْمِ خَلْفَ حَائِطِهَا *** تَأْخُذُنِي نَشْوَةٌ مِنَ الطَّرَبِ
أَسْكَرُ بِالْأَمْسِ إِنْ عَزَمْتُ عَلَى الشُّـ *** ــرْبِ غَداً إِنَّ ذَا مِنَ العَجَبِ

. ثم إن فعل السكر الذي هو نتيجة فعل الشرب الأول، هو الغيبة عما سوى المحبوب، بما في ذلك ذات الشارب/المحب/السالك، وهو فعل متحقق لجماعة الندماء المحبين بدون استثناء، ولذلك نلفي الذات الشاعرة هنا في مستوى التلفظ تتحدث باسمهم جميعا.

تتكاثف المعاني أكثر بتضافر ما أشرنا إليه من تقديم وتأخير وتنكير مع التشبيه المتحقق في قوله: " لها البدر كاس وهي شمس" فقد بني المعنى هنا على التشبيه البليغ الذي حذفت منه الأداة ووجه الشبه، حتى لكأن المشبه هو عين المشبه به، وهو ما يجعل من تركيب هذا التشبيه داخلا في الإيجاز بالحذف، وفي هذا الحذف إثراء للدلالة، فالشاعر يشبه الخمرة بالشمس بل يجعلها مكافئة لها في كل صفاتها، وفي مقدمتها السطوع وما ينطوي عليه من معاني الصفاء والدفء والإشراق، وبالانتقال من المعنى الحرفي هذا، إلى المعنى الصوفي، تتولد معان أخر يبنيها الشاعر بناء رمزيا باعتماد رمز الشمس، فتصبح الخمرة والشمس معا مرادفين للمعرفة الصوفية المتحققة من العلم اللدني والتجلي الإلهي الذي لا يشوبه الوهم ولا النسبية، بل هي معرفة رديفة الحقيقة وصنوها، بخلاف معرفة غير الصوفية الملتبسة بالظن والافتراض.

وقوله " لها البدر كاس" هو تشبيه بليغ آخر يتضافر مع تاليه ويؤكد معناه، إذ لما كانت الخمرة الصوفية شمسا كان لزاما أن تسكب نورها وإشراقها في ما يجلي هذا الإشراق، وهو البدر الذي يغدو في المعنى الصوفي محيلا على الولي العارف أو الإنسان الكامل الممتلئ « مِنَ الْحَقِّ تَعَالَى تَجَلِّياً وَظُهُورًا وَإِشْرَاقاً وَنُورًا» (النابلسي: 2017، ص، 1473)، تنطبع فيه الحقيقة الإلهية فيضيء بها ويعكسها للسالك كما يفيض البدر بنور الشمس ويعكسها للساري، ولعل الحديث عن البدر يستلزم الحديث عن السطوع وسط ظلمة، وفي ذلك إشارة إلى دور العارف/ البدر في الهداية وسط ظلمة الجهل والغفلة عن حقيقة الذات الإلهية، وقد لعب التقديم والتأخير هنا دوره كذلك في تخصيص المعنى، إذ المعرفة الإلهية الحقة من نصيب العارفين المحبين دون سواهم.

فالخمرة/ الشمس محلها البدر/ الولي الذي هو وعاؤها، إذ البدر يستمد ضياءه من الشمس كما تستمد الكأس إشراقها من سطوع الخمرة، فتكون المحصلة هذه الصورة الشعرية التي بنيت على ثنائية مصدر النور ومستقبله وهو ما يمكن بيانه كالآتي:

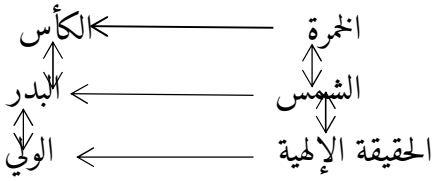

يتضح من الرسم أعلاه أن الإيجاز المتولد عن تضافر إمكانات بلاغية متنوعة، تتحقق الغاية منه بالنظر إلى ما سمح به من انتقال من المعاني السطحية إلى معان أخرى بعيدة لا تدرك إلا باعتماد التأويل، بل يتضح أن هذه المعاني لا يمكن أن يتحقق بناؤها إلا بالقدرة على التأليف بين هذه الإمكانات البلاغية التي تمتح مادتها من البيان والمعاني معا، فقصدية الذات الشاعرة هنا هي بيان تحقق الفناء في المحبة الإلهية للسالك المخصوص،

وما يترتب عن ذلك الفناء من أحوال، مما يحتاج معه إلى الكلام الكثير، غير أن كل ذلك قد تحقق لها بالقول الوجيز الذي يمتح مادته من مختلف أبواب البلاغة وعلومها.

خمرة المحبة الإلهية التي هي مرام كل عارف محب، مفارقة للأغيار، سابقة عن الكرم، ولذلك قد يحجبها الغفلة والابتعاد عن الذكر كما مر بنا، وإنما الذكر متحقق بما يصدر عنها من شذى ورائحة بما هي كناية عن الموجودات والآثار التي لا يتحقق إدراك الله إلا بها وبواسطتها؛ لأنها تجليات أسمائه وكلماته، قال ﷻ: ﴿إِنَّ فِي خَلق السماوات والأرض واختلاف الليل والنهار لآيات لأولي الألباب﴾ (آل عمران: 190)، وهو معنى يشهد به قوله: (ابن الفارض: 1990، ص، 179)

وَلولَا شَذَاهَا مَا اهْتَدَيْتُ لِحَانِهَا *** ولَوْلَا سَنَاهَا مَا تَصَوَّرَهَا الْوَهْمُ

فآثار الخمرة وتجلياتها هي السبيل إلى بلوغ حانها ومعاقرتها، وهذا هو سبيل تصورها وحصولها في الأفهام، وإلا فـ«الْحَقُّ تَعَالَى لَا صُورَةَ لَهُ ولَهُ كُلُّ الصُّوَرِ، وَإِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ تَعَالَى هُوَ الْخَالِقُ الْبَارِئُ الْمُصَوِّرُ» (النابلسي: 2017، ص، 1468)، وبلوغ هذه الحقيقة للعارف منطلقها الرحلة من الأثار والسوى إلى الذات العلية، أو من الأكوان إلى المكون، حسب تعبير ابن عطاء الله السكندري (الشرنوبي: 1989، ص، 51)

ب- في ذكر تأثير المدامة السحري في من يعاقرها أو يقترب منها:

راهنت الذات الشاعرة على تكثيف المعنى في هذا الوحدة الدلالية سيرا على نهجها في الوحدة الدلالية السابقة، عدتها في ذلك توليد المعاني الكثيرة من القول الوجيز باستثمار ما يسعف في ذلك من أبواب البلاغة، ولذلك نلفيها هنا قد حشدت تفاصيل صورة شعرية حبلى بالدلالات كما سنبينه:

فَإِنْ ذُكِرَتْ في الْحَيِّ أَصْبَحَ أَهْلُهُ *** نَشَاوَى ولَا عَارٌ عَلَيْهِمْ ولَا إِثْمُ (ابن الفارض: 1990، ص، 180)

نشير بداية إلى أن هذه الوحدة الدلالية قد بنيت معنويا على أسلوب الشرط، الذي يتأسس على فعل الشرط وجوابه، بحيث تحقق الجواب مشروط بتحقق الفعل، وهو أسلوب لاءم ربط تجليات الخمرة بما تحدثه من تأثير في معاقريها أو مجاوريها أو حتى من يسمعون بذكرها، ومثّل قالبا تعبيريا أسعف الذات الشاعرة في تكثيف المعاني التي تجعل من خمرتها متفردة عما سواها، وهو ما يتضح في المثال السابق، إذ الذات الشاعرة تربط بين أمرين: هما ذكر الخمرة من جهة، وتحقق النشوة بمجرد الذكر من جهة ثانية، وهو معنى ظاهر يخفي معان باطنة كثيرة، هي مرام الذات الشاعرة من القول الصوفي، وللكشف عن تلك المعاني ينبغي استحضار المقصود بالخمرة وهو المحبة الإلهية التي تسقى بيد الحق (منصور: د.ت، ص، 59) كما بيناه فيما تقدم من قول، ليفهم أن ما ترمي الذات الشاعرة إلى بيانه، هو تأثير المحبة الإلهية في المخلوقات والمكونات، ولعل أول ما ينبغي الانتباه إليه، أن فعل الشرط قد ورد مبنيا للمجهول، وفيه تكثيف للدلالة، وكأن الذكر ليس حكرا على أحد دون آخر، فهو متحقق في كل حال حتى مع وجود الغفلة، ولذلك يقولﷻ ﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُ مَنْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ والطَّيْرُ صَافَّاتٍ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُ وَتَسْبِيحَهُ واللهُ عَلِيمٌ بِمَا يَفْعَلُونَ﴾ (النور: 40)، غير أن أثر الذكر الذي هو النشوة، خالص لأهل الحي دون سواهم، وهم السالكون سبيل المحبة المهيؤون لانطباع أثرها في نفوسهم بمعرفتهم الله (حسان: 1954، ص، 295) ، من دون أن يترتب عن نشوتهم - بما تشتمل عليه من معاني السكر والطرب والابتهاج واللذة- أيّ لوم أو إثم بما هي متعلقات الخمرة المادية المعروفة، ولعل الحذف الذي هو وجه من وجوه الإيجاز ظاهر هنا، إذ الأصل: لا عار عليهم في الانتشاء بذكرها، ولا إثم يلحقهم بذلك، وأثره في توليد المعنى وتجويده بيّن، إذ «رُبَّ حَذْفٍ هُوَ قِلادَةُ الْجِيدِ، وقَاعِدَةُ التَّجْوِيدِ» (الجرجاني: 1988، ص، 116). وإذا كان هذا حال السالكين طريق المحبة الإلهية، المستعدين لتذوق ثمارها، فإن أثرها يمكن أن يطال غيرهم، فيحدث فيهم ما يحدث، كما يجليه هذا المثال:

وإِنْ خَطَرَتْ يَوْماً عَلَى خَاطِرِ امْرِئٍ *** أَقَامَتْ بِهِ الأَفْرَاحُ وارْتَحَلَ الْهَمُّ (ابن الفارض: 1990، ص، 180)

وهو مثال يؤكد فعل المحبة الإلهية حتى ولو كانت مجرد خطرة (حمدي: 2000، ص، 58-60) مرت بقلب أحدهم مرة، ويتجلى فعلها في إشاعة الفرح ونفي الهم والحزن وما ينطوي تحت ذلك من معان صوفية كثيرة، استطاعت الذات الشاعرة أن تكثفها دلاليا باعتماد الاستعارة المكنية مرتين في قولها: (أقامت به الأفراح) إذ استعارت للأفراح فعل الإقامة بما هي مرادف للنزول بالمكان وتعميره واستيطانه وعدم النزوح عنه، وهو معنى كبير يكشف عن الأثر العظيم الذي تحدثه المحبة الإلهية في النفوس بالخطور السريع، بله الذكر الدائم المستمر، وكذلك في قولها: (وارتحل الهم)، إذ استعارت للهم صفة الارتحال والنزوح، تكملة للمعنى الأول وتعميقا له، إذ الأفراح المتولدة عن خطور المحبة الإلهية السريع، دائمة لا يشوبها هم، فهي أفراح خالصة. وقد تضافرت الاستعارة في المثال مع الحذف لتجعل من قول الذات الشاعرة قولا وجيزا حافلا بالمعاني، وقد تحقق الحذف في الشطر الثاني إذ الأصل: أقامت الأفراح في نفسه أو قلبه، وارتحل الهم عن نفسه أو ساحته ، بالإضافة إلى ما لعبته المقابلة التي زكت المعنى المبني على التضاد بين إقامة الأفراح ورحيل الهم.

ت- في وصف المدامة من منطلق الخبرة بها ومعرفتها

يتعلق الأمر هنا بمعنى أثير عند شعراء التصوف، وهو بيان مكانة الصوفي من المعرفة بالله (حمدي: 2000، ص، 75)، ومقامه في مراقي المحبة الإلهية، ولذلك نلفي الذات الشاعرة في هذا المستوى، تتبرى للكشف عن هذه المعرفة، كما يشهد بذلك هذا المثال:

يَقُولونَ لي صِفْهَا فَأَنْتَ بِوَصْفِهَا *** خَبِيرٌ أَجَلْ عِنْدِي بِأَوْصَافِهَا عِلْمُ (ابن الفارض: 1990، ص، 182)

يبدو أن وصف الخمرة الصوفية المرادفة للمحبة الإلهية، غير مستطاع إذ هو معنى مفارق تعجز اللغة عن مجاراته؛ لأنه «« كُلَّمَا اتَّسَعَتِ الرُّؤْيَةُ، ضَاقَتِ الْعِبَارَةُ.» (النفري: 1985، ص، 115)، ولذلك تسعى الذات

الشاعرة هنا إلى تكثيف المعاني لعلها تقترب من نقل تجربتها التي وإن كانت يقينية، فإن نقلها-كما هي- مشكوك في أمره، ولعل المتمعن في المثال السابق الذكر، يدرك أنه بني على الحذف في قوله: صفها: «أَيْ اذْكُرْ لَنَا صِفَاتِهَا الَّتِي تَعَلَّقَ كَشْفُكَ وَوِجْدانُكَ بِهَا لِنَعْلَمَهَا فَنَعْرِفَهَا كَمَا عَرَفْتَهَا أَنْتَ» (النابلسي: 2017، ص، 1504)، وكذلك في قوله: "أجل عندي بأوصافها علم"، إذ الأصل: فقلت لهم أجل... وفي ذلك إشارة إلى تأكيد تحقق معرفة الذات الشاعرة بالمحبة الإلهية، وعلمها بها بما تحقق لها من كشف ووجدان، ثم إن الجواب بأجل وليس نعم تأكيد على أن قول الآخرين يتعلق بطلب لا باستفهام، وهو طلب متكرر الحدوث متجدد الحصول، يشهد بذلك الفعل المضارع "يقولون" الذي يضمر معنى التجدد والتكرار، ومعنى كثرة الطالبين للمعرفة وتعددهم، وإذا كان طلب الأغيار متعلقا بمعرفة وصف الخمرة الصوفية، فإن الذات الشاعرة في إجابتها الطلب، تُعدِّل المعنى وتصوبه، لتعلن أن الأمر يتعلق بأوصاف بصيغة الجمع لا بصيغة المفرد، لأن المحبة الإلهية والمعرفة بها لا يحدها وصف، ولا أوصاف، ولذلك عبرت الذات الشاعرة عن ذوقها ووجدانها للخمرة الصوفية بلفظ " علم" (حمدي: 2000، ص، 79) الذي ورد نكرة إشارة إلى أنه علم خاص بالذات الشاعرة وذوقها، تقابله علوم لا تعد ولا تحصى بحسب تعدد السالكين وتباين مواجيدهم وأذواقهم.

وعلم الذات الشاعرة بأوصاف الخمرة الإلهية تحده بقولها: (ابن الفارض: 1990، ص، 182)

صَفَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلُطْفٌ وَلَا هَوَا *** وَنُورٌ وَلَا نَارٌ وَرُوحٌ وَلَا جِسْمُ

وهذا المثال قد بني بدوره على تكثيف المعاني باعتماد الإيجاز، عن طريق الحذف أولا، إذ الأصل: وصفي لها هو أنها صفاء لا كثافة ماء فيه، وهي لطف ولا كثافة هواء فيه، وهي نور غير متعلق بمصدر مادي كالنار، وروح غير مقترنة بعرض الجسمية، مع ما تنطوي عليه ألفاظ (صفاء ولطف ونور وروح) من معان عديدة، في عرف الصوفية أو شعراء الخمرة (بريري: 1985، ص، 73- 98)، يطول شرحها وتفسيرها.

ث- مباهاة الشاعر بشرب المدامة، ورده على من ينكرون عليه معاقرتها

تعبر الذات الشاعرة في هذه الوحدة الدلالية عن معنى شديد الارتباط بالخمرة في الشعر، وهو رفض اللوم فيها، جريا على ديدن شعراء الخمرة المعروفين في ذلك، ولذلك نلفي الذات الشاعرة تعبر عن معاني اللوم في معاقرة الخمرة، ومعاني رفض هذا اللوم والرد على العواذل واللوم، بأسلوب مبني على التكثيف المعنوي باعتماد الإيجاز الذي يمتح مادته من تضافر ما هو بياني ومعنوي كما بيناه آنفا، ومثال ذلك قول الشاعر: (ابن الفارض: 1990، ص، 184)

وقَالُوا شَرِبْتَ الْإِثْمَ كَلَّا وَإِنَّمَا *** شَرِبْتُ الَّتِي فِي تَرْكِهَا عِنْدِيَ الْإِثْمُ

يتضح أن الإيجاز في هذا المثال وما تولد عنه من معان، هو نتيجة لتآلف بعض الإمكانات التعبيرية التي في مقدمتها الحذف، في قوله: "قالو"، أي قالوا يلومونني على معاقرة تلك الخمرة ومعرفتي بأوصافها وأحوالها، ثم المجاز المرسل الذي علاقته السببية، بذكر الإثم الذي هو نتيجة لشرب الخمرة في عرف اللائمين، ثم الحذف في

رد الذات الشاعرة بكلا، إذ الأصل فرددت عليهم بالقول: كلا، ثم التقديم والتأخير، بتقديم الجار والمجرور على متعلقه، لبيان ارتباط الذات الشاعرة بالمحبة الإلهية ومداومة السكر بها؛ لأن الإثم في تركها لا في معاقرتها كما يتوهمه المحجوبون عنها.

خاتمة:

نخلص في خاتمة هذه الورقة إلى جملة من النتائج نسطرها كما يلي:

- أمدتنا المدونة البلاغية بإشارات بخصوص الإيجاز تجعل منه ألية لتوليد المعاني وتكثيفها بتضافر المكونات البلاغية من بيان ومعاني، عوض مجرد المقايسة الكمية بين اللفظ والمعنى،
- اعتماد الخطاب الصوفي على الإيجاز له ما يسوغه، لكونه خطابا يحتفي بالرمز والإشارة بما هي متعلقات للإيجاز دالة عليه،
- خمرية ابن الفارض نموذج للشعر الصوفي الذي تفرض عوالمه المعنوية غير المعتادة ارتياد الشعراء لمكون الإيجاز بحثا عن توليد المعاني بالانتقال من ظاهر اللفظ إلى باطنه.

لائحة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

- القرآن الكريم (رواية ورش عن نافع)
- إبراهيم محمد منصور، الشعر والتصوف الأثر الصوفي في الشعر العربي المعاصر، دار الأمين للنشر والتوزيع، دت
- شرف الدين ابن الفارض، الديوان، شرحه وقدم له مهدي محمد ناصر الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1990
- عبد الحكيم حسان ، التصوف في الشعر العربي نشأته وتطوره حتى آخر القرن الثالث الهجري، مكتبة الأنجلو المصرية،
- عبد الغني النابلسي ، كشف السر الغامض في شرح ديوان ابن الفارض، تحقيق ودراسة خالد الزرعي، دار نينوى، ج3، ط1، 2017
- عبد القاهر الجرجاني ، دلائل الإعجاز، تصحيح، الشيخ محمد عبده و الشيخ محمد محمود التركزي الشنقيطي، علق حواشيه محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط1، 1409هـ، 1988.1954
- عبد المجيد الشرنوبي ، شرح الحكم العطائية، علق عليه عبد الفتاح البزم، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط2، 1989.

- عمرو بن بحر الجاحظ ، الحيوان، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، مطبعة الحلبي، ج، 1، ط2، 1967.
- عمرو بن بحر الجاحظ، البيان والتبيين، تحقيق وشرح عبد السلام محمد هارون، ج1، مكتبة الخانجي، القاهرةط7، 1998.
- علي بن عيسى الرماني، النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، حققها وعلق عليها محمد خلف الله أحمد و محمد زغلول سلام، دار المعارف بمصر، ط3، دت.
- محمد أحمد بريري، رمز الخمر في الشعر العربي القديم، Alif : Journal Of Comparative Poetics, No.5, The Mystical Dimensien in Literature (spring, 1985), pp. 73-98
- محمد بن علي السكاكي ، مفتاح العلوم، ضبطه وكتب هوامشه وعلق عليه نعيم زرزور، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط2، 1987.
- محمد عبد الجبار النفري، ، المواقف والمخاطبات، تحقيق آرثر أربري، تقديم د عبد القادر محمود، هيئة الكتاب، القاهرة 1985.
- هدى بن باديس ، بلاغة الوفرة وبلاغة الندرة مبحث في الإيجاز والإطناب، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، ط1، 2008.

باللغة الأجنبية:

- Henry Corbin, Creative Imagination In The Sufism Of Ibn Arabi, Princeton University Press, 1969
- Marlene Rene Dubois, ‘ Abd al-Rahman Jami’s Lawami’ : A Translation Study, Stony Brook University, 2010
- Reynold A. Nicholson, The Mystics Of Islam, World Wisdom, 2002

الخطأ البيداغوجي: أنواعه وأهميته التربوية:
" الخطأ اللغوي أنموذجا "
its types and educational importance:
"Linguistic error example".

ذ:عبد الله الحتوك، جامعة سيدي محمد بن عبد الله، كلية الآداب سايس،فاس، المغرب.
مختبر: المغرب: التاريخ، العلوم الشرعية واللغات.
البريد الإليكتروني: abdellah8787@gmail.com

الملخص:
تعد اللغة وعاء لصور المجتمع المتنوعة وأداة التواصل الفضلى بين الشعوب والأمم عبر التاريخ، وقد شكل مبحث تدريسها وطرق تعليمها وتعلمها للناشئة محط اهتمام منظري علم البيداغوجيا بشتى أقطابها. وهذه الورقة تحاول المساهمة في البحث في محور الخطأ البيداغوجي" وعن أهميته وسبل معالجته متخذين من الخطأ اللغوي أنموذجا للدراسة التطبيقية المرتبطة بهذا المبحث الهام.
الكلمات المفاتيح: الخطأ اللغوي، الفضاء التربوي، البيداغوجيا.

Abstract :
The language is a container for the various images of society and the school and the ideal communication tool between peoples and nations throughout history. The topic of teaching it and the methods of teaching and learning it to young people constituted the focus of attention of the theorists of pedagogical science in all its aspects. This paper attempts to contribute to the research on the axis of the "pedagogical error" and its importance and ways to address it, taking the linguistic error as a model for the applied study related to this important topic.
Keywords: linguistic error, educational space, pedagogy.

مقدمة :

تعتبر اللّغة أحد العناصر الأساسيّة في الحياة الإنسانيّة، فهي أداة مهمة في نقل الأفكار"، (خليلي،2006،ص67)، فلغتنا العربية الفصيحة هي بمثابة التعبير الأول عن أصالة الأمة، وكانت فروعها من أعظم الوسائل لتقويم ألسنة التّلاميذ وعصمتهم من الوقوع في الأخطاء، فقد ازداد خطره في عصرنا، وهذاّ الأمر طبيعي لأن الأخطاء اللّغوية تعد جزءا مهما من التعلّم نفسه، فجميع المتعلّمين لا يتوقفون عن اقتراف الأخطاء حتّى يكتمل التعلم لديهم، وعلى اختلاف تسمياته يمثل هما لغويا في حياتنا التعليمية والعامة. إن الخطأ

يكاد يستوي فيه الضعفاء من تلاميذ المدارس والمتقدمون في التحصيل منهم، بل إنه يمتد إلى الكثير من المشتغلين بالعربية والمتخصصين فيها ومن أشهر مرادفاته اللّحن قديما والغلط والزلة أو العثرة".

وقد حاولنا قدر المستطاع الإجابة في هذا المقال عن الأسئلة التالية:

- ✓ ما مدلول الخطأ: لغة واصطلاحا؟
- ✓ ما مفهوم الخطأ بيداغوجيا؟
- ✓ ما هي الأسباب الثاوية وراء وقوع المتعلم في الخطأ؟
- ✓ ما أهمية الخطأ في التعلم؟
- ✓ كيف يمكن معالجة الخطأ اللغوي؟
- ✓ عرض بعض نماذج الأخطاء التي يقع فيها المتعلمون من خلال إنتاجاتهم الكتابية

فرضيات المقال:

ونهدف من خلال هذا المقال وعلى ضوء الإشكاليات السالفة الذكر ارتأينا صياغة مجموعة من الفضيات سنحاول التحقق من صحتها وذلك بالاجابة عن الأسئلة المطروحة سابقا:

- ❖ **الفرضية الأولى**: الخطأ خاصية إنسانية عامة بين جميع الناس.
- ❖ **الفرضية الثانية**: من الممكن اعتبار الخطأ وسيلة تعليمية مهمة.
- ❖ الفرضية الثالثة: تسهم البرامج والمناهج التربوية المعتمدة في المدرسة المغربية في شيوع الخطأ اللغوي.

✓ **الفرضية الرابعة:** الخطأ اللغوي مرتبط أساسا بطرق تدريس مكون علوم اللغة المستند بالأساس على النمط التقليدي.

✓ **أولا: مفهوم الخطأ لغة واصطلاحا:**

يشكل الخطأ اللغوي همّا كبيرا في حياتنا، يشعر به متعلمو اللغة ذلك أنه ضعف لغوي نلحظه في مختلف الإنتاجات الكتابية التي نقرؤها في الصحف والجرائد وإنتاجات المتعلمين في المدرسة، وبالنظر لأهمية الاهتمام به فلا بد من تحديد مدلوله اللغوي والاصطلاحي:

1) : الخطأ لغة:

أورد الزمخشري في أساسه تعريفا للخطأ بقوله: ((أخطأ في المسألة وفي الرأي، وخطأ خطأً عظيما إذا تعمد الذنب، وقال أيضا: لأن تخطئ في العلم خير أتخطئ في الدين، وقيل: هما واحد")).(الزمخشري،2003، ص2088).

ويقول الفيروز أبادي في قاموسه:((أخطأ إخطاء وخاطئة، وتخطأ وخطئ لغته رديئة، والخطأ ما لم يعتمد، ج خطايا.

والخطأ في معجم اللغة العربية المعاصرة: "خطئ يخطأ وخطئًا، فهو خاطئ، خطئَ الشخص: أحاد عن الصواب، خطئ السهم الهدف، تجاوزه، لم يصبه)) (الفيروز أبادي، 1999، ص14).

من خلال قراءتنا واستقرائنا لهذه التعريفات ذات الطابع اللغوي، استخلصنا أن مصطلح "الخطأ" أريد به كل الأشياء التي تجانب الصواب ومن مرادفاته في اللغة" اللحن والغلط والزلة والعثرة.

2) الخطأ اصطلاحا:

يعد مبحث الخطأ اللغوي من بين المباحث التي شغلت بال المهتمين بالحقل التربوي نظرا لأهميته الكبرى في رصد مكان الخلل التعلمية التي يعاني منها المتعلمون في المدرسة. وسنورد في هذا الصد مجموعة من أشهر التعريفات التي تناولت الخطأ.

أول هذه التعريفات الشهيرة نجد التعريف الذي قدمه العالم "**كريستال**" حيث عرف الخطأ اللغوي بقوله بأنه هو: ((استخدام متعلمي اللغة الهدف المادة اللغوية فيها بصورة مخالفة لقوانينها، لأن معرفتهم بهذه القوانين غير كاملة وأنه ناتج عن الاستخدام التلقائي أو العفوي للغة، ويمكن عزوه إلى قصور عصبي عضلي يسطر على الدماغ")) (أبو الرب،2005،ص43-44).

نستخلص من هذا التعريف أن صاحبه يربط سبب الوقوع في الخطأ بما هو داخلي عصبي في الإنسان.

أما التعريف الثاني فهو للباحث الأمريكي "دوغلاس براون" إذ يعرف الخطأ بأنه: ((انحراف ملحوظ في القواعد النحوية التي يستخدمها الكبار في لغتهم الأم، ويعكس القدرة المرحلية لدى الدارس)) (صيد،2014،ص205). وفي تعريف آخر فالخطأ اللغوي هو:((عدم مطابقة الحكم للواقع أو عدم انسجام الفكر مع ذاته ومع الواقع على حد سواء، وقد يكون الخطأ هوى وميل ومنزعاً فكريا غير سليم إن بعد الباطل حقا أو الحق باطلا، فهو بذلك إقرار كاذب فاسد وزائف)) (حمداوي،2015،ص07).

يتبين من خلال كل ما سبق أن الخطأ اللغوي هو الحالة التي يخالف فيها المتعلم مبادئ وقواعد وقوانين المدونة اللغوية التي يستعملها أثناء إنتاجاته الكتابية أو الشفوية على حد سواء.

3) ـ مفهوم الخطأ بيداغوجيا:

يقصد بالخطأ من الناحية البيداغوجية ذلك النقص الذي يعتري المتعلم في استيعاب التعلمات الحديثة عليه وهذا الخطأ يتظهر من خلال سلوكاته، والبيداغوجيا الحديثة تنظر إلى الخطأ ((نظرة إيجابية وهي بذلك أحدثت نقلة متميزة في التعامل مع مشكلات التعلم لدى المتعلم، فالخطأ أصبح عبارة عن رسالة تعبر عن شكل مسار التعلم وتصفح عن وجود صعوبة ما يواجهها المتعلم في تحقيق أهدافه")) (خالد،2017،ص177).

ولعل السبب الذي جعل والبيداغوجيا الحديثة لم ترفض الخطأ وتعاملت معه معاملة إيجابية واختارته موضوعا هاما للدراسة، لأنه يشكل أحد العوامل التي تساعد الإنسان على التعلم. فالمحاولة والخطأ ثنائيتان تساعدان المتعلم على صقل قدرته وإغناء تجاربه ومداركه وتنمية حسه النقدي وقدرته على حل المشكلات بحكم الاحتكاك مع

خبرات جديدة. ولعل هذا الطرح هو ما تؤيده نظرية "علم النفس اللغوي"، ولعل شرعنا الإسلامي الحنيف اهتم هو الآخر بالخطأ وأهميته من خلال ما رواه البخاري في صحيحه:((حدثنا عبد الله بن يزيد المقري المكي، حدثنا حيوة: حدثني يزيد بن عبد الله بن الهادي، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث، عن بشير بن سعيد عن أبي قيس مولى عمرو بن العاص، أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: إذا حكم الحاكم فاجتهد ثم أصاب فله أجران، وإن حكم فاجتهد ثم أخطأ فله أجر)) (البخاري،2002،ص455).

4) **أنواع الأخطاء من الناحية البيداغوجية:**

1.1. **أخطاء مرتبطة بما هو عضوي:** ((ثمة مجموعة من الأخطاء يرتكبها المتعلم لها علاقة بالأسباب العضوية، مثل: التلعثم، أو نطق أصوات خاطئة بسبب انحباس عضوي أو مرض أو آفة في الجهاز التنفسي أو جهاز النطق، أو بسبب فقدان المتعلم لأسنانه أو لسان فمه)) (حمداوي، 2015، ص60).

1.2. **الأخطاء ذات البعد اللغوي التقابلي**: ويقصد بعلم اللغة التقابلي عند المتخصصين هو((مقاربة النظام اللغوي بين لغتين مختلفتين مثلا النظام الصوتي أو النظام النحوي في اللغة العربية واللغة الماليزية. ويهتم التحليل التقابلي ببيان أوجه التشابه والاختلاف بين اللغة الأم واللغة الثانية، وإن أكثر الأخطاء تأتي بسبب التدخل من اللغة الأم، ولهذا يدعي بأن الأخطاء ضارة ويجب أن تزال ولقد كان أكثر نجاحا في الأصوات من المجالات الأخرى من اللغة)) (جاسم، 2000،ص305).

ومن الناحية البيداغوجية فهناك((أخطاء ناتجة عن التداخل اللغوي، أو ناتج عن الازدواجية اللغوية أو التعددية اللغوية لدى المتعلمين سواء على مستوى توظيف المصطلحات أو التعابير، فهناك من يكتب عربية، وهو يكتب إنشاء بالفرنسية أو يستعمل ألفاظا من لغته الأم، ويعتقد أنها من الفصحى")) (حمداوي،2015،ص60).

الأخطاء ذات المصدر السيكولوجي: وهي أسباب مرتبطة بنفسية المتعلم مثل((التلعثم، وصعوبة القراءة والكتابة")) (حمداوي، 2015،ص61).

الأخطاء ذات البعد المجتمعي: وترتبط هذه الأخطاء أساسا بما هو ((سوسيولوجي كالإيمان بالخرافات والشائعات والسحر والمعتقدات الصالحة والباطلة التي تروج مجموعة من الأفكار الثيولوجية ذات الطابع الضيق")) (حمداوي، 2015،ص61).

الأخطاء ذات الطابع التربوي: وهي أخطاء يرتكبها المتعلم والتي تمس المستويات اللسانية اللغوية بأنواعها المختلفة"صوتية، تركيبية، دلالية، معجمية..".

((الأخطاء ذات الطابع الرقمي: وهي الأخطاء التي يكون سببها" الحاسوب أو شبكة الإنترنت".

الأخطاء ذات البعد الأخلاقي: "هناك أخطاء يرتكبها المتعلم يكون مصدرها أخلاقي بمعنى أنها تتنافى مع القيم والأخلاق الرسمية")) (حمداوي،2015 ،ص64) .

5) أسباب الخطأ:

1-5 أسباب مرتبطة بالمدرسة والمتعلم: من المؤسف حقا انتشار الأخطاء اللغوية في إنتاجات المتعلمين الكتابية بشكل مخيف وملفت، فالملاحظ لواقع المدرسة والمتعلم أن هناك عدم" مراعاة الناحية الوظيفية في اختيار المباحث النحوية والإملائية واختيار هذه المباحث لا يتم على أساس علمي موضوعي، "وإنما نختار بناء على الخبرة الشخصية على حساب المباحث الأخرى، هذا كله أدى إلى نفور التلاميذ من مادة النحو وعدم إقبالهم على دراستها لأنها لا تحرك لديهم دافعية التقدم.

2-5 أسباب تتعلق بالمعلم وصفاته: ((يمثل المعلم عنصرا من عناصر العملية التربوية ولا شك أن دور المعلم بارز حتى مع أحدث طرق التعليم، وقد يفشل في التدريس إذا كان دور المدرس غائبا في عملية توجيه التلاميذ.

3-5 أسباب مرتبطة بطرائق التدريس، وما نطمح إلى تحقيقه: اهتمام بعض مدرسي اللغة العربية المتعلمين القواعد والتعاريف لاستظهارها دون فهم، ويتغاضى بقصد أو غير قصد ويكتفي بالإشارة إلى الأخطاء دون معالجتها، ولا يتابع المتعلمين فيما قاموا بتصويب الأخطاء أو غير ذلك)) (خليل،2017،ص264-267)، إضافة إلى الأساليب المتبعة في المدارس ويعود استخدامها بشكل ملحوظ عند غالبية المعلمين للأسباب الآتية:

- قصر أمد الحصة التعليمية.
- ازدحام المواد الدراسية في المنهاج، فضلا أن المنهاج غير متناسب وقدرات المتعلمين ورغباتهم.
- ـ جمود التدريبات التطبيقية فهي غبر مستوحاة من واقع المتعلمين.
- تكليف المتعلم بواجبات كثيرة تثقل كاهله، وتخلق في نفسيته نوعا من الملل والضجر تجاه المدرسة والتعلم.

4-5 أسباب متعلقة بالمنهاج والمقرر الدراسي:

ويمكن إجمال أهم الأسباب التي تسهم في الخطأ اللغوي والمرتبطة بعنصر المنهاج الدراسي بما يلي:

- "((عدم وضوح الأهداف العامة والأهداف الخاصة للمنهاج وضوحا كافيا يساعد المعلمين على تحديد أهداف دروسهم اليومية تحديدا دقيقا يتلاءم ومستوى متعلميهم.
- طول المنهاج وكثرة وحداته، وعددها بما يجعل هم المتعلم منصبًّا على الكمّ من دون الكيف مع ضعف التركيز على المهارات الأساسية في اللغة العربية")) (خليل،286،2017).

ويمكن توضيح هذه الأسباب التي تسهم في الخطأ اللغوي وفق الخطاطة التالية:

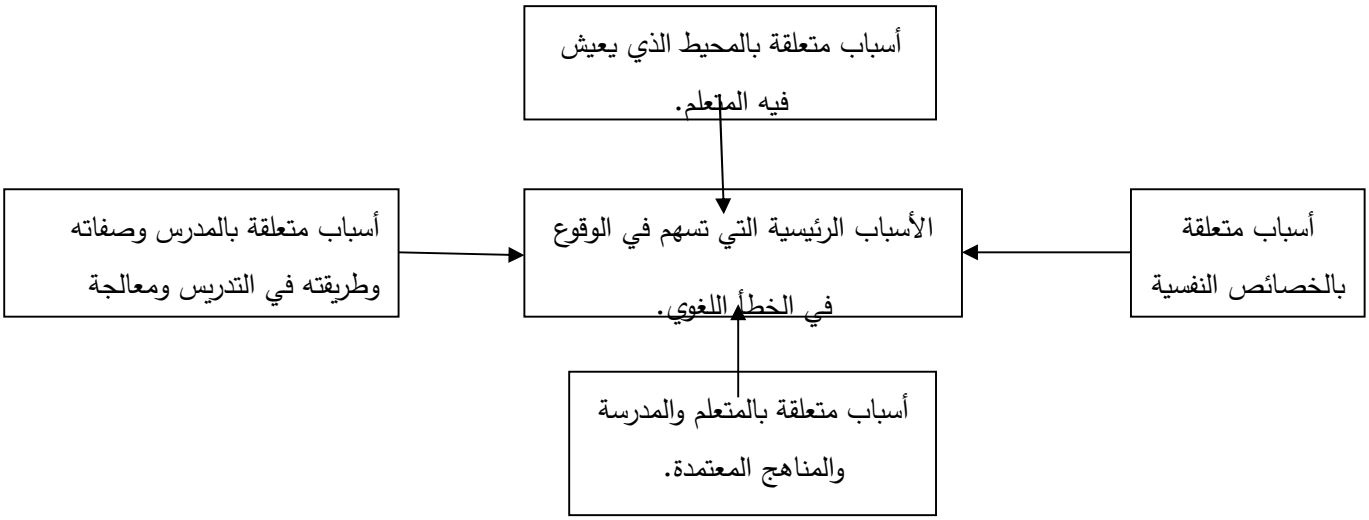

6) الأخطاء في ظل بيداغوجيا الخطأ:

يعتبر الخطأ من بين أهم المباحث الأساسية التي حظيت باهتمام ما يعرف باللسانيات التطبيقية - في شقها التعليمي على وجه الخصوص- بحيث رأت أنه ينبغي رصده وتحديده بطريقة علمية دقيقة كي تتم عملية التشخيص بطريقة مناسبة وهادفة. إذا السؤال الذي يطرح نفسه هو : كيف يتم تحديد ورصد الخطأ من الناحية البيداغوجية؟. وما الآليات والمقاييس التربوية والعلمية التي تعتمدها اللسانيات التطبيقية لرصد وتحليل الخطأ الذي يقع فيه المتعلم؟

وما هي الخطة العلاجية التي صاغها منظرو هذا الحقل اللساني التربوي لتجنب الوقوع فيه؟

تتم عملية رصد الخطأ ومعالجته تربويا حسب الباحث "رشيد التلواتي" وفق مجموعة من المراحل نجملها كالتالي:

أ- تشخيص الخطأ ورصده: وذلك من خلال الملاحظة والوصف.

ب-إشعار المتعلم بحدوث الخطأ: ويكون هذا الإشعار بالرفق وبطريقة لا تسيء للمتعلم بعدم إفزاعه وتنبيهه عند الوقوع فيه.

ت-تصنيف الخطأ: لأن اللغة لها أصناف عديدة منها ما هو نحوي، إملائي، تعبيري...

ث- تفسير أسباب الخطأ التي دفعت المتعلم إلى ارتكابه: وهي أسباب عديدة ومتنوعة أدت بالمتعلم إلى الوقوع في الخطأ: أسباب قد تكون نفسية أو اجتماعية أو أسرية..

ج- معالجة الخطأ: مساعدة المعلم للمتعلم وحرصه على تصحيح الخطأ.(التلواتي، 2014،ص3).

ومعلوم أن بيداغوجيا الخطأ قد عملت على تحديد " الأخطاء ورصدتها لمعرفة مصدرها والتقليل منها، بل طمحت إلى وضع خطة علاجية تمكن من الحد من هذه الظاهرة التي استفحلت في مدارسنا وأثرت بشكل سلبي على التحصيل الدراسي لدى متعلمينا ومتعلماتنا بالمدرسة المغربية. وهذه الخطة هي حزمة من ((القواعد

والمبادئ التي ينتجها المربون والتربويون لتنظيم عمل المربي وتوجيهه بغية تحقيق الأهداف المنشودة وتحقيق جودة عالية للعملية التعليمية التعلمية"))، (بوسعدة2012،ص21).

مرتكزات بيداغوجيا الخطأ:

تنوعت المبادئ واختلف المرتكزات التي تعتمد عليها بيداغوجيا الخطأ في تحليلها ورصدها للخطأ اللغوي، نجملها في المبادئ التالية:((

1ـ الخطأ البيداغوجي لا يعني عدم المعرفة ولكن يعبر عن معرفة مضطربة يجب الانطلاق منها لبناء معرفة صحيحة.

2ـ لا يمكن تفادي الخطأ في سيرورة العلم.

3ـ الخطأ خاصية إنسانية.

4ـ الخطأ شرط للتعلم.

5ـ من حق المتعلم أن يخطئ.

6ـ الخطأ ذو قيمة تشخيصية.

7ـ من الأفضل أن يكون المتعلم هو من يكتشف أخطاءه ويصححها ذاتيا لكي تنمي لديه الثقة بالنفس أو اتخاذ القرار")) (التلواتي، 2014، ص4).

انطلاقا من هذا المرتكزات والمبادئ التي تؤسس عليها بيداغوجيا الخطأ نظرتها للخطأ، يتبين لقارئها أن الخطأ مسلَّمةٌ منطقية وخاصية ملازمة للإنسان ومعبر عن شخصيته، وتوضح هذه المبادئ كذلك أنه من الصعب تفادي الخطأ بحيث أن اكتشافه ثقة الإنسان بنفسه ويمكنه بناء معرفة سليمة إذا ما اعتمد على الأسس المنهجية والعلمية أثناء العملية التعليمية التعلمية.

الأبعاد الرئيسية لبيداغوجيا الخطأ:

ميز منظرو البيداغوجيا -لحيز الخطأ بما هو مبدأ أساسي للتعلم- بين ثلاثة أبعاد نجملها كالتالي:

1ـ البعد الإبستيمولوجي: ((هو بعد يرتبط بالمعرفة بحد ذاتها بحيث يمكن للمتعلم أن يعيد ارتكاب الأخطاء نفسها التي ارتكبتها البشرية في تاريخ تطورها العلمي.

2ـ البعد السيكولوجي: يتجلى في اعتبار الخطأ ترجمة للتمثلات التي راكمها المتعلم من خلال تجاربه وتكون ذات علاقة بالنمو للمتعلم.

البعد البيداغوجي: ويرتبط بالأخطاء الناجمة عن عدم ملاءمة الطرائق البيداغوجية لحاجات المتعلم ويمكن معالجته بإتاحة الفرصة له ومحاولة تصحيحها بنفسه لاكتشاف أخطائه)) (التلواتي، 2014، ص60).

يتضح من خلال عرض هذه الأبعاد أن لكل بعد خاصية تميزه وأن مراعاتها ضرورية كي تتم معالجة مختلف التعثرات التي قد تعرض المتعلم أثناء عملية التعلم. فمهمة البيداغوجيا حسب أحد الباحثين باعتبارها ((مجموع

الأفكار والرؤى التي تتشكل في نظريات تدعو إلى منهج تربوي معين أو طرق تعليمية توجه عمل المدرس")). (بوسعدة، 2012،ص22). ويرى دوركايم أن البيداغوجيا ((نظرية علمية... لا تدرس عملية الأنظمة التربوية ولكنها تفكر فيها لتوفر لنشاط المربي الأفكار التي توجهه)) (بوسعدة، 2012ص23). ومنه نخلص إلى أن البيداغوجيا هي تلك الوسيلة المساعدة على تجنب الوقوع في الخطأ باعتبارها إياه مدخلا مهما يسهم في نجاح عملية التعليم والتعلم، ولكون منظريها يشتغلون بمنطق من لم يخطئ لا يتعلم من خطئه.

7) **معالجة الخطأ:**

يقدم الباحث المغربي والخبير في علوم التربية "العربي السليماني" إلى جانب الباحث رشيد الخديمي مجموعة من المقترحات التي يروا أنها ناجعة لمعالجة الخطأ الذي يقع فيه المتعلم، ونذكرها كالتالي:((

- افتراض الخطأ: البناء التعليمي التعلمي، وترتب إجابات وإنجازات مرتبطة أساسا بتمثلات المتعلمين للموضوع الجديد.
- مواجهة الخطأ: أن يدفع المدرس المتعلم إلى الإحساس بالخطأ واعتباره حالة عابرة يمر بها الناس جميعا.
- تحليل الخطأ: يستحسن أن يقوم به المتعلم، فإذا لم يستطع فعلى المدرس أن يساعده أو يطلب من زملائه محاولة التحليل، لكن في شكل رأي ومنافسة شريفة.
- معالجة الخطأ: تتخذ مسلكين هما:
- المسلك الأول: هو جعل المتعلم يتحرر من عقدة اعتبار الخطأ آفة أو ظاهرة مرضية وبالتالي جعله يكشف الأسباب التي أدت به إلى الخطأ ... من أجل بناء المعرفة الملائمة.
- **المسلك الثاني**: يتمثل في إشعار المتعلم بضرورة التعلم والتعلم مدى الحياة الشيء الذي يتطلب منه بذل الجهد والتحلي بالصبر والأناة والروية سواء أجوبته وردوده صحيحه"((السليماني، 2002،ص30)).

8) **الأخطاء اللغوية من خلال إنجازات المتعلمين الكتابية.**

"الأخطاء التركيبية نموذجا"

يؤكد أحد الباحثين على أن((محور الدرس التركيبي هو الجملة أو التركيب اللغوي")) (عمر،2018،ص10)، فإذا كان علم الأصوات يهتم بدراسة بنية الحرف من حيث صفته ومخرجه، وعلم الصرف يهتم بدراسة الكلمة من حيث تغييراتها وتقليباتها فإن مجال دراسة علم التركيب باعتباره مستوى لغويا متقدما هو الجملة. ذلك أن المحدد الأساسي في تشكيل الجمل والتراكيب في أية لغة لتتخذ شكلا دلاليا صحيحا هو تركيبها بشكل سليم نحويا، والذي يقتضي بالضرورة احترام قواعد النحو التي تضبط حركات المفردات اللغوية داخل التركيب الجملة. والذي يحترم التسلسل المناسب والمتوافق لمفردات وألفاظ الجملة، ونظرا لكثرة الأخطاء على مستوى تركيب العبارات والجمل التي رصدنها في إطار تحليل النماذج التي استقيناها من إنجازات المتعلمين ببعض المؤسسات التعليمية. آثرنا تقسيمها إلى ثلاثة أصناف، صنف يندرج ضمن الأخطاء الأسلوبية وآخر ضمن الأخطاء

الإملائية. ونوع آخر رصدنا من خلاله مختلف الأخطاء التي يقع فيها المتعلم والمتعلقة بتوظيف الروابط ومدى قدرت على التمييز بينها (روابط لغوية، منطقية ...).

كثيرة ومتنوعة هي الأخطاء الأسلوبية/التركيبية المرصودة في أعمال المتعلمين المدروسة، ومثال ذلك كثرة استخدامهم لمجموعة من المعاني التي غالبا ما تكون خارج الموضوع التحليلي المراد الكتابة حوله، حيث وقفنا عند مجموعة من التعبير التي لا أصل دلالي لها ولا يعرف سبب ذكرها في ذاك السياق، بل ليس لها أية علاقة أو صلة بالموضوع، كما سجلنا كذلك مجموعة من الملاحظات منها كثرة استعمال اللفظ وتكرار المعاني بشكل لا يقدم أية إضافة للمعنى المراد. بل يؤثر سلبا على التراكيب و التعابير ومعاني الأساليب.

مثل قول أحدهم قبل ظهور الكتاب الإلكتروني وبعد ظهور الكتاب الإلكتروني، بدل قوله بشكل مختصر (قبل ظهور الكتاب الإلكتروني وبعده)، كذلك يلاحظ ركاكة في ترتيب الأفكار وعدم ثباتها إذ يشوبها اضطراب واضح، فحسب الباحث المغربي جميل حمداوي" ((ليس النص حسب المقاربة التداولية مجرد خطاب لتبادل الأخبار والأقوال والأحاديث، بل يهدف عبر مجموعة من الأقوال والأفعال الإنجازية إلى تغيير وضع المتلقي، وتغيير نظام معتقداته أو تغيير موقفه السلوكي")) (حمداوي، 2015، ص29). لذلك يجب أن نعلم المتعلمة والمتعلم على أنه إذا أنتج خطابا " كتابيا أكان أو شفهيا" أي أنه لا بد له من انتقاء المفردات والألفاظ المناسبة التي تساعده في إنتاج جمل مفيدة تتسم بالسلامة النحوية والدلالية. والتي إن سمعها السامع استوعب قصدها وقد تؤثر فيه وتغير سلوكه وقناعاته.

ولعل الحشو في الكلام هو ما يفسر ضعف المعجم اللغوي والدلالي لدى المتعلم المغربي.

- والجدول التالي يبين ويوضح عينة من الأخطاء الأسلوبية الكثيرة التي تم رصدها من خلال معاينة إنجازات المتعلمين في بعض المؤسسات التعليمية المختلفة:

	الأخطاء الأسلوبية	تصويبها	نوع الخطأ	التعليل
1	وهو ما يفسر أن الناس معضم أذواقهم	وهو ما يفسر أن معظم أطواق الناس.	تقديم ما حقه التأخير وتأخير ما حقه التقديم.	عدم إلمام المتعلم بمبحث التقديم والتأخير. مما يفسر المستوى الضعيف لدى المتعلم في تركيب الجمل.
2	فإذا بشجرة كبيرة جدا رأيتها.	فإذا بي أرى شجرة كبيرة جدا.		
3	أصبح العلم له قيمة واضحة إنسانية	أصبح للعلم قيمة إنسانية واضحة.		

4	قبل الحرب العالمية الثانية وبعد الحرب العالمية الثانية.	قبل الحرب العالمية الثانية وبعدها	وقوع المتعلم في تكرار لا يفيد المعنى المراد في شيء، على العكس يساهم في إضعافه.	الرصيد اللغوي لدى المتعلم ضعيف لذلك يغطيه بكثرة التكرار والإطناب الذي لا طائل منه
5	كانت الحياة في القديم جميلة وكانت بسيطة.	كانت الحياة في القديم جميلة وبسيطة.		
6	بسبب كونه فيه ألفاظ كثيرا صعبة.	بسبب ألفاظه الصعبة		توظيف عبارات ووسائط تثقل تركيب الجملة بدل التعبير عن المعنى بشكل مباشر.
7	ومن رواد حركة الباعث والإحياء نأتي على ذكر.	ومن شعراء حركة البعث نذكر.	إغراق التركيب بحشو لا يخدم المعنى.	
8	بل حتى وخاصة الشعر	حتى الشعر.		
9	إضافة إلى أن الأدب هو أدب عربي	إضافة إلى أن الأدب العربي.		
10	كان سوف يذهب إلى الدار.	كان سيدهب.		
11	فالله تعالى جعل فعل الصدقات هو تقرب	فالله تعالى جعل الصدقات تقرب إليه.		
12	ما إن تطلبه حتى تجده أمامك.	إن طلبته تجده أماك		
13	فالإنسان هو طبيعته أنه بكون اجتماعي بطبعه	فالإنسان اجتماعي بطبعه.		
14	إذا أشم بي أنا.	إذا بي أشم		
15	لذلك لا مشي في	لذلك لا تمشي في الطريق		

	الطريق الخطر.	الخطأ.		يستفاد من الأخطاء مدى الضعف الكبير الذي يعانيه المتعلم الغربي على مستوى تركيب الجمل وصياغتها.
16	بسبب أنه الرسم أبدع	لأن الرسم إبداع		
17	رأيت عمارات الكبيرة العالية للمدينة.	رأيت عمارات المدينة العالية الشاهقة العالية.	ركاكة في التعبير وغياب المغرفة بقواعد إسناد الضمائر للفعل المضارع.	
18	قرأت لبعض الكتاب والشعر نصوصا.	قرأت لبعض الكتّاب والشعراء.		
19	رحلت إلى أن وصلت إلى المدينة كبيرة وزرتها.	رحلت إلى المدينة التي كنت أريد زيارتها فوجدتها كبيرة.		

خلاصة:

حاولنا من خلال هذه المقالة البسيطة معالجة مفهوم الخطأ على المستويين النظري والتطبيقي، متخذين من إنجازات المتعلمين الكتابية نموذجا للدراسة التطبيقية، وقد خرجنا بجملة من الملاحظات التي تهم مبحث الخطأ في شقه اللغوي التركيبي نجملها في التالي:

- الخطأ اللغوي مشكلة عويصة يعاني منها المتعلم المغربي.
- تتداخل مجموعة من الأسباب التي تسهم في وقوع المتعلم في الخطأ منها مشكل التداخل اللغوي الذي يطبع المحيط الذي يعيشه المتعلم.
- معالجة الخطّأ اللغوي تتطلب تضافر جهود باحثين من تخصصات مختلفة.
- يجب إعادة النظر في طبيعة البرامج التعليمية وتنقيحها ولما لا الانفتاح على تجارب بيداغوجية غربية لإغناء المدرسة وإعطائها نفسا بيداغوجيا جديدا يسهم في الرفع من جودة التعلمات.

- **المصادر والمراجع:**

1) أحمد مختار عمر، أخطاء اللغة العربية المعاصرة عند الكتّاب والإذاعيين، عالم الكتب، القاهرة، ط1. 2008.
2) أحمد مختار عمر، علم الدلالة دار العروبة،ط2، الكويت،2008.
3) البخاري، صحيح البخاري، باب أجر الحاكم إذا اجتهد فأصاب أو أخطأ، دار ابن كثير، دمشق، بيروت، ط1، 2002.
4) جاسم علي جاسم، علم اللغة التطبيقي في التراث العربي،ط1، دار للطباعة والنشر.
5) جميل حمداوي، بيداغوجيا الخطأ، حقوق الطبع محفوظة للمؤلف ط.1، 2015.
6) جميل حمداوي، محاضرات في لسانيات النص، شبكة الألوكة، المغرب، 2015.
7) حلومة بوسعدة، علوم التربية، 2012.
8) خالد عبد السلام، دور اللغة الأم في تعلم اللغة العربية الفصحى في المرحلة الابتدائية بالمدرسة الجزائرية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة الدكتوراة، بكلية العلوم الجتماعية والإنسانية، قسم علم النفس، وعلوم التربية،2012/2011.
9) رشيد التلواتي، ما هي بيداغوجيا الخطأ وما هو الخطأ البيداغوجي، مجلة علوم التربية، 2014.
10) الزمخشري، أساس البلاغة، ط1، المكتبة العصرية، لبنان، 1423 هـ-2003.
11) صيد أحمد، تأثير بناء الاختبارات اللغوية وفق المقاربات بالكفاءات على إجابات المتعلمين، ع31، دار الدراسات إستراتيجية وتنمية مستقبلية، 2014.
12) العربي السليماني، المعين في التربية،دار الأمان،ط1، 2010.
13) فهد خليلي زايد، الأخطاء الشائعة، النحوية والصرفية والإملائية، د ط، دار يازوري، الأردن، الأردن، 2006.
14) الفيروز أبادي، القاموس المحيط، ط1، دار الكتب العلمية، لبنان، 1999.
15) محمد أبو الرب، الأخطاء اللغوية في ضوء علم اللغة التطبيقي، ط1، دار وائل الأردن، 2005.

Fin de partie de Samuel Beckett : Sens de l'œuvre

مضامين و دلالات مسرحية نهاية اللعبة لصاميويل بيكيت

مراد الساكت -/Mourad Saket
المعهد العالي للتنشيط الشبابي و الثقافي /تونس

ملخص المقال باللغة العربية :

تكشف مسرحية نهاية اللعبة عن تجربة حياتية قوية و فريدة من نوعها حيث يضعنا الكاتب أمام أربعة شخصيات يعيشون في مكب للنفايات و يواجهون معضلات روحية و حياتية كالموت و الحاجة إلى هدف حقيقي يعيشون من أجله. كل شخصية من شخصيات المسرحية تتفاعل مع هذه الأفكار و الأسئلة الوجودية بشكل مختلف على الآخر و يبقى للمشاهد أو المتفرج وحده حرية استخلاص العبر حول دلالات و مضامين المسرحية .

Résume en français

Fin de partie explore l'expérience existentielle humaine d'une manière unique et puissante. la pièce met en scène quatre personnages vivant dans une décharge qui sont confrontés à des dilemmes spirituels et existentiels tels que la mort, le nécessité d'un but dans vie et le culpabilité chaque personnage réagit différemment à ces questions et les spectateur peuvent tirer leurs propres conclusions sur la signification de cette pièce.

Les mots clés : Le comique dans fin de partie, La négativité dans fin de partie,Le salaud n'existe pas : sens et contresens

Abstract

The last part explores the existential human experience in a unique and powerful way. The play introduces four characters on stage living in dump and facing spirtual an existential delemmes like death and the need to have a good in life and guilt. Every one of them reacts differently to these questions and the spectators can draw their own conclusion about th meaning of the play.

.

Introduction

Etiquetés sous le dénominateur commun de théâtre d'avant-garde propice à tous les malentendus, ou celui de « théâtre de l'absurde »,

En attendant Godo, la dernière bande et fin de partie furent montés, exportés, contestés, portés aux nues, compris ou hais, mais dans l'élaboration d'un style scénique nouveau se retrouvent solidairement engagés.

Ces pièces ont été jouées et rejouées des centaines de fois et donc servirent, et servent encore de levain, de référence, de point de repère a tous ce qui vit aujourd'hui dans la création théâtrale.

Mais notre analyse va se limiter sur fin de partie qui a fait de son auteur un mythe littéraire de 20éme siècle et on va s'intéresser au sens de cette pièce.

I- Sens de l'œuvre :

En effet entre le lever et le coucher du soleil fantomatique, dans un espace clos, on assiste à un jeu dans un monde de sadisme, de peur, de haine, de pitié… animé par quatre personnages se prêtant à jeu tour a tour cruel, tendre, sardonique ou résigné, des silhouettes vont, viennent, se dressent, s'effondrent, s'agitent un court instant et disparaissent.

Elles agissent et parlent sans que nous comprenions vraiment leur motivations et les buts auxquels tendent ces personnages se contentent de leur position statique.

Se répétant temps après temps, changeant d'attitude brusquement sans s'apercevoir ou sentir en eux aucune évolution psychologique.

Fin de partie si serrée quelle soit, si contractée sur l'essentiel, si dénuée, en effet, de la moindre facilité, sans remporter le triomphe de En attendant Godo fut un grand succès.

En attendant Godo écrite tout d'une traite en un mois, devait sans doute a cette naissance aisée, une évidence un plaisir d'être dont on ne retrouve pas l'équivalent dans Fin de partie.

Beckett travailla prés de deux ans a cette seconde pièce (deux versions chacune en deux actes, précédèrent la version définitive qui n'en compte plus qu'un.) C'est la seule pièce de Beckett qui ne soit pas construite sur deux actes. Le rythme binaire étant par excellence de l'éternel inachèvement, de l'éternel remise en question dans ce cercle vicieux de l'humanité qu'est l'existence.

Au cours de cette acte unique, quelque chose avance, comme l'annonce Clov, d'entrée de jeu, quelque chose qui est la mort sans doute, à l'œuvre en chaque homme depuis l'instant de sa naissance, mais qui est aussi, au delà de cette mort, le passage d'un seuil, la fin d'une attente, le saut dans un autre ordre enfin affranchi des limitations militantes qui persécutent tous les héros beckettiens .limitations qu'ils subissent ou qu'ils s'imposent .

La mort à soi même, le dépouillement de vieil homme et de ses œuvres qui forment l'indispensable condition d'une accession au royaume, à travers tout l'enseignement du christ. Les héros beckettiens s'y soumettent généralement avec une sorte d'ardeur effrayante. Ils se présentent humiliés dans leur chair, dénués de tout, soumis à des mutilations diverses: à demi pétrifiés, évidés, comme pour se rapprocher mieux du second terme de la promesse, quelque nouvelle naissance au cœur de l'essentiel. Mais le second terme de cette dialectique manque à tout jamais dans l'univers beckettiens. Il n'y a pas de rachat, la grâce est absente, la promesse non tenue. L'homme reste seul offert au néant, conscient seulement de ses souffrances indicibles et du néant qui les couronne. Et cette conscience c'est cette voix, la voix de l'écrivain, celle de Beckett. "Fini, c'est fini, ça va finir, ça va peut être finir"(Beckett, fin de partie, p13), tels sont les premiers mots de la pièce; et bien que l'érosion, l'usure des choses, des personnages, des mots ne cessent d'aller croissant, bien que l'air se raréfie à la limite de l'asphyxie jusqu'au lever du rideau, il n'y a nulle apparence que le terme final soit jamais atteint. Bien avant l'ère chrétienne, l'école d'Blée obsédée par la notion d'infini partout présente dans la nature, témoigne déjà, à travers les paradoxes de Zenon, de cette effort héroïque et désespéré de l'homme pour dompter la réalité par une prise juste du fuyant

infini. Trois générations sont en présence dans Fin de partie: les vieux, le père, le fils, calfeutrés dans un intérieur sans meubles, sous une lumière grisâtre (il ne fait pas jour et il ne fait pas nuit) auprès desquels la route, l'arbre, la lune de Godot paraissent presque gais. Deux petites fenêtres hautes, pourvues de rideaux ont vue sur l'extérieur, à gauche sur la mer, à droite sur la terre. D'un côté comme de l'autre tout est déjà "mortibus", comme l'annonce Clov qui procède de temps à autre par ces hublots à une vérification du désastre universel: "Regardant par mon hublot si je ne suis pas seul à errer et à virer loin de toute vie dans un espace pantin sans voix parmi les enfermés avec moi." voix dit un poème de Beckett. Au centre de la pièce, au centre du monde et il tient à s'y trouver, Hamm, le père aveugle est important dans son fauteuil à roulettes, en proie à une lente agonie qui tâche d'une sueur de sang le mouchoir dont il se couvre le visage. A l'avant scène gauche, ses vieux parents culs de jatte: Nell et Nagg, posés sur du sable, en guise de sciure, dans deux poubelles. Debout car il ne peut s'assoir, quelque part entre le fauteuil du père et la cuisine ou il regarde sur le mur sa "lumière qui meurt": Clov, le fils adoptif. Que l'un soit le marteau (Hamm pour hammer) et l'autre le clou (Clov pour clou), l'ironique et déchiffrable rébus de leurs noms loin d'épuiser l'ambiguité sado-masochiste de leurs rapports et leur absolue interdépendance. Privé de Clov, Hamm paralysé mourrait. Mais Clov s'il quittait la maison, s'il cessait d'obéir au sifflet de hamm, comme il l'annonce avec plus ou moins de force à diverses reprises et comme le lui conseille la vieille Nell du fond de sa poubelle; lui aussi mourrait. Nell et Nagg soulèvent de temps à autre le couvercle de leur poubelle pour réclamer quelque pitance, pour échanger entre eux des souvenirs. La proximité de la mort et leur absolue déchéance, un au-delà de toute souffrance imaginable, créent entre eux une sorte de tendresse grise, de gentillesse désolée où s'attarde machinal et obscène, le rappel de leur intimité amoureuse. De hamm au deux vieux il n'y a que méfiance irritée, quand ce n'est pas la cruauté ou la froide colère "mon royaume pour un boueux" hurle Hamm Mais le même Hamm, à la fin de la pièce, appelle Nag par deux fois "père père!". Et une fois encore dans son ultime monologue, tandis qu'abandonné par Clov, il

se sépare des quelques objets qui restait à sa portée. Cependant chez Beckett une sorte d'indifférence fatiguée, et parfois une vieille tendresse confuse, viennent toujours ça et là distendre les hargnes les plus enracinées. "Pourquoi est ce que je t'obéis toujours ?" demande Clov et Hamm répond: "c'est peut être de la pitié! Une sorte de grande pitié!" (Beckett, fin de partie, p19), tel est Hamm, tels ils sont tous les quatre, liés deux par deux, retenus, dans "l'espace pantin" devenu onirique, par les mots qu'ils échangent encore et par l'effrayante, l'impatiente patience d'une attente. L'attente de la nuit, d'une impossible nuit, fin du temps, de quelque Godot innomé cette fois, l'attente de cette "chose" qui suit cours, qui n'a pas de nom et qu'il faut tenter de nommer A cette tâche nommer l'innommable, Hamm, tout contre le héros de l'innommable est attelé. Pour l'un comme pour l'autre le temps et l'espace sont à ce point pourrie, disloqués, éventés, qu'on ne peut plus leur appliquer aucune mesure aucun mot connus, et cependant tous deux ne disposent que des mots connus pour les signifier, ces mots qui tous confirment l'existence, en eux et autour d'eux détruite, du temps et de l'espace. A plusieurs reprises les dialogues dénoncent comiquement le réel comme une donnée truquée, insaisissable et dont on s'exaspère en vain à saisir la trace. Il y a plus encore chez Hamm: le sentiment d'une absence radicale au monde "je n'ai jamais été là, absent toujours tout s'est fait sans moi"(Beckett, fin de partie, p25). Déclaration d'irresponsabilité mais pas seulement. Cruel, cynique, Hamm l'est avec Clov, l'a été cette ancienne fois avec le père de Clov et s'en flatte non sans quelques coquetterie d'artiste! Mais ne cherche t-il pas aussi à se délivrer ainsi d'un vieux remords d'une insupportable culpabilité? "Tous ceux que j'aurai pu aider" dit-il plus loin "aider, sauver, sauver!" (Beckett, fin de partie, p25)., ils sortaient de tous les coins (un temps avec violence), "mais réfléchissez, réfléchissez, vous êtes sur terre, c'est sans remède!" (Beckett, fin de partie, p25). Tout au long de la pièce, la chose avance, suit son cours, dans une dégringolade au ralenti "ça ne va pas vite" se plaint Hamm à diverses reprises, que ponctue l'énumération des pertes petit à petit constatées: -Il n'y a plus de roues de bicyclette, plus de bouillie pour Nagg, plus de sciure pour les poubelles, plus de nouvelles, plus de nature, plus de soleil

et d'ailleurs plus de nuit plus de dragées, plus de marée, plus de poids, plus de calmant et pour finir plus de cercueils.

Est ce par une dernière fringale d'espoir, justifiant le désert de Nell, que Clov, bouleversé, croit découvrir par la fenêtre à la fin de la pièce, une présence vivante? La chose est grave, tellement, que pour la première fois il ouvre la fenêtre: Il y a encore un enfant, pas loin, à moins d'une centaine de mètre, un môme occupé à rien, à regarder son nombril. Clov bien dressé, prétend aller avec la gaffe pour exterminer ce procréateur en puissance. C'est Hamm qui l'en dissuade. L'incident reste en suspens, sans autre explication, sans conclusion. Simple touche d'espoir, porte entrouverte sur un ailleurs, hors de l'enfer de vivre, de la douleur d'être... On s'en voudrait d'alourdir ce fugace instant de quelque exégèse; notons simplement sa présence poétique au plus noir de ce noir cauchemar.

1- Le comique dans fin de partie :

Le comique n'est pas absent de Fin de Partie, mais la vision concrète qu'elle propose de l'infernale dégradation de l'homme pris au piège du temps et se jouant consciemment une interminable comédie, en attendant que cela finisse, "la fin est dans le commencement", dit Hamm, et "cependant on continue...", cette vision acquiert sur scène une force si contraignante que le rire s'étrangle dans la gorge. Les désastres physiques dont Beckett accable ses héros ne sont pas eux mêmes tragiques, leur excès même, recèle une certaine forme d'humour. Peut-être la cécité doit-elle être mise à part, infirmité (œdipienne) dont souffrit Joyce et qui rend plus lucide ceux qu'elle frappe: Pozzo, à sa seconde apparition, Hamm, et même le vieux Krapp de "La dernière bande", presque aveugle à force de myopie. Beckett est certes extrêmement sensible au délabrement progressif, aux pertes à leur horreur, à leur ridicule que les années infligent au corps humain, mais ces multitudes grotesques traduisent aussi et d'abord, des plaies de l'être, infiniment plus déchirantes. Et la férocité avec laquelle Beckett s'acharne sur ces personnages est à la mesure du scandale permanent et toujours à vif

que constitue la condition humaine: "A tale told by an idiot, full of Sound and fury, signifing nothing".

2-La négativité :

L'expérience existentielle de *Fin de partie*, s'affirme dans une démarche spirituelle rationnelle qui s'inscrit dans un processus de négativité fortement présent tout au long de l'œuvre. Pour rendre compte de cette expérience et par ailleurs de cette négativité, nous tenterons de démontrer et d'explorer l'étape de cette démarche à travers ce qu'on a appelé « de la rébellion au scepticisme ».

a- Le salaud ! Il n'existe pas ! ». Sens et contresens.

À notre plus grande surprise, cette réplique de Hamm a souvent été considérée par les critiques comme la preuve irréfutable de la négation de Dieu et pour formuler ce « *cogito* » : d'un Dieu absent comme le dit pourtant Richard N. Cloe

« *Beckett prend* (*Dieu*) *tout aussi sérieusement que la guerre atomique* (Cloe, 1962, p180) ».Il ne

faut pas reléguer cette réplique à une question grotesquement formulée : Beckett est-il athée ou croyant ? Car c'est un faux problème et la question n'est pas là. L'auteur lui-même n'a épargné aucun moyen pour exprimer son mépris et sa rage à l'égard de la religion.

Cependant, et sans trop détourner cette réplique de Hamm vers un jeu shakespearien, être ou ne pas être, et bien qu'elle prétende que Dieu est un « Salaud » et qu'il est radicalement inexistant, elle ne doit pas être prise au pied dela lettre. Sans pour autant prétendre, exclure l'aspect négatif, cette réplique se prête à notre avis à une autre explication.

Notre première objection porte sur l'usage même du mot « Salaud », dans les années cinquante, période à laquelle *Fin de partie* a été écrite. Or, cette période très particulière dans l'Histoire du 20^{éme} siècle, en par[illegible]lier en France donne un sens à l'expression « Salaud » qui n'émet aucune connotation péjorative, du moins au sens moral du terme. N'oublions pas que les évènements historiques de cette période, qui ont radicalement

changé les notions des normes conventionnelles du mot, ont établi en l'occurrence de nouvelles structures et notamment sur le plan culturel, elles ont, non seulement créé une véritable rupture avec les mœurs et les

normes bourgeoises, mais elles sont aussi répandu un nouvel état d'esprit régi par un nouvel

univers culturel anti bourgeois, dont le nouveau roman et le nouveau théâtre sont les reflets. *Les*

Mains sales de Jean Paul Sartre est un exemple très éloquent le *Murphy* de Beckett est publié la

même année que *La Nausée* de Sartre,en 1938.

Notre deuxième objection est d'ordre grammatical. Outre la signification que peut avoir cette phrase exclamative mise en valeur par la présence de deux points d'exclamation qui marquent la fin de la première et deuxième strophe « Le salaud! », pouvons-nous passer à côté de l'insistance flagrante de la négation même« *Le salaud* ! *Il n'existe pas*! (Beckett, 1965, p10) »

Cette négation accentuée ne suffit-elle pas par elle-même à donner un sens multiple à cette réplique et donc reconnaître l'existence de dieu à travers cette même inexistence présumée ? De plus, l'article « $L(e)$ » lui-même, mis en majuscule qui précède le mot « *Salaud* » n'a-t-il pas pour fonction principale d'introduire « Le nom et (donc) permet de le reconnaître » ?

Si nous ajoutons maintenant à cette structure grammaticale (exclamation, articles de négation et articles définis) le ton même sur lequel Hamm prononce cette réplique, est-ce que cela ne lui donnera pas plutôt un sens emphatique qu'un sens de négation radicale ?

Troisième objection : outre ces subtilités linguistiques auxquelles Beckett n'était sans doute pas indifférent, faut-il lire cette phrase indépendamment du problème philosophique grec qui, également, n'était sans doute pas étranger à l'auteur, le problème du Non-être, évoqué par les

Sophistes pour répondre à l'argumentation de Parménide, l'Être est, le Non-être n'est pas, formulé dans sa célèbre assertion. Thèse elle-même démentie par Platon dans son dialogue intitulé *Le Sophiste* et dans lequel il conclut que le Non-être c'est l'autre, formule qui semble s'appliquer et confirmer ce que nous avançons : « Le Non-être n'est pas moins être que l'être lui-même, car ce n'est pas le contraire de l'être qu'il exprime (pandolfi,1964, p96) ». Quatrième objection : remarquons que cette phrase de Hamm qui prétend donc que Dieu est inexistant est directement suivie par une très courte réplique à laquelle nous ne pouvons échapper : « *pas encore* (Beckett,1965, p76) » de Clov.

Comme nous pouvons le remarquer, le « pas encore » ôte à cette phrase le sens définitif de la négation radicale qu'elle prétend être et marque ainsi ce sens par une réserve quenous ne pouvons que prendre en considération.

Cette réserve ouvre, à coup sûr, le libre champ à la tentation de donner un contresens à cette phrase déroutante « *Le salaud ! Il n'existe pas !* ». Et lire, par ailleurs, autrement les textes de Beckett. En ce sens, nous sommes amenés à considérer à l'instar de Ludovic Janvier, que Dieu pour Beckett n'a jamais cessé d'exister et n'a jamais cessé d'être supposé et posé que ce soit sous la forme « *d'une existence possible* (janvier,1966,p120) » ou fictive.

Ainsi, le Dieu dont parle Hamm est lui-même le Dieu que l'Innommable a tant imploré, que Moran et Winnie ont tant prié, que Vladimir et Estragon ont tant supplié et que Krapp a tant remercié. Il est également le même que l'Innommable a accusé pour avoir taquiné la créature, par salopards interposés, c'est aussi « *Jésus au doigt du con divin* (Beckett,1970,p27) », de *Textes pour rien* c'est aussi Abraham menacé d'un vilain geste : « *Je n'aurais que le petit doigt à lever pour voler dans le sein d'Abraham je lui dirai de se le mettre quelque part* (Beckett,1971,p17) », de *Comment c'est*, et c'est aussi le créateur lui-même emmerdé par Mercier et Camier.

L'insulte de Hamm n'est du coup qu'une forme moins dérisoire que celle de Watt mais plus accentuée et plus révoltée qui s'ajoute au processus de la négativité. Cette insulte

ne doit être lue, indépendamment de cet état d'esprit de négativité dans lequel tout moyen est bon, y compris celui de l'attente, l'espoir et la rébellion, et quelle que soit la forme dérisoire ou révoltante qu'il prenne. Une voie qui, comme le dit Ludovic Janvier, mène à ce même Dieu : « *Le théologien le moins subtil boit le petit lait du blasphème : injurer Dieu, c'est le démontrer. Le tourner en dérision, c'est en faire la preuve* (janvier,1966,p74)».

Cependant, il ne faut pas chanter gloire. Car le pas encore de Clov pose aussi une grande problématique. S'il clarifie un sens, il en assombrit un autre. Que nous prenions la phrase de Hamm au pied de la lettre ou que nous lui donnions un sens contraire, la réserve de Clov y reste toujours, si nous lui donnons un sens positif,comme nous avons tenté de le faire. Si Clov ne nous dit *Pas encore*, cela voudra dire que nous sommes dans l'obligation de garder quand même une réserve. Et, si nous gardons la phrase dans son sens négatif, telle qu'elle est présentée et telle qu'elle a toujours été interprétée, *Pas encore*, voudra dire que la réserve demeure.

Dans les deux interprétations, notre jugement sera donc confronté à *Pas encore* et à la présence permanente d'une réserve. La question qui se pose c'est où alors se situe le Dieu de Samuel Beckett, autrement dit quelle est la nature de cette présence ou de cette absence-présence ?

Il est difficile de répondre. La seule réponse que nous trouvons, c'est qu'il se situedans cet élément très cher à l'auteur qui est l'ambiguïté qu'il s'efforce toujours d'installer dans la forme et dans le fond des ses œuvres. Il se situe dans le vide absolu et significatif et dans la lumière grisâtre de la fermeture/ouverture (et inversement) silencieuse et ténébreuse de chaque œuvre. Est-ce que cette ambigüité, ce silence, où s'émeut toute une expérience de vie avec tout le manque, tous les espoirs et toute l'attente, est une nouvelle/ancienne façon de l'auteur de se dérober et ne pas répondre à quoi que ce soit ? Et, est-ce que cette « *lumière grisâtre* (Beckett,1965,p14) », ce « Gris (Beckett,1965,p14)» agaçant de Clov où il ne fait jamais nuit et il ne fait jamais jour, est une manière de demeurer sceptique ?

Encore une fois, il est difficile de trouver une réponse. Tout ce que nous pouvons faire, c'est remarquer que Beckett se retire toujours « *hors de toute idole* (Beckett,1965,p14) », son Dieu ne figure pas non plus dans ce qu'il est convenu d'appeler « *Le Dieu des philosophes* (Beckett,1965,p14) ».

Il existe toujours chez lui une indépendance et une réserve « *par rapport à tel ou tel résultat chiffré, telle ou telle mesure, telle ou telle théorie ou hypothèse* (Beckett,1965,p14)». Beckett échappe au théisme, qui professe l'existence d'un Dieu créateur et transcendant que l'on vise quand sont évoqués les trois arguments classiques de son existence (argument cosmologique, théologique et ontologique).Il échappe également à l'athéisme qui nie toute forme de divinité, comme il échappe à l'agnosticisme qui, en confessant son ignorance, n'affirme rien. De la même façon, il échappe à l'athéisme aussi bien traditionnel, qui se veut scientifique et qui refuse toutes les preuves, que contemporain, accentué en particulier par Nietzsche et répandu par Sartre qui : « *prétend expulser Dieu non comme une conjecture invraisemblable mais comme le rival scandaleux de la liberté humaine*(Beckett,1965,p14) ».Il ne s'aligne pas non plus sur le Marxisme qui considère que la religion est l'opium des peuples et qui se considère comme « l'héritier d'une tradition rationaliste qui mène combat contre la religion depuis environ trois siècles(Beckett,1965,p14) ».

D'ailleurs, Beckett a souvent été combattu par les Marxistes qui lui reprochent son négativisme. L'auteur fait encore moins référence au panthéisme qui professe l'immanence et pour qui « *tout est Dieu* (Beckett,1965, p14) ». Samuel Beckett touche à toutes ces théories à la fois et chevauche régulièrement ou irrégulièrement les limites de chacune. La seule révolte métaphysique qui semble s'approcher le plus de celle de Beckett est, à notre avis, celle d'Albert Camus qu'il résume ainsi : La révolte métaphysique est le mouvement par lequel un homme se dresse contre sa condition et la création toute entière. Elle est métaphysique parce qu'elle conteste les fins de l'homme et de la création. L'esclave conteste contre la condition qui lui est faite à l'intérieur de

son état, la révolte métaphysique contre la condition qui lui est faite en tant qu'homme… l'esclave dressé contre son maître ne se préoccupe pas, remarquons le, de nier ce maître en tant qu'être. Il le nie en tant que maître (camus,1951, p39).

La dernière phrase d'Albert Camus exprime convenablement la révolte du personnage beckettien dont la situation n'était pas différente de celle d'un esclave. Son souci majeur n'était sans doute pas de chercher à savoir si Dieu existait ou n'existait pas, mais était de recevoir la grâce qui le fait sortir de ce monde de Merdecluse, en tant qu'homme qui a subi atrocement les deux guerres du 20éme siècle. Godot lui-même a été interprété, selon Alfred Simon, comme la force (les États-Unis) attendue pour mettre fin aux Nazis et libérer l'homme de l'homme.

Ceci est à la limite compréhensible quand on sait que Beckett lui même était membre actif d'un important réseau d'information de la *Résistance française* (Beckett,1965,p14).

Enfin, ce que nous pouvons également remarquer, c'est que cette vision camonienne semble nous éclairer sur une vérité importante, celle selon laquelle Beckett en effet n'a jamais regardé Dieu avec un regard de philosophe, d'ailleurs, il a toujours refusé et désapprouvé le fait d'être pris pour un philosophe, mais surtout, il a regardé Dieu en tant que littérateur qui a vécu au 20éme siècle, en tant que poète tant dans la vie que dans l'œuvre. Et, *En attendant Godot* n'est pas la seule œuvre qui nous fasse un clin d'œil.

Bibliographie

-Coe Richard, le dieu de samuel Beckett, paris, cahiers de la Compagnie Madeleine Renaud | jean.

-Louis Barrault, n°44, octobre 1962.

-Beckett Samuel, Fin de partie paris, Editions de minuit,

-librairie Aromand Colin, 1965

-pandolfi vito, histoire de theatre, 5 vol, paris, berard verveen

-coll. Maro bout université, 1964.

-janvier ludovic, paris, pour remuel Beckett, Editions de Minuit, 1966

-Beckett Samuel, texter pour rien, paris. Editions de me next, 1970

-Beckett Samuel, comment c'est, Paris, Editions de Mimut,

-Camus Albert, l'homme révolté, paris, Gallimard, coll « idees » 1951.

-Beckett Samuel, En attendant Gorbot, pous, 1952

Glottolization

Researcher. Muna Jumaa Ali
College of Language , Baghdad University , Baghdad / Iraq
Email: a_muna46@yahoo.com

الملخص:
تقدم هذه الدراسة وصفًا لصوت الهمزة في اللغة الإنجليزية الذي ينتج عند الإغلاق الكامل أو الجزئي للمسافة بين الحبال الصوتية في منطقة المزمار أثناء نطق صوت الحرف. لوصف هذه الظاهرة يعني أن توقف المزمار يتم في وقت واحد خلال نطق حرف ساكن آخر. لذا في بعض الحالات نلاحظ صوت الهمزة يحل بدل محل الحرف الساكن الذي لا صوت له كما هو الحال في/ t / في كلمة " water " على سبيل المثال في اللغة الإنجليزية. .لذلك يمكننا أن نرى صوت الهمزة صعباً في النطق والتعرف على المتعلم الأجنبي للغة الإنجليزية ، لذلك يتم استخدامه ليتوافق مع العديد من الوظائف وتحاول الدراسة الحالية استكشاف هذه الوظائف والسياقات التي قد يظهر فيها. بالإضافة إلى أنه يبحث في الحالة الفعلية لهذا الصوت ، أي ما إذا كان يعتبر صوتاً أم لا في اللغة الإنجليزية. وايضاً تحاول الدراسة تقديم وصف شامل لصوت الهمزة والظواهره الأخرى ذات الصلة في اللغة الإنجليزية.
الكلمات المفاتيحية: مفهوم صوت الهمزة ، انواع صوت الهمزة ، مفهوم توقف المزمار

Abstract
This study provides account of the glottalization in English language. The glottalization is the complete or partial closure of the glottis during the articulation of another sound. To describe this phenomenon is to say that a glottal stop is made simultaneously with another consonant. In certain cases, the glottal stop can even wholly replace the voiceless consonant.
In English language sometimes takes the place of /t/ as in " water" for instance .So we can see the glottal stop is difficult in pronunciation and recognition for foreign learner of English language. Therefore, it is employed to conform several functions. The present study tries to explore these functions and the contexts in which it may show.
In addition to that it investigates the actual status of this voice , i.e. whether it is considered a phoneme or not in the English language. And this study tries to submitt a thorough description of the glottalization and other related phenomena in English language
Keywords: The Concept of Glottolization , Types of Glottolization , The Concept of Glottal Stop

Introduction

The present study deals with all these significant issues and investigates the recent spread of this sound among speakers of English with its two related phenomena, namely, (glottal reinforcement and glottal replacement)in order to shed light on the points of difficulty during production and recognition of this sound for foreign learners of English.

This study is organized as follows: the first section provides some background issues related to glotalization about types and sociolinguistic and history of glottalization . Section two details the information glottal stop, its definitions, functions, contexts . Finally, results are given at the end of this research.

I. The Problem of the Study

The explain this study stems from the actual difficulty inherent in recognizing and producing the glottalization by learners of English and lies in answering the following questions:

- Identifying the status of the glottalization in English.
- What are the functions and the phonetic contexts of the glottal stop in English (exploring the function of the glottal stop and its contexts)?

II. The Hypothesis of the Study

It is assumed that the glottal stop is used to match several functions and it is hard in pronunciation and recognition for most foreign learners of English who are specialized in English. And it happen in various phonetic contexts.

III. The Aim of the Study

The study aims at:

- Explain the concept of glottalization in English language.
- Identify the contexts and functions of the glottal stop.

IV. The Limits of the Study

This study is identify to the limitation of the glottal stop sound, and its functions, contexts and other related phenomena in English, specifically in British English and American English .

V. The Procedures of the Study

To illustrated this study, the following steps will be followed:

- Submitting a thorough theoretical background of the glottalization and some related concepts.
- Clarifying a thorough description of the glottal stop and other related phenomena.

VI. The Value of the Study

The study is useful for instructors of English and educators
at university level. It is also of value for researchers, foreign learners and all those who are interested ,specifically in English phonology.

In fact it fills a lack in the literature.

1.1.The Concept of Glottalization

Glottalization : can be define as a general term for any articulation consisting a simultaneous glottal contraction, specially glottal stop .

Glottal stops in English language are often used in this method to reinforce a voiceless plosive sound at the end of a word as in what ? {wDt?] (Crystal, 2003:187).

This phenomenon indicate to the entire or partial closure of the glottis
through the articulation of another sound. There are two methods to represent

glottalization in international phonetic Alphabet (IPA):

- Like method as ejectives with an apostrophe ,
- or with the under-tiled for creaky voice.

Glottalization of vowels and voice consonants is most often realized as creaky voice (partial closure) , and voiceless consonants usually consists of complete closure of glottis, another way to prescribe this phenomenon is to say that a glottal stop is occur simultaneously with another consonant.

In some cases, the glottal stop can even totally replace the consonant (vioceless) (wikipedia, 2009:1). There are other two important phenomena result from glottalization : glottal reinforcement , and glottal replacement. Glottal stop is sometimes called glottal reinforcement or glottalisation

. Some accents, the glottal stop indeed replaces the voiceless alveolar plosive [t] as the realisation of the / t / phoneme when it follows a stressed vowel, so that (getting better) is pronounced this is found in many urban accents, in particular , Leeds, London (Cockney), Edinburgh ,Glasgow and others, and is increasingly accepted among young people who they have relatively highly-educated (Roach,2002:78).

From an articulatory point of view, glottalization refers strictly to the addition of an articulatory glottal stop (i.e., full and sustained vocal fold adduction or [P]). The addition of a glottal articulation to oral stops is also known as 'glottal reinforcement' (Higginbottom, 1964; Esling et al., 2005), especially for English. However, these sounds are also referred to simply as 'glottalized.' Other sounds can also have a secondary glottal articulation, including sonorants (Esling et al., 2005; Bird, Caldecott, Campbell, Gick & Shaw, 2008) and clicks (Miller, 2007). Strictly speaking, glottalization refers only to complete vocal fold adduction that may accompany a sound as a secondary articulation, and thus makes no reference to the phonation of voiced segments adjacent to the glottal stop, which are often laryngealized as the vocal

folds prepare for glottal closure. However, such laryngealized phonation is also often called glottalization, especially when referring to its acoustic output (Huffman, 2005). Certain researchers have found it useful to have a term that covers phonetic effects seen for both glottal closure and laryngealized phonation, regardless of the target gesture for which the speaker aims (Henton, Ladefoged & Maddieson, 1992; Michaud, 2004; Brunelle, Nguy¹n & Nguy¹n, 2010). In this dissertation, I too use the term 'glottalization' when referring to the articulatory or acoustic effects on targets of either glottal stop or laryngealization.

1.2. Types of Glottalization

In some languages, such as Jalapa Mazatec, creaky voice has a phonemic statusthat mean the presence or absence of creaky voice can shift the meaning of a word. In the International Phonetic Alphabet(IPA) creaky voice of a phone is represented by a diacritical tilde U+0330 ̰COMBINING TILDE BELOW, for instance [d̰]. The Danish prosodic property stød is an example of a shap of laryngealisation that has a phonemic function. There is a slight degree of laryngealisation,happen in some Korean language consonants for instance, is named (stiff voice).

There are three types of the glottalization :

1.2.1. Modal Voice

Modal voice is the vocal register employed most frequently in speech and singing in most languages. Also it is the term used in linguistics for the most common phonation of vowels. The term {modal} indicates to the resonant mode of vocal cords ; that mean the optimal collection of airflow and glottal tension that yields maximum vibration. In linguistics, modal voice is the only phonation found in the vowels and other sonorants consonants such as {M , N , L , and R } of most of the languages of the world, but a significant minority compares modal voice with other phonations. between obstructions) consonants such as {g , k , d͡ʒ/j , t͡ʃ/ch , S , and Z }, it is very common

for languages to contrast modal voice with voicelessness , but in English language, many supposedly-voiced obstructions do not normally have modal voice.

In utterance pathology, the example register is one of the four identifiable registers within the human sound. It is above the vocal fry register and overlapping the lower part of the falsetto register. And that view is adopted by many vocal pedagogists , but some vocal pedagogists may view vocal registration differently. In singing, the example register may also interfere part of the whistle register.

And well trained singer or speaker can phonate two octaves or more within the modal register with consistent production, vocal freedom , beauty of tone, and dynamic variation. Begins the modal register and ends in different places within the human sound. The placement of the example register through the individual human voice is one of the key determining factors in identifying vocal kind.

1.2.2. Stiff Voice

It explains the pronunciation of consonants or vowels with a glottal opening narrower, and the vocal cords stiffer, than happen in modal voice. Even though there is no specific International Phonetic Alphabet (IPA) diacritic for stiff sound, the voicing diacritic {a subscript wedge} may be employed in conjunction with the symbol for a voiced consonant ,for example distinguished the stiff-voiced vowels have tenseness in the glottis and pharynx without going so far as to be creaky voiced, whereas slack-voiced vowels are lax in the glottis without going so far as to be breathy voice. One language with stiff voice is Thai , Javanese differs stiff and slack voiced dental, bilabial, retroflex, and velar stops.

Mpi "Loloish" differs examples and stiff sound in its vowels. This is not register for each of the six Mpi tones , a word may have either a modal or stiff-voiced vowel for instance low tone contrasts /sḭ̀/ seven ,and /sì/ blood .

1.2.3. Creaky voice

Creaky voice also called (třepenل fonace in Czech) , is placed near the closed end of the phonation string. The terms creak or creaky voice are employed with slight various by vary authors. Huber (1988; in Skarnitzl 2004a) employ the term creak for (sustained low F0 following by near-total damping of individual glottal pulses,) and creaky voice for "period-to-period irregularity", which corresponds to what Redi and Shattuck-Hufnagel call aperiodicity (2001; in Skarnitzl 2004a).

Gimson can be define creaky voice as one of the possible sound qualities that is produced by (an excessively slow rate of vibration of the vocal cords) (Gimson 2001, 277),then, he does not consider its employ as an alternative for the pre-vocalic and pre-consonantal glottal stop . Creaky voice is also sometimes called "vocal fry" , "pressed" or "stiff phonation" (ex. Gerratt and Kreiman 2001; in Skarnitzl 2004a).

Skarnitzl (2004a) found that Czech speakers in his example employed at the beginning of the conjunction a (and) different glottal gestures that did not completely correspond to the terminology already available, and he categorized them according to two factors: regularity and temporal arrangement. He defined continuous creaks with glottal pulses "[lasting] throughout the complete department "; creaks with hold happen by a silent stage and barbell creaks happen by a silent stage and by additional (glottal pulses at the beginning … of the department) (62).

Each kind could then be labeled as irregular or (relatively) regular,8 thus arriving at six

categories. What distinction creaks with hold from canonical glottal stops, and barbel creaks from barbell glottal stops in Skarnitzl's system, is the number of pulses that happen at each side of the hold stage. If there are more than two pulses, the item is categorized such a creak.

Even though it appears questionable whether the number of pulses is a more important criterion for categorization than the presence of a hold stage which is the essential features of a stop (Bortlيk 2009).

An alternative interpretation, can to count creaks containing a hold stage between glottal stops would impact the interpretation of some tendencies in Skarnitzl's data with respect to acoustic differences with segmental context . It is clear that among as variability, material can be found that will be hard to categorize.

Machač and Skarnitzl (2009) employ a vary, simpler two-categories system which, still, does not avoid particular terminological inconsistencies.

Term glottal stop ,they use in a general sense of pre-vocalic glottalization , and then redundantly call the canonical glottal stop {plosive-like} (125), their second ategory is creaky glottal stop which is in fact not a genuine stop, becouse it contains glottal pulses throughout the complete department (128). As we have seen , interest of the concept is that it does not restrict the number of pulses in a glottal stop, since it would categorize Skarnitzl's (2004a) creaks with hold as glottal stops on account of the hold stage.

1.2.4. Breathy voice

Term used to a specific voice quality is "breathy voice", which is named dyšnل fonace in Czech. It “is characterized by vocal cords that are fairly abducted … and have little longitudinal tension [which] results in some turbulent airflow within the glottis and the auditory impression of (sound mixed in with breath) (Gordon and Ladefoged 2001,385). Hلla illustrated a similar fact, zněl přيdech (voiced aspiration), such a form of laryngeal stricture that can show at a syllable boundary among vowels which isthen weaker than rلz, i.e. the glottal stop and equivalent forms of glottalization (1962, 281). It is described more in terms of breath intensity rather than of phonation typology and its occurrence in places other than the intervocalic syllable boundary is not discussed. It is in fact like to the voiced allophone of English language /h/, which for some speakers can show in voiced contexts, normally among vowels and is articulated as (a kind of breathy vowel or {slightly} voiced glottal fricative [ɦ]) (Gimson 2001, 191).

Similarly, Palkovل distinction dyšn hlasov začلtek { breathy voice onset} such an alternative to soft sound onset and to glottalization in word-initial vowels, which can in some languages, English language being one of them, serve such a voiceless variant of initial /h/ .

1.3. Glottal Replacement

When a phoneme is completely replaced by a glottal stop [ʔ] , one talks of glottal replacement. For instance, very widespread in Cockney and Estuary English in these dialects , the glottal stop is an allophone of /p/, /t/, and /k/ word-finally and when precede by a stresses vowel and followed by unstressed vowel includes syllabic /l/ , /m/, and /n/ e.g. '*city*' [sɪʔɪ], '*bottle*' [boʔtəl] '*Britain*' [brɪʔ ən] , '*seniority*' [si:niDrəʔi] (Sullivan,1992:46). In some languages glottal replacement is not completely a feature of sounds , but also of vowels sounds (Wikipedia,2009:2).

1.4.Glottal Reinforcement

When a phoneme is attached either simultaneously or sequentially with [ʔ], then one talks of glottal reinforcement or pre-glottalisation . This is extremely common in all accents of English language , including RP /t/ is the most influenced , but /p/, /k/ and even occasionally /t/ are influenced (Roach, 1973:10).

In English language, the dialects exhibiting pre-glottalisation, the consonants in question are generally glottalized in the coda position, e.g., 'what' [wDʔt], 'fiction' [fiʔen], 'milkman'[milkmen] , 'opera' [oʔpre]. To some extent, there is a free variation in English language between glottal reinforcement and glottal replacement (Sullivan,1992:46).

1.5.The Sociolinguistic and History of Glottalization

In particular, while the glottal stop is spreading quickly in mainstream English language, glottal reinforcement specially of /p/ and /k/ in intervocalic positions is probably recessive. It is distinction not only of Tyneside male utterance but also of rather conservative rural differences, such as those of Northern Ireland and south-west Scotland. (Docherty et., al:306).

Docherty et al(1997:307) have note that many sociolinguistic accounts have shown a sharp distinguish between the social courses for glottal replacement as opposed to glottal reinforcement, which have usually been treated by phonologists as aspects of the same thing. It may therefore not always be suitable to treat the two phenomena as manifestations of one process or as points on a single continuum (supposedly along which speakers move within time). From the speaker's opinion (as manifested by various patterns of speaker behaviour) they appear as autonomous phenomena. (ibid.).

There are two types of glottal variant are clearly distinct in Newcastle English language , in addition of they are quite various sociolinguistic patterns. The replacing glottal stop is differently replaced for non-initial pre-vocalic /t/ (e.g. in *set off, water*) by younger speakers , specially middle-class females, and as such seems to be a non-local form entering Newcastle English language, while the pre-glottalized variants by contrast, are largely the preserve of older males (Docherty & Foulkes 1999: 54).

The glottal stop or glottalization may have sociolinguistic functions. Kirk (1967) states that Protestants in Northern Ireland employed these sounds much frequently than Catholics. It clear that, "older males appear to be producing glottalised tokens with a different articulatory co-ordination than other members of the speech community: they have a greater tendency to time the oral gesture such that it lags behind the accompanying glottal articulation" (Docherty &Foulkes,1999:61).

Kortlandt (1997:178) supports the view that the "reinforcing" glottal closure of ['p], ['t], ['k] is old , even though the recent spread of the replacing glottal stop in mainstream English language. Thus, preglottalization is disappearing from the language while the replacing glottal stop is spreading in the speech of the younger generation . While the "increasing space given by phoneticians from about 1920 onwards to the treatment of the glottal stop" (Andrésen 1968: 34)

we can be explained by the phonemic feature of the glottal replacement, the earlier preglottalization of /p/, /t/, /k/ went unnoticed because it was not distinctive. Glottalization is widespread in pre-1930 audio recordings of people born in the second half of the 19th century, even in formal delivery (Kortlandt, 1997:179). It follows that glottalization was well-established in upper-class English speech in the 19th century and must have been prevalent in the standard language of that period. The lack of attention to this phenomenon can be explained not only by the subphonemic figure of preglottalization , but also by its loss in pre-pausal position. Whereas "glottal variants are prevalent in different phonological contexts in Newcastle, they are almost definitely prohibited in pre-pausal position. Tokens before a pause are instead from an auditory perspective clearly "released" "voiceless alveolars" (Docherty & Foulkes 1999: 62). It seems that either the glottalization or the buccal characteristics could be lost in pre-pausal position. "In Derby glottal stops in pre-pausal position are far more prevalent, but in the self-conscious context of word-list readings most speakers produce what sound such "released" [t] s , just as in Newcastle". This propositions that pre-pausal [t] is due to restoration and that the spread of the replacing glottal stop in mainstream English language may have started from pre-pausal positions (cited in Kortlandt,2009:5).

This brings the original distribution of the English glottalization closer to

its Danish identical, the so-called (vestjysk stood) that is found directly before the plosives /p, t, k/ wherever these stand in an original medial position, following a voiced sound in a stressed syllable. The preglottalization of English language cannot detached from the preaspirated stops in northern Scandanavian languages (ibid:6).

A glottal stop generally refers to a stop made in the larynx by the abrupt and sustained closure of the vocal folds. The closure is called 'sustained' to distinguish the glottal stop gesture from the periodic closing of the vocal folds during phonation (see Section 2.2.3). In this dissertation, a glottal stop refers to an abstract articulatory target (either phonemic or allophonic). Glottal stops may be phonetically realized in different ways, as will be discussed in detail below, and so in this work a glottal stop does not represent a single articulation (i.e. a phone) but rather a set of articulations ranging from laryngealized phonation, to sustained
glottal closure (with or without additional supraglottal constriction). On the other hand, when referring to actual phones, I will make use of the following terms:

- 'Full glottal stop' = a glottal stop produced with full, sustained vocal fold closure: [P]
- 'Incomplete glottal stop' = a glottal stop realized with incomplete vocal fold closure(i.e., as laryngealized voice): [P]
- 'Laryngealization' = either [P], or the kind of voice quality which involves increased vocal fold constriction usually (though not in this work) transcribed with [] (see Section 2.1.2)
- 'Creak' = irregular voice quality that does not necessarily involve increased vocal fold constriction, such as phrase-final creak (Slifka, 2000, 2006): [ ]. Note that this definition differs from that given by Laver (1980) and Ladefoged & Maddieson (1996), for whom 'creak' and laryngealization are largely synonymous, with both characterized by an increase in glottal closure (see Laver (1980, p. 126)).

Note that I make a distinction between two types of irregular voicing: laryngealization and creak. This is because they differ articulatorily (Slifka, 2006), and because incomplete glottal stops are expected to have voicing that is similar articulatorily and acoustically to laryngealization, but not necessarily to creak.

Section two

2.1. The Concept of Glottal Stop

The glottal stop is a speech voice made by closing and opening the glottis which in English sometimes takes the place of /t/ as in butter for example(Crystal,2004:178). During the production of a complete glottal stop, the vocal cords are held together tightly for a brief moment, preventing simultaneous phonation. Then, a glottal stop should be silent by definition .In the acoustic wave-form of a complete glottal stop a quiet closure phase maybe distinct, and a short burst of noise may often be noted only before the following voice begins. Practically, it is often difficult to distinct among a glottal stop, very low-pitch voice, and creaky voice {glottalization or laryngealization}, because these are phonetically like and may happen next to each other in utterance.

Ogden (2001:98) defines the glottal stop as one or more irregular glottal periods that happen through the same syllable. After that a glottal stop may sometimes be represented as a very short creaky phase in utterance , and a complete stop closure is not requested. By Ladefoged and Maddieson (1996:75), the whole closure will often be lacking from intervocalic glottal stops, and a whole glottal stop will consistently happen just in those languages and positions where the stop is doubled (cited in Byrd,1993:111).

A glottal stop, symbolized [?], is a "plosive" made at the glottis {made by the vocal cords}. The glottal stop is a catch in the throat, a voice that you make way down at the level of your vocal cords. Glottal stop a term technical indicates to closing the “glottis” {the vocal cords } then a glottal stop is made by temporarily closing the vocal folds.

In English language the glottal stop sometimes employed as an allophones of /t/ and sometimes has other functions, but it is not used to distinct one word from another .In the following some of the environments where the glottal stop is heard in English language.(Applegate,2006:10):

- Vowels may have a glottal stop even when there's another word in front of them. It's easy to hear the various among (the apple).

- In this position pronounced with a glottal stop, and "the apple" pronounced without. It is found in (go away) and (you're out.) -another position where glottal stop shows up in English language is among the vowels of exclamations as "oh oh" (representing apprehension or an error) or (uh-uh), (for "no").

- Speakers of American English language , /t/ becomes an glottal stop when it ocuurs right before particular other sounds, especially an /n/ in words as (kitten) or (lightning) or (got none), /t/ is also a glottal stop in a casual pronunciation of (wait nearby)or (let me see) (ibid.).

2.2. The Occurrence of Glottal Stops

A glottal stop is a speech voice articulated by a momentary, whole closing of the glottis in the back of the throat. Glottal stop happen in several languages and normally pattern as consonants. But the question is that whether the glottal stop is considered as a phoneme or an allophone in English language?

Points Roach (2002:75) that: glottal stops are represent as consonant phonemes in some languages {ex. Arabic}.Glottal stops are represent in several accents of English language: sometimes a glottal stop is pronounced in front of a / p /, / t / or / k / ,if

there is not a vowel now following (ex. arctic , catkin ,captive); a like case is that of /t/ when following a stressed vowel {or when syllable-final}, as in "butcher".

One of the functions of a closure of the vocal cords is to produce a consonant. In a true glottal stop there is whole impediment to the passage of air, and the result is a period of silence. The phonetic symbol for a glottal stop is [?]. In informal speech it often occurs that a speaker want to produce a whole glottal stop but instead makes a low-pitched creak-like voice.

In several languages as English where the glottal stop is not phonemic ,glottal stops and glottal approximants as well as their average variants tend to happen at the beginning of vowel-initial words and at intervocalic morpheme boundaries. This phenomenon may be called final or initial doubling.

when a whole glottal stop happen at the end boundary of a word where final or initial doubling is applicable, the glottal stop may respectively be longer in peroid, it may be (doubled) similar any other consonant at a similar juncture (Itkonen 1975: 65).

Even though it is able to list elements that increase the probability of a glottal stop in various languages, it is hard to predict exactly when a glottal stop will happen.

Generally, a glottal stop or a glottal approximant may in several languages involving English language be employed for emphasizing the next word or a prosodic boundary. Word-initial vowels are more frequently glottalized {i.e., glottal stops ,or approximants are produced} at major prosodic boundaries (Pierrehumbert and Talkin 1992:112). Forms of British English language , the glottal stop is employed as a segmental different of /t/, or instead of word-final or intervocalic/k/ and /p/.

2.3 The Functions of the Glottal Stop

Glottalization "glottal stop" often happen intermittently in normal speech, where it can key a communicative role, for example, in American English language glottalization "glottal stop" can serve as an allophones of voiceless stops

{especially syllable final /t/} ,and it often happen at the onset of vowel-initial words that begin a new intonation phrase or take a pitch accent (a phrase-level prominence) (Pierrehumbert, J. and Talkin, D,1992:113).

English language glottal stop is sometimes employed as a type of /t/voice, and sometimes has other functions:

1. In particular positions [ʔ] may be employed as an allophone of the phoneme /t/, as when pointless /'point les/ is pronounced /'poinʔ les/. This is called as glottalling or glottal replacement of /t/.It is condemned by some people; nevertheless, it is increasingly heard, particulally in British English language. Sometimes the glottal articulation accompanies a simultaneous alveolar articulation.
2. [ʔ] is found as an allophone of /t/ only
   - end of a syllable, and
   - sonorant

   Provided these factors are satisfied, it is widely employed in both BrE and AmE where the following voice is an obstruent.

   football 'fʊt bɔ:l → 'fʊʔ bɔ:l

   outside aʊt 'saɪd → aʊʔ 'saɪd

Nasal

atmospheric ɹt məs "fer Ik → ɹʔ məs "fer Ik

button 'bt n > 'bʔ n

that name ɹt 'neɪm → ɹʔ 'neɪm

Semivowel or non-syllabic /l/

quite well kwaɪt "wel → kwaɪʔ "wel

Gatwick 'gɹt wɪk → 'gɹʔ wɪk.

brightly 'braɪt li → 'braɪʔ li

Some speakers of (BrE) also employ it at the end of a word under other circumstances as well:

not only this nD? əʊn li ' ɪs

but also that bə? ɔ:l səʊ 'و?.

Compare (AmE) na:t oʊn li 'ɪs, bət ɔ:l soʊ ' و t; in this position t is also heard in formal (BrE).

3. [?] is also optionally employed as a way of adding emphasis to a syllable that starts with a vowel sound . It can be employed to separate adjacent vowel sounds in successive syllables { in order to avoid hiatus}. In (BrE) this can be a way of avoiding (r) (rliaision), as in one pronunciation of

underexpose nd ə ɪk 'spəʊz (-ə?ɪk-).

4. [?] also forms an essential part of certain interjections, ex.

AmE uh uh ?? '?.

5. A glottal stop is sometimes employed, especially in (BrE), to strengthen /t/ or /tr/ The end syllable, and also /p, t, k/ if followed by a consonant or at the end of a word. This is called as glottal reinforcement.

teaching 'ti:t ɪŋ → 'ti:? t ɪŋ

April 'eɪp rəl → 'eɪ?p rəl.

right! raɪt → raɪ?t

Foreign learners of English should be aware not to apply glottal reinforcement {contrary to glottal replacement} in words such as:

pretty 'prɪt i,

jumping 'd3mp ɪŋ (Ohm, 2002:1-3)

2.4 The Phonetic Contexts of the Glottal Stop

The glottal stop can seems word-medially or word finally , but never (at least not yet) word-initially. Sullivan 's book entitled "Sound Change in Progress a Study of

Phonological Change and Lexical Diffusion, with reference to Glottalization ,and r-Loss in the utterance of Some Exeter Schoolchildren", this published in 1992, lists the various contexts in which glottalization {glottaling or pre-glottalization} can state. According to Sullivan the glottal stop is not a phoneme in English language , but a type of allophone of voiceless plosive, and it just shows in free variation, which means that, differ /l/ and its dark allophone, there is no exact rule to limited and anticipate where will show and where it will not.

Crystal (2004:165) state that in traditional phonological studies, "free variation" has been considered to be an field of little importance, but in recent sociolinguistics studies, it is assumed that "free variants" need to be clarify, in terms of the frequency with which they happen, because of the selected of one variant rather than another may be made on sociological grounds, as when one "select" a "exactness" rather than a "formal" speech style.

Then, only possible contexts, depend on researches and recordings of native English people, can be enumerated to limit where it can show. Glottalization can show in the following possible contexts as illustrated by Sullivan (1992:46):

Word Medially

- when happen by a stressed vowel and followed by an inflectional morpheme, ex. 'hat/s' , ' bak/ed' , hope/d'.
- when happen by a stressed vowel and followed by a consonant, ex. ' fiction' , 'opera'.
- when happen by a stressed vowel and followed by a vowel or a syllabic, ex. city, jacket, bottle, etc (glottalization in this context is not very common in RP or Estuary, but is quite frequent in Cockney).
- when happen by a stressed vowel and followed by a syllabic nasal, ex. bottom, Britain, etc.
- when happen by unstressed vowel and followed unstressed or secondary stressed vowel, ex.., visitor, seniority, etc.

Word Final

- when happen by a vowel and followed by another word beginning with a consonant, e.g., put them , think so or flip through.
- when happen by a vowel and followed by another word beginning with a vowel, ex. sort of , look into , or keen on.
- when happen by a vowel and followed by a pause or nothing, ex. quite-um… or what?
- when compound words, at the end of the first morpheme, ex. milk/man, light/weight. (Sullivan,1992:46).

2.5. Glottal stop vs. zero

The difficulty in producing regular phonation phrase-initially, it is quite rare for languages to have a contrary among /P/ {which is likely to be required with irregular voicing} and ; in onsets. Languages in which /#PV/ contrary with /#V/ involved some Malayo-Polynesian languages, for example: Tahitian , Samoan and Tongan , and Harris (2001) clarifies two other as languages, both also Malayo-Polynesian: Nga'da and Mungaba Rennellese. In addition this contrary is said to be marginal in some Mayan languages: e.g. see Lichtman, Chang, del Rio, Hallett, Cramer, Huensch & Morales (2010) for Q'anjob'al. Therefore, many but not all languages allow for glottal stops to be inserted at the onset of vowel-initial words. The fact that glottal stop insertion before vowels is so widespread supposition that a common property of language or speech is responsible for its occurrence.

In Phonologically, glottal stop insertion can be motivated by the cross-linguistic tendency for a syllable to begin with an onset {for example, Lombardi (2002)}, within as accounts usually do not sample the optionality of glottal stop insertion.

2.6. Glottal stop vs. laryngealization

Phonemic laryngealized phonation is often concept to be derived historically from glottal stop lenition, in for instance in the Popolocan language Mazatec, spoken in Mexico (Silverman, 1995).

examined syllables are those ending in a glottalized coda or a glottal stop , and these often develop into glottalized phonation, such appears to have happned with the "tense" phonation in Yi languages (Kuang, 2011, 2012).

White Hmong {Hmongic, East Asia} is known to have a lexical tone {the -m tone} that is variably described as examined or as creaky, which suppostions that its pronunciation may different among the two {see discussion by Ratliff, 1992, p. 12 and references therein}. Because laryngealization is often derived historically from glottal stops, it is rare for glottal stops to contrary synchronically with other forms of glottalization.

Exceptions are found obserable in the linguistic convergence areas of Mesoamerica, southwestern Africa , and mainland southeast Asia ,

where glottal stops are licit codas and where some tones and/or vowels can be laryngealized. Some languages, as Tlacolulita Zapotec and Yucatec Maya, a phonemically laryngealized vowel may even be followed by a glottal stop {ForTlacolulita Zapotec, see the UCLA Phonetics Lab Archive. For Yucatec Maya, see Frazier (2009)}.

Other languages with both laryngealized vowels and coda glottal stops do not agree the two to cooccur, for example, in the Mon-Khmer language Krathin http://archive.phonetics.ucla.edu/Language/ZPK/zpk.html. (Last visited April 21, 2013).

Conclusion

Through described Glottalization in English language with consider it as complete or partial closure of the glottis during the articulation of another sound, that mean a glottal stop is made simultaneously with another consonant. In certain cases, the glottal stop can even wholly replace the voiceless consonant.

We can observe that English language sometimes takes the place of /t/ as in " water" for instance .And the glottal stop is difficult in pronunciation and recognition for foreign learner of English language. Therefore, it is employed to conform several functions. The present study tries to explore these functions and the contexts in which it may show and explain it according to assumptions. And also through the Sociolinguistic and History of Glottalization

In addition to that it investigates the actual status of this voice , i.e. whether it is considered a phoneme or not in the English language. And through the description of the glottalization and other related phenomena in English language which discussed in details.

References

- Crystal, D.(2003).A Dictionary of Linguistics and Phonetics. Oxford: Blackwell.
- Wikipedia (2009). "Glottalization". Wikipedia, The Free Enclopedia. Retrieved from , //http://en.wikipedia.org/wiki/Glottalization.
- Raoch, P.(2002) A Little Encyclopedia of phonetics. <p.j.roach @ reading. Ac.uk/> website: http://www.linguistics reading.ac.uk/staff/peter.Roach.
- Higginbottom, E. (1964). Glottal reinforcement in English. Transactions of the Philological Society, 63 , 129–142.
- Esling, J. H., Zeroual, C., & Crevier-Buchman, L. (2007). A study of muscular synergies at the glottal, ventricular and aryepiglottic levels. In Proceedings of the International Congress of Phonetic Sciences .pp. 585–588.
- Miller, A. L. (2007). Guttural vowels and guttural co-articulation in Juj'hoansi. Journal of Phonetics, 35 , 56–84.

- Huffman, M. K. (2005). Segmental and prosodic effects on coda glottalization. Journal of Phonetics, 33 , 335–362.
- Huber, D. (1988). Aspects of the communicative function of voice in text intonation: constancy and variability in Swedish fundamental frequency contours . Ph.D. thesis University of Gothenburg.
- Gimson, A.C. (2001) Gimson's Pronunciation of English, 6th edition, revised by A.Cruttenden. London, England: Arnold.
- Gerratt, B.R. & Kreiman, J. (2001) Measuring vocal quality with speech synthesis, Journal of the Acoustical Society of America, 110, 2560-2566.
- Gordon, M., & Ladefoged, P. (2001). Phonation types: a cross-linguistic overview. Journal of Phonetics, 29 , 383–406.
- Sullivan,A.E.(1992) Sound Change in Progress: a Study of Phonological Change and Lexical Diffusion, with Reference to Glottalization and r-Loss in the Speech of Some Exeter Schoolchildren. Exeter: Exeter University Press.
- Roach,P.(1973)."Glottalization of English/p/,/t/,/k/and/t/:a Reexamination" Journal of the International Ponetic Association. 3.1:10-12.
- Decherty, G., Foulkes, P., Milroy, J., Milroy, L. and Walshaw,D. (1997). " Descriptive Adequacy in Phonology: a Variationist Perspective". Journal of Linguistics 33, 275-310.
- Docherty, Gerard J., & Paul Foulkes. (1999)."Urban Voices: Accent Studies in the British Isles". (edited by Paul Foulkes & Gerard Docherty) London, 4771.London:Arnold.
- Kortlandt.. (1997). "How Old is the English Glottal Stop?" NOWELE 31-32 [Fs. Liberman], 175-179.
- Andrésen, B.S. (1968). Pre-glottalization in English Standard Pronunciation. Oslo: Norwegian University Press

- Kortlandt.. (1997). "How Old is the English Glottal Stop?" NOWELE 31-32 [Fs. Liberman], 175-179.

- KortlandT, F. (2009).Glottalization, Preaspiration and Gemination in English and Scandinavian. Pdf document : Leiden.
- Laver, J. (1980). The Phonetic Description of Voice Quality . Cambridge: Cambridge University Press. p. 126.
- Slifka, J. (2000). Respiratory constraints on speech production at prosodic boundaries . Ph.D.thesis MIT.
- Slifka, J. (2006). Some physiological correlates to regular and irregular phonation at the end of an utterance. Journal of Voice, 20 , 171–186.
- Ogden, R. (2001). Turn transition, creak and glottal stop in Finnish talk-in-interaction.Journal of the International Phonetic Association , 31 , 139–152.
- Ladefoged, P. and Maddieson, I. (1996). The Sounds of the World's Languages. Cambridge, MA: Blackwells.
- Byrd, D.(1993)."54,000 American stops" , UCLA Working Paper in Phonetics 83, p.97-116. Department of Linguistics, UCLA 405 Hilgard Avenue; Los Angeles, CA 90024-1543 USA
- Applegate,R.(2006). Introduction to the Sound System of Samala.: University of California, Los Angeles USA.
- Raoch, P. (2002) A Little Encyclopedia of phonetics. <p.j.roach @ reading.Ac.uk/> website: http://www.linguistics reading.ac.uk/staff/peter.Roach (Itkonen1975: 65).
- Pierrehumbert, J., & Talkin, D. (1992). Lenition of /h/ and glottal stop. In G. J. Docherty,& D. R. Ladd (Eds.), Papers in Laboratory Phonology II (pp. 90–117). Cambridge: Cambridge University Press.
- Sullivan,A.E.(1992) Sound Change in Progress: a Study of Phonological Change and Lexical Diffusion, with Reference Glottalization and r-Loss in the Speech of Some Exeter Schoolchildren. Exeter: Exeter University Press.
- Lombardi, L. (2002). Coronal epenthesis and markedness. Phonology, 19 , 219–251.

- Silverman, D. (1995). Phasing and recoverability . Ph.D. thesis UCLA. [Published in 1997 by Garland].
- Kuang, J. (2011). Production and perception of the phonation contrast in Yi . Master's thesis UCLA.
- Kuang, J. (2012). Registers in tonal contrasts. UCLA Working Papers in Phonetics, 110 ,46–64.
- Ratliff, M. (1992). Meaningful Tone: A study of tonal morphology in compounds, form classes and expressive phrases in White Hmong. Monograph Series on Southeast Asia.
- Frazier, M. (2009). The production and perception of pitch and glottalization in Yucatec Maya. Ph.D. thesis University of North Carolina, Chapel Hill.

Difficultés de recherche et d'intervention dans le contexte de la pandémie de la Covid-19 et de la crise sanitaire et intégration des outils numériques.

The difficulties of conducting research during the Covid-19 pandemic (health crisis) and the integration of technology.

Laila Zhaoui. Université Ibn-Tofail. Kenitra. Faculté des Lettres, Langues et Arts.
Laboratoire Langage et Société.
lailazhaoui@live.fr
Malika Bahmad. Université Ibn-Tofail. Kenitra. Faculté des Lettres, Langues et Arts.
Laboratoire Langage et Société.
Malika.bahmad@uit.ac.ma

Résumé / Avec l'apparition de la pandémie de la covid-19 et de nombreuses mesures de confinement prises à travers le monde, Suite aux restrictions à la mobilité des personnes, les technologies ont pris place pour garantir l'accès aux différents services. Un grand nombre d'entreprises ont eu recours au télétravail qui est une forme de travail numérique que nous avons découvert à l'ère de la pandémie. Cette dernière a modifié la façon dont est organisé et géré le travail dans la mesure où, pour maintenir leur activité, les entreprises ont dû transférer leurs opérations vers l'espace numérique. Des milliers travaillaient et continuent à travailler en ligne sur des plateformes numériques. Ces nouvelles formes de travail posent des problèmes pour la santé et la sécurité des utilisateurs. Parmi ces problèmes figurent des risques de niveaux élevés de stress et d'anxiété et une santé mentale déficiente.

Suite à l'expansion rapide du virus, on a pris des décisions précipitées et complexes, nos systèmes n'étaient pas en mesure de s'adapter à la situation et aux différents modes de travail : en présentiel, à distance et hybride.

Mots clés / Pandémie- crise sanitaire- distanciel- hybride- numérisation.

Abstract / With the wide spread of the covid19 pandemic and the numerous measures of quarantine applied around the world to restrict the mobility of individuals, technology has taken place to guarantee the accessibility of different services.

The majority of companies have resorted to teleworking which is a new approach to working discovered during the pandemic. This period has influenced companies to transform all their activities towards the digital world. This new form of work has negatively impacted the mental health of the workers, it has caused them anxiety and stress. due to the rapid exposure of the virus, many serious decisions were taken to create order. However, our systems were not ready to adapt to the changes be it face-to-face, hybrid, or distance.

Key words / Pandemic, health crisis, distance, hybrid, digitization.

الملخص:

مع ظهور جائحة كوفيد 19، اتخذت عدة تدابير احترازية عبر العالم. نظرا لاعتماد التباعد الاجتماعي والحد من حركية المواطنين، تم اللجوء الى التكنولوجيات الحديثة من أجل ضمان استمرارية مختلف المصالح، لذا لجأت مجموعة من الشركات والمقاولات للعمل عن بعد بشكل إلكتروني وهو ما اكتشفناه خلال هذه المرحلة. هذا النوع من العمل غير السيرورة الطبيعية للاشتغال من أجل ضمان مواصلة العمل في ظل الحجر الصحي وذلك باستعمال الوسائل الرقمية. ألاف الموظفين اشتغلوا عن بعد بواسطة منصات رقمية مما سبب لهم بعض المشاكل الصحية والأمنية مثل القلق والتوتر مما يؤثر سلبا على صحتهم النفسية. نظرا للانتشار السريع للفيروس، اتخذت قرارات احترازية معقدة إلا أن معظم المؤسسات لم تكن مؤهلة للتأقلم مع الوضع الجديد ومختلف أشكال العمل الحضوري، عن بعد وبالتناوب.

الكلمات المفتاحية: جائحة، أزمة صحية، عن بعد، بالتناوب، رقمنة.

.

1. Introduction

Les plateformes du travail numérique sont le produit des avancées de la technologie qui ont permis aux individus de travailler en ligne, d'étudier à distance, de faire des réunions, des webinaires, des visioconférences et même de poursuivre leurs recherches scientifiques grâce à l'accès aux bases de données des universités et bibliothèques du monde entier. Le travail réalisé sur ces plateformes s'apparente à celui produit par les méthodes classiques établies de longue date, l'outil numérique, dans ce cas sert simplement d'intermédiaire.

Cette pandémie a des inconvénients certes, mais elle a aussi des avantages. Elle a incité les sociétés, les établissements et les individus à adopter de nouvelles démarches et à chercher des solutions leur permettant de continuer leur travail, étude, recherche, etc. Nous sommes passés par différentes phases, le présentiel, le distanciel ou le télétravail, l'hybride ou l'alternance entre le présentiel et le distanciel puis le retour au présentiel en continuant à utiliser les outils numériques et les plateformes de manière à tirer profit de cette crise sanitaire afin d'améliorer nos démarches et se préparer pour une éventuelle crise.

La fin de la pandémie pourrait amener une majorité d'entreprises à opter de façon significative pour un fonctionnement dans l'espace numérique d'où la nécessité de veiller étroitement à la protection des droits des travailleurs.

Pour faire face à cette crise sanitaire globale qui affecte tous les secteurs, de nombreuses solutions sont expérimentées et le numérique en fournit plusieurs issues innovantes à travers la digitalisation de nos modes de vie à condition d'avoir une culture numérique et un accès aux TIC parce qu'il y a eu une fracture numérique entre les connectés et les non connectés selon leur niveau socio-économique. Alors cette crise a mis l'accent sur les inégalités et l'écart entre les différentes couches sociales.

Il est primordial de tirer profit de cette crise et de mieux comprendre l'importance du numérique et de la digitalisation dans le monde actuel puisque le digital est un levier et un facteur très important qui facilitent le E-learning, les cours à distance, le télétravail, etc.

Cependant, nous ne pouvons négliger ses entraves et ses obstacles suite au manque d'outils, à la discrimination et à la marginalisation des groupes qui n'étaient pas pris en compte, ceux qui n'ont pas eu accès au numérique et aux nouvelles technologies pour une raison ou une autre. Il faut aussi massifier la formation et la sensibilisation sur l'intérêt et l'usage des outils numériques dans tous les domaines de la vie.

Le recours à ces outils a commencé bien avant la crise, mais il y a eu une accélération digitale en réponse à la Covid-19 pour relever les défis. Nous étions face à une

situation hors pair, nous n'étions pas préparés à l'avance pour gérer cette crise, alors, les décisions prises par l'Etat avaient pour objectif de sauver l'année scolaire, de poursuivre le travail, de s'adapter rapidement à la nouvelle situation et de minimiser les dégâts de la pandémie. Cela nécessite la mobilisation de plusieurs acteurs conscients de l'enjeu de la digitalisation. Ce n'était pas facile de demander aux citoyens du jour au lendemain de recourir aux outils numériques, de faire du télétravail, de se réunir en ligne, etc. Nous n'étions pas formés pour cela et nous n'avions pas tous le même rapport à l'informatique ni la même maitrise du numérique. En plus de cela, nous ne pouvons négliger l'absence et le manque de ces outils chez la plupart des familles marocaines. Les membres de la même famille n'ont pas tous des smartphones, des ordinateurs, une bonne connexion, etc. Alors, la numérisation devrait se préparer et non pas s'imposer sans aucune formation, d'où l'échec dans certains milieux sociaux de l'enseignement à distance, etc.

Le monde a besoin de l'intelligence artificielle à travers la compétence et les ressources numériques, socio-économiques et humaines qualifiées afin de faire face aux inégalités sociales " des chances ".

La pandémie a eu des impacts sociétaux de l'intelligence artificielle et du numérique sur les différents domaines notamment l'enseignement et la recherche scientifique puisque tout a été suspendu, il y a eu une dématérialisation de toutes les interactions lors du confinement et de la distanciation sociale.

Pour cela, peu avait accès aux services Internet pendant la période de la crise et du confinement, mais d'autres étaient en marginalité de la société, tout n'était pas valable pour tout le monde. Il y avait des formes de discrimination et d'exclusion des personnes ou groupes non connectés qui n'étaient pas pris en compte.

La pandémie va amener des changements à long terme en relation avec l'interaction numérique et le recours aux technologies d'information et de communication.

« *Chacun d'entre nous doit envisager des crises de cette nature pour veiller à ce que les réseaux aient la capacité suffisante pour répondre à une augmentation soudaine de la demande et que*

les équipements essentiels puissent être déployés rapidement. De la même manière, les régulateurs et les gouvernements doivent être prêts à accélérer les mesures administratives » [1] a déclaré M. Stephen Spengler. P.D.G d'Intelsat.

2. La numérisation

Suite à l'apparition de la pandémie de « Covid-19 », il y a eu une perturbation considérable de la vie sociale, économique, administrative, etc. Alors, l'Etat a pris des décisions précipitées et complexes, cela ne concernait pas notre pays tout seul mais c'était à l'échelle mondiale. Des mesures sanitaires et un protocole strict ont été mis en place et imposés à tout le monde, nous étions amenés à respecter la distanciation sociale et les restrictions à la mobilité des personnes lors du confinement afin de lutter contre la propagation du virus.

Pour ce faire, nous avons eu recours aux différents modes de travail en présentiel, à distance « le télétravail » et hybride « en alternance » grâce aux réseaux sociaux et aux plateformes numériques.

Nous pouvons dire que les technologies ont pris place pour garantir l'accès aux différents services en période de crise.

2.1. Les plateformes numériques

Ces plateformes sont le produit des avancées de la technologie. Elles permettent aux individus de travailler en ligne, d'étudier à distance, de faire des réunions, des webinaires, des visioconférences, etc.

C'est grâce à ces plateformes que les chercheurs sont parvenus à poursuivre leurs recherches scientifiques et mener des enquêtes à distance. Ils ont aussi pu, lors du confinement, avoir accès aux bases de données des universités et bibliothèques du monde entier.

Il est nécessaire de dire que le travail réalisé sur ces plateformes durant la période du confinement et même après, s'apparente à celui produit par les méthodes classiques à savoir le travail en présentiel que nous avons toujours adopté. Alors, l'outil numérique

[1] . https://www.itu.int/en/itunews/Documents/2020/2020-03/2020_ITUNews03-fr.pdf

ne vise pas à changer complétement de stratégies mais plutôt servir en cas de crise pour continuer à travailler dans toutes les circonstances puisqu'il sert simplement d'intermédiaire entre les individus et le savoir. Le numérique nous a permis d'avancer malgré la pandémie dans les différents domaines de la vie, actuellement, les différentes sociétés continuent à s'en servir pour obtenir de meilleurs résultats. Sur le plan de la recherche scientifique, nous avons constaté, en tant que chercheurs, que nous pouvons encore, même après l'ouverture des frontières et de tous les établissements, participer en ligne à des colloques, webinaires, visioconférences, réunions et toutes sortes de communication à distance, cela nous donne une meilleure qualité de travail et un meilleur accès à l'information puisque nous pouvons malgré toutes les difficultés de la vie poursuivre notre travail de recherche grâce au recours aux outils numériques. Ce sont d'ailleurs les avantages de la pandémie que nous citerons ultérieurement tout au long de cet article.

2.2. Digitalisation et transformation digitale

La digitalisation est la numérisation des différents services et domaines, elle se focalise sur l'usage des outils numériques et désigne le recours à de nouvelles technologies comme les plateformes, les sites, les applications, les logiciels, etc.

Alors que la transformation digitale s'intéresse plutôt à l'être humain et à son usage de ces outils. En plus de la mise en place de nouveaux processus permettant à l'individu de changer de comportement, d'adopter de nouvelles démarches, pratiques et méthodes de travail. Pour cette raison, il est primordial de fournir une éducation numérique à nos jeunes afin de les préparer au marché du travail et aux exigences du progrès de notre pays.

Nous sommes censés donc être efficaces et innovants pour avancer et mieux s'insérer dans la société et dans les différents domaines de la vie. La maitrise de ces outils numériques permet de mieux s'intégrer dans le marché du travail et de réussir à s'adapter aux exigences du poste demandé puisqu'on s'intéresse plus à l'usage qu'au matériel employé.

2.3. La pandémie

La pandémie a provoqué une crise ayant un impact plus accentué sur les couches vulnérables de notre société. Elle a exacerbé les disparités sociales et a touché de façon disproportionnelle les populations.

Ces disparités se creusent de plus en plus, certaines personnes sont victimes de discrimination et de marginalisation à l'ère de la pandémie à cause de leur incapacité à utiliser le numérique.

2.3.1. Ses avantages.

Cette pandémie de Covid-19 a eu des avantages et des inconvénients. Concernant ses points positifs nous pouvons dire qu'elle a incité les sociétés, les établissements et les individus à adopter de nouvelles démarches et à chercher des solutions leur permettant de continuer leur travail, étude, recherche, etc. Cela a pu être fait grâce à des solutions innovantes à travers la digitalisation de nos modes de vie sachant que le monde a besoin de l'intelligence artificielle.

Le recours à la digitalisation s'est avéré indispensable. La fin de la pandémie pourrait amener une majorité d'entreprises à opter de façon significative pour un fonctionnement dans l'espace numérique pour tirer profit de cette crise et mieux comprendre l'importance du numérique et de la digitalisation dans le monde actuel. Le mode hybride commence à devenir une alternative apportant de meilleures solutions pour affronter toutes sortes de crise.

2.3.2. Ses inconvénients.

Plus on est vulnérable socialement, plus on a de risques d'être marginalisé, les personnes ayant de faibles revenus ou peu d'éducation sont les plus touchées et affectées par cette pandémie mais de façon disproportionnée, puisque le fait d'imposer les mêmes mesures à tout le monde est inéquitable. La pandémie a eu des conséquences très néfastes sur tous les plans, elle a même augmenté les inégalités entre les différentes couches sociales.

Il nous semble important de parler des inégalités des chances concernant le recours au numérique entre les connectés et les non connectés selon leur niveau socio-économique. Ce qui a donné lieu à une grande discrimination et exclusion des groupes qui n'étaient pas pris en compte, ce sont ceux qui n'ont pas eu accès au numérique et aux technologies d'information et de communication par manque d'outils ou non maitrise de leur usage.

Peu avait accès aux services Internet, il faut dire que tout n'était pas valable pour tout le monde. Alors, il faut massifier la formation et la sensibilisation sur l'intérêt et l'usage des outils numériques à travers la mobilisation de plusieurs acteurs conscients de l'enjeu de la digitalisation pour garantir une connectivité pour tous.

2.3.3. Ses impacts.

Le coronavirus a eu des impacts sur les différents domaines notamment l'enseignement et la recherche scientifique. La dématérialisation de toutes les interactions lors du confinement et de la distanciation sociale nous a amenés à adopter de nouvelles stratégies, à être créatifs, à se surpasser pour poursuivre notre travail malgré toutes les difficultés rencontrées. Tout a été suspendu lors du confinement, c'est pour cette raison que la pandémie a amené des changements à long terme en relation avec l'interaction numérique et le recours au télétravail. La situation d'urgence sanitaire a exercé une forte pression sur les réseaux et les plateformes utilisées d'où la nécessité de rénover et d'apporter de nouvelles stratégies permettant un meilleur fonctionnement de ces outils numériques même après la pandémie. Cette dernière a mis l'accent sur une autre urgence, qui est celle d'offrir une connectivité efficace pour tous ainsi que des services numériques essentiels.

« La crise sans précédent liée au covid-19 a mis en évidence le rôle essentiel que jouent les technologies numériques »[2]

[2] . Houlin Zhao (secrétaire général de l'UIT) The International Telecommunication Union (ITU)

Nous sommes censés profiter de la situation de crise par laquelle nous sommes passés, il est primordial d'en tirer profit afin de mieux se préparer pour une éventuelle difficulté qui pourrait être d'ordre sanitaire, financier ou autre.

3. L'importance des nouvelles technologies

Les technologies sont des outils utiles et nécessaires pour aider à garantir l'égalité pour tous. Elles peuvent avoir un effet profond sur la vie quotidienne des citoyens et leur garantir l'accès aux différents services.

La crise a stimulé l'innovation dans les différents secteurs. Ces innovations ont fait apparaître des lacunes : connexion, moyens, connaissance et maîtrise, ce qui a conduit à une aggravation des disparités à tous les niveaux. Alors, il est important de supprimer les obstacles à la connectivité grâce à l'instruction numérique des milieux défavorisés et marginalisés.

« *Il est important dans le cadre d'une société mondiale, de poursuivre les investissements en faveur de l'infrastructure et de la coordination en vue de développer les différents réseaux et de les connecter entre eux* » [3] Graig Labovitz (directeur technique Nokia)

3.1. Enquêter en temps de crise sanitaire

Nous jugeons nécessaire de parler des contraintes de la recherche de terrain et des enquêtes menées à cause du confinement total et de la fermeture des frontières suite à la propagation de la Covid-19.

Les chercheurs ont l'habitude de rencontrer physiquement leur public cible pour mener leur enquête de terrain, distribuer des questionnaires et faire des entretiens, etc. A l'heure de la crise sanitaire, la poursuite de ces recherches et investigations nécessite une adaptation des démarches adoptées étant donné que le confinement et les mesures barrières ont eu des impacts importants sur les manières d'enquêter. Pour ce faire, il est primordial d'actualiser et d'améliorer les protocoles de recherche ainsi que les méthodes utilisées. Par contre, le confinement était une occasion pour tout remettre en ordre et s'organiser de nouveau pour faire un autre départ bien plus structuré surtout

[3] . https://journals.openedition.org/cdlm/4332

pour les chercheurs ayant rencontré d'énormes difficultés les empêchant de mener à bien leurs enquêtes et investigations à l'ère de la pandémie et du confinement total, notamment les doctorants ayant entamé leur recherche juste avant l'apparition du coronavirus, ces derniers étaient dans l'obligation de persévérer dans le but de continuer leur mission dans de telles circonstances. Alors, les questionnaires et les entretiens ont pris une autre forme numérique et ont été partagés grâce aux réseaux sociaux pour remplacer le contact direct. La digitalisation de la recherche scientifique a permis aux chercheurs du monde entier de poursuivre leurs enquêtes et de partager leurs expériences à travers des colloques en ligne, des webinaires, des visioconférences, etc. Tout cela en se servant de différentes applications et plateformes telles que : Zoom, Google meet, etc. Néanmoins, l'infrastructure n'est pas toujours au rendez-vous puisque l'équipement disponible est insuffisant, ce qui entrave à l'utilisation des TIC.

A ce propos, nous pouvons dire que les catastrophes donnent lieu à de nouvelles réflexions sur les moyens à déployer pour les éviter ou pour atténuer leurs répercussions.

3.2. Les besoins.

La situation hors pair par laquelle nous sommes passés durant ces dernières années a dévoilé nos lacunes et nos besoins pour faire face aux difficultés envisagées, nous avons besoin notamment d'accompagnement et de responsabilisation, chacun dans son domaine et selon sa fonction. Les mesures d'urgence prises pour la prévention contre la propagation du virus nous amenaient à développer nos outils et nos compétences afin de passer du désirable (notre volonté) au réalisable (notre réalité). C'est d'ailleurs la sensibilisation de tout à chacun qui nous permettra d'évoluer et d'avancer pour viser le progrès de notre société. Alors, les situations de crise nous poussent à chercher des alternatives, à s'inspirer des exemples qui ont réussi et cela à travers différents moyens, précisément la généralisation des TIC, faciliter l'accès à Internet, l'éducation numérique, le renforcement des compétences, l'encadrement, la digitalisation des

équipements et la promotion de l'usage des ressources numériques dans tous les établissements et entreprises.

3.3. Les problèmes rencontrés

Nous pouvons citer entre autres, le manque d'aisance avec le numérique, l'inaccessibilité du matériel comme les smartphones, les ordinateurs, etc. Nous avons aussi l'absence d'encadrement et de formation pour mieux se servir des outils en présence qui peuvent être compliqués pour certains, en plus de cela, nous évoquerons les problèmes de connexion. Nous avons constaté que même les personnes ayant tous les moyens nécessaires, ont souffert à cause du débit très faible d'internet qui nous empêchait de travailler en ligne. Alors, la qualité du réseau Internet est le principal obstacle bloquant le succès des TIC surtout lors des interactions directes et instantanées comme Zoom, Google Meet, etc.

3.4. Les outils utilisés.

Nous avons recouru à différents outils et plateformes lors du confinement et même après, nous continuons à suivre des visioconférence grâce à Zoom, google meet, Skype, etc. La formation en ligne s'est faite aussi à travers YouTube, Moocs, Moodle, etc. Nous pouvons aussi ajouter les outils de partage tels que Classroom, Microsoft teams, WhatsApp, Facebook, etc. Ou encore de messagerie électronique comme Gmail, Yahoo, Hotmail, Outlook, etc.

Ce sont tous des moyens, parmi d'autres, qui nous ont permis de rester connecter au monde qui nous entoure même en étant confinés.

3.5. Les limites et obstacles.

Le recours aux TIC a créé d'autres difficultés, nous citerons quelques-unes à titre d'exemples comme les problèmes de planification, de gestion du temps et de l'espace, les problèmes d'organisation de la parole à cause de l'effectif des participants, les plateformes gratuites exigent un nombre limité de participants, ce qui peut créer des problèmes pour les classes à effectifs importants. Sans oublier les obstacles liés à la sécurité et à la confidentialité des internautes.

On peut dire que la crise a révélé la place importante du digital, mais ces nouvelles formes de travail posent des problèmes pour la santé et la sécurité des utilisateurs. Parmi ces problèmes figurent des risques de niveaux élevés de stress et d'anxiété et une santé mentale déficiente. Ce sont ces chocs et crises qui donnent souvent lieu à de bonnes pratiques, à de nouvelles réflexions sur les moyens à déployer.

Cette crise a mis l'accent sur la nécessité d'accélérer l'intégration des TIC au niveau de tous les secteurs d'activité afin de réduire l'écart numérique entre les classes sociales.

4. **Les difficultés de la recherche scientifique à l'ère de la pandémie**

Il y a un avant, pendant et après la crise sanitaire. Avant la crise, tout se passait normalement, on parlait très peu du recours au numérique, tout se passait en présentiel, conférences, colloques, rencontres, etc. Il fallait se déplacer pour assister à un colloque international, pour chercher des ouvrages ou accéder à une bibliothèque. Cela pouvait être difficile faute de temps et de moyens financiers et même en fonction de l'état de santé de chacun. En cas de maladie ou même pour les personnes ayant un certain handicap ou des besoins spécifiques, dans ces cas, il était compliqué de se présenter en personne, de voyager, de fournir plus d'efforts pour assister à un événement scientifique ou culturel, alors, il fallait à tout prix trouver une alternative facilitant la vie et la recherche scientifique à ces gens-là.

Pendant la crise, c'était une situation hors pair, on ne s'y attendait pas, on n'était pas préparé à cela puisque nous n'avons jamais vécu une situation de crise de cette ampleur au Maroc. La génération actuelle n'a connu aucune crise, guerre, pandémie ou autre catastrophe. Face à ces nouvelles difficultés, nous étions amenés à trouver des solutions rapides et efficaces pour continuer à vivre dans ces circonstances inaccoutumées.

La technologie était la seule solution envisageable pour remplacer le présentiel, mais il faut dire que le recours aux TIC avait des avantages comme il avait des inconvénients. Il y avait énormément d'inégalités sociales, cette crise sanitaire a montré clairement l'écart qui existe entre les différentes couches sociales, face aux mêmes problèmes, nous n'avions pas les mêmes moyens. Le manque d'outils numériques et la faiblesse du débit

de connexion faisaient défaut. En plus de cela, nous pouvons citer la non maîtrise de ces outils numériques. Plusieurs personnes avaient des ordinateurs, des tablettes, des smartphones et même une bonne connexion mais elles ne savaient absolument pas comment s'en servir.

Nous devions, surtout en période de confinement apprendre par nous-même, faire des formations en ligne, assister aux webinaires et aux visioconférences et même participer à des colloques nationaux et internationaux. Tout cela était possible de chez-soi, il suffisait d'avoir l'équipement nécessaire et d'être connecté. C'était une bonne occasion pour le chercheur et le doctorant lui permettant de profiter de ce temps libre pendant le confinement total pour apprendre à rédiger des articles scientifiques, à chercher des appels à contribution ou à communication, de bénéficier de formations en ligne dans divers domaines, statistiques, investigation, méthodologie de recherche, rédaction scientifique, etc.

La pandémie a interrompu la recherche scientifique et nous a amenés à adopter d'autres stratégies et démarches afin de faire face à la nouvelle situation épidémiologique. Le confinement et la propagation du virus ont été particulièrement difficiles et compliqués pour tout chercheur étant amené à faire des enquêtes et des recherches de terrain d'où la nécessité de l'innovation dans ce domaine. Les chercheurs, surtout du monde arabe, ont été confrontés à plusieurs défis à cause de cette pandémie. Nous avons rencontré d'énormes problèmes se rapportant aux recours aux TIC et au mode hybride ou distanciel. Nous avions tous dû affronter des défis technologiques, connexion, outils nécessaires, maîtrise, etc.

Les chercheurs avaient du mal à faire la collecte des données et à effectuer des investigations à cause des mesures sanitaires imposées dans le but de lutter contre la propagation du virus. Ils ont dû opter pour la collecte de données en ligne à travers les réseaux sociaux malgré tout ce qui en résulte. Cette pandémie a mis l'accent sur les inégalités sociales qui se sont aggravées à cause du manque de moyens, ce qui a provoqué de grands écarts entre les individus, lors du confinement, ceux qui n'avaient

pas un smartphone et une bonne connexion ne pouvaient ni étudier, ni faire des recherches, ni même savoir ce qui se passe en dehors de leurs maisons. Mais, on ne peut négliger les nouvelles opportunités qui nous ont permis de suivre des colloques, conférences, webinaires en ligne et même d'y participer activement dans le monde entier, sans avoir à se déplacer ni à dépenser beaucoup d'argent et d'énergie. Alors, l'impact de la pandémie varie d'une personne à une autre selon ses conditions de vie.

La pandémie a enrichi en quelques sortes la recherche scientifique puisqu'elle a ouvert d'autres pistes qui n'ont jamais été exploitées et des sujets que personne n'avait traité auparavant. La crise sanitaire a touché divers domaines, économie, enseignement, marché du travail, tourisme, etc. Les mesures barrières et la fermeture de tous les établissements ont eu un impact sur tout à chacun. Sans oublier la distanciation sociale qui a changé toutes nos habitudes et nos rapports avec autrui.

La pandémie nous met en tant que chercheur dans l'obligation de comprendre et d'analyser les risques liés à la propagation du virus et d'en tirer les leçons et les mesures préventives à mettre en place pour l'avenir. A travers une école et une société réactives aux changements en transformant les défis en des opportunités. Parmi les solutions, il est impératif de recourir à la numérisation des services pour avoir une administration fluide. Notre pays doit être dans la dynamique du développement tout en adoptant une pédagogie numérique.

La recherche scientifique doit faire face et donner des réponses aux défis et aux enjeux liés aux problématiques contemporaines comme le coronavirus, elle est censée développer l'agilité et la résilience des administrations et des individus, repenser nos pratiques et nos valeurs, mesurer l'impact de la crise et planifier un management de l'urgence pour assurer la survie et la relance des établissements et des administrations. Il faut dire aussi que nos comportements après la crise étaient différents, nous avions eu une autre vision des choses, les sociétés ont repensé les méthodes de travail à travers l'autonomisation des individus. C'est une crise systémique et multidimensionnelle qui exige différentes approches. La pandémie a conduit plus de la

moitié de l'humanité au confinement, c'est du jamais vu et jamais vécu jusque-là. Le monde était quasiment à l'arrêt et cela a eu des répercussions sur les différents domaines au niveau planétaire, parmi les secteurs impactés il y a la recherche scientifique car l'épidémie cette fois a eu un impact fort et global par oppositions aux précédentes. La situation était inédite suite aux mesures de prévention mises en place, c'est pour toutes ces raisons qu'il faudrait accroitre une réelle capacité d'anticipation et faire une remise à niveau de tous les secteurs. Nous pouvons espérer que cette situation et ce rapport de résilience face à la crise sanitaire de Covid-19 vont aider le système à être plus apte à répondre à ces défis qui peuvent être internes ou externes. A ce propos nous évoquerons Ibn Khaldoun qui a dit dans son ouvrage Peuples et Nations du Monde :

« *C'est l'inattention au changement qui affecte les conditions des nations et des générations en rapport avec les changements des époques et l'écoulement des jours* » [4].

Selon un rapport de la Banque mondiale sur la technologie numérique au Moyen-Orient et en Afrique du Nord (MENA), 62% de la population marocaine utilise Internet. 97% de nos entreprises utilisent le courrier électronique et 55% parmi elles ont leur propre site web.

Le rapport digital de 2022 indique que les internautes au Maroc ont augmenté de (+1,2%) entre 2021 et 2022. Mais 15,9% de la population sont hors ligne. Alors que le rapport digital de 2021 montre que le nombre des internautes au Maroc a augmenté de (+9,1%) entre 2020 et 2021.

5. Conclusion

La situation d'urgence sanitaire qu'a connu le monde entier a exercé une pression sur les réseaux et sur les plateformes utilisées. La pandémie a mis l'accent sur une autre urgence, qui est celle d'offrir une connectivité efficace pour tous ainsi que des services numériques essentiels.

[4]. https://journals.openedition.org/sociologies/2623

Les technologies sont des outils utiles et nécessaires pour aider à garantir l'égalité pour tous. Elles peuvent avoir un effet profond sur la vie quotidienne des citoyens et leur garantir l'accès aux différents services. Il faut dire que la crise a stimulé l'innovation dans les différents secteurs, ces innovations ont fait apparaître des lacunes : connexion, moyens, connaissance et maîtrise, ce qui a conduit à une aggravation des disparités à tous les niveaux. Alors, il est important de supprimer les obstacles à la connectivité grâce à l'instruction numérique des milieux défavorisés et marginalisés.

Nous avons eu plusieurs obstacles empêchant la recherche de terrain et les enquêtes menées à cause du confinement total et de la fermeture des frontières, il fallait faire des transformations pour s'adapter à la situation de crise. Les chercheurs ont l'habitude de rencontrer physiquement leur public cible pour mener leur enquête de terrain, à l'heure de la crise sanitaire, la poursuite des recherches et des investigations nécessitent une adaptation des démarches adoptées. Cette crise a été d'ordre émotionnel puisque la santé mentale a été affectée suite à notre isolement et aux restrictions de circulation qui ont bouleversé notre quotidien pour diverses raisons, l'inaccessibilité des services, les difficultés financières, les problèmes de connectivité et bien d'autres obstacles.

Alors, la technologie peut-elle remplacer le contact humain ? Comment peut-on garantir l'égalité numérique pour tous ? Ce sont des questions parmi d'autres qui ne cessent de nous préoccuper afin de lever les obstacles rencontrés et permettre aux gens de se connecter pour participer, collaborer et faire entendre leur voix. Pour ce faire, il est primordial de dispenser des cours d'aptitude à se servir des outils numériques pour toutes les générations afin d'avoir une meilleure maîtrise du numérique et inclure les personnes qui se sont senties exclues de manière à atténuer les effets de la pandémie ou de toutes sortes de crises sur tous les plans surtout l'enseignement, le travail, etc.

L'objectif principal est de combler la fracture numérique, réduire les inégalités et les différences entre les individus, utiliser les technologies de l'information et de la communication (TIC), intensifier le travail à distance pour avoir un autre impact sur

le plan professionnel, socio-économique et même personnel puisque la maîtrise des TIC facilite l'intégration, la recherche scientifique, la socialisation et l'apprentissage.

Elle permet de garantir un accès à l'information pour chaque personne, de consulter des livres numériques et de développer la littératie numérique.

Les nouvelles générations doivent être outillées et avoir la capacité de comprendre et maîtriser Internet et les technologies de l'information pour tendre vers une société plus égalitaire et plus inclusive.

Grâce au numérique, nous avons pu avoir accès aux bibliothèques pendant le confinement, il était possible de télécharger des livres et œuvres en tous genres au format numérique à travers plusieurs sites comme « Ebooks libres et gratuits » https://www.ebooksgratuits.com/.

Nous avions aussi un accès libre aux bibliothèques grâce à nos identifiants universitaires. Le développement numérique transforme le paysage de l'enseignement des langues puisqu'il crée des espaces d'interaction visant à mieux apprendre et pratiquer les langues étrangères et à assurer la continuité pédagogique.

« *Nous devons réfléchir à ce que peut apporter le numérique, non seulement pour surmonter cette crise, mais aussi pour reconstruire le monde a posteriori* » [5].

(Doreen Bogdan-Martin : Directrice du bureau de développement des télécommunications de l'UIT)

6. Biographie :

❖ Laila Zhaoui, enseignante de français au collège, membre actif de L'AMEF « Association marocaine des enseignants de français », Doctorante en 4ème année à l'Université Ibn Tofail. Faculté des Langues, Lettres et Arts. Kenitra. Maroc.

Mes communications dans les Congrès nationaux et Internationaux :

- L.Z (27.28 novembre. 2021)- L'enseignabilité du texte littéraire en classe de FLE : Discours professoral sur les pratiques enseignantes en activité de lecture (écart entre les pratiques déclarées et les pratiques réelles). – Le texte littéraire dans l'enseignement

[5] . https://www.itu.int/en/itunews/Documents/2020/2020-03/2020_ITUNews03-fr.pdf

du FLE au Maroc : modèles didactiques, fonctions pédagogiques, problématiques du tissage et limites de l'enseignabilité, CRMEFOOujda-Maroc.

- L.Z (6-7 mai 2022) - L'enseignement hybride des langues étrangères-at the 2022 ATRC online symposium. Hybridity: Text - Translation – Teaching,-Berlin- Allemagne.

- L.Z (27.28 mai 2022)- Le métissage culturel et linguistique au Maroc- Une variété d'aspects et d'approches de la multiculturalité et de l'interculturalité aujourd'hui, Cercle de Discussion Frankomaniacy/Francomaniaques et l'Institut de Linguistique appliquée de l'Université de Varsovie- Varsovie - Pologne.

- L.Z (10 juin 2022.)- Difficultés de recherche et d'intervention dans le contexte de la pandémie de la Covid-19 et de la crise sanitaire et intégration des outils numériques.- La didactique des langues et des cultures, entre recherche et intervention, à l'épreuve des bouleversements contemporains du monde, Le laboratoire Langage et Société- URAC 56- Kenitra- Maroc.

- L.Z (24.25 octobre 2022)- Discours, espaces et médiations. Regards croisés. L'enseignement des DdNL en français au Maroc. Faculté des Lettres et des Sciences Humaines Ibn Zohr. Agadir.

Mes publications :

- L Z (Décembre 2020). Les Enjeux du parcours international au collège, le cas de Sidi Slimane, Revue Langues, cultures et sociétés, Volume 6, N°2, P :148-P:163.

- L Z (Juin 2021). Le choix des termes d'adresse entre l'intention du locuteur, l'interprétation de l'interlocuteur et les exigences sociales : analyse des interactions verbales dans la Région du Gharb au Maroc, revue Ihalat, Numéro 7. P : 311- P : 324.

- Un ouvrage : L Z(2021). Les termes d'adresse dans les interactions verbales au Maroc. Entre l'intention du locuteur, l'interprétation de l'interlocuteur et les exigences sociales. Editions Universitaires Européennes. Moldavie.

- L Z (Novembre 2021). Le recours à la didactique intégrée en classe de DNL au Maroc, Journal of cultural linguistic and artistic studies: Twenty-first Issue –. A Periodical International Journal published by the "Democratic Arab Center"

Germany – Berlin, Volume5. P: 464-480.

- LZ (Septembre 2022). Le manque d'intérêt pour les devoirs hors classe et son impact négatif sur la réussite scolaire des élèves, Journal of cultural linguistic and artistic syudies. Germany- Berlin, Numéro 25, Volume 6, P : 550- P : 569.
- LZ (mars 2023). L'enseignabilité du texte littéraire en classe de FLE : Discours professoral sur les pratiques enseignantes en activité de lecture (écart entre les pratiques déclarées et les pratiques réelles). Journal of cultural linguistic and artistic syudies. Germany- Berlin, Numéro 27, Volume 7. P: 510-535

❖ Pr. Malika Bahmad, enseignant-chercheur en linguistique appliquée. Université Ibn Tofail-Kenitra. Maroc.

Ouvrages :

- Notices bibliographiques liées dans le Sudoc 041291972 : Étude phonologique et phonétique du parler Tamazight d'Azrou (parler de Aït M'guild, Maroc) / Malika Bahmad ; sous la direction de Fernand Carton / , 1987
- Notices bibliographiques liées dans le Sudoc 006179851 : Etude phonologique et phonétique du parler Tamazight d'Azrou (parler de Aït M'guild, Maroc) / Malika Bahmad / Lille 3 : Atelier national de reproduction des thèses , 1988
- Notices bibliographiques liées dans le Sudoc 248498681 : Le français sur objectif universitaire : entre apports théoriques et pratiques de terrain / études réunies par Widiane Bordo, Jan Goes et Jean-Marc Mangiante / Arras : Artois Presses Université , 2020
- Notices bibliographiques liées dans le catalogue BnF 37602533 : Etude phonologique et phonétique du parler Tamazight d'Azrou (parler de Aït M'guild, Maroc) Microforme / Malika Bahmad / Lille 3 ANRT 1988
- Travaux académiques liés dans theses.fr 1987NAN21022 : Étude phonologique et phonétique du parler Tamazight d'Azrou (parler de Aït M'guild, Maroc) / Malika Bahmad le 1987-01-01T23:59:59Z [Nancy 2]

- Articles et références dans HAL tel-02321553 : Bahmad Malika. Étude phonologique et phonétique du parler Tamazight d'Azrou (parler de Aït M'guild, Maroc). Linguistique. Université Nancy 2, 1987. Français. ⟨NNT : 1987NAN21022⟩

Membre du jury

- Notices bibliographiques liées dans le Sudoc 226310507 : Des pratiques scripturales disciplinaires en français dans l'enseignement supérieur : le cas de la formation médicale au Maroc / Youssef El Houdna ; sous la direction de Bertrand Daunay et de Hafida El Amrani / , 2017
- Notices bibliographiques liées dans le Sudoc 229354386 : Pratiques langagières et rapports aux identités linguistiques chez les enseignants et les élèves du Haouz : cas des lycées d'Aït Ourir (Maroc) / Lahcen Kaddouri ; sous la direction de Kamal Naït-Zerrad et de Hafida El Amrani / , 2017
- Notices bibliographiques liées dans le Sudoc 229063721 : Pratiques langagières et rapports aux identités linguistiques chez les enseignants et les élèves du Haouz : cas des lycées d'Aït Ourir (Maroc) / Lahcen Kaddouri ; sous la direction de Kamal Naït-Zerrad et de Hafida El Amrani / , 2017
- Travaux académiques liés dans theses.fr 2016ARTO0015 : Le dispositif intégré DNL en français/cours de FOS et de FOU dans les FUF bi-plurilingues pour la réussite des étudiants allophones / Widiane Bordo le 2016-06-27T23:59:59Z [Artois]
- Travaux académiques liés dans theses.fr 2017LYSES019 : Le français spécialisé au Maroc. Le cas de la filière des Sciences Juridiques : pratiques, besoins et perspectives / Abdeladim Er-Radi le 2017-07-10T23:59:59Z [Lyon]
- Travaux académiques liés dans theses.fr 2017USPCF033 : Pratiques langagières et rapports aux identités linguistiques chez les enseignants et les élèves du Haouz : cas des lycées d'Aït Ourir (Maroc) / Lahcen Kaddouri le 2017-10-27T23:59:59Z [Sorbonne Paris Cité]
- Travaux académiques liés dans theses.fr 2017LIL30025 : Des pratiques scripturales disciplinaires en français dans l'enseignement supérieur : Le cas de la

formation médicale au Maroc / Youssef El Houdna le 2017-12-15T23:59:59Z [Lille 3]

7. **Sitographie :**

- https://au.int/sites/default/files/documents/38351-doc-guidance_on_contact_tracing_for_covid-19_pandemic_fr.pdf. Consulté le 15/4/2022
- https://www.banquemondiale.org/fr/news/immersive-story/2021/01/22/urgent-effective-action-required-to-quell-the-impact-of-covid-19-on-education-worldwide

Consulté le 4/5/2022
- https://calenda.org/933568. Consulté le 4/6/2022
- https://mindthegraph.com/blog/fr/difficultes-rencontrees-par-les-chercheurs-en-sciences-de-la-vie-apres-la-pandemie-de-coqueluche/ Consulté le 10/4/2022
- https://www.oecd.org/coronavirus/policy-responses/les-preoccupations-des-jeunes-pendant-la-pandemie-de-covid-19-resultats-de-l-enquete-des-risques-qui-comptent-2020-19a8b9c0/ Consulté le 20/5/2022
- https://ruor.uottawa.ca/handle/10393/42823 Consulté le 6/6/2022
- https://www.humanite.fr/social-eco/covid-19/une-etude-revele-les-difficultes-rencontrees-par-les-representants-du-personnel Consulté le 5/9/2022
- https://nouvelles.umontreal.ca/article/2021/04/19/effets-de-la-pandemie-dans-le-domaine-de-la-recherche-scientifique/ Consulté le 9/9/2022
- https://nouvelles.umontreal.ca/article/2022/03/15/apres-deux-ans-de-pandemie-la-recherche-sur-la-covid-19-porte-ses-fruits/ Consulté le 9/6/2022
- https://www.quebecscience.qc.ca/sciences/comment-la-pandemie-affecte-t-elle-la-recherche-scientifique/ Consulté le 10/10/2022

- https://blogs.worldbank.org/fr/voices/la-connectivite-lere-de-la-pandemie Consulté le 20/10/2022
- https://revues.uqac.ca/index.php/revueot/article/view/1281 Consulté le 1/11/2022
- https://revues.uqac.ca/index.php/revueot/article/view/1281/1082 Consulté le 1/11/2022
- https://www.unicef.org/morocco/rapports/enseignement-au-temps-de-covid-au-maroc Consulté le 5/10/2022
- https://journals.openedition.org/ries/9783 Consulté le 4/11/2022
- https://www.researchgate.net/publication/354820803_Enseignement_hybride_au_Maroc_a_l'ere_de_la_pandemie_COVID-19_Quelle_efficacite_Hybrid_education_in_Morocco_in_the_era_of_the_COVID-19_pandemic_How_effective Consulté le 20/11/2022
- https://www.erudit.org/fr/revues/ritpu/2020-v17-n2-ritpu06264/1080250ar/ Consulté le 22/11/2022
- https://www.eib.org/fr/essays/covid-19-digital-education Consulté le 22/11/2022
- file:///C:/Users/PC/Downloads/7Enseignement+hybride+au+Maroc+%C3%A0+l%E2%80%99%C3%A8re+de+la+pand%C3%A9mie+COVID-19+Quelle+efficacit%C3%A9.pdf Consulté le 25/11/2022

Le réalisme et la critique dans *les Bouts de Bois de Dieu* et *O Pays, mon beau peuple* De Sembene Ousmane : Etude comparative

Mhamed ABDELMOUNA

Etudiant doctorant

Centre d'Etudes Doctorales : Langue, Patrimoine et Aménagement du Territoire

Laboratoire de Recherches : Langue, Littérature, Imaginaire et Esthétique

Université Sidi Mohamed Ben Abdellah.

Faculté des Lettres et des Sciences Humaines – Sais-Fès.

ملخص:

تتساءل هذه الدراسة المقترحة عن الالتزام النضالي للكاتب سمبين أوسمان من خلال منظور مقارن يتمحور حول اثنين من أعماله لتحليلها بشكل نقدي وواقعي .إذ أن أفكاره التي تحمل طابعا اجتماعيا مستوحاة من المدرسة الماركسية .فكتابته ليست من أجل شعبه فقط، ولكنها كتابة من أجل أفريقيا أيضا، ليظهر مشاكلها الاقتصادية والسياسية للعالم. إن تبني هذه الأفكار يقرب كتاباته من الحركة الفنية والأدبية للقرن التاسع عشر، نذكر على سبيل المثال:

تم وصف أعمال سمبين بأنها روايات اجتماعية وواقعية, تقدم نظرة شاملة على المجتمع الأفريقي،الذي عاش في فترة الانتقال بين الحقبة الاستعمارية والاستقلال. كما أن اهتمامه الوحيد هو وصف و سرد الواقع البانورامي للحياة الصعبة التي تعيشها دولته في هذه الفترة كما تم تأكيده في روايتيه:

« O Mon Pays Mon Beau Peuple» و «Les Bouts de Bois de Dieu »

بالنسبة للكاتب، فإن وجود الاستعمار أصاب بلاده بصدمة لدرجة فقدان هويتها العميقة. ومن أجل استعادة الكرامة، يقترح الكاتب الثورة الفردية والجماعية ضد المستعمر.

كلمات مفتاحية: الأدب الأفريقي، الواقعية الاجتماعية، الاستعمار، المجتمع الطبقي، النقد، الوصف.

Abstract:

The analysis proposed here is rather about the militant commitment of the author Sembène Ousmane. It is in a comparative perspective gathering two of his works to analyze in critical and realistic that we propose to study this article.

Inspired by Marxist ideas, Sembène Ousmane is a man of social. He writes not only for his people, but also for Africa in order to show its problems. The adoption of these ideas brings his wrote closer to the artistic and literary movement of the 19th century, realism like 'Honoré de Balzac and

Their works were described as socio-realist. They present an inner view of African society. His writings are considered sensitive to the social, economic and political realities of the African world, living in the period of transition between the colonial era and independence. His panoramic description of real emphasized the daily life of the people of Senegal.

His only problem is for the difficult life that his country is living as discussed in "*Les Bouts de Bois de Dieu and O Mon Pays Mon Beau Peuple*". For Sembene, the presence of colonialism traumatized his country to the point of losing its profound identity. The author proposes the collective and individual revolt so as to have their dignity

Keywords: African literature, social realism, colonialism, caste society, criticism, description.

Introduction :

1- Regards sur la littérature négro-africaine.

Comme tous les pays colonisateurs, la France a colonisé le continent d'Afrique. La rencontre entre ces deux cultures de l'Europe et de l'Afrique a donné naissance à une littérature négro-africaine. Cette littérature est devenue une plate-forme pour beaucoup d'écrivains africains d'exprimer leurs pensées, de transmettre la réalité de leurs peuples pour dénoncer les diverses exploitations de l'Afrique sous le masque de civiliser ce continent. « Cette veine réaliste est nettement dominante dans le roman nègre » (Kesteloot 2020, 310). Le roman négro-africain paraît comme le miroir des problèmes du milieu social et des situations politiques où les écrivains « concevaient le monde en termes guerriers. Ils avaient une mission. Ils partaient en croisade […] pour une littérature de combat qui porte sur les débats sur l'indépendance, sur le socialisme africain et de la négritude », (Ibid, 478). Pour Léopold Senghor, la négritude est définie en ces termes : « La négritude est le patrimoine culturel, les valeurs et surtout l'esprit de la civilisation négro-africaine» (SENGHOR 1969, 277).

Les écrivains africains comme le cas de Sembene Ousmane inspirés par « les idées marxistes» (Dambrine, Littérature) ont été enracinés dans la transmission de la réalité par le truchement de la littérature. « Le roman et la nouvelle deviennent le

miroir éclaté des mille expériences des nouveaux États» (Lilyan Kesteloot, 2020 p15). Leurs rôles étaient d'informer et d'éveiller la conscience de leurs peuples contre l'exploitation de l'homme et de combattre les inégalités sociales menées par l'idéologie colonialiste. La littérature de contestation d'Ousmane est orientée contre la présence métropolitaine, mais aussi contre les siens qu'il veut amener à se reconnaître, à reconnaître leurs propres tares et à prendre conscience de leur réalité contre les maux de la colonisation.

Notre travail tournera essentiellement autour de l'idéologie chez l'un des plus grands auteurs dans l'activité littéraire et cinématographique négro-africaine. Il s'agit de l'écrivain Ousmane Sembene, le romancier socio-réaliste dont les œuvres présentent un tableau sur la société africaine. Pour Sembene, 1a présence coloniale a ébranlé l'homme Noir au point que celui-ci est entré dans la crise d'identité.

Dans cet article, nous essaierons de dégager à partir de deux ouvrages sur lesquels nous avons centré notre étude à savoir : *les Bouts de Bois de Dieu* et *O Pays Mon Beau Peuple,* « l'aspect réaliste» (Dambrine, Littérature) afin de mieux faire ressortir cette inquiétude constante de décrire la réalité sociale tout à fait différente de son pays, à savoir la thématique de colonialisme, la présence métropolitaine, le racisme anti-noir et le capitalisme occidental. Ensuite, nous procéderons à la mise en évidence de la critique d'Ousmane Sembène dans les deux ouvrages cités ci-dessus, critique qui portera sur le pouvoir, dans le large sens du terme, que ce soit le pouvoir colonialiste, le pouvoir capitaliste, le pouvoir de la puissance occidentale et de la civilisation matérialiste.

2 - société de référence.

La socialité du roman se nourrit de la société qui met la lumière sur l'organisation de la production littéraire. La production littéraire du fait social nous invoque aux romans réalistes du XIXe siècle, dont l'objet fondamental est de reproduire strictement que possible la société sous divers angles romanesques ; la socialité est tout « ce qui manifeste dans le roman la présence hors du roman d'une

société de référence et d'une pratique sociale, ce par quoi le roman s'affirme dépendant d'une réalité socio-historique antérieure et extérieure à lui » (Vrinat-Nikolov, 2018).

Notre but est l'étude de la socialité du roman pour lire le social d'une période donnée comme « société de référence» (Vrinat-Nikolov, 2018), c'est à dire que le roman représente la société par le discours littéraire comme référence à une époque donnée de l'histoire de la société par la représentation du réel, par la référentialisation, d'où la socialité de l'œuvre qui facilite l'adhésion du lecteur. Si nous prenons l'exemple des deux romans de littératures africaines, ils sont inspirés de l'histoire authentique du Sénégal qui reflète les réalités socio-historiques dans un cadre du récit réel ou dans un moule fictif. Ces œuvres dissimulent l'espace conflictuel et la sobriété d'une société. Cet univers d'écriture (la littérature) aborde le non dit d'une manière implicite ou explicite en se référant à des « chronotopes » (Hans Färnlöf 2007 p2) réels de la société sénégalaise. Ce concept est un facteur mélioratif pour comprendre la société à travers le texte, c'est-à-dire que dans ce texte existe le détail spécifié de chaque communauté. Pour éclairer cette notion, l'écrivain joue le rôle de médiateur entre l'époque historique identique et le lecteur. Dans un autre sens, le document littéraire en tant que produit romanesque reflète par éminence le monde extérieur.

I- Le Réalisme dans les Bouts de Bois de Dieu, et O Pays, mon beau peuple.

Le Réalisme est un mouvement littéraire qui cherche à représenter le monde tel qu'il est, sans l'embellir ni l'idéaliser. Ousmane Sembene à plusieurs reprises met l'accent sur son souci du réalisme. Ce souci constant de faire une œuvre réaliste entraîne certaines conséquences avant la rédaction dont l'écrivain doit effectuer une recherche approfondie pour avoir une documentation minutieuse et des informations précises.

Dans *les Bouts de Bois de Dieu,* Sembene puise le sujet de son œuvre dans la réalité: Il s'agit de la fameuse grève des cheminots du Dakar-Niger qui se sont révoltés

contre la présence métropolitaine, contre l'injustice coloniale, contre l'exploitation de l'homme Noir par l'homme Blanc. Cette grève était le plus difficile que l'histoire africaine a jamais connue ; elle avait duré cinq mois du 10 d'octobre 1947 jusqu'au 19 mars 1948. L'histoire se déroule du Sénégal au Soudan par des ouvriers noirs travaillant dans la construction du chemin de fer. La caractéristique de cette grève dont le romancier tire la plus grande partie est qu'elle fut non seulement soutenue, mais dirigée par les femmes ainsi que par la participation de lui-même à cette pénible grève : « J'étais disponible, il fallait bien faire quelque chose » (Sembène, les Bouts de Bois de Dieu, 1960, p 29).

Par contre dans O Pays, Mon Beau Peuple, c'est l'auteur lui-même qu'on retrouve présenté par le personnage principal Omar Faye. Ces deux références nous montrent donc que la référence à la réalité est une caractéristique fondamentale dans l'œuvre de Sembène. L'auteur refuse de faire de son œuvre une fiction ou bien un travail d'imagination pure. Le présent roman est considéré comme une œuvre militante par le fait qu'elle s'attaque aux problèmes que pose le passage d'une structure à une autre, d'une société ancienne patriarcale mystique à une société nouvelle fondée sur la raison et sur le respect de la liberté individuelle. On peut donc décrypter les conflits du roman social, c'est ainsi qu'on qualifié l'œuvre de Sembene, supposé entre les différents générations aussi bien qu'entre les sages des anciens temps, les Imams et les nouveaux intellectuels d'aujourd'hui. L'œuvre de Sembene s'intéresse aussi bien aux problèmes de la liberté, de la condition de femmes noires, de ses émancipations et des structures socio économiques. Son roman est donc un roman engagé, souciant de la réalité sociale du pays.

En effet, l'auteur fait de son roman un espace pour dénoncer les problèmes que se pose son peuple et d'inciter une prise de conscience chez les Africaines en particuliers et chez tous les autres peuples dont les conditions sont semblables à celle du Sénégal.

1- Analyse de la réalité socio-économique dans *O Pays, Mon Beau Peuple*.

Dans O Pays, c'est d'un autre type de société dont Sembène traite. Il s'agit d'une société rurale. Il est question d'une société de bidonvilles vivant essentiellement de la pêche. C'est donc une « société Lébou » (Fall, 2006) qui maintient cependant son contact avec la ville. La société de Ziguinchor-Région de Casamance est une société rurale, société matériellement pauvre où Sembène décrit le « casamancienne» (La langue française) « Rien n'avait changé, les sentiers en éventail, les paillotes toujours prêtes à s'écrouler les tas d'immondices, une vie grouillante » (Sembène, *O Pays, mon beau peuple* 1990, p 29).Ousmane met l'accent sur la dureté du travail au Sénégal comme l'un des aspects les plus touchants de la réalité sénégalaise. L'auteur souligne cet aspect dans le passage ci-après:

Elle chantait à la manière des opprimés. L'existence leur avait appris à chanter pour tromper la réalité .En chœur, ces femmes chantaient comme on étouffe un sanglot pour ne pas sentir la fatigue. Elles chantaient comme au moment des excisions et c'était une chanson qui n'exprimait pas la joie, mais la douleur elle commençait où elle finissait car elle incarnait la misère et leur misère ne finissait jamais. (Ibid p79).

Sembene poursuit sa description de cette réalité de femmes « qui chargeaient l'un des trois bateaux » (Ibid p78) qui se trouvaient dans le même rang de l'homme. Faye contemple cette scène qui a été un leitmotiv pour lui.

Depuis son enfance il voyait cela pourtant il eut un pincement au cœur. C'était mal, c'était odieux que des femmes besognent de la sorte! Le fait que personne ne réagissait devant cet état de choses lui donnait une espèce de malaise. (Ibid,p 78).

Diagne souligne la crise d'emploi qui est l'un des aspects du sous développement économique : « Combien y a-t-il de bacheliers en chômage » (Ibid,p 84). Cette société se trouve également écrasée économiquement et socialement par la direction métropolitaine. La situation dans la société casamancienne est en pleine interrogation, une situation qui demande à être changée sur le plan économique. Le personnage principal du roman cherche à défier les siens, à transformer leurs traditions, leurs coutumes en renonçant au métier de pêcheur pour entreprendre le travail de la terre.

C'est dans ce sens que Rokhaye, la mère de Faye dit : « Il n'y a jamais eu de cultivateurs dans ma famille ni dans celle de son père, ni du père de ton père » (Ibid, p 63) Quant à la direction métropolitaine, il va l'affronter en introduisant cette coopérative agricole qui permettra aux cultivateurs et aux paysans d'assurer leurs terres et la bonne récolte. Aussi, cette coopérative agricole leur permettra-t-elle de décider eux-mêmes du prix de leur récolte : « créer une coopérative agricole avec un bureau de vente qui sera responsable devant les cultivateurs et qui soutiendra, leurs intérêts. Il ne faut pas que le prix du quintal nous soit imposé, il faut que nous puissions le débattre » (Ibid, p 158).

Quant au plan social, Omar Faye en revenant de l'étranger se révolte contre certaines traditions, contre certaines mentalités nuisibles pour le progrès essentiellement celle de Rokhaye et du vieux Moussa Faye qui freinent le développement du pays. C'est dans ce sens qu'il s'adressa à sa mère pour lui dire « Il y a des choses qui ne doivent plus être. Toutes celles qui entretiennent la fainéantise de ces gens ». (Ibid, p38).

2- Analyse de la réalité sénégalaise à travers les Bouts de Bois de Dieu.

Il s'agit d'une société rurale en voie de prolétarisation. C'est une autre forme de société qui est mise en question, une société « où le temps de vieilles coutumes féodales n'était plus de mise » (sembeme 1960,p 317). Le climat des *bouts de bois de Dieu* est un climat nouveau jusqu'ici dans l'œuvre de Sembène. Il s'agit d'un climat de la « Fumée de savane » (Ibid p126), de la machine, du monde ouvrier, du syndicalisme, du capitalisme, de la tentative de l'industrialisation, un climat du bruit de la ferraille et du sifflet des locomotives. Le roman traite le problème du passage de l'individu issu d'une société rurale traditionnelle d'une structure agricole à la classe ouvrière au moyen de l'introduction de la machine. « Ce réalisme consista à considérer plus lucidement leur situation, à dénoncer l'amas d'injustices et de préjugés » (Lilyan Kesteloot 2020 p 95). Le roman pose entre autres, le problème de l'aliénation de l'individu par cette machine

qui « était leur bien commun » (sembene1960 p 127), ce qui souligne qu'il s'agit d'une société en marche vers l'industrialisation :

C'était la machine qui maintenant régnait sur leur pays". En arrêtant sa marche sur plus de 1500 Kilemètres, ils prirent conscience de leurs forces mais aussi de leur dépendance. En vérité la machine était en train de faire d'eux des hommes nouveaux. Elle ne leur appartenait pas ; c'étaient eux qui lui appartenaient. (ibid,p 63).

C'est dans ce sens que Bakayoko, le personnage principal, déclare que « l'homme que nous étions est mort et notre seul salut pour une nouvelle vie est dans la machine » (Ibid. p 127). Il s'agit donc d'une société tiraillée entre deux époques « le passé et l'avenir étaient en train de s'étreindre pour féconder un nouveau type d'homme » (Ibid. p127) un homme optant pour la technique, pour le progrès et le machinisme. En effet, l'intrus de la machine a effacé et changé beaucoup de choses comme « Il n'y a plus de castes, plus de griots, plus de forgerons, plus de cordonniers, plus de tisserands. Je pense que c'est l'œuvre de la machine qui brave tout ainsi ». (Ibid. pp 153.154).

3- Différences sociales et de classes.

Parmi les conséquences de la société néocoloniale est évidemment la naissance d'une société de classes et des conflits sociaux. Sembene cherche à atteindre cette confrontation de deux niveaux sociaux disparates, entre le colon et son peuple; thématique qu'on trouve d'ailleurs dans l'ensemble de ses ouvrages. Dans *les bouts de bois de Dieu*, la bourgeoisie nationale s'allie à la direction métropolitaine au préjudice des masses populaires alors que le peuple indigène des paysans représente la couche prolétaire des pauvres. En effet, c'est à cause de la domination occidentale que :

L'Afrique s'est trouvée devant un choc culturel qui a déstabilisé ses codes sociaux en créant un tiraillement identitaire dont les contrées noires ont profondément souffert Cela provient du fait que les structures africaines traditionnelles ont été menacées par l'invasion de la modernité durant la période coloniale. (FANON 1970, p 35)

Cette société est composée d'une part des capitalistes, et des prolétaires de l'autre part. En effet, Sembène à travers son roman les *bouts des bois de Dieu* devance la nation de race et du colonialisme pour s'attacher beaucoup plus à la notion d'exploitions pour s'intéresser à la notion de classe. C'est ainsi qu'on trouve Lahbib s'adressant au directeur « Monsieur le Directeur, vous ne représentez ici ni, une nation, ni une race, mais une classe. Et nous aussi nous représentons une classe dont les intérêts sont différents de ceux de la votre » (Sembène 1960 p 281). En d'autres termes, le problème dans une même société réside entre les autochtones ;

L'une avec son congénère, l'autre avec le Blanc. Un Noir se comporte différemment avec un Blanc et avec un autre Noir. Que cette scissiparité soit la conséquence directe de l'aventure colonialiste, nul doute... Qu'elle nourrisse sa veine principale au cœur des différentes théories qui ont voulu faire du Noir le lent acheminement du singe à l'homme, personne ne songe à le contester. Ce sont des évidences objectives, qui expriment la réalité. (Fanon, 1952 p 13)

Ousmane met l'accent sur la grande différence nettement au niveau de modes de vie. Le chapitre de la cité évoque le mode de vie des indigènes et celui des affamés, celui des prolétaires et celui « des capitaliste des gosses nus perpétuellement affamés promenaient leurs omoplates saillantes, leurs ventres gonflés » (Sembène 1960, pp 35.36).

L'auteur reste fidèle à la conception des romans négro- africains qui adoptent « un style réaliste qui leurs donnent une valeur de vrai documentaire » (Lilyan Kesteloot 2020, p 310) des problèmes et situations traités, Sembene continue à peindre cet espace d'une manière péjorative :

Il y avait des maisons branlantes, étayées de poutres nu de troncs d'arbres prêtes à s'effondrer aux premières rafales mais des maisons quand même avec leur appentis de toile goudronnée dont les trous étaient bouchés par des chiffrons du carton, des bouts de planches des estragons et dont les tritures étaient consolidées à l'aide de grosses pierres de barre de fer. (Sembène, 1960, P 36),

Cette description réaliste met la lumière sur le quartier indigène comme une sorte de bidonvilles et de taudis écroulés. Son outil cinématographique est omniprésent du moment que ce lieu apparaît comme « un immense terrain vague où s'accumulent tous les résidus de la ville des pieux des traverses, des roues de locomotive, des fûts rouillés, des bidons défoncés, des ressorts de sommiers, des plaques de tôle cabossées et lacérées » (Ibid. p 35) et celui qu'habitent les Blancs au sein des « villas blanches au milieu des fleurs et les enfants aux joues roses qui jouaient sur les marches des vérandas » (Ibid. pp 59. 60) elles sont toutes similaires avec leurs couvertures de série, leurs verdures bien entretenues.

Ainsi, Ousmane Sembène par cette description met l'accent sur le coté pauvre de la réalité sénégalaise : « des mendiants, il y'en avait de tous les âges qui clamaient leur misère quant aux mouches, de grosse mouches d'un vert bleuté elles allaient des plaies que les mendiants partaient sur leur visage ou sur leurs membre » (Ibid. p 39).

II- la démarche critique d'Ousmane.

On a pu constater dans la partie précédente qu'Ousmane Sembene dans les deux ouvrages sur lesquels nous avons centré notre étude bien qu'ils traitent chaque fois d'une forme sociale tout à fait différente de toutes les autres abordés, les Bouts que dans mon pays mon beau peuple, la même thématique à savoir la présence métropolitaine, le racisme et le colonialisme.

1- La critique du colonialisme dans les bouts bois de Dieu.

La démarche critique d'Ousmane est centrée sur la dénonciation des injustices sociales et politiques subies par les Africains, sous la domination coloniale française. Ses romans abordent des thèmes tels que la pauvreté, l'exploitation économique, la corruption politique, et la discrimination raciale. Ousmane met en évidence la manière dont les systèmes coloniaux et néocoloniaux ont participé à l'humiliation des conditions de vie des Africains.

Nous proposons de reconstituer les thèmes sur lesquels partent la critique d'Ousmane un à un selon telle ou telle œuvre dans laquelle apparaissent le plus. Nous

allons étudier la critique orientée contre l'autre (le colon). Les éléments sur lesquels portera cette critique sont : le colonialisme, l'Occident, le racisme, la civilisation matérialiste, le néocolonialisme et la bureaucratie...

La dénonciation du colonialisme aussi bien dans les *Bouts* que dans *O mon pays* s'effectue moins par une revalorisation d'un passé glorieux, ou par l'évocation des personnages précoloniaux par une contestation violente de l'ordre subi et enduré. On ne nie aucunement par le chant de « Maimouna l'aveugle » (Ngombé, 2016) dans les *Bouts de bois de Dieu* ou la vieille Niakoro Ccissé qui gémit constamment de ce temps passé si glorieux. Cette femme de Maimouna qui « perd un de ses enfants pendant un affrontement, se révèlera leader dans le comité des femmes » (Ngombé, 2016). Sembene choisit l'épopée de Maimouna comme figuration de la grève en lui donnant le flambeau de guider la marche des femmes.

Dans *O mon pays, mon beau peuple*, ces vieux et l'imam évoquent également ce temps d'autrefois « le temps de feu mon père» (Sembene 1990 p17). Cependant, la contestation du colonialisme se fait dans les deux romans d'une façon très violente et plus explicite. L'auteur offre une critique acerbe de la colonisation française en utilisant le roman comme une référence de la domination coloniale française en Afrique et de ses conséquences sur la société sénégalaise. Le héros Ommar Faye dès le début répond à la violence métropolitaine par le même style que dans les Bouts où la manifestation de la violence physique chez le noir, chez l'indigène est une volonté, bien réfléchie de mettre fin à son écrasement.

2- Confrontation de deux mondes : colonialiste (blanc) et d'indigène (noir).

Afin de mieux décrire cette situation coloniale qui oppose ces personnages en deux groupes, répartit en deux clans antagonistes colon et colonisé, nous voyons que la richesse et les privilèges de l'un reposent sur l'asservissement et la pauvreté de l'autre. Ce qui caractérise la situation coloniale est le racisme et la haine qui condamnent la division de la société en hommes et en indigènes. C'est dans ce sens que Dejean le Directeur de l'administration coloniale veut « avoir le droit à l'autorité absolue sur des

êtres dont la couleur de leur peau faisait non des subordonnés avec qui l'on peut discuter, mais des hommes d'une autre condition inférieure, vouée à l'obéissance sans conditions» (Sembene 1960 p274).

Sembène abhorre la préférence et le favoritisme qui renforce cette inégalité de droits entre l'homme Blanc et l'indigène Noir. Cette inégalité se manifeste dès les premières pages de son roman dans le fait que pour un même travail exécuté dans les mêmes conditions, le Blanc est mieux payé que le Noir «C'est nous qui faisans le boulot et c'est le même que celui des Blancs alors pourquoi ont-ils de droit de gagner plus? Par ce qu'ils sont des blancs» (Ibid. p24). *Hic et nunc*, apparait donc nettement cette notion de race. Ces ouvriers noirs sont méprisés, traités de sauvages par les Blancs, la race noire est considérée comme étant une race inférieure « vous insultez une nation, une race qui vaut cent fois la vôtre » (Ibid. p281), Ces cheminots noirs sont ainsi présentés dans les Bouts frustrés et privés de leurs droits au profit du capitalisme Métropolitaine, l'auteur dénonce et critique cette injustice de traiter les indigènes pour avoir le droit d'accès au soin. « Pourquoi sont-ils mieux soignés alors que nous et nos familles avons le droit de crever? Parce que nous sommes des Noirs. En quoi un enfant blanc est-il supérieur à un enfant noir? En quoi un ouvrier blanc est-il supérieur à un ouvrier noir? (Ibid. P24). Ce favoritisme blanc va jusqu'à permettre aux siens l'accès à de temps de repos par contre il les interdits aux ouvriers noirs. C'est ainsi qu'Isnard le collaborateur au Dakar-Niger dit à Doudou « va te faire blanchir et tu auras les 10 min de repos » (Ibid. p 234). La rémunération d'ouvriers noirs est si modérée et eux-mêmes sont si avilis et humiliés qu'il n'y a plus de différence entre eux et les bêtes « Il n'y a plus de différence entre les bêtes et nous tant nos salaires sont bas » (Ibid. p.24).

Comme nous avons cité supra, la confrontation entre deux groupes se révèle assez nettement dès notre 1ère lecture du roman tant elle est évidente: le groupe des représentants de l'administration coloniale, les toubabs et les blancs d'une part et les indigènes, les exploités et les opprimés d'autre part. Sembene expose ainsi une

dégénérescence totale de l'homme noir dans son roman réaliste par ces colons, ces capitalistes qui exploitent impudents et inhumains les ouvriers en les montrant comme des mauvaises gens avec des tares et des vices, sembène atteint par ricochet le système colonial et raciste qui aliène et humilie les ouvriers en grève, ces indigènes frustrés de leurs droits, victimes du racisme et des privilèges du capitalisme. Le romancier oppose donc deux principes antinomiques du parfait et du mal : le parfait serait tout ce qui plaide en faveur de l'insurrection du progrès de la résistance, de la prise de conscience et le Mal au contraire serait destiné aux gens aisés qui s'allient à la direction métropolitaine ceux comme Bakayoko le héros principal des Bouts, définit comme étant des vrais esclaves « ce ne sont pas ceux qui sont pris par force, enchainés et vendus qui sont les vrais esclaves, ce sont ceux qui acceptent physiquement et moralement de l'être » (Ibid. p 45) Et ceux-ci sont bien des types représentés par le député maire, le chef religieux, les bourgeois et les commerçants, des types qui sont les véritables auteurs de la colonisation et les premiers responsables du sous développement du pays, ceux qui préfèrent trahir leurs frères de race et vendre leur pays au préjudice de l'homme Blanc.

En effet, le Mal dans les Bouts serait la présence métropolitaine avec tous ses alliés. Sembène nous montre ainsi que ces colons enfermés dans leurs bureaux ou dans leur « Vatican »[1] en train de discuter l'avenir de leur Afrique et d'envisager comment conserver le prestige de la vieille Afrique.

3- Le colonialisme et le racisme dans o pays, mon beau peuple!

L'un des aspects les plus frappants du roman est la capacité d'Ousmane à brosser un tableau vivant de la vie du Sénégal à l'époque coloniale. Il décrit la pauvreté, l'oppression et l'exploitation auxquelles le peuple sénégalais était confronté sous la domination française. Il aborde les questions complexes entourant le colonialisme et son impact sur les sociétés africaines. À travers ses œuvres, Ousmane critique le

[1] Le quartier des Blancs s'appelle le *Vatican*. Là on trouve l'électricité l'hôpital et des belles maisons.

système colonial français en Afrique et expose ses injustices, notamment en ce qui concerne l'exploitation de la main-d'œuvre et les ressources africaines.

Dans mon pays, mon beau peuple Sembène traite exactement la même thématique de la critique mais d'une façon moins dynamique que celle illustrée dans les Bouts à savoir le colonialisme, capitaliste et le racisme, seulement là où réside la différence c'est que dans les Bouts c'est toute une collectivité représentant d'ailleurs la grande majorité de la population noire qui s'insurge contre la présence métropolitaine alors que dans O mon pays, Sembène décrit plutôt un combat individuel d'un jeune casamançais aux prises avec les forces coloniales.

Omar Faye, le héros principal de l'œuvre est bien solitaire dans son combat, combat à la fois contre les représentants de la métropolitaine et contre les siens et contre la tradition, décide alors, de créer une coopérative pour concurrencer les capitalistes. Ce dernier, nous le trouvons assassiné dans la forêt. Son essai de changement a été aboli brusquement. « Nous avons trop d'habitude du vieux noir que nos activités laissaient indifférent. Ces vieux sont en voie de disparition, c'est cela que vous devez comprendre. Il ne suffit plus de dicter des lois, qui d'ailleurs ne sont pas des lois ». (Sembene 1990, p 155).

Cette lutte individuelle à la différence de la lutte en masse exprimée dans les bouts sera plus ou moins destinée à l'échec, par contre celle des cheminots du Dakar-Niger atteint son but justement par ce qu'elle est collective et solidaire. En effet, il s'agit bien de la révolte personnelle car le protagoniste se trouve seul face aux tares du colonialisme et du racisme qui se marre à la vue d'un nègre :

Quand un Noir leur parle ils battent des cils comme si les mots leur tombaient du firmament. Dans la salle de spectacles. Il y en a qui changent de place car la présence d'un sac de charbon les compromet...et c'est pareil dans le bus ou dans le métro. (Ibid. p 87).

Le romancier dénonce donc, le racisme et la discrimination qui ont été imposés aux Africains par les colons français. Sembene utilise son personnage pour illustrer les

préjugés que les Africains ont dû subir en raison de leur couleur de peau. L'homme noir est confronté à des attitudes racistes et paternalistes de la part des Français, qui le considèrent comme inférieur en raison de sa race. Pour Césaire, dit Senghor, « le Blanc symbolise le capital, comme le nègre le travail», (Fanon, Frantz 1952 p107), cela exprime les injustices du système colonial et met l'accent sur la résilience des peuples africains dans leur lutte pour la liberté et l'égalité.

Conclusion,

Ousmane Sembene est l'un des rares écrivains sénégalais qui transmit le mieux la réalité pauvre de son pays ainsi que le problème africain. Il se montre le défenseur des opprimés et des ouvriers. Les thèmes abordés dans ses œuvres traitent de la situation socioéconomique. Ousmane peint la réalité de son pays parce qu'il veut faire de son roman une œuvre engagée, assignée et destinée aux peuples pour les informer de leurs réalités et de les placer devant une situation réelle afin de connaître leur vécu avec un style réaliste. Les deux romans cités abordent le même thème dans un milieu différent : l'un dans un espace rural et l'autre dans un espace urbain qui ont, par conséquent, le même sort de l'exploitation de l'homme africain, par le colon français.

En effet, ses œuvres traduisent un cri de violence sismique. C'est un rejet de l'élément négatif qui serait ici le colonialisme, le capitalisme et le racisme. La critique d'Ousmane met surtout en lumière la résistance des Africains au colonialisme. À travers ses personnages, il montre que les Africains ne sont pas des victimes passives du colonialisme, mais plutôt des agents actifs du changement qui luttent pour leurs droits et leur liberté. Il vise aussi à réveiller les consciences et à inciter les Africains à prendre en main leur destinée.

Bibliogtaphie :

https://www.cairn.info/revue-poetique-2007-4-page-439.htm

Dambrine, Adrian, *le réalisme* : *définition simple, auteurs & œuvres* | Courant littéraire disponible sur https://www.laculturegenerale.com/realisme-courant-litteraire le [08/08/2022]

Fall, Boubacar Cissé (Sénégal, novembre 2006) disponible sur https://www.afrique-gouvernance.net/bdf_experience-741_fr.html le [23/ 07/2022].

FANON, Frantz. (1952), *Peau noire masques blancs.* Éditions du Seuil.

FANON, Frantz. (1970) , *Les Damnés de la terre.* Paris: Editions Maspero, Paris.

FÄRNLÖF, Hans. (2007), *Chronotope romanesque et perception du monde A propos du Tour du monde en quatre-vingts jours.* Éditions Le Seuil. Article disponible en ligne à l'adresse

KESTELOOT, Lilyan. (2020), *Histoire de la littérature négro-africaine.* Nouvelles Editions Numériques Africaines (NENA)Collection : Littérature d'Afrique.

https://www.lalanguefrancaise.com/dictionnaire/definition/casamancais le [18/05/2022].

NGOMBE, Marien Fauney, *Classique les bouts de bois de Dieu de Sembene Ousmane* disponible sur https://www.afrolivresque.com/classique-les-bouts-de-bois-de-dieu-de-sembene-ousmane/ le [10/12/2022]

Ousmane, Sembène. (1960), *les Bouts de Bois de Dieu. Editions* Presses PockeT.

Ousmane, Sembène . (1990), *O Pays, Mon Beau Peuple.* paris: Editions Presses Pocket.

SENGHOR, Léopold Sédar.(1969), *Anthropologie de la nouvelle poésie nègre et malgache.* Paris, PUF.

Vrinat-Nikolov, M., & Maurus, P. 2018. Traduire, historicité, socialité. In *Shakespeare a mal aux dents* : (*Que traduit-on quand on traduit* ?). Paris : Presses de l'Inalco. doi :10.4000/books.pressesinalco.1615.

The Use of Dialect in Charles Dickens Novel 'Oliver Twist'

استخدام اللهجة في رواية تشارلز ديكنز 'أوليفر تويست'

1. **Dr. Abedelrahman Mohammdain Abdurrahman Ahmed** , Associate Professor , El Imam El Mahdi University, Faculty of Arts and Humanity, Email , abogamals1977@gmail.com
2. Dr. MohiEldeen Ahmed Abdelrahman Ahmed, Assistant Professor, White Nile University, Faculty of Arts, English language department, Sudan
Email: mohieldeen9@gmail.com
3. Mustafa Hassan Musa, PhD Candidate, University of Bacht-er-Ruda , Faculty of postgraduate studies, English language Department
Email: mohieldeen9@gmail.com
4. Wafa Alsir Ahmed Omer, Ph.D. Candidate, - Elimam Elmahdi, Faculty of postgraduate studies, English language Department

Abstract

This study aimed to investigate the use of dialect in Charles Dickens's novel 'Oliver Twist '.The descriptive analytical method was adopted to conduct the study. The analytical method is used by adopting the techniques of interpretative qualitative method among the best of them are coding and Recursive abstraction. Therefore, the researchers find out the following results: Charles Dickens uses dialect in Oliver Twist to reflect realism, situation of the age, social facts, and historical facts. There are difficulties that face readers when reading a novel in which dialect is used .On the light of the results that has been found out, the researchers recommend the following: When studying Charles Dickens works, dialect should be considered to understand the work well. Dialect that was used to reflect situation of the age in time of Charles dickens should be studied and focused, facts should be understood via understanding of dialect, historical facts about the authors age should be understood though the use of dialect and, Readers should know the dialect that was used in Oliver Twist to avoid difficulties in understanding Charles Dickens's literary works.

المستخلص

هدفت هذه الدراسة الى تقصي استخدام اللغة الدارجة في وراية تجارليس دكنز "اوليفر تيوست استخدم المنهج الوصفي التحليلي لاجراء الدراسة. المنهج الوصفي التحليلي استخدم باستخدام الطرق التفسيرية من بين افضلها تغنية ترجمة الرسالة عبر التشفير و التلخيص المتكرر. توصل الباحثون للنتائج التالية بعد تحليل البيانات : استخدم تجارليس دكنز اللغة الدارجة ليعكس الواقع , تم استخدام اللغة الدارجة لعكس واقع العصر و كذالك عكس الحقائق الاجتماعية و عكس الواقع التاريخي. هنالك صعوبات تواجه القراء عند قراءة الرواية التي يستخدم فيها اللغة الدارجة . وفقا للنتائج التي ذكرت , يوصي الباحثون بالاتي : عند دراسة اعمال تجارليز دكنز يجب وضع استخدام اللغة الدارجة في الاعتبار حتى تفهم بصورة سهلة , اللغة الدارجة التي استخدمت لعكس الواقع في اعمال تجارليز دكنزيجب ان تدرس و يتم التركيز عليها , الحقائق يجب ان تدرس من خلال فهم اللغة الدارجة , الحقائق التاريخية عن الموؤلفين يجب ان تفهم من خلال استخدام اللغة الدارجة, يجب فهم اللغة الدراجة في اعمال تجارليز دكنز لتفادي عدم فهمها.

.

Introduction

This study concerns with English literature specifically the masterpiece of Charles Dickens novel 'Oliver Twist'. It provides and reflects the use of dialect in Charles Dickens novel Oliver Twist.

This study is important because it investigates the importance of the use of dialect in Charles Dickens novel Oliver Twist, that represents the common social literary approach in which the conflicts between classes i.e. high,mid, and low class in reviled. Dialects are used reflect the reality of the real situation in life, the life , and the ideology of the social classes. However , the study tells about the different dialects used in these classes.

This study assume that the dialect which was used by Charles Dickens in his novel Oliver Twist reflects the social facts, historical facts and poverty and suffering effect in low class especially in their language , also the author reflects this for reader .

The writer expects that this study gives contribution to sociolinguistic studies, especially those related to varieties of dialects, use in the English fictional prose. In this study the researchers show that the sociolinguistic data can be obtained from written source. From character's words of Charles Dickens's novel Oliver Twist. Moreover the researcher hopes this study represents Charles Dickens's works in creating the sense of experiencing the fictional autobiography

This study contributes to the overall field of knowledge especially for those who concerned with English literature and more interested in literary words of Charles Dickens.

Statement of the problems

This study aims to investigate the use of dialect in Charles Dickens novel Oliver Twist the author has used the dialect in his novel that may cause a problem in understanding but it has a great advantages in reflecting the real situation of the age . ; the researcher is interested in the dialects that is used by the characters in Oliver Twist is differing from his novel .

The use of the dialect reflect the real aspects of life , social and historical facts about the age as has been demonstrated by Minna paukari (2015:6) any novelist , Dickens included , is creating an illusion of realness by imitating real- life , and as page suggests, the way in which speech is presented carries a distinct part in that Endeavour . By making the characters, dialects distinguishable from each other or, in fact, by making the characters speak in the same dialect, the novelist is creating an illusion of real people.

Objectives of the study

The study aims of achieving the following objectives

1- To investigate the reason behind the use of dialect in Oliver Twist .
2- To discover whether the use of dialect reflect realism and situation of the age.
3- To know whether the use of dialect reflect the historical facts.

. Questions of the study

This study aims to answer the following questions:

1- What is the reason behind using dialect in Oliver Twist?
2- To what extent does the use of dialect reflect realism situation of the age?
3- To what extent does the use of dialect reflect the historical facts?

Hypotheses of the study:

This study aims to verify the following hypotheses

1- Charles Dickens uses dialect in Oliver Twist to reflect realism and situation of the age.
2- Dialect was used to reflect social facts.
3- Dialect was used to reflect historical facts.

Biography of Charles Dickens

According to Stephen Colbourn (p,4, mar.4,2020) Charles John Humffam Dickens, one of Britain's greatest novelist, was born on (February 7. 1812) in Portsmouth, on the southern coast of England. When his age was two years old the family was very poor Charles's mother , Elizabeth Barrow, aspired to be a teacher and school director. Despite his parents, best efforts, the family remained poor. Nevertheless 1816 , they moved to Chatham, Kent ,where young Dickens and his siblings where free to roam the countryside and explore the caste at Aochester. The family moved to Camden town in 1822. And poor neighborhood in London, By then the family's financial situation had grown dire as John Dickens had dangerous habit of living beyond the family's mean. Eventually John was sent to prison for debt in 1824 when Charles was just 12 year old .

He following his father's imprisonment. Dickens was forced to leave school to work at boot.- blacking factory . At the rundown rodent-ridden factory.

Dickens earned six shillings a week labeling pots of "blacking " a substance used to clean fireplace. It was the best he could do to help support his family. Looking back on the experience Dickens saw it as the moment he said goodbye to his youthful innocence, stating that he wondered how could be so easily cast away at such a young age. He felt a abandoned and betrayed by the a adults who were supposed to take care

of him so , the researcher thinks the experience of poverty make Dickens to use dialect and , the language of low class to make the picture more clear.

These sentiments would later became a recurring theme in his writing much to his relief , Dickens was permitted to go back to school when his father received a family inheritance and used it to pay off his debts. But when Dickens was 15,his education was pulled out from under him once again, in 1827 he had to drop out of school and work as an office boy to contribute to his family's income ,As it turned out , the job became a launching point for his writing career.

Dickens became freelance journalist. And a few years , he was reporting for two important London newspapers .

In 1833 he began submitting sketches to various magazines and newspapers under the pseudonym "Boz" and in 1836 his clippings were published in his first book , sketches by Boz

In the same year Dickens started publishing the posthumous papers of the pickevick club.

Charles Dickens, literary works:

According to Dickens published a total of 15 novels. Well know are :

Oliver Twist (1837-1838Oliver Twist, Dickens first novel, follows the life of an orphan living in the streets. The book was inspired by how Dickens felt as impoverished child forced to get by on his wits and earn his own keep. As publisher of a magazine called Bentley's miscellany, Dickens began published Oliver Twist in installments between February 1837 and April 1838, with the full book edition published in November 1838.

Dickens continued showcasing Oliver Twist in the magazines he later edited, including house hold words and all the year round. The novel was extremely well-received in both England and America.

Dedicated readers of 0liver Twist eagerly anticipated the next monthly installment. Dickens used dialects to real and reflects reality.

A Christmas Carol(1843)

On December 19, 1843, Dickens published A Christmas Carol. The book features the timeless protagonist Ebenezer scrooge, a curmudgeonly old miser, who, with the help of ghosts, finds the Christmas spirit. Dickens penned the book in just six weeks beginning in October and finishing just in time for the holiday celebrations. The novel was intended as a social criticism, to bring attention to the hardships faced by England's poorer classes.

The book was a roaring success, selling more than 6,000 copies upon publication. Readers in England and American entrepreneur reportedly gave. His employees an extra day's holiday after reading it. Despite literary criticism, the book remains one of Dickens, most well-known and beloved works.

Dealings with the first of Dombey and son,(1846-1848) From October 1846 to April 1848, Dickens published, monthly installments, Dealings with firm of Dombey and son .

The novel. Which was published in book form in 1848 centers on the theme of how business tactics affect a family's personal finances. Taking a dark view of England, it is considered pivotal to dickens's body of work in that it set the tone for this other novel.

- David Copperfield(1849-1850)

David Copperfield was first work of it is kind: no one had ever written a novel that simply followed a character through his everyday life.

From May 1849 to November 1850, Dickens published the book in monthly installations, with the full novel form published in November 1850 . in writing it, Dickens tapped into his own personal experiences, from his difficult childhood to his work as a journalist. Although Dived Copperfield is not considered Dickens best work, it was personal favorite. It also helped define the public's expectations of Dickens' novel.

A Tale of two cities(1859) Coming out of his "dark novel" period 1859 Dickens published A Tale of Two Cities, a historical novel that takes place during the French revolution in Paris and London. Published it in a periodical he found, All the year round. The story focuses on themes of the need for sacrifice, the struggle between the evils inherent in oppression and revolution and the possibility of resurrection and rebirth.

Great expectations (1861)

Great expectations, published in serial form between December 1860 to August 1861 and novel form in October 1861, is widely considered Dickens, second to be narrated in the first person, focuses on the life long journey of normal development for the novel's protagonist, an orphan named pip with extreme imagery and colorful characters, the well-received novels themes include wealth and poverty ,love and rejection, and good versus evil.

Death of Dickens

After suffering a stroke, Dickens died at age 58 on June 9,1870, at Gad's Hill place, his country home in Kent England.

Five years earlier, Dickens had been in a train accident and never fully recovered. Despite his fragile condition, he continued to tour until shortly before his death.

Dickens was buried in poets corner at Westminster Abbey with thousands of mourners gathering at the beloved Author's gravesite.

Scottish satirical writer Thomas Carlyle described Dickens' passing as "an event world wide" a unique of talents suddenly extinct At the time of his death his final novel, The mystery of Edwin Drood, was unfinished.

The Victorian Era

The period of the Victorian era was a social change , many people change their religions and the social ideals , that had been the norm. this change effected of the culture and the accent from social class to others.

The Crystal Palace was erected to display the exhibits of modern industry and science at the 1851 Great Exhibition . It was one of the first buildings constructed according to modern architectural principles. It was symbolized the triumphs of Victorian industry.

The British Empire in Victorian era 1853 and 1880, large scale immigration to British colonies. In 1857, Parliament took over the government of India and Queen Victoria became empress of India. Many British people saw the expansion of empire as a moral responsibility. Missionaries spread Christianity in India, Asia, and Africa.

The Religious Debate in Victorian period represented the evangelical movement emphasized spiritual transformation of the individual by conversion and a moral Christian life. Their view of life was identical with Dissenters. The High Church emphasized the importance of tradition, ritual, and authority. The Oxford Movement led by Newman. The Broad Church was open to modern ideas.

The Utilitarianism that was derived from the ideas of Jeremy Bentham and his disciple James Mill, the father of John Stuart Mill. There were rationalist test of value, the greatest good for the greatest number, and the Utilitarianism failed to recognize people's spiritual needs. There was challenges to Religious Belief specially in science,

Huxley, Darwin- the Origin of Species and The Descent of Man, Higher Criticism in many aspects of life . There was examination of the bble as a mere text of history

The Late Victorian Period between 1870-1901. There was decay of Victorian values, British imperialism, Boer War, Irish question,Bismarck's Germany became a rival power,United States became a rival power, Economic depression led to mass immigration, Socialism.

In 1890 that represented Breakdown of Victorian values. It witnessed the Mood of melancholy, Aesthetic movement, The beginning of the modern movement in literature, Aubrey Beardsley's drawings, Prose of George Moore and Max Beerbohm, Poetry of Ernest Dowson

The Role of Women in the age was raised. The Woman Question also was in focus. Changing conditions of women's work created by the Industrial Revolution. The Factory Acts (1802-78) – regulations of the conditions of labor in mines and factories The Custody Act (1839) – gave a mother the right to petition the court for access to her minor children and custody of children under seven and later sixteen.

The Divorce and Matrimonial Causes Act – established a civil divorce court. Married Women's Property Acts was established. Educational Opportunities for Women .First women's college established in 1848 in London. By the end of Victoria's reign, women could take degrees at twelve university colleges.

Working Conditions for Women was bad underemployment drove thousands of women into prostitution. The only occupation at which an unmarried middle-class woman could earn a living and maintain some claim to gentility was that of a governess.

The Victorian society was preoccupied with the very nature of women. Protected and enshrined within the home, her role was to create a place of peace where man could take refuge from the difficulties of modern life

By the end of the century, literacy was almost universal. Compulsory national education required to the age of ten. Due to technological advances, an explosion of things to read, including newspapers, periodicals, and books. Growth of the periodical Novels and short fiction were published in serial form. The reading public expected literature to illuminate social problems

-The Victorian novel was the dominant form in Victorian literature. It seek to represent a large and comprehensive social world, with a variety of classes and was realistic . the major theme is the place of the individual in society, the aspiration of the hero or heroine for love or social position. The protagonist's search for fulfillment is emblematic of the human condition. For the first time, women were major writers: the Brontes. Elizabeth Gaskell, George Eliot. The Victorian novel was a principal form of entertainment

In the Victorian period , drama and theater were a flourishing and popular institution during the Victorian period. The popularity of theater influenced other genres. Bernard Shaw and Oscar Wilde transformed British theater with their comic masterpieces.

2.5 Charles Dickens on the Yes of Critics

According to Koblenz-Landau (2013:p.58-60) Many of the reforms which came about in the mid century were helped by a new type of novel enjoying much popularity – the novel of social criticism. There was a much wider market for literature: a lower-middle class public who could afford to buy cheap magazines containing serialized novels, or who borrowed books from the newly established penny lending libraries.

CHARLES DICKENS (1812-70) made his name as a novelist in writing for this public. His own experiences in early youth formed him as a writer. He had had a hard childhood with little formal education; his father was imprisoned for debt and the 12-year old had to work in a boot-polish factory, a traumatic experience which formed the basis for the indictments in his works of cruelty to children and exploitation. He became a reporter, and began writing sketches, which were illustrated by the caricaturist GEORGE CRUIKSHANK (1792 1878) and by "Phiz". His first work The Pickwick Papers is not a social novel, but belongs to the picaresque genre. It was produced in 20 installments for a sports club journal beginning in 1836, and was at once highly successful. It recounts various adventures of Mr. Pickwick and his friends during their travels around England: these include a manipulated election, an unfortunate incident in which Mr. Pickwick is thought by a lady of rather advanced years to have proposed marriage, a court case brought by her for breach of promise of marriage, a period in a debtor's prison when Mr. Pickwick refuses to pay the damages she was awarded, and many other developments concerning people from a variety of walks of life. The structure of the novel is determined by its mode of publication: it had to be written to a monthly deadline; each episode had to form a unit and to build

up to a climax likely to induce the reader to purchase the next installment. Under such conditions planning and composition suffered; sentimentality, pathos and melodrama could get out of hand. However, Dickens' great gift for memorable characterization, for caricature, for dialogue flourished, and Pickwick and its characters soon became a household word across Britain.

The next of the 15 novels was Oliver Twist. This takes up the issue of workhouses and the treatment of the poor. It is the story of an orphan boy sent after the death of his destitute young mother to the workhouse, where he is nearly starved to death. The famous scene in which Oliver commits the crime of asking for more food is a masterly satire tearing away the mask of respectability behind which tyrannical authorities hide heartlessness, greed and cruelty. However, the nature of the story changes after the impassioned exposure of the condition of paupers and exploitation of apprentices: the second half is pure melodrama. Oliver has fallen into the hands of a gang of thieves, is pursued by an evil character intent on his downfall, who turns out to be his hal brother. So the hero's mother was not after all a "fallen woman" but a respectable married lady of good family; the tale ends with Oliver being adopted by a kindly wealthy gentleman: a happy personal ending obliterates the wider perspective with which the novel begins but leaves unresolved. This is a recurring pattern in Dickens' work; the Swiftian satire, for instance, of the legal system at the beginning of Bleak House drifts off into a sensational tale of secret guilt, rediscovered children, and virtue rewarded. Unforgettable accounts of tyranny endured by children in the family and at school are to be found in Nicholas Nickleby, in David Copperfield, a partly autobiographical novel, in Hard Times, in which the harshness of the industrial world is contrasted with the free and imaginative world of the circus.

Dickens' historical novel A Tale of Two Cities contrasts London and Paris in 1789. Its brilliant portrayal of the cruelty of French aristocrats is balanced by accounts of the macabre cruelty of the revolutionary guillotine women; the novel has formed generations of British people's impressions of the French revolution, and provided a

vivid illustration of the theories of the conservative writers Thomas Carlyle and Edmund Burke on the subject. As in Hard Times, so long as the poor are helpless victims, they are defended with a flaming sword; if they organise, for example, in a trade union or resort to physical force against their oppressors, then they are seen as sinister conspirators driven by base motives and foreign agents.

Dickens' novels have many weaknesses, but they provide an fascinating vista of middle-class Victorian England and a panorama of memorable characters, who if encountered in youth, people one's mind forever.

Dialect in Dickens' Works

Foremost it is necessary to define what is meant by dialect. According to George Yule (January. p. 195 .2006) which is used to describe features of grammar and vocabulary as well as aspects of pronunciation.

According to Suzanne Pickles(July . p. 2018) However socio-linguists have come to view dialect as an ideological construct,18 the popular understanding of the term consider it as indicate any grammatical constructions or lexical items which are not found in Standard English but are typically associated with a specific geographical area. Dialect in literature is more in line with these ideas from folk linguistics than with recent sociolinguistic studies, and I use the term dialect, along with nonstandard English, to refer to any form of language which differs from the national standard in terms of grammar, lexis or phonology. It would be known , however, that, in the 'real world', Standard English, the grammatical and lexical form taught in schools and used in writing, can be spoken with regional accents. The accent most associated with Standard English in Britain is Received Pronunciation, known as RP, an accent which became prestigious partly because of its link with the public school system. In the 'real world' a person who speaks with a local accent whilst using standard grammar and lexis would not be considered a dialect speaker. However, pronunciation is included within literary dialect

2.7. Literary Dialect in Victorian Literature

The Victorian Period was filled with many different thoughts and ideas. The literature of the time rose ideas that have never been heard of. Since the era was in the midst of the Industrial Revolution, it changed the way people thought from all of the new discoveries and inventions. Some of the literature and discoveries had the Victorian people question their beliefs, which created religious struggle. The difference types of literature and countless numbers of technological and scientific advances made the Victorian era a truly unique period in that time.

Previously dialect was used in literature for specific purposes like comedy or laughter by low characters generally , uneducated, miser, drunkard, or any other status that makes them in a comic and eccentric effect "for the most part, the conspicuous vulgarity of dialect even its funny look on the printed page-disqualified it as a serious language for the representation of personality in the nineteenth-century English novel." (Sabin, 1987). During the Victorian age, writers have become more and more aware in presenting skillfully the registers and the different varieties of speech in a standard text; accordingly the function of dialect has been thoroughly investigated and applied by novelists of the nineteenth century in the novel designed for its "artistically organized systems for bringing different languages in contact with one another" (Bakhtin, 1981). Though dialect use in Victorian literature will be thoroughly illustrated all along the coming chapters since the core of the research is the use of dialect in Victorian era by Dickens and Eliot we would like to introduce other novelists for the reason that the dialect was extensively used marking the epoch by a festival of language diversity in the literary text represented in an array of noteworthy novels. Numerous scholars, among them, Chapman and Page, remarked so heavy use of dialect in standard novels that they submitted it as a Victorian convention1 which enables literary dialect to know its zenith in the 19th century. Victorian novelists differed in their use either to fit with the sociolinguistic patterns as age, gender, style, social context, and cultural background; or to depict various provincial and rustic characters supporting the movement of the 19th century era which was realism.

Literary Dialect and Realism

Definition of Realism

Foremost it is necessary to define what is meant by 'realism' it deals frankly with social issues and contemporary .according to Suzanne Pickles(July . p. 26-27. 2018) In the Middle Ages, scholars held the view that 'universals, classes or abstractions, and not the particular concrete objects of sense perception' were the true realities.38 Thus the individual and his or her experience of the external world was unimportant as all lives were believed to be governed by these universals. In the modern period, realism is associated with the French school of realists, and literary realism has its foundations in the work of Descartes and Locke as a rejection of such universals for a belief that 'truth can be discovered by the individual through his senses'.39 Thus there has been a shift of focus to the individual's experience and perception of the world, an 'affirmation of the real world',40 which is at the heart of the realist novel.

Erich Auerbach's Mimesis (1946) and Ian Watt's The Rise of the Novel (1957) are two key works on literary realism. Auerbach's work is significant in its study of how aspects of ordinary life which once featured in literary texts only as part of the characterisation of 'low', comedic characters became the main focus of the novel. He points out that there has always been the 'real' in literature, even before the existence of the novel form. He cites Shakespeare's inclusion of 'earthly reality' such as 'mentioning everyday utensils' and the 'everyday processes of life' in plays such as Henry IV Part One; but he adds that Shakespeare 'does not take ordinary everyday reality seriously or tragically. He treats only noblemen, princes and kings, statesmen, commanders, and antique heroes tragically'.41 Auerbach argues that there were distinct 'levels of style' (489) with stories of ordinary people and everyday life being reserved for the 'low' style whilst tales of heroes and statesmen were the concern of 'serious' literature. He documents the mixing of styles that began in the work of the novelists Stendhal and Balzac, concluding as follows: When Stendhal and Balzac took random individuals from daily life in their dependence upon current historical circumstances

and made them the subjects of serious, problematic, even tragic representation, they broke the classical rule of distinct levels of style, for according to this rule, everyday practical reality could find a place in literature only within the frame of a low or intermediate kind of style, that is to say, as either grotesquely comic or pleasant, light, colourful, and elegant entertainment. They thus completed a development which had long been in preparation[…]And they opened the way for modern realism, which has ever since developed in increasingly rich forms, in keeping with the constantly changing and expanding reality of modern life (489). Thus Auerbach's book is significant in detailing the origins of literary realism, and his work is developed by Watt. Watt echoes the views above and then considers more specifically the 'technical characteristics' of 'formal realism' (28, 33): the plot became non-traditional so that it could accommodate the actions of the protagonist and therefore focus on 'the primacy of individual experience' (15); the plot had to be acted in particular circumstances (time and place) by particular people rather than general human types; and this, in turn led to the inclusion of detailed descriptions of character and environment (16, 18). Although it has been superseded (as I detail below), Watt's work with its focus on a series of 'technical characteristics' of realism remains highly influential and is still required reading for those studying the novel today.

In terms of providing a clear, succinct definition of literary realism, whilst Dennis Walder and Richard Allen warn that 'it would be a mistake to look for any hard-andfast definition of the realist novel',42 George Levine, in his influential The Realistic Imagination (1981), offers the following helpful explanation:

Realism, as a literary method, can be defined as a self-conscious effort, usually in the name of some moral enterprise of truth-telling and extending the limits of human sympathy, to make literature appear to be describing directly not some other language but reality itself. Of course, the notion of 'reality itself' and 'the real world' is a highly complex philosophical one bound to the idea of perception; but the explanation

above can still be seen as valid and is the one I adopt here when I use the term 'realism.

Methodology of study

There are three types of the research designs in the field of research methodology. These are qualitative methods, quantitative methods, mixed methods. The researcher adopted the qualitative methods that is suitable to be adopted to conduct the study in the literary fields.

The researcher adopted coding technique as basic techniques have been used to collect the data and analyse it. The codes have been developed to form a description or to identify themes of the study then to relate or verify it to the main objectives of the study . The themes were interrelated to show a higher level of analysis and abstraction. The bases for interpreting the analysis had been specified (personal experiences), .The researcher mentioned the outcome of the study by providing a complex and different picture of themes what was different from the famous one that were known by people.

The descriptive analytical method was used conduct the study. The data was collected through authentic text of 'Oliver Twist' which written by Charles Dickens publish in 1861. The researches have read the text careful to answer the questions of the study and to verify the hypothesis and to a chive the objectives of the study . while the researches r read the novel. They took notes and quotes to match them to the main variable of the study .this section that will be under the researchers focus are these who belong to low class in the novel to investigate why and how these characters use the dialect in the novel , the analysis of the data will be through two instrument coding and recursive abstraction.

Data Analysis and Discussion of the Results

The current study probe the use if dialect in Charles Dickens's novel 'Oliver Twist' . The analysis of the study novel i.e. Oliver Twist, is going to be via interpretative

techniques, among the best of them is coding that is essential in analysis of any literary works especially novels

The analysis focused on the use of dialect in Oliver Twist . The researcher examined what role is played by the language to reflect the reality

Oliver Twist Themes

Theme Charity Failure: Many of the first parts of Oliver Twist challenge charities run by churches and governments during Dickens' time. The system described by Dickens was introduced by the Poor Laws of 1834. The law stipulates that poor people can only receive government support if they move to a government poorhouse. Residents of these poorhouses were inmates in nature, and their rights were severely restricted by various pesky regulations. Labor was needed, families were almost always separated, and food and clothing rations were small. Poorhouses operated on the principle that poverty is the result of laziness and that the horrific situation of the Poorhouse encourages the poor to improve their situation. However, the economic turmoil of the Industrial Revolution made this impossible for many, and the Poorhouse did not provide a means of social or economic improvement. Moreover, as Dickens points out, the officials running the Poorhouse were blatantly violating the values they preached to the poor. Dickens ironically describes the greed, laziness and arrogance of charitable workers like Mr. Bumble and Mrs. Mann. In general, charities only recreated the terrible situation in which poor people would live anyway. As Dickens says, poor people have the option of being "hungry by a step-by-step process in the house or by rapid hunger."

Theme-The Stupidity of Individualism: With the rise of capitalism during the Industrial Revolution, individualism as a philosophy was very popular. Victorian capitalists believed that society would function most smoothly if individuals were aware of their interests. Ironically, the clearest expression of this philosophy does not come from legitimate businessmen, but from Fagin, who is engaged in the illegal business of theft

and prostitution. In other words, the benefits of the group are best provided when each individual protects himself. The stupidity of this philosophy is shown at the end of the novel when Nancy takes on the monk, Charlie Bates takes on the Sykes, and the monk takes on her wife. Corney. Fagin's volatile family, united solely by the self-interest of its members, is in contrast to the small company formed by Oliver, Brownlow, Rose Mayley and many of their friends. This second group is organized by "strong affection and humanity" rather than self-interest. This is a selfless dedication to each other, which Dickens considers to be a prerequisite for "perfect

Corrupt City Purity Theme: Throughout the novel, Dickens wonders if his terrifying environment has the power to "blacken [soul] and change its hue forever." Examining the fate of most characters, one can guess that his answer is not. Indeed, characters like Likes and Fagin seem to have done permanent damage to their moral sense. But even Sykes has a conscience, which is manifested in Nancy's appearance in her eyes, which is annoying him after Nancy killed her. Charlie Bates is good enough to catch Sykes. Of course, the novel takes him out of an unhealthy environment relatively early in his life, but Oliver goes beyond corruption. The easiest to understand is Nancy. She ends up making the ultimate sacrifice for her child, who she knows little about, even though Nancy thinks she has "almost irreparably lost" herself. increase. In contrast, the monk, perhaps the most inhuman villain of the novel, grew up

Theme Idealized Landscape: All the injustices and hardships that Oliver Twist's poor endured occur in either the big cities of London or the provincial towns where Oliver was born. When Marys brings Oliver to the country, he discovers a "new being." Dickens argues that even those who have spent their lives in "nearby noisy places" are likely to find comfort in the last moments in the mid-imagined memories of "heaven, hills, and plains." .. In addition, rural landscapes can "purify our minds" and eliminate some of the vices that occur in the city. Therefore, "the poor people of the country are

very neat and clean" and lead a clean life that plagues urban people. At the end of the novel, Oliver and his new family settled in a small village, as if a happy ending was impossible in the city. The portrayal of Dickens' country life in Oliver Twist is more positive than his portrayal of urban life, but far less realistic. This fact is consistent, but it supports Dickens' general reputation as a great urban writer. It is exactly the distance from the Dickens landscape that allows him to idealize it.

The style of writing

Oliver Twist by Charles Dickens compiles an array of different writing styles. These combined styles are unique to their author and give the book its literary merit.

Dickens uses sharp irony in Oliver Twist to mock the various institutions within the book, such as the parish house, the justice system, and the unfair laws, that he thought to be inexorable. For example, in chapter five, the narrator burlesques Mr. Bumble by calling himself “a humble author”, in juxtaposition to “so mighty a personage as a beadle”. However, a beadle was not that crucial to the story. This satire is meant to point out how self-important, vainglorious, and arrogant officials like Mr. Bumble can be.

Another way to describe Dickens` writing in Oliver Twist is periphrastic, or over explained. The narrator tends to talk around the point and describe things in gory detail. For example, Dodger and Charley`s theft of Mr. Brownlow`s wallet is described as “an illegal conveyance of Mr. Brownlow`s personal property”. Part of this effect is to show that cant can be used to vindicate injustices, which can be dangerous in and of itself. Dickens seems to convey that a thief should be viewed and limned as such.

The large number of colons, semicolons, and parentheses can make the sentence structure long and daunting. Dickens' words were often sentimental. For example, the love scene between Rose and Harry and Oliver's early childhood portrayal. Dickens intended to explain the event realistically, but the language did not necessarily convey the language used by the lower classes of British society at the time. This is true, but

Dickens uses street slang, especially the thief's slang, which is represented by the Dodgers' way of speaking.

Dickens wanted Oliver Twist to be a book that virtually anyone could read. Sharp irony, euphemistic elements, sentence structure, and language all contribute to Oliver Twist's literary benefits. All of these attributes make the reader think about writing a book, give the book timeless humor, and make the book truly readable for everyone.

CNCLUSIN

The analysis of data that has been revealed by the researcher found out the following results.

1- Charles Dickens uses dialect in Oliver Twist to reflect realism.
2- Dialect was used to reflect situation of the age .
3- Dialect was used to reflect social facts.
4- Dialect was used to reflect historical facts.
5- There is difficulties that face readers when reading a novel in which dialect is used .

On the light of the results that has been found out , the researcher recommends the following :

1- When studying Charles Dickens works , dialect should be considered to understand the work well.
2- Dialect that was used to reflect situation of the age in time of Charles dickens should be studied and focused. .
3- social facts should be understood via understanding of dialect.
4- historical facts about the authors age should be understood though the use of dialect .
5- Readers should know the dialect that was used in Oliver twist to avoid difficulties in understanding.

References

Free Encyclopedia (20113) English Literature , Compiled & Edited by
Bayu Al-Ghazali

Koblenz-Landau (2013) A survey of English Literature in Historical Context , University of Koblenz-Landau

George Yule (2013) **the study of language**

Suzanne Pickles (2018)

Literary history , women's writing , 18.1(2011),153-66

Welder, Dennis and Richard Allen, Can Realist Novels survive ?in the Realist Novel

Minna Pukari (2015) The purpose of Dialect in Charles Dickens's Novel Great Exceptions Bachelor's seminar and thesis (682285A) , English philology, faculty of Humanities, University of Oulu .

Suzanne Pickles (2018) post – Authenticity: Literary Dialect and Realism in Victorian and Neo- Victorian Social Novels , A thesis submitted in partial fulfillment of t requirements for the degree of , Doctor of philosophy , the University of Sheffield faculty of Arts and Humanities , school of English

Wagner tamara S, Beyond Domestic Manners : Repositioning frances Trollope in (Berlin and Boston : De Gruyter Mouton, 2017) , pp 41-60 .

Waller , John, The Real Oliver (Lcon Books, Cambridge, 2006) watt, lan The Rise of the Novel (Middlesex: Penguin, 1963) 206

إصدارات

المركز الديمقراطي العربي

للدراسات الاستراتيجية، الاقتصادية والسياسية

برلين – ألمانيا

ISSN : 2625-8943

رقم التسجيل

VR.3373.6326.B

لمزيد من المعلومات حول المجلة
يرجى زيارة موقعها على النت
http://democaticac.de